



آفاق الحضارة الاسلامية

تصدر عن معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية - وزارة التعليم العالي
عددان في السنة (نصف سنوية)

العدد الواحد والعشرون، السنة الحادية عشرة، ربيع الأول ١٤٢٩ هـ. ق
١ فروردین / ١٣٨٧ هـ. ش / ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٨ م

رقم المنشور القياسي الدولي ٦٨٢٢-١٥٦٢

□ المدير المسؤول: الدكتور مهدي گلشنی (رئيس معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية)

□ تحت اشراف هيئة استشارية

□ رئيس التحرير: الدكتور صادق آئينه وند

□ مدير التحرير: أ. قيس آل قيس

□ مدير النشر: رحمت الله رحمت پور

□ المطبوع: ١٠٠٠ نسخة

□ المشرف الفني على الطباعة: سيد ابراهيم سيد علي

□ المطبعة: شركة طباعة فرشيوه (طهران - شارع ولي العصر - قبل شارع الجمهورية - رُقاق

فلاح زادگان - رُقاق نجاة - الرقم ٦٠ - رقم الهاتف ٦٦٩٥٨١٩٢)

□ الثمن: ٣٥٠٠ ريال

□ الاشتراك السنوي: ٧٠٠٠ ريال

□ العنوان: الجمهورية الاسلامية الايرانية

طهران، شارع كردستان، رقم ٦٤، الرقم البريدي ١٤٣٧٤

□ الهاتف: طهران: ٨٨٠٥٣٩٣٤ و ٨٨٠٤٦٨٩١-٣، الفاكس: طهران: ٨٨٠٣٦٣١٧ - تليفاكس

Email afaq @ ihcs.ac.ir

٨٨٠٥٣٩٣٤

Email AL Kaiss @ ihcs.ac.ir

Email kaissalkaiss@yahoo.com

- الأبحاث التي تنشر في المجلة لا تعتبر بالضرورة عن رأيها.
- ترتيب نشر المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- لهيئة التحرير الحق في اجراء ما تراه مناسباً من تعديل او حذف في المقالات مما لا يمس جوهر المضمون ولا يخل بالمعنى.
- المجلة غير ملزمة باعادة المواد التي لا تنشرها الى اصحابها.

- كيفية الاشتراك: يرجى من الراغب في الاشتراك في المجلة أن يودع مبلغ الاشتراك في الحساب الجاري رقم ١٨٩ ٩٠ في (بانك ملي، شعبه سيد جمال الدين اسدآبادي) باسم (پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي) على أن يرسل اصل الوصل الى مكتب المجلة مع اسم المشترك و عنوانه البريدي الكامل.

هیئة التحریر

استاذ	۱. الدكتور مهدي گلشنی
أستاذ	۲. الدكتور صادق آئینه‌وند
استاذ مساعد	۳. الاستاذ قیس آل قیس
استاذ مساعد	۴. الدكتور سید حسین میرجلیلی
استاذ مشارک	۵. الدكتور علی رضا میرزا محمد
استاذ مشارک	۶. الدكتور عبدالحسین فرزاد

الهيئة الاستشارية

١. الدكتور سيد أمير محمود أنوار
استاذ
جامعة طهران
٢. الدكتور حامد صدقي
استاذ مشارك
جامعة اعداد المعلمين
٣. الدكتور سيد حميد طيبيان
استاذ مشارك
معهد العلوم الانسانية
والدراسات الثقافية
٤. الدكتور محمد ابراهيم خليفه شوشترى
استاذ مساعد
جامعة الشهيد بهشتى
٥. الاستاذ عبد العلي فيض الله زاده
استاذ مساعد
جامعة الشهيد بهشتى
٦. الدكتور محمد على لسانى فشاركي
استاذ مساعد
جامعة اعداد المدرسين
٧. الدكتور على ابو الخير
استاذ
جمهورية مصر العربية -
القاهرة
٨. الدكتور أحمد راسم النفيس
استاذ
كلية الطب - جامعة
المنصورة - جمهورية مصر
العربية
٩. الدكتور علي العلي
استاذ
الكويت
١٠. الدكتور السيد محمد علي القائم
استاذ مساعد
جامعة اعداد المعلمين
- مقامي الحسيني النجفي

أسرة المجلة:

- الآنسة ناهيد فتحي: الكمبيوتر والانترنت والمشاوره الفنية والاتصال الدولي والادارة.
- السيدة فاطمة مكداول: المراسلات والأمور الادارية والعلاقات الداخلية والخارجية

فهرست الموضوعات

- كلمة العدد / هلّت سنة ١٤٢٩ الهجرية (على صاحب الهجرة آلاف التحية والسلام)
 بقلم رئيس التحرير ٩
- خريطة نماذج أدوار المرأة العامة في التاريخ الاسلامي خبرة جمعية دراسات
 المرأة والحضارة (١)
 أمل حمادة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٣
- اسهامات من المرأة العلمية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي
 شكران خربوطلي - الجمهورية العربية السورية ٢٩
- علي بن أبي طالب مفسراً للقرآن
 احمد راسم النفيس - كلية الطب - جامعة المنصورة جمهورية مصر ٤٧
- الإصطلاح المعماري في «معجم عمارة الشعوب الإسلامية»
 علي ثويني - معمار وباحث أكاديمي عراقي ٥٧
- من الوحي المحمدي العولمة والإسلام - فلسفة القوة ومنطق الإيمان
 علي أبو الخير - جمهورية مصر العربية ٧٣

شخصية النبي محمد (ﷺ) العلمية

محمد مصلح الزعبي - جامعة آل البيت - الأردن ١٢١

مسيرة حقوق الانسان والتعليم لمحات على خطى الوحدة من التاريخ الفاطمي

وليد الغمري - صحفي وباحث سياسي مصري ١٥١

رؤية حول التعايش المذهبي

الشيخ حسن الصفار - مفكر وكاتب من السعودية ٢٠١

أضواء من قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾

الشيخ عبد الهادي بدلة - الجمهورية العربية السورية ٢١١

نحو تنظير ثوري لمفهوم الاقتصاد في الاسلام

محمود اسماعيل - أستاذ التاريخ بجامعة عين شمس - القاهرة ٢١٩

الخيال والفروسية في التراث الشعبي بتونس

حفاوي عمايرية - استاذ محاضر بالمعهد العالمي ببئر الباي - تونس ٢٢٩

فلسفة العلم في ضوء الرسالة المحمدية

مهدي گلشنی - رئيس معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

وزارة العلوم والابحاث والتكنولوجيا ٢٤٣

المديح النبوي في شعر حسان بن ثابت وخاقاني شرواني
صادق آئينه وند - استاذ تاريخ الاسلام في جامعة تربيت مدرّس بطهران
نعيمه حسوكي - طالبة دكتوراه في قسم اللغة الفارسية في جامعة تربيت مدرّس ٢٦٣

تاريخ الطب في ايران الاسلامية
قيس آل قيس - استاذ الأدب العربي بدورة الماجستير معهد العلوم
الانسانية والدراسات الثقافية ٢٨٥

الحركة الأدبية في الكويت
شاكر العامري - جامعة سمّان - قسم اللغة العربية ٣١٥

النزعة القومية في شعر المتنبي
عدنان طهماسبى - الاستاذ المساعد بجامعة طهران
محمود حيدري - طالب الماجستير بجامعة طهران ٣٣١

الانسجام الاسلامي والأخاء بين المذاهب الاسلامية
حسين چوبين - الجامعة الحرة الاسلامية - فرع دزفول ٣٥٣

الرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في كلام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)
نصر الله شاملى وعبدالغنى ايرواني زاده - جامعة اصفهان ٣٦٥

جماليات اللون في القرآن الكريم
مرتضى قائمى - الاستاذ المساعد بجامعة بوعلى سينا - همدان ٣٨٣

الحكمة في شعر ابن الوردي

محمود آبدانان مهديزاده - استاذ مساعد بجامعة شهيد چمران اهواز ٣٩٩

موازنة نقدية بين عيد الاضحى والحدث الحمراء

خليل باستان - كلية الآداب جامعة العلامة الطباطبائي ٤٢١

موقف الشعر من الإسلام في صدره

حسين چويين - استاذ مشارك بالجامعة الإسلامية الحرة في دزفول

غلامرضا كريمي فرد - استاذ مساعد بجامعة الشهيد چمران في اهواز ٤٥٥

عنصر الحظ في الأدب

محسن راڤي - كلية الآداب - جامعة الشهيد بهشتي ٤٧٣

شخصية العدد:

جابر بن حيّان ٤٨٧

نقد الكتب:

بين الله والإنسان في القرآن: دراسة دلالية لنظرة القرآن الى العالم

عيسى علي العاكوب - جامعة قطر ٥٠٩

الفتاوى ٥٢٥

أخبار ثقافية من العالم الاسلامي ٥٣٧

جولة بين الكتب والمجلات ٦٥٥

كلمة العدد

هَلَّتْ سنة ١٤٢٩ الهجرية

(على صاحب الهجرة آلاف التحية والسلام)

بقلم رئيس التحرير

في الوقت الذي انتهت مراسيم حجّ سنة ١٤٢٨ هـ وبدأ الحجيج بتوديع ملابس الاحرام بعد إداء الفريضة (العبادية السياسية) التي فرضها الباري عزّ وعلا (ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلاً - آل عمران: ٩٧)؛ بدأ العالم الاسلامي من أقصاه الى أدناه بمواجهة سنته الجديدة . ولهذه السنة الجديدة نقطتان مهمتان ظاهرتان للعيان جديرتان بالتأمل والتدبر والاهتمام، وهما:

أولاً:

المشاكل العديدة التي سادت مسرح الحياة في عالمنا الاسلامي واختلاف الساسة ورجال الدين في طرق حلّها ممّا يجعل الشعوب الاسلامية في حيرة وقلق وذعر وجزع واضطراب .

إنّ وسعة العالم الاسلامي وموارده الطبيعية والثروات الجوفية وشعوبه الذكية الوارثة لأكبر تمدن وحضارة على وجه المعمورة ليس جديرة بالتأخّر والضعف والتخلف

والانحطاط؛ ومن الواجب على الجميع إن يبذلوا قصارىّ الهمم في دفع عجلة التقدم والازدهار الى الامام وخاصة علماء العالم الاسلامي ومنظمة الدول الاسلامية حيث يجب على المنظمة المذكورة أن تضع خطة مدروسة أمدها ٢٠ سنة غايتها رفع المستويات الثقافية والعلمية والتكنولوجية في جميع الاقطار الاسلامية.

والجدير بالذكر مضمون الخبر السار الذي اتخذته الجمهورية الاسلامية الايرانية؛ وينص الخبر على أن الجمهورية الاسلامية قد وضعت برنامجاً مدروساً للحركة الثقافية والعلمية والتكنولوجية أمده من اليوم الى سنة ١٤٠٠ هـ. ش (= ٢٠٢١ م) وبدأت الأفكار النبيرة والأيدي العاملة عملها الجاد على بركة الله.

ثانياً:

أما الوحدة والانسجام الاسلامي فنواجه مع الأسف مشاكل عدّة على مستوى العالم الاسلامي. وكان تقدم وازدهار العالم الاسلامي في غابر الايام رهين وحدة الصفّ والكلمة والتقارب والألفة والإيثار. لهذا يجب على المسلم نبذ الاختلافات المذهبية والطائفية والقومية واللغوية والحدود السياسية، ويلتزم المسلمون في أي قطر في العالم على أنهم جزء من كلّ وكما قال العلامة المسلم وداعية الاصلاح والوحدة الفيلسوف الدكتور محمد إقبال اللاهوري: «إننا طُلُّ على ورده صبح باسمه».

ولهذا ومن أجل وحدة ثقافية اسلامية نهيب بسراة الدين الاسلامي ايجاد سُبل رفع التفرقة واصدار فتاوى ومنشورات تدعو الى التقريب والوحدة وحلّ مشاكل القطيعة والتناذب وتعميمها على الأمة الاسلامية وقادتها ويؤكدون على تنفيذ مطالبها واجراء مضامينها.

ونطالب بتأسيس مركزٍ علميٍّ مؤيّد من الجميع يقوم بتعيين مواقيت المراسيم والاحتفالات والأعياد الدينية كي تتوحد الكلمة ويغرب الاختلاف عن الآفاق.

كما يجب أن لا ننسى أن شهر محرم الحرام يعتبر لدى مسلمي ايران شهر العبرة والايثار من أجل كلمة الله هي العليا. شهرٌ ارتبط بسيد الشهداء الامام الحسين بن



علي (عليه السلام) برابطة لا انفصام لها؛ لأنَّ الحسين (عليه السلام) يعتبر لدى الشيعة وانصار آل البيت (عليهم السلام) رمز اصلاح الأمة الاسلامية وانموذج الايثار والشهادة، لأنَّ شهادته وشهادة اخوانه (عليهم السلام) وشهادة اصحابه وانصاره (رض) كانت ولا زالت وستبقى درعاً حصيناً لحماية الدين الاسلامي وحفظاً له من الانهيار.

والسلام على من نصر الحق لذات الحق

الدكتور صادق آئينه وند

خريطة نماذج أدوار المرأة العامة في التاريخ الاسلامي خبرة جمعية دراسات المرأة والحضارة (١)

الدكتورة أمل حمادة

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة*

كثيراً ما تم النظر الى الدور الذي لعبته المرأة في التاريخ الإسلامي من منظور ضيق يركز على المناطق التي لم يسمح للمرأة بالحركة من خلالها، وتم السكوت عمداً أو بغير عمد عن العديد من الأدوار التي لعبتها المرأة في المجال العام كمواطنة ومساهمة في حركة المجتمع الإسلامي لصالح الأدوار التقليدية كأم وزوجة. وقد تزايدت في الأونة الأخيرة الدراسات التي حاولت إعادة النظر في هذا الشأن على كل من المستوى الفكري والمستوى الحركي بإعتبار أن زيادة مساحة الدور الذي تلعبه المرأة في المجال العام تعتبر مؤشراً على مزيد من ادماج المرأة في النسيج المجتمعي ككل، وفي العملية الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام.

وفي إطار محاولة رسم خريطة نماذج لأدوار المرأة العامة في التاريخ الإسلامي تظهر خبرة جمعية دراسات المرأة والحضارة كنموذج قدمته مجموعة من الباحثات العربيات المسلمات في إطار بحثهن عن جوهر وفلسفة وجود المرأة في داخل المجتمعات. وبالرغم من قصر عمر الخبرة التي قدمتها هذه الجمعية، إلا أن الانتاج العلمي الذي ارتبط

(*) تعرفنا على صاحبة العصمة سيادة الدكتورة أمل حمادة في مؤتمر المرأة المقام في «جامعة يزد» وتكرمت بمنحنا لهذه المقالة لنشرها في المجلة (مدير التحرير).

بهذه المجموعة البحثية يستحق الإشارة إليه وتحليله في إطار النظر إليه كحلقة من حلقات الخريطة المشار إليها.

ومن ثم تنقسم هذه الورقة الى ثلاثة أقسام:

أولاً خلفية عن نشأة الجمعية وفلسفتها.

ثانياً رؤية تحليلية لأدبيات الجمعية.

ثالثاً المشاكل والصعوبات التي تعرضت لها الجمعية والتي أدت الى توقف نشاطها.

أولاً خلفية عن نشأة الجمعية وفلسفتها:

ارتبطت الجمعية منذ نشأتها الاولى بالدكتورة منى أبو الفضل استاذ النظرية السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، التي كانت قد بدأت اهتمامها بما أطلقت عليه المنظور الحضاري في دراسة الظواهر السياسية وحاولت تطبيقه على دراسة النظم السياسية العربية في مرحلة البكالوريوس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية. وقد إستدعى هذا المنظور إعادة النظر في الظواهر السياسية بالمنطقة العربية من منظور مختلف لا يتبنى بالضرورة الأطر المرجعية الغربية والتي كانت مهيمنة على دراسة العلوم السياسية بشكل عام، وفي المقابل يتبنى منظور ينفتح على التراث الإسلامي دون تقديسه بالضرورة، ويؤكد على الرابطة العضوية بين الماضي والحاضر، وبين القيم والماديات، وبين الوحي والعلم.

وقد استغرق هذا المشروع جل سنوات التسعينيات من القرن المنصرم وكان إنشاء جمعية دراسات المرأة والحضارة هو التتويج العلمي لهذا الجهد، والذي استطاعت الدكتورة منى أبو الفضل من خلال خبرتها التدريسية سواء في داخل كلية الاقتصاد والعلوم السياسية أو في أروقة المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، استطاعت أن تجد من يتبنى هذا المنظور من بين تلاميذها وتلميذاتها، وتحول أصدقاء كرسي زهيرة عابدين لدراسات المرأة والحضارة الى كيان مؤسسي منفصل. ومن ثم أنشأت الجمعية في مارس ١٩٩٩ بموجب قانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ والذي

ينظم عمل الجمعيات الأهلية في مصر في ذلك الوقت ويضعها تحت سيطرة وزارة الشؤون الاجتماعية^(٢). وانطلقت الجمعية حاملة معنى المنظور الحضاري في دراسة المرأة أو كما عبرت عنه د. منى أبو الفضل «الأم والأمة صنوان، بينهما وثاق يشد الأصل الى الفرع، وعلى منواله تنسج العمارة، التي هي روح الحضارة»^(٣)، وأعلنت الجمعية أن أهدافها تتعلق بالسعي الى إصلاح واقع المرأة وإنصافها، إضافة الى حماية الاسرة والبناء الاجتماعي من خلال التأكيد على أن المرأة تعتبر مدخل أساسي من مداخل التغيير والإصلاح الاجتماعي والتنمية.

وتشكلت الجمعية هيكلياً من فرعين، الأول وحدة البحوث والدراسات والتي تعنى بالمراجعة الفكرية ذات الصبغة الأكاديمية للتراث الخاص بالمرأة، بالإضافة الى تحليل بعض النصوص المعاصرة كجزء من تأصيل المنظور الحضاري. ومن ثم تركز نشاط هذا الفرع على عقد عدد من الندوات والدورات التدريبية وورش العمل بهدف تدريب باحثات الجمعية بالإضافة الى عدد آخر من المهتمين بالمنظور الحضاري في دراسة الظواهر السياسية والاجتماعية، تدريبهن على التعامل مع النصوص المكتوبة بغرض تحليلها واكتشاف المسكوت عنه، أو قراءتها في إطارها التاريخي والسياسي والاجتماعي واكتشاف إمكانية الاستفادة منها في عصرنا الحديث.

وواقع أن الطريقة التي أدير بها الجهد البحثي لمجموعة الباحثات إرتبطت في بعدها الرئيس بفلسفة الجمعية وإنطلاقها من المنظور الحضاري لتفعيل دور النساء في المجتمع، فتم تبني مفاهيم الإدارة الجماعية وعمل الفريق أو ما عبرت عنه د. أماني صالح بمحاولة تمكين الباحثات قبل أن يعالجن مفاهيم تمكين المرأة في المجتمع ككل^(٤). وتركزت المشروعات البحثية التي قام بها هذا الفرع في ستة محاور رئيسة: محور مراجعة الخطاب العربي الحديث والمعاصر، محور المرأة في التراث الإسلامي، محور المؤتمرات والندوات، محور النشر، محور إعداد وتدريب الكوادر البحثية وأخيراً محور تأسيس قواعد بيانات سواء على الشبكة العنكبوتية الدولية أو في صورة ملفات مدمجة.

وأما الفرع الثاني من الجمعية فهو الوحدة الصحية لطب المجتمع المعنية بجوانب

الصحة النفسية والبدنية للمرأة والأسرة. وقد اهتم هذا الجناح بعقد عدد من الدورات التدريبية للعالمين في هذا المجال بغرض رفع درجة الوعي الصحي والبيئي بأهم المشكلات التي تتعرض لها المرأة بحسب كونها عضو في الأسرة وفي المجتمع ككل. وقد استمرت الجمعية تؤدي أدوارها البحثية بالإضافة الى دورها في خدمة المجتمع من خلال الفرع الثاني الى نهاية حقبة التسعينيات من القرن العشرين، الى أن تعرضت لعدد من الصعوبات التي أنهت نشاطها على المستوى الفعلي وإن لم تنه تواجدها القانوني، وهو الأمر الذي سنشير إليه بقليل من التفصيل في نهاية الورقة.

ثانياً رؤية تحليلية لمطبوعات الجمعية:

أصدرت الجمعية خلال سنوات عمرها القصار مطبوعة غير دورية بعنوان المرأة والحضارة صدر منها ثلاث أعداد في ربيع ١٤٢٠ هجرية وربيع أول ١٤٢٢ هجرية والعدد الثالث والأخير في شعبان ١٤٢٣ هجرية، وبقي مشروع العدد الرابع حول دور المرأة كفاعل في عملية الإصلاح حلمًا لم يخرج الى النور.

وقد خصص كل عدد من الأعداد الثلاث لمناقشة ملف يتعلق بدراسة وضع المرأة في التراث الإسلامي بالإضافة الى عدد آخر من الأبواب الثابتة منها تقارير عن الحلقات النقاشية، ودراسات حول المفاهيم والاقترايات وعروض للكتب الأكاديمية، كما تم نشر عدد من الخواطر الأدبية لعضوات الجمعية بالإضافة الى الباب الثابت حول تقرير أوضاع المرأة المسلمة في العالم.

وركز العدد الأول على تقديم الأساس النظري لعمل الجمعية من خلال اكتشاف جوانب المنظور الإسلامي للمعرفة النسوية والجوانب المختلفة في إعادة اكتشاف دور المرأة في التاريخ الإسلامي.

وركز العدد الثاني على سيرة المرأة في التاريخ الإسلامي من خلال دراسة حالات محددة للأدوار التي لعبتها المرأة أو منعت من لعبها بسبب ظروف وتفاعلات سياسية واقتصادية واجتماعية معينة. ولذلك ضم دراسات عن دور المرأة في تدعيم النظام



السياسي من خلال بيعة النساء للنبي (صلى الله عليه وسلم)، أو في تهديد النظام من خلال خروجهن على النظام الأموي. وكذلك دراسات عن سيرة المتصوفات، وسيرة النساء في القصص الشعبي والأساطير العربية، ودراسة عن السيدة زينب وكيف اختلطت البركة بالسياسة في الدور الذي لعبته في التاريخ الإسلامي وتعامل بسطاء المسلمين مع سيرتها.

وأما العدد الثالث والأخير فهو أفضل الأعداد من حيث إختيار موضوعاته أو الطريقة التي عولجت بها، وكذلك في تعبيره عن النقلة النوعية التي أنتجتها ورش العمل وحلقات التدريب التي خاضتها الباحثات وسبقت الإشارة إليها في التأثير على مستوى التعامل والتأمل في موضوعات البحث. وركزت موضوعاته على «المرأة في القرآن» وضم دراسات حول قضية النوع في القرآن ومفهوم الزوجية بين النص القرآني والفهم الفقهي، وكذلك إعادة لقراءة دور المرأة في التاريخ البشري حسب النص القرآني وبيان أوجه الاختلاف بين النص المقدس وما توارث من أساطير وفهم بشري مغلوط، بالإضافة الى عدد آخر من الدراسات حول نماذج للمرأة القرآنية (المرأة التي استنبطت واستوعبت المنظور القرآني الناظم لحركتها في العمران البشري).

وبالإضافة الى هذه الدورية فقد تبنت الجمعية عدد آخر من المشروعات البحثية بغرض إعادة اكتشاف دور المرأة في التراث الإسلامي مثل مشروع مسح تراجم وطبقات النساء والذي إتخذ محاور ثلاثة: الأول مسح أولي للمؤلفات المسلمات أو اللاتي تركز تراثاً مكتوباً في حقول المعرفة الإسلامية. المحور الثاني مسح للنساء الواقفات في الأمصار الإسلامية المختلفة من خلال إعادة اكتشاف دور أوقاف النساء في التدافع الإنساني في داخل المجتمعات الإسلامية، وتم التركيز على الأوقاف في مصر والمغرب العربي والأندلس. والمحور الثالث هو تتبع النساء الراويات للسنن وجرّد أسمائهن وإسهاماتهن في مجال علوم الحديث.

المشروع البحثي الثاني الذي حظى باهتمام الجمعية هو مشروع مسح المخطوطات العربية حول المرأة والذي غطى فترة منذ بدايات البعثة النبوية الى منتصف القرن الثالث

عشر الهجري. بالإضافة الى ذلك فقد حاولت الجمعية الاهتمام بتدوين تاريخ المرأة المسلمة والمراجعات التاريخية بغرض التعرف على نقاط التحول وأسبابها والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لازمتها وأثرت فيها.

في الواقع يجب أن نشير الى المنهج الذي تبنته الباحثات في التعامل مع النصوص التي تم تحليلها في الأعداد الثلاث للدورية؛ فقد أكدت الباحثات في أكثر من موضع على ضرورة الرجوع الى نص القرآن من أجل استنباط معاني المفاهيم ذات الصلة بالمرأة، في مقابل الطرح الذي تتبناه معظم الكتابات الفقهية التقليدية والتي تعتمد على قراءات من خارج النص الديني واسقاط خبرات معينة على النص مما يؤدي الى الوصول الى تعميمات تخص المرأة ووضعها في داخل المجتمع والاسرة قد يجانبها الإنصاف في كثير من جوانبها. هذا المنهج في القراءة اعتمد في تكوينه الاولى على لبتين أساسيتين، الاولى ما عرف بالمنظور الحضاري المرتبط بالنسق المعرفي التوحيدي كإطار معرفي قوامه تكامل مصادر المعرفة والعلم بين الوحي من جانب والوجود المعتمد على التجربة والاستدلال، وانطلق في تعامله مع قضايا المرأة من منظور نقدي للمنظومات القائمة «في الأخلاق والتنظيم الاجتماعي والأنساق الاجتماعية (كأحد) المنهجيات الإسلامية»^(٥). أما اللجنة الثانية فاعتمدت على فهم لوحدة النفس الإنسانية وتنوع الجنس. هذه الوحدة هي جوهر حكمة الخلق لأنها مناط تكليف الإنسان ومنحه أمانة الاختيار، أما الإنقسام النوعي الى زوجين (ذكر وأنثى) فمناطه الأساسي توفير آلية الاستمرار والتكاثر لعمارة الأرض من خلال التكامل الوظيفي والارتباط العضوي بين الاثنين^(٦).

وقد جنب هذا المنهج الباحثات كثير من الاتهامات التي توجه للتوجهات النسوية من حيث موقفها من النصوص الدينية أو القراءات الفقهية لهذه النصوص. فمما يؤخذ على القراءات النسوية، خاصة تلك التي إرتبطت بالغرب من حيث المنطلقات والأجندة والنتائج التي وصلت إليها، رفضها الضمني أو الصريح للنص الديني المقدس بإعتباره يمثل قياداً على المرأة ويحجم من مشاركتها في المجتمع، وهن في هذا يخلطن بين النص المقدس الموحى من قبل الشارع سبحانه وتعالى المنزه عن كل نقص أو تمييز، وبين

القراءات البشرية لهذا النص وأرتباطها بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية معينة انتجت في بعض اللحظات التاريخية تمييزاً ضد المرأة.

مما سبق يمكننا قراءة الانتاج العلمي للجمعية من خلال محورين رئيسيين: الأول محور إعادة اكتشاف الذات: ومن خلاله تمت إعادة قراءة التاريخ الإسلامي وسير النساء فيه، بالإضافة الى دراسة بعض النصوص الفقهية بغرض الكشف عن ما تم تجاهله عمداً أو بدون قصد من مكانة للمرأة ووضعها في داخل المجتمع البشري بشكل عام والإسلامي بشكل خاص.

وأما المحور الثاني فقد ركز على إعادة اكتشاف حدود الدور العام للمرأة في التاريخ الإسلامي: هذا المحور الثاني يعتبر تطويراً للمحور الأول فبعد اكتشاف الذات يمكن من خلال تطوير هذا الوعي البحث عن حدود الدور العام للمرأة، من خلال عدد من الدراسات التي حاولت اكتشاف حدود دور المرأة في السيرة وروايتها، وحركة التصوف، وعلاقة المرأة بالنبوة، وغير ذلك مما تمت مناقشته خلال الأعداد الثلاث.

المجال العام وفق ما قرره الشارع سبحانه وتعالى كجزء مكمل ومتعاون مع بقية خلائقه في إعمار الأرض

وفي إطار ما سبقت الإشارة اليه من إعتداد الباحثات بشكل مباشر على النص القرآني لاكتشاف معاني المفاهيم المرتبطة بالمرأة تأتي دراسة كل من هند مصطفى حول العلاقة بين الزوجين بين المنظور القرآني والقراءة الفقهية، ودراسة أمينة محمود حول نقد ثلاثية الكيد والرياء والغواية ودراسة طيبة شريف عن سيدة المحراب: مريم ابنة عمران (٧).

تحاول هند مصطفى من خلال دراستها اكتشاف التباين بين تعامل القرآن مع مؤسسة الزواج والعلاقات الإنسانية التي تترتب عليها وتعامل الفقهاء مع نفس الظاهرة من خلال عقد النكاح، وتخلص الى أنه في الوقت الذي نظر الشارع سبحانه وتعالى الى الزوجين باعتبارهما كلاً متكاملأ يكفئان بعضهما البعض إنطلاقاً من تمايز التكليف وليس عدم مساواة المكلفين، وإعتبار الجوانب الإيجابية في العلاقة كالمودة والرحمة والجوانب

الرديعية كمفاهيم القوامة والنشوز بإعتبارهم أطر لضبط العلاقة وليس لقمع أو قهر طرفها الأضعف وهو المرأة. في الوقت نفسه يقدم الفقهاء فهماً لهذه العلاقة الكريمة يقوم على مبدأ التعاقد، ويرتب أحكاماً والتزامات تقع في جانبها الأكبر على المرأة، كما أنه يختزل الدين في عدد من الإجراءات الشكلية المفتقرة إلى ثراء التوجيه الإلهي وعمقه القيمي والمعنوي (٨).

وتستكمل دراسة أمينة محمود الجهد الهادف إلى نقد نظرة عدد ممن يحسبون على التيار الإسلامي إلى المرأة والتي يحاولون تبريرها بالإعتماد على قراءة تهم الخاصة للنص الإلهي. فتستعرض الباحثة كتاب عباس محمود العقاد عن المرأة في القرآن والذي يؤكد من خلاله على تجذر ميول الكيد والرياء والغواية في طبائع النساء منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وتكشف الباحثة عن زيف منهج العقاد الذي يعتمد لإثبات فكرته عن المرأة على نماذج لسير نساء وردت في القرآن الكريم وعلى قراءة وتفسير لهذه النماذج متأثرة بالإسرائيليات. وتؤكد الباحثة على أن العقاد في هذا الصدد قد تجاهل أن هذه النماذج المذكورة في القرآن إنما وردت في إطار ضرب المثل وليس لتقرير طبيعة تخص المرأة بالذات. كما أنه في تفسيره لدور المرأة في قصة الخلق، فقد اعتمد على ما ورد في العهد القديم وهو ما يختلف تمام الاختلاف مع النص القرآني الذي لم يحمل حواء منفردة وزر إطاعة إبليس وإنما أشركها في تحمل مسؤولية عصيان الله سبحانه وتعالى وأوامره بضرورة الإبتعاد عن الشجرة المحرمة (٩).

أما دراسة طيبة شريف عن السيدة العذراء فتطرح جانب آخر من ذكر المرأة في القرآن، حيث ترى طيبة أن تعامل النص المقدس مع السيدة العذراء تشابه مع تعامله مع المصطفين الأطهار والأنبياء والصديقين من حيث إصطفائهم وتطهيرهم جسداً وروحاً كمقدمة لتقبلهم التكليف الإلهي وتشريفهم بمهمة هداية البشر وفي حالة السيدة العذراء أمومة واحتضان السيد المسيح ورسالته الشريفة. وتوصلت إلى أن قصة مريم، كما وردت في القرآن الكريم تؤكد على إمكانية إعتلاء النساء مكانة رفيعة في الأديان السماوية، وهذه المكانة لم تستمد فقط بحسب كونها أم المسيح عليه السلام، ولكن لقيمتها الذاتية

ولصفاتها المتسامية في الطهر والقنوت والنعمة والرحمة^(١٠).

ولم يقف جهد الباحثات عند هذا الحد وإنما استكملته دراسات أخرى في إطار المحور الثاني الذي لم يهدف للبحث عن أدوار جديدة للمرأة في المجال العام بالتقدير الذي حاول فيه إعادة اكتشاف الأدوار التي لعبتها المرأة تاريخياً في هذا الإطار. وتقدم دراسة منال يحيى عن بيعة النساء ودراسة أماني صالح عن الخارجيات على السلطة السياسية فهماً خاصاً للدور الذي لعبته المرأة في صدر الإسلام^(١١)، وتكمل دراسة هند مصطفى عن رائدات الحركة النسائية في القرون الوسطى بالإضافة لدراسة زينب أبو المجد عن أوقاف النساء في التاريخ الإسلامي^(١٢) - تكمل هاتان الدراستان خط تطور دور المرأة في الشأن العام دون انفصال عن الإطار الإسلامي الشرعي الناظم لحركة المسلمين في مجتمعاتهم رجالاً ونساء.

وتطرح الدراستان الأوليتان قراءة جديدة لدور المرأة في تقرير شرعية النظام السياسي (حالة بيعة النساء للرسول المصطفى (صلى الله عليه وسلم)) أو سحب الشرعية عن النظام الذي تراه معتدياً على حقوق الله والرسول (حالة خروج نساء بيت النبوة على حكم بني أمية) وتطرح د. أماني صالح تساؤلاً مشروعاً في إطار قراءة تاريخ المسلمين الأوائل حول غياب بيعة النساء في ما بعد عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما يسجل تراجعاً عن حق اكتسب للمرأة عهد النبي الأكرم. وتقدم تفسيرها لهذا الأمر من خلال الدور الذي لعبته الثقافة التقليدية العشائرية في تحجيم ما بدا أنه دور جديد للمرأة في إطار الإسلام الوليد. فالإسلام كرسالة سماوية حملها النبي الأكرم جاءت لتعيد تشكيل القيم التقليدية، ولكن شكل إنقطاع الوحي بعد وفاة النبي لحظة تاريخية مكنت الثقافة العشائرية التي تنكر على المرأة الإنخراط في الشأن السياسي، العودة بقوة لتفرض قيمها وقيودها. ويبدو أن انشغال المسلمين الأوائل بشأن تثبيت الدولة الوليدة أسقط منهم ضرورة التأكيد على مكتسبات المرأة في العهد النبوي الشريف. وتذكر الدكتورة أماني أن النساء أسهمن في إضاعة حقهن في الإشتراك في الشأن السياسي من خلال تجاهلهن لسابقة اشتراكهن في بيعة النبي عليه الصلاة والسلام، فهن لم يستطعن تخطي الستار

الحديدي للثقافة العشائرية ولم يدركن المعنى الأكبر لإشتراكهن في البيعة الأولى من حيث تقرير حقهن في المشاركة السياسية.

وكما حاولت هاتان الدراستان الكشف عن الدور الذي لعبته المرأة في صدر الإسلام، حاولت دراستا هند مصطفى وزينب أبو المجد استكمال حلقة أدوار المرأة بغرض التأكيد على استمرارية هذا الدور وعدم اعتبار دور النساء في صدر الإسلام بمثابة حالة استثنائية لا يمكن ولا يجب القياس عليها^(١٣). وحاولت هند مصطفى الكشف عن تجربتي كل من فاطمة عليّة هانم والأميرة قدرية حسين اللتان عاصرتا عهد النهضة وكانت لهما إسهامات أدبية متميزة في الدفاع عن الإسلام في الوقت نفسه تبنتا أفكار تقدمية في ما يخص دور المرأة في الحياة العامة. وتطرح الباحثة تساؤلاً حول سر التهميش الذي طال إسهاماتهما في ضوء الإحتفاء المبالغ فيه بأسماء بعينها، وهو الأمر الذي تعجز الباحثة، ونعجز معها، عن تقديم إجابة مقنعة لهذا السؤال الشرعي والملح.

وتقدم دراسة زينب أبو المجد حول أوقاف النساء مسحاً تاريخياً لأوقاف النساء في مصر في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي وانتهاءً بالعصر العثماني. ويعتبر الوقف الإسلامي أحد وسائل التكافل الاجتماعي وتطهير الأموال والقلوب بغرض ابتغاء وجه الله، وترصد زينب التوجه الذي ساد لدى أوقاف النساء في تلك الفترة من إيقاف الأموال لأغراض التعليم وإنشاء المؤسسات والمعاهد العلمية، مما يثير ملاحظة حول وعي النساء في تلك الفترة المبكرة بأهمية التعليم ليس فقط في رفعة الامم، ولكن في إعادة تشكيل شبكة المفاهيم والعلاقات الاجتماعية المترتبة عليهم مما يؤثر على أوضاع النساء في لحظة تاريخية تالية.

بالإضافة إلى النماذج السابقة، فهناك عدد من الدراسات التي تعرضت لما هو معروف تقليدياً من أدوار قامت بها المرأة في صدر الإسلام مثل الإشتراك في المجهود الحربي بالرفادة والتريض، ولكن قدمت هذه الدراسات وجهة نظر جديدة في ما يبدو أنه دور تقليدي تتجاوز الموقف التاريخي لتؤسس لموقف قرآني متسامح ومشجع لانخراط النساء في المجال العام، وتقارنه ضمناً أو علناً مع ما يحيطنا بتراجع لرغبة النساء وتشجيع

المجتمع لمثل هذا الدور في الوقت الذي نحن أحوج فيه لإنخراط كل قطاعات المجتمع الإسلامي في كل تفاصيل تفاعلاته، خاصة في ظل حالة التردي الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي التي نعيشها.

ثالثاً المشاكل والصعوبات التي تعرضت لها الجمعية والتي أدت الى توقف نشاطها:

وبالرغم من قصر عمر الجمعية إلا أنها تعرضت لمجموعة من المشكلات والصعوبات التي أدت في النهاية الى تجميد وتوقف نشاطها بالرغم من الجدة والجدية التي ميزت باحثاتها والموضوعات التي تمت مناقشتها على ما سبقت الإشارة. ويمكن إجمال المشكلات التي تعرضت لها الجمعية في التالي:

- مشكلات بيروقراطية:

حيث عانت الجمعية من عديد من المشكلات التي تعلقت بتسجيلها لدى وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية في المرحلة الأولى أو في الفترة التالية والتي استلزمت توفيقاً لأوضاع الجمعية بعد تغيير القانون المنظم لعمل الجمعيات الأهلية في مصر.

وكان لضعف الهيكل الإداري للجمعية وعدم وجود طاقم إداري متخصص في التعامل مع الهيئات الحكومية أثره في تحميل الباحثات مزيد من الأعباء البيروقراطية التي أثرت سلباً على جهدهن الذي توزع بين الجهد البحثي الذي كان يحتاج تفرغاً عقلياً وعملياً ومجهود تعقب الأوراق في أروقة البيروقراطية المصرية.

- مشكلات تتعلق بالتمويل:

نشأت الجمعية منذ بدايتها معتمدة على التمويل الذاتي من د. منى أبو الفضل باعتبارها الام الروحية للفكرة ورئيسة مجلس إدارة الجمعية. وبالرغم من هذا الجهد المشكور إلا أن هذا وضع قيوداً عملية على تمويل الجمعية وجعلها تفتقر الى كثير من

الموارد المالية لتمويل المشروعات البحثية أو لتوفير مدخولات لا ثقة لتوظيف طاقم إداري ولتوفير غطاء مالي وتأميني للباحثات في الجمعية يمكنهن من التفرغ التام لأعمال البحث.

وكان لموقف الجمعية المتشكك من التمويل الأجنبي تأثير على الموارد المتاحة لحركة الجمعية؛ ففي الوقت الذي ضمنت فيه استقلالاً فكرياً عن مؤسسات التمويل الدولية والإقليمية التي تختلف في توجهاتها الفكرية وأجندتها البحثية مع فلسفة الجمعية - في الوقت نفسه فقد وضعت سقفاً على نشاط الجمعية وقدرتها على تنفيذ مشروعاتها وأسهم في نهاية الأمر (من ضمن عوامل أخرى) في توقف نشاطها.

- مشكلات تتعلق بالمناخ العلمي والأكاديمي:

طرحت جمعية دراسات المرأة والحضارة ودوريتها شكلاً ومضموناً جديداً للخطاب المتعلق بدراسات المرأة في المنطقة العربية. هذا الطرح الذي كان يتحدى العديد من المسلمات المستقرة في الخطاب الأكاديمي والفقهية، وفي الوقت نفسه يتخلص من مثالب النسوية الغربية من حيث موقفها من الدين والنصوص المقدسة. في ضوء هذا لا يبدو مستغرباً القول بأن المناخ العلمي والأكاديمي الذي كان يسود المنطقة العربية في تلك اللحظة لم يكن مستعداً لقبول مثل هذا الطرح الثوري في مضمونه ومنهاجه ناهيك عن التحاور معه ومحاولة تطويره أو تقويمه. وبالتالي وإن لم يكن لأي من المؤسسات المستقرة دور في إنهاء وتجميد نشاط الجمعية، إلا أنه لم يسجل لأيها أي دور في مساعدة الجمعية أو باحثاتها لتخطي العوائق الأخرى التي واجهتهن.

على صعيد آخر لا يمكننا أن نغفل من تأثير الخطاب النخبوي الذي تبنته الجمعية، ليس فقط من حيث الجمهور المخاطب ولكن من حيث جودة المنهج ومستوى المعالجة الفلسفية المختلف عن المعتاد وهو الأمر الذي لم يساعد الجمعية في توسيع قاعدة المتعاطفين والمتفهمين للمنهج الجديد، وحينما ظهرت الحاجة للإستعانة بهؤلاء الأنصار، لم يكن هناك قاعدة عريضة يمكن الارتكان عليها.

- مشكلات تتعلق بالشكل المؤسسي الذي انتظمت على أساسه الجمعية:
أشارت الدراسة التي قدمتها الدكتورة منى أبو الفضل حول خبرة الجمعية بالإضافة الى الدراسة التي قدمتها الدكتورة أماني صالح حول نفس الموضوع الى اعتماد الجمعية في إدارتها على أسلوب عمل يتسم بروح الجماعة واكتساب المهارات من خلال الحوار والتفاعل بما يؤدي لمستوى أعلى من رشادة القرارات. والواقع ان الباحثة وقد شرفت بانتسابها الى هذا المشروع الشريف قصير العمر، تؤكد على هذا التوجه الذي ساد عمل الجمعية وميز نشاطها الأكاديمي. ولكن في الوقت نفسه فقد شكل ارتباط الجمعية نشأة وتمويلًا بشكل مباشر وشخصي بالدكتورة منى أبو الفضل قيداً وعائقاً على الباحثات ككل. فقد وقفت محاولات تحويل فكرة ومشروع المنظور الحضاري، الذي تعتبر الدكتورة منى أبو الفضل وبحق أمراً روحية له وللمؤمنين به، الى كيان مؤسسي متميز ومستقل عن مصدره، وقصرت هذه المحاولات عن ضمان إستمرارية هذا الكيان الذي عانى في بعض الأحيان من غياب رائدته بسبب ظروف السفر، وأحياناً أخرى من عجزها عن تمويله.

وتسبب إنسحاب عدد من الباحثات، وكن الأكثر تأثيراً والأغزر انتاجاً، والأكثر تميزاً على المستوى الفكري لإعتبرات السفر أو الإفتراق على المستوى الفكري أو ضرورة البحث عن عمل يؤمن مطالب الحياة تأثير بالغ السلبية على الجمعية ككل مما أدى في النهاية الى توقف نشاطها على ما سبقت الإشارة اليه.

الملاحظة الأخيرة في هذا الصدد تتعلق بالعلاقة بين المجهود البحثي وإمكانية إعادة اكتشاف الدور العام للمرأة في التاريخ والخبرة الإسلامية. فقد أوضحت الصفحات القليلة الفاتئة حجم المجهود البحثي والفكري الذي بذلته الباحثات من أجل التنقيب في التراث والخبرة الإسلامية على مستوى كل من النص المقدس والواقع المعاش بغرض الكشف عن مساحات يمكن للمرأة من خلالها ممارسة أدوار، وليس دور عام واحد، ولكن تطرح تطورات خبرة الجمعية والصعوبات التي واجهتها وأدت في النهاية مجتمعة الى توقف نشاطها، عجزها عن تحقيق تغيير نوعي، في الخطاب السياسي والفكري الذي يتعلق

بالدور العام للمرأة، ولا في المناخ الأكاديمي من حيث استفزازه لتبنى طرائق جديدة في التعامل مع التراث تلتزم بالنص المقدس دون أن تسحب هذه القدسية على الظروف التالية التي تعرض لها المسلمين. فقد ظلت الغلبة للخطاب التقليدي الناظر والناظم لحركة المرأة في حدود المنزل والأدوار التقليدية، وظلت النظرة الدونية للمرأة كأمينة في مضامين هذا الخطاب تظل برأسها في كل لحظة يحاول البعض تحديها وطرح رؤية جديدة لواقع المرأة الذي لا يمكن إنكار مظاهر الظلم والحيث التي تحيط بها. ولكن يظل الأمل قائماً في الشعلة التي حملتها كل واحدة من الباحثات في قلبها وإنعكست أو ستنعكس في لحظة ما على أجندتها البحثية لإعادة الاعتبار لدور المرأة في المجال العام وفق ما قرره الشارع سبحانه وتعالى كجزء مكمل ومتعاون مع بقية خلائقه في إعمار الأرض.



الهوامش:

١ - تشكر الباحثة الاستاذة ياسمين زين الدين على توفير أعداد دورية الجمعية وعلى المجهود الاستثنائي الذي قامت به في توفير غير ذلك من المواد التي استخدمتها الباحثة في إعداد هذه الورقة.

٢ - هذا القانون طاله التغيير مرتين، في عام ١٩٩٩ وعام ٢٠٠٣، دون تغيير جوهرى في نصوصه اللهم في ما يخص إجراءات حل الجمعيات وبعض التفاصيل الأخرى التي تضمن سيطرة النظام على الجمعيات الأهلية بشكل عام.

٣ - منى أبو الفضل، «نحو تطوير منظور حضارى معرفي لدراسات المرأة» في أماني صالح (محرر)، مراجعة في خطابات معاصرة حول المرأة: نحو منظور حضارى، القاهرة: برنامج حوار الحضارات، ٢٠٠٧، ص ٣٥٤.

٤ - لقاء مع د. أماني صالح نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية عقدته الباحثة معها في القاهرة ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٧.

٥ - أماني صالح، خبرة جمعية دراسات المرأة والحضارة «في دورة منهجية البحث في العلوم الاجتماعية: العلوم السياسية نموذجاً، إعداد وإشراف د. نادية مصطفى ود. سيف الدين عبد الفتاح، القاهرة: ٢٠٠٠، ص ١٢ - ٣٥.

٦ - أماني صالح، «قضية النوع في القرآن: منظومة الزوجية بين قطبي الجندر والقوامة»، في المرأة والحضارة، العدد الثالث، شعبان ١٤٢٣ هـ، أكتوبر ٢٠٠٢، ص ٢٠ - ٢٥.

٧ - هذه الدراسات الثلاث مركزة في العدد الثالث من الدورية، وهو الأمر الذي يلفت النظر حيث من المفترض أن محاولات اكتشاف الذات يجب أن تسبق أي جهد للتنظير حول الدور المناط بالمرأة. ولكن واقع الأمر يكشف لنا عن أمرين؛ الأول الملاحظة التي سبقت الإشارة إليها في المتن حول المستوى المتميز الذي ظهرت به دراسات ومقالات العدد الثالث والتي عكست مستوى النقلة النوعية في وعي الباحثات وطريقة تعاملهن مع النصوص وهو ما ينقلنا إلى الملاحظة الثانية والتي تتعلق باكتساب الباحثات مزيد من الثقة بأنفسهن وبأدواتهن البحثية في الإقتراب بشكل جديد من النصوص التي سادت تفسيرات مختلفة لها لأزمنة طويلة.

٨ - هند مصطفى، «الفضاء المعنوي للزوجية في البيان القرآني: العلاقة بين الزوجين بين المنظور



- القرآني والقراءة الفقهية» في المرأة والحضارة، العدد الثالث، شعبان ١٤٢٣ هـ أكتوبر ٢٠٠٢، ص ٨٣-٨٤.
- ٩- أمينة محمود، «نقد ثلاثية الكيد والرياء والغواية» في المرأة والحضارة، العدد الثالث، شعبان ١٤٢٣ هـ أكتوبر ٢٠٠٢، ص ٨٤-٩٥.
- ١٠- طيبة شريف، «سيدة المحراب: مريم ابنة عمران»، في المرأة والحضارة، العدد الثالث، شعبان ١٤٢٣ هـ أكتوبر ٢٠٠٢، ص ١٣٣-١٤٦.
- ١١- منال يحيى، «ربيع المرأة السياسية: بيعة النساء.. نقطة التحول في السيرة السياسية للمرأة في صدر الإسلام»، في المرأة والحضارة، العدد الثاني، ربيع اول ١٤٢٢ هـ يونيو ٢٠٠١، ص ١٥-٣٥. ودراسة أماني صالح، «خريف المرأة السياسية: «الخارجيات» الدخالات على ملوك بني أمية» في المرأة والحضارة نفس العدد. ص ٣٦-٥٤.
- ١٢- هند مصطفى، «عصر النهضة: ريادات نسوية مهمشة»، في المرأة والحضارة، العدد الأول ربيع ١٤٢٠ هـ، ص ١٢-١٩. وزينب أبو المجد «أوقاف النساء: المرأة، المعرفة، السلطة» في نفس العدد.
- ١٣- هناك عدد آخر من الدراسات التي قامت بالتركيز على أشكال أخرى لأدوار المرأة في المجال العام كدراسة عزة جلال عن المتصوفات ودراسة منال يحيى عن نموذج ملكة سبأ كما ورد في القرآن وغيرها من الدراسات التي نعجز عن تغطيتها كلها في هذا المجال الضيق، وإنما اخترنا الدراسات السابق الإشارة إليها بحكم ارتباطها بشكل مباشر بموضوع الندوة حول دراسة أدوار المرأة في المجال العام في صدر الإسلام.

اسهامات من المرأة العلمية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي

أ.د. شكران خربوطلي*

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق كلية الآداب قسم التاريخ

مقدمة:

شغلت الأحداث الجسام عقول المؤرخين، وأفكارهم، وراحوا يسطرون مشاهداتهم، ومروياتهم عن بطولات الخلفاء والسلاطين، والحكام الذين تتابعوا على حكم بلاد الشام، وأثروا في أحداثها السياسية والعسكرية.

ولم يحظ التاريخ الفكري بكبير اهتمام منهم، حيث كانت ترد إشارات عفوية لا تغني ولا تسمن من جوع، ولا تقي بالمطلوب، على الرغم من أن الأحداث الجسام السياسية والعسكرية، لم تكن لتبصر النور لولا متانة الفكر الذي خطط لها.

ومن البديهي أن يوجد ترابط بين الجوانب العسكرية والسياسية والفكرية، فأى خلل بالجانب الفكري ينعكس سلبياً على الجانب السياسي والعسكري.

وقد أدرك ذلك نور الدين محمود بن زنكي الذي استأثر بحكم دمشق وصرف همه إلى إنشاء المدارس، وتابع الأيوبيون ومن بعدهم المماليك، فسارعوا إلى الجهاد في الوقت

(*) تعرفنا على معالي الدكتورة شكراني في مؤتمر المرأة المقام في جامعة يزد وتكرمت بمنحنا هذه المقالة لنشرها في المجلة (مدير التحرير).

الذي شغفوا فيه بالعلم والأدب وتشجيعه، فلم تنحصر شهرتهم في ادفاع عن البلاد الإسلامية، وتوحيدها، وتحرير ما اغتصب منها فقط إنما كانت شهرتهم أكثر فأكثر باهتمامهم بالعلم والعلماء، وما قدموه في هذا الجانب الهام من حياة دولتهم حيث غدت الروح السائدة فيها روح الثقافة والعلم.

لقد عملوا على تنشيط العلم، وعززوا مكانته في البلاد قاطبة حتى لم يكن يضاهيهم في عصرهم في هذه الناحية أحد، وقد بذلوا للعلماء ثمن علمهم بكرم وسخاء، وشيدوا لهم المدارس والمعاهد، فوفد العلماء من كل قطر وناحية إلى هذه البلاد التي راجت فيها بضاعتهم^١.

وترجع الروح العلمية ونشاطها وسيادتها في المرحلة المدروسة إلى أن حكامها أنفسهم كانوا علماء، وذن كثيراً منهم لهم مؤلفات متنوعة في العلوم والفنون، وقل منهم من لم يكن شاعراً أو لم يقل الشعر^٢.

لقد اهتم الزنكيون والأيوبيون ومن بعدهم المماليك بأمر الثقافة ونشرها في أرجاء البلاد، وأخص بالذكر منهم صلاح الدين الأيوبي والمعظم عيسى... كان كلما سمع بعالم ممتاز زين له المجيء إلى بلاده وحقق له رغباته، وكان يفتدق على المدرسين، ويوسع الرزق على القائمين بشؤون الثقافة حتى صارت أرزاق أبواب العمائم إقطاعاً وراتباً تتجاوز مئتي ألف دينار، وربما كانت ثلاثمائة ألف دينار^٣، ولم يقتصر ذلك على السلاطين إنما تعداهم إلى نساءهم، وتعدى ذلك المرأة الحاكمة إلى الكثيرات من النساء سيعمل البحث على رصدهن.

ومن الواضح أن وطننا العربي يعيش في هذه الآونة مرحلة من مراحل تاريخه الطويل تتمثل بمحاولة الدول الاستعمارية السيطرة على الفكر والغزو الثقافي بعد النيل من وحدته الوطنية، وتفتيته داخلياً.

وعلى هذا فإن الخوض في موضوع فكري واجب وطني وقومي في هذه المرحلة يتطلب صبراً وأناة ومتابعة لكل صغيرة وكبيرة في المصادر العديدة، الأمر الذي يتطلب البحث في مدة زمنية حددناه بالعصر الأيوبي والمملوكي.

أضف لذلك أن هذا الميدان واسع جداً لذا وانسجماً مع محاور المؤتمر فسيكون البحث والحديث من الجانب الذي يتعلق بالمرأة واسهاماتها العلمية.

اسهامات المرأة العلمية:

احتلت المرأة مكانة عالية في مجتمعها الذي قدرها وشملها برعايته وعنايته، فأثبتت أنها أهل لذلك، حيث خاضت معترك الحياة بميادينها المختلفة مشاركة بذلك في بناء مجتمعها بشتى الطرق والوسائل التي أتاحت لها.

وكان أبرز ميدان وضع فيه نشاطها وحيويتها الميدان العلمي وعلى الأخص العلوم الدينية، كما سيتضح من خلال البحث، حيث أقبلت على تلقي العلم والبحث عنه، وأسهمت بنصيب كبير في العملية التعليمية للنساء بصفة خاصة، والرجال بصفة عامة، وحضرت المجالس العلمية وشاركت فيها في أمكنة منفردة عن الرجال^٤ ورحلت في طلب وأجيزت وأجازت بالتدريس.

المتتبع للإشارات التي وردت في المصادر يدرك مدى المشاركة التي قامت بها المرأة في هذا المجال، فكثيراً ما نقرأ عبارة سمعت عن علماء أجلاء، وسمعت عن فلان^٥، وسمع عنها، وروى عنها وقرأ عليها، ودرست على جملة من العلماء الأعلام واجتمع^٦ عليها الطلبة، وتردد إليها كثير من طلبة العلم، وتزاحم عليها الطلبة وكنت ممن حمل عنها^٧.

هذه العبارات على الرغم من تداخلها وتشابهها، بل وتطابقها أحياناً تدل دلالة واضحة على النشاط العلمي للمرأة، خاصة وأن كل عبارة منها قيلت عن عشرات من النساء، بل المئات، الأمر الذي يثبت أن فائدتهم كانت كبيرة وعطائهن غزيرة.

كذلك توضح العبارات السالفة مختلف السبل والوسائل التي سلكتها المرأة في أخذ العلم، أو إعطائه عن طريق السماع، أو الرواية، أو التلقين.

دور المرأة في الحياة الفكرية:

تماشياً مع تعاليم الإسلام والدعوة إلى طلب العلم الموجهة إلى النساء والرجال معاً، وقوله تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾، روى البخاري في صحيحه أن النساء قلن للنبي ﷺ (غلنا الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن)^٨.

ثم كانت زوجاته ﷺ في حياته وبعد مماته مرجعاً لمسائل الدين والفقه، وكان بيت كل واحدة منهن مدرسة يجتمع فيها طلاب العلم والحديث فيأخذون عنهن أحكام الشريعة وغيرها من العلوم^٩ كعائشة وحفصة.

وفي العصور الإسلامية التالية مارست المرأة دورها العلمي بحرية وفعالية فلم تكن في منأى عن ساحة النشاط العلمي، بل تلقت نصيباً وافراً من العلم والمعرفة، ولم يميز بين الرجل والمرأة في ميدان الحياة الفكرية، فنالت المرأة مكانة مرقومة بمشاركته الفعالة في النشاطات العلمية.

المرأة وعلوم الدين:

حرصت النساء على تلقي هذا العلم ودراسته وفهمه ثم تقديمه للآخرين وتخرجت المرأة آنذاك من بيوت علمية عريقة، وكانت الكثير من النساء من عائلات معروفة يشار إليها بالبنان، كعائلة السبكي مثلاً التي تنتسب إليها ستيتة بنت تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) فقد اجتهدت في طلب العلم وسمع منها العلماء وحدثوا عنها في حمص وغزة^{١٠} وكذلك قدمت عائلة ابن دقيق العيد العلمية رقية بنت تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد القشيري (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) وهي عالمة محدثة منحت الطلاب الإجازات الكثيرة، وكان لزوجة العالم النحوي الشهير أبي الدين أبي حيان الغرناطي زمردة بنت أبرق (ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) دور علمي بارز، فقد تعلمت على جماعة من العلماء ثم حدثت بحديث رسول الله ﷺ^{١١}.

ومنهم الشيخة العابدة المسندة فاطمة ابراهيم بنت محمود بن جوهر (ت ٧١١ هـ /

(١٣١١م) التي درست صحيحي البخاري ومسلم على العلماء، ثم روته عدة مرات، وبلغ من مكانتها العلمية أن قصدها كبار العلماء، وممن تلقى العلم عنها العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي^{١٢}.

وأخذت العالمة المسندة زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن رحمة الأسعدي (ت ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م) العلم من كثير من علماء عصرها وسمعت منهم الأحاديث الصحيحة، وتعلمتها، وبلغت مرتبة علمية جعلتها قبلة الكثير من طلاب العلم أمثال مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)^{١٣}.

وطلبت ست الفقهاء بنت إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) العلم على عدد من العلماء، ثم روت الكثير من الأسانيد كسنان ابن ماجه^{١٤}. وظلت مؤنسة بنت صبيح بن عبدالله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) تتعلم حتى أجزى لها بالتحديث، وظلت تحدث حتى وفاتها بالقاهرة^{١٥}.

ونالت زينب بنت أحمد بن عبدالرحيم بن عبدالواحد المعروفة ببنت الكمال (ت ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) الإجازات من بغداد وحلب والشام والاسكندرية والقاهرة، وقد ذكر صلاح الدين الصفدي أنها أجازته وكان الطلبة يتزاحمون عليها، فتقروهم الكتب المشهورة التي تستغرق أحياناً أكثر النهار^{١٦}.

وكذلك الشيخة المفتية البغدادية (ت ٧١٤هـ / ١٣١٤م) أتقنت الفقه وغوامضه الدقيقة، ومسائله العويصة فقد بحثت مع العلماء في مسائله جنباً إلى جنب وعظت في دمشق ثم انتقلت إلى القاهرة وكانت تصعد المنبر فتعظ النساء وتؤثر فيهن الأمر الذي جعل صلاح الدين الصفدي يقول عنها (وزخرت علوم بحورها وماجت فلو عاينتها لقربت من الشيخ تقي الدين في تفضيلها)^{١٧}.

ولقد كان لابنة القاضي علم الدين صالح وأسمها آلف حلقة رتبت فيها قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير، وتردد إليها كثير من طلبة العلم^{١٨}.

وكذلك أسماء بنت الفخر حيث كانت تلقن النساء القرآن الكريم وتعلمهن العلم^{١٩}، هذا عدا الوعظ الذي كانت تقوم به بعض الشيوخات في بعض الرباطات حيث تقوم

الشيخة بوعظ النساء وتذكرهن وتفقههن كفاطمة بنت عياش الواعظة التي كان يثني عليها العالم الجليل ابن تيمية^{٢٠}.

ولقد ذكرت تذكارات أبي خاتون ابنة السلطان الظاهر بيبرس بأنها امرأة صالحة تقية محبة للخير مقربة للفقراء وأخصهن النساء الصالحات وقد وصفت بأنها فقيهة وافرة العلم زاهدة واعظة تنقلت بين الشام ومصر وانتفع بعلمها كثير من النساء^{٢١} حتى أنها بنت لهن رباطاً سمته رباط البغدادية (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) على اسم الشيخة الصالحة زينب بنت أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية وقد ذكره المقرئ حيث قال (وما برح إلى وقتنا يعرف سكانه من النساء بالخير وذلّه دائماً شيخه تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن)^{٢٢}.

وينقل لنا ابن الحاج خبراً يعطي صورة تظهر تعلم النساء على الرجال حين ذكر عالماً كان يقيم درساً في أحد المساجد قال (يجتمع إليه الناس لسماع الكتب فيه، ثم تأتي النساء أيضاً لسماعها، فيقعد الرجال بمكان والنساء بمقابلتهم)^{٢٣}.

ويروي أيضاً أنه كان للعالم المصري أحمد بن سليمان القاهري (ت ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م) مجالس في الفقه والترغيب في طلب العلم، وذكر الحلال والحرام وأنه أنشأ جامعاً بالمقس وصار يعظ ويعلم الناس.

المرأة وتعليم الرجال:

لقد عدت المرأة في العصر المدروس في صفوف العلماء الأفاضل وغدت تلك العالمة الحجة الثقة التي يقصدها طلبة العلم والمعرفة الذين صاروا من كبار العلماء ومشهورهم كالحافظ الذهبي وتقي الدين السبكي وابن عساكر... وقد ذكر الحافظ الذهبي أنه تلقى العلم على عدد من النساء زاد على المئة^{٢٤}.

وتزخر كتب التراجم بذكر النساء اللاتي خرّجن الكثير من العلماء عندما أكدت المرأة تفوقها، وتصدرت لتدريس علوم عصرها أسوة بالرجال العلماء، وتأتي في مقدمة هؤلاء ست الوزراء أم عبدالله بنت القاضي شمس الدين عمر (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) التي

حدثت وفقهت وسمع منها خلق كثير حتى وصفت بمسندة العصر^{٢٥}.

واشتهرت الشيخة العابدة زينب مكّي بنت علي بن كامل الحراني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) ولشهرتها ازدحم عليها الطلبة وعلمت الكثيرين^{٢٦} أمثال أحمد بن إدريس بن يحيى بن يونس المارداني (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٥٨ هـ / ١٣٤٩ م) وعلي ابن محمد بن يحيى بن أسعد الواسطي (ت ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م)^{٢٧}.

وكذلك عائشة ابنة الصارم السنجارية الأصل ثم الدمشقية التي سمع منها الأئمة كابن حجر^{٢٨}.

وتفردت الشيخة الصالحة زينب بنت أحمد بن عمر (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) في وقتها وحدثت في دمشق والمدينة ومصر والقدس^{٢٩}.

ومن بين الشهيرات فاطمة ابنة الشيخ الإمام المحدث جمال الدين الأنصاري الدمشقي حيث وصفت بأنها من العالمات الفاضلات المحدثات الصادقات في الرواية، أخذت الحديث عن والدها وعن أجلاء عصرها وقد أخذ الحديث عنها جملة^{٣٠}.

وكذلك أم الخير ستيتة ابنة تقي الدين السبكي السالفة الذكر كانت عالمة تقية من تلاميذها أبو حامد بن ظهيرة فقد حدث عنها. وكذلك آلف ابنة القاضي علم الدين صالح السالفة الذكر التي رتبت قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير وتردد إليها كثير من طلبة العلم^{٣١}، وذكر عن قتلوا ابنة سيف الدين أنها كانت من مسندات الشام^{٣٢}. وفاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الانصاري كانت عالمة بالحديث دمشقية أخذت عن أبيها وغيره وأجازها معظم علماء الشام والعراق والحجاز وفارس في عصرها^{٣٣} (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) في دمشق.

ولا يغيب عن الذهن أنه أحياناً كانت زوجة العالم تبلغ عنه بعض أحكام الشرع للنساء عموماً، ولبعض الرجال خصوصاً، ومن وراء حجاب، كما فعلت أنس ابنة عبد الكريم التي سمعت عن زوجها وحدثت.. وقرأ عليها الفضلاء^{٣٤}. وقد عد البعض أن من حقوق الزوجة على زوجها طلب العلم، تطلبه من زوجها،

وان لم يفعل خرجت بدون إذنه وخاصة في أمور الدين^{٣٥}.

اضف لذلك فقد كان الفقه من بين العلوم التي وجدت اهتماماً من قبل نساء العصر وأُجِدْنَ فيه إجابة طيبة، إذ ذكر عن فاطمة ابنة الإمام المهدي أحمد بن يحيى أن لها مع والدها مرافعات في مسائل كثيرة، وقيل إنها ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام. وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل وإذا ضايقه أحد التلاميذ في بحث دخل عليها فتفيده بالصواب^{٣٦}.

وكذلك كانت الواعظة فاطمة بنت عياش السالفة الذكر التي كان لها باع طويل في دراسة الفقه^{٣٧}.

اضف لذلك فكثير من النساء نلن إجازات علمية على يد علماء أجلاء وكثيراً ما تتردد عبارة وأجاز لها شيوخ كبار^{٣٨} وأجاز لها علماء أجلاء، وأجاز لها الأفاضل^{٣٩} ومنهن من لديها أكثر من إجازة كأم يحيى قمر ابنة الموفق، فقد شاهد السلمي عندها إجازة أعطيت لها في ٦٦٩ هـ / والأخرى في عام ٦٧٣ هـ / من قبل فريق آخر من العلماء^{٤٠} ويبدو أن نوال الإجازة كان يتم إما باللقاء والمناقشة أو بالمراسلة، فشمس الملوك ابنة ناصر الدين أجازت للسخاوي رغم عدم لقائه معها^{٤١} وهذا واضح من تلك العبارات سالفة الذكر لأنها تشير إلى أكثر من عالم، وربما كان هؤلاء يعيشون في بلدان متفرقة تطرق البحث للحديث عنهن في فقرة سالفة.

المرأة والأدب:

كان الأدب من ضمن العلوم التي عملت فيها المرأة في ذلك العصر فقد كان لها مشاركة في نشاطات الأدب والشعر، فكان بينهن الشاعرات والأديبات مثل تقيّة ابنة أبي الفرج التي فاقت الرجال ولها باع طويل في الأدب^{٤٢}. وكذلك عائشة بنت يونس الباعوني التي ذكر عنها بأنها فاقت الخنساء في عصرها، ووصفها عبد الغني النابلسي بأنها فاضلة الزمان وحليفة الأدب في كل مكان ووصفها غيره بأنها ربة الفضل والأدب ولها ديوان شعر بديع في المدائح النبوية، ومن تأليفها مولد جليل للنبي ﷺ، ولها قصيدتها البديعة ولها

عليها شرح بديع سمته الفتح المبين في مدح الأمين^{٤٢}.
وهناك فاطمة بنت الخشاب التي كانت شاعرة مجيدة، ولها قصائد مطولة عاصرت
الصفدي في القرن السابع الهجري، وراسلها العلامة ابن فضل الله، ولم يخاطبها إلا بما
يوافق العلماء الأعلام، ونذكر من بينهن أيضاً الشاعرة المبرزة ستيمة التي كتبت قصيدة
إلى السخاوي وأخرى إلى قاضي مكة، ولها مكاتبات إلى جماعة من الأدباء، واستمرت
على نظم الأدب ومدح أرباب الرتب حتى توفيت عام ٨٥٥ هـ /^{٤٤} ويذكر أن السخاوي
شبهها بالخنساء، وقال عنها (ولها براعة في النظم وكانت فريدة فيما استعملت عليه، أما
مؤنسة ابنة الشيخ محمد البيطار ذكر أن لها أشعار كثيرة)^{٤٥} سمعها أكابر العلماء في
عصرها.

المرأة والطب:

ونجد مشاركة المرأة في مجال الطب فوالدة المؤرخ تقي الدين المقرئ أسماء بنت
محمد بن عبد الرحمن بن علي بن الصائغ (ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) كانت تصف للناس دواء
للصداع ويذكر عنها ابنها أنها وصفته مراراً عديدة فما أخطأ^{٤٦}.

الرحلة في طلب العلم:

لم تكتف المرأة بالعلم والتعلم، بل قامت برحلات متعددة إلى أماكن كثيرة لطلب العلم
حيناً، ولنشره أحياناً أخرى، وقد ورد في الفقرات السالفة إشارات إلى ذلك، ونورد الآن
أسماء البعض منهن مثل عائشة ابنة علي بن محمد فقد زارت القدس والخليل وحدثت
هناك، وسمعت وأخذ عنها الأعيان^{٤٧}.

فاطمة بنت عياش التي انتقلت بين دمشق والقاهرة وتفقهت بين مختلف المدن
والقرى والأقطار.

ولقد ذكر انهن كن يلتقين برجال العلم والأدب وطلابه للدرس والمناقشة ولكن من
وراء حجاب^{٤٨}.

المرأة وإنشاء المؤسسات العلمية:

بذلت المرأة علمها ومالها لتسهم في ازدهار الحياة الفكرية فهي لم تقنع في بيتها، أو تقف شاهدة عيان على أفعال غيرها، بل شاركت في رعاية العلم وإقامة مؤسساته، وذلك فيما يشكل مؤشراً صادقاً على مدى التقدم والحرية والانفتاح السائد في المجتمع آنذاك مقارنة بما كانت تعانيه المرأة في أوربة في العصور الوسطى من ظلم وجهل وتخلف.

وقد شاركت المرأة في تشييد المدارس والجوامع والخوانق والربط، فقد ذكرت كتب التراجم والتاريخ والتربية تسع عشرة مدرسة أسستها النساء ما بين (٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م) و (٦٦٠ هـ / ١٢٢٢ م) في دمشق مما يؤكد أنها بنيت في فترة لم تتجاوز القرن والرابع، وهي كثيرة إذا ما عرفنا أن هذه الفترة قد بني فيها أكثر من مئة وستون مدرسة أنشئت في دمشق، والقدس وطرابلس ومصر وحلب وحماة.

فالمدرسة الخاتونية البرانية وكانت للأحناف صاحبها زمرد خاتون بنت جاولي بن عبدالله الحجة شمس الملوك، وأخت الملك دقاق زوجة نور الدين الشهيد.

وكانت زمرد هذه قد سمعت الحديث واستنسخت الكتب وحفظت القرآن^{٤٩}.

وبداخل مدينة دمشق أنشأت عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أن زوجة نور الدين الشهيد ثم زوجة صلاح الدين المدرسة الخاتونية الجوانية، وكانت للفقهاء الحنفي، وبنت أيضاً رباطاً.

وممن درس في هذه المدرسة والدين شداد حجة الإسلام فخر الدين الجوارى، والقاضي عز الدين السنجاري، وكمال الدين عبداللطيف، والبرهان بن الموفق مسعود بن شجاع الحنفي، وابن عطاء، وابن أبي جرادة، والرومي والصفدي^{٥٠}.

وأما عصمة الدين مؤنسة خاتون فقد بنت المدرسة القطبية مدرسة الست جلييلة الكبرى، وهي ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد (ت ٥٧٧ هـ / م) كانت حافظة للحديث سمعته من الحافظ أبي العباس الظاهري، وخرج لها جزءاً، وكانت عاقلة دينه فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة^{٥١}.

وأنشأت الخاتون ست الشام زمرد ابنة الملك الأفضل نجم الدين أيوب أخت الملك

العادل سنة ٥٨٢ هـ /م المدرسة الشامية البرانية، وممن درس فيها تقي الدين بن الصلاح، وشرف الدين بن زين القضاة، وابن عصرون، والجيلي، وشمس الدين بن الشيرازي والمقدسي والفارسي وابن قاضي شعبة وشهاب الدين الزهري، وتقي الدين السبكي. وبمقابل البيمارستان النوري بدمشق أنشئت المدرسة الشامية الجوانية وكانت جرماناً من جملة وقفها^{٥٢}.

وبداخل باب النصر أنشأت الست عذراء بنت نور الدين شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين المدرسة العذراوية.

ولا تزال المدرسة الماردانية في ساحة الجسر الأبيض ملاصقة له، وتعرف اليوم بجامع الماردانية على نهر ثورا وفيها مدفن بني المؤيد، وقد أزيل المدفن مؤخراً، وقد أنشأتها في العهد الأيوبي عزيزة الدين أخشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردین، وممن درس فيها الصدر الخلاطي، وابن التركماني، وقاضي بيسان، وشرطت على مدرستها الا يدرس بغيرها.

وبزقاق الصخر إلى الشرق من قصر الضيافة عند مدخل دمشق الغربي مقابل التكية السلیمانية، بنت الخاتون خطی الخير ابنة ابراهيم بن عبدالله زوجة شاهنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي المدرسة الفروخشاهية، وكانت للأحناف والشافعية.

وعن الشيخة الصالحة فاطمة بنت عياش بن أبي الفتح يقول ابن كثير: وكانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنكر على أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال، وكانت تحضر مجالس الشيخ الفقيه ابن تيمية.... وكان يشي عليها ويصفها بالفضيلة والعلم.. وهي التي ختمت نساء كثيرات القران الكريم، (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ومن بين النساء اللائي أسمن في العملية التعليمية ستيتة ابنة الأمير سيف الدين التي أمرت بإقامة تربة، وفيها مسجد، وإلى جانبها رباط للنساء، ومكتب للأيتام وفيها صدقات وبر وصلات وقراء (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م)^{٥٣}

وهناك أيضاً بركة خاتون والدة السلطان الأشرف شعبان التي حجت في عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م وأسست مدرسة سميت مدرسة أم السلطان، وعملت بها درساً

للشافعية، ودرسا للحنفية وبقيت مدة يجتمع فيها الطلبة والمدرسون يدرسون فيها جميع العلوم^{٥٤}، وجعلت على بابها حوض للسبيل، وقيل أنها رتبت بها دروساً للمذاهب الأربعة وحضوراً في كل يوم للصوفية، ومكتباً للأيتام^{٥٥}، وكذلك طيطلغي زوجة السلطان أربك فقد أقامت المدارس والمساجد والمارستانات^{٥٦}.

وفاطمة ابنة الشيخ الإمام المقرئ التي أقامت المدارس والمارستانات والتكايا وأوقفت لها أوقافاً^{٥٧}.

أما آلف ابنة القاضي علم الدين صالح فقد رتبت قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير، وتردد إليها كثير من الطلبة^{٥٨}.

ونذكر أيضاً خوند تتر بنت السلطان محمد بن قلاوون حيث أنشأت المدرسة الحجازية^{٥٩} وجعلت بها درساً للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء المالكية، وجعلت بها منبراً يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها إماماً يقيم بالناس الصلوات الخمس، وجعلت بها خزانة كتب وأنشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها، ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن ليلاً ونهاراً، وجعلت بجوار مدرستها مكتباً لعدة من أيتام المسلمين، وعينت لها مؤدباً يعلمهم القرآن الكريم وأجرت عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغاً من الدراهم، ويقال لكل منهم بسكوتر للشتاء والصيف، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جلييلة يصرف منها لأرباب الوظائف^{٦٠}. وهناك عدد كبير من المدارس أسهمت في بنائها النساء لا مجال لحصرها بسبب كثرتها ولأن المجال لا يتسع لذلك.

هذا ولا يسعنا قبل ختم هذه المساهمات من ذكر أن هذه الشريحة الفاضلة من النساء لو لم يملكن قدراً كبيراً من الثروة لما استطعن القيام بمثل تلك المشروعات. أضف لذلك أن التوسع في إنشاء المدارس في حد ذاته جاء مظهراً قوياً لرقى الحياة الفكرية بشكل عام.

خاتمة:

أخيراً إن التاريخ الماضي لا معنى له ان لم نتعظ به، ونعتبر ونحن اليوم بأمس الحاجة لمفكرين يقودون الأمة نحو بر الأمان. وقد أثبت التاريخ ارتباط النهضة العربية بالتطبيق الصحيح لتعاليم الدين الإسلامي، ومن ثم لا بد أن تكون الحلول نابعة من واقع حياتنا وعقيدتنا وأن تكون بعيدة عن تجارب الغرب التي أثبتت زيفها وخداعها.

ومن هنا يقع على عاتق مفكري الأمة واجب كبير وهو إبراز ما قدمته الحضارة العربية الإسلامية في مختلف عصورها المشرقة من أجل تنوير البشرية، وتحقيق ما أتمنه علينا رسول الله ﷺ حيث قال: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

المصادر والمراجع:

- ١- ابن الأثير: (علي بن محمد الجزري الملقب بعز الدين)، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت ١٩٨٢ م.
- ٢- الأدفوي: (جعفر بن ثعلب بن جعفر)، الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، تحقيق محمد صالحية، الكويت، دار العروبة، ط ١، ١٩٨٨ م.
- ٣- ابن إياس: (محمد)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، بولاق، مصر ١٩٨٣ م.
- ٤- بدران: (عبد القادر)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، دمشق ١٩٨٦ م.
- ٥- ابن الحاج: (أحمد بن علي)، المدخل، دار الفكر.
- ٦- ابن حجر: (أحمد بن علي)، إنباء الغمر بأبناء العمر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٦ م.
- ٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد جاد الحق، مطبعة المدني، ط ٢، ١٩٦٦ م.
- ٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة.
- ٩- الخربوطلي: (محمد عيد كمال الدين)، مدارس أنشأتها نساء في العالم العربي الإسلامي، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
- ١٠- ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان، تحقيق، إحسان عباس، بيروت ١٩٦٩ م.
- ١١- دهمان: (محمد أمين)، في رحاب دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢ م.
- ١٢- الذهبي: (محمد بن أحمد بن عثمان)، العبر في حوادث من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت دار المطبوعات والنشر ١٩٦٠ م.
- ١٣- معجم شيوخ الذهبي.
- ١٤- زيدان: (جرجي)، تاريخ آداب اللغة.
- ١٥- السبكي: (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب)، طبقات الشافعية الكبرى ١٩٠٦ م.

- ١٦ - السخاوي: (محمد بن عبد الرحمن)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- ١٧ - السلامي: (تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع)، الوفيات، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م.
- ١٨ - ابن شداد: (محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي)، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٥٦م.
- ١٩ - شمسباني: (حسن)، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٩٨٣م.
- ٢٠ - الشوكاني: (محمد بن علي)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين العمري، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٢١ - الصفدي: (خليل بن إبيك)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق محمد أبو زيد وآخرون، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٢٢ - الوافي بالوفيات، بعثاء هلموت ريتز، دار فرانز شتاينر، ط ٢، ١٠٦٢.
- ٢٣ - العاملي: (زينب)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، تحقيق منى الخراط، بيروت، مؤسسة ريان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٢٤ - العلمي: (عبد الباسط)، تنبيه الطالب وإرشاد الدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٤٧م.
- ٢٥ - ابن العماد الحنبلي: (عبد الحي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م.
- ٢٦ - ابن عنين: (شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن نصر بن مكارم الأنصاري الدمشقي)، ديوان ابن، طبع المجمع العلمي والأدبي.
- ٢٧ - غنيم: (محمد عبد الرحيم)، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، دار الطباعة المغربية ١٩٥٣م.
- ٢٨ - كحالة: (عمر رضا)، أعلام النساء، دمشق، المكتبة الهاشمية ١٩٤٠م.

- ٢٩- المقريري: (أحمد بن علي)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمد كمال الدين علي، بيروت، عالم الكتب، ط ١٩٩٢ م.
- ٣٠- النعيمي: (عبدالقادر بن محمد)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق مطبعة الترقى ١٩٤٨ م.

الهوامش :

- (١) السبكي: طبقات الشافعية ج ٤ ص ٣٢٩، دهمان: في رحاب دمشق ص ٢٦٠.
- (٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ١ ص ٣١٥، ابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ١٨٣، زيدان: تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ١٠.
- (٣) ابن عنين: ديان ابن عنين ص ١٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ١٨١.
- (٤) ابن الحاج: المدخل ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١.
- (٥) الشوكاني: البدر الطالع ج ٢ ص ٣٢٥، السلامي: الوفيات ج ٢ ص ١٩٧-٣٠٣-٣٠٤-٣١٨-٣٧٣.
- (٦) السخاوي: الضوء ص ٨-١٢-٧٨-٨١-١٠٦، العاملي: الدر المنثور ص ٣٩٢-٣٩٣.
- (٧) السخاوي: الضوء ص ١٤-١٨، ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٩-٢١٠.
- (٨) ابن حجر العسقلاني: الفتح الباري كتاب العلم.
- (٩) غنيمه: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ص ٣٠١.
- (١٠) ابن حجر: انباء الفرج ص ١١٧، ابن حجر: الدرر الكامنة ٢١٩-٢٢٤، السلامي: ج ٢ ص ٣٨٧-٣٨٨.
- (١١) الصفدي: أعيان المصر ج ٢ ص ٣٨٣، ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٨.
- (١٢) ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٠١، الصفدي: أعيان المصر ج ٤ ص ٢٦.
- (١٣) الصفدي: أعيان المصر ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٠، الصفدي: الوافي بالوفيات ج ١٥ ص ٦٧.
- (١٤) الصفدي: الوافي بالوفيات ج ١٥ ص ١١٧-١١٨، الصفدي: أعيان المصر ج ٢ ص ٣٩٩-٤٠٠.
- (١٥) ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٥ ص ١٥٦.
- (١٦) الصفدي: ذعيان المصر ج ٢ ص ٣٩٠، الصفدي: الوافي بالوفيات ج ١٥ ص ٦٨، ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢١٠.
- (١٧) الصفدي: أعيان المصر ج ٤ ص ٢٨-٢٩، المناوي: الكواكب الدرية ج ٣ ص ٤٨.
- (١٨) السخاوي: الضوء ص ١٨.
- (١٩) ابن حجر: الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٦٠.
- (٢٠) ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٠٧-٣٠٨، العاملي: الدر المنثور ص ١٠٥-١٠٦.
- (٢١) السخاوي: الضوء ص ٢، العاملي: الدر المنثور ص ١٠-١٠٦.
- (٢٢) المقرئ: العقود الفريدة ج ٢ ص ٤٢٧-٤٢٨.
- (٢٣) ابن الحاج: المدخل ج ٢ ص ٢١٩.
- (٢٤) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي صفحات متعددة.
- (٢٥) الصفدي: أعيان ج ٢ ص ٣٩٨-٣٩٩، الصفدي: الوافي ج ١٥ ص ١١٧، ابن حجر: الدرر ج ٢ ص ٢٢٣-٢٢٤.
- (٢٦) الذهبي: العبر ج ٥ ص ٣٥٨، آتين العماد: شذرات الذهب ج ٧ ص ٧٠٦.
- (٢٧) ابن حجر: الدرر ج ١ ص ١٠٩-ج ٣ ص ٣٩٣، ٣٩٢، ١٩٦، السخاوي: الضوء ص ٢٤-٧٣.
- (٢٨) السخاوي: الضوء ص ٨١، ٧٨، ٧٣، ١٢.

- (٢٩) الصفدي: أعيان ج ٢ ص ٣٨٩، الصفدي: الوافي ج ١٥ ص ٦٦.
 (٣٠) العاملي: الدر المنثور ص ٢٦٦.
 (٣١) السخاوي: الضوء ص ١٨.
 (٣٢) ابن حجر: الدرر ج ٣ ص ٣٣٩.
 (٣٣) الخربوطلي: مدارس ص ١٤٧.
 (٣٤) السخاوي: الضوء ص ١٠-١١.
 (٣٥) ابن الحاج: المدخل ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١.
 (٣٦) الشوكاني: البدر الطالع ص ٣٤.
 (٣٧) ابن حجر: الدرر ج ٣ ص ٣٠٧-٣٠٨.
 (٣٨) السلامي: الوفيات ج ١ ص ٤٨٥-٤٨٦.
 (٣٩) السخاوي: الضوء ص ١-١٠-١٢-٧٣.
 (٤٠) السلامي: الوفيات ج ١ ص ٨٥-٨٦.
 (٤١) ابن حجر: الدرر ج ٢ ص ٢٠٩-٢١٠.
 (٤٢) العاملي: الدر المنصور ص ١٠٩.
 (٤٣) العاملي: الدر المنثور ص ٢٩٣-٣٠٣.
 (٤٤) الشوكاني: البدر الطالع ج ٢ ص ٢٥٠.
 (٤٥) السخاوي: الضوء ١٠٧-١١٢، الشوكاني: البدر الطالع ج ٢ ص ٢٥-٢٦.
 (٤٦) المقرئ: الدرر / ج ٢ ص ٤٧٩-٤٨٠، ابن حجر: إنباء الفرج ج ٣ ص ٤١٨.
 (٤٧) العاملي: الوفيات ص ٢٩٣-٣٠٣.
 (٤٨) السخاوي: الضوء ص ٢٢.
 (٤٩) الخربوطلي: مدارس ص ١٢٤-١٢٥.
 (٥٠) ابن شداد: الأعلام ج ٢ ص ٢٠٥، العلموي: تنبيه الطالب ص ٨٧-٨٨، النعمي: المدارس ج ١ ص ٥٠٧-٥١١، بدران: منادمة الأطلال ص ١٦٩، شمساني: مدارس ص ٧٦-٧٩، الخربوطلي: مدارس ص ١٢٧.
 (٥١) الخربوطلي: مدارس ص ١٢٧-١٢٨.
 (٥٢) علموي: مختصر الدارس ص ٤٦-٤٨-٥٠.
 (٥٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧٥.
 (٥٤) العاملي: الدر المنثور ص ٩٤-٩٥.
 (٥٥)
 (٥٦) كحالة: أعلام ج ١ ص ١٠٨.
 (٥٧) العاملي: الدر المنثور ص ٣٦٦.
 (٥٨) السخاوي: الضوء ص ١٨.
 (٥٩) المقرئ: المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٨٢.
 (٦٠) ابن أبياس: بدائع الزهور ص ٩١.

علي بن أبي طالب مفسراً للقرآن

الدكتور أحمد راسم النفيس

كلية الطب - جامعة المنصورة جمهورية مصر

القرآن والإنسان

من بين الأخطاء التي وقع فيها بعض (مفسي القرآن) صرفهم للخطاب القرآني (يا أيها الإنسان) في كثير من الأحيان عن مساره الواضح في مخاطبة الإنسان في كل زمان ومكان وتحت أي لافتة كان، إلى مخاطبة الكفار، وكأن الخطايا والعلل والذنوب تصبح كلها في لائحة (كان يا ما كان) بمجرد أن يعلن هذا الإنسان دخوله في الإسلام ويرفع راية الإيمان!!

ورغم أن بديهية العقل تقول أن كل مؤمن إنسان وليس كل إنسان من أهل الإيمان ولذا فعندما يقول القرآن (يا أيها الإنسان) فهو يوجه الخطاب من دون أدنى شك لكل من كان من بني الإنسان رفع أم لم يرفع راية الإسلام والإيمان.

يذكر ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾ الانقطار ٦/ يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر أي شيء غرّك بربك الكريم؟ غر الإنسان به عدوه المسلط عليه.

أما القرطبي فيقول: خاطب بهذا منكري البعث أي ما الذي غرّك حتى كفرت؟ «ربك الكريم» أي المتجاوز عنك.

هل حقاً يقتصر الخطاب القرآني على (الكافر) و(منكر البعث) كما يقول بعض

المفسرين أم أن الخطاب يشمل الإنسان أي إنسان خدعته الدنيا بغرورها فصدق أمانيتها وأوهامها وأباطيلها وسولت له نفسه القدرة على الفوز بحلولها واجتناب مرّها رغم أنها أرته وأرت غيره تقلباتها وتغير أحوالها!!

فلماذا يصرف القوم الخطاب والتحذير عن رافعي راية الإيمان رغم أن الشيطان أشد اشتغالاّ بهم من الكفار المقطوعين بالكلية عن ساحة الرحمة والغفران!!

الأمر الثاني يتعلق بطبيعة الخداع الديني وهل هو خداع كامل لا يملك له الإنسان دفعاّ أم أن الخداع أمر مشترك يتحمل الإنسان فيه نصيبه كاملاً غير منقوص من المسؤولية لقبوله بالخدعة إذ لو كان الإنسان مسلوب الإرادة غير قادر على الانتباه والتمييز بين ما يضره وما ينفعه «لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد لأن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يُرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)». نهج البلاغة حكمة ٧٣.

كيف تقبل بمقولة الخدعة الكاملة وعجز الإنسان عن مقاومة الخداع وهو المخلوق الذي كرمه الله بالعقل وجعل له عيين ولساناً وشفيتين وهداه الله النجدين ودله على ما يصلح شأنه وحذره من كل ما يرديه ويضره؟؟

يروى الشريف الرضي في نهج البلاغة (خطبة ٢٢٢) عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال عندما تلا هذه الآية الكريمة:

أدحض مسؤول حجة... وأقطع مغتر معذرة... لقد أبرح جهالة بنفسه.

يا أيها الإنسان، ما جرأك على ذنبك، وما غرك بربك، وما آتسك بهلكة نفسك؟

أما من دائك بلول، أم ليس من نومتك يقظة؟

أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك؟ فلربما ترى الضاحي من حر الشمس فتظله، أو ترى المبتلى يألم يمض جسده فتبكي رحمة له! فما صبرك على دائك، وجلدك على مصابك، وعزاك عن البكاء على نفسك وهي أعز الأنفس عليك! وكيف لا يوقظك خوف

بيات نقمة، وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته!

فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة...

ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة...

وكن لله مطيعاً، وبذكره آنساً...

وتمثل في حال توليك عنه إقباله عليك، يدعوك الى عفوه، ويتغمدك بفضله، وأنت

متول عنه الى غيره.

فتعالى من قوي ما أكرمه!! وتواضعت من ضعيف ما أجراك على معصيته! وأنت في

كنف ستره مقيم، وفي سعة فضله متقلب، فلم يمنعك فضله، ولم يهتك عنك ستره، بل لم

تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلية يصرفها

عك، فما ظنك به لو أطعته! وإيم الله لو أن هذه الصفة كانت في متفقيين في القوة، متوازيين

في القدر، لكنك أول حاكم على نفسك بزميم الأخلاق، ومساوئ الأعمال.

وحقاً أقول! ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظاات، وأذنتك على

سواء، ولهي بما تعدك من نزول البلاء. يجسمك، والنقص في قوتك، أصدق وأوفى من أن

تكذبك، أو تغرك، ولرب ناصح لها عندك متهم، وصادق من خبرها مكذب، ولئن تعرفتها

في الديار الخاوية، والربوع الخالية، لتجدنها من حسن تذكيرك، وبلاغ موعظتك، بمحلة

الشفيق عليك، والشحيح بك!...

ولنعم دار من لم يرض بها داراً، ومحل من لم يوطنها محلاً! وإن السعداء بالدنيا غداً هم

الهاربون منها اليوم.

القضية؟؟

شتان ما بين تفسيرين!!

تفسير لفظي لآيات القرآن بأقرب ما يرد على الذهن من معان للمفردات وتفسير

الحكماء والفلاسفة الذين قرءوا القرآن فأحكموه وهم عدل القرآن والأمناء عليه الذين

يرون في كلمات الله نافذة ومعبراً يتوصلون من خلاله للحكمة الكلية واستخلاص العبر

والدروس الضرورية عبر التأمل في أحوال الإنسان الشاهدة عليه وليس له بالغفلة والتقصير عن إدراك ما يصلح حاله وتجنب ما يردي مآله.

سنرى بين أيدينا كيف فسر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كلام خلال الله من خلال طرحه (القضية) تشغل بال كل إنسان اعتراه داء الغفلة وسولت له نفسه السير عكس الاتجاه الذي يرضاه رب العزة سبحانه وتعالى عما يشركون.

إنه سؤال البشرية بأسرها فقلما وجد ذلك الإنسان الذي لم يتعرض لخداع الذات وهو سؤال قضية بها متهم متورط في سلسلة من الخطأ أو الجرائم وهناك دفع يمكن أن يدلي بها ذلك المتهم وربما كان هناك محامون مزورون متطوعون أو مأجورون لبيع دينهم من أجل دنيا غيرهم أو تبريريون فاسدون يزينون الجرائم ويهونون عظام الأمور وهناك حكم نهائي غير قابل للنقض أو الاستئناف يوم لا ينفع الندم ولا استجداء مهلة إضافية من خلال القول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت.

كلمة واحدة من كلام الله وسؤال موجه لهذا المخلوق (ما غرك؟) بربك الكريم تفتح مجالاً واسعاً للبحث والتمحيص والمرافعة في القضية عن سبب وقوع الإنسان فريسة سهلة لمرض خداع الذات!!

هل هي الدنيا التي تخدع وتغر وتضر؟؟.

أم أنه الإنسان الذي يخدع نفسه فيختلق المبررات ويمتنع عن استخلاص العبر من التحذيرات والتنبيهات فلا عجب إذا أن تتوالى عليه المصائب والنكبات؟!

الجواب الكلي على هذا السؤال الاتهام يقدمه لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

حقاً أقول! ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت.

الآية الكريمة تفتح لنا الباب لمناقشة الخطر الماحق الذي يمثله مرض خداع الذات الذي يدمر الأفراد والذي يمكن له أن ينتشر ويمتد ليصبح وباء يدمر المجتمعات.

الغرة ومن ثم الغرور، كما يقول الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: غفلة في اليقظة، والغرار: غفلة مع غفوة وغره كذا غروراً كأنما طواه على غره. قال تعالى: ﴿ما غرك

بربك الكريم ﴿الانسفطار ٦﴾، ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ (آل عمران/١٩٦)، وقال: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ (النساء / ١٢٠)، وقال: ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ (فاطر / ٤٠)، وقال: ﴿يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً﴾ (الانعام / ١١٢) وقال: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (آل عمران/١٨٥)، ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ (الأنعام / ٧٠)، ﴿وما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ (الأحزاب / ١٢)، ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ (لقمان / ٣٣)، فالغرور: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان اذ هو أخبث الغارين.

الغرة اذا غفلة حال اليقظة أي أنها ليست غيباً كاملاً عن الوعي. إنها حالة من تشتت الذهن تدفع صاحبها لتجاهل الأخطار المرئية والكامنة وتمنحه حالة من النشوة الزائفة والاندفاع للفوز ببعض الزخارف والمكاسب الآتية العاجلة.

الغرة والغرور حالة من الطيش والاندفاع غير الواعي في اتجاه ذي بريق وألوان تصرف ذلك الطائش المغرور عن التحفظ من الوقوع في حفر ومآزق ومصائب يصعب الخروج والفكاك منها.

في سورة الحديد يأتي النص واضحاً على المسؤولية الإنسانية الكاملة عن الوقوع في فتنة الدنيا حيث يقول تعالى ﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتمكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾ آية ١٤.

أنت أيها الإنسان المخدوع من فتنت نفسك وغرمتك الأماني والأوهام وأسلمت قيادك للشيطان الغرور فلا تلومن إلا نفسك ولن ينجيك من ورطتك وبلائك أن تلقي باللوم على الدنيا فما الدنيا غرمتك - كما يوضح الإمام - (ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء)، ولعمري لقد صدقتك الدنيا وعرفتكم بما تصير اليه الأمور والأحوال وهي تتهددك في الصباح والمساء (بنزول البلاء بجسمك، والنقص في قوتك) وهي بذلك (أصدق وأوفى من أن تكذبك، أو تغرك)، ويكفيك جهلاً وغروراً أيها الإنسان إعراضك عن رؤية ما نزل بمن سبقك ومن يحيط بك من العبر والمثلات ناهيك عما تلقيتها أنت من التهديدات والإنذارات فما هي ديارهم خاوية وربوعهم خالية فأنت من أغض عينه

وأعرض عن كل التنبيهات فلو أنصفت (لتحدثنا من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك، بمحلة الشفيق عليك، والشحيح بك)!!

متى كانت حالة الغرور قاصرة على الكفار المنكرين للدين بالكلية؟!
الاغترار بالدنيا حالة تدفع الإنسان المغرور حتى ولو كان من الذين قالوا آمنا بأفواههم لا يرتكاب المعاصي والعدوان على العباد. وممارسة الظلم خاصة إن لم يعجل الله له بالعقوبة على أفعاله وجرائمه!!

من الذي أقنع هذا المغرور أن الله لا يحصي عليه عمله في حين يقول عز وجل ﴿وان عليكم لحافظين﴾ كراماً كاتبين ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ الانفطار ١٠ - ١٢.

الإملاء والإمهال والستر على معاصي العباد لا يمكن إلا أن يكون مهلة ومنحة ربانية للعبد المغرور عله يراجع نفسه ويقنع عما هو فيه من عتو وتجبر أو قطعاً لعذره قبل أن ينزل به الانتقام الالهي ويأخذه الله نكال الآخرة والأولى.

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾
ابراهيم ٤٢.

ولذا يقول الإمام علي عليه السلام في محاكمة ومحاسبة ضحايا أنفسهم المصابين بمرض خداع الذات رغم أن الظروف المحيطة كانت تحول دون السقوط في هذه المنزلاقات والمنحدرات:

فتعالى من قوي ما أكرمه!!

وتواضعت من ضعيف ما أجراك على معصيته!!

وأنت في كنف ستره مقيم، وفي سعة فضله متقلب.

فلم يمنعك فضله، ولم يهتك عنك ستره، بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلية يصرفها عنك.

ويقول عليه السلام في موضع آخر:

الحذر الحذر! فوالله لقد ستر، حتى كأنه قد غفر.

والثابت أن الله سبحانه وتعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وكذلك أخذ ربك

إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ❁ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة
ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ❁ وما تؤخره إلا لأجل معدود ❁ هود ١٠٢ -
١٠٤.

ولذا ينبه الإمام هذا الإنسان ليوظ وعيه على الخطر القادم لا ريب فيه حال بقاءه
مصرأ على ما هو فيه (وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة، وقد تورطت بمعاصيه مدارج
سطواته)!!

وحقاً إنه ❁ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ❁ الأعراف ٩٩.
ولك أن تلاحظ أن الغرور بالدنيا وزخرفها وما تمنحه للبعض من إحساس زائف
بالقوة والتمكن والعلو هو الطريق الأقصر نحو السقوط في الهاوية.
وعلى العكس تماماً فإن الخشوع والخضوع والإخبات لله رب العالمين هو الطريق
الأقصر للسمو والرفعة.

محاكمة الإنسان

إنها إذا محاكمة الإنسان لنفسه قبل فوات الأوان، حين ينفع الندم وتفيد التوبة قبل أن
يأتي يوم لا مرد له من الله ❁ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض
آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون ❁ الأنعام ١٥٨.

يقول الإمام علي عليه السلام (عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا وحاسبوها من
قبل أن تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانتقادوا قبل غفلة السياق واعلموا أنه من لم
يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظٌ واجرٌ لم يكن له من غيرها زاجرٌ ولا واعظٌ)
خطبة ٨٩ نهج البلاغة.

فالجريمة ثابتة والاعتذارات واهية وغير مقبولة على الإطلاق كما أن الرحمة الإلهية
قد منحت ذلك المذنب المغرور مهلة واسعة ليفيق من سكرته ويؤوب من غفلته ولكنه
أضاع الفرصة تلو الفرصة ولا بد لمن كان هذا حاله أن يرى بعينه سوء مآله يوم لا

ينفج الدم.

يوم بعض الظالم على يديه، يقوله يا ليتني كنت تراباً!!

محاكمة الإنسان بالإنسان

لا شك أن مبارزة الإنسان لربه بالمعاصي هي معركة محسومة النتيجة سلفاً ولا بد أن ينتهي الأمر بهزيمة مروعة ومؤلمة لهذا المتطاول على مقام رب العزة الذي (وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب).

لذا يوجه الإمام الخطاب لهذا المغرور بقوله:

أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك؟

فلربما ترى الضاحي من حر الشمس فتظله، أو ترى المبتلى يألم يُمض جسده فتبكي رحمةً له!!

فما صبرك على دائك، وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهي أعز الأنفس عليك!.

أي منطق أو عقل يدفعك للبكاء على ما ينزل بالآخرين من ألم ومرض وتجاهل ما نزل بك من مرض أخلاقي هو أسوأ وأشرس مما لحق بغيرك؟!

أي عقل وأي منطق يدفعك لرؤية عيوب الآخرين والغفلة عن عيبك؟!

أي عقل وأي منطق يدفعك للوم الكافرين على غرورهم وغفلتهم رغم علمك بما يمليه عليك الإيمان والإسلام من تواضع لله ونبد العدوان على العباد ولماذا يسهل عليك الاستهانة بمعاصي الله وكأن ادعاء الإيمان هو مجرد رخصة لارتكاب المخالفات يفتقدها الخارجون عن هذا الإطار؟!

أليس العكس تماماً هو الصحيح؟!

فالدخول في دائرة الإيمان يجعل المؤمن عالماً بما يسخط الله ويوجب عقابه ويجعل الحجة عليه أكبر وأوضح من الجاهل بحقيقة الإيمان وتكاليفه.

أما ترحم من نفسك أيها العاقل ما ترحم من غيرك؟!

نداء أخير يوجهه الإمام لهذا الغافل المغتر
أما من دائك ومرضك الذي أصابك بالعمى الدائم أو المؤقت بلول (أي شفاء) أم ليس
من نومتك ورقادك وسكرتك التي طالت يقظة وصحوة وانتباه؟

النتيجة النهائية:

تنتهي محاكمة النفس الإنسانية المصابة بهذا المرض المهلك الفتاك، مرض الغرور
والغفلة الذي استشرى واستفحل بسبب مرض آخر أشد هولاً هو مرض خداع الذات
بنتيجة معلنة وواضحة تقول:

أنت أيها المغرور أدحض مسئول حجة، فلا حجة لك على الإطلاق وربما كان لغيرك
حجة أو دفاع ينفعه يوم العرض، يوم الحساب، أما أنت فحجتك ودفاعك هو الأفضل
والأسوأ من نوعه.

كما أن اعتذاراتك واهية مقطوعة لا تصمد أمام محكمة العدل الإلهي.
الحكم الإلهي النهائي هو الإدانة وهو حكم العقل وحكم العدل الصادر حتى قبل أن
تبدأ المحاكمة.

وإن كان من الضروري أن يكون هناك تعقيب على هذه النتيجة وعلى هذا المصير
الذي اختاره هذا الغافل المغرور لنفسه فلن يكون سوى تلك الكلمات التي قالها أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب:

ألا وإني لم أر كالجثة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها.

الإصطلاح المعماري في «معجم عمارة الشعوب الإسلامية»

د. علي ثويني

معمار وباحث أكاديمي عراقي

صدر عن بيت الحكمة في بغداد (معجم عمارة الشعوب الإسلامية) بصفحات يفوق الثمانمائة ويحوي على حوالي ألف إصطلاح للمعلومة والأعلام في العمارة الإسلامية. وربما يسد هذا السفر فراغاً في الإصطلاح المعماري، بعد ما أقتفى أثر المعلومة المستقاة من التراث والحداثة على حد سواء أو إسقاط أحدهما على الآخر، وشكل مسعاً جديداً للتدوين بهذا الشأن.

إذ يعاني التدوين بالعمارة والفنون في كنف الثقافة العربية شحه وإهمال، بالرغم من أن عوالمها تذر بطاقات بحثية كفوثة، قادرة على إخراج دوائر معارف وموسوعات. بيد أن ذلك التقصير يثير في النفوس ريبة من مآرب مسيري تلك الثقافة. والمصطلح هو اللفظ الذي يضعه أهل عرف أو اختصاص معين ليبدل على معنى معين يتبادر الى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ ويغلب هذا في الأمور الفكرية والفنية والسياسية والاقتصادية والدينية والقانونية. وأن قيمة الكلمة تتمثل في عطائها الفكري وفي تجسيدها للمعنى الذي يراد التعبير عنه بها، ولا تحمل أية قيمة ذاتية، والكلمات تفقد رصيدها الفكري وتذبل وقد تموت كما يموت كثير من الناس، وقد تحيا بعض الكلمات أو المصطلحات فتبعث الى الحياة من جديد.

ولا يمكن اعتبار العمل المعجمي مستجداً على الثقافة العربية الإسلامية ولا ثقافات

الشرق القديم، فلتلك الحضارات ريادة وحضور مشهود في هذا الضرب من النتاج الفكري. وللمعاجم رائدية رافدية من ضمن نتاج الحضارات المثقفة على أرضه، التي تبنت منذئذ مبدأ (مشاعية الثقافة mass culture) التي توجت بالعربية الإسلامية كآخر حضارة مثقفة قبل الأزمنة الحديثة. لقد ورد أقدم نشاط معجمي في التاريخ الى نحو عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد، وقد كان ذلك على شكل قوائم تضم العلامات التصويرية مجمعة على أساس شكلها أو معناها. وكانت تلك القوائم مخصصة لمساعدة الكتبة في معرفة المجموعة الضخمة من العلامات التصويرية التي كان عددها في ذلك الحين يصل الى أكثر من ألفي علامة^١.

أخذت تلك العلامات تبتعد عن الأصل ويستعصي بعضها على الإدراك، ومع تعدد حاجات المجتمع العراقي القديم في نطاق المعبد ومن ثم في نطاق القصر، بعدما أصبحت مشروعات اقتصادية كبيرة، تطورت الكتابة باغتنائها بمفردات جديدة ومرادفات ومقتبسات ومشتراكات لفظية وغدت السيطرة عليها مركباً صعباً، الأمر الذي تطلب مزيداً من المجهود المعجمي الذي نضج في ظل الغلبة الأكادية في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. ونشأ عنه قيام نوع من المدارس للكتابة تعلم الأكادية مع السومرية وتضم مجموعات من النصوص في اللغتين تحفظ في خزائن خاصة (مكتبات) تعرف Dub (أي بيت الرقم).

وعلى الرغم من زوال السومرية كلغة كلام بقيت العلامات السومرية مستخدمة لكتابة اللغة الأكادية نفسها. والمقطع السومري أخذ يُلفظ بالأكادية، فالعلامة التي تدل على الملك تقرأ (Lugal) في السومرية ولكن الأكادي أو البابلي يلفظها (en أو Shar^٢). ونتجت حاجة لوضع إثبات بما يقابل المقاطع أو المفردات السومرية من المفردات الأكادية. وتعدد الأثبات بتعدد الدواوين وانتشار اللغة الأكادية في المناطق المحيطة بالرافدين، حتى قبل فتوح سرجون الأكادي وإنشائه امبراطوريته الواسعة في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد.

وكانت هذه المعاجم تضم أحياناً آلاف السطور. وهي بمثابة موسوعة تضم أكثر من

عشرين رقيماً كبيراً. ومفرداتها تشمل تقريباً كل العالم المعروف آنئذٍ. فثمة قوائم بأسماء الحيوانات والنباتات من أهلية وبرية وأنواع الشجر والخشب والقصب والفخار والأواني الفخارية والجلد والأشياء الجلدية والمعادن وأجزاء الجسم الإنساني والنجوم والأرباب^٣.

وثمة معاجم بلغة واحدة أو لغتين أو بعدة لغات، مجموعات لحكم وأمثال. ويذكر أن في وثائق مكتبة آشور بانيبال في نينوى التي أحتوت على ثلاثين ألف رقم طيني، ما يدل على أن علماء النبات الآشوريين قد صنفوا النبات تصنيفاً علمياً. وفي العمارة والمدن والجغرافية، نجد مدونات عراقية مطولة بأسماء البلدان والمدن والأنهار في العراق وفي الأقطار المجاورة وفيها إضافات بأسماء المعابد وتفسير أسماء بعض الأقاليم والمدن وبعض الاصطلاحات الفنية مدونة بالسومرية والبابلية والآشورية ووجد ذلك في تل حرمل^٤.

وفي الحضارة العراقية الأخيرة التي بناها الإسلام كان النشاط المعجمي أحد المرتكزات الأساسية لمشاعية الثقافة (masse culture)، ونشأت حركتها كرد فعل لتفادي أخطاء المعربين الجدد، وتداولها أهل العربية والناطقون الجدد بها من آراميين ومصريين وبربر وأفارقة، وأنكبوا أهل الشأن في وضع الضوابط لها، خشية تفشي اللحن فيها، فجمعوا بعض مفرداتها وتعابيرها من السنة البدو، وجمعوا الشعر من رواته الحضر، وأنشأوا علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض ومصطلح الحديث والقراءات والتفسير. وقد ورد إصطلاح عجم وأعجمي ومنها معجم للدلالة على من لا يتقن العربية الحجازية، بالرغم من أن المعنى الصق لاحقاً بالفرس قصراً. وقد شملت كلمة أعاجم في بدايات الفتوح الإسلامية كل شعوب البلدان المفتوحة.

وظهرت بوادر الدراسات المعجمية في البصرة أولاً على يد رجيل أثري العربية وأخرجها من إطارها الديني المقتصر، الى فضاء رحب من ضروب التوظيف الإبداعي، حتى كانت البصرة (قبة الإسلام). فسار عملهم اللغوي المعجمي في مراحل عدة، منها جمع المفردات النوعية في موضوع واحد، مثل كتب الأصمعي في النخل والخيل، ومنها

وضع المعجم على نمط يرجع إليه من أراد البحث عن الكلمات ومعانيها. ويسود الاعتقاد لدى الباحثين أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) كان أول من وضع معجماً لغوياً عربياً سماً (كتاب العين) فأرسى بذلك منهج التأليف المعجمي. ثم قام بعده من وضعوا المعاجم المتنوعة، منها معجم (الحروف) لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) ومعجم (الألفاظ) لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) و(الجمهرة) لابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) و(البارع) لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) و(تهذيب اللغة) للأزهري (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) و(مقاييس اللغة) و(المجمل) لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) و(الصّحاح) للجوهري (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) و(المحكم) و(المختص) لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) و(لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) و(تاج العروس) لمحب الدين المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م). ولا يفوتنا هنا أن من تذكر كتب البلدانيات وأكثرها تنظيم كان معجم البلدان لياقوت الحموي (٥٧٣-٦٢٥ هـ / ١١٧٨-١٢٢٨ م). وعادة ما يذكر أن اسامة ابن منقذ الشامي قد ألف معجماً شعرياً محدداً (المنازل والديار) ويعتبر سابقة وريادة عالمية، حضى بإعتراف الجميع^٥.

وتنتج من النشاط المعجمي مذاهب شتى أهمها ثلاث هي:

مدرسة الخليل التي اضطلعت بترتيب المواد على الحروف حسب مخارجها وتقسيم المعجم الى كتب، والكتب الى أبواب بحسب الأبنية، وحشد الكلمات في الأبواب، وقلب الكلمة الى مختلف الصيغ التي تأتي منها.

مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام، وقواعدها بناء المعجم على المعاني والموضوعات، وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب، وهي أولى المراحل التي بدأ فيها التأليف اللغوي بشكل بسيط، كل كتاب يؤلف في موضوع، مثل كتاب الخيل، وكتاب اللبن، وكتاب العسل، وكتاب الحشرات... الخ.

مدرسة الجوهري وتنسب الى الإمام الجوهري الذي ابتكر منهجاً قرّب اللغة الى الباحثين. ومئات المعاجم والكتب اللغوية مرتبة بحسب الجوهري. ونظام هذه المدرسة

ترتيب المواد على حروف باعتبار آخر الكلمة بدلاً من أولها، ثم النظر الى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول، والأول سماه باباً، والثاني فصلاً، فكلمة «بسط» يُبحث عنها في باب الطاء لأنها آخر حرف فيها، وتقع في فصل الباء لأنها مبدوءة بها.

ويُشكل المصطلح الإسلامي عموماً أحد الرموز الثقافية المهمة الدالة على خصوصية تلك الامة، وأحد المكونات الأساسية لهويتها الحضارية. بل أن بعض الباحثين يعتبر المصطلح جزءاً من النظرية السياسية في الإسلام، وجرى التعامل مع المصطلح الإسلامي بطريقتين متناقضتين، هما التفریط، والإفراط. البعض يتخلى عن المصطلح الإسلامي ويميل الى المصطلحات الأجنبية بحجة الحداثة والعصرية والسير في طريق التغريب والانبهار، وهناك من يتجمد عند الموروث من الاصطلاحات الإسلامية بلا تمييز بين الثوابت والمتغيرات، بلا استعداد للأخذ بما يصح الأخذ به من المصطلحات المعاصرة. وإذا كان الموقف الأول ينتصر للتغريب الثقافي ويرفض الأصالة والخصوصية، فإن الموقف الثاني يتجاهل التطور المستمر في حركة الحياة، وبهذا يحمل كلا الموقفين في داخله بذور الخطأ والبُعد عن الصواب. فما هو المصطلح؟ وهل يوجد مصطلح إسلامي؟.

والمصطلحات الحديثة كثيراً ما شوّهت حقائق التاريخ وصول المفاهيم ونتائج المجتمع الفكرية والفنية، وحُملت شحنات لنسق الحقائق أو تزييفها. والإسلام على العموم مستهدف من أعدائه، ولعل أخطر شيء يواجه الثقافة الإسلامية حالياً، التشويه والطمس لملكاتها (الإصطلاحية)، كي يعلن قطيعة وفجوة وجفوة بين المنسبين والمنشغلين بنفس الثقافة، بعد أن تشتت اصطلاحاتهم، وافتقد الحوار والتواصل بينهم سلاسة مرجوة، بما يهدد وحدتهم في الصميم. وثمة مغالطة بإرجاع الاصطلاح لاصول يونانية أو لاتينية قصراً كي يصفوا قطيعة مع واقع التاريخ المحلي للشرق القديم، الذي استمد منظوماته الاصطلاحية من استرسال جهود آلاف السنين مع النتاج الفكري المحلي لأهله، التي أمست ذات طابع عالمي. وفي ذلك شجون تدعو الى العجب العجاب، وتحتاج الى مجهود بحثي منزّه وحيادي ومنهجي، وغير تابع مسبقاً لتوجهات إستشرافية أو إستغرابية.

وهنا ننوه الى مغالطة ما سوغ بأن حضارة الغرب سمتها عقلانية. والعقلانية ليست مقتصرة على الحضارة الغربية فحسب، وقد سبق الإسلام إليها من خلال منظومات شتى. ويمكن تلمس الأمر بوضوح عند تتبع تاريخ الكنيسة التي ناقضت سمو العقل، وهو ما لم يحدث إسلامياً. وحينما نذكر كلمة «علم» مثلاً، تنصرف الأذهان الى دلالاتها وإحياءاتها المعروفة في الثقافة الغربية، حيث أنها تعني عادة تلك المباحث المعرفية التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء وصولاً الى نظريات وقوانين عامة تفسر الظواهر التي يدرسها الباحثون سواء كانت ظواهر طبيعية وتشمل علوم الفيزياء والفلك والكيمياء والأحياء وغيرها، أو ظواهر اجتماعية وتشمل العلوم الإنسانية، علم النفس، وعلم الاجتماع، والاقتصاد... الخ. إن الاختصار على هذا المعنى لكلمة العلم في ثقافتنا يؤدي الى كثير من اللبس والغموض، بما يستوجب الوقوف على فقه هذا المصطلح في إطار البيئة التي نشأ فيها والثقافة التي احتضنته. فالأصل في معنى العلم عند المسلمين هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء وعلى كل ما هو نشاط إنساني عقلي أو عملي، وهو معنى مطلق يفيد الشمول والتعميم ولا يقيد بتخصص معين، حينما يستخدم بشكل منظم (منهجي) في محاولة تفسير وفهم موضوع ما. فيقال علم التفسير، أو علم اللغة، أو علم التاريخ أو علم الفلك أو الهندسة، وغير ذلك من المباحث العلمية. أما تصنيف هذه المباحث المعرفية الى عقلية وعقلية، أو دينية وطبيعية أو إنسانية وكونية، أو غير ذلك فهو تصنيف يعتمد على موضوعات العلم أو مصادره، أو الطرائق (المناهج) المتبعة في تحصيله بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض. ونجد في هذا السياق مثلاً مفهوم (الأدب) الذي يقترب بالتأدب والأخلاق، على عكس المفهوم الغربي الذي يصطلح عليه (الحروفية literature) المجرد من أغراض المكارم، ولا يشترط تهذيب وإصلاح الذات والمجتمع في ماهيته.

لقد عم إنتاج وتداول المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف اليوم في كل الثقافات باستثناء العربية (لغة الإسلام)، التي تأن من الفاقة التدوينية عموماً ولا سيما في الفنون والعمارة. ومحاولتنا المعجمية دلو متواضع لا ينافس بقية المحاولات بل يثريها، وتبقى

الغاية منه ملئ بعض الفراغ. فقد تفوقت على ثقافتنا ثقافات لا يحسب لها حساب، مثلما دويلة إسرائيل التي بدأت من كلمة (شلومو) ولغة (الأيديش) السلافية، لتشرع في عملية إحياء واسعة للغة شبه ميتة أقحمتها على ثلاثة أجيال من شتات البشر. لقد نفخت في هؤلاء روح التوحد واغدقتهم بالعز والكرامة والتنظيم، ثم تسنى لتلك الجموع أن تنتج ثقافة راقية وتنتشر في مجال العمارة والفنون وحدها، ما يعادل كل ما قدرت عليه الأقطار العربية مجتمعة. وهكذا فإن اللغة تبقى رهينة بيد أهلها وجهدهم المبذول وليس بمعزل عن قيمة الإنسان وإكرامه وقيمه المعنوية، التي تبقى الجوهر في كل الخطط والبناءات.

ونعود الى حقيقة أن العمارة تمكث أقرب شجون الثقافة والفنون الى هواجس الإنسان وسكناته وحركاته، فهي المدينة والزقاق والدار والعمل. وإن وسمت العمارة بأنها فن فهي الضرب المفيد من الفن، وليس العابر والكمالي، بل هي الضروري ويعتبر الفقه بها من مقتضيات تلك الضرورة، وتدوين المصطلح والمعلومة من أهم آلياته.

ولا نريد أن نطرق في هذا السياق عصبية عربية، لنتميز عن «أهل السياسة» بعدما تاجروا بأسم العروبة بكل شيء من الثقافة حتى مقدرات الشعوب وأضاعوا فيها الكرامة والبحبوحة والأرض وتشبثوا بالرمز والبطانة وتمترسوا بالقصور والحمايات والمخابرات. لكننا نعشق العربية بسبب أزليتها التي توجت بالقرآن الكريم. لقد حملت تلك اللغة عبق تقادم الدهور وتجربة البشر الذي أضفى عليها ثراء فوق ثراء، ووهبها كم من الغنى التعبيري والرمزي، وجعلها بالنتيجة فضاءً رحباً يجد المرء فيه ضالته التعبيرية. لقد ساهمت كل الحضارات والشعوب من مشارق الأرض ومغاربها قبل وبعد الإسلام في سمو (اللغة الإسلامية). وتهاجنت في بوتقتها كل تجارب البشر الروحية والمادية، لتسموا بما استوعبته من الدفق الروحي القادم من حجاز الجزيرة، وقدرت العربية الاختراق والمكوث في كل ثقافات الدنيا حتى في اسكندنافيا القاصية التي احتوت لغات أهلها مفردات منها، الأمر الذي جعل السويدي أنكار كارلسون يقول في كتابه (الإسلام وأوروبا): أن العربية اخترقت كل الثقافات وجدير أن نلهج بصدها: (الأرض تتكلم العربية). وقد سبقه الى ذلك «شيخ مؤرخي العلم» (جورج سارتون) في كتابه (تاريخ

العلم والإنسانية الجديدة) يقول فيها ما يلي: (منذ منتصف القرن الثامن وحتى أواخر القرن الحادي عشر كانت الشعوب التي تتكلم العربية تتقدم موكب الإنسانية وبفضلهم لم تكن العربية لغة القرآن المقدسة وحسب بل أصبحت لغة العلم العالمية وحاملة لواء التقدم البشري. وكما أن أقصر طريق يسلكه شرقي الآن الى المعرفة أن يلم بلغة من لغات الغرب الرئيسية، كذلك كانت العربية خلال تلك القرون الأربعة مفتاح وأن شئت فقل «المفتاح الوحيد» الى الثقافة التي ملكت ناصية الفكر)^٦. ويشير (لي إميرسون بوير) الى أهمية وضع الصفر والأرقام بالعربية بأنه فتح كبير حيث يقول: (إنه بدون الأرقام لم يكن لنا أبداً أن نحلم بكثير من الفنون، ولكانت الرياضيات لا تزال في مهدها).

وبهذا السياق التراتبي للفكر نقر بأن ليس العربية كلمات وأصوات منقولة عن غابر الأزمان فحسب، بل هي روح تؤثر على «العقلية» ومنهجية التفكير، لما ترسمه من ملامح نظامية ومنطقية وجمالية، ودلالات رمزية (سميولوجية) ترتبط وتنمي الخيال. وقد بحث في تلك التأثيرات الفرنسي (بياجيت) piaget بما يدعى (علم النفس التطوري Developmental psychology) الذي اضطلع بإعطاء الصفة الإبداعية موقعها المتميز في (علم النفس المعاصر Psycholinguistics).

وانتبه الى ذلك التأثير الفرنسي أندريه باكار، منوها الى أن الاسترسال اللغوي يمكن تشبيهه بالمنحى الفني للإسلام وتحاشي التصوير والتصريح التمثيلي في الفنون بما جعل ذلك جسراً عبرت عليه الأفكار الى حالة من التأمل، ويضيف بهذا الصدد (وهو دليل يماثل تماماً تلك الفلسفة التي أتاحت للعرب اختراع علم الجبر)^٧. ومن الجدير ذكره بهذا السياق أن بعض العلماء الغربيين تبنوا في عقد التسعينات فكرة تلقين اللغة العربية لبعض الطلاب النابغين في بلدانهم، والغرض من ورائها إيجاد آليات معاصرة لإنتاج جيل جديد من (اللوغارتمات) وهو علم ظهر في بغداد على يد الخوارزمي في عشرينيات القرن التاسع الميلادي، اعتقاداً منهم أن لتلك اللغة من منطلق تكويني يجعل العارف بها قادر على تقمص لحظة الإلهام التي أبدعت الجيل الأول من ذلك العلم.

واليوم يحز في النفس وجود ذلك الكم من المعاجم عن الحضارة والفنون والعمارة

الإسلامية في اللغات العالمية دون أن يكون للغة الإسلام نصيب فيها. ويجدر أن نقر بأن تطوير ذلك الجانب المعرفي يحتاج إلى صدق في النوايا وحسن في التوجه والتوجيه. وإذا نرتني إنضاج ذلك المصطلح وتلك المعلومة ليحل محل الإنكليزية أو الفرنسية أو غيرها لتصب في تأهيل تواصل أهل الثقافات الإسلامية. ويمكن أن تجمع تلك المعلومات البربري في بلاد المغرب مع الكردي في جباله أو الماليزي في جزره أو السويحيلي في شطآنه، ويمكنها أن تكون معاضدة لعولمة روحية وثقافية على عكس اللغات الاستعمارية التي أقل ما قامت به هو تفريق المغرب عن المشرق العربيين دون مبرر، بعد أن تقمص القوم التبعية للفرنسية أو الانكليزية. ونرصد هنا سقم تلك الثقافات اليوم بالمقارنة مع ما تعلق بدفق الكلمات والمعاني ودقة المصطلح وكم وعمق جذوره في العربية، كون العربية وبساطة لغة معاني وحسيات ورمزية وشعر منذ نشأتها. ونأمل أن يكون لنا هيئة علياً متخصصة غير مسبقة، تتسع لتشمل نطاق العالم العربي والإسلامي وتشغل في التطوير والتكريس في الدراسات الأكاديمية.

ولا نغالي إذا قلنا أن جل اللغات الإسلامية تحتوي في ثناياها على نسبة ما يقارب ٥٠ - ٨٠٪ من المفردات العربية. ولدينا منها لغات تمثل ثقافات واسعة الانتشار كالإسبانية التي ترد كلمة عربية من كل خمسة كلمات فيها أي ٢٠٪، ويشمل ذلك التأثير في العمق تجمعات اللغات الفارسية والتركية والهندية والأفريقية والبلقانية. ونجدها مثلاً في لغات وسط آسيا القازانية والتترية والقرمية والكاراسية والأذرية والداغستانية والجركسية والقرغيزية والجفتائية والتكية والأوزبكية والكشغيرية.

أما في اللغات الهندية فنجدها في الهندستانية والأوردية والدكنية والكشميرية والسندية والجادكية والملقية ولسان الجاوا أو البيجون. وفي اللغات الفارسية نجدها بالفارسية الحديثة والأفغانية أو البنيتوية (البشتون) والكردية بلهجاتها البادانية والسورانية والفيلية وكذلك في البلوشية. أما في اللغات الأفريقية فنجدها في البربرية بلهجاتها الشلحية والقبائلية (الصغرى والكبرى) وكذلك النوبية والحوسية (الهاوسا) والسواحلية (خليط بين البازو الأفريقية والعربية تشكل ٧٠٪ منها) وكذلك في

الملكاشية. وانتشرت العربية واثرت في اللغات واللهجات الإندونيسية، التي تشكل ثقل ثقافي عالمي كبير، وأثرت العربية في لغات أهل البلقان بمجموعها السلافية واللاتينية واليونانية والألبانية. وهكذا يشكل هذا الرصيد ذخراً لتطوير حالة موحدة لمصطلح عمارة المسلمين، يمكن أن يكون وسيلة للتواصل والتقارب بين أصقاعهم. وفي قراءة قمنا بها لمراجعة المصطلحات العمارية التي وردت في العمارة التيمورية (نهايات القرن الرابع عشر وأواسط القرن الخامس عشر الميلادي) التي تركزت في آسيا الوسطى وأفغانستان وفارس والهند، والتي تعتبر من أكثر الطرز العمارية نضوجاً، كان المصطلح العربي يشكل حوالي ٨٠٪ من مفرداتها، مما يدعو للإعجاب بتلك اللغة التي اخترقت التركية والفارسية والمغولية هناك، وتداولها صعاليك وسلاطين تلك الأصقاع. ومن الملفت للنظر أن كل علماء تلك الأصقاع لم يدونوا كتبهم العلمية إلا بالعربية، ونجد في سياق المعجم سيرة أحد هؤلاء الأفاضل الموسوعيين يدعى غياث الدين جمشيد كاشاني المتوفى عام (١٤٣٦ م - ٨٣٩ هـ)، والذي عاش في أواسط آسيا أيام ذروة العهد التيموري، بأنه ترك أغنى المؤلفات بالعمارة والهندسية والفلك بلغة الضاد، دون غيرها^٨. ولا يفوتنا فقه الأولويات الذي يقودنا إلى سؤال جوهري مفاده: هل الأسبقية للمعلومة أم للغة؟ فاللغة عادة ما تتماشى مع سمو الملكات الفكرية، وهكذا نجد أن جل ما طرح في تلك الثقافة العربية يطرق منهجاً وصفيّاً وإنشائياً، بعدما أراد البعض أن تحدد صلاحية اللغة حصراً بالأدبيات والحسيات بعد النتائج اللاهوتي. وقد كان الفرنسيين في المغرب العربي يعاملون العربية على أنها لغة ميتة مثل اللاتينية والأغريقية. ونعلم جميعاً بأن تلك اللغة قد غطت يوم وطأت الحضارة ذروتها كل مناحي المعرفة، وكتب بها العرب والعجم شارحين فيها الدين والفلسفة والفلك والرياضيات والهندسة. واستوعبت كل نتاج الثقافات في العالم، وأنضجت حركة ترجمة اعتمدت صلب المعاني، وأنتجت مصطلحاً حصيفاً، نعجز اليوم عن إنتاج مثيله بالرغم من تقدم وسائلنا^٩.

ونلمس تهميش مختصي اللغة وأصحابها يصل حد الإلغاء، وعادة ما يهتمون في السياسات التخطيطية والاجتماعية في البلدان العربية، ونأخذ مثلاً جنوب السودان الذي

يعتبرون من يفقه العربية هو (أمي)، وفي الجزائر التي كانت رائدة في التعريب تراجعت اليوم لأسباب سياسية. أما في الخليج فقد أدخلت التجارة النشطة والتطور الاجتماعي السريع، حالة توفيقية خلاسية لها أو لغة الهنود المعربة من الأردو، ورطين (الخدمات). ناهيك عن السياسات التي أتبعها بعض السلطات في إحلال الإنكليزية بتعليم النشء.

لقد ورثنا خطاب لغوي (وصفي) للعمارة والفنون، ضارباً أطنابه في شرح الظاهرة المعمارية وتدوينها، بالرغم من الجهود التي بذلت ولاسيما من المستشرقين في تطويرها إلى الحالة (التحليلية)، بصرف النظر عن المآرب التي كان يحملها بعضهم عن تلك الثقافة واللغة. ونطمح خلال المشروع النهضوي أن نطور خطاباً (معمارياً) يسمو باللغة العربية من «الوصف» إلى «التحليل» ثم إلى «التمثيل» أو «التأريض» (ميتابولزم)، الذي يضطلع في البحث عن بواطن الإبداع، ومنها العمارة، ولاسيما في تقصي الآلية التي تم من خلالها الانتقال من الحالة الفكرية والروحية إلى التجسيد الإبداعي. ونجزم بان الحالة «التمثيلية» تنطبق على العمارة التي أنتجها المسلمون بغض النظر عن الطابع الطبقي الاجتماعي والفكري والسياسي (السلطيني) لها، فهي بالنتيجة نتاج أناس بسطاء جلهم من المؤمنين، ينقلون بأناملهم سرمدية عمارات العالم القديم، بفكر الإسلام الذي أخترق وحرك النفوس. ونذكر بهذا الصدد ما علق به المعمار المصري حسن فتحي عليها قائلاً: «أن حركة اليد لا تصدر عن العقل وحده، بل وعن الشعور أيضاً وذكاء الأصابع ذكاء روحي قبل كل شيء».

ويجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح العمارة الإسلامية مازال غرض ويثار حوله لغط وشكوك بسبب مصدره الإستشراقي. وعادة ما يتبادر للذهن سؤال عن كونه يمثل الإسلام الفكري أو كونه تفرغ فني لنزوات السلاطين وعلية القوم أم أنه عملية إحياء لعمارات قديمة راسخة في عمارة الأقطار الإسلامية ذات الباع الكبير في الشرق القديم، أو كونه ممارسة بينية للحد من سطوة المحيط على الإنسان في تلك الأصقاع. كل ذلك ينقلنا من الإصطلاح المجرد إلى كنه الظاهرة وسياقاتها الفكرية. لذا فصلنا أن نفرق بين المفاهيم وأن نطلق تسمية (عمارة الشعوب الإسلامية) على (العمارة الإسلامية).

وقد حاولنا أن نشرح كنه المعلومات المعمارية ونسعى لسرد حياة وفكر الأعلام، وتحليل أعمالهم، ليكون خطوة أولى في جمع قبس التراث المعماري المتناثرة في بطون المراجع، أو ثانيا الأطلال وتوخينا التحليل والاستنباط والاقتباس المقارن بما يمكن اعتباره تمهيد لموسوعة أو دائرة معارف عن العمارة في أقطار العالم الإسلامي. وزيادة على الاصطلاح والتسمية وسيرة الأعلام، نجد بعض الاصطلاحات المحلية المحضة التي أطلعنا عليها بالصدفة والتجربة من الأقطار الإسلامية. ولا يخلو السرد من بعض الأسماء الأجنبية، ممن تركوا تأثيرهم في عمائر الأقطار الإسلامية أو خدموا البحث والتدوين بشأن تلك العمائر. وعلى العموم فإن ما ورد يستند على المنهجية البحثية التالية:

١- ذكر كل الشخصيات الغربية التي أسهمت في العمارة والفنون الإسلامية، من خلال البحث والتدوين والتنظير والتحقيق أو حتى التخطيط والتنفيذ، بغض النظر عن ماهية بحوثهم ومواقفهم.

٢- ذكر كل المعماريين المسلمين الذين وردت أسمائهم مشتتة في كتب التراث، بما يمكن أن يسهم جمعها والبحث فيها ومقارنتها والاسترسال في تحليلها مستقبلاً. وهذا المسعى يصب في هدف التقليل من سطوة الإسهاب في ذكر السلاطين وأصحاب الجاه والحيثيات ممن أغرقوا التاريخ بأخبارهم وتحاشي صانعي المجد الإبداعي الحقيقيين. وقد سبقنا إلى ذلك أحمد تيمور باشا (١٨٧١ - ١٩٣٠) والتي حصر فيها ذكر أكثر من مائة مهندس في العالم الإسلامي^{١٠}. ومما يدعو للأسف أننا لم نطلع على هذا الكتاب لنثري به هذا المعجم، وتسنى لنا أن نرصد هنا سيرة حوالي ٢٥٠ من المعماريين والباحثين والمنظرين والمؤرخين والفنانين المسلمين وغيرهم في هذه الموسوعة. ويجدر بنا التنويه إلى أسماء بعض المهندسين الموسوعيين الذين ورد ذكرهم بإقتضاب أو إسهاب في كتب التراث، حيث يعود لهم الفضل في ربط الكثير من معطيات العلم كالرياضيات والهندسة مع الفنون التطبيقية والزخرفية الإسلامية، أو حتى إسقاطات وتمثيل الأشكال المعمارية وتطبيقها. وجل آثار هؤلاء ضائعة، وعسى أن تبحث الأجيال القادمة عن مخطوطاتهم وتنشر تجاربهم.

٣- إيراد كل مصطلح جديد وطارئ في العماائر العالمية بما يمكن ان يشكل شرحه إثراء المفاهيم العمارة الإسلامية، التي هي في أمس الحاجة لتطوير ملكاتها وخروجها من المكوث في الماضي، وولوجها إلى عالم الحداثة والمستقبل. ويجدر الذكر بأن جل المصطلحات الحديثة تضطلع بمساس فعلي أو شكلي مع بعض المفاهيم التراثية التي لم تجد طريقها إلى النظريات والاصطلاحات الحديثة للعمارة والفنون، أو كونها تشكل في بعض الأحيان الخلفية التاريخية لتلك الأفكار. مع إيماننا العميق، بأن تيارات العمارة المعاصرة المتعاقبة والتي تضمحل الواحدة وتظهر التالية على أنقاضها، خلال عقد أو عقدين من الزمان، لهي أضعف من أن تنافس الثراء والرسوخ والديمومة التي تكتنف المفاهيم العمارة التراثية التي عمرت ولم تهرم آلاف السنين.

٤- إيراد بعض المصطلحات التي تتعلق بالفن وأدواته وليس بالعمارة قصراً، وقد أوردناها لشعورنا بوجود رابطة مشيمية بين العمارة وتلك الفنون. ويرد بهذا الصدد أسماء عدد من الفنانين المسلمين الذين تركوا أسمائهم على بعض الأعمال الفنية كالمنمنمات والخزف.

٥- البحث في كل ما يتعلق بأصل الكلمة الوارد من اللغات القديمة التي سوف نجد أن جلها ورد من الآرامية وهي اللغة التي سادت (الشام والعراق) واستعملت في مصر وفارس وبيزنطة، ونطق بها النبي عيسى المسيح (ع)، وأصبحت صنوم العربية، ثم تركت لها السيادة لاحقاً بما وسمته بها من الثراء الروحي. وقد وجدنا أن هذه اللغة حبلى بالمصطلحات الواردة من أعماق التاريخ ولاسيما من السومرية، كأول حضارة مثقفة ومكتوبة عرفتها البشرية ومعمارية عرفت بمفاهيمها. ونجد في طي الكلمات ما هو من أصول فارسية، وهي اللغة التي تلاقحت إبان الشفق الأول للإسلام ورسمت الملامح الأولى للحضارة الإسلامية، ونجد بعض ما ورد منها كان وروده سابقاً جاء من مصادر آرامية. وفي كل ذلك اجتهاد مفتوح إلى من يستطيع إلى ذلك سبيلاً.

٦- تداول بعض مصطلحات مواد البناء التي درجت في العمارة الإسلامية التي يمكن أن تكون حالة إستباقية وتمهيد لتدوين تلك المواد وأدواتها التي وردت في

العمارة التراثية.

٧- تصنيف كل الطرز المعمارية التي كانت في تماس حضاري جغرافي أو تاريخي مع العمارة الإسلامية، ولا سيما من كان للعمارة الإسلامية عليها فضل التأثير في جانب منها. وكذلك الحال في تصنيف كل الطرز المعمارية العتيقة التي سبقت الإسلام والتي كان لها تأثير في العمارة الإسلامية بحيث نطلق عليه (الثابت والمتغير في الثقافات الإسلامية) أو نجد إليه طريقاً من خلال ما هو دارس أو باق في العمارة الإسلامية.

٨- ورود أسماء بعض مدارس العمارة الإقليمية كما غرب أو شرق أفريقيا أو جنوب أو وسط آسيا أو الأندلس، من أجل إظهار بعض الخصوصيات التاريخية التي اكتنفها، ليعادل إطنابنا في شرح تفاصيل كثيرة عن عمارة الأقاليم الوسطية ولا سيما الشامية- المصرية أو العراقية- الإيرانية أو حتى التركية منها، لما حظيت به من أهمية في الدراسات المعمارية بسبب تزامم الأحداث فيها وكذلك موقعها الوسيط في قلب العالم الإسلامي، ناهيك عن التأثير المباشر والأثر الأساسي الذي لعبته في رسم ملامح العمارة الإسلامية الأول. يمكن اعتبار ورود المصطلح وشرحه لا يدخل من باب التنويه به فحسب، بل لكونه محاولة في تقصي الفوارق والتمايز للإصطلاح في شتى الثقافات الإسلامية، في جوهرها وطرزها وتسمياتها التي هي في الغالب موحدة أو متشابهة أو تأخذ مناحي اقتباسية متقاربة. وحاولنا من الناحية المنهجية أن يكون البحث في موضوع العمارة الإسلامية خارجاً عن إسقاطات التاريخ ومعمة أحداث الدول، والسلطين. والهدف في ذلك أن ننحى بتلك الثقافة من المكوث في خانات التاريخ.

٩- أتمنى أن يطور القيمون على العربية من ملكاتها ولا سيما في لفظ الكثير من الحروف التي لم تتوفر فيها سابقاً، ويمكن إستحداثها كوسيلة في سنة التطور، وليس من أجل طرق الجديد فحسب. ونجد هنا إستعمالي مثلاً لحرف (ج) بما يقابل Ch الأنكليزي، حيثما أضطرتني الحاجة إليه ولا سيما في التسميات غير العربية. ومازلت أقول وجوب التفريق بين لفظ (ج) على الطريقتين العربية والمصرية.

وهنا نؤكد صفة الغنى الذي أكتنف عمارة المسلمين، ونعيد للأذهان شهادة أحد رواد

عمارة القرن العشرين الأمريكي فرانك لويد رايت في معرض تعليقه عندما زار مدرسة السلطان حسن في القاهرة عام ١٩٥٨ م (انه عمل عظيم اقتضته رسالة عظيمة وأنه أعظم عمل ضخم لإنسان وأمة). وأردف (كيف يجوز لقوم لديهم مثل هذه الروائع أن يتركوها ويستبدلوا بها شطط العمارة الغربية، التي يحاول الغربيون أنفسهم أن يتخلصوا منها).

سعينا هنا منصب في إيقاظ تلك الثقافة مع الاحتراس من مغبة المكوث في عالم المحنطات، فإحياء التاريخ يكمن باستلهاهم العبر منه والبحث عن الآليات التي سرى عليها، وتجديد النفحات الأخلاقية فيه، التي هي التراث بحد ذاته. وإذا ما رمنا أن نعيد العمارة الإسلامية إلى ما كانت عليه في الهيئة فما علينا إلا أن نغير معطيات العصر وشكل المجتمع ونمط حياته ووسائله التي تعكسها مرآة العمارة. وقد حذرنا القرآن من مغبة ذلك المكوث كما في الذكر الحكيم: ﴿تِلْكَ أُمَةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^{١١}. وهذا المفهوم الصريح للقراءات التاريخية يجب التأكيد عليه، أما ما ورد فهو يدخل في إطار المبدأ القائل (ما لا يفقه قلبه لا يدرك جلله). ويحدوني الأمل بأن يكون المعجم عضوي، وقابل للتطوير.

ليس مقامي هنا داعياً أو فقيهاً أو مفتياً، فلدينا من الدعاة والأئمة والوعاظ كثير، ولا سيما من يتفرغ إلى تحريم دمية (البوكي مون)، ولا يفتي بتحريم هدم التراث الإسلامي والموروث الحضاري أو المساس باللغة القرآنية. ولتحاشي منافستهم، ندعو إلى وقفة معاصرة من الثقافة المادية لهذا الدين، بما يدعونا أن لا تقتصر على الجوانب الروحي والطقوسي فقط في إظهار حجة تلك العقيدة، مع إقرارنا بأهميتها ولكننا نظن أن وحدها عاجزة عن صنع الفتوح والإقبال المنشود إبان المنافسة والسجال الفكري مفاهيم طغت وسادت عالماً غزى الفضاء وأصبح الإنترنت لغة التعامل به.

الهوامش :

- ١ - المنقب الفرنسي بوتيرو - ج ١٩٧٣، ص ٤١.
- ٢ - وهي متشابهة مع العربية وحسب الترتيب (عين) وجمعها أعيان، والثانية (شار) أي المشير أو الأمر.
- ٣ - بوتيرو ١٩٧٣ ص ٤٢.
- ٤ - طه باقر ١٩٥٥ - ص ٣٢٧.
- ٥ - اسامة بن منقذ الكتاني - المنازل والديار - تحقيق نصطفة حجازي - القاهرة. ١٩٩٢.
- ٦ - جورج سارتون، تاريخ العلم - ترجمة جورج حداد - ستة أجزاء، دار المعارف بمصر، ١٩٥٧.
- ٧ - أندريه باكار (الحرف المعمارية في العمارة الإسلامية في المغرب) باريس ١٩٨٥.
- ٨ - نقصد به كتاب (أزج وطاق) الذي ترجم الى الفارسية من المخطوطة العربية ونشر في ايران عام ١٩٩٤.
- ٩ - تضرب مثلاً كلمة منطق الواردة من اليونانية (Logos)، حيث دأب مترجمها الأول الى العربية أن يبحث في جوهر الكلمة اليونانية، فوجدها بحصافة وعمق أنها من نفس مصدر كلمة (لغة) فأطلق إصطلاحه الدقيق (منطق)
- ١٠ - نقصد هنا كتابه (المهندسون في العصر الإسلامي) إصدار دار نهضة مصر في القاهرة (دون تاريخ).
- ١١ - سورة البقرة الآية ١٣٤.

من الوحي المحمدي العولمة والإسلام - فلسفة القوة ومنطق الإيمان

الدكتور علي أبو الخير

جمهورية مصر العربية

بين يدي المصطفى (ﷺ)

البشرية بحاجة ماسة الى من ينقذها من شرور أبنائها؛ وبحاجة الى من يأخذ بيدها الى درب المواءمة بين العقل والقلب؛ بين الفكر والوجدان؛ بين الدنيا والآخرة؛ لأن العالم يشهد حالات من الهيمنة من القوى التي تعتقد أن بإمكانها أن تحتل العالم اقتصادياً وعسكرياً أو سياسياً؛ وهذه الرغبة الاستكبارية لا يقف في طريقها قوة أخرى، ولا تملك رؤية إيمانية تكبح جماحها؛ فقامت القوى الاستكبارية بنشر العولمة كمفهوم كوني يقول ان البشرية يمكنها التواصل عبر هذا المفهوم الجديد؛ ولكن المنصفين من مفكري العالم وعوا للعولمة كاحدى المحاولات للاستبداد المنفرد من بعض القوى الاستعمارية؛ ولكن محاولاتهم اصطدمت بالضعف الذي يترشح فيه أغلب ابناء المعمورة؛ خاصة المسلمون الذين لديهم من التراث الديني الايماني؛ ولديهم حضارة كبيرة سادوا بها العالم؛ ولكن المسلمين لا يأخذون بذلك الميراث؛ وفتحوا أبوابهم الثقافية والسياسية ليستبيحها الغرباء؛ الغرباء الذين لا يولون للأديان عامة أي مكونون ايماني؛ من ثم على المسلمين أن يعودوا لذلك الميراث ولتلك الروح؛ وذلك للتصدي لأي تغلغل من القوى المستكبرة؛ ومن أجل ذلك عليهم أن يعودوا لسيرة الرسول (ﷺ)؛ ولمكونات الرسالة المحمدية

كما جاءت ٠٠ ومن غيره المصطفى الأعظم (ﷺ) ينقذ البشرية من المأزق التي تعيش فيه؛ وأي فكر غير فكره الرسالي يتمكن من التصدي لكل مفردات الهيمنة التي تخفت وتتخفى وراء شعارات كثيرة ولكن مفهومها واحد، آخرها كان شعار العولمة ٠٠ فبين يدي المصطفى (ﷺ) نقدم هذا البحث وتلك الرؤية..

مقدمة لازمة ... مملكة البشر ومملكة الضمير

شهد التاريخ الانساني محاولات عديدة لتوحيد الجنس البشري خلف ثقافة واحدة، أو ديانة مشتركة، وقد اختلطت كل المفاهيم الاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية عند كل المبشرين بتوحيد البشر بحيث لا يمكن معرفة الدافع الحقيقي لمن يقوم بعملية التوحيد القسرية، فدائماً كان مفهوم توحيد البشر يقوم على خلفية استعمارية، ولكنها في ذات الوقت تقوم بالتبشير بالحضارة التي تمثلها، ففي حالة الاسكندر الاكبر حاول أن يمزج الحضارة الهيلينية بالحضارة الفارسية. ولكنه أخطأ الطريق عندما فرض هذا الامتزاج بالقوة العسكرية التي تعتمد الحضارة التي يمثلها؛ وقد رفضتها الشعوب التي احتلها، رفضها الفرس ورفضها المصريون والهنود؛ وما قام به الاسكندر حاول مثله كثيرون من قبل ومن بعد، وكلها تجارب فشلت في تحقيق هدف ذوبان الشعوب في ثقافة واحدة لأنها جميعاً كانت عمليات توحيدية خالية من عنصر الروح أو عنصر الضمير أو الدين أو الايمان الذي هو من أشواق النفس الانسانية ينساق اليه الانسان يباعث من فطرته كما أن أصدق ما قيل في الأديان العالمية أنها ثورات واسعة؛ ولا تقاس السعة في هذه الثورات بامتداد المكان ولا بكثرة العدد لأنها أوسع ما تكون اذا نشبت في داخل النفس الانسانية؛ وكانت القوة الثائرة والقوة المستغلبة فيها مملكة واحدة هي: مملكة الضمير^١؛ وفطرة الانسان ترفض منطق القوة حتى لو بفرض الايمان بالله؛ فالحرية الاختيارية من أهم ما جاءت به الأديان السماوية؛ كما أن فطرة الله في البشر جعلتهم مختلفين داخل الاطار البشري العام؛ وما الاختلافات بين الشعوب في اللغات واللهجات والسمات إلا دليل على هذا التنوع الانساني الذي خلقه الله؛ ولا شيء

أكثر قسراً وإيلاً في الضمير البشري من الظلم والاستعلاء؛ وبالتالي فإن كل محاولات القوى التاريخية لمزج أو توحيد الكيانات السياسية أو الثقافية فشلت بسبب عدم رؤية هذه القوى المهيمنة لذلك التنوع البشري؛ وهناك سبب آخر هو أن كل هذه القوى لم يكن لديها رؤية إيمانية تجعلها تعي أن التبشير بأي ثقافة بالقوة يعني الفشل؛ وحتى أصحاب الديانات السماوية عندما حاولوا فرض الإيمان أو المذهب على الشعوب بالقوة رفضتها تلك الشعوب كما قرأنا عن عصور الشهداء قبل وبعد المسيحية في نجران اليمن ومصر وغيرهما من شعوب العالم؛ ولذلك فإن مصطلح العولمة الحديث ما هو إلا ثقافة تعتمد فلسفة القوة للسيطرة على العالم أو توحيده داخل الثقافة الغربية، حتى أن بعضهم اقترح أن تكون اللغة الإنجليزية لغة عالمية لتتخلى الشعوب تدريجياً عن لغاتها القومية التاريخية؛ مستغلين التفوق العلمي والعسكري الهائل للشعوب الغربية؛ ومن جديد يقع منظرو العولمة في الخطأ التاريخي؛ وهو عدم الاعتراف بوجود التنوع البشري الذي أودعه الله تعالى في الإنسان؛ ولذلك نجد كل الشعوب تتوقع داخل ميراثها الفكري وتحارب العولمة حتى وإن ناقشوها وحاولوا الإستفادة من المنجزات المعلوماتية والتكنولوجية في الحضارة الغربية.

في هذا البحث سنحاول أن نقرأ الفوارق بين العولمة كفلسفة للقوة تعتمد الميراث التاريخي للقوة المهيمنة، وبين المنطق الإيماني في جعل البشر جميعاً أصراً يتم إبلاغهم بفكرة الإيمان بالله خالق الناس جميعاً؛ ثم ترك حرية الاختيار لهم بين الإيمان والكفر؛ على أن يحرس الدين الإلهي التمايز بين البشر حتى لا تطفئ أمة على أمة؛ أو فرد على آخر؛ والإسلام يعتبر الخطوة الأخيرة في التطور التوحيدي لله تعالى بعد أن كان التوحيد إحتكارياً كما في اليهودية ثم تجسدياً كما في المسيحية؛ وصل الإسلام في توحيده لله أقصى مراحل الإيمان العقلي والروحي لأن الأديان سلسلة واحدة من الرؤى الإيمانية والعقلية ختمها الإسلام ورسوله الأعظم (ﷺ).

وسوف ينقسم البحث الى أربعة محاور:

١- العولمة.. فلسفة القوة.

- ٢- نماذج تاريخية لفلسفة القوة.
- ٣- عالمية الأديان... منطق الإيمان.
- ٤- كيف للإسلام أن يوقف العولمة.

المحور الأول: العولمة.. فلسفة القوة

والكلمتان الاخریان هما «الكوكبة» وقد فضل Globalization العولمة «هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة للكلمة الانجليزية استخدمها البعض «والكونية» التي أسهم في اشاعة استخدامها كثرة من الكتاب العرب؛ والعولمة في اللسان العربي من «العالم» ويتصل بها فعل «عولم» على صيغة «فعل» وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية كما ذكر د. ناصر الدين الاسد في بحثه لأكاديمية المملكة المغربية؛ وقد ورد فعل «عولم» بمعنى ضعف؛ وجرى استخدام كلمات «قولة» و«بلورة» و«حوسبة» حديثاً ونلاحظ على دلالة هذه الصيغة أنها تفيد وجود فاعل يفعل^٢ ولكن الشيوخ حسم استخدام واحدة من كلمتي «العولمة» و«الكوكبة» ثم كانت الغلبة «للعولمة» لشيوخ استخدامها هذه الفترة^٣.

دلالة المصطلح

كثيرة هي التعريفات التي طرحت لشرح دلالة «العولمة» ومفهومها وقد ركز غالبها على العولمة الاقتصادية والسوق؛ ومنها تعريف اللجنة الاوربية في عام ١٩٩٧ الذي يقول «العولمة يمكن أن تعرف بأنها العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة تعتمد كل منها على الاخرى بشكل متزايد بسبب ديناميكيات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتكنولوجيا وهي ليست ظاهرة جديدة ولكنها استمرارية للتطورات التي تتابعت لفترة طويلة» وقد علق جراهام طويسون على هذا التعريف بقوله «ربما نكون بحاجة الى تعريف وتحديد أوضح للعولمة يبين أوجه الاختلاف بين ما نطلق عليه الاقتصاد العالمي على مستوى الكوكب والاقتصاد العالمي

بمفهوم التدويل، فهذا الأخير يمثل هيكلاً جديداً للعلاقات الاقتصادية غير المندمجة قومياً وهو اقتصاد يعمل من أعلى وبشكل مستقل عن الاقتصاديات القومية ووكلائها ويحدث تأثيره فيهم ويطبعمهم بصيغة معينة وشكل معين وهو يشتملهم داخل ديناميكيته وسوف يكون اقتصاداً يتخلص من عنصر التوجيه، ويجسد الخصائص الأساسية لقوى السوق غير المنتظمة والتي لا يمكن السيطرة عليها»^٤.

ان العولمة تعني الاندماج الكامل لمختلف دول العالم عبر نموذج يستعمل السوق والتجارة والمال والتقنية والغزو الإعلامي لفرض زعامة أصحابه «وهيمنتهم»^٥. وهذه التعريفات أعطت أهمية للجوانب الاقتصادية والمعلوماتية، وأنها تبقى مغشوشة لا تفي بالغرض، نظراً لأن العولمة تبدو من خلال الممارسة اليومية وكأنها لا تقتصر على هذه الجوانب فقط، وكأن قوى الهيمنة تستعملها أداة للتأثير مادياً ومعنوياً على عناصر الوجود والبقاء للدول والشعوب والحضارات، يضاف الى ذلك ان العولمة لم تأت من عدم؛ وأنها قامت على أنقاض أوضاع تاريخية معينة وهذه ملاحظات حيوية يستحق أخذها في الاعتبار وهي تدعونا بعد النظر للجانب الاقتصادي في العولمة الى النظر في الجوانب الاخرى الثقافية والسياسية والاجتماعية والحضارية بعامة كما تدعونا الى استحضار الجذور التاريخية للظاهرة والى التمييز بين العولمة والعالمية.

وصف ظاهرة العولمة

الذي قدمته لجنة أممية حول «حاكمية قيادية Our Global Neighbourhood» في وصف الظاهرة نستذكر ما جاء بشأنها في تقرير «جوارنا الكوني كوكبية» في ١١/١٩٩٤ «أنها تحرك متسارع نحو عالمية متكاملة عزز إلغاء القيود التنظيمية، والتفاعل مع التغيرات المتسارعة في تكنولوجيا الاتصالات والحاسب؛ وقد إقترن بهذا التحول الحديث في النشاط الاقتصادي العالمي عديد من الانشطة الاخرى لا تتسم بطابع حميد بما في ذلك تجارة المخدرات والارهاب ونقل المواد النووية فقد تمت عولمتها أيضاً؛ وأسفرت الأنماط المتغيرة للنمو الاقتصادي خلال العقود الأخيرة عن أقطاب جديدة

محركة، فقد أزاحت ألمانيا واليابان اللتان هزمتا في الحرب العالمية الثانية كلا من المملكة المتحدة وفرنسا من زمرة النخبة الاقتصادية، وبدأ الاتحاد الأوروبي يباري الولايات المتحدة قوة اقتصادية، وأخذت مناطق جديدة لتذبذب صور لتعاون دولي منع عودة الأمراض التقليدية للظهور ولمكافحة انتشار مرض نقص المناعة؛ وقد نجح هذا التعاون في محاصرة مرض الجدري توطئة لاستئصاله وكذلك السل الرئوي والكوليرا ومع ذلك أدى التقدم التقني الى جعل الحدود الوطنية مسامية بدرجة أكبر، فالدول تحتفظ بسيادتها لكن الحكومات عانت من تآكل سلطاتها، فهي الآن على سبيل المثال أقل سيطرة على انتقال الأموال أو المعلومات عبر الحدود، وهي توجه ضغوط العولمة على أحد المستويات، كما توجه على مستوى آخر حركات الجماهير التي تطالب بنقل سلطات المركز الى الأقاليم، الامر الذي يؤدي أحياناً الى تفكك النظام العام وانهيار المؤسسات في مواجهة تفشي العنف^{٦٣}.

بين العالمية والعولمة

يمكننا في ضوء ما سبق أن نميز بين «العالمية» و«العولمة» وأن نلاحظ التحولات التي أدت الى الانتقال من الأولى الى الثانية؛ وقد ارتبطت هذه التحولات التي شهدتها أوروبا منذ ذلك الحين بتقدم تقنية الاتصال والتجارة منذ اختراع البوصلة وحتى الأقمار الصناعية ولكن أشياء جديدة مهمة طرأت في الثلاثين سنة الأخيرة أبرزها في ثوبها الجديد الحالي «تمثل بمجموعها ظاهرة العولمة فضلاً عن التغير في مركز الدولة الذي استمر مع الدولة القومية منذ نشوئها، هناك انهيار أسوار عالمية كانت تحتمي بها بعض الأمم، والزيادة الكبيرة في درجة تنوع السلع والخدمات التي يجري تبادلها بين الأمم، وكذلك تنوع مجالات الاستثمار التي تتجه اليه رؤوس الأموال، وارتفاع نسبة السكان في داخل المجتمعات التي تتفاعل مع العالم الخارجي وتتأثر به، وازدياد تبادل المعلومات والأفكار بين الدول حتى أصبح العنصر الغالب في علاقتها وبروز دور الشركات متعددة الجنسيات في ذلك كله».

يتضح مما سبق أن هناك فرقاً بين «العالمية» و«العولمة» وقد أوضحنا أن العولمة فيها عنصر (الفرض) بهدف «الهيمنة» وقد قال بوجود هذا العنصر علماء كثيرون، منهم أولئك الذين شاركوا في المؤتمر الدولي للثقافة الذي انعقد في ١١ / ٢٠٠٠ حيث جاء في إعلان القاهرة أن المشاركين تناولوا «العالمية كعملية مستمرة ومتطورة ومتعمقة يتفاعل في خضمتها الكل مع الجزء والعكس، وتجري أثناءها عمليات عميقة من التأثير والتأثر والأخذ والعطاء بين ثقافات الشعوب بكافة مظاهرها»^٧.

هذا الفرق بين العالمية والعولمة حدا بجان بود ليرلارد الى القول «إن العولمة لا تسير بخط مواز مع العالمية. فالواحدة منها تنفي الأخرى، فالعولمة تخص التقنيات والسوق والسياحة والمعلوماتية. والعالمية تخص القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافة الديمقراطية» وذلك في مقالة «العولمة والعالمية» في جريدة ليبراسيون ١٨ / ٣ / ١٩٩٦^٨.

المحور الثاني: نماذج تاريخية لفلسفة القوة

يرى كثير من الباحثين أن الجذور التاريخية لظاهرة العولمة الاقتصادية تعود الى رحلات الكشف الجغرافي الاوربي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبرزت الرأسمالية في أوروبا الغربية وظهور الدولة القومية في القرن السادس عشر، ولكن الأمر أبعد من هذا لأن الدفعة الإستعمارية داخل الإنسان جعلته يفلسف لنفسه إحتلال الشعوب عامداً على إذابتها في جغرافيته السياسية وتكوينه الثقافي؛ على أن الغالب هو الحاكم بقوته العسكرية وثقافته المحلية التي يريد جعلها عالمية؛ وسوف نقتصر في تلك المحاولات على ثلاث فقط تختصر الفكر البشري الذي يؤثر الهيمنة ويفلسف لها؛ وهي محاولة الإسكندر الأكبر (نموذج القوة المفرطة)؛ وفكر سان سيمون الذي حاول توحيد العالم ونادى بإنشاء حكومة عالمية في بدايات العصر الإستعماري؛ ثم الشيوعية التي جعلت ما يقرب من نصف سكان الأرض يدين بها لما يقرب من ثلاثة أرباع قرن؛ مع ملاحظة أن المحاولات الثلاث التي سنذكرها ليست الوحيدة في التاريخ الانساني فكثيرون من قادة وملوك دوحوا العالم واشعلوا الحروب سواء للتحكم والسيطرة ونزعة

الشعوب بالعظمة؛ فلا ننسى ما فعله جنكيز خان وخلفاؤه من المغول من قتل الناس وتدمير الممتلكات الحضارية للشعوب التي وقعت تحت سيطرتهم؛ كما لا ننسى ما فعله الرومان سواء في العصر الوثني أو المسيحي ضد الشعوب التي كانت تحت سيطرتهم؛ بالإضافة الى مئات غيرهم في كل عصور التاريخ من نبوخذ نصر الى نابليون وهتلر مروراً بكورس وقمبيز وتبع الحميري اليمني وغيرهم من الذين حاولوا إضافة أرض الى ممتلكاتهم؛ ولكن يظل ذلك مرتبطاً بالفكر الغالب فمثلاً كما سنرى أن الشيوعية كفكرة لم تكن من ماركس وأنجلز بل لها وجود فكري من ماني؛ لأن المحرومين من البشر يسعون خلف من يساوي بينهم وبين الأغنياء أو المتكبرين؛ ولعل ذلك من أول الأسباب التي روجت لانتشار الشيوعية في العالم؛ ولكن شبه المؤكد أن كل هذه الحركات العسكرية والفكرية جاءت خالية من الروح الإيمانية فانحسر دورها وأثرها؛ فالشيوعية سقطت من الحكم وإن ظلت في عقول البعض؛ وفكرة سان سيمون عن الحكومة العالمية لها وجود في هيئة الأمم المتحدة؛ ولكن المنظمة الدولية لم تمنع حرباً ولم تكبح هيمنة؛ بل في أكثر أحوالها تعطي غطاء للإحتلال ونزف ثروات الشعوب ونرى أن معظم الحالات الإستعمارية القديمة والحديثة قامت على أفكار موجودة عند معظم الشعوب؛ ولكن الذي طبقها بقسوة وما يزال هو الفكر الغربي منذ الأسكندر وحتى ما يقولون عنهم المحافظين الجدد بأميركا نقول ذلك ولا نقصد نقد الغير لتبرئة النفس كما سنرى.

١ - الاسكندر الأكبر المقدوني: فلسفة القوة المفرطة

التاريخ لتاريخ الاسكندر الأكبر يؤكد أن مفهوم العولمة أو الأممية أو العالمية كان له تراث انساني ممتد مختلط بالدين والاستبداد السياسي أو الفكر الفلسفي في وقت واحد، فبلاد الاغريق التي خرج منها الاسكندر الأكبر ابن فيليب ملك مقدونيا الذي كان له الفضل في توحيد المدن الإغريقية جميعاً تحت لوائه في دولة موحدة؛ كانت تلك البلاد هي أول منطقة في أوروبا كلها تصلها الحضارة ربما لقرىها من مصر وحضارات الشرق القديم، ولقد جربت بلاد اليونان في تطورها الحضاري أنماطاً فريدة من النظم السياسية

لم يكن لها شبيه في العالم القديم ومن أبرز هذه النظم نظام المدينة الحرة وكانت كل مدينة دولة مستقلة حرة؛ وجربت هذه المدن الحرة كل نظم الحكم التي عرفها الناس من ديكتاتورية مستبدة الى ديموقراطية شعبية غوغائية ودار بين هذه المدن صراع وحشي مرير ورهيب حتى أن مدينة مثل أسبرطة إحدى هذه المدن لكي تحصل على شباب قوي يكون عماد جيش قوي كانت السلطة فيها تأخذ كل مولود جديد فتلقيه فوق الجبال ثلاثة أيام كاملة فإن مات المولود فليس على مثله تبكي البواكي لأنه لو عاش سيكون نسلًا ضعيفاً لا ينفع في خضم هذه الصراعات؛ وإن قاوم البرد والجوع وعاش أخذ وأسعف وتولته الدولة في معسكرات لتنشئهم على تربية عسكرية صارمة ومن بنود هذه العسكرية تعليم السرقة بجانب فنون القتال الأخرى فالمقاتل في رأيهم لابد أن يكون مشاكساً خبيثاً ملتوي الطباع؛ ولقد دوخت هذه المدينة كل جيرانها من المدن اليونانية الأخرى بهذه النوعية من أشرس المقاتلين حتى ظهر الملك فيليب ملك مقدونيا وأبو الاسكندر فأخضع هذه المدن ووحدها تحت لوائه^٩.

وعلى الجانب الشرقي من العالم خارج اليونان كانت الإمبراطورية الفارسية تطوي تحت سلطانها كل شعوب الشرق القديم وعلى رأسها الملك دارا ذلك الملك الذائع الصيت وقد هدد الفرس بلاد اليونان وأصبحوا خطراً داهماً عليهم وأعدى أعدائهم؛ وفي خضم هذا الصراع الداخلي والخطر الخارجي ظهر الاسكندر وظهر أعظم فلاسفة اليونان أيضاً مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو، وازدهر الفكر واحتدم النقاش ولا شيء يصوغ الامم ويحرك وجدانها مثل الصراع والخطر؛ تقدم الاسكندر بجيشه الموحد صوب الشرق ليحسم الصراع مع الفرس ولقد كان الاسكندر ذلك الفتى اليافع البالغ الذكاء والذي لم يكن يبلغ العشرين من عمره يحمل على كتفيه وفي عقله بجانب فكرة الانتقام من الفرس كل طموحات اليونان وفكر الفلاسفة العظام كأنه أحد أنبياء العالم القديم وبجانب الاصرار على دحر الفرس؛ كان الإصرار على نشر فلسفة اليونان وفكره المتقدم.

عبر الإسكندر مضيق البسفور والدردنيل الى آسيا الصغرى ومنها الى الشام حيث دارت بينه وبين الملك دارا الثالث إمبراطور الدولة الفارسية معركة هائلة ضارية هي

معركة إسوس في شمال الشام سحق فيها الاسكندر في عبقرية أسطورية جحافل الفرس الجرارة رغم قلة عدده وعدته وقد بالغت المصادر التاريخية في هول المعركة وفي قوة جيش دارا حتى قالت بعض المصادر إن عدد الفرس قد بلغ مليوناً من الرجال^{١٠}.

ولقد هزت هذه المعركة أرجاء العالم القديم؛ فمن كان يتصور أن ذلك الشاب اليافع يمزق جيش دارا ملك الملوك في ذلك الوقت وسيد العالم القديم وبهذه الجرأة والكفاءة؛ ثم إن الاسكندر الذي أراد أن ينشر فكر اليونان ويمزج حضارة الشرق والغرب كرمز لوحدة الشعوب كما علمه أستاذه الفيلسوف العظيم أرسطو أقام عرساً هائلاً بعد هزيمة الفرس زوج فيه ثلاثمائة من ضباطه بثلاثمائة من اميرات فارس كرمز لهذا المزج والتطبيق العملي لفكر اليونان في وحدة الشعوب^{١١}؛ ثم انطلق الإسكندر فاحتل مصر وانطلق الى آسيا من جديد حتى وصل للهند وحدود الصين؛ وعاد من نفس الطريق واتخذ بابل المدينة القديمة لتكون عاصمة ملكه العالمي لأنها تقع في المنتصف تقريباً، وهي المدينة التي مات فيها؛ يقول وول ديورانت: «في ذلك الوقت» فقد قضى على عهد دول المدن، وأنشأ بعد التضحية بقسط غير قليل من الحرية لهذه المدائن نظاماً أوسع رقعة وأعظم استقراراً من أي نظام عرفته أوروبا قبل عهده وقد ظلت الفكرة التي قامت بذهنه عن الحكم، الحكم الاستبدادي الذي يستعين بالدين لفرض السلم على أمم مختلفة الأعجناس والألوان، ظلت هذه الفكرة هي المسيطرة على أوروبا حتى العصر الحديث عصر القومية والديمقراطية وقد حطم الحواجز القائمة بين اليونان، «البرابرة» ومهد السبيل لعالمية العصر الهيلنستي، وفتح آسية الدنيا للاستعمار اليوناني، وأنشأ في بلاد الشرق مستعمرات يونانية وصلت في هذا الاتجاه الى بكتريا في شبه القارة الهندية، وجمع عالم البحر الابيض المتوسط الشرقي في نظام تجاري موحد واسع النطاق شجع التجارة وأطلقها من قيودها، ونقل الآداب والفلسفة والفنون اليونانية الى آسية ومات قبل أن يدرك أنه مهد السبيل لذلك الانتصار الديني العظيم الذي ظفر فيه الشرق بالغرب، ولقد كان ارتداؤه الملابس الشرقية وتحوله الى الاساليب الشرقية بداية انتقام آسية من أوروبا^{١٢}.

ولكن ما أن مات الإسكندر حتى هبت الشعوب للحصول على إستقلالها وحصلت فعلاً على ذلك الإستقلال؛ وورث قواده ما بقي من إمبراطوريته وأسسوا دولاً سلوقية وبطلمية في الشام ومصر وبقايا الدولة في اليونان ومقدونيا؛ تعتمد هذه الدول ثقافات مختلطة بين الهيلينية وثقافات البلاد الأصلية؛ ولكنها أبداً لم تكن ثقافة عالمية كما أراد الإسكندر وفلاسفة اليونان؛ وفشلت محاولة الإسكندر وإن ظلت فكرته تروق من جاء بعده من ملوك الأرض جنكيز خان وهولاكو؛ ولكن أوروبا اعتقدت أنها يجب أن تسيطر على العالم القديم لاستكمال مسيرة الإسكندر؛ وتكررت المحاولات والمساعي العسكرية والفكرية؛ في عهد الوثنيات وعهد الأديان جميعاً.

٢ - سان سيمون.. فكرة الحكومة العالمية.. القوة الناعمة

كان من ثمار النهضة الأوروبية تراكم رأس المال وكثرة المنتجات وحاجة الدول الأوروبية للمواد الخام، فكانت بداية الحملات الاستعمارية على دول الشرق، وارتبط ذلك في اللاوعي الغربي بمحاولات الإسكندر ومن جاء بعده وبالعداء التقليدي للإسلام الممتد من خلال الحروب الصليبية، وكان ذلك كله في ظل وجود نظام الاقطاع التاريخي المطبق في الدول الأوروبية الى جانب الاستبداد الكنسي والإمبراطوري جميعاً، فكان لا بد من وجود فلسفة عالمية لا تخوض الحروب على أساسها من منطلقات دينية، ولكن من منطلقات شعارات الأخوة والمساواة والعدالة وهي الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية.

في ذلك الوقت كانت فرنسا تموج في حالة من الفوضى العقلية والخلقية والشعور بخيبة الأمل أمام فشل الثورة الفرنسية في تحقيق شعارات العدالة والحرية التي نادى بها فلاسفة الثورة ولكنها تحولت على أيدي الطغمة الارهابية الى مصدر للتعاسة والنشأ؛ وفي خضم هذا الحشد الفكري برزت فلسفة «سان سيمون» الذي بدأ حياته باحثاً في علوم الاجتماع وانتهى الى كونه أحد فلاسفة هذه العلوم حتى اعتبره بعض الباحثين المنشئ الحقيقي لعلم الاجتماع الحديث.. ويكفي لتقويم مكانته أن العالم المرموق



«أوجست كونت» كان سكرتيراً له ومشاركاً له في أبحاثه العلمية^{١٣}. ونشأ «سان سيمون» منذ طفولته متمرداً على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية نائراً على الظلم الاجتماعي الذي تفشى بعد سقوط الثورة في أحاييل الدكتاتورية فعكف على دراسة العلوم البحثية كالرياضة والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء وتوقف مبهوراً أمام انجازات العلامة الانجليزي «اسحاق نيوتن» فاتخذ منه نبياً لدين جديد هو دين العلم أو دين نيوتن ودعا الى قيام مجتمع جديد تكون السلطة العليا فيه للعلماء والفنانين ورجال الصناعة، والصناعة عنده لا تعني الميكنة واستخدام الآلة وإنما تعني العمل المنتج في كافة صورة؛ فالعمل اليدوي صناعة والعمل الاداري والتنفيذي صناعة والعمل التجاري والزراعي صناعة سواء بسواء، ومالك الأراضي أو العقار وصاحب رأس المال لا يعد صانعاً إذا قام بإدارة اعماله؛ ودعا الى استخدام الموسيقى كوسيلة من وسائل التثقيف الخلقي والصناعي وطلب من الشاعر «روجيه دي ليل» مؤلف نشيد «المارسيليز» أن يؤلف «لحن الصناع» ليؤديه العمال أثناء العمل ورأى أنه من الضروري إعداد جيل من العلماء الذين سوف يتولون مقاليد الأمور في المجتمع وأخذ يشجع الشباب المثقف لارتياذ بيته فتكونت منهم الجماعة الاولى لرواد الحركة الفكرية في القرن التاسع عشر وبعضهم حمل لواء «السان سيمونية» العامة وكانت ثقته كبيرة في مقدرة وكفاءة «نابليون بونابرت» وكان يتوقع منه انتهاء الفوضى التي خلفتها الثورة ولكنه انقلب على بونابرت بعد أن كشف عن وجهه الديكتاتوري وانحرف عن مبادئ الحرية وصار من ألد خصومه وتعرض «سان سيمون» الى مطاردة أجهزة الأمن والسجن فعاد الى أبحاثه ودراساته الفلسفية طوال السنوات الخمس الاخيرة من حياته وانتهى الى البحث عن وسيلة للنهوض بالإنسانية الى أسمى درجات الكمال عن طريق وحدة المعرفة الإنسانية وقيام حكومة موحدة لإدارة شؤون الإنسانية تسند الى هيئة من العلماء والفنانين المنتجين الذين يؤجرون عن طريق الاكتتاب العالمي ويطلق عليها اسم «مجلس نيوتن» وفي زعمه «ان الله قد أوجد نيوتن بجانبه وأسند إليه ادارة شؤون البرية» واستغرق في تأملاته وشطحاته حتى خيل اليه ان الله يحدثه ويوصي اليه بفكرة الديانة الجديدة فيقول له: إن مجلس

نيوتن سوف يمثلني على الارض فيقسم الإنسانية الى أربعة أقسام يطلق عليها إنجليزية وفرنسية وإيطالية وألمانية وسيكون لكل قسم من هذه الأقسام الأربعة مجلس يتكون على غرار المجلس الرئيسي وسوف يرتبط كل فرد في العالم مهما كان موطنه بأحد الأقسام وبالمجلس الرئيسي وبمجلس القسم الذي يتبعه ويرى بعض الباحثين أن هذه الفكرة هي البذرة الأولى لإنشاء منظمة دولية تمثلت بعد ذلك في عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وهيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

ومن فكرة الحكومة العالمية انطلق «سان سيمون» الى المجتمع العالمي المثالي الذي يقوم على التعاون والإخاء والاستقرار بدلاً من السيطرة والتسلط وان ترتبط قارات العالم عن طريق القنوات المائية ومنها قناة السويس؛ وإذا كان «سان سيمون» لم يشهد تحقيق هذا الحلم إلا أن اتباعه جعلوا من مشروع قناة السويس الهدف الاسمي لنشاطهم وشدوا الرحال الى مصر لتنفيذ الفكرة التي اعتنقوها عن ايمان يثير الدهشة وكان الأب «بارتلمي بروسبر انفانتان» اكبر هؤلاء المريدين وهو الذي قاد الحركة الفكرية «السان سيمونية» بعد وفاة مؤسسها عام ١٨٢٥ وتعرض لمحن قاسية نتيجة اخلاصه وتحمسه في تنفيذ مبادئ استاذة أو رسول الإنسانية - كما كان يسميه - وسيطرت على عقله فكرة الذهاب الى مصر بإعتبارها ارض المستقبل مثلما كانت مهد الحضارة في الزمان الغابر وخلال الفترة التي قضاها «انفانتان» في سجن «سان بلاجي» في باريس تولدت في ذهنه فكرة الرحيل الى مصر فكان يستيقظ من نومه هاتفاً: الشرق.. تلك الكلمة الساحرة المليئة بالضياء والغموض.. الشرق الغامض غموض الصحراء.. الشرق معناه مصر والقناة التي ستربط العالم بأسره.

وفي اليوم الذي غادر فيه «انفانتان» السجن كتب مخاطباً مصر: غادرت سجنني في الغرب وسأضع نفسي في خدمتك؛ والتف حوله خلق كثيرون من الذين آمنوا بأفكار «سان سيمون» الذين يتميزون بارتداء السراويل البيضاء والقمصان الحمر ويطوفون الشوارع لدعوة زملائهم للسفر الى مصر ليضعوا فئهم وخبرتهم تحت إمرة حاكمها محمد علي مدفوعين بحافز إنساني (كما روجوا) هو وصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر

ويجعلون من هذا الاتصال وسيلة للتقارب الثقافي والأخلاقي والاقتصادي بين الشعوب.

وصلت الدفعة الأولى من أتباع سان سيمون إلى الإسكندرية في شهر سبتمبر ١٨٣٣ وعلى رأسها الأب «انفانتان» على ظهر سفينة ترفع على ساريتها علم مدرسة «سان سيمون» وتضم عدداً من الخبراء والمتخصصين في كافة العلوم ولدى وصول السفينة إلى ميناء الإسكندرية أعلن «انفانتان»: نعم إنني جئت إلى مصر لأقوم بتوصيل البحرين بعضهما ببعض وتدعيم اتجاه عزيز مصر - محمد علي - الدكتاتوري في إلغاء الملكية الوراثية في الأرض الزراعية^{١٤}.

لم يفلح سان سيمونيون في شق قناة السويس إلا بعد موت محمد علي أو في حياة إسماعيل؛ والذي يعني هنا أن شق القناة لم يكن إلا بهدف ربط العالم القديم بعضه البعض؛ ولا يتحقق ذلك إلا بطرق المواصلات لربط فارس والهند والصين بأوروبا للتبشير بثقافة إنسانية واحدة؛ ومن جديد نجد أن هذه المحاولة فتحت الطريق ليس لربط العالم بل بجعل أوروبا تستعمر العالم خلف نفس الثقافة التي تخلو من الإيمان وتعتقد أنه بالقوة يمكن الإستعمار وإذابة الشعوب المفتوحة في الثقافة الغالبة؛ لم تتمكن أفكار سان سيمون في تحقيق الوحدة بين الشعوب؛ ولكنها كانت الوسيلة في احتدام الهيمنة الإستعمارية وشن الحروب؛ والمثير أنه بدلاً من أن تنتشر فكرة العالم الموحد ظهرت فكرة الدولة القومية؛ وهي الفكرة التي صاغت حياة كل الشعوب حتى اليوم؛ لأن الدولة القومية حلت بدلاً عن الدولة الدينية التي سادت العالم في العصور الوسطى؛ وما بقي من سان سيمونية وغيرها من الأفكار المماثلة فكرة وجود حكومة عالمية أو مشروع منظمة تكون فيها كل الدول القومية أعضاء فيها؛ وهو ما حدث فقد سقطت الخلافة العثمانية؛ لأنها آخر المنظمات التي عاش المسلمون فيها في سيولة سياسية نادرة رغم كل العيوب والإستبداد باسم الدين ودخولها في حروب مع غيرها من المسلمين الفارسيين كما سنرى؛ ثم ظهر بعد سقوطها عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة؛ والأخيرة ربما ورثت فكر سيمون؛ ولكن اتخذت القوى المهيمنة عسكرياً وعلمياً تلك المنظمة للتبشير



بالقوة الناعمة والغاشمة؛ وأخيراً بالعلامة.

٣- الشيوعية.. عولمة الإلحاد

اكتشف ماركس أو أتم اكتشاف القوانين الطبيعية التي تتحكم بحركة المجتمع في النظام الرأسمالي ووضع الاقتصاد السياسي للنظام الرأسمالي في جميع مؤلفاته وخصوصاً في موسوعته الكبرى «رأس المال»، وبين أن تطورها كان تطوراً طبيعياً رافق تطور المجتمع منذ نشوئه حتى ظهور المجتمع الرأسمالي وهو ما سماه المادية التاريخية؛ وطبيعي أن كارل ماركس لم يستطع ان يكتشف القوانين التي ستنشأ في مستقبل تطور النظام الرأسمالي؛ فكانت مهمة لينين اكتشاف القوانين التي نشأت مع تحول النظام الرأسمالي من مرحلة المنافسة الحرة وفوضى الانتاج الى مرحلة الامبريالية فكانت هذه القوانين الجديدة التي اكتشفها لينين ما نسميه اللينينية؛ وكما هو الامر في جميع العلوم اصبحت اللينينية جزءاً لا يتجزأ من الماركسية ولا توجد ماركسية بدون اللينينية. وطبيعي ان لينين هو الآخر لم يستطع اكتشاف القوانين التي نشأت بعد وفاته نتيجة نشوء المجتمع الاشتراكي إلا بأشكال أولية؛ كانت مهمة ستالين اكتشاف القوانين الجديدة التي نشأت مع نشوء المجتمع الاشتراكي وأصبحت هذه القوانين جزءاً لا يتجزأ من الماركسية لا يمكن تجاهلها أو فصلها عن علم الماركسية؛ فعلم الماركسية هو جميع القوانين التي اكتشفها ماركس وانجلز ولينين وستالين وهي تتضمن القوانين الاجتماعية الاخرى التي تنشأ في المستقبل أياً كان مكتشفها؛ وعلى كل حال فإن الشيوعية جاءت تغازل خيال المستضعفين وتلغي الملكية التي كانت سبباً في الحروب بين الطبقات؛ فعلى أي شيء يتصارع الناس بعد إلغاء الملكية؟؛ كما ذهبت الى القول بأن الأديان تفرق الناس أيضاً فدعت الى الإلحاد؛ لأن الإلحاد يجمع الناس والأديان تفرقهم؛ كما أن الدين افيون للشعوب المقهورة لأن الحكام يتخذون منه مطية للإستبداد والقهر والظلم.

الدين عند مفكري الشيوعية

إن من شأن قراءة متأنية لمجمل فقررة ماركس التي يظهر فيها تعبير «الدين أفيون الشعوب» أن تبين أن كاتبها أكثر إدراكاً لدرجات الألوان مما هو شائع عنه فهو يأخذ في اعتباره الطابع المزدوج للدين: «إن الهم الديني هو في الوقت نفسه تعبير عن هم واقعي واحتجاج على هم واقعي؛ إن الدين هو آهة الخليفة المضطهدة، هو قلب عالم لا قلب له، مثلما هو روح وضع بلا روح؛ إنه أفيون الشعوب»^{١٥}.

وإذا ما قرأنا مجمل البحث الذي ترد فيه هذه الفقرة - والذي يحمل عنوان «نحو نقد لفلسفة الحق الهيجلية» والمكتوب في عام ١٨٤٤ - فسوف يتكشف لنا بوضوح أن رأي ماركس يدين للهيجلية الجديدة اليسارية، التي اعتبرت الدين اغتراباً للجوهر الإنساني، بأكثر مما يدين لفلسفة التنوير التي ترجع إلى القرن الثامن عشر والتي أدانت الدين بوصفه مؤامرة إكليريكية لا أكثر ولا أقل.

والواقع أن ماركس عندما كتب الفقرة الآتفة كان لا يزال تلميذاً لفيورباخ، هيجلياً جديداً. ومن ثم فإن تحليله للدين كان «قبل ماركس» لا يتميز بأية إحالة طبقية على أنه مع ذلك جدلي لأنه قد استوعب الطابع المتناقض للظاهرة الدينية: فهي في بعض الأحيان تمثل إضفاء للشرعية على المجتمع القائم وهي في بعض الأحيان تمثل احتجاجاً عليه؛ ولم تبدأ الدراسة الماركسية المحددة للدين بوصفه علاقة اجتماعية وتاريخية إلا فيما بعد - خاصة مع مخطوط «الأيديولوجية الألمانية» (١٨٤٦)^{١٦}.

وقد تضمنت تلك الدراسة تحليلاً للدين بوصفه أحد الأشكال الكثيرة للإيديولوجية، الإنتاج الروحي لشعب ما، إنتاج الأفكار والتمثيلات والوعي - والتي تعتبر كلها بالضرورة مشروطة بالإنتاج المادي والعلاقات الاجتماعية المتناسبة معه، على أن ماركس، منذ تلك اللحظة فصاعداً، لم يول اهتماماً كبيراً للدين بصفته هذه، أي بصفته كوناً ثقافياً / أيديولوجياً نوعياً للمعنى.

وانجلز أبدى لفردريك اهتماماً بالظاهرة الدينية وبدورها التاريخي يفوق اهتمام ماركس بهما بكثير؛ وتتمثل مساهمة انجلز الرئيسية التي قدمها إلى الدراسة الماركسية

للأديان في تحليله لعلاقة التمثيلات الدينية بالصراع الطبقي. وفيما وراء المناظرة الفلسفية (المادية ضد المثالية) حاول فهم وتفسير التجليات الاجتماعية الملموسة للأديان؛ فالمسيحية لم تبدُ في نظره (مثلما كانت تبدو في نظر فيورباخ) بوصفها «جوهرًا» منفصلاً عن الزمن، بل هي تبدو بوصفها شكلاً ثقافياً يتعرض لتحولات في العصور التاريخية المختلفة؛ فهي تبدو في البداية بوصفها ديانة للعبيد، ثم بوصفها أيديولوجية ملائمة للهيكلية الإقطاعية وأخيراً بوصفها أيديولوجية تتميز بالتكيف مع المجتمع البورجوازي؛ وهي تظهر من ثم بوصفها فضاء رمزياً تتنازع عليه قوى إجتماعية متناحرة^{١٧}: اللاهوت الإقطاعي والبروتستانتية والبورجوازية والهرطقات الشعبية وفي بعض الأحيان كان تحليله يزل في اتجاه تفسير نفعي ذرائعي، بشكل ضيق للحركات الدينية: «... وإن كل طبقة من الطبقات المختلفة تستخدم الدين الملائم لها... ولا أهمية تذكر لما إذا كان هؤلاء السادة يؤمنون بالأديان التي يتبناها كل منهم أم لا»^{١٨} ويبدو أن انجلز لا يرى في صور الإيمان المختلفة غير «الستار الديني» للمصالح الطبقيّة.

ويرى انجلز أن الفارق بين الحركتين يتمثل في أن المسيحيين الأوائل قد نقلوا الخلاص إلى الآخرة بينما تتصوره الاشتراكية في هذا العالم الدنيوي ولكن هل يعتبر هذا الفارق واضحاً بالدرجة التي يبدو بها للوهلة الأولى^{١٩}؟

استطاعت الشيوعية أن تنتشر انتشاراً هائلاً بين شعوب الأرض؛ وتمكنت من حكم أوروبا الشرقية والصين والدول الإسلامية التاريخية بوسط آسيا ودول أخرى في كل القارات ناهيك عن انتشارها في كل الحركات التي كانت تسمى بالتقدمية حيث جذب لواء العدالة الاجتماعية والجماهيرية الذي رفعته الاشتراكية (وهو الاسم البديل للشيوعية في الدول الإسلامية والتي اتخذها بعض حكام المسلمين نظرية اقتصادية باسم الدين)^{٢٠} عدداً كبيراً من المفكرين والشعوب المحرومة؛ وتبنت الدولة السوفيتية شعار الأممية أي أن الشيوعية كانت عولمة بأيديولوجية شمولية تغلغلت في النفوس حتى سقط الإتحاد السوفيتي؛ وسقطت معه الشيوعية؛ وإن ظلت النظرية الجدلية موجودة

في بعض دول أميركا اللاتينية بالإضافة الى الصين؛ ولكن تلك الأخيرة تستهجن حالياً الإقتصاد المزدوج حر وإشتراكي موجه من الدولة؛ والذي يعيننا هنا أن سقوط الشيوعية كان بسبب أمميتها أو عولمتها للفكرة الشيوعية؛ وبسبب أيضاً محاربتها للأديان جميعاً الذي هو ضمير الشعوب؛ وإن كان يحسب للشيوعية أنها أظهرت العداء جهرًا للأديان^{٢١}؛ وليس مثل الذين يفعلون مثلها ولكن باسم الدين؛ وتلك آفة للجميع.

المحور الثالث: الأديان... منطق الإيمان

جاءت الأديان السماوية لتتقذ الإنسان من تصورات الخاطئة عن الألوهية؛ كما جاءت بحرية الإنسان الشاملة؛ لمنع أي تسلط مفروض عليه من الملوك أو الكهنة أو مفسري الأديان ذاتها؛ الدين جاء معتمداً على العقل والقلب؛ ليكون الفاتحون لأي أرض يعلمون أن الله تعالى يأمرهم بعدم فرض الدين بالقوة بل بالإيمان؛ من منطلق الروح لا بصولجان القوة وفلسفة الاستبداد لأن الإنسان البشر هو الخليفة لله في الأرض؛ فالأديان حسمت مسألة خلافة الأرض التي عليها خلق الله الإنسان ليعمرها؛ ولم يترك الله الفكر الإنساني عن الألوهية لعقله وحده؛ ولكن للعقل والروح؛ للتأمل والوجدان؛ ولأن الإنسان لا يدرك الأمور دفعة واحدة؛ فقد سارت البشرية في تطورات في النظرة الى قضية الألوهية حتى وصلت الى مرحلة التوحيد الكامل في المسيرة الإسلامية لأن الإسلام آخر الأديان ونبيه آخر الأنبياء؛ لذا كان تصويره عن الألوهية كاملاً بدون تعسف؛ شاملاً دون إجبار حتى لو كان للدخول في ملكوته؛ ثم جعل الله للإنسان هوية عالمية توائم بين العقل والروح أو بين الفكر والبحث والإيمان؛ لذا سنبداً بالحديث عن التصور الإسلامي لهوية الإنسان العالمية وكيفية بناء الهوية لكل البشر على اختلاف أعراقهم؛ ثم نعرض للهوية العالمية في اليهودية والمسيحية؛ ثم الحديث عن الهوية للإنسان المؤمن في إطاره البشري من المنظور الإسلامي.

الإنسان هو محور اهتمام القرآن الكريم، وعليه تدور آياته الكريمة؛ ولكن الاهتمام بالإنسان كهدف قرآني لا يتطابق مع الفكر البشري الذي يسعى الى الارتقاء بالإنسان لاسعاده مادياً ومعنوياً أو حتى روحياً لأن هوية الإنسان في القرآن خليفة حيث جاءت بالدعوة الى رب العالمين والى الحق الذي يتساوى فيه أبناء آدم وحواء؛ وجاءت بذلك لأن انساناً واحداً خلق الله فيه قوة الروح ما يكافئ العصبية والضلالات جميعاً ويتغلب عليها ويجريها في غير مجراها^{٢٢} وهوية الإنسان كخليفة لا تعني آدم (عليه السلام) وحده فما كان آدم بعينه ليفعل ذلك؛ ولكن الحوار في الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^{٢٣} كان يدور عن الجنس البشري أو الإنسان الذي قرر الله خلقه^{٢٤}، فالخلافة هي مسؤولية عامة لا يجوز لفرد أن يستأثر بها أو أن يحتكر اللقب؛ وإنما يضطلع بها البشر المؤمنون الذين يقبلون التكليف ويتطوعون بتنفيذ إرادة الله بهذا الاستخلاف.. الهوية في القرآن هوية إنسانية عامة تحدد خصائص الإنسان بصفاته التي وضعها الله فيه يوم خلقه؛ بل قبل خلقه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^{٢٥} ومن أجل بناء شخصية انسانية متكاملة حرة ومتميزة وفريدة فقد تطلب الأمر عدة عوامل لبناء الهوية الانسانية العالمية كما جاء بها القرآن على لسان الرسول الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): -

أولاً: عامل عقلي

خلق الله العقل للإنسان وذلك للتمييز بين الخطأ والصواب؛ ومن أجل العقل فقد تطلب حرية الاختيار والتي هي نتيجة للعقل وليست سبباً له والقرآن الكريم حرص على إيقاظ العقل وإطلاق حرية إمعان النظر والفكر الضروري لحرية العقل والتفكير لعدم جبر الإنسان لمعرفة الله إلا بعد تمحيص عقله لان القرآن الكريم كان يخاطب أقواماً ينكرون، وأقواماً يشكون وأقواماً يدينون بالتوراة والإنجيل، ويختلفون في مذاهب الربوبية والعبادة، وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذي نزل فيه وأبناء سائر العصور، ومن أمة العرب وسائر الأمم، فلزم فيه تمحيص القول بالربوبية عند كل خطاب، وقامت

دعوته كلها على تحكيم العقل في التفرقة بين عبادة وعبادة، بين الاله الأحد؛ وتلك الآلهة التي كانت تعبد يومئذ بغير برهان^{٢٦}.

القرآن الكريم حرص من البداية على جعل العقل وسيلة الإنسان لمعرفة الخالق وباقي المخلوقين على السواء فكانت الوحدة تقوم على أساس قاعدة النظرة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وهياً لهذه الخلافة الالهية في الأرض^{٢٧}.

وقد كانت الظروف الإنسانية والحياتية في البداية ملائمة لأن تأخذ هذه النظرة دورها في تحقيق الوحدة واستمرارها باعتبار بساطة الحياة الاجتماعية وعدم وجود التعقيد في ظروفها^{٢٨}؛ فالعقل هو أول عوامل بناء الهوية الإنسانية، لأن الإنسان كما يصوره القرآن الكريم مخلوق مقدس خليفة لله في أرضه، هذه هي مسؤوليته وعليها تتحدد هويته العالمية، وعندما أرسل الله فيما بعد الرسل للأقوام الذين اتبعوا أهواءهم وتنكبوا طريق الهدى فعبدوا أوثاناً وأشركوا مع الله آلهة أخرى، كان هؤلاء الرسل يتبعون طريق العقل أولاً لهداية أقوامهم، فالدين وسيلة لا غاية^{٢٩}؛ وعندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس...﴾^{٣٠} كان الأمر الإلهي تكريماً لبني الإنسان أجمع اعتبر الإنسان المركز والمحور الذي خلق الله من أجله كل المخلوقات، ولأنه كذلك فقد كرمه الله جل علاه ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر...﴾^{٣١} ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾^{٣٢}.

فالخطاب القرآني هو المتميز بانطلاقه من الحقيقة الكاملة، من الجوهر الثابت ليتعامل ويتفاعل بعد ذلك مع الفرع المتغير في الزمان والمكان، أي مع تطور حياة الإنسان والمجتمع، من أجل ذلك تميز القرآن الكريم في التعبير عن مصدر الحقيقة في الإنسان^{٣٣} وأولى هذه الحقائق ارتباط العقل في الإنسان بالوحي الالهي الذي خلق الإنسان وميزه بالعقل، ومجال العقل البحث في أسرار الكون والطبيعة، والعقل مناط التكليف وأساس المسؤولية، به يدرك الإنسان الأمور، وتعطيل القوة العقلية ينتج عنه الجهل من نور العلم الذي هو أساس الإيمان الحق والإعتقاد الصحيح والمعرفة اليقينية، وكتاب الله الكريم مليء بالأحكام والاستدلالات العقلية في ما يتعلق بالأمور الغيبية مثل: ﴿لو كان فيهما

آلهة إلا الله لفسدتا ﴿٣٤﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من اله إذاً لذهب كل اله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض﴾^{٣٥} ومنها ما يتعلق بأمور لا يستطيع العقل القاصر ادراكها، ولكن العقل القاصر هذا يدرك أن قوة أعظم هي التي خلقت وأبدعت وصورت، وهذا لا يتنافى مع التصور العقلي الذي ميز الانسان.

﴿أمن خلق السماوات والأرض﴾^{٣٦}

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾^{٣٧}

﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾^{٣٨}

﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾^{٣٩}

وهي آيات تدل على أن عمليات التعقل والتفكير إستندت على المشاهدة التي هي أقوى الأدلة على التفكير (العقلي)، ولما لا، والله سبحانه أمر الإنسان بطلب البرهان على كل حقيقة تعرض عليه، وقد أخرج القرآن أكثر من مرة أهل الملل المخالفة، واعتبر أن كل كلام لا يعتمد على برهان لا يكون علماً ولا يرمز الى مرتبة العلم بل هو فرض أو تخمين وهو في أحسن الأحوال ظن لا يصل الى العلم^{٤٠}، والقرآن الكريم ينص على:

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾^{٤١}

﴿وقالوا ان هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾^{٤٢}

ثانياً: العامل الارادي لبناء الهوية

حبا الله الإنسان بالإرادة وهي تلك التي تشمل أوجه السلوك الإنساني وتنظيم موقفه وعلاقته بغيره ومجتمعه على كافة مستويات هذا المجتمع بل علاقته بالوجود كله، بكائناته العاقلة وغير العاقلة، لأنه هو الخليفة المتصرف في ملكية الله سبحانه وتعالى بموجب استخلاف المالك له وفي حدود ما قرره المالك جل وعلا، لقد شاءت إرادة الله أن

يختلف الناس وأن تتنوع الحضارات وتتمايز الأمم وتتعدد المعتقدات، لذلك فالقرآن الكريم لم يبشر أبداً بوحدة الجنس البشري في عقيدة واحدة (ولو كانت عقيدة التوحيد) فالقرآن الكريم يقول ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^{٤٣}، للتعارف المتنوع بين شعوب الأرض وقبائلها بكل أديانها ومذاهبها، والاكرم هو الأتقى عند الله وليس عند الانسان، فاراده الانسان تقف عند التبليغ بالتي هي أحسن والانسان المؤمن بالله هو الاكرم، ولكنه ليس الذي يقوم بفرض التوحيد على باقي الشعوب بحد السيف فـ ﴿لا اكراه في الدين﴾^{٤٤}، إن الانسان يتحمل مسؤولية إختياره بإرادته، فلا شك أن وحدة الجنس البشري في فكر واحد وانتفاء اي معارضة أو خلاف ينهي حرية الإرادة، ومن ثم تسقط المسؤولية^{٤٥} لقد حدد الله للانسان إرادته الحرة التي جاءت عبر المحاولات والأخطاء في المسيرة الإنسانية، ولكن الانسان يتوجس من المخالفة، ويندفع غريزياً الى إزالة التعدد إما بالابتلاع أو بالذوبان فيه^{٤٦}، حاولت حضارات ابتلاع المخالفين أو تحويلهم الى مذاهبها وأديانها من خلال التنكيل والتعذيب، وكل الحضارات التي قامت على فكر بشري بشرت بوحدة الجنس البشري بإرادتها وتحت اعلامها وفي ظل فلسفتها التي (اعتقدت) أنها لخير البشرية كافة، وادعت أنها بتحقيق هذا الخير بالقوة المسلحة وإجبار الناس على الدخول في نظامها أو في ملكوت الله، كل هذه الحضارات انتهت بفقر الكيانات المخالفة واستعمارها وإخضاع مصالحهم وتطورهم لمصالحها هي. وما من حضارة استطاعت أن تدخل كل الناس في نظامها لأن ذلك مخالف لإرادة الله، وإرادة الانسان أيضاً التي ترفض القهر والكبت فضلاً عن فرض الرأي بالقوة ولو كان فيه خير بشرية، ولذلك جاءت الآيات القرآنية الكثيرة تؤكد حق الإرادة للإنسان والتي هي أحد عوامل بناء هويته:

﴿فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر﴾^{٤٧}.

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾^{٤٨}؛ القرآن الكريم إذن أعطى الحصانة الإنسانية لإرادة البشر مجتمعين وافراداً هذه الحصانة الانسانية تفرض على الجماعة الصالحة أو المؤمنين الصالحين حماية كل

البشر من الطواغيت أياً كانت دياناتهم لجعل الإرادة الحرة وحدها هي التي تجذب غير المؤمن للإنضمام للجماعة الصالحة حتى لا تنتفي إرادة الإنسان وتعرض المجتمعات للخطر عندما تتعرض لمحاولات الدول الإستعلائية في فرض إراداتها على مقدرات دول أخرى، تحت نفس الشعار القديم وهو هداية البشر وتوحيدهم في مجتمع واحد أو الدخول في دين واحد.

ثالثاً: المنهج التربوي والثقافي لبناء الهوية

﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما رغداً، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين....﴾^{٤٩}

لقد كانت التربية الإلهية لآدم (عليه السلام) هي أول معالم تحديد الهوية الإنسانية، فقد نهى الله آدم عن الإقتراب من الشجرة، وهو نهى إختيار لا نهى إجبار، وإلا لكان اسقاطاً لحرية الإختيار، وقد إقترنت الدعوة القرآنية لكل البشر بالإقتداء بالرسول كمنهج تربوي ثقافي. ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^{٥٠} لقد كان تعليم الله لآدم هو بذرة الثقافة الإلهية للإنسان لكي يكون عالماً بكل شيء بأسمائها وصفاتها، أسماء الإنسان والحيوان والنبات والجماد، علم كامل من الثقافة تميز بها الإنسان لكي يتمكن من عملية الإستخلاف التي بسببها خلقه الله، ولا يمكن للإنسان حسم قضايا الإيمان والكفر إلا بالثقافة التي تميزه عن باقي المخلوقات، الثقافة ومفرداتها هي التي حددت مسيرة الإنسان من أول آدم حتى العصر الحديث، لقد علم الله الإنسان الأسماء والعلوم وحدد لهم طرق الإستفادة من العلوم، ثم منحه نبذات يسيرة في كيفية التعامل مع المخلوقات من باب العلم:-

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾^{٥١}

﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾^{٥٢}

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع.....﴾^{٥٣}

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾^{٥٤}

﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر.....﴾^{٥٥}

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^{٥٦}.

﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾^{٥٧}. واقتترنت الثقافة القرآنية بالتربية الإلهية، فالإفتداء بالرسل أهم وأبرز المعالم التربوية القرآنية التي تحدد للإنسان طريقه نحو الرفاه الإنساني الديني والدنيوي، الإقتصادي والاجتماعي والسياسي، وحرص القرآن الكريم على مخاطبة المؤمنين عند توجيه الخطاب التربوي بيا أيها الذين آمنوا تزكية لهم وتربية دينية تعتمد على العاطفة والتعقل.

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾^{٥٨}.

﴿ذلك بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾^{٥٩}.

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾^{٦٠}.

وفي القصص القرآني أسلوب تربوي يعتمد الحجة والمنطق، يعطي العبرة للمكذبين بالرسل وبدعوتهم الى الاخلاص في توحيد الله وعبادته ليكون بحق الخليفة الذي يستحق شرف الخلافة في الأرض بعد أن سخر له كل ما في الكون لخدمته.

الجماعة المؤمنة التي ستقوم بالتبليغ هي التي ستنفذ المنهج التربوي الذي يفرض التعصب الممقوت، ويرفض تقسيم الناس بسبب الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها.

رابعاً: النفحة الإيمانية لبناء الهوية.. منطق الإيمان

لم يترك الله الانسان لعقله فقط بل منحه دفعة إيمانية قوية، روحانية خالصة تعمر قلبه حتى يتمكن من تقبل الصدمات الحياتية والروحانية التي تواجهه أثناء مسيرة حياته، وهي نعمة الهية للإنسان يقول الحق في قرآنه الكريم: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾^{٦١}، النفحة الإيمانية في القلب الذي يملك الحدس والوجدان والعواطف فإذا كان العقل يفكر في السموات والأرض والكون، ويصل بالتالي الى نعمة الإيمان بخالق الكون، فإن الله يربط على قلبه

هذا الإيمان فلا يعود للتشكك في إيمانه، ولا يصبح العقل مصدر نقمة إن هو فكر في الغيبات الالهية وفي ذات الله جل شأنه؛ فطالما وصل لاقتناع بأن خلق هذا الكون ليس عبثاً؛ تغمره النفحة بأنوارها القدسية فيثبت على الحق الذي هداه الله إليه؛ فيتفرغ العقل لإعمار الكون واستغلال كل موارده لسعادة البشر على اختلاف مللهم ونحلهم.

والنفحة الإيمانية تفطر الإنسان على حب الخير ورفض الظلم ونجدة المظلوم وإيثار الغير على النفس ولو كان بها خصاصة؛ مناط التكليف العقل ومناط الإيمان القلب وهما توأمان متلازمان ضروريان لحياة الإنسان واختياره وهما أساس كل دين إلهي منذ نوح وحتى محمد صلوات الله عليهم؛ والدين عند جميع الأمم أول ما يمتزج بالقلوب ويرسخ في الأفئدة وتصطبغ النفوس بعقائده؛ فهو سلطان الروح ومرشدها فلم يترك الله الإنسان سدى بل اعطاه كل الملكات الفطرية والتعليمية لكي يصل بنفسه الى الحق المبين.

٢- هوية الانسان في التوراة

حددت التوراة هوية الانسان ببركة الرب التي منحها لإبراهيم (عليه السلام) وتلك البركة التي يتبارك بها تميز الإنسان الصالح والإنسان الغير صالح، ففي سفر التكوين خطاب من الرب لإبراهيم ﴿ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض﴾^{٦٢} هذه البركة خرجت من إبراهيم من نسله الاسحاقى والإسماعيلي على السواء وإنتشرت دعوته عبر ذريته من الأنبياء والاصفياء فشملت معظم الجنس البشري؛ والبركة التي ذكرتها التوراة تختص بعقيدة التوحيد التي انحرف عنها البشر حتى اغرقهم الله بالطوفان أثناء نبوة نوح (عليه السلام)؛ لذا كان وجود شعب كامل يدين بعقيدة التوحيد الإبراهيمية ضرورة لازمة لكي تنتشر دعوة ابراهيم عبر ذريته؛ وهذا ما يتفق وما جاء في القرآن الكريم ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾^{٦٣} ولا يعني الامام للناس سوى تحديد هوية كل الناس؛ باعتبار الإنسان هو نفسه المخلوق المقدس الذي كرمه الله؛ ابراهيم الذي جعله الله أباً لجمهور من الأمم هو الذي منحه الله ذرية تعرف الله وتعبده وتوحده وعليها عبء نشر دعوة التوحيد تلك لتتحدد مسؤولية الدعاة من ذرية ابراهيم.

التوراة ليس فيها ذكر لاستخلاف الله للإنسان في الأرض؛ لكن فقط إشارة الى هذا الاستخلاف، ففي سفر التكوين «أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم.... لإني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون؛ وأتم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهداً أبدياً»^{٦٤} هذا العهد هو استخلاف ابراهيم وذريته للأرض؛ وهو استخلاف للانسان الصالح؛ الذي يستحق الاستخلاف؛ وليس المقصود بجعله أباً لجمهور من الأمم أن تخرج هذه الأمم من صلبه بل أن يكون لهم اماماً يقتدون به في سيرهم لله تعالى؛ وأيضاً فإن الوعد له من الله تعالى أن يكون من نسله انبياء وأئمة يدعون الناس لطاعة الله وعبادته^{٦٥} ويفهم ضمناً من استخلاف ابراهيم وذريته وتجلي دعوته بين أمم الارض أن الاستخلاف أعطي للانسان عامة في أول عهده بالدنيا؛ لكن بعد أن نزع الانسان الى الشر والجهل جعل قضية الاستخلاف تختصر في ابراهيم ودعوته؛ التوراة إذا حددت هوية الإنسان الذي يجب أن يحكم بقانون الإستخلاف وخصائص هذا الحاكم المؤمن.

على أن التوراة ونقصد بها العهد القديم ظلت تدافع عن الإنسان وتميزه عن سائر المخلوقات، فقد رتب العهد القديم نشأة الكون في ستة أدوار كل دور منها سمي يوماً؛ ففي الأيام الثلاثة الأولى خلق النور ثم الماء ثم فصل بين ماء أعلى وماء أسفل فكانت السماء والأرض وفي الايام الثلاثة الأخرى ظهرت نباتات الأرض والكواكب في السماء وبها ظهر الليل والنهار ثم ظهرت زحافات الماء والطيور وأخرجت الأرض أنفساً حية من الحشرات والبهائم وأخيراً ظهر الإنسان^{٦٦}.

وفي هذا الترتيب يبدو منطق جيد؛ خلقت الاشياء الدنيا الأساسية أولاً ثم ظهر بعدها ما يحتاج اليها وتتوقف حياته عليها؛ فالعشب لا يوجد إلا بعد ظهور الأرض وبعد الماء؛ والحيوانات تحتاج الى الماء والعشب والإنسان يحتاج إليها جميعاً فخلق بعدها وهو سيدها وكلها مسخرة له.

ولكن مع تبني قبائل إسرائيل للمفهوم الاحتكاري للتوحيد فإن مفسري التوراة اخذوا يضيّقون من انتشار التوحيد بين الأمم وجعلوا من شعب إسرائيل وحده هو المعني بعناية



«يهوا» إله إسرائيل وأن محور التاريخ الإنساني يدور حول تلك القبائل التوراتية؛ وإن هوية الشعب الإسرائيلي هوية توراتية تلمودية؛ فاليهود الذين تخلوا عن تعاليم الرب حاقت بهم لعناته وأصابتهم نكساته؛ ورغم انحراف اليهود عن تعاليم الأنبياء فقد ظلوا يعتبرون «يهوا» راعي الأمة الإسرائيلية؛ وأن التوراة والتلمود تدور حول الإنسان الإسرائيلي؛ وإن الوسيلة الوحيدة لارتقاء الجنس البشري تتمثل في حكم الإسرائيليين للعالم؛ وإن الإسرائيليين عليهم أن يرحلوا ومعهم الكتاب المقدس إلى الأرض المقدسة لتكون أورشليم عاصمة العالم؛ وفي كل موطن يعيشون فيه هو مكان مؤقت للعودة الميمونة للتحضير لعودة المسيح الذي يحكم العالم من داخل أسوار مدينة الله في بيت المقدس.

الإنسان المقدس في التوراة إنحصر في الإنسان الإسرائيلي دون غيره؛ ميزت الغربة هذا الانسان وجعلته يعيش في أوهام العودة؛ ففي المزامير ٦٧:-

على أنهار بابل هناك جلسنا؛ بكينا عندمات تذكرنا صهيون

على الصفاق في وسطها علقنا أعودنا

كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة

إن نسيك يا اورشليم تنسى يميني

هكذا تميز الانسان اليهودي المشتت الغريب؛ اشتياق العودة؛ وحب للوطن المفقود وكراهية للأرض التي يعيشون فيها؛ وإلى جانب ذلك إفتخار بأنهم شعب منفرد متميز خلق الله الكون من أجله؛ وبركة الله تجلت فيه وحده؛ وتوارثوا هذا الإفتخار وتأصل في نفوسهم وأثمر غروراً؛ فظنوا أنفسهم شعب الله المختار وأن بقية الخلق هم الأمم الذين لا يرقون إلى مرتبة إنسانية؛ يقول المفكر البريطاني أرنولد توينبي عن هذه العقلية الإسرائيلية «إن النفسية التي تدمغ اليهود أساسها خطيئتهم القاتلة التي ارتكبوها في حق أنفسهم؛ إذ كانوا في سالف العصور الشعب الوحيد الذي بلغ مكانه روحانية سامية بفضل اعتناقهم وحدانية الله؛ وبلغوا مكانة روحية سامية دون بقية الشعوب؛ لكن اليهود بعد أن زودهم الله بهذه الحقيقة المطلقة الخالدة؛ وأودع فيهم فراسة روحانية لا تبارى تركوا

العنان لأنانيتهم فاستهواهم سراب دنيوي خادع؛ إذ توهموا أن السمو الروحي الذي بلغوه إنما خلعه الله عليهم وحدهم بموجب عقد أبدي يجعل منهم شعب الله المختار»^{٦٨}.

هذا الاعتقاد اليهودي في الاختيار الإلهي لهم انعكس على اعتقادهم في الألوهية «... وأعطيتهم قلباً ليعرفوا إني أنا الرب فيكونوا لي شعباً وأنا اكون لهم»^{٦٩} إلهاً وإنه ليتبين أنهم ظلوا يضيقون من افق عبادة الله؛ ويحصرون مجال الحظوة عندهم جيلاً بعد جيل؛ فكان شعب الله المختار في مبدأ الأمر عاماً شاملاً لقوم إبراهيم ثم أصبح بعد بضعة قرون محصوراً مقصوراً على قوم يعقوب ثم أصبح بعد ذلك محصوراً على قوم موسى وحدهم؛ ثم على أبناء داود وعلى من يدينون لعرشه بالولاء ومن ذريته كان ينبغي أن يظهر المسيح المخلص لهم في أواخر الزمان^{٧٠}؛ لقد ظل اليهود على ولائهم لفكرة التفوق والعنصرية التي تتناقض تماماً مع الفطرة التي فطر الله الناس - كل الناس - عليها والتي لا تميز شعباً عن شعب أو فرداً عن فرد؛ وإذا علمنا أن اليهود تفرقوا في البلاد وتأثروا بثقافات هذه البلاد؛ علمنا أيضاً أن هذا التأثير لم يقض إطلاقاً على تلك العقيدة العنصرية؛ ولذلك فإن الدعوة الصهيونية لم تتخل عن قوميتها؛ وقادة الصهيونية الأوائل كهرتزل وحاييم وايزمان وبن جوريون كانوا علمانيين ولكن ظل إخلاصهم للقومية اليهودية هو المحرك لجلب التأييد اليهودي وغير اليهودي لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين؛ يصف ليوبنسكي المفكر اليهودي في كتابه «المسألة الملتبهة» اليهود بأنهم: موتى أمام الحياة والأحياء؛ أجنبان أمام المواطنين؛ غرباء في الأرض التي ولدوا فيها»^{٧١}.

وهو يلخص هوية الإنسان الإسرائيلي من مضمون فهمه للتوراة؛ على أن هوية الإنسان الغير يهودي أو الجوييم هوية تأتي في مرتبة أدنى من هوية الإنسان اليهودي؛ فنفس اليهود وحدها مخلوقة من نفس الله وإن عنصرهم من عنصره حتى لو ارتكبوا المعاصي وتخلوا عن تعاليم «يهوا» فهم وحدهم أبناء الله الأطهار جوهرًا؛ كما يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية أصلاً تكريماً لهم على حين أنه خلق غيرهم «الجوييم» من طينة شيطانية أو حيوانية ولم يخلق الجوييم إلا لخدمة اليهود ولم يمنحهم الصورة البشرية إلا محاكاة لليهود لكي يسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود، إذ بغير هذا التشابه

الظاهري - مع اختلاف العنصرين - لا يمكن التفاهم بين طائفة السادة المختارين وطائفة العبيد المحتقرين^{٧٢}.

فالهوية في التوراة هوية يهودية عنصرية تفتخر بالعرق أكثر من الدين وتنتصر للقومية أكثر من الإله؛ هوية خادمة لليهودية المتفوقة العنصرية لا مجال لها سوى إثبات التفوق الإسرائيلي وتفرد تلك القبائل اليعقوبية.

٣- هوية الانسان في الأناجيل

لم يتردد لقب الانسان في دين آخر مثل دين المسيح (عليه السلام)؛ وإضافة ابن الى الانسان تحدد شخصية عيسى فهو ابن الانسان ودعوته للإنسان الخاطئ قبل المؤمن؛ في سفر اشعيا جاءت بشاره بالمسيح «روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين؛ أرسلني لأعصب منكسري القلب؛ لأنادي للمسيبين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب ويوم انتقام لإلهنا؛ لأعزي كل الناضجين»^{٧٣}.

فابن الانسان كلمة لازمة للسيد المسيح تقديراً عن شريعة الحب التي نادى بها لأن الانسان المقدس هو محور الكون وسيده؛ وبشريعة الحب قضى على شريعة الكبرياء والرياء وعلم الناس أن الوصايا الإلهية لم تجعل للزهو والإدعاء والتهيب بالنفس ووصم الآخرين بالتهمة والذنوب ولكنها جعلت «لحساب نفسك قبل حساب غيرك وللعطف على الناس بالرحمة والمعذرة لا لاقتناص الزلات واستطلاع العيوب»^{٧٤}.

والمسيح نفسه موضوع الإنجيل وهو ابن الانسان ولنا بصدد الحديث عن نقض عقيدة التثليث وزعمها بأن المسيح ابن الله ولكننا نركز على حقيقة أن هوية الانسان عند الله في الإنجيل تتلخص في كون المسيح ابن الانسان وليس في كل الاناجيل عن المسيح إنه ابن الإنسانية (رغم أنه ولد بغير أب) مما يؤكد أن الانسان الاب للمسيح هو الانسان كما اصطفاه الله ليكون خليفة له في الأرض أو في ملكوت الله؛ فالمسيح يقول «الحق أقول لكم أن من القيام هاهنا قوماً لا يدقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً في ملكوته»^{٧٥} «فإني أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الانسان»^{٧٦} وقال لهم ابن

الإنسان سيد السبت أيضاً^{٧٧} «بل لتعلموا أن ابن الإنسان له سلطة غفران الذنوب»^{٧٨} لأن ابن الإنسان جاء ينشد وينقذ الضالين^{٧٩}، يتضح أن ابن الإنسان جاء لكي يقيم ملكوت الله في الأرض وقد فهم المؤمنون الأوائل أو الحواريون هذا الملكوت على أنه الدار الآخرة وفهمه اللاحقون كذلك؛ وإن كانت الإشارة إلى ملكوت الله في دعوة ابن الإنسان قد تبين أن الملكوت الأرضي في الحياة كان له شأن كبير في دعوة المسيح على أساس شريعة الحب التي جاء بها؛ كان المسيح في بداية دعوته يركز بين اليهود باعتباره أحد أنبيائهم؛ ولكن تحولت الدعوة من خاصة إلى عامة ومن أمة واحدة إلى سائر الأمم بل إلى الإنسان فرداً كان أو عنواناً يشمل كل إنسان^{٨٠} والحقيقة أن الدعوة اليهودية عبر أطوارها كانت خالية من التسامح خالية من الحب لغير اليهود وإن تلك الدعوة اقتضت على التفوق والتعصب لذا كانت دعوة المسيح تكميلاً وتتويجاً وسدّاً للنقص في الشريعة اليهودية لذلك قال المسيح «لا تظنوا إني جئت لأتقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأتقض بل لأكمل؛ فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل»^{٨١} ولكن اليهود رفضوا دعوته واعتقدوا أن المسيح المنتظر لا يكون إلا ملكاً يكمل مسيرة قبائل إسرائيل لإقامة مملكة يهوذا في اورشليم ولكن اورشليم صارت شبحاً هزلياً في عصر المسيح إنتهك اليهود حرمتها ولم يتورعوا عن تدنيس الهيكل وتحويله إلى مغارة لصوص فأيقن المسيح أن المدينة المقدسة التي أضحت مدينة رذيلة سوف تنهدم «فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسه ويحذقون بك ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبيتك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمان إفتقارك»^{٨٢}.

تميزت دعوة المسيح بالحب والتسامح ولم تتميز بالجماعة الصالحة المتكاملة من بعده والتي كان عليها أن تركز بملكوت الله الذي بشر به يسوع؛ وضاع الإنسان المسيحي بين كلمتي ابن الإنسان الحقيقية وابن الله الوهمية فاخترن اللاوعي اضطراب المعاني الإلهية ذات الصلة بالوعي والوضعية التي اقتضت على لاهوت المسيح؛ على أن المسيح نفسه كان يرمي إلى الارتقاء بالإنسان إلى نور الإيمان الكامل وصدق الاستمسك بروح

الشرعية عن يقين لا بطقوسها.

ثم إن دعوة المسيح تحولت بعد عصر الحواريين الى دعوة لاتمت الى دين المسيح بصلة، فباسم المسيح أخذ الوثنيون يشيدون حضارتهم تحت شعار ابن الله الوحيد ومع تقدم الزمن لم يعد هناك الارتباط بين دعوة النبي المتواضع الرقيق الخلق الذي قال إن رسالته هي فقط التبشير بكلام الله والتكريز بين الأمم بالقادم باسم الرب والتنبؤ بمجيء آخر الرسل أو المعزى الذي سيشهد له ويبن ما تحمله الكنيسة من توجهات غير قائمة على دعوة المسيح.

فإذا كانت دعوة اليهود قائمة على فكرة شعب الله المختار فإن الدعوة المسيحية الأولى كانت تهدم هذه الفكرة أو بمعنى عصري حديث فإن الأناجيل الأربعة أول وثائق معادية للسامية.

على ذلك فإن هوية الإنسان المحصورة داخل البيت الإسرائيلي خرجت بمسيحياتها الى نطاق أكثر عالمية وأكثر إنتشاراً لا على حقيقة العقيدة بل على حتمية شرعية هي حماية تلك العقيدة ونشرها بحد السيف لا على أساس شريعة الحب ولكن على شريعة الاستعلاء على الخلق؛ تلك الشريعة وإن ألقت الأضواء على مرحلة متقدمة من تاريخ الانسان تثبت أن ذلك المخلوق المقدس مرشح من جديد ومهيأ لاستقبال آخر الدعوات التي يجب أن تلهم الجماعة الصالحة المؤمنة بحقيقة موقفها الجديد والمسؤول عن الاستخلاف الحقيقي لله في أرضه.

٤ - الهوية الإيمانية القرآنية

يفرق القرآن الكريم بين هويتين هوية انسانية عالمية تشمل كل الجنس البشري؛ وهوية إيمانية تقتصر على المؤمنين بوحدانية الله ويتخلقون بخلق القرآن وبسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

كما ذكرنا أنفاً يخاطب القرآن الكريم كل البشر من منظور إنساني متميز بالعقل والإرادة والإدراك والدفعة الإيمانية التي فطر الله الناس عليها ❁ يا أيها الإنسان ما غرك

بربك الكريم ﴿٨٣﴾ يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحاً فملاقية ﴿٨٤﴾ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴿٨٥﴾ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴿٨٦﴾ كما أنه يخاطب النبي الكريم بأنه رسول الى كل البشر على إختلاف ألسنتهم وألوانهم ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ﴿٨٧﴾ تسبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴿٨٨﴾ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴿٨٩﴾ وفاتحة القرآن التي يتلوها المؤمنون في صلواتهم تنص صراحة على أن الله رب العالمين ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿٩٠﴾.

ولكن الهوية الإنسانية في القرآن الكريم قد ميزت هويات البشر بحسب إنتماءاتهم العقائدية هوية للوثنيين وهوية للمشركين وهوية لأصحاب الديانات السماوية، فالهوية العامة تشمل كل البشر أما الهوية الخاصة المميزة التي تندرج تحت المفهوم الذاتي هي تلك التي افترق الناس حولها وهي التي ميز الله البشر من خلال تصنيفهم الإنساني، فهناك هوية وثنية كأقوام نوح وصالح وهود وقد أهلكهم الله بذنوبهم الشركية جراء عدم تصديقهم أنبياء الله؛ وهناك هوية شركية تظهر معالمها كثيراً في قریش قبل الإسلام وهم أهل الجاهلية الذين أشركوا الأصنام مع الله وقالوا إنما يعبدون الأصنام لتقربهم الى الله زلفى ﴿وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ﴿٩١﴾.

وهناك هوية كتابية تخص اليهود والنصارى وقد ميز القرآن هؤلاء بأنهم أهل الكتاب وهي كلمة لطيفة ومعبرة ومؤثرة؛ فأية النبي ومعجزته هي القرآن الكريم والقرآن ما هو إلا كتاب معجز خالد وإطلاق صفة أهل الكتاب على اليهود والنصارى صفة ملأمة بأقوام عرفوا الله وان ضلوا الطريق في عبادته، وقد حاول القرآن الكريم كثيراً أن يعالج مجمل إنحرافات الجنس البشري وأسباب الإختلاف التي كانوا عليها خصوصاً قضية الشرك بالله تعالى؛ وقد أرجع القرآن أصل الإختلافات الى الهوى والتعصب للأسماء والشعارات بعيداً عن الالتزامات العلمية والسلوكية كقول اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه أو قول النصارى بأن المسيح ابن الله الوحيد ﴿٩٢﴾.

والشيء بالجدير بالذكر أن القرآن حرص على تفنيد مزاعم الوثنيين والكفار وأهل

الكتاب ودعوتهم الى الأصل الجامع المشترك للإنسان قبل الاختلاف؛ والقرآن ليس فيه آية واحدة تدعو الى فرض العقيدة بقوة السيف؛ والجهد للدفاع عن النفس والعرض والأرض والدفاع عن المؤمنين لكي يتمكنوا من عبادة الله ونشر دين الله بالمجادلة بالتي هي أحسن.

القرآن يؤكد أن الإيمان شوق عميق من أشواق النفس الإنسانية ينساق إليها يباعث من فطرته^{٩٣} وهذه الفطرة هي التي تقول عنها بأنها هوية المؤمنين فالقرآن يؤكد وحدة مضمون دعوة الأنبياء المتعديدين عند استعراض رسالتهم الى أقوامهم والعقيدة الإسلامية الصحيحة هي عدم التفريق بين الرسل والإيمان بهم جميعاً مع إحترامهم والإنكار على من يفرق بين ولاء الرسل لأنهم جميعاً رسل الله تعالى^{٩٤} ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾^{٩٥} ﴿وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾^{٩٦} فالهوية الإيمانية للمؤمنين هي نفسها الفطرة أو الدفعة الإيمانية التي ملأ الله بها صدور الموحدين المؤمنين بالله وليست الغاية الإيمانية وحدها القادرة على تحديد هوية المؤمنين فهناك العقل والإرادة بالإضافة الى ان هوية المؤمن ليست بأي حال استعلائية فهي عقيدة ملزمة العقل للمؤمنين أن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة ويدافعوا عن المستضعفين بصرف النظر عن جنسيتهم وعقيدتهم؛ هي حيوية رافضة للظلم داعية الى الخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في القرآن الأسس التي تقوم عليها هوية المؤمنين منها الإيمان بالله الواحد الأحد والإيمان بالأنبياء والرسل ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا﴾^{٩٧}.

الذات الإيمانية أرجعها الله جل شأنه الى الأصل الإبراهيمي فهو أبو الأنبياء وهو الذي تجلت دعوته في كل الأمم كذلك جاء التأكيد في القرآن على أن إبراهيم كان مسلماً حنيفاً ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً

وما كان من المشركين»^{٩٨}، وعلى هذا الأساس الإيماني دعا القرآن أهل الكتاب للإيمان بمحمد (ﷺ) من خلال التأكيد على بشارته في التوراة والانجيل.

القرآن الكريم حرص على ترك الاختيار للبشر في الإيمان والكفر وأعلن عن ضرورة مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن والدعوة إلى الإيمان تنطلق أصلاً من واقع نقاشي حيوي يثبت أن الإسلام ما جاء لكي يوحد الجنس البشري لأنه لم يبشر بوحدة الجنس البشري في عقيدة واحدة؛ وقد شاء الله هذا التمايز والتعدد ليتحقق به التعاون بين البشر؛ والله طلب من المسلمين حماية هذا التنوع من خلال إطلاق حرية الاختيار وهذا يريح الضمير ويرجع الذات المؤمنة إلى فطرتها التي فطر الله الناس عليها؛ والإسلام شامل لمناهج الحياة جميعها مما يحمي المؤمن من إزدواج الشخصية فالمؤمن غير حائر بين نوازع الجسم ونوازع الروح ولا هو يتوتر بسبب عدم قبول كل الأمم دين الإسلام؛ فالقرآن يخاطب نبينا الكريم (ﷺ) ﴿فذكر إنما أنت مذكر ليس عليهم بمسيطر﴾^{٩٩} فالسيف آخر مراحل الدعوة؛ واستخدام السيف ليس لإجبار الناس على الدخول في الدين بل لازاحة المستبدن الظالمين عن الأمم المستعبدة والتي تمنع المستضعفين من الاطلاع على رسالة الله.

والقرآن أيضاً يخلص النفس المؤمنة من شوائب المعصية وأدران الشهوات وآفات الهوى لتصير نفساً روحانية خالصة مخلصة التوجه والهدف والوسيلة؛ ويلخص الامام علي (عليه السلام) صفات المؤمنين والتي تميز هويتهم عن غيرهم بقوله «انك ترى له (أي للمؤمن) قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجلاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً في طمع... يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينافر بالألقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق»^{١٠٠} وحرص القرآن على الوحدة الإسلامية المؤمنة ومعالجة اسباب الاختلاف بين المسلمين وإيجاد أرضية مشتركة بين كل المؤمنين لإيجادها من الاختلاف المسموح به في نطاق الإسلام والقائم أصلاً على حرية

الإختيار.

٥ - هوية الأمة المؤمنة من منظور القرآن الكريم

بعد أن أقر القرآن الكريم الهوية الفردية للإنسان المؤمن أكد على هوية الأمة المؤمنة فهي أمة واحدة ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾^{١٠١} تعبد الله بصفة عامة وتحمي المجتمع من منافقي الهوية ومن مثيري الفتن؛ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتسعى ككل إلى إصلاح المجتمع المؤمن وتحصينه من الأطماع الخارجية الظالمة.

هوية الأمة تنطلق من قوانين التعايش الإجمالي السلمي بين أفرادها باختلاف مذاهبهم طالما أن كل الجماعة الصالحة تؤمن بالله الواحد وتصلي إلى قبله واحدة؛ لا يكفر أحد أحداً؛ ولا يلوم أحد أحداً على ما اعتقد أنه صواب طالما أنه يستقي أصول مذهبه من القرآن وسنة نبيه الأعظم؛ وكل مؤمن مسؤول أمام الله والمجتمع الصالح، هذه المسؤولية الثانية بين طوائف الأمة وطبقاتها تملئها شريعة متناسقة في عقائدها وتكاليفها، ولولا هذا التناسق لكان اضطلاع الأمة بمسؤوليتها العامة من النقائص التي لا تعقل في قسطاس العدل أو في منطق الواقع، لأنها تسوم الناس من جانب ما تبطله من الجانب الآخر^{١٠٢}، ومن الأمة المؤمنة تنطلق كل دلائل الخير لتشجيع التسامح والتراحم والتعاطف لتكون الجماعة المؤمنة نموذجاً للإنسان المثالي الذي يطبق القوانين التي وضعها الله لكي يكون الإنسان مستحقاً لخلافة الله في أرضه.

على أن الأمة الإسلامية بهويتها الجماعية المميزة عليها أن تتفق على أصول الوحدة، والإيمان يقيناً بأن صلاح الأمة في وحدتها.

ولا يعيب الإسلام أن المسلمين إختلفوا ولم يتركوا هامشاً للإختلاف، ولا يعيب دين الله أن المسلمين ضيعوا الحق فيما بينهم وصار بأسهم بينهم شديداً، فالقرآن الكريم الكتاب الخالد حفظه الله هو ما جاء به محمد بن عبد الله (ﷺ)، وهو الكتاب الداعي جميع الأمم لنبد التعصب للآباء والعشيرة، ونبد التعصب للأفكار الوضعية، وعلى الجميع اللجوء إلى الحكمة والموعظة الحسنة عند النقاش للوصول إلى الحد الأدنى للوحدة

وتلك تحتاج لأبحاث أخرى إجتهدية كثيرة.

ويقينا أن العالم بأسره عائلة واحدة خلقها الله من أب واحد لا يتميز فيها انسان على انسان سوى بالتقوى، التقوى التي تحدد الهوية القرآنية المؤمنة التي لا تتميز عن الآخرين بعرف أو لون أو جنس، والإمتياز الوحيد هو المسؤولية الكاملة عن وعي شامل بخلافه الله، وهو امتياز مكلف للنفس المؤمنة، ولكنه تكليف يزيد المؤمن تشريفاً وإرتقاء، والله سبحانه وتعالى يقول في قرآنه الكريم ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾^{١٠٣}.

(فوراثة الأرض من قبل العباد الصالحين هي التي تحدد هوية المؤمن، وتحدد موطنه، هويته الصلاح والايمان وموطنه كل بقاع الأرض)^{١٠٤}.

المحور الرابع: كيف للإسلام أن يتصدى للعولمة من منطق الإيمان

رأينا أن القرآن قد وضع الإنسان في موضعه الصحيح حين ذكر أنه ابن ذكر وأنثى؛ وأنه ينتمي لشعوب وقبائل؛ ولا يمكن التعارف فيما بينهم إلا بتبادل المعرفة والمعلومة؛ والاطلاع على الثقافات المختلفة للشعوب والتي أصلها واحد؛ وحقيقتها واحدة؛ وأن الله فطر الناس على قيم العدل؛ وأن الاختلاف بين البشر هو من صنع الله؛ لأن تعدد الشعوب يعدد المساعي والحيل لإستخراج كنوز الأرض واستتباط أدوات الصناعة على حسب المواقع والأزمنة؛ وعلى حسب الملكات والعادات التي تتفتق عنها ضرورات العيش والذود عن الحياة؛ فينجم عنه تعدد الحضارات وأفانين الثقافة وتزداد الانسانية عرفاناً بأسرار خلقها؛ وعرفاناً بخالقها واقترباً فيما بينها.. هذا هو حكم القرآن في وحدة بني الانسان وفي تدعيم هذه الوحدة^{١٠٥}؛ وهي أفكار عالمية الإسلام؛ وهي التي مهدت الطريق لإنتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية؛ حيث انتشر بفعل الدفعة الإيمانية لا بحد السيف كما روج له أعداء الإسلام؛ وللأسف هذا ما وجدوه مدوناً في كتب التاريخ الإسلامي؛ وعموماً أنتشر الإسلام بعد أن شاهد أهل البلاد المفتوحة سماحة أخلاق المسلمين رغم أن حكام الدولة الإسلامية لم يكونوا على قدر المسؤولية الإسلامية

عندما نشروا الإستبداد وفرّخوا العلماء يأخذون منهم الشرعية ليعطوهم فتوى القتل باسم الدين؛ ولكن هذا ليس موضوع بحثنا؛ والمؤكد أن الإسلام انتشر بمعاملة المسلمين وصدق أخلاقهم؛ وكان الانتشار بسبب التجار والمتصوفة أكثر من الفتوحات؛ كما احتوى مسلمو فارس وخراسان الموجة الغوغائية للمغول فحولوهم للإسلام من المنطلق الإيماني فخففوا من توقعهم لدماء الناس بعد أن سكن الإيمان قلوبهم؛ وطوال عمر الدولة الإسلامية وحتى خلال وجود ثلاثة خلفاء يمثلون المسلمين في وقت واحد: العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة والأموية في الأندلس حدث ما يسميه د. جمال حمدان «السيولة السياسية»^{١٠٦} والتي بدون فهمها لا يمكن الحكم على الخريطة السياسية للعالم الإسلامي؛ ذلك أن العصر كان عصر القومية الدينية؛ وكانت روح العصر أن ينتقل المسلمون بحرية وبلا قيود داخل دار الإسلام أو الكومنولث الإسلامي الذي لعله الأول من نوعه في التاريخ؛ كان الحكام يتحركون من قطر إلى قطر أو يفتحون قطراً أو يضمون قطراً دون حساسيات أقليمية ودون أي مدلول أو محمول استعماري؛ وفي ظل هذه السيولة السياسية النادرة دارت القوة طويلاً من يد إلى يد داخل الدولة الإسلامية أو الدول الإسلامية؛ تؤسس الدول أو تحارب بعضها بعضاً؛ ولم يمنع الصراع أو تأسيس الدول من انتقال المسلمين من أي مكان إلى أي مكان آخر دون أي إحساس بالغرابة؛ أو التخلي عن وطن؛ وقد دام هذا الوضع طوال حوالي ألف وثلاثمائة عام من السنين كان الناس ينتقلون من مصر إلى المغرب؛ ومن تونس إلى تمبكتو ومنها إلى الحجاز إلى شرق العالم الإسلامي؛ كما كان الحجاز ملتقى المسلمين؛ وعلى سبيل المثال عندما حدثت المجاعة في مصر في زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ولم يجدوا ما يأكلونه من قمح قام إخوتهم في الأندلس بارسال عشرات السفن تحمل لإخوانهم القمح والقمح الأخرى^{١٠٧}؛ لم يدر في خلدكم أن الخلافة في مصر فاطمية وعندهم أموية بل كانوا يرونهم أشقاء لهم في الإسلام وكفى؛ كان العالم الإسلامي يعيش عالمية من نوع فريد؛ ومنه انطلقت العلوم الإسلامية لتكون بذور عصر النهضة والعصر الحديث عصر التكنولوجيا؛ لم يمن المسلمون على غيرهم بعلومهم التي وصلت إليهم عبر الأندلس

والشام وصقلية وغيرها من البعثات التي استقبلتها الجامعات الإسلامية من أولاد ملوك وأمراء ونبلاء أوروبا؛ لم يضمنوا بالعلوم كما لم يبشروا بعلومهم بوحدة البشر؛ ولم يخوضوا الحروب من أجل أن يستكين العالم إلى زعامتهم لأن الإيمان يمنعهم؛ ورسالة السماء جعلت من الاختلافات بين البشر من الحقائق الواقعية لا يستنكرها أحد ولا يدعي أحد أنه بصدد تدويل العالم أو عولمته أو توحيده؛ وما حدث هو العكس فقد قام الأوروبيون بالتمسح في دين المسيح وأقاموها حرباً بشعة في الشام الإسلامي طوال مائتي عام؛ ومن يومها لم تتوقف الحملات الإفرنجية حتى العصر الحديث؛ وجميعها بشعارات الترويج للإخاء أو للديمقراطية أو حرية التجارة ثم العولمة..

ويحق لنا القول بأن الرسول الأعظم (ﷺ) زرع نبتة العالمية أثناء عهده في مدينته المنورة عندما أرسل الكتب إلى الملوك العرب وإلى كسرى وقيصر؛ وهي كتب لمن يريد التفرقة بين فلسفة القوة ومنطق الإيمان؛ فالنبي (ﷺ) فيها جميعاً بدأها بالسلام وختمها بالسلام على من اتبع الهدى؛ ليس فيها تهديد دنيوي أو وعيد بالسيف أو إجبار على الدخول في الدين بل كل ما قال: (فإن أبيت عليك اثم الذين اتبعوك)؛^{١٠٨} هذا كل شيء؛ كان حكام المسلمين الذين استبدوا على الناس المسلمين أنفسهم هم الذين تركوا أهل الكتاب لعقيدتهم؛ وكان هذا هو السبب في ديمومة وجود أقليات إسلامية في العالم الإسلامي؛ وعلينا النظر للأندلس التي فرغت من المسلمين خلال أعوام قلائل لا بسبب تنصرهم ولكن بسبب تخييرهم بين القتل والهجرة أو التنصر؛ وقد اختارت الأغلبية الهجرة وقتل كل من لا يستطيع الهجرة.

كيف يتصدى الإسلام للعولمة

أكثرنا الحديث عن سماحة الإسلام ونظريته العالمية وسماحة تعاليمه ونبيل مقاصده؛ وأنه يحدد هوية للإنسان على أنه إنسان مستخلف وأن له مطلق الحرية في الاختيار بين الإيمان والكفر؛ وأن الله خالق الناس سواسية كأسنان المشط؛ وأنهم صنفان كما قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^{١٠٩}؛ وغير ذلك مما

يظهر وجه الإسلام المشرق؛ ولكننا تحدثنا عن الإسلام ولم نتحدث عن المسلمين؛ المسلمين الخاضعون للغير الغربيين عن الدين السمح نفسه؛ وهم أنفسهم المستهدفون بالعولمة التي تحمل في طياتها الهيمنة والمسح إن لم يكن مسح الثقافة الرسالية؛ كما أن أبناء الأمة لم يعد لديهم أي مناعة سياسية أو اقتصادية تجعل الغير يفكر قبل أن يقتحم أرضهم وفكرهم ودينهم؛ ومن ثم سنحاول أن نجد الوسيلة التي تجعل المسلمين يحملون الإسلام كما جاء به محمد الرسول الأعظم (ﷺ) ليواجهوا به الإستكبار أو الهيمنة أو العولمة وكلها مفردات لمعنى واحد؛ لأننا لو لم نحاول ذلك سيمسي البحث عبارة عن إطار نظري أو فلسفة داخل بطون الكتب؛ فكيف نتحدث عن كرامة المرأة في الإسلام وهي تنتهك في الواقع؛ وكيف نتأمل روعة الدين الحنيف حول المساواة وكل ما نجده تفاوت بين الطبقات داخل كل دولة مسلمة؛ واكتناز للمال عند غير أهله؛ وكيف نتحدث عن عالمية الإسلام والمتطرفون من المسلمين أنفسهم يقتلون المسلمين وغير المسلمين لا على أساس الهوية العالمية أو الإيمانية بل من أجل القتل فقط بعد أن اعتقدوا أن الإيمان قرين التعصب؛ ثم كيف نتصدى للعولمة وفلسفتها من منطلق الإيمان ونحن مخترقون اعلامياً وعسكرياً وسياسياً؛ ونحن نرى الدم الإسلامي المراق بين المسلمين أكثر مما يراق بين المسلمين وغيرهم؛ وعلى أي أساس نشرح روعة الوحي ونقاء التوحيد لغيرنا دون النظر لواقعنا؛ إن كل نظرية تحتاج الى من يطبقها ويستلهم روح العصر لتكون موائمة له؛ كما أن أصحاب النظرية مطالبون أن يعرفوها ثم يأخذوا بها ثم ينشروها؛ وهذا ما نحاول الكتابة فيه وعنه..

بداية القول

إن السبب الرئيس في تيه وضياح المسلمين والقلق والصراع الذي يشمل العالم الإسلامي على اختلاف نظمته - رغم أن بعضه وصل الى أقصى درجات الشراء - يعود أساساً الى أن الأمة الإسلامية لم تهتد بعد الى جذورها الحضاري وأصلها العقائدي الذي لا تصلح أمورها إلا به؛ فالأمم لا يمكن أن تعيش في خواء عقائدي؛ والعقيدة الإسلامية

عقيدة ثورية وجوهرها تحريري وهدفها تحقيق العدالة الاجتماعية والقضائية؛ تتفاعل مع أي عصر وتلائم أي مكان؛ والمسلمون لكي يستعيدوا مجدهم لابد لهم من الإهتمام الى هذا الفهم الإسلامي؛ ومن ثم هناك ضرورة لتقديم الإسلام في جوهره للمسلمين أولاً؛ للجمهور الجديد الذي عليه أن يحمل هذا الفهم الشامل لاستيعابه..

ونحاول أن نختصر الخطوات التي على المسلمين أن يقوموا بها في عدة نقاط:

١ - على المسلمين أن يدركوا أنهم يحملون ميراثاً من الإيمان الرسالي؛ وأن محمداً (ﷺ) هو النموذج والقذوة؛ وأن دين الإسلام لا يرضى أبداً أن يكون عرضة للهيمنة والاحتلال؛ وأن المسلمين في تاريخهم الممتد تعرضوا لحملات لدمارهم ودحر الدين نفسه؛ وانتصروا عليها؛ على التتار والمغول؛ على الصليبيين في حملاتهم التسع؛ وها هي الحملة العاشرة الكبيرة؛ ولابد من هزيمتها من المنطلق المحمدي الرسالي؛ ولا يكون ذلك إلا بوحدة المسلمين أو تقاربهم؛ وهذا لا يحدث إلا بتحرير إرادة المسلمين.

٢ - لابد للأنظمة الإسلامية أن تطلق حريات شعوبها من واقع الأمر القرآني الداعي الى كرامة الإنسان؛ ومن حقيقة أن القرآن ترك للناس الحرية الاختيارية كما أن سيرة الرسول الأعظم (ﷺ) تدل على أن أخلاقه جميعها قرآنية؛ وأنه لم يجبر أحداً على الدخول في الإسلام؛ فلا اكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي؛ وأنه لم يقم أبداً بقتل من نطق بالشهادة؛ كما لم يقتل مشركاً إلا إذا قام المشرك بالإعتداء؛ فالحرب للدفاع ورد الظلم؛ وتنجلي حقيقة أخرى أن الإسلام نصير المظلومين في أي مكان؛ والمهم في هذا المقام أن تقوم الأنظمة بتحرير إرادة الإنسان المسلم وإطلاق ملكاته من منطلق الإيمان الروحي والوعي الإرادي؛ ثم العمل على المساواة وإزالة الفوارق بين الذين يعيشون داخل الدولة على اختلاف مذاهبهم وأديانهم؛ وتلك أولى مقدمات المناهضة السياسية والأخلاقية والدينية التي تتصدى لأي تدخل خارجي تحت أي ذريعة أو باسم أي شعار عولمي أو ديمقراطي.

٣ - لابد للمسلمين أن يقوموا بتجديد الخطاب الديني بشرط أن يقوم بهذا التجديد علماء مستقلون بعيداً عن الأنظمة التي تريد تسخير الدين للبقاء في السلطة؛ وهذا



سيستدعي بالضرورة الربط بين هذا التجديد الديني وبين إطلاق حرية الإنسان فلو لم تتوفر الحرية لن يمكن تجديد الخطاب الديني من الموروثات الإستبدادية التي غلفت تاريخياً بالحرص على طاعة الحاكم حتى لو ضرب الظهر أو أخذ المال.

٤ - إن تجديد الخطاب الديني يمنع من الفكر التكفيري؛ ويمنع من جبروت القتل باسم الدين؛ لأن الأمر الذي يدمر الأمة ويدمر علاقاتها فيما بين بعضها البعض؛ وفيما بينها وبين الغير هو هذا الفكر الخارجي الإرهابي المتسريل باسم الدين؛ ولكن له أنصاره ولا يمكن القضاء على الفكر الإرهابي إلا بالعاملين السابقين أي الحرية وتجديد الخطاب الديني.

٥ - من هذا المنطلق يمكن التقريب الحقيقي بين المذاهب الإسلامية؛ فعملية التقريب تعني حرص من يقومون بالتقريب على افهام المسلم أنه يوجد له أخ مسلم مثله يعبد الله تعالى مثله بطريقة ايمانية حسب فكر آخر مرتبط بالدين والوحي لا يجب ابعاده أو تكفيره أو تهيمشه تحت أي فكر أو راية.

٦ - من أجل التقريب بين المذاهب الإسلامية لابد أن يقوم علماء المسلمين بإصدار فتوى جماعية سنية - شيعية - صوفية - سلفية - اباضية - زيدية تنص على تحريم تكفير المسلم الآخر تحت أي ذريعة طالما أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ على أن يكون العلماء المعترفون هم الذين يطلقون تلك الفتوى؛ وهذه الخطوة ضرورية ولازمة وحقيقية لإبعاد الذين يفرقون أبناء الأمة ويقتلونهم؛ والنتيجة التلقائية لهذا الأمر هو وضع تصور وحدوي للأمة على الموارث المشتركة؛ وإضفاء الطابع الرسالي على فكر المسلمين لإثبات أن الإسلام يقدم النموذج العالمي الذي يخدم كل البشرية؛ وأنه وحده الذي يؤهل البشرية المعذبة للتعاون للخلاق.

٧ - لابد من تفعيل دور المرجعيات الدينية في العالم الإسلامي السني على وجه الخصوص حتى لا يكون الدين ميداناً لا رابط فيه فيقوم بعض الشباب بالإفتاء دون علم أو خبرة اللهم إلا نشر فكر التكفير؛ ثم الربط بين هذه المرجعيات لتكون مرجعية واحدة تخدم المسلمين؛ وتخدم العالم عندما يجد روعة الرسالة في سلوك المسلمين.

٨ - قيام الجامعات العلمية في الدول الإسلامية أو بين كل دولتين أو أكثر بالتعاون العلمي الخلاق؛ علمي تكنولوجياي يهدف الى الارتقاء بالعلوم الطبيعية والإنجازات التي تخدم الأمة وتكون نواة لتصدي المسلمين لإحتكار التكنولوجيا؛ ومن المؤكد أن هذا الأمر ضروري وحيوي؛ لأن معظم المسلمين يستوردون التكنولوجيا المدنية والعسكرية بما في هذا الإستيراد من شروط سياسية تمنع المشروع العلمي والحضاري للمسلمين.

٩ - لا بد من وجود سوق إسلامية مشتركة تخلق التوازن المطلوب تحقيقه بين المسلمين والقوى الكبرى المتسلطة؛ ووجود هذه السوق يمنع من احتكار السلع بما فيها السلع العلمية والخبرات التقنية المطلوبة؛ وكما نرى أن هذا مرتبط بمنح الحرية السابق ذكره ومرتب بفضية تجديد الخطاب الديني؛ والأهم هنا هو صدق النية في تحقيق هذا التكامل العلمي والاقتصادي والمعنوي.

١٠ - لعل أكثر الأولويات التي تركناها في آخر الوصايا رغم أنها تأتي في المقدمة هو أن المسلمين يملكون أنقى العقائد الدينية؛ وهم أكثر شعوب العالم إيماناً بالله رغم أنهم لا يستفيدون من هذا الإيمان بصورته الجمعية؛ فليكن الإيمان هو الدفعة المعنوية للمسلمين قادة وأفراداً؛ وليكن موسم حج بيت الله الحرام فرصة لاجتماع العلماء والقادة لأخذ القرارات الحاسمة والمصيرية للتصدي للعولمة أو لشعارات تحقيق الديمقراطية؛ مع العلم أن موسم الحج كل عام ينظر له غير المسلمين على أنه الوجه المشرق للإسلام؛ وعلى المسلمين أن يستغلوا موسم الحج لوحدهم؛ وليكن الحجاز المقدس ومكة المكرمة خاصة هي الروح الدافعة لإيجاد مرجعية إسلامية عامة وشاملة؛ وهي التي يلتفت حولها المسلمون ليبدأوا مسيرتهم الوحودية؛ وهي الحقيقة التي منها يمكن التصدي للعولمة من المنطلق الإيماني؛ ومن خلال الوعي المحمدي^{١١٠}.



مصادر البحث

- ١- عباس العقاد - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه - مكتبة الأسرة - القاهرة - مصر - ١٩٩٩ ص ١٠٨.
- ٢- ناصر الدين الأسد - ندوة العولمة والهوية - الرباط - مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٧ - ص ٥٧.
- ٣- أحمد صدقي الدجاني - زلزلة العولمة وسعي نحو العالمية - دار المستقبل العربي - القاهرة - ٢٠٠٣ - ص ٢٢.
- ٤- م، ن، ص.
- ٥- جراهام طوميسون - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (اليونسكو) العدد ١٦٠ - حزيران / يونيو ١٩٩٩ - ص ٩.
- ٦- زلزلة العولمة - مصدر سابق ص ١٩.
- ٧- م، ن، ص.
- ٨- م، ن، ص.
- ٩- عبد الرحمن يوسف العبد - ذو القرنين - دار البشير للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٨٨ - ص ٩٥. والمؤلف حاول اثبات أن الاسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور في سورة الكهف؛ وقد قارن وجاهد في اثبات فكرته؛ ولكنه لم يفسر اعتقاد الاسكندر بالوهيته ذاتها أو المفارقة بين الحضارة الرسالية والحضارة الهيلينية؛ مما يؤكد نظرتنا حول الاسكندر كأحد الذين جحاولوا السيطرة على العالم باستخدام الدين والتبشير بوحدة البشر ولو كان هذا الدين من عند غير الله تعالى.
- ١٠- م، ن، ص.
- ١١- م، ن، ص.
- ١٢- وول ديورانت - قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران - المجلد ٤ - ج ٧ - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠١ - ص ٥٣٩،..... عندما ذكر ديورانت عن الاسكندر كأنه أحد الأنبياء كان يقصد أن سخر الدين لخدمة أهدافه السياسية؛ وعموما كان ديورانت أحد المؤرخين الأمريكيين المنصفين عن غيره الى حد كبير.
- ١٣- جمال بدوي - محمد علي وأولاده - مكتبة الأسرة - القاهرة - ١٩٩٩ - ص ٧٤.
- ١٤- م، ن، ص.
- ١٥- كارل ماركس - رأس المال - بدون مترجم - منشورات المركز الثقافي السوفييتي - القاهرة - ١٩٦٦ ص ١٥٠،..... كانت كتب كارل ماركس تترجم وتوزع مجاناً في الدول العربية وتبشر بالاشتراكية ولا تقول الشيوعية منعاً لانتارة عواطف المسلمين؛ والمهم أنه روجت مقولة أن الصحابي الجليل أبا ذر الفقاري كان أول من نادى بالاشتراكية؛ وروجت كتب عن أن الاسلام هو الاشتراكية؛ وراجت تلك المقولات في الخمسينيات والستينيات وأواسط السبعينيات في الكثير من دول العرب والاسلام؛ وخفتت هذه الدعوات مع المد الاسلامي حتى انهار الاتحاد السوفييتي العام ١٩٩١؛ فانهارت النظرية الاممية للشيوعية وان ظل اليسار يحاول الحكم ولكن بدون العداء للأديان كأفيون للشعوب؛ وهو يثبت أن الشيوعية سقطت في العالمية والعولمة.

- ١٦- مايكل لوفي - الماركسية والدين - ترجمة بشير السباعي - مقال منشور في جريدة القاهرة - القاهرة - العدد ١٣٤ - كانون الثاني / يناير ١٩٩٤.
- ١٧- م - ن ٠ ص ٠
- ١٨- م - ن ٠ ص ٠
- ١٩- رأس المال - مصدر سابق.
- ٢٠- الماركسية والدين - مصدر سابق.
- ٢١- م - ن ٠ ص ٠
- ٢٢- حقائق الاسلام - مصدر سابق - ص ١٨٨.
- ٢٣- سورة البقرة آية ٣٠.
- ٢٤- محمد جلال كشك - خواطر مسلم حول الجهاد.. الاقليات.. الاناجيل - منشورات العصر الحديث - القاهرة - مصر - ١٩٨٥ ص ٢٠.
- ٢٥- سورة الأعراف / الآية ١٧٢.
- ٢٦- عباس العقاد - الله - دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ ص ٧٢.
- ٢٧- السيد محمود باقر الحكيم - الوحدة الاسلامية - مركز يافا للدراسات والأبحاث - القاهرة - مصر - ٢٠٠١ ص ٣٨.
- ٢٨- نفسه ص ٣٩.
- ٢٩- فهد هويدي - الدين للناس والمكس ليس صحيحاً - بحث منشور في مجلة العربي الكويتية - العدد ٢٣٦ - يوليو (تموز) ١٩٧٨ ص ٣٧.
- ٣٠- سورة البقرة / الآية ٣٤.
- ٣١- سورة الاسراء / الآية ٧٠.
- ٣٢- سورة التغابن / الآية ٣.
- ٣٣- بوعبد الله غلام الله - دور العقل في الخطاب الديني، بحث منشور ضمن اصدار وزارة الاوقاف بمصر (ضمن مجموعة باحثين في مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي) ٢٠٠٢ ص ٨٣١.
- ٣٤- سورة الأنبياء / الآية ١٣.
- ٣٥- سورة المؤمنون / الآية ٩١.
- ٣٦- سورة النمل / الآية ٦٠.
- ٣٧- سورة آل عمران / الآية ٩١.
- ٣٨- سورة الرعد / الآية ١٧.
- ٣٩- سورة النمل / الآية ٦٤.
- ٤٠- د. عبدالمعطي محمد بيومي - دور العقل في الخطاب الديني - بحث منشور ضمن اصدار وزارة الأوقاف بمصر (ضمن مجموعة باحثين في مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي) ٢٠٠٢ ص ٧٨٧.
- ٤١- سورة النمل / الآية ٦٤.



- ٤٢- سورة الجاثية / الآية ٢٤.
 ٤٣- سورة الحجرات / الآية ١٣.
 ٤٤- سورة البقرة / الآية ٢٥٦.
 ٤٥- خواطر مسلم / مرجع سابق الذكر ص ٢١.
 ٤٦- نفسه.
 ٤٧- سورة الكهف / الآية ٢٩.
 ٤٨- سورة يونس / الآية ٩٩.
 ٤٩- سورة البقرة / الآية ٣٥.
 ٥٠- سورة البقرة / الآية ٣١.
 ٥١- سورة الرعد / الآية ٨.
 ٥٢- سورة الحديد / الآية ٢٥.
 ٥٣- سورة النحل / الآية ٥.
 ٥٤- سورة يس / الآية ٨٠.
 ٥٥- سورة النحل / الآية ١٢.
 ٥٦- سورة النحل / الآية ١٨.
 ٥٧- سورة الرعد / الآية ٣.
 ٥٨- سورة الأنعام / الآية ٨٩.
 ٥٩- سورة الرعد / الآية ١١.
 ٦٠- سورة فاطر / الآية ٣.
 ٦١- سورة القصص / الآية ١٠.
 ٦٢- سفر التكوين ٢٢ / ١٨.
 ٦٣- سورة البقرة ١٢٤.
 ٦٤- تكوين ١٧ / ٩.
 ٦٥- تامر مصطفى - بشار الأسفار بمحمد وآله الأطهار - مركز التدبير للدراسات الاسلامية - بيروت - ١٩٩٨ ص ٤٦.
 ٦٦- د. عبد الجليل شلبي - اليهود واليهودية - كتاب اليوم - القاهرة - ١٩٩٧ ص ١٦٢.
 ٦٧- سفر المزمير / ١٣٧.
 ٦٨- نقلا عن كتاب «محمد في التوراة والانجيل والقرآن» تأليف: ابراهيم خليل أحمد - مكتبة الوعي العربي - القاهرة بدون تاريخ ص ٥٣.
 ٦٩- سفر التكوين ١٨ / ١٠.
 ٧٠- حقائق الاسلام وأباطيل خصومه - مرجع سابق ص ٣٩.
 ٧١- اليهود واليهودية - مرجع سابق ص ٦٩١.

- ٧٢- محمد خليفة التونسي - بروتوكولات حكماء صهيون - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٠ ص ٥١.
- ٧٣- العهد القديم - سفر أشعياء ٦١ / ١ - ٣.
- ٧٤- عباس محمود العقاد - حياة المسيح - كتاب اليوم - مصر - ١٩٥٣ - ص ١٣٣.
- ٧٥- انجيل متى ١٦ / ١٨.
- ٧٦- انجيل متى ١٠ / ٢٣.
- ٧٧- انجيل لوقا ١٦ / ١٦.
- ٧٨- انجيل يوحنا ٥ / ٢٤.
- ٧٩- انجيل لوقا ١٩ / ٨ - ١٠.
- ٨٠- حياة المسيح - مرجع سابق ص ١٦٠.
- ٨١- انجيل متى ٥ - ١٧ - ١٩.
- ٨٢- انجيل لوقا ١٩ / ٤٢ - ٤٤.
- ٨٣- سورة الانطار / ٦.
- ٨٤- سورة الانشقاق / ٦.
- ٨٥- سورة البقرة / ١٦٨.
- ٨٦- سورة الحجرات / ١٣.
- ٨٧- سورة الأنبياء / ١٠٧.
- ٨٨- سورة الفرقان / ١.
- ٨٩- سورة سبأ / ٢٨.
- ٩٠- سورة الفاتحة / ١.
- ٩١- سورة الزمر / ٣.
- ٩٢- الوحدة الاسلامية - مرجع سابق / ص ٥٦.
- ٩٣- حقائق الاسلام - مرجع سابق / ص ٧٧.
- ٩٤- الوحدة الاسلامية - مرجع سابق / ٥٧ - ٥٨.
- ٩٥- سورة البقرة / ٢٨٥.
- ٩٦- سورة البقرة / ٢٣٦.
- ٩٧- سورة الشورى / ١٣.
- ٩٨- سورة آل عمران / ٦٧.
- ٩٩- سورة الفاشية / ٢١ / ٢٢.
- ١٠٠- نهج البلاغة - دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ - ج ٢ / ص ١٦٤.
- ١٠١- سورة الأنبياء / ٩٢.
- ١٠٢- حقائق الاسلام - مرجع سابق - ص ١١٩.
- ١٠٣- سورة الأنبياء / ١٠٥.



- ١٠٤ - علي أبو الخير - الهوية من منظور فلسفة الأديان - بحث منشور في مجلة المحجة - بيروت - العدد ١٤ - ٢٠٠٦ - بتصرف وبعض تعديل؛ وفي - ١٠٤ البحث يرى أن العالمية الإسلامية هو تطور للأديان في مراحلها المختلفة؛ وأن الاسلام لأنه ختم الرسالات فانه حمى حرية الاختيار؛ ومنهجه الدائم الدفاع عن المستضعفين؛ وهو الأمر الذي لم يطبقه المسلمون كثيراً في تاريخهم؛ وذلك يعني أن الاسلام فيه البذرة التي استطاعت أن تقوض الظلم في ايران بعد أن استطاع المستضعفون اسقاط أقوى نظام عرفته المنطقة؛ وذلك عندما توحد هؤلاء خلف قيادة رسالية فكانت الثورة النموذج الرسالي العالمي.
- ١٠٥ - عباس محمود العقاد - الانسان في القرآن الكريم - كتاب الهلال - القاهرة - ١٩٦١ - ص ٦٠.
- ١٠٦ - نقلا عن كتاب عبد الحميد الكاتب قراءات ودراسات عن مصر والمصريين - كتاب اليوم - القاهرة - ١٩٨١ - ص ٧٢.
- ١٠٧ - عبد المنعم ماحد - ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٩٤ - ص ٣٠٤.
- ١٠٨ - توجد الرسائل التي أرسلها الرسول الأعظم الى الملوك في كل كتب السيرة والتاريخ مثل ابن هشام والطبري وابن الأثير وغيرها؛ وكلها تبدأ باسم الله وتنتهي بالسلام على من اتبع الهدى فلم يهدد احدا ولم يقسر احداً؛ والملاحظ أن العبارة اختلفت من ملك لغيره؛ فمثلاً لكسرى قال: فان أبيت فعليك اثم المجوس؛ ولقيصر: عليك اثم الاريسيين وللمقوقس: اثم القبط ٠٠٠ وهكذا
- ١٠٩ - نهج البلاغة - ج ٣ - ٢١٥ - الامام علي سلام الله عليه من ضمن رسالته للأشتر عندما ولاه مصر - والناس اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق تصلح لأن تكون شعاراً لأبناء المعمورة؛ وعلى المسلمين أن يتمسكوا بها ويجعلوها شعارهم قبل أن يدخلوا في المعترك العالمي للتصدي للعلومة أو للهيمنة .
- ١١٠ - من المؤكد أن الفكر الرسالي يمثل الائمة عليهم السلام فهم خلاصة البشرية؛ وصاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف هو أمل هذه الأمة؛ ولكن هذا البحث لم يتعرض لفكرة الانتظار؛ وذلك لسببين: الأول أن هناك من المسلمين الذين لا يريدون للفكر الرسالي الحقيقي أن يسود المسلمين وهم يفسفون أخطاءهم بالتهجم على شيعة أهل بيت الرسول (عليه السلام) من خلال الموارث الاستبدادية التي ربطوها بدين الله ظلماً؛ والحكام المسلمون يخشون هذا الفكر وبالتالي عمدنا أن يكون البحث ملائماً لكل المسلمين؛ والسبب الثاني أن المهدي سلام الله عليه يعطينا الأمل ويعطينا الدفعة الايمانية لكي تنتظره انتظاراً ايجابياً لرد الظلم والتصدي للعلومة أو الهيمنة بوحدة المسلمين بالتقارب فيما بينهم؛ وذلك بالصبر على المسلمين المخالفين له وللأئمة جميعاً سلام الله عليهم منعاً للفرقة وحرصاً على وحدة هذه الامة؛ تلك الوحدة التي سمي اليها الائمة من أول أمير المؤمنين علي سلام الله عليه وحتى القائم المنتظر؛ ولانتظار فلسفة تستمدت الأريحية من الصبر والايمان المحمدي؛ سلام عليه (عليه السلام)؛ وعلينا أن نقول للمسلمين جميعهم: قل انتظروا انا منتظرون .

شخصية النبي محمد (ﷺ) العلمية

الدكتور محمد مصلح الزعبي

جامعة آل البيت - الأردن *

المقدمة

بادئ ذي بدء أشكر جامعة أصفهان على دعوتها لنا لحضور هذا المؤتمر العالمي المتعلق بجوانب شخصية النبي (ﷺ)، كما أشكر اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وقد تناولت في بحثي هذا أحد هذه الجوانب وهو: شخصية النبي (ﷺ) التعليمية، وذلك لما لهذا الجانب من أثر بالغ في نهضة الأمة العلمية والثقافية؛ فشخصية النبي (ﷺ) التعليمية شخصية فريدة من نوعها، حيرت العلماء والباحثين على مدى العصور والأزمان؛ إذ كيف لرجل أُمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن ينتج جيلاً مثقفاً ثقافة عالية - في أقل من ربع قرن - تعجز أكبر الجامعات والمؤسسات الثقافية والتعليمية عن إنتاج مثله، بل إن هذه المؤسسات لم تجد بداً من أن تتبنى كثيراً من الأساليب النبوية في التعليم. لكن هذه الحيرة تتلاشى ويزول العجب إذا عرفنا أن الله - جل وعلا - قد اختار النبي (ﷺ) ليكون معلماً للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سبأ: ٢٨)، وهو الذي هداه واجتبه، وعلمه الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم

* - هذه نصّ مقالة الاستاذ الدكتور محمد مصلح الزعبي التي قدمت في المؤتمر المقام في جامعة اصفهان ثم أرسلت اليها لنشرها.

الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» (البقرة: ١٥١)، وقد أنعم الله على أمة الإسلام ببعثة النبي (ﷺ)، وأكرم بها من نعمة أخرجت الناس من الظلمات الى النور، ومن عبادة العباد الى عبادة رب العباد! قال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ (آل عمران: ١٦٤).

ولعل المهمة التعليمية هي أهم المهام التي كلف بها النبي (ﷺ): إذ يقول الحق جل وعلا: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيماً﴾ (النساء: من الآية: ١١٣)، ويقول (ﷺ): «إن الله لم يبعثني مُعْتَنّاً ولا مُتَعْتَنّاً ولكن بعثني معلماً مُيسراً» (صحيح مسلم ٢ / ١١٠٤، كتاب الطلاق، ح رقم ١٤٧٨)، وقد فهم رسول الله (ﷺ) المهمة الجليلة التي أنيطت به، وعظم المسؤولية التي كلف بها، مع علمه بقصر المدة التي يجب عليه أن ينجز المهمة خلالها؛ فاستنفر الهمم، وسلك مسلك التعليم الجماعي، وحببهم بمجالس العلم فقال: «من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين، ح رقم ٩١)، وأمر المتعلمي أن يبلغوا ما علموا لغيرهم بأمانة، فقال (ﷺ): «بلغوا عني ولو آية» (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ح رقم ٣٤٦٢)، وقال أيضاً: «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» (جامع الترمذي ٥ / ٣٤، كتاب العلم، ح ٢٦٥٧)، كما حذرهم من التقصير في هذا الجانب، فقال (ﷺ): «من سُئل عن عِلْمٍ علمه ثم كتبه ألجم يوم القيامة بلجامٍ من نار». قال الترمذي: «حديث حسن» (جامع الترمذي ٥ / ٢٩، ح رقم ٢٦٤٩).

وهكذا نشط الصحابة (رض) في التعلم والتعليم، حتى أزالوا أمييتهم في وقت قصير وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس بشهادة رب العزة تبارك وتعالى، فقد وصفهم بقوله: ﴿كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾

(آل عمران: ١١٠).

وما كان ذلك ليحدث لولا حكمة النبي (ﷺ) وتميز شخصيته، ولذلك كان لابد لكل مسلم أن يتعرف على شخصية النبي (ﷺ) العلمية لتكون منارة يهتدي بها، وقدوة يقتدي بها في مسيرته التعليمية، ووجب على المجتمع المسلم أن ييث ملامح هذه الشخصية في نفوس أبنائه حتى يشحذ الهمم التي تقاصرت، ويعيد لهذه الأمة مجدها وسؤدها وتستعيد مكانتها اللاتقة بها بين الأمم.

تعريف الشخصية

الشخصية: كلمة حديثة الاستعمال فلا نكاد نجد لها وجوداً في معاجم اللغة العربية، وإذا وجدت فهي تعني: صفات تميز الشخص من غيره، وكان استعمالها قائماً على معنى الشخص.

ومعنى الشخص في اللغة: سواد الإنسان... وفي الحديث: «لا شخص أغير من الله» (صحيح مسلم ١١٣٦ / ٢، كتاب اللعان، ح رقم ١٤٩٩)؛ وقال ابن الأثير: «الشخص: كلُّ جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات، فاستُعير لها لفظ الشخص»^١. وقال الجرجاني: «الشخص سواد الإنسان القائم المرئي من بعيد»^٢.

وأما علماء النفس فوصفوا الشخصية بأنها: «مجموعة التفاعلات الداخلية التي تظهر على سلوك الإنسان الخارجي، وتنعكس على تصرفاته في مواجهة الأحداث التي تعترضه، وكذلك في مواجهة الأفراد المحيطين به؛ فيؤثر فيهم ويتأثر بهم. وكل فرد من أفراد المجتمع الإنساني يتميز عن غيره في تلك التفاعلات المنعكسة على سلوكه، وشخصية المرء هي التي تتضمن اتجاهاته، ودوافعه، وقيمه، ومبادئه، وما ينتمي إليه، وغير ذلك من سمات تظهر على سلوكه الخارجي؛ فتكسبه ثباتاً على نمط حياتي ثابت، فتتمايز حينئذٍ شخصية الأفراد في المجتمع الإنساني، ومن خلال ذلك يمكن تمييز أو تصنيف الشخصية أو تحديد معالمها»^٣.

المبحث الأول: صفات شخصية النبي (ﷺ)

إن شخصية النبي (ﷺ) ذات جوانب متعددة، وكل جانب من هذه الجوانب كان له تأثير بالغ في إنشاء جيل من الصحابة قادر على أن يقود العالم بأسره في فترة لم تتجاوز ثلاثة عقود. قد تقاصر أمام النبي (ﷺ) كل كبير، وتقزم أمامه كل عظيم، وأصبحت أمته بفضل قيادته سيدة الأمم، «ومن تأمل حسن رعايته للعرب مع قسوة طباعهم، وشدة خشونتهم، وتنافر أمزجتهم، وكيف ساسهم واحتمل جفاءهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، والتفؤوا حوله، وقتلوا أمامه ودونه أعز الناس عندهم، وآثروه على أنفسهم، وهجروا في طاعته ورضاه أحياءهم وأوطانهم وعشيرتهم وإخوانهم»^٤.

المطلب الأول: وصف القرآن الكريم لشخصية النبي (ﷺ):

إن أعلم الناس بالخلق هو خالقهم؛ ولذلك فإن أصدق وصف لشخصية النبي (ﷺ) هو ما وصفه به ربه، وقد جاء وصف النبي (ﷺ) في القرآن شاملاً لجميع جوانب شخصيته، ولكنني سأقتصر على الأوصاف التي تخص الجانب العلمي فيها.

أولاً: أهليته لقيادة العالم وتعليمه: فقد أخبرنا المولى - عز وجل - أن النبي (ﷺ) لم يبعث لأمة الإسلام فحسب، وإنما بعث للناس كافة، فقال جل في علاه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال أيضاً: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سبا: ٢٨).

ثانياً: رحمته ورأفته العامة: فلم تقتصر رحمته (ﷺ) بالمسلمين، بل تعدت ذلك إلى جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال أيضاً: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨).

ثالثاً: سمو أخلاقه: أثنى الله على رسوله (ﷺ) وأكد سمو أخلاقه، وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وإنك لعلی خلقٍ عظیم﴾ (القلم: ٤).

رابعاً: أهليته للتعليم: وقد تأهل النبي (ﷺ) لأن يكون المعلم الأول للبشرية

جمعاء بفضل تعليم الله إياه، فقال عز وجل: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ (النساء: ١١٣).

خامساً: صبره: التعليم يحتاج الى الصبر، قد أمر الله نبيه بالصبر في مواضع كثيرة، والنبي (ﷺ) هو خير من يمثل لأمر ربه، قال تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ (المعارج: ٥)، وقال عز وجل أيضاً: ﴿ولربك فاصبر﴾ (المدثر: ٧)، وقال جل جلاله أيضاً: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ (الانسان: ٢٤).

سادساً: تواضعه: قال تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر: ٨٨). وسيأتي الكلام عن تواضعه (ﷺ) تفصيلاً في المطلب القادم.

ولم يقتصر القرآن في وصف النبي (ﷺ) على هذه الصفات، وإنما نعتة بأحسن النعوت، وأكتفي بما ذكرت من أوصاف القرآن للنبي (ﷺ) طلباً للاختصار.

المطلب الثاني: وصف الصحابة لشخصية النبي (ﷺ):

إن وصف الصحابة (رض) لشخصية النبي (ﷺ) كثيرة لا تعد ولا تحصى؛ إذ نعتوه بكثير من الأوصاف. فقد روى البخاري بسنده عن أنس قال: «قال: كان النبي (ﷺ) أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة؛ فكان النبي (ﷺ) سبقهم على فرس؛ وقال: وجدناه بحراً» (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجن، برقم ٢٨٢٠)، كما روى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «إن رسول الله (ﷺ) لم يكن فاجشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: إن من خياركم - أو قال: إن من أحبكم إلي - أحسنكم أخلاقاً» (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود، برقم ٣٧٦٠).

وروى الترمذي بسنده عن الحسن بن علي (رض) قال: «سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصافاً، قلت: صف لي منظر رسول الله (ﷺ)، قال: كان رسول الله متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا

تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعذّي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غص طرفه، جُلُّ ضحكته التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام»^٥.

كما روى الترمذي بسنده عن الحسين بن علي (رض)، قال: «سألت أبي عن سيرة رسول الله في جلسائه فقال: «كان رسول الله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظاً، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عيَّاب، ولا مدَّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤيس منه راجيه، ولا يُخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم اطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكث تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجب منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومساكنه، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثاً حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام»^٦.

المطلب الثالث: وصف النبي (ﷺ) في الكتب السابقة:

أخبر الله - عز وجل - عن صفة محمد (ﷺ) وأصحابه في التوراة والإنجيل؛ فقال عز من قائل: ﴿محمداً رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

وروى البخاري بسنده عن عطاء بن يسار «قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص

رضي الله عنهما. قلت: أخبرني عن صفة رسول الله (ﷺ) في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً﴾ وحرزاً للأُميين أنت عهدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً» (صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية الصخب بالأسواق، برقم ٢١٢٥).

المبحث الثاني: شخصية النبي (ﷺ) العلمية

وهذا الجانب هو مدار هذا البحث، الذي يهدف الى إبراز بعض الجوانب المهمة في شخصية النبي (ﷺ) التعليمية، والتعريف ببعض الأساليب التي سلكها النبي (ﷺ) في التعليم؛ لتكون هادية لنا في مسيرتنا التعليمية. فقد «كان رسول الله (ﷺ) من الرأفة والرحمة، وترك العنت وحب اليسر، والرفق بالمتعلم، والحرص عليه، وبذل العلم والخير له في كل وقت ومناسبة: بالمكان الأسمى والخلق الأعلى»^٧، وقد شهد له بذلك القاصي والداني، حتى أن غير المسلمين شهدوا له بالفضل في تغيير العرب من أمة جاهلية تعيش على هامش التاريخ الى أمة مؤهلة لقيادة العالم بأسره في زمن قصير، فهي هو «كارليل» يصف العرب قبل بعثة النبي (ﷺ) وبعدها فيقول: «هم قوم يضربون في الصحراء، ولا يؤبه لهم عدة قرون؛ فلما جاءهم النبي العربي، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرافان، وكثروا بعد القلة، وعزُّوا بعد الذلة، ولم يمض قرنٌ حتى استضاءت أطراف الأرض بقولهم وعلومهم»^٨، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وقد تميز النبي (ﷺ) بصفات كثيرة ساهمت في إثراء شخصيته العلمية، وامتلاكه لبعض مهارات الاتصال التي تفوقت على أحدث الوسائل التي توصل إليها العلم الحديث، وكانت هذه المهارات مرجعاً لكبار العلماء في التربية والتعليم واستفادوا منها في تنفيد معظم القواعد في التربية والتعليم، وسأذكر بعض هذه الصفات على سبيل المثال لا

الحصر:

أولاً: الإخلاص في القول والعمل:

الإخلاص له أثر بالغ في إنجاح عملية الاتصال؛ ولذلك بين الله - جل وعلا - أن الإخلاص سبب رئيس في قبول العبادات، وركن من أركانها، قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ (البينة: ٥)، كما جعل الله الإخلاص سبباً في إجابة الدعاء، فقال تعالى: ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾ (غافر: ٦٥)، وقد بين النبي (ﷺ) ارتباط الأعمال بالنيات بقوله: ﴿إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى﴾ (صحيح البخاري، ح رقم ١١).

ثانياً: حسن السيرة^٩ والسريرة^{١٠}:

فقد كان النبي (ﷺ) يهتم بمظهره ويحافظ على هيئته مما يضيف عليه هيبة ووقاراً، ويجعل كلامه يقع موقعاً حسناً في نفوس الناس؛ فإن الناس يحبون جمال المظهر، وترتاح له نفوسهم، بل إن الله - عز وجل - أمر بالزينة عند دخول المساجد. فقال جل في علاه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الاعراف: من الآية ٣١).

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود أن النبي (ﷺ) قال: «... إن الله جميل يحب الجمال...» (صحيح مسلم ١ / ٩٣، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح رقم ٩١)، كما روى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله «قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلاً شعناً قد تفرق شعره، فقال: أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره؟ ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسيخة، فقال: أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟» (سنن أبي داود ٢ / ٤٤٩، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب والخلقان، ح رقم ٤٠٦٢؛ ورجاله كلهم ثقات، وقد صححه الشيخ الألباني).

وروي أن النبي (ﷺ) قال: «إنكم قادمون على إخوانكم؛ فأصلحوا رجالكم، وأصلحوا لباسكم؛ فإن الله - عز وجل - لا يحب الفحش ولا التفحش» (مسند أحمد، ٤ /

١٧٩، وقال الشيخ شعيب: محتمل للتحسين)، وفي رواية الطبراني زاد بعد قوله: «لباسكم»: «حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس» (المعجم الكبير، ٥ / ١٦٣). فكل هذه الآثار تدل على اهتمام النبي (ﷺ) بالمظهر العام للمسلم. أما فيما يخص سريره (ﷺ): فقد شهد له ربه بكرم أخلاقه (ﷺ) وصفاء سريرته، فقال جل ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ومن الجوانب التي تدل على حسن سريرته (ﷺ):

١. حسن الخلق: كان (ﷺ) أحسن الناس خلقاً، فقد روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك «قال: كان رسولُ الله (ﷺ) أحسنَ الناسِ خلقاً» (صحيح مسلم، ١ / ٤٥٧، كتاب الفضائل، ح رقم ٢٣١٠)، وكان (ﷺ) يأمر بحسن الخلق فقد روى الترمذي بسنده عن أبي ذر (رض) قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلقٍ حسنٍ» (جامع الترمذي، ٤ / ٣٥٥)، كتاب البر والصلة، كتاب معاشرته الناس، برقم ١٩٨٧، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح).

٢. التواضع: كان رسول الله (ﷺ) من أشد الناس تواضعاً لأصحابه، ولم يكن يترفع عنهم أو يميز نفسه عنهم بشيء، بل كان يمتزج بهم، حتى لا يعرف من بينهم: فقد روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك «قال: بينما نحن جلوس مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في المسجد دخل رجل على جمل؛ فأناخه في المسجد، ثم علقه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي - صلى الله عليه وسلم - متكئ - بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ» (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم... برقم ٦٣)، وروى أيضاً بسنده عن أنس بن مالك قال: «ان كانت الأمة من أماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتنتلق به حيث شاءت» (رواه البخاري عن الترمذي) ^{١١}.

وكان (ﷺ) يأمر أصحابه بالتواضع؛ فقد روى مسلم بسنده عن عياض بن حمار - أخي بني مجاشع - قال: قام فينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم خطيباً فقال: «... وان الله

أوحى الي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ» (صحيح مسلم، ٤/ ٢١٩٧، ح ٢٨٦٥).

وروى ابن حبان بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ﷺ) قال: «من تواضع لله درجة، يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين...» (صحيح ابن حبان، ١٢/ ٤٩١، ح رقم ٥٦٧٨).

وكان النبي (ﷺ) يشارك أصحابه في العمل الجماعي، كي يشعرهم بذنه واحد منهم مما يجعله قريباً منهم، ويجعل لكلامه أثراً في نفوسهم، ففي غزوة الخندق كان يشاركهم الحفر؛ فقد روى البخاري بسنده صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال: «رأيتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الخندق وهو ينقلُ الترابَ حتى وارى الترابُ شعرَ صدره، وكان رجلاً كثيراً الشعر» (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، برقم ٣٠٣٤).

٣. الزهد: لم يكن النبي (ﷺ) يهتم بالدنيا، ولا يركن إليها، وكان يحذر أصحابه من الركون إلى الدنيا، وكان يقلل من شأن الدنيا؛ فقد روى الترمذي بسنده عن سهل بن سعد قال: «قال رسول الله (ﷺ): لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء». قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه (جامع الترمذي، ٤/ ٥٦٠، كتاب الزهد، باب هوان الدنيا على الله، برقم ٢٣٢٠)، كما روى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: نام رسول الله (ﷺ) على حصيرٍ فقَامَ، وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (جامع الترمذي، ٤/ ٥٨٨، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، برقم ٢٣٧٧).

وروى الحاكم بسنده عن سهل بن سعد أن النبي (ﷺ) وعظ رجلاً فقال: «أزهدي الدنيا يحبك الله عز وجل، وأزهدي ما في أيدي الناس، يحبك الناس» (المستدرک، ٤/ ٣٤٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، قلت: كلام الحاكم فيه نظر^{١٢} هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ان الذين يسرُّ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ

إلا غلبه فسدوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» (صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب الدين يسر، برقم ٣٩)، كما روى بسنده عن أنس بن مالك قال: «جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ)؛ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أئين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فاني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله! أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني» (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم ٥٠٦٣).

وأما في أمور الدنيا، فقد أمر أصحابه بالاعتدال، وأن يطلبوا من الدنيا قدر الكفاية؛ فقد روي أنه كان يقول لأصحابه: «خيركم من لم يترك دنياه لآخرته، ولا آخروته لدنياء، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه»، وهذا صحيح؛ لأن الانقطاع الى أحدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال؛ وقال (٦): «نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة» ١٣.

ثالثاً: توافق القول مع العمل: القول اذا لم يقترب بالعمل لا يؤثر في نفوس المخاطبين، وقد عاب الله - جل جلاله - على الذين يقولون ما لا يفعلون فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢ - ٣)، والنبي (ﷺ) هو أحق من يتبع كلام الله، بل انه أمر بقتال من يقولون ما لا يفعلون بشتى الوسائل، فقد روى مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» (صحيح مسلم، ١ / ٥٩، كتاب الايمان، برقم ٥٠).

وها هو الصحابي الشهير عمرو بن العاص يصف النبي (ﷺ) للجلندي ملك عمان

بقوله: «لقد دلني على هذا النبي الأمي انه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له»^{١٤}.

وهذه الصفات والميزات غيض من فيض، وسطر من قطر، فصفاة (ﷺ) أكبر من أن يحيط بها مثل هذا البحث المتواضع، وانما أردت أن أشير الى بعض الصفات التي تميزت بها (ﷺ)، وكان لها تأثير واضح في بروز شخصية النبي (ﷺ) العلمية.

المبحث الثالث: طرق التعليم والأساليب النبوية في الخطاب

استخدم النبي (ﷺ) أفضل أساليب التعليم وأحسنها، وكان (ﷺ) ينوع من أساليبه في التعليم بقصد البعد عن الرتابة والملل، وكان يختار من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها الى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، وأكثرها مساعدة على ايضاحه له، وكان يلون الحديث لأصحابه بألوان كثيرة؛ فتارة فيكون سائلاً، وتارة يكون مجيباً، وفي بعض الأحيان يجيب السائل بقدر سؤاله، وفي بعضها الآخر يزيده على ما سأل، وأحياناً يضرب المثل لما يريد تعليمه، وأحياناً أخرى يصحب كلامه القسم بالله تعالى، ومرة يعلم بطريق الكتابة، أو بطريق الرسم، وقد يستخدم التشبيه أو التصريح، وقد يستخدم الابهام أو التلويح، وكان (ﷺ) يورد الشبهة ليذكر جوابها، أو يسلك سبيل المداعبة والمحاكاة في ما يعلمه، أو يمهّد لما يشاء تعليمه وبيانه تمهيداً لطيفاً، أو يسلك سبيل المقايضة بين الأشياء، أو يشير الى عللها لذكر جوابها، أو يسأل أصحابه وهو يعلم ليحتجهم بذلك، وتارة يسألهم ليرشدهم الى موضع الجواب، وتارة يلقي اليهم العلم قبل السؤال، وتارة يخص النساء ببعض مكجالسه، ويعلمهن ما يحتجن اليه من العلم، وتارة يراعي حال من بحضرته من الأطفال والصغار، فيتنزل اليهم ويعلمهم بما يلاقي طفولتهم ولهوهم البريء، الى غير ذلك من الفنون التعليمية^{١٥}.

المطلب الأول: ميزات الأسلوب النبوي في لقاء الخطاب

الحديث النبوي يمتاز بحد ذاته بقوة البيان الذي يأخذ بمجامع القلوب، حتى أن الله - عز وجل - سمى الحديث: «حكمة»؛ فقال جل في علاه: ﴿أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ (النساء: ١١٣)، والنبي (ﷺ) أوتي جوامع الكلم، وهذا ما أخبر به بقوله (ﷺ): «بعثت بجوامع الكلم» (صحيح البخاري، ٧٠١٣)، وقد امتاز الأسلوب النبوي بميزات عديدة جعلته يقع موقعا حسنا في نفوس الصحابة (رض)، ويؤثر فيهم تأثيراً بالغا، ويسهل عليهم حفظه وتطبيقه، ومن أهم ميزات الأسلوب النبوي:

أولاً: الإيجاز: كان كلام النبي (ﷺ) قصداً، فلم يكن يطيل الكلام، بل كان يكتفي بالألفاظ القليلة التي تؤدي معان كثيرة، وتصف السيدة عائشة - رضي الله عنها - حديث النبي (ﷺ) بقولها: «انما كان النبي (ﷺ) يحدث حديثاً لو عدّه العادُ لأحصاه» (صحيح البخاري، ح ٣٥٦٨؛ ومسلم ٢٤٩٣).

ثانياً: اظهار المحبة للمخاطبين: المحبة رسول القلوب، وفي اظهارها تقوية لأواصر المحبة بين المخاطبين، بحيث تطمئن النفوس وتزيد من ثقة المخاطب بالمتكلم، فيقع كلام المتكلم موقعا حسنا في قلب المخاطب، فيتلقاه بنفس راضية، ويبعث الشوق في نفسه.

وقد حرص النبي (ﷺ) على هذا الجانب، فقد أخذ (ﷺ) بيد معاذ بن جبل وقال له: «يا معاذ والله! اني لأحبك، والله! اني لأحبك». فقال أوصيك يا معاذ! لا تدعن في دبري كلا صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (أرويه بسندي المتصل الى النبي (ﷺ)) وقد رواه أبوداود ١٥٢٢ بسند صحيح، وجميع رواته ثقات). وروى الحاكم بسنده عن أبي اسحاق وأن رسول الله (ﷺ) قال لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد! اني أحبك حبين: حباً لقربتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي اياك» (المستدرک، ٣/ ٦٦٧، ح ٦٤٦٤، وفي الحديث الذي بعده ٦٤٦٥، رواه من طريق حذيفة بن اليمان بنحوه). وروى بسنده عن أنس أن رسول الله (ﷺ) استقبل غلماناً من غلمان الأنصار، واماءً وعبيداً فقال: «والله اني لأحبكم».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (المستدرک، ٩٠٤/ح، ٦٩٧٦).

ثالثاً: الثاني وعدم سرد الحديث متتابعاً: كان (ﷺ) يتأنى في القاء الكلام الى أصحابه ليتمكنوا من فهمه وحفظه، حيث كان جل اعتمادهم في الحديث على الحفظ، وهذا ما أشارت اليه السيدة عائشة - رضي الله عنها - بقولها: «ان رسول الله (ﷺ) لم يكن يسرد الحديث كسردكم» (صحيح البخاري، ح ٣٥٦٨، ومسلم، ٤ / ١٩٤٠، ح ٣٣٧٥)، وفي رواية أخرى قالت: «ما كان رسول الله (ﷺ) يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه» (الشمال المحمدية، للترمذي، ١ / ١٨٣، ح ٢٢٤).

رابعاً: التكرار: فكان (ﷺ) يكرر بعض الكلمات المبهمة أو الصعبة ليبين أهمية الكلام من جهة، ولتعيه صدورهم من جهة أخرى، ويسهل عليهم حفظه، فقد عقد البخاري باباً في كتاب العلم بعنوان: «من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه» ومما جاء في هذا الباب ما رواه بسنده عن أنس أن النبي (ﷺ): «كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه» (صحيح البخاري، ح رقم ٩٥).

خامساً: استخدام ألفاظ العموم تجنباً لاجراج المخاطبين: ان عدم تخصيص المذنب بالكلام يجنبه الجرح، ويجعله يقبل الموعظة بنفس راضية، ويقذف حب المتكلم في قلب المخاطب؛ لأنه ستر عليه ولم يفضحه، ويسارع الى الانتهاء عن المخالفة من باب رد الجميل، وحتى تبقى صورته حسنة في نفوس الناس، ولذلك كان رسول الله (ﷺ) يستخدم ألفاظ العموم في عتاب أصحابه، فقد روى أبو داود بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي (ﷺ) اذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟» وروى البخاري بسنده عنها - أيضاً - قالت: «أتتها بريرة تسألها في كتبتيها، فقالت: ان شئت أعطيتُ أهلك، ويكون الولاء لي، فلما جاء رسول الله (ﷺ)، ذكرته ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ابتاعها فأعتقها؛ فان الولاء لمن أعتق»، ثم قام رسول الله (ﷺ) على المنبر فقال: ما بال أقوام يشترطون

شروطاً ليس في كتاب الله؟ من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة شرط» (صحيح البخاري، ح ٤٥٦). وفي رواية أخرى لها قالت: «صنع النبي - صلى الله عليه وسلم - شيئاً، فرخص فيه فتتزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فخطب، فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتتزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله! أني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشيةً» (صحيح البخاري، ح ٦١٠١).

سادساً: مراعاة الفروق الفردية: إن من فقه الإمام أن يرداعي الفروق الفردية بين السائلين في فتواه، والنبي (ﷺ) هو المعلم الأول، وهو الذي قرر هذه القاعدة، وتعلمها منه أصحابه (رض)، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: كُنَّا عنده (ﷺ) فجاء شابٌ فقال: يا رسول الله! أقبل وأنا صائم؟ قال: لا. فجاء شيخٌ فقال: أقبل وأنا صائم؟ قال: نعم. قال: فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد علمتُ لم نظر بعضكم إلى بعض؟ إن الشيخ يملك نفسه» (مسند أحمد، ٢ / ١٨٥)، وهذا الحديث ضعفه الألباني.

قلت: هو حسن لغيره لأن له شاهداً من حديث أبي هريرة، فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب». قال الشيخ الألباني: «حسن صحيح» (سنن أبي داود، ح ٢٣٨٧).

ومن ذلك أن النبي (ﷺ) كان يقبل الإجابة عن بعض الأسئلة من قوم دون قوم؛ فقد روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: «نهينا أن نسأل رسول الله (ﷺ) عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟... الحديث، قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال: نعم. قال: ورعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: صدق؛... قال: ثم ولي. قال: والذي بعثك بالحق لا

أريد عليهن، ولا أنقص منهن. فقال النبي (ﷺ): لئن صدق ليدخلن الجنة» (صحيح مسلم، ح ١٢).

المطلب الثاني: طرق التعليم النبوية

سلك النبي (ﷺ) طرقاً متعددة في التعليم، وذلك باختلاف الحال والمقام، وهذا التنوع جعل الصحابة (رض) يحفظون الحديث ويفهمونه؛ لأن النبي (ص) كان يراعي أحوال المتعلمين، فيخاطبهم بما يناسبهم، فكانوا بحق هداة البشرية ومعلمهم من بعده؛ ومن هذا الطرق:

أولاً: التعليم بالقدوة:

لقد أثبتت معظم الدراسات التربوية أن التعليم بالقدوة من أفضل أساليب التعليم وأشدّها تأثيراً في نفوس المخاطبين؛ فكل إنسان صغيراً كان أم كبيراً لا بد له من قدوة حسنة يتشرب منها المبادئ الثابتة، ويتلمس خطاها في سيره ويسير على نهجها ويقتفي أثرها، وقد أرشدنا الله - جل في علاه - إلى أعظم قدوة يمكن أن تقتدي بها في حياتنا؛ فقال جل ذكره وتقدست أسماؤه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

كما أشار الباري - عز وجل - إلى أن اتباع النبي (ﷺ) هو السبيل إلى التعبير عن محبة الله - جل في علاه - فقال تعالى على لسان نبيه (ﷺ): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران، ٣١)، ودلت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة اتباع النبي (ﷺ) في كل شيء، فقد روى البخاري بسنده عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبي (ﷺ) ونحن شبيبة متقاربون. فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عن تركنا في أهلنا. فأخبرنا أنه وكان رقيقاً رحيماً. فقال: «ارجعوا إلى أهليكم. فاعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحذكم ثم ليؤمكم أكبركم» (صحيح البخاري، كتاب الأدب، ح رقم ٦٠٠٨).

وروى مسلم عن سهل بن سعد في صفة منبر رسول الله (ﷺ) قال: «... ولقد رأيت رسول الله (ﷺ) قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه - وهو على المنبر - ثم رفع فنزل القهقري حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس اني صنعت هذا لتأتوا بي ولتعلموا صلاتي» (صحيح مسلم، ١ / ٣٨٦، كتاب المساجد، ح رقم ٥٤٤).

وروى الامام ذحمد بسنده عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - رضي الله عنهما - قصة صلح الحديبية في حديث طويل. فلما تم الصلح بين النبي (ﷺ) ومشركي قريش قام رسول الله (ﷺ) فقال: «يا أيها الناس! انحروا واحلقوا». قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله (ﷺ) فدخل على أم سلمة فقال: «يا أم سلمة! ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم انساناً، واعمد الى هديك حيث كان فانحروه، واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله (ﷺ) لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق. فقام الناس ينحرون ويحلقون» (مسند أحمد، ٤ / ٣٢٣)، فالصحابه (رض) اقتدوا بالنبي (ﷺ) في فعله، وكان هذا أبلغ من الأمر القولي.

وهكذا كان الصحابة (رض) يقتدون بالنبي (ﷺ) في كل أعمالهم، فها هو عمر بن الخطاب يأتي الحجر الأسود فيقول: «اني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت النبي (ﷺ) يقبلك ما قبلتك» (صحيح البخاري، كتاب الحج، ح رقم ١٥٩٧). والأمثلة على ذلك كثيرة لا حصر لها.

ثانياً: التعليم بالموعظة:

الموعظة: «النصح والتذكير بالعواقب»^{١٦}، قال تعالى: ﴿ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: من الآية ١٢٥)، وقال أيضاً: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ (النساء: ٦٣)، وقد كان النبي (ﷺ) يتخير الوقت المناسب للموعظة، ويراعي أوقات النشاط عندهم خشية

الملل؛ فقد روى البخاري بسنده عن ابن مسعود« قال: كان النبي (ﷺ) يستخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السّامة علينا» (صحيح البخاري، ح رقم ٦٨)، وكان عبد الله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم، وإني أخولكم بالموعظة كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بها مخافة السّامة علينا (صحيح البخاري، ح رقم ٧٠)، وكان (ﷺ) يخصص يوماً للنساء يعظهنّ فيه، فعن أبي سعيد الخدري أن النساء قلن للنبي (ﷺ): اجعل لنا يوماً، فوعظهن وقال: «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار». قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان (صحيح البخاري، ح رقم ١٢٥٠).

ثالثاً: الترغيب والترهيب:

الترغيب والترهيب من طرق التعليم التي استخدمها النبي (ﷺ) في تعليم أصحابه حتى يبقى المسلم يعيش بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف: من الآية ١٦٧)، ويقول الرسول المعلم (ﷺ): «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته أحد» (صحيح مسلم، ٤ / ٢١٠٩، ح ٢٧٥٥).

رابعاً: ضرب الأمثال لتقريب الصورة

وهذه الطريقة كان رسول الله (ﷺ) يلجأ إليها عندما تكون المعاني مبهمة أو غير واضحة من أجل تقريب المعنى الى ذهن المتعلم وتبسيط الصورة، أو إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وهذا الأسلوب استعمله القرآن في أكثر من موضع، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (ابراهيم: ٢٤)، وقال أيضاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

(الجمعة: من الآية ٥).

أما في السنة فالأمثلة كثيرة. من ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟». فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة». (صحيح البخاري، ح ٦١). وروى أيضاً بسنده عن أبي هريرة: «مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار» (صحيح البخاري، ح ٣٤٢٧)، كما روى بسنده عن النعمان بن بشير أن النبي (ﷺ) قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (صحيح البخاري، ٢٤٩٣).

وروى مسلم بسنده عن أبي موسى الأشعري عن النبي (ﷺ) قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة» (صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٢٦، ح ٢٦٢٨).

خامساً: استخدام القصة في التعليم: وتهدف القصة إلى شد المستمع واسترعاء انتباهه بهدف التأثير بشخصيات القصة، ومحاولة الإقناع عن طريق الإيحاء الفكري، وبيان أهمية العمل الصالح، وقد اتسمت القصة النبوية بوضوح الأسلوب وبساطته، وجاذبيتها التي تأخذ بمجامع القلوب، ومن أمثلة القصة النبوية ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم! كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهل ولا مالا، فناء بي في



طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو ماله. فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي (ﷺ): وقال الآخر: اللهم! كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأدرتها عن نفسها. فامتعت مني حتى أملت بها سنة من السنين. فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تقض الخاتم إلا بحقه. فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم! إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي (ﷺ): وقال الثالث: اللهم! إنني استأجرت أجراً، فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال. فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله! أد إلي أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي. فقلت: إنني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم! فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (صحيح البخاري، ح ٢٢٧٢).

كما روى بسنده عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «وقال: كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما. فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود، ف قضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتا. فقال: اتتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل - يرحمك الله - هو ابنها، ف قضى به للصغرى» (صحيح البخاري، ح ٣٤٢٧).

سادساً: استخدام الحوار كوسيلة من وسائل الإقناع: والحوار وسيلة من وسائل الإقناع وإيصال المقصود في الحالات التي يصعب على المستمع استيعاب الصورة مجردة في بعض الأمور المشككة، فالحوار يثير انتباه السامعين، ويشوقهم لسماع الجواب

مما يجعل ذلك أوقع في نفوسهم، ومن أشهر الأحاديث في الحوار حديث جبريل الذي رواه مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب «قال: بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي (ﷺ). فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله (ﷺ): الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (ﷺ) وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، قال: فجعبتنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» (صحيح مسلم، ١ / ٣٦، كتاب الإيمان، ح رقم ٨).

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) «فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال (ﷺ): «هل لك من إيل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها قال: حمر. قال: هل فيها من أزرق؟ قال: نعم. قال: فأني ذلك؟ قال: لعله نزع عرق. قال (ﷺ): فلعل ابنك هذا نزع» (صحيح البخاري، ح ٥٣٠٥).

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي أمامة أن فتى شاباً أتى النبي (ﷺ) «فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه. فقال: أدن. فدنا منه قريباً قال: فجلس. قال (ﷺ): «أتحبه لأمك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله! يا رسول الله! جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبونه لإخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله! جعلني الله



فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم! اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه» (مسند أحمد، ٥ / ٢٥٦).

سابعاً: تقريب لغة الخطاب وتبسيطها للمخاطبين: وهذا يكون على ضربين:

١. مخاطبة الناس باللهجة التي يفهمونها؛ لأن المخاطب إذ لم يفهم كلام المتكلم فكأنه لم يسمعه أصلاً، فالهدف من الخطاب بالدرجة الأولى: أن يفهم المخاطب المقصود من الخطاب، إذ إن بعض القبائل أو بعض المناطق لها لهجة خاصة بهم يفهمون الخطاب بواسطتها أكثر من غيرها، فكان النبي (ﷺ) يراعي هذه المسألة، فقد جاء في بعض طرق حديث: «ليس من البر الصوم في السفر» (صحيح البخاري، ح ١٩٤٦)، قال الحافظ ابن حجر: «رواه أحمد من حديث كعب بن عاصم الأشعري بلفظ: ليس من أم برام صيام في أم سفر، وهذه لغة لبعض أهل اليمن يجعلون لام التعريف: ميماً ويحتمل أن يكون النبي (ﷺ) خاطب بها هذا الأشعري كذلك؛ لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بها على ما ألف من لغته فحملها عنه الراوي عنه وأداها باللفظ الذي سمعها به وهذا الثاني أوجه عندي والله أعلم»^{١٧}.

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال: «علمني رسول الله (ﷺ) فكان فيما علمني: وحافظ على الصلوات الخمس. قال: قلت: إن هذه ساعات لي فيها أشغال، فمرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني. فقال: حافظ على العصرين، وما كانت من لغتنا، فقلت: وما العصران؟ فقال: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ح ٤٢٨).

٢. التنزل بالخطاب لمستوى المخاطبين؛ لأن الخطاب إذا كان فوق مستوى المخاطب فلا يؤتي ثماره، ولذلك لا بد للمتكلم أن يراعي أحوال المخاطبين وقدراتهم على الفهم والاستيعاب، ومخاطبتهم بما تتحمله عقولهم، وتعيه قلوبهم، وقد عقد البخاري في كتاب العلم باباً بعنوان: «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا» وذكر فيه حديث

علي بن أبي طالب: «حدثوا الناس بما يعرفون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» (صحيح البخاري، ح ١٢٧) ١٨

هذا الأثر رواه البخاري مسنداً لا معلقاً، لكنه في بعض الروايات علقه أولاً، ثم ذكر إسناده، وفي بعضها ساق إسناده أولاً، فرواه عن عبيد الله بن موسى عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي به.

ثامناً: طرح الأسئلة:

من الطبيعي أن يسأل الطالب سؤال المستفهم، ولكن النبي (ﷺ) كان يطرح الأسئلة أحياناً بقصد إثارة انتباه السامعين وتشويقهم لمعرفة الجواب، وأحياناً ليحرك ذكاءهم ويثير فطنتهم، ويختبر ما عندهم من علم، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قال النبي (ﷺ) بمنى: أتدرون أي يوم هذا، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن هذا يوم حرام، أفْتَدْرُونَ أي بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بلد حرام، أتدرون أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهر حرام، قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» (صحيح البخاري، ح ٦٠٤٣).

وروى مسلم بسنده عن عن أبي ذر أن النبي (ﷺ) قال يوماً: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت. فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك - تحت العرش - فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت. فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك - تحت العرش - فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين: ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨)، والحديث رواه مسلم في

الصحيح، ح (١٥٩).

وروى أيضاً بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «قال: أ تدرّون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» (صحيح مسلم، ح ٢٥٨٩).

والأمثلة كثيرة فقد روي أنه قال: «أ تدرّون ما المفلس؟...» (صحيح مسلم، ح ٢٥٨١)؛ وقال: «أ تدرّون أي الصدقة أفضل؟...» (مسند أحمد، ١ / ٤٦٣)؛ وقال: «أ تدرّون ما الغيبة؟...» (سنن أبي داود، ح ٢٧٨٨)؛ وقال: «أ تدرّون ما أخبارها؟...» (جامع الترمذي، ٣٣٥٣)؛ وغير ذلك من الأمثلة والأسئلة.

المطلب الثالث: الوسائل المساعدة في الخطاب النبوي

كان النبي (ﷺ) يستخدم بعض الوسائل التوضيحية من أجل تقريب المقصود الى أذهان المخاطبين، ومن هذه الوسائل:

أولاً: الإشارة:

١. الإشارة ببعض الأصابع: روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: «قال (ﷺ): بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين، وقرن بين السبابة والوسطى» (صحيح البخاري، ح ٥٣٠١).

وروى أبو داود بسند صحيح عن سهل بن سعد أن النبي (ﷺ) «قال: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام» (سنن أبي داود، ح رقم ٥١٥٠).

٢. التشبيك بين الأصابع: روى البخاري بسنده عن أبي موسى أن النبي (ﷺ) «قال: إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه» (صحيح البخاري، ح ٤٨١)؛ وروى أبو داود بسند صحيح عن جبير بن مطعم قال: «...» فقال رسول الله

(ﷺ): إنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبك بين أصابعه (ﷺ)» (سنن أبي داود، ح ٢٩٨٠).

٣. الإشارة باليد: روى البخاري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قال: قال النبي (ﷺ): أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا تكفت الثياب والشعر» (صحيح البخاري، ح ٨١٢)، وروى أيضاً بسنده عن عبد الله قال: ذكر الدجال عند النبي (ﷺ) «فقال: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» (صحيح البخاري، ح ٧٤٠٧)، وروى مسلم بسنده عن ابن أبي أوفى أن رسول الله (ﷺ) قال: «... إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا - وأشار بيده نحو المشرق - فقد أفطر الصائم» (صحيح مسلم، ح ١١٠١).

٤. تحريك الرأس والعض على الشفتين: روى البخاري في الأدب المفرد بسنده عن أبي ذر: «أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - بوضوء، فحرك رأسه وعض على شفتيه. قلت: بأبي أنت وأمي! أذيتك؟ قال: لا، ولكنك تدرك أمراء أو أئمة يؤخرون الصلاة لوقتها. قلت: فما تأمرني؟ قال: صل الصلاة لوقتها، فإن أدركت معهم فصله ولا تقولن: صليت فلا أصلي» (الأدب المفرد، ١ / ٣٣٠).

ثانياً: استخدام الخطوط التوضيحية:

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «خط النبي (ﷺ) خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (صحيح البخاري، ح ٦٤١٦)، وروى ابن ماجه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله (ﷺ) «قال: كنا عند النبي (ﷺ) فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنْ هَذَا

صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» (الأنعام: من الآية ١٥٣)؛ والحديث رواه ابن ماجة في سننه، ح رقم (١١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من اتبع هداهم وسار على نهجهم الى يوم الدين أما بعد:

ففي هذا الوقت الذي يشهد هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين، فينعتونه بالرجعية تارة، وبالتخلف تارة أخرى، وينظرون الى الإسلام على أنه دين التطرف والإرهاب، حتى بلغ بهم الأمر أن يتطاولوا على شخصية النبي الأعظم (ﷺ)، فإن الرد الطبيعي على هذه الاتهامات هو بإظهار صورة الإسلام السمحة، وتسليط الضوء على شخصية النبي (ﷺ) من جميع جوانبها؛ العلمية والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية... وغيرها.

وقد اخترت الكتابة في أحد هذه الجوانب، وهو شخصية النبي (ﷺ) العلمية، وحاولت إبراز هذا الجانب من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة؛ لأن هذا الجانب هو أهم الجوانب إذ ينبنى عليه باقي الجوانب الأخرى.

وقد بينت أن شخصية النبي (ﷺ) منارة يهتدي بها كل من يبحث عن الهدى؛ إذ أبهرت هذه الشخصية عقول العلماء والباحثين بالنتائج التي حققها، فلم يجد المنصفون من علماء التربية والتعليم بداً من أن يستعينوا بالقواعد والأسس التي استخدمها النبي (ﷺ) في مسيرته التعليمية بعد أن عجزت النظريات التربوية الحديثة عن مجاراة هذه القواعد، واعترفوا بأن النبي الأمي (ﷺ) كان أعظم شخصية تربوية عرفها التاريخ، واعترفوا له بالفضل والعلم، ولم يتوان المنصفون من علماء الغرب أن يقفوا إجلالاً لسيرة النبي (ﷺ) ويعلموا إسلامهم، لكن الذين أعمى الله بصيرتهم منعهم عنادهم من أن يعترفوا بنبوته فوصفوه بالمربي والعقري وغير ذلك ولم يعترفوا بنبوته، بل تعدى الأمر الى أن ينعتة بعض الحاقدين بصفات يخجل اللسان عن ذكرها، وهذا يدل على حقدهم الدفين، وكيدهم العظيم لهذا الدين؛ فأرادوا النيل من أكبر الرموز فيه، ولكن

المخلصين من أبناء هذه الأمة وقفوا لهم بالمرصاد وردوا كيدهم الى نحورهم.

وقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: صفات شخصية النبي (ﷺ) وفيه مطاب

المبحث الثاني: شخصية النبي (ﷺ) العلمية

المبحث الثالث: طرق التعليم والأساليب النبوية في الخطاب

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. أن النبي (ﷺ) هو المعلم الأول للبشرية جمعاء، وقد ثبت هذا بالنصوص القرآنية.

٢. أن سيرة النبي (ﷺ) هي الركيزة الأساسية في العملية التربوية والتعليمية، وفي شخصيته الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، والصورة الحية الخالدة على مدى التاريخ.

٣. أن الجانب العلمي من شخصية النبي (ﷺ) هو من أهم الجوانب في شخصيته، وفيها توجيه للمعلم والمتعلم على حد سواء.

٤. أن أقوال النبي (ﷺ) فيها أكثر من وجه تعليمي، وتحتوي على أكثر من أسلوب إرشادي أو تربوي، ولذلك نجد أن الحديث الواحد يصلح للاستشهاد في كثير من الأمور.

٥. أن الأساليب التربوية والتعليمية التي استخدمها النبي (ﷺ) كانت الركيزة الأساسية في إنجاح العملية التعليمية وحقت الأهداف المنشودة بدقة وموضوعية.

التوصيات

١. أوصي بأن تهتم الجامعات الإسلامية بإبراز شخصية النبي (ﷺ) العلمية، ويجب أن تكون هذه الشخصية هادياً لهم ومرشداً في مسيرتهم التعليمية.

٢. التركيز على أسلوب التعليم بالقدوة، لأنه من أفضل أساليب التعليم وأشدّها تأثيراً وأقربها الى النجاح، وأن الإسلام يقيم منهجه على هذه الطريقة.

٣. التركيز على ربط التعامل مع جميع أجزاء الوجود (الخالق والمخلوقات) بالوحي بقسميه (المتلو وغير المتلو)، وأن يكون التعامل مع الوجود ضمن هذا الإطار.

٤. الدعوة الى عقد المزيد من المؤتمرات العلمية في الدول الإسلامية من أجل إبراز شخصية النبي الأعظم واستعراض صفاته، ليكون في ذلك رداً عملياً على الذين يحاولون النيل من النبي (ﷺ).
٥. الدعوة الى مقاطعة الدول التي تسمح لرعاياها بالنيل من شخصية النبي (ﷺ) على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
٦. وختاماً أسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأشكر راعي المؤتمر ومديره واللجنة التحضيرية وجميع الذين شاركوا في إنجاحه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

- ١ - ينظر: تاج العروس، باب الشين فصل الصاد، مادة: «شخص».
- ٢ - الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ / ١، ٤٢٥.
- ٣ - ينظر: [http:// annabaa. org/ nba ٥٤ /shakhsia. htm](http://annabaa.org/nba%٥٤/shakhsia.htm)
- ٤ - أبو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٩٦ م، هامش الصفحة ١٠ - ١١.
- ٥ - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢ / ١، ١٨٤.
- ٦ - المصدر السابق، ٢٩٠ - ٢٩١.
- ٧ - الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، هامش الصفحة ١١.
- ٨ - المصدر السابق نفسه.
- ٩ - السيرة: الهيئة، وبه فُسِر قوله تعالى: ﴿سُعِيدَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾؛ انظر: تاج العروس، ١ / ٢٩٨١.
- ١٠ - السريرة: عمل السر من خير أو شر؛ تاج العروس، ١ / ٢٩٣٨.
- ١١ - قال: وقال محمد بن عيسى حدثنا هشيم أخبرنا حميد الطويل حدثنا أنس بن مالك ... الحديث؛ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبير، برقم ٦٧٠٢، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب البراءة من الكبير والتواضع، برقم ٤١٧٧.
- ١٢ - قلت: في اسناده: خالد بن عمرو بن محمد القرشي، وهو: ضعيف (قال أحمد بن سيار عن أحمد بن حنبل: منكر الحديث، وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ليس بثقة يروي أحاديث بواطيل، وقال عباس عن يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وقال الحسين بن حبان عن يحيى: كان كذاها يكذب حدث عن شعبة أحاديث موضوعة، وقال البخاري والساجي وأبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: متروك الحديث ضعيف، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال صالح بن محمد البغدادي: كان يضع الحديث، وقال ابن حبان: كان يتفرد عن الثقات بالموضوعات لا يحل الاحتجاج بخبره؛ تهذيب التهذيب، ٣ / ٩٤).
- ١٣ - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، تحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧ م، ١ / ٢٦٨ يتصرف يسير؛ وقد ذكر الماوردي الأحاديث من غير اسناد. وقد ذكر العجلوني قريبا من معنى هذه الأحاديث فذكر حديث: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه»، ثم قال بعده رواه ابن عساكر والديملي عن أنس بلفظ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياء حتى يصيب منهما جميعا، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كالأعلى الناس»، وخرجه أبو نعيم والخطيب في تاريخه والديملي من وجه آخر، كشف الخفاء، ٢

١١٣٥ /

١٤ - ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤٢١ هـ، ١ / ٥٣٨.

١٥ - الرسول المعلم، مرجع سابق، ص ٦٣ - ٦٤ بتصرف.

١٦ - الوعظ والعهظة والموعظة: النصيح والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده: هو تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من نواب وعقاب، وفي التنزيل: (فمن جاءه موعظة من ربه)... والموعظة في معنى الوعظ حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه؛ وقد وعظه وعظاً وعظه واتعظ هو قبل الموعظة؛ لسان العرب، ٧ / ٤٦٦.

١٧ - ابن حجر، أحمد بن علي، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق عبد الله اليماني، المدينة المنورة، ١٩٦٤ م، ٢ / ٢٠٥.

١٨ - رواه البخاري تعليقاً عن علي (رض)، ثم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي (رض) بذلك، وقد ضعفه الألباني في (الجامع الصغير وزيادته، ١ / ٦٤٥)؛ وكلام الشيخ الألباني فيه نظر لأن الحديث متصل فقد أورد البخاري إسناده متصلاً، وحتى لو كان معلقاً فقد علقه بصيغة الجزم الى علي (رض) ثم رواه متصلاً.

مسيرة حقوق الانسان والتعليم لمحات على خطى الوحدة من التاريخ الفاطمي

(دراسة في مخرجات المشروع الفاطمي ودورها في الهوية العربية الموحدة)

بقلم / وليد الغمري

صحفي وباحث سياسي مصري

مقدمة الدراسة

استحضار التاريخ عندما يتحول لسؤال الهوية

في حياة الشعوب والأمم لحظات تكون فارقة، وواقع الأمة الإسلامية اليوم، هو واقع مرير بعد أن بات جنود العدو فوق الأرض، ولم يعد باقياً في جسد الأمة ولو شبراً واحداً لا يعاني الاحتلال، ونقصد بالاحتلال هنا الاحتلال بمفهومه الواسع في بلادنا الإسلامية والعربية، الاحتلال العسكري والاقتصادي وحتى الاحتلال الثقافي، لتصبح الحقيقة التي أوقن بها اليوم أن الأمة الإسلامية قد دخلت الحرب منذ سنوات ليست بالبعيدة، هذه الحرب التي نالت من الجميع وأحيكت في ظلها المؤامرات ومخططات التقسيم والفرقة، لتترك جموع الأمة أمام خيار واحد لا سبيل لنا دونه، أنه خيار الوحدة، والمتأمل في واقع الخريطة الإسلامية على هذا الكوكب سوف يدرك حجم المعركة وشراستها، بعد أن ملأت بلادنا بالعملاء والمرترقة والمأجورين، في سبيل تنفيذ مخطط واحد، ألا وهو مخطط الفرقة والشتات لجموع هذه الأمة، تلك المخططات التي باتت تأكل في الجسد الإسلامي

وتحاول النيل منه، وأمام سيل الأموال التي تتدفق على عملاء العدو وجنوده المأجورين في أراضينا، وبالتزامن مع حالة رسمية مهلهلة للنظام العربي والإسلامي نجحت هذه المخططات مؤخراً في أحداث فرقة على طريق المؤامرة المذهبية، لأشغال فتنة مذهبية بين أبناء الدين الواحد.

أنها المؤامرة على السنة والشيعة في البلاد الإسلامية والتي لعبت على إعادة إشغال خلافات مذهبية، كان قد ان لها أن تخدم نيرانها في دفاتر التاريخ الإسلامي، ذلك التاريخ نفسه الذي بدى على أنه الوسيلة الأولى في مخططات التقسيم المذهبي للأمة الإسلامية، وبالتحديد في الجزء المرتبط منه بتاريخ الدولة الفاطمية (الشيعة)، وللأسف أبتلع الأغبياء الطعم، وخرجت علينا أبواق سيادية من بلدان إسلامية، منها ما تشدق بعودة الخلافة الفاطمية، ومنها من قال بتكفير التاريخ الفاطمي (الشيعة)، وعلى كلا الجانبين مساحات من الغباء السياسي بل والعقائدي أحياناً، طالبت بتكفير الآخر المسلم، وهو ما يعني باختصار حدوث الفتنة ووقوعها، تلك الفتنة التي أدخلتنا بدورها الى ساحة جديدة للمعارك، ليس فقط ضد عدو غاشم، ولكن أيضاً ضد الآراء المتطرفة والغبية التي انسافت عن صد أو عن غير قصد لتنفيذ مخططات العدو، باختصار أنها اللعبة الأزرلية لنظرية (فرق تسد).

من أجل هذا نسطر هذه المحاولة المتواضعة على درب معاركنا ضد العدو، معركة نخوضها من أجل الوحدة الإسلامية، سنة وشيعة، محاولين بكل ما أوتينا من قوة ألا نقع في فخ التحيز لذلك أو لتلك، فقط خطوة ضئيلة على طريق المقاومة، من أجل هذا سنقلب سويلاً أوراقاً من دفاتر التاريخ الإسلامي، وبالتحديد عن تاريخ الدولة (الملغومة) من قبل العدو، أنه تاريخ الدولة الفاطمية، هذه الدولة التي ظلمها التاريخ، والظلم هنا يكمن في التحيز الاعمى سواء ضد الدولة أو معها، لتبقى في النهاية الحقبة الفاطمية، حقبة يمكن تأويل كافة أحداثها ووقائعها على كل محمل يراود منها، وبالتبعية أمكانية البحث بمفردات فتنة يمكن أحداثها في هذه الأمة، لذا سنحاول سويلاً وبنفس أساليب العدو - النبش في دفاتر التاريخ - أن نستحضر من دفاتر هذا التاريخ حلقة خاصة عن حقوق الإنسان في

الدولة الفاطمية وجوانب تطورها الحضاري، وسبل الاستفادة منها اليوم، في معركة الدفاع عن الأمة ووحدتها.

(درء الفتنة)

شكلا من مظاهر حقوق الانسان في الدولة الفاطمية

تسعى أمريكا ومعها الحلف الصهيوني في بلادنا العربية وقلبها مصر إلى زرع الفتنة، وخلق الصراعات بين أصحاب الأفكار والمذاهب وبخاصة أهل السنة والشيعة، وتسعى إلى إفقار المنطقة، وتحويلها إلى حالة دائمة من (الفوضى البناءة)، وفي مثل هذه الأوضاع نحتاج إلى العودة إلى التاريخ، نحتاج إلى تأمل التجارب الإسلامية والعربية الرائدة التي تم فيها وأد الفتنة، وبناء الجسور وتحقيق النهضة والرخاء للشعوب. وفي رحلة بحثنا التاريخي مؤخراً توقفنا أمام بعض النماذج المضيئة التي قدمتها الدولة الفاطمية التي ظلت تحكم معظم البلاد العربية حوالي ٢٦٠ عاماً.

اظن إيرز ما خرجنا به من فترة حكم الدولة الفاطمية، هو قدرتها على درء الفتنة بين أهل السنة والشيعة، وكان (الحاكم بأمر الله) وأبرز حكام هذه الدولة الذين مارسوا التسامح الديني والسياسي، ومن أبرز ما قامت به هذه الدولة هو جعلها (القاهرة) منارة للثقافة والعلم والتواصل بين أصحاب المذاهب ودعاة الوحدة، وقبل أن نقدم نماذج من إنجازات هذه الحقبة الفاطمية، فإننا نؤكد على حاجتنا إلى الجوانب الايجابية من التجربة الفاطمية، لبناء هوية عربية جديدة وتوحيدية وسط نيران الفتنة والصراعات والتخلف. ولنتأمل ما يرصده المؤرخون والعلماء من ثمار التجربة الفاطمية.

يحدثنا العلماء والمؤرخون أن مصر لم تستفد مصر من ولادتها الذين حكموها منذ الفتح الإسلامي قدر ما استفادت وانتفعت من الفاطميين على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية وأن بناء القاهرة والجامع الأزهر لهما خير دليل على ذلك.. والتاريخ يحدثنا عن نهضة واسعة في الحياة الفكرية والأدبية في العصر الفاطمي كما يحدثنا عن ازدهار العلوم الفلسفية والرياضيات والفلك والتنجيم والطب.

بناء الدولة الفاطمية مدخل نحو حقوق الانسان

إذا اردنا لقاء الضوء على هذه المساحة في ظل الحقبة الفاطمية، فمن البداية سوف يستلزم الأمر أن نستعرض في سطور ملامح قيام الدولة (الشيعية) من الأساس حيث سنجد أن الدولة الفاطمية قامت في بداية القرن الرابع الهجري كدولة إسلامية حكامها هم أئمة أهل البيت ورغم كونها دولة شيعية إسماعيلية إلا أنها احتوت كل المذاهب والأديان مكونة مجتمع نموذجي قاد لنهضة فكرية مزدهرة مسجلة أروع الصفحات في عمر الزمن.

التأسيس:

تطلبت ظروف تلك الفترة استتار الأئمة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق وعلى الرغم من ذلك لم يكونوا بمعزل من المضايقات والتتبع حتى حان وقت التأسيس للدولة العلوية الفاطمية الحلم التي انتظروها لقرون ومن مقر الإمام في سلمية (ضاحية حلب في سوريا) أرسل داعية الفرج بن حوشب (منصور اليمن) إلى عدن لاعة في اليمن ليكون ما يعرفه مؤرخو اليوم بالدولة الإسماعيلية الأولى لتكون معسكر الانطلاق حيث بدأ منها أبو عبدالله الشيعي كفاحه المسلح في إفريقية (تونس وشرق الجزائر اليوم) ليصنع اللبنة الأولى في هذا الكيان

التسمية:

استند العباسيون في شرعنت حكمهم إلى قرابتهم من الرسول وقللوا من مكانة العلويين بحجة أن جدّهم العباس هو عم النبي وهو أقرب من ولد العم (علي بن أبي طالب) ابن عم النبي، لذلك لم يكن هناك تطرق لقضية نسب العلويين، غير إن أئمة الدولة الفاطمية بنسبهم لفاطمة بنت الرسول وحمل دولتهم اسمها حسم هذا الجدل، فما كان من خصومهم العباسيين إلا أن أنكروا هذا النسب جملة وتفصيلاً. وما زال بعض المؤرخين يتناقل هذا التشكيك في نسب الفاطميون إلى اليوم وينسبونهم تارة إلى المجوس وتارة أخرى لليهود وزعموا أن هدفهم هدم الإسلام على الرغم من أن حكمهم الذي أمتد من القرن

الثالث إلى القرن السادس الهجري وهو يكافح من أجل حماية الإسلام ورفعته.

الأئمة:

الدولة الفاطمية كانت إسماعيلية المذهب وكان حكامها هم أئمة هذا المذهب من أبناء محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ورغم كون دولتهم قامت على أساس مذهبي إلا أنها كانت مثال يحتذى في التسامح واحترام التعددية المذهبية والفكرية وطبقوا روح الإسلام المفعمة بالرحمة والتسامح والحرية على حد ما جاء في بعض كتب التاريخ الإسلامي فكانت سياسة الفاطميين متسقة تماماً نحو فرض نوع من التفاهم بين شتى المذاهب لأنهم انطلقوا من كونهم أئمة لكافة المسلمين.

وأنقسم حكمهم تاريخياً لفترتين؛ فترة مغربية وأخرى مصرية حيث نقلوا حاضرة دولتهم من المهديّة بتونس لمصر حيث بنوا القاهرة في عهد المعز لدين الله

قادة الدولة الفاطمية

وهم أئمة المذهب الإسماعيلي:

الفترة المغربية

١- (المهدي بالله) عبدالله توفي (٣٢٢ هـ)

٢- (القائم بأمر الله) محمد توفي (٣٣٤ هـ)

٣- (المنصور بالله) إسماعيل توفي (٣٤١ هـ)

الفترة المصرية

٤- (المعز لدين الله) معد توفي (٣٦٥ هـ)

٥- (العزیز بالله) نزار توفي (٣٨٦ هـ)

٦- (الحاكم بأمر الله المنصور) الحسن توفي (٤١١ هـ)

٧- (الظاهر لإعزاز دين الله) علي توفي (٤٢٧ هـ)

٨- (المستنصر بالله) معد توفي (٤٨٧ هـ)



٩- (المستعلي بالله) أحمد توفي (٤٩٥ هـ)

١٠- (الأمير بأحكام الله) المنصور توفي (٥٢٤ هـ)

آخر أربع خلفاء لم يكونوا أئمة حيث أن الإمامة تنتقل من الأب لابن وفق المذهب الإسماعيلي الباقي لليوم، فعبد استتار الإمام الطيب أبي القاسم ابن الأمر بأحكام الله تولى الحكم الحافظ لدين الله ابن عم الأمر بأحكام الله في البدء كوكيل ثم استفرد بالحكم وكذلك كان العاضد لدين الله ابن عم الفائز بالله وهم:

١١- (الحافظ لدين الله) عبدالمجيد توفي (٥٤٤ هـ)

١٢- (الظافر بالله) إسماعيل توفي (٥٤٩ هـ)

١٣- (الفائز بالله) عيسى توفي (٥٥٥ هـ)

١٤- (العاضد لدين الله) عبدالله توفي (٥٦٧ هـ)

الحركة الفكرية:

أثرت الدولة الفاطمية تأثيراً بالغاً في التحول الفكري الإسلامي طوال القرون التي حكمتها ولم يقتصر التأثير على ما بثه الدعاة من تعاليم، وما أثاروه من قضايا فكرية في التراث الإسلامي والمعتقدات والتطبيقات الشرعية، بل أحدثوا ردود فعل متعددة تجاوزت أصدائها في العالم الإسلامي. وظهرت على صور مختلفة من التفكير المتحرر، فوجد في هذه الفترة من الجراءة على اقتحام ما لا يحتمل النقاش ولا الجدل في جو من الحرية.

السقوط

كان أول أسباب سقوط الدولة الفاطمية هو الانقسامات التي حدثت داخل المذهب الإسماعيلي نفسه حيث أن انقسام الدعوة إلى فرقة (مستعلية) وفرقة (نزارية) ولد فريقيان متعاديان وصل (بالنزارية) إلى قتل الأمام الأمر بأحكام الله. وثاني هذه الأسباب الأزمات الاقتصادية التي واكبت انخفاض منسوب مياه النيل. وثالثها هو زيادة سطوة ونفوذ

الوزراء بعد استتار أئمة المذهب الإسماعيلي وانتقال مركز المذهب لليمن جراء قتل الإمام الحاكم بأمر الله، وأصبح هؤلاء الوزراء هم من يعين الخلفاء فكانوا يتعمدون اختيار الصبية ليتحكموا فيهم ودارت بين الوزراء الذين زاد نفوذهم والجيوش حروب أثنية طاحنة للاستفراد بالحكم. ورابع هذه الأسباب هو الخطر البيزنطي الصليبي الذي هدد الدول الإسلامية قاطبة فتحالفوا مع خصوم الأمس الأيوبيين الذين حملوا لواء العباسيين وعينوهم وزراء فيصف لنا المقرئ في كتابه (اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء):

«لما اتصل بهم الغزو وزر لهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين وهم من صنائع دولة بني العباس الذين ربوا في أبوابها وغذوا بنعمها ونشأوا على اعتقاد مولاتها ومعاداة أعدائها لم يزد هم قربهم من الدولة الفاطمية إلا نفوراً وعداوة لها

مبادئ حقوق الانسان في الدولة الفاطمية

حق الانسان في العلم

وفي هذا المجال يقول الدكتور محمد كامل حسين... في العصر الفاطمي نرى تطوراً جارفاً في الحياة الفكرية ولا سيما في العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها. إذ ازدهرت هذه العلوم ورعاها الخلفاء الفاطميون.

بل كان هؤلاء الخلفاء من العلماء المبرزين في بعض هذه العلوم. وخاصة في الإلهيات والفلك.. وقد اهتم الفاطميون برصد النجوم واهتموا بعلماء الرياضيات اهتماماً خاصاً.. كما اهتموا بالشعر واتخذوه وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية.

حق الانسان في التعبير

وكان الفاطميون أساتذة فن الدعاية واتخذوا لها كل الوسائل الممكنة في عصرهم وجندوا للدعاية كل من يفيدهم في هذا المضمار.. ولا أكاد أعرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد. أو اهتمت بهم هذا الاهتمام فلا غرو إذا إن ازدهر الشعر المصري ازدهاراً لم يعرف من قبل..

حق الانسان في العمل

ويقول الدكتور عبد المنعم ماجد... ويرجع الفضل إلى الفاطميين في خلق أهمية مركز مصر الدولي للتجارة. إذ انهم عرفوا مزايا الموقع الجغرافي لمصر في مفترق القارات لترابط بين عالمين ولكي يسهل الفاطميون نقل التجارة بين الشرق والغرب فتحوا القناة بين النيل والبحر الأحمر وهو ما عرف في عهد المستنصر بالخليج الحاكمي نسبة إلى الحاكم بأمر الله.

ووفقاً للكاتب المهم الأستاذ صالح الورداني (السيعة في مصر) فقد ذكر الرحالة ناصر خسرو عندما مر بمصر في تلك الفترة: أن المصريين كانوا في حالة حسنة جداً. وأنه رأى أموالاً يملكها بعض المصريين لو ذكرها أو وصفها لما صدقه أحد. فهي لا تقع تحت تحديد ذو حصر. وهي للنصارى والمسلمين على السواء.

حق الانسان في الامن

وذكر أيضاً الدكتور عبد المنعم قائلاً وقد رأيت الأمن والعدل فيما رأيت من بلاد العرب والعجم في أربعة مواضع: الأول بالدشت أيام نشكر خان. والثاني بالديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين. والرابع بطبرستان أيام الأمير أبي الحسن بن محمد. فلم أسمع على كثرة ما سافرت بهذه الجهات عن الأمن ولم أره..

لقد أصبحت مصر لأول مرة في التاريخ مركز الحكم والتوجيه وتحولت القاهرة إلى عاصمة للعالم الإسلامي كما أصبحت منارة العلم وقبلة المتعلمين وذلك بفضل الفاطميين الشيعة. وكانت الدولة الفاطمية تمتد من أقصى المحيط الأطلسي إلى الفرات وبلغت دعوتها إلى أقصى انتشارها ووصل غناها إلى الذروة. وهكذا كان حال الدولة الفاطمية حين تسلمها المستنصر بالله الخليفة الثامن من خلفاء الفاطميين

حق الانسان في الاستقرار

وكانت الدولة الفاطمية في خلافة الظاهر والد المستنصر في غاية الاستقرار والرفاهية ولأجل ذلك مال الظاهر إلى الدعة والراحة ولما جاء المستنصر ركن إلى هذا الحال.. وقد ازدهرت الحركة العمرانية في عهد الفاطميين كما ازدهرت صناعة النسيج واشتهرت مصر بصناعة أنواع خاصة من النسيج.

حق الانسان في الملبس

وكانت الحكومة تقوم بكسوة موظفيها في الصيف والشتاء وكسوة العامة من الفقراء والمحتاجين.. ولم تكن المواكب المترفة غاية الترف التي كانت تخرج في شوارع القاهرة في المناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى وبداية رمضان وكذلك في عيد ميلاد الخليفة - هذه المواكب تشير في دلالة واضحة إلى حالة الرخاء والسعة التي كانت تعيشها في تلك الفترة..

حق الانسان في العلاج

ويروي المؤرخون الكثير عن عدل المستنصر ورحمته بالناس فقد كان يعطي الدواء لمن يطلبه المجان ويخالط الناس ويسمع شكواهم وقد أحبتة الرعية حباً شديداً.. كما يروي أن النفقة على قافلة الحج في عهد المستنصر بلغت مائتي ألف دينار ولم تبلغ هذه النفقة مثل ذلك في دولة من الدول حيث كانت تشمل ثمن الطبيب والشمع والحماية والصدقة وأجرة الجمال ومعونة خدم القافلة ومن يسير معها من العسكر الذين بلغت نفقاتهم في عهد المستنصر ستين ألف دينار زيادة على مرتباتهم أو ألف دينار في اليوم..

حق الانسان في المعرفة

وقد أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة أو دار العلم في عام ٣٩٥ هـ وزودها بالكتب من

كل نوع في العلوم والآداب والعقائد وكان الطلاب يفدون إليها من شتى الأقطار. فكانت أشبه بجامعة تتكون من عدة كليات.. وكانت خزانة الكتب في زمن المستنصر لا نظير لها في جميع بلاد الإسلام وهي تتكون من أربعين خزانة فيها أكثر من مائتي ألف كتاب وعدد كبير من الكتاب والنساخ..

حق الانسان في العبادة

وبلغ عدد المساجد في مصر آنذاك ستة وثلاثون ألف مسجد في جميع المدن والقرى ولكل مسجد يقع في حدود الدولة من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها الخليفة المستنصر من زيت وحصير وسجاجيد للصلاة ورواتب للقوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم..

واعتاد خلفاء الفاطميين أن يقيموا في قصورهم الولائم الفاخرة في الأعياد لعامة الناس حيث تقدم لهم الفطرة وهي حلوى من دقيق وفستق ولوز وبندق وتمر وزبيب وعسل وهي تنشر كالجبل الشاهق على مائدة طويلة بالإيوان الكبير..

وفي عيد الأضحى كان الخليفة ينحر بنفسه الأضاحي إيذاناً منه ببدء النحر. وكانت تنحر في فترة العيد ما يزيد على الألف رأس توزع لحومها على الموظفين وطلبة العلم والقائمين بشؤون الجوامع..

إن الدولة الفاطمية التي استقرت بمصر فكانت أوفرها بين الدول بهاء وأبقاها أثراً وما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليباق يقوم منذ ألف عام أثراً خالداً ورمزاً باهراً لهذا العصر الزاهر وهذه الدولة التي قيل في عدلها الكثير - وقيل أيضاً عكس ذلك - ولكننا نستحضر هنا من كتب التاريخ ما يفيد قضيتنا اليوم - وربما كان العصر الفاطمي بين عصور مصر الإسلامية الغابرة أجودها من هذه الناحية بالدرس والتمحيص وأحفلها بالمواقف الشائقة وأكثرها سحراً وفتنة وأبعثها إلى التأمل والعطف.

لأن الخلافة الفاطمية بالرغم مما كان يحق بأصولها وأمامها من الريب فقد كانت بنظمها الطريفة ورسومها الفخمة وخلالها الباهرة تنثر من حولها فيض من العظمة والبهاء

وتطبع العصر بطابع عميق من روحها الباذخ كما تحدثنا العديد من كتب التاريخ.

حق الانسان في الحضارة

ويؤكد الخبراء في هذا الصدد أنه في أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض. وأخذ الفن المصري الإسلامي يتألق في جميع نواحيه وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال.

تلك هي الطريق الفاطمية لنهضة مصر والمنطقة.. ما أحوجنا إلى أمثالها اليوم ما أحوجنا إن شئنا الدقة وبعيداً عن أي تعصب مذهبي فاسد إلى تبني الجوانب المفيدة في تاريخ الدولة الفاطمية والبناء عليها ونبذ الأعمال الغير مفيدة. ما أحوجنا اليوم إلى ما يمكن أن نسميه (الوحدة المستوحاه من تاريخ الدولة المغمومة) الجامعة للأمة والطاردة للخلافات والباينة للنهضة والحضارة!!

المنطق التاريخي حكماً في المشروع الفاطمي

ان المنتبج لدفاتر التاريخ الإسلامي عن الحقبة الفاطمية (الشيعية) سوف يدرك ان هذه الحقبة قد حملت من التضليل التاريخي من لم تتحمله اي حقبة اسلامية أخرى على طول التاريخ الإسلامي ولا أقصد بالتضليل هنا التضليل الذي قال بتجريحها عقائدياً وحدثياً فحسب بل حتى من تناولوها بأنحياز اما لدوافع سياسية أو حتى لدوافع عقائدية مذهبية، وبتالي يبقى المنطق التاريخي وحده هو الفصيل على طريق تقييم أو تناول الحقبة الفاطمية، بحيث يوجب هذا المنطق التعامل معها على أنها مشروع اسلامي استمر ما يزيد عن ٢٦٠ عاماً من الزمان في ظل ١٤ حاكم كان لكل منهم مأخذه وسليباته وأيضاً إيجابياته وبتالي فأن النظرة الاعمق تدفعنا نحو النظر لهذا المشروع من حيث مخرجاته النهائية وكم الاستفادة او الخسران الذي عاد على تاريخ الأمة ككل من جراء هذا المشروع الفاطمي الشيعي.

الحاكم بأمر الله نموذج حقوقي مفترى عليه

من أجل هذا سوف نتعرض الى واحدة من شخصيات التاريخ الفاطمي الأكثر إثارة في هذه الحقبة بل ربما كانت الأكثر إثارة على طول التاريخ الإسلامي، ولكن من خلال رؤية مغايرة عما حملته لنا دفاتر التاريخ عن متناقضات هذه الشخصية انه الخليفة الحاكم بأمر الله فمن واقع رؤية الدكتور عبد المنعم ماجد والذي يقول في هذه الشخصية .

ان تاريخ الحاكم بأمر الله، الخليفة المفترى عليه: ترجمة لحياة رجل عظيم، من رجالات مصر العظام. مسلكه في الحكم هو مسلك الحاكم السوي، المتكامل الشخصية، الذي كان حساساً بعمق لكرامة الإنسان، وللحق والعدل. ثم هو أول خليفة مصري بحكم ولادته ونشأته في مصر، وسوف تبقى مآثره بقاء الدهر.. وذلك على الرغم من تقولات أعدائه الذين صوروه بصور مختلفة من تأليه وسوء سلوك.

ديمقراطية الحاكم بأمر الله

وقد قيل ايضاً عنه الصرامة والإستمالة مصراعاً سياسة الحاكم، لاسيما في أول عهده وهو يشعر بصغر سنه وقلة تجربته ذمام أعدائه الأقوياء، كمات أنهما كانتا سبيله لتحقيق أهدافه في القضاء على فساد الدولة الذي أمتدت جذوره إلى قبل حكمه. فقد رأينا الأرقام الخيالية لثروة كبار رجال الدولة، وهي ولا ريب قد سلبت من عرق الشعب المصري المكافح، الذي كان الحاكم يعطف عليه كثيراً.

ومما ورد ايضاً في هذه الرؤيا المغايرة انه حاسب الحاكم رجال الدواوين - وهي الإدارة الحكومية - ويعرفون بالكتاب حساباً عسيراً لاسيما وأنهم كانوا مثال التواكل، وسوء التصرف، فجعل سيفه مصلتاً على رؤوسهم ليقوموا بعملهم بأمانة بحيث أن الكتاب كثيراً ما طلبوا منه الأمن.. مما تقدم يتبين أن الحاكم أخلص في عمله كرئيس للدولة بإشرافه على وسائطه إشرافاً تاماً، إذ كان يقدر أهمية منصبهم في خدمة الدولة والرعية.

حق الانسان في العدل

وكذلك عن قضائه لرد المظالم بذل الحاكم جهده في القضاء على مظالم رعاياه في كل وقت وفي كل مكان، بشكل لم يعرف له مثيل من قبل. فكان يأتيه المتظلمون عند أحد أبواب قصره الكبير حيث خصص لهم مكان عرف بالسقيفة أي موضع له سقف، فيقف المتظلم تحتها فيسمعه الخليفة الذي يجلس هناك كل ليلة فيأمر بإحضاره إليه ليستمع لشكواه، كذلك كان يأخذ رقاع المتظلمين في مواكبه، ويقف وقوفاً طويلاً لكل من يتقدم بالتظلم له، كما ترفع إليه الرقاع وهو على المنبر. يضاف إلى ذلك أنه واصل الركوب ليلاً ونهاراً على حماره الأشهب المعروف بأسم القمر تارة منفرداً وتارة في عدد قليل في الأسواق والقرى، فكان أثناء تجواله يختلط بمن له حاجة، فمن رأى أن يقضي له حاجة حدد له اليوم الذي يعود فيه إلى لقائه، والموضع الذي ينتظره فيه. فيحمل في كفه لكل واحد من أصحاب الحوائج ما أتمسه من مال أو سجل أو توقيع، مما يقضي به حاجته، ويدفعه إليه يدأ بيد ولخشونة العوام معه فإنه أمر من له حاجة أن يتقدم بها بنفسه.

أما عن تصرفه بالأموال: ثمة حقيقة ثابتة هي: أن الحاكم لم يكن مثل ملوك زمنه يعمل على إمتلاء خزائنه، بل كان يفرقها على الفقراء والمساكين والإنعام بها على كل من يطلبها بإستحقاق، ولم يكتف بتوزيع المال وإنما وزع الكساء بكثرة، وقد يكون ورث هذه الأريحية عن أبيه العزيز ولكنه فاقه فهانت الأموال عنده، وكان يوزعها لا على أهل مصر وحدهم وإنما على أناس في مشارق الأرض ومغاربها، بحيث لما توقف ناظر ماله عن الصرف خوفاً من إختلال ميزانية الدولة، كتب له الحاكم: الغربة مذلة الأعناق، والفاقة مرة المذاق، والمادة من الله الرزاق، فأجرهم على عوائدهم في الإنفاق، ما عندكم ينفد وما عند الله باق.

نظرية الامن في عهد الحاكم بأمر الله

ويشهد له المؤرخون بأن يده لم تمتد إلى أخذ مال أحد إطلاقاً بحيث قال أحدهم: لعمرى إن أهل مملكته لم يزالوا في أيامه آمنين على أموالهم مطمئنين على أنفسهم.

«كذلك حدث أن أوصى أحد ولادة الشام بماله إلى الحاكم وكان أكثر من مائتي ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب فجلبها أبناؤه تحت قصر الحاكم، فأخذ الحاكم الوصية وألقى نظره عليها، ثم أعادها إلى أبنائهم وقال بحضرة وجوه الدولة: «قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله، وما وصى به من عين ومتاع، فخذوه هنيئاً مباركاً».

كذلك أصبح الناس في عهده آمنين على أموالهم، فكان التجار يتركون حوائيتهم مفتوحة ولا يخافون عليها، وفي مرة وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند جامع ابن طولون فاستمر في مكانه أسبوعاً كاملاً لا يجسر أحد على أخذه حتى مر صاحبه فأخذه، ونادراً ما كان يسرق شيء من الناس إلا وجده الحاكم لهم.

نظرية العدل الاجتماعي في عهد الحاكم بأمر الله

وعن الحاكم ورعيته طرحت أيضاً هذه الرؤيا المختلفة إن الحاكم كان يخفف عن رعاياه من الضرائب ما استطاع شأن «الحكام الأتقياء» لاسيما ضريبة أسواق بغيضه لأهل مصر تعرف بالمكوس، ظهرت منذ أيام حكم ولاية العباسيين وفرضت على كل السلع والناس، هذا فضلاً عن أنها لم تكن من الضرائب الشرعية لأنها لم تذكر في القرآن فأسقطها الحاكم... كذلك حاول الحاكم التخفيف من المجاعات التي وقعت في عهده بين ٣٩٥ إلى ٣٩٩ هـ بسبب أن النيل قصر عن الصعود ولم يزد ارتفاعه عن خمسة عشر ذراعاً. وقد كان الناس بمجرد إحساسهم أن النيل لم يصل إلى مستواه في المقياس، يقومون بالتخزين وما يترتب على ذلك من إنعدام الأقوات وارتفاع الأسعار... فأتخذ هذا الخليفة من الإجراءات ما يدل على كبر عقله وتفانيه في القيام بواجبه: فكان يعمل على تثبيت الأسعار ويمنع تذبذب العملة بتحديد مقاديرها، وإنزال عملة جديدة جيدة تفرق على الصيارفة، ثم أقام سعراً لكل شيء لاسيما الحبوب والمبيعات، كما كان يدخل البيوت ويوزع الأموال على الناس بنفسه، وكذلك استخدم وسائله الخاصة في منع التجار من تخزين الأقوات، وأمر الآبياع القمح إلا للطحانيين، كما كان يكبس الحواصل والبيوت للبحث عن القمح ويفرقه على الطحانيين بالسعر الرسمي. ويدل على بعد نظره أيضاً: أنه

أمر بمنع ذبح الأبقار السليمة من العاهة إلا في أيام الأعياد حتى لا تنقرض، وقد فعل الظاهر بعده مثله لما وقعت المجاعات في عهده.

حق العقيدة والتسامح الديني في عهد الخليفة الحاكم

وأشار الدكتور عبدالمنعم ماجد الى انه لا بد أن تقرر أنه على الرغم من حماس الحاكم لمذهبه فهو لم يجبر أحد على اعتناقه، أو أنه تعصب ضد المذاهب الأخرى. فيقول الحاكم نفسه: «إن كل واحد حر في إختيار مذهبه، وأن يظهر ما في ضميره». ويروي المقرئ أن الحاكم جعل المالكية يدرسون مذهبهم بدار الحكمة، وأعتبر ذلك من المحاسن المأثورة للحاكم. ويؤيد بعد الحاكم عن التعصب وتسامحه الجرم، تعيينه في رئاسة القضاء بمصر وبلاد الخلافة قاضياً سنياً هو ابن أبي العوام الذي أستمّر في القضاء من سنة ٤٠٥ هـ إلى آخر حكم الحاكم في ٤١١ هـ وحينما قال الناس له: «إنه ليس على مذهبك ولا مذهب من سلف من آبائك». قال: «هو ثقة مأمون مصري عارف بالقضاء وبأهل البلد، وما في المصريين من يصلح لهذا الأمر غيره». وكأن الحاكم لا يهمه مذهب قاضيه، بقدر ما يهمه أن يكون قاضيه مأموناً وثقة.

قضاة المالكية والشافعية في عهد الدولة الفاطمية

كذلك سمعنا زمن الحاكم أن فقهاء مالكية وشافعية قد تولوا القضاء. وقد لاحظ القلقشندي ذلك فقال: «إن مذهبي مالك والشافعي ظاهري الشعار في زمن الفاطميين». وثمة أيضاً ما يدل على تسامح الحاكم وهو منعه سب أعداء المذهب جرياً على سنة آبائه الحميدة في ذلك، ولم يعامل أعداءه بالمثل، الذين كانوا يلعنون علياً من على منابرهم، لاسيما العباسيون في العراق والأمويون في الأندلس. فحينما جاء المعز إلى مصر لم يلعن لاعنيه، وإنما كتب على سائر الأماكن بمدينة مصر: «خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام». كما لم نسمع بأن العزيز هو الآخر أمر باللعن. ولكن لما أقبل كثير من المصريين على دعوة التشيع زمن

الحاكم وتركوا المذهب السني، أخذ بعضهم من أنفسهم يظهر سب من تقدم على علي ومن خالفه وحاربه وباينه، وهم من أصطلح على تسميتهم بالصحاب والسلف ويؤيد المقرزي ذلك بقوله: «إن هذا اللعن كان من رأي جماعة من المصريين الذين كتبوه بالأصباغ في سائر المواضع على أبواب الحوانيت والبيوت وسائر المساجد وعلى المقابر أو حتى في الصحراء مبالغة.

نص وثيقة منع سب الصحابة بأمر الحاكم والواقع أن الحاكم لم يكن مسؤولاً عن لعن السلف وسبهم في عهده، وعلى النقيض كان يأمر بمحوه، ويؤدب بالعقاب من يسبهم إلى حد قتله. وينقل عن الحاكم قوله: «لا يسب السلف، ولا تكونوا سبايين ولا عيايين». ولدينا سجل أصدره الحاكم ليقراً في كل مكان على جميع الناس في رمضان ٣٩٨ هـ يظهر فيه منع الحاكم سب السلف وها هو نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله ووليه أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، إلى كل حاضرٍ وباد
أما بعد:

فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين (لا إكراه في الدين) مضى أمس بما فيه، وجاء، اليوم بما يقتضيه. الإصلاح والإصلاح بين الناس أصلح، والفساد والإفساد بينهم مستقبح. إلا من شهد الشهادتين أحق أن لا تنفك له عروة، ولا توهن له قوة. بحي على خير العمل يؤذن المؤذنون ولا يؤذنون، ويخمس الخمسون، ويربع المربعون في الصلاة على الجنائز، ولا يعترض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون، ولا يشتم السلف، ولا يبغي الخالف على من قبله خلف، (تلك أمة خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون). معشر المؤمنين: نحن الأئمة، وأنتم الأمة، (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون). والحمد لله رب العالمين، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الأكرمين.

مبدأ الحسبة في ظل الدولة الفاطمية

أخذ هذا الخليفة الذي كان الدين يملك عليه كل حواسه على عاتقه أن يقوم بالحسبة وهي إصطلاح إسلامي يعني في أساسه: الأمر بالمعروف عندما يكون مهماً، والنهي عن المنكر عندما يكون علناً، يضاف إلى ذلك أن الحاكم أعتبر الحسبة في عموم واجبات الإمام بناء على ما نقل عن علي من قول النبي له: «يا علي مر بالمعروف وأنه عن المنكر». فعمل الحاكم على أن يخضع أمور الحياة في مملكته للنص الحرفي لهذه القاعدة الدينية المثالية، فكانت هذه المراسيم والأوامر التي صدرت في عهده وأطلق عليها سجلات.

وقد أشار بعض المؤرخون إلى أن هذه الأوامر كان سببها الخلل في العقل والجنون وعللوا بمرض «المالنخوليا». وفسرها البعض الآخر تفسيراً مغايراً حيث قالوا إنه إذا فسرت تفسيراً دقيقاً في ظروف المجتمع الذي عاش الحاكم فيه، نجدها جميعاً وقاعدة الحسبة، فضلاً أنها تدل على وعي كبير لشؤون الحياة في زمنه، وتدين بالغ.

لقد ضرب الحاكم بيد من حديد على العناصر الفاسدة في مملكته ووضع حداً للهو. فأصدر أوامره بإزالة المواضع التي كانت لأهل الفساد والفجور في مملكته، كما تتبع النساء العابثات وأستقصى أحوالهن، ومنع الغناء وأحرق آلاته، وكاد ينفي المغنين وغيرهم من أصحاب الملاهي لولا أنهم تعهدوا ألا يعودوا إلى مهنتهم فتركهم أحراراً. وكذلك منع الناس من الجلوس في المقاهي والحوانيت ليشربوا فيها الخمر، أو خروجهم للصحراء للرقص والغناء على عادتهم، فكانه كان شديد الرغبة في أن يتحول شعبه عن اللهو كلياً إلى العمل النافع، وهذه «عقلية سبقت عصرها ولا ريب».

هذه طريقة الحاكم في حكم رعاياه، شهدنا فيها مثاليته النادرة كما قال بها بعض المؤرخون، وليده إيمانه بمسؤولياته نحو رعاياه، وعمله على أقتلاع الفساد من جذوره ولا ريب فهو القائل:

أصبحت لا أرجوا ولا أتقي
إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي وإمامي أبي
وديني الأخلاص والعدل

عن الحاكم وإدعاء أولوهيته فقد فنده بعض المؤرخون حيث قالوا أن كل هذه

الروايات مفتعلة، فإن الحاكم لم يدع الإلوهية إطلاقاً وذلك بالاعتماد على أوثق المصادر التاريخية، فضلاً عن أنه لم ينقل إلينا نص واحد أن الحاكم نفسه قال: اظنه هو الإله. بل عظم الأمر عليه، ولكن المسألة ومعالجتها تحتاج إلى حذر متناه لتربص أعدائه به الذين هدفهم التشهير به، بقصد إقتلاع دولته ولرغبته الملحة في إنقاذ المذهب ودعائه.. أستخدم الحاكم الشدة وقتل دعائه الذين غالوا فيه أو لم يدفعوا عنه تهمة التآلة ويؤيد ذلك ما تدواله مؤرخو السنة الذين قالوا أنه قتل العلماء. لقد دفع الغضب الحاكم إلى أن يعرض عن أهل دعوته ورجال دولته والناس جميعاً لتجاسرهم على مثل هذه الدعوى بألوهيته، بل أنه ألغى كل ما جرى به الرسم من مواكب الصلاة في الجوامع في أيام الجمع من شهر رمضان وفي العيدين، وأبطل مجالس الدعوة العامة والخاصة، وفسر الداعية أدريس تصرف الحاكم هذا ليطمئذ المؤمنين بالإخلاص، ويبقى المنافقون في الحيرة، أما أعداء الفاطميين فقد فسروه على أنه دليل على مروق الحاكم عن الدين والمذهب بقولهم أنه ألغى الصلاة والصوم وغيرهما من فرائض الدين، ولكن مؤرخاً منصفاً هو ابن خلدون وهو سني يعترض على القول بأن الحاكم ألغى الصلاة وغيرها من فرائض الدين فيقول: «إنه زعم لا يقبله ذو عقل، ولو صدر من الحاكم شيء منه لقتل لوقته». ويبدو أنه في وقت ما بلغ اليأس بالحاكم حداً كبيراً أمام دعوى تأله فأعترزل الدنيا كلها، لاسيما وأنه كان رجلاً متديناً إلى أبعد الحدود، مما يدل على ما أحدثته هذه الدعوى من رد فعل قوي في نفسه، فكان يجلس في مكان مغلق لا يدخله عليه أحد يوقد بالشموع ليلاً ونهاراً، أو يجلس في الظلمة، أو يخرج بمفرده في الفلوات، أو يذهب إلى جبل المقطم يقبع فوقه يتغوث إلى الله ويناجيه. ولكن ما لبث الحاكم أندفع اليأس وشمر عن ساق الجد في سبيل إنقاذ المذهب ودعائه، وأصبح ذلك شغله الشاغل ولم يعد يهتم بأي شيء غيره. ولكي يعيد الأمور إلى نصابها عمل على استدعاء رجال من أتباع المذهب موثوق في عقيدتهم وتمذهبهم السليم، لكي يساعدوه في عودة الأمور إلى نصابها.

حقوق الانسان مبادئ حائرة في دفاتر التاريخ عن الدولة الشيعية
إن القارئ المتتبع لتاريخ الفاطميين يظهر له التناقض الواضح في مواقف المؤرخين
من خلفائهم.. في الوقت الذي يتهمهم فيه المؤرخون بالزيغ والضلال وفساد العقيدة
وينفون نسبهم لآل البيت وينعتونهم

بالعبيدين نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة في بلاد المغرب.
هذا الموقف العدائي نجد أمامه موقف آخر يحمل المدح والثناء على لسان نفس
المؤرخين لخلفاء الفاطميين.

يقول ابن الأثير: وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً شجاعاً جاريماً على منهاج أبيه من
حسن السيرة وإنصاف الرعية. وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة. ثم أظهره وأمر الدعاة
بإظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به
ويقول ابن إياس: وكان المعز رجلاً عادلاً عاقلاً حازماً لييباً فصيحاً شاعراً وله شعر
جيد. فمن ذلك قوله:

ما با من عذري فيك حتى عذرا وبدا البنفسج فوق ورد أحمر
همت بقبلته عقارب صدغه فاستل ناظره عليها خنجرا

ويقول ابن الأثير عن العزيز بالله: كان يحب العفو ويستعمله. وكان حليماً كريماً
شجاعاً وفيه رفق بالرعية ويقول ابن إياس: وكان العزيز يحب العدل في الرعية. وينصف
المظلوم من الظالم. وكان كريماً جواداً ممدوحاً. فأحبته الرعية وصفاً له الوقت بالديار
المصرية. وكان خيار بني عبيد

قاطبة.. أما الحاكم بأمر الله الخليفة الثالث فقد قال عنه ابن إياس: فلما تولى الخلافة
أظهر العدل بين الرعية وسار في الناس سيرة حسنة

ويقول ابن الأثير عن الخليفة الظاهر لدين الله: وكان جميل السيرة حسن السياسة
منصفاً للرعية وتولى من بعد الظاهر المستنصر بالله وكان الحاكم في دولته بدر بن عبد الله
الجمالي الملقب بالأفضل أمير الجيوش وكان عادلاً حسن السيرة.

ويقول ابن إياس عن الخليفة الثامن الحافظ لدين الله: وكان الحافظ لدين الله رجلاً

حليماً لين الجانب. قليل الأذى.

ويقول ابن كثير عن آخر الخلفاء الفاطميين العاضد: وكان العاضد كريماً جواداً سامحه الله ويقول ابن إياس عنه: وبه انقرضت دولتهم. ولم يكن لها من المساوئ سوى أنهم كانوا رافضة يسبون الصحابة كل يوم جمعة على المنابر وكان لموت العاضد بمصر يوم عظيم إلى الغاية وعظم مصابه على المصريين إلى الغاية ووجدوا عليها وجداناً عظيماً لا سيما الرافضة فإن نفوسهم كادت تزهق حزناً لانقضاء دولتهم من ديار مصر وأعمالها..

وكما أن المؤرخين أثنوا على الخلفاء الفاطميين. أثنوا أيضاً على وزرائهم وقادة جيوشهم. يقول ابن الأثير عن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني القاهرة وكان يظهر الإحسان إلى الناس ويجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء ولم يبق بمصر شاعر إلا رثاه وذكر ماثره حين موته ويقول أيضاً عن الأفضل بن أمير الجيوش كان حسن السيرة عادلاً.

وقد قتل في عام ٥١٥ هـ من قبل الإسماعيلية لتبنيه المذهب الشيعي الإمامي وتضييقه على الخليفة الأمر بأحكام الله وتوسعته على أهل السنة والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها

ويقول ابن تغري بردي عن طلائع بن زريك وزير الفاتح: وساس الأمور وتلقب بالملك الصالح وسار في الناس أحسن سيرة وفخم أمره وكان أديباً مائلاً للإمامية.

ويقول المقرئ عنه: كان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محباً لأهل الأدب جيد الشعر رجل وقته فضلاً وعلماً وسياسة وعقلاً وتدبيراً. كان مهاباً في شكله عظيماً في سطوته وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع

ويقول ابن إياس عنه أيضاً: وكانت له حرمة وافرة في القاهرة وهو الذي بنى الجامع المنسوب إليه المشهور بجامع الصالح الذي هو خارج باب زويلة

ويبدو لنا من خلال تتبع مواقف المؤرخين تجاه الفاطميين أنها مواقف تشوبها الحيرة بسبب موقفهم المعادي للشيعنة عقيدة الفاطميين أو حتى لأسباب سياسية.

حقوق النصارى في عهد العزيز

بعدما فشل الفاطميون في تحويل مسلمي مصر إلى المذهب الإسماعيلي، اتجهوا إلى كسب ود أهل الذمة وقد اتسم عهد العزيز بالله بالتسامح مع النصارى، فزاد في إكرامهم لما كان بينه وبينهم من صلة نسب؛ فقد كان متزوجاً من امرأة نصرانية على مذهب الملكانيين، وكان من أثر سياسة التسامح التي انتهجها العزيز نحو الذميين بصفة عامة والنصارى بوجه خاص أن ازداد نفوذهم في عصره، وأصبح عدد منهم يعملون في دواوين الدولة المختلفة، بعد تولي «عيسى بن نسطورس» النصراني دواوين الدولة في سنة «٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م»، كما عين الخليفة «منشا بن إبراهيم القزاز» اليهودي والياً على بلاد الشام؛ وهو ما مكن لأهل الذمة في زمانهما وأثار استئثار الذميين بمناصب الدولة استياء المصريين المسلمين، فذمر أهل الفسطاط عليه، واعترضوا طريقه بدمية امرأة وضعوا معها ورقة فيها: «بالذي أعز اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذل المسلمين بك.. إلّا نظرت في أمري».

اضطر الخليفة إزاء موجة السخط والغضب هذه إلى القبض على منشا ونسطورس، وأعاد الكتاب المسلمين إلى أعمالهم بالدواوين، ولكنه ما لبث أن أعاد نسطورس، بعد أن شفعت له ابنته «ست الملك»، وزوجته المسيحية، وولاه الوزارة بعد أن اشترط عليه أن يولي المسلمين في الدواوين.

فلسفة حقوق الانسان في الدولة الفاطمية

كان نظام الحكم في ظل الخلافة الفاطمية، كما كان في سائر الدول الإسلامية الأخرى، في العصور الوسطى، نظاماً مطلقاً يستأثر فيه الخليفة بجميع السلطات الروحية والزمنية، وقد سارت الخلافة الفاطمية على هذا النحو منذ قيامها بالمغرب، ثم بعد ذلك منذ قيامها بمصر، فكان الخليفة الفاطمي، هو الدولة، وهو صاحب السلطات المطلق. وصورة الأمور السلطانية تضم الشروح الآتية: (إن طاعة الأمام جامعة للملوك والرعايا، والرعايا تجمع الأعطاء والطاعة، وإن الوزير يجمع السياسة، والجباية، والجباية جامعة للوزراء والعمال،

وأن الملك يجمع الطاعة والسياسة، والعامل يجمع الجباية والأعطاء وإن الأعطاء جامع للعمال والرعايا، وأن السياسة مشتركة).

ومن هذه الشروح الفلسفية لنظرية الحكم الفاطمية، يمكن لنا أن نبلور تصور لما انطوت عليه فلسفة حقوق الإنسان في ظل الدولة الفاطمية كما يتضح على الجانب السياسي إن الامام هو رئيس الدولة الأعلى، وقد يكون هو الامام الروحي والملك الزمني معاً، وقد يكون تحت رياسته ملوك آخرون، يدينون له بالطاعة الدينية والدنيوية، وهو الحاكم المطلق، ومن تحته تتدرج السلطات من أعلى إلى أسفل، وأول من يليه من أهل السلطات هو الوزير، وبأسمه ويتوجيهه يزاول سلطاته في الحكم، ويولي الوزير العمال أو حكام الولايات والثغور، وهؤلاء يزاولون سلطات الحكم على من دونهم من الرعايا، وليس للرعية شأن ولا قول ولا رأي، وليس لها أن، تتصل بالعامل أو الوزير أو الملك، إلا بالطاعة المطلقة. والخلاصة أنها من الناحية الدستورية (نظرية الحكم المطلق) بل هي ممتاز فوق ذلك، بأن رئيس الدولة الاعلى فيها، وهو الامام يمتاز بصفات العصمة والقداسة، باعتباره قائم الزمان، وأن قيامه يرجع إلى مشيئة الله.

ومن الميزات التي تميزت بها الدولة الفاطمية صبغتها المذهبية العميقة، والتي خلقت حالة من العمق في نشوء نظرية العدل الاجتماعي وحقوق الإنسان في هذه الحقبة كما كانت ممتاز بطرافة نظمها السياسية وقد كانت الدولة الفاطمية مبتكرة مجددة في كثير من قواعد الحكم والأدارة، وفي كثير من الرسوم والنظم، وكانت هذه الرسوم والنظم فوق الدستورية تطبعها نفس الصبغة الباذخة، التي تطبع الدولة الفاطمية وسائر مظاهرها.

كانت الخلافة الفاطمية خلافة مذهبية شعارها الأمامة الدينية، وكان لهذه الصفة المذهبية أثرها في صوغ كثير من النظم والرسوم التي اختصت بها. وقد نشأت الدولة الفاطمية في قفار المغرب، دولة عسكرية تظللها الصبغة الدينية، فلما اتسع ملكها وعظم سلطانها بأفتتاح مصر والشام، شعرت بالحاجة إلى التوسع في النظم السياسية والأدارية، التي يقوم عليها هذا الملك الباذخ، ولم تكثف بالأعتماد على الخطط العسكرية والدينية والمدنية المعروفة، بل عمدت إلى الابتكار في تنظيم الاصول والخطط الدستورية، وفقاً

لحاجاتها وغاياتها السياسية والمذهبية.

وليس من المبالغة القول إن ديوان الأنشاء كان أعظم الدواوين قاطبة في إدارة الحكم الفاطمية، وكانت مهمته من أخطر وأدق المهام. ففي دولة كالدولة الفاطمية، لها صبغة مذهبية خاصة، كانت السجلات أو المراسيم تصاغ في أساليب عالية، وكان بث الدعوة المذهبية وعرضها خلال المكاتبات السياسية، يتطلب أرقى وأبلغ الصيغ البيانية.

أما الخطط الدينية فكانت تشمل عدة وظائف خطيرة، أعظمها وأجلها قدراً منصب قاضي القضاة، ومنصب الدعاة، وكان قاضي القضاة أعظم زعيم ديني في الدولة، وإليه مرجع الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والحدود، والنظر في شؤون السكة (دار الضرب)، وشؤون المساجد وأئمتها وسائر المتصرفين فيها، وكان اختصاصه يشمل مصر والشام والمغرب والحرمين، ومركزه العام بالقاهرة. أما عن المتون الشرعية التي كانت مرجعاً للقضاء في العصر الفاطمي، فقد كانت تتضمن أساساً متون الفقه الشيعي أو فقه الأمامية الأسمايلية، وذلك سواء في العبادات، أو المعاملات أو الحدود، وكان العلامة الفقيه الشيعي الكبير النعمان بن محمد القيرواني قاضي المعز لدين الله، هو أول من وضع متوناً منفصلة في أحكام الفقه الأسمايلي، لبث طوال العصر الفاطمي، هي المرجع الأول للقضاء وكتابه العظيم (دعائم الاسلام في شرح الحلال والحرام) شاهد على مرتبته العلمية والكتاب مطبوع وموجود في الاسواق.

وربما كانت هذه الصبغة الدينية اهم المرجعيات التي يمكن أن نستدل منها على مكانة حقوق الانسان الذي كان يمثل الرعاية في هذه الدولة

الاحتفالات السنوية والمصرية شاهد تاريخي

من جهة أخرى إتسمت الخلافة الفاطمية على الصعيد الديني بسياسة ثابتة، إتسمت بجانب من المرونة، تمثلت في إحترام أهل السنة، وتمكينهم من إظهار شعائرهم على إختلاف مذاهبهم، وكانت المذاهب السنية المعروفة، الشافعي ومالك وأحمد الخ، ظاهرة الشعائر في مملكتهم، وكان مذهب مالك بالأخص ذائعاً، ومن سأل وطلب الحكم به

أجيب إلى طلبه.

وقد أنشئت في الخلافة الفاطمية هيئة رسمية خاصة للنظر في شؤون العلوية والمنتسبين إلى آل البيت وقد كانت الدولة الفاطمية أحرص الدول الإسلامية على أن تطيع الشعب والمجتمع بطابعها العلمي الخاص التي تعتقد صحته، وأن تصوغ روح الشعب وعقليته وتفكيره وبرامجه وفقاً لمناهجها ورسومها. تركزت الأعياد الدينية الرسمية في عهد الدولة الفاطمية، بجملة أعياد خاصة بها شرعت لغايات دينية وسياسية، أما الأعياد العامة، فهي رأس السنة الهجرية، وليلة المولد النبوي الكريم، وليلة أول رجب وليلة نصفه، وليلة أول شعبان وليلة نصفه، وغرة رمضان، ويوم الفطر، ويوم النحر أو عيد الأضحى، وأما الأعياد المذهبية فهي الاحتفال بمولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين، ومولد زوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي (ص)، كذلك أحياء مراسم استشهاد الحسين بن علي (ع) في طف كربلاء سنة ٦١ هـ. هذا إلى جانب أعياد مصرية قديمة، كعيد فتح الخليج، ويوم النوروز، وعيد الشهيد.

وكانت الخلافة الفاطمية ترمي بترتيب هذه الرسوم والمناسبات إلى غايتين: الأولى أن تثبت المناسبات الدينية وتذكير الناس بها، والثانية أن تغمر الناس بفيض من الحفلات والمآدب والمواكب الباهرة، وأن تنثر عليها ما استطاعت من دواعي البهجة والمرح، وذلك اكراماً للشعب المصري الذي احتفى بالخلفاء الفاطميين

العلم والحركة التعليمية في ظل الفاطميين

قامت الدولة الفاطمية بمصر والحركة العقلية المصرية تشكل طوراً من أطوار قوتها، ذلك أن الدولة الأخشيديّة التي استخلص الفاطميون منها تراث مصر، كانت نصيرة للعلوم والآداب، وفي ظلها ازدهرت الحركة الفكرية والأدبية، ونبع عدة من المفكرين. والكتاب الممتازين، مثل ابن يونس المحدث والمؤرخ، والفقيه أبو بكر الحداد، أبوعمر الكندي المؤرخ، والأديبين الشاعرين أبو جعفر النحاس وأبو القاسم بن طباطبا الحسيني، والحسن بن زولاق الفقيه والمؤرخ، وهو ما بعث بالفاطميين على إيجاد مساحة لدولتهم

الجديدة على المستوى العلمي والاهتمام بالعلم الذي بدء مع اللحظات الاولى لقيام دولتهم في مصر

ولما قامت الدولة الفاطمية بمصر ما لبثت الحركة العقلية أن لقيت ملاذها في قيام الجامعة الفاطمية الكبرى، التي تمثلت بـ (الجامع الأزهر) الذي أقيم في البداية ليكون مسجد الدولة الجديدة ومنبرها الرسمي، ثم أنشئت فيه منذ عهد العزيز بالله تلك الحلقات الدراسية التي إستحالت فيما بعد إلى جامعة حقة، وكانت الدولة الفاطمية تعني منذ قيامها بناحية معينة من الدراسات الدينية هي الناحية المذهبية، وأنشئت (جامعة دار الحكمة) الشهيرة في عهد الحاكم بأمر الله .

وأيضاً أنشئ منصب داعي الدعاة ليشرف على بث الدعوة على يد نوابه ونقبائه، وتولي تدريس الأصول الشيعية وفقه آل البيت منذ البداية، جماعة من الفقهاء الممتازين، وفي مقدمتهم بنو النعمان. وأولى الحاكم الفاطمي الحركة العقلية شيئاً أو جانباً من رعايته، فأجزل النفقة لجامعة دار الحكمة كما هو بالنسبة للجامع الأزهر، وزودها بخزائن الكتب الجليلة، وعقد مجالس المناظرة للعلماء والأدباء، وغمرهم بصلته، وقرب إليه عدة من أقطاب المفكرين والأدباء، أمثال الكاتب والمؤرخ الكبير محمد بن القاسم بن عاصم شاعر الحاكم وجليسه، وأبي الحسن علي بن محمد الشابستي الكاتب صاحب الديارات، وقد توفي سنة ٣٩٠ هـ وابن يونس العلامة والرياضي والفلكي الشهير وغيرهم.

كما نبغ في مجال علوم الطب عدة من أكابر الأطباء، منهم محمد بن أحمد سعيد التميمي طبيب العزيز بالله، وأبو الفتح منصور بن مقشر النصراني، ثم طبيب ولده الحاكم من بعده.

وازدهرت الحركة الفكرية المصرية نوعاً ما خلال النصف الأول من القرن الخامس، بيد إنها ضعفت في أواخر هذا القرن في عهد المستنصر بالله، وكانت هذه الفترة خاصة بالمحن والأحداث والفتن الداخلية والخارجية، فلم تلق الحركة الأدبية كثيراً من الرعاية أو التعزید، بيد إنها عادت في أوائل القرن السادس فانتعشت، واستمرت على إنتعاشها

وقوتها حتى نهاية الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م.

وفي الفترة الأخيرة من عصر الدولة الفاطمية، ازدهرت حركة الكتابة في مجال النثر من حيث براعته وروعة أسلوبه واقتنائه، وتعاقب فيها من ديوان الأنشاء عدة من أئمة البيان الرائع، الذين جعلوا من رسائلهم الحلافية والديوانية نماذج من الفصاحة الباهرة، وكان من هؤلاء أبو الفتوح الدمياطي شيخ القاضي الفاضل، وابن الخلال.

ومن ابرز الفلاسفة الكثرين الذين تأثروا بالعقائد الشيعية عامة والفاطمية خاصة أحمد حميد الدين الكرمانى فيلسوف الدعوة وحجتها في العراق وصاحب الكتب الفلسفية الفاطمية مثل كتاب راحة العقل وكتاب المصاييح وكتاب الأقوال الذهبية وغيرها، وكذلك المؤيد في الدين وغيره.

ولعل أشهر عالم رياضي شهدته مصر الفاطمية هو الفيلسوف أبو علي محمد بن الحسن الهيثم الذي تضاهي مرتبته العلمية مرتبة اينشتاين في العصر الحديث.

لقد تفرد الفاطميون بإنشاء دور الكتب الكبرى في الاسلام وبلغت تلك الدور حداً عجبياً، واجتمع فيها من امهات الكتب ومصادر العلوم المختلفة، من مآثر الفاطميين التي لا يزال المسلمون يستفيدون منها حتى اليوم جامع الأزهر، وقد شرع القائد الفاطمي جوهر في بناء الأزهر بأمر من المعز عندما شرع في بناء مدينة القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى سنة ٣٥٩ هـ وتم بناؤه في التاسع من رمضان سنة ٣٦١ هـ ثم جدد فيه العزيز بالله والحاكم بأمر الله ثم جدد المستنصر بالله والحافظ لدين الله. وكان هذا المسجد محل رعاية الخلفاء الفاطميين وعنايتهم فلم يقصروا في تجديده والزيادة فيه، ووقفوا المؤذنيه وخدمه وسائل نظافته واثارته وفرشه ما هو مذكور في كتب التاريخ.

خزانة الكتب شاهد تاريخي على اهتمام الفاطميين بالعلم

وقد كان من بين خزائن القصر الفاطمي خزانة للكتب وقد ذكر المقرئ في خططه أنها كانت تشتمل على ألف ألف وستمئة ألف كتاب - أي مليون وستمئة ألف وكانت في أحد مجالس المارستان العتيق - أي أنها كانت في الموضع الذي أنشئ فيه مارستان

قلاوون بعد ذلك وكانت تتألف من أربعين قسماً ويحتوي كل قسم على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم. والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل ومن بين ما تحتوي عليه كتب في الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء والمصاحف الكريمة بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره وثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وألفان وأربعمائة ختمية قرآنية في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وأن جميع ذلك ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم - أي أجورهم ومرتباتهم - ببعض قيمته أيام الشدة الكبرى في عهد الخليفة المستنصر ومن طريف ما ذكره المقرئ في هذا الشأن: أن رجلاً حمل إلى العزيز بالله نسخة من كتاب الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز أمناء المكتبة فأخرجوا من الخزائن ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخط يده ولعله فعل ذلك لكيلا يركب الرجل متن الشطط في تقدير ثمن الكتاب ونقل المقرئ عن صاحب الكتاب الذخائر: (قال وكنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بايجاب وجببت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الجبليين).

علاقة خاصة بين خلفاء الفاطمية والعلم

ولم يكن اقتناء الكتب والمحافظة عليها حباً في الزينة وجرياً وراء المظاهر البراقة وإنما كان الخلفاء الفاطميون يدمنون القراءة والمطالعة بل قد عرف عن بعضهم أنهم كانوا من أعلم أهل زمانهم كالمعز لدين الله الذي كان عالماً وفقياً وعلماً من أعلام الدين والأدب بليغ الأسلوب ملماً بكثير من اللغات وما رأى في مجلس أو عابراً طريقاً إلا ويبيده كتاب وكان هو وكثير من أسرته من بعده ومن بينهم الحاكم بأمر الله يشتغلون بعلوم النجوم ويميلون إلى علوم الأوائل ويقربون اليهم أهلها ويفرضون العلم على أولادهم

ومما يليكهم وكثيراً ما كان الخليفة يزور خزانة الكتب فيجيء راكباً ثم يترجل ويتخذ مجلسه فوق دكة منصوبة ويمثل بين يديه أمين المكتبة ويأتيه بمصاحف كثيرة مكتوبة بأقلام مشاهير الخطاطين وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فأن عن له أخذ شيء منها أخذه ثم أعاده.

عناية الوزراء بالعلم

ولم يكن الخلفاء وحدهم يشتغلون باقتناء الكتب وينقبون عنها ويدمنون القراءة ويطلقون البحث فيها بل أن وزراءهم كانوا يقتفون آثارهم وينهجون نهجهم فقد روى عن يعقوب بن كلس وزير العزيز أنه كان يرتب في داره الكتاب والأطباء وجعل فيها العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى عليهم الأرزاق وألف كتباً عدة في الفقه والقراءات ونصب له مجلساً في داره يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه وكان في داره كذلك عدة كتاب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الأدباء وغيرها من العلوم فاذا فرغوا من نسخها قبلت وضبطت.

الجوامع اللبنة الأولى في المنظومة التعليمية

ولم تقف جهود الخلفاء الفاطميين في إحياء العلوم ونشر المعارف عند اقتناء الكتب والمحافظة عليها بل انهم نشروا العلم وشجعوا الناس على الاغتراف منه بكل الوسائل والطرق فلقد ظل العلم يلقي في جامع عمرو في حلقاته العلمية والأدبية التي كانت تعقد بانتظام ويشهدها عدد كبير من الأساتذة والطلاب والأدباء والشعراء كما كان يحدث في عهد الدولتين الطولونية والأخشيدية وأوقف عليه الخلفاء الفاطميون وعلى غيره من المساجد الأوقاف والهدايا وقد كان يصيب هذا الجامع لهذا السبب كثير من الترميمات والاصلاحات بين آن وآخر كذلك كان الخلفاء الفاطميون يشملون الطلاب بالرعاية والعطف وترتب لهم نفقات ما كلهم ومشرهم فضلاً عما يقدم لهم من الأطعمة والحلوى في جميع المواسم والأعياد ومن أشهر الفقهاء الذين جلسوا للتدريس في جامع عمرو في

عهد الفاطميين علي بن نصر بن سليمان الزنبقي اللغوي وقرئ عليه كثير من الكتب الأدبية واللغوية والنحوية وأبو أسامة جنادة بن محمد النحوي وأبو الحسن طاهر بن بابشاذ وكان كلاهما عالماً في اللغة والنحو.

الجوامع كمراكز لنشر المذهب الشيعي

غير انه لا يغيب عن البال أن الخلفاء الفاطميين كانوا يتخذون من الجوامع مراكز لنشر المذهب الشيعي واشاعة عقائدهم بين الناس فقد جلس بجامع عمرو كثير من الفقهاء درسوا فيه الرسالة الوزيرية التي ألفها الوزير يعقوب بن كلس في الفقه الشيعي في عهد العزيز كما قام فيه بتدريس العلوم الشيعية في زمن الحاكم بأمر الله القاضيان الحسين بن علي بن النعمان وعبد العزيز بن محمد بن النعمان كذلك أدى جامع ابن طولون دوره كمعهد علمي غير انه لم يتح له من النشاط والشهرة مثلما أتيح لجامعي عمرو والأزهر اذ لم يرو لنا التاريخ اسماء لامعة قامت بالتدريس فيه مثل ما روى من أسماء العلماء والأدباء والفقهاء الذين حاضروا في الجامعين المذكورين.

الجامع الأزهر اهم شواهد التعليم الفاطمي

أما لجامع الأزهر فقد عقدت له الزعامة الثقافية والعلمية والدينية على غيره من الجوامع ومعاهد العلم وذلك لما كان يختص به الخلفاء الفاطميون من رعاية وعناية وما يخلعونه عليه من زخرف وزينة وما يضاء به في المواسم والأعياد من أنوار ساطعة فهو مسجدهم المفضل الذي يخطب فيه الخليفة وتعد فيه مجالس الدروس وتنتشر منه تعاليم المذهب الفاطمي وينعم فيه الأساتذة والطلاب بالأرزاق الوفيرة والهدايا الحسنة ولقد اختصه الحاكم بوقفه ملكية هي أول وقفية صدرت للاتفاق على هذا المسجد وقف فيها ريع كثير من ممتلكاته من دور وحوانيت ومخازن للاتفاق على ائانه وخدمه وأئمنته وعلى انارته واصلاحه لذلك لم يكن غريباً أن يصبح أكبر جامعة اسلامية في الشرق يفد عليه الطلاب من كل حذب وصوب يتلقون فيه مختلف العلوم الدينية والفلسفية والمنطق

وبعض الرياضيات والطب على يد علماء ذلك العصر مثل أبي علي بن محمد بن الحسن بن الهيثم الذي رحل الى مصر في زمن الحاكم وظل الى ان توفي سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ - ١٠٣٩ م) وهو أشهر علماء المسلمين في الطبيعة والبصريات ويعرف عند الأوربيين باسم (الهازن) ومن أشهر كتبه في البصريات المسمى (كتاب المناظر) الذي يعتبر أساس علم الضوء حتى وقتنا هذا وقد ضاع أصله العربي ولكن بقيت ترجمته اللاتينية، والحوفي امام العربية والنحو، وابن بابشاذ المتوفى سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) وغيرهم من علماء الفقه والدين واللغة العربية ونحوها وصرفها وآدابها. ولقد قصد الفاطميون من انشائهم الجامع الأزهر أن يكون جامعة شيعية ولم يدروا أنهم يضعون اساس أكبر جامعة اسلامية سنية بل وأعظم قلعة حصينة يذاع منها الاسلام خالصاً صحيحاً في مشارق الأرض ومغاربها فما دالت دولة الفواطم وعفت آثارها إلا وحمل الازهر الأمانة وظل طوال القرون التالية حتى اليوم حصن الاسلام الحصين وركنه الركين وانعقدت لعلمائه في تاريخ مصر الحديث الزعامة والرياسة في توجيه الرأي العام وقد وصف المقرئ في حركة العلم في الازهر فقال: (ولم يزل في هذا الجامع منذ بني عدة من الفقراء يلازمون الإقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الأيام - أيام المقرئ - ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزبالقة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته والاشتغال بأنواع العلوم والفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ والارشاد وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس واعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل تحمل اليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلويات ولا سيما في المواسم.

دار الحكمة نموذج فاطمي للجامعة الاسلامية

من بين المراكز الثقافية التي ذاع صيتها في العصر الفاطمي، أنشأها الحاكم بأمر الله بالقاهرة بعد نحو أربعين عاماً من قيام الدولة الفاطمية في مصر، ينافس بها بيت الحكمة

في بغداد إبان مجده وعزه.

نبذة تاريخية:

قد افتتحت هذه المؤسسة رسمياً في العاشر من جمادى الآخر عام ٣٩٥ هـ / مارس ١٠٠٥ م، وسميت بدار الحكمة. وقد تقلبت بها الأحوال حتى صفاها صلاح الدين الأيوبي عندما أسقط الدولة الفاطمية وأقام الدولة الأيوبية. ولقد أقيم للمكتبة مبنى خاص كبير مجاور لقصر الحكم الغربي يتم الدخول إليه من باب التبانين. والدار التي احتلتها المكتبة تعرف بدار مختار الصقلي خلف خان مسرور. ولقد أعطى الحاكم بأمر الله جل اهتمامه لبناء هذه الدار وكان له فيها مكان خاص. وقد فرشت المكتبة كأحسن ما يكون من الفرش، وعني بفرشها وزخرفتها، وزين أبوابها وحجراتها بأنفس الستائر، وكسيت أرضيتها بالبسط والطنافس وزينت الجدران بخرائط قماشية عليها أقاليم الأرض.

أقسام دار الحكمة:

كانت دار الحكمة مقسمة الى عدة أقسام واسعة فثمة قسم للفقهاء، وقسم لقراء القرآن الكريم، وقسم للفلكيين، وقسم لأصحاب النحو واللغة، وقسم للأطباء، الى جانب عدة قاعات للمحاضرات والمناقشات والمناظرات، وكان الحاكم بأمر الله يحضر كثيراً من المناظرات داخل الدار، وقد رصد الحاكم بأمر الله للانفاق عليها وعلى اساتذتها وموظفيها أموالاً ضخمة، وابيح الحضور الى دار الحكمة لجميع الراغبين على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم لتلقي الدروس، أو القراءة او النسخ في مكتبتها، كما خصها الحاكم بجزء من ريع املكه التي وقفها على بعض مساجد القاهرة.

المكتبة:

حوت مكتبة دار الحكمة على أعداد كبيرة جداً من الكتب، حتى إنها وصلت في بعض

التقديرات الى مليوني وستمئة ألف مجلد، من بينها (٦٥٠٠) مخطوطة في الرياضيات و(١٨٠٠) مخطوطة في الفلسفة، وكان فيها نسخ متعددة من العمل الواحد وعلى سبيل المثال كان هناك (١٢٠٠) نسخة من تاريخ الطبري وأكثر من ثلاثين نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي من بينها نسخة بخط الخليل نفسه، وهكذا.

ولسرعة تزويد المكتبة بالكتب نقل إليها الحاكم بأمر الله مجموعات كبيرة من خزائن مكتبة القصر في سائر العلوم والآداب ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك. وقد رتب الحاكم للمقيمين بالمكتبة (الباحثين) أيا كان مجال اهتمامهم وأيا كانت جنسياتهم مكافأة شهرية عرفت بالجوائز السنوية، تدفع لهم من خزانة بيت مال المسلمين وليس من مال الوقف.

ولقد فتحت المكتبة أبوابها لجميع الناس منذ اليوم الأول دون تمييز، فصاروا يترددون عليها للقراءة والنسخ والنقل والاستعارة. وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر، كما كان فيها مكان للإقامة والضيافة لمن يرتحلون إليها من مسافات بعيدة.

وبعد هذا الازدهار الكبير الذي حققته مكتبة دار الحكمة أصيبت بنكسة أثناء الفتنة التي اجتاحت مصر عام ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م حين وقع الخلاف على أرزاق العسكر بين الجنود السودانيين والأتراك وكان عام قحط ووباء حصد الطاعون فيه الناس فأغار الضباط الأتراك على الدار وأتلفوا كتبها، واتخذ عبيدهم من جلود الكتب نعال لهم وأحرقوا أوراقها ومن ثم ضاعت مجموعات كبيرة منها خلال تلك الفتنة.

وعندما قامت الدولة الأيوبية في مصر أعدمت الكتب التي تدعو الى التشيع من المحكبة عام ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م. وقد طرحت جميع كتب المكتبات الفاطمية بما فيها دار الحكمة للبيع ويقدرها أبو شامة أيام عزها ومجدها بمليونى مجلد. وقد تولى بيعها ابن صورة دلال الكتب واستمر بيعها لعدة أعوام.

المدرسة:

قامت دار الحكمة بدور المدرسة أيضاً حيث عين الحاكم بأمر الله لها العلماء في كافة مناحي المعرفة، فتصدر للتدريس فيها القراء والفقهاء والفلكيون وأصحاب النحو واللغة والأطباء.

وقد اتخذت هذه المدرسة في البداية طابعاً حراً فدعي إليها الأساتذة الذين يعتقدون المذهبين الشيعي والسني، وأصبحت دار الحكمة مركزاً يجتمع فيها فقهاء المذهب الإسماعيلي، فضلاً عن الطلبة الذين يقبلون على دراسة الفقه الإسماعيلي. وما لبث الحاكم بأمر الله أن أضاف إلى العلماء الإسماعيليين طائفة من فقهاء أهل السنة ومحدثيها، وعلى رأسهم عبد الغني بن سعيد الفقيه الشافعي المشهور، وأكبر حفاظ الحديث المصريين في زمنه، وأبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي، وأبو الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي، وكانوا الثلاثة يجتمعون في دار الحكمة وتجري بينهم محاورات ومناظرات في الآداب.

ومن بين العلماء الذين تصدروا للتدريس في دار الحكمة العالم النحوي أبو الفضل جعفر الذي خلع عليه الحاكم، ومنحه إقطاعات ولقبه بعالم العلماء، وأسند إليه مهمة تدريس النحو بدار الحكمة.

ومنهم إلى جانب الدعاة والفقهاء والنحاة واللغويين كثير من الفلكيين والرياضيين والفلاسفة والأطباء المعاصرين، مثل أبي الحسن علي بن يونس الذي أوكله الحاكم بأمر الله بناء مرصد على جبل المقطم، وأبي علي الحسن بن الهيثم الرياضي المشهور، الذي بالغ الحاكم في الإحسان إليه عند قدومه مصر وخرج بنفسه للقاءه عند مشارف القاهرة. ومن الأطباء أبو الحسن علي بن رضوان كبير أطباء الحاكم فكان يدرس علوم الطب. وفي علوم الرياضيات كان أبو علي المهندس المصري الذي يعلم الهندسة.

كما ازدهرت في دار الحكمة علوم الفلسفة والرياضيات والطب بجانب علوم الدين والآداب، فكان الحاكم بأمر الله يستدعي العلماء المتصدرين للتدريس من أهل الرياضيات والمنطق، والفقهاء والأطباء كل طائفة تحضر مجلسه في القصر للمناظرة بين

يديه، وكان يخلع على الجميع ويصلهم. وأصبح يغلب على دار الحكمة الطابع الأكاديمي. وهكذا استطاعت دار الحكمة بهؤلاء العلماء ورعاية الحكام الفاطميين لها أن تتبوأ الزعامة في الدراسات العلمية والفقهية وأن تجتذب كثيراً من أعلام المشرق والمغرب مثل الرحالة الفارسي ناصر خسرو والفيلسوف الحسن بن الصباح الذين انتظما حيناً بين تلاميذ دار الحكمة. بيد أن هذه المدرسة لم يقدر لها أن تستمر في مسيرتها العلمية، فقد تطرق الضعف إليها واضطربت شئونها وفتر نشاطها منذ منتصف القرن الخامس الهجري. إدارة دار الحكمة عين الحاكم بأمر الله في دار الحكمة عشرات من القوام والخزنة والمناولين والخدم والفراشين للخدمة والسهر على راحة من فيها من العلماء والطلبة. كما عين في رئاسة المكتبة في بداية افتتاحها عالمان جليلان من علماء السنة تفرغاً لإدارتها كان أحدهما أبو بكر الأنطاكي والثاني أبو أسامة جنادة بن محمد الهروي. وقد سمح لهما في مرسوم التعيين أن يحضرا مجالس الحاكم بأمر الله وأن يسكنا في مساكن دار الحكمة. وفي عام ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م عين عبد العزيز بن النعمان داعي الدعاة ثم جاء بعده مالك بن سعيد الفارقي. ويبدو أن مهمة داعي الدعاة كانت مزدوجة فهو يشرف على المكتبة، ومن جهة أخرى يقوم بتدريس المذهب الفاطمي والدعوة إليه. وربما عين بعد مالك بن سعيد الفارقي في رئاسة دار الحكمة أبو محمد ابن آدم الذي وليها في شوال عام ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م ثم نشب الصراع على أشده عام ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م مما أدى إلى إغلاقها ثم أعاد الوزير المأمون فتحها في شهر عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ولكن في مكان جديد، وقد أعيد تعيين أبو محمد حسن بن آدم بشرط تجنب المناظرات والمشاحنات فيها.

وفي عام عين ابن آدم داعياً للدعاة وحل محله في إدارة المكتبة أبو فخر ولكن ابن آدم عزل لصغر سنه وعين أبو فخر داعياً ومشرفاً على المكتبة في آن واحد وظل حتى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٩ م حين عين الفقيه أبو الحسن علي بن اسماعيل الذي لم يتسلم قرار إقالته بشكل رسمي بعد أقل من ستة شهور حل محله عام ٥٣٤ هـ / ١١٤٠ م قاضي القضاة هبة الله بن حسن الأنصاري الأوسي المعروف بابن الأزرق.

مجالس المناظرة في القصر

وفي القصر كانت تعقد مجالس المناظرة تحت اشراف الخليفة ووزرائه وبحضور العلماء والأدباء وكبار رجال دولته فيتناظر العلماء في مختلف المسائل وفي نهاية المناظرة ينهض الشعراء ينشدون ويتبارون في مدح الخليفة والاشادة بمجد آبائه وأجداده ولا غرو اذا وفد على مصر كثيراً من الشعراء من مختلف الأقطار يسعون الى مجلس الخليفة ينشدون عطاءه ويبتغون كرمه من هؤلاء أبو حامد الانطاكي ومحمد بن القاسم بن عاصم وأبو الحسن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء وأبو الحسن علي بن نوبخت وعبد الوهاب بن نصر المالكي وقد مدح ابن هانئ الأندلسي المعز لدين الله الفاطمي في قصائد رنانة غالى فيها في مدح المعز حتى انحدر الى درجة الكفر وكان يزعم الرحيل الى مصر في اثر المعز بعد رحيله من بلاد المغرب ولكنه توفى في الطريق فحزن عليه المعز كثيراً.

العلماء أبرز مخرجات المشروع العلمي الفاطمي

ان النظر الى الدولة الشيعية بكل ما لها وما عليها على اعتبارها مشروع في التاريخ الاسلامي يمكن تدبره بشكل منطوق تاريخياً بعيداً عن عشرات الاقاويل التي طرحت عنه سواء بالسلب او بالاجاب، سوف يمنحنا مزيداً من العصمة في التناول، خاصة عندما يكون المغزى من هذا التناول هو محاولات العبث التاريخي بهذه الحقبة من أحل زرع نبت شيطاني الهدف منه احداث فتنة طائفية تلتهم باقي القوة الباقية في الامة الاسلامية، وبهذه الطريقة سوف نكتشف ان مخرجات الحقبة الفاطمية قد كانت من اهم مخرجات حقب التاريخ الاسلامي خاصة فيما ارتبط بها بالجانب العلمي والتعليمي، حيث سنشهد حالة فريدة من العلماء الذين ولدوا في ظل الدولة الفاطمية، وحسبوا عليها كمخرجات لهذا المشروع، وسجلوا في التاريخ الاسلامي ككل، كعلامة على مفرزات المشروع الاسلامي الاكبر، وبشيء من الاختصار يمكننا التعرض لاهم منجزات الدولة الفاطمية، والمتمثلة في علماء الامة الاسلامية، من خريجي العهد الفاطمي.

في مجال الطب

ونبتدئ في جولتنا هذه بالتعرف على من أشتهر في ذلك العصر من الأطباء والذي ارتفع صيت علمهم ومعرفتهم الى الحد الذي بقي ذكر أكثرهم الى يومنا هذا. فلنتجول بين صفحات كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة حيث يذكر في كلامه:

إبراهيم بن عيسى

كان طبيباً فاضلاً معروفاً في زمانه متميزاً في أوانه، صحب يوحنا ابن ماسويه ببغداد وقرأ عليه وأخذ عنه، وخدم بصناعة الطب الأمير أحمد بن طولون، وتقدم عنده وسافر معه الى الديار المصرية، واستمر في خدمته ولم يزل إبراهيم بن عيسى مقيماً في فسطاط مصر الى أن توفي، وكانت وفاته في نحو سنة ستين ومائتين.

الحسن بن زيرك

كان طبيباً في مصر أيام أحمد بن طولون يصحبه في الإقامة، فإذا سافر صحبه سعيد بن توفيل، ولما توجه ابن طولون الى دمشق في شهور سنة تسع وستين ومائتين، وامتد منها الى الثغور لإصلاحها، ودخل أنطاكية عائداً عنها أكثر من استعمال لبن الجواميس فأدركته هبضة لم ينجع فيها معاناة سعيد بن توفيل، وعاد بها الى مصر وهو ساخط على سعيد بن توفيل، فلما دخل الفسطاط أحضر الحسن بن زيرك وشكا اليه سعيداً فسهل عليه ابن زيرك أمر علته، وأعلمه أنه يرجو له السلامة منها عن قرب، وخففت عنه علته بالراحة والطمانينة واجتماع الشمل، وهدوء النفس، وحسن القيام، وبر الحسن ابن زيرك، وكان يسر التخليط مع الحرم فازدادت علته، ثم دعا بالأطباء فأرهبهم وخوفهم وكتمهم ما أسلفه من سوء التدبير والتخليط، واشتهى على بعض حظاياهم سمكاً فأحضرته إياه سراً فما تمكن من معدته، حتى تتابع الإسهال فأحضر الحسن بن زيرك وقال له أحسب الذي سقيتيه اليوم غير صواب، قال له الحسن بن زيرك يأمر الأمير أيده الله بإحضار جماعة

أطباء الفسطاط داره في غداة كل يوم، حتى يتفقوا على ما يأخذه كل غداة، وما سقيتك إلا أشياء تولى عجنها ثقتك، وجميعها تنهض القوة الماسكة في معدتك وكبدك، فقال أحمد والله لئن لم تنجحوا في تدبيركم لأضربن أعناقكم فانما تجربون على العليل، ولا يحصل منكم على شيء في الحقيقة، فخرج الحسن بن زيرك من بين يديه وهو يرتعد، وكان شيخاً كبيراً فحميت كبده من سوء فكره وخوفه، وتشاغله عن المطعم والنوم فاعتراه إسهال سريع، واستولى الغم عليه فخلط وكان يهذي بعلة أحمد بن طولون، حتى مات في غد ذلك اليوم.

إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس

هو أبو يعقوب، إسحق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج، فاضل في صناعة الطب، وكان في خدمة الحاكم بأمر الله ويعتمد عليه في الطب وتوفي إسحق بن إبراهيم بن نسطاس بالقاهرة في أيام الحاكم، واستطب بعده أبا الحسن علي بن رضوان، واستمر في خدمته وجعله رئيساً على سائر الأطباء.

سعيد بن البطريق

من أهل فسطاط مصر، وكان طبيباً (نصرانياً) مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها متقدماً في زمانه، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم، ومولده في يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين للهجرة، ولما كان في أول سنة من خلافة القاهر بالله محمد بن أحمد المعتضد بالله، صير سعيد بن البطريق بطريقاً على الاسكندرية وسمي أوثوشيوس، وذلك لثمان خلون من شهر صفر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ولسعيد بن البطريق من العمر نحو ستين سنة، وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين وستة أشهر، وكان في أيامه شقاق عظيم وشر متصل بينه وبين شعبه، واعتل سعيد بن البطريق بمصر بالإسهال، وكان متميزاً في صناعة الطب فحدس أنها علة موته، فصار إلى كرسيه بالاسكندرية، وأقام به أياماً عدة عليلًا، ومات يوم الاثنين سلخ رجب من سنة

ثمان وعشرين وثلاثمائة، ولسعيد بن البطريق من الكتب كتاب في الطب، علم وعمل، كناش، كتاب الجدل بين المخالف والنصراني، كتاب نظم الجواهر، ثلاث مقالات، كتبه إلى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب في معرفة صوم النصارى وفطهرهم وتواريخهم وأعيادهم، وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين؛ وذكر البطارقة وأحوالهم، ومدة حياتهم ومواضعهم، وما جرى لهم في ولايتهم، وقد ذيل هذا الكتاب نسيب لسعيد ابن البطريق يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى، وسمى كتابه كتاب تاريخ الذيل.

عيسى بن البطريق

كان طبيباً نصرانياً عالماً بصناعة الطب علمها وعملها، متميزاً في جزئيات المداواة والعلاج، مشكوراً فيها وكان مقامه بمدينة مصر القديمة، وكان هذا عيسى بن البطريق أخ سعيد بن البطريق المقدم ذكره ولم يزل عيسى بمدينة مصر طبيباً إلى أن توفي بها.

أعين بن أعين

كان طبيباً متميزاً في الديار المصرية، وله ذكر جميل وحسن معالجة، وكان في أيام العزيز بالله وتوفي أعين بن أعين في شهر ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وله من الكتب كناش كتاب في أمراض العين ومداواتها.

أبو الحسن سهلان

هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان، كان طبيباً من أهل مصر ينتحل رأي الفرقة المالكية أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر.

كان طبيباً مشهوراً، وله دراية وخبرة بصناعة الطب، وكان طبيب الحاكم بأمر الله، ومن الخواص عنده، وكان العزيز أيضاً يستطبه ويرى له ويحترمه، وكان متقدماً في الدولة، وتوفي في أيام الأكم واستطب الحاكم بعده إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس، ومات إسحاق بن نسطاس أيضاً في أيام الحاكم بعد ذلك.

عمار بن علي الموصلي

كان كحالاً مشهوراً، ومعالجاً مذكوراً، له خبرة بمداواة أمراض العين، ودربة بأعمال الحديد، وكان قد سافر الى مصر وأقام بها وكان في أيام الحاكم ولعمار بن علي من الكتب كتاب المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد، ألفه للحاكم.

ابن مقشر الطبيب

كان من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين، مكيناً في الدولة، حظياً عند الحاكم، وكان يعتمد عليه في صناعة الطب، وقال عبيد الله بن جبرئيل ان ابن مقشر الطبيب كان في خدمة الحاكم، وبلغ معه أعلى المنازل وأسناها، وكان له منه الصلات الكثيرة، والعطايا العظيمة، قال ولما مرض ابن مقشر الطبيب عاده الحاكم بنفسه، ولما مات أطلق لمخلفيه مالاً وافراً.

علي بن سليمان

كان طبيباً فاضلاً متقناً للحكمة والعلوم الرياضية، متميزاً في صناعة الطب، أوجد في أحكام النجوم، وكان في أيام العزيز بالله وولده الحاكم ولحق أيام الظاهر لإعزاز دين الله ولد الحاكم، ولعلي بن سليمان من الكتب اختصار كتاب الحلوى في الطب، كتاب الأمثلة والتجارب والأخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب أبوقراط وجالينوس وغيرهما، تذكراً له ورياضة ووجدت هذا الكتاب بخطه أربع مجلدات وقد ذكر فيه أنه ابتدأ بتأليفه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالقاهرة، كتاب التعاليق الفلسفية ووجدته أيضاً بخطه وهو يقول فيه أنه ابتدأ بتصنيفه بحلب في سنة إحدى عشرة وأربع مائة، مقالة في أن قبول الجسم التجزؤ لا يقف ولا ينتهي الى ما لا يتجزأ، وتعدد شكوك تلزم مقالة أرسطو طاليس في الأبصار، وتعدد شكوك في كواكب الذنب.

أبن الهيثم

هو أبي علي محمد بن الحسن بن الهيثم أصله من البصرة، ثم انتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى آخر عمره، وكان فاضل النفس قوي الذكاء متفناً في العلوم، لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي، ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال، كثير التصنيف، وافر التزهد، محباً للخير، وقد لخص كثيراً من كتب أرسطوطاليس وشرحها، وكذلك لخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب، وكان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية إلا أنه لم يباشر أعمالها، ولم تكن له دربة بالمداد، وتصانيفه كثيرة الإفادة، وكان حسن الخط، جيد المعرفة بالعربية.

في الفلك

ابن يونس

ذكرت الكاتبة حليلة الفراري في كتابها «بناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية» العلامة الفلكي بن يونس توفي سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م كان ابن يونس راصداً رفيع المنزلة للظواهر السماوية، وعالماً نظرياً من الطراز الأول. ويقول عنه سارطون ربما كان أعظم فلكي مسلم. واسمه الكامل هو أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدي المصري. لا يعرف تاريخ ولادته، أما وفاته فكانت عام ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م بالقاهرة. ينتمي لأسرة اشتهرت بالعلم، فقد كان أبوه محدثاً ومؤرخاً كبيراً، كما كان جده من المتخصصين في علم النجوم.

وقد حظي ابن يونس بمكانة كبيرة لدى الخلفاء الفاطميين الذين شجعوه على متابعة بحوثه الفلكية والرياضية، وبنوا له مرصداً قرب الفسطاط (القاهرة)، وجهزوه بكل ما يلزم من الآلات والأدوات.

إسهاماته

برع ابن يونس في المثلثات، وله فيها بحوث قيمة ساعدت في تقدم علم المثلثات.

فهو أول من وضع قانوناً في حساب المثلثات الكروية، كانت له أهمية كبرى عند علماء الفلك، قبل اكتشاف اللوغاريتمات، اذ يمكن بواسطة ذلك القانون تحويل عمليات الضرب في حساب المثلثات الى عمليات جمع، فسهل حل كثير من المسائل الطويلة المعقدة. ويرجع الى ابن يونس اختراع رقاص الساعة. كما أظهر ابن يونس براعة كبرى في حل كثير من المسائل العويصة في علم الفلك. وقد رصد ابن يونس كسوف الشمس والقمر في القاهرة حوالي ٩٧٨ م، فجاء حسابه أقرب ما عرف، الى أن ظهرت آلات الرصد الحديثة.

مؤلفاته

أهم كتاب ألفه ابن يونس هو:

«الزيج الكبير الحاكمي»: بدأ تأليفه، بأمر من الخليفة العزيز الفاطمي سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م، وأتمه سنة ١٠٠٧ م في عهد الخليفة الحاكم ولد العزيز. وسماه الزيج الحاكمي، نسبة الى الخليفة. وتوجد أجزاء من هذا الكتاب في عدد من المكتبات العالمية مثل اكسفورد، وباريس، والاسكريال، وبرلين، والقاهرة. وقد قام كوسان بنشر وترجمة أجزاء هذا الزيج التي فيها أرصاد الفلكيين القدماء وأرصاد ابن يونس نفسه عن الخسوف والكسوف، واقتران الكواكب. وكان هدف ابن يونس من تأليف كتابه هو تصحيح أرصاد وأقوال الفلكيين الذين سبقوه وتتميمها.

في التاريخ

عرف العصر الفاطمي طائفة من المؤرخين والرحالة الذين ابتدعوا طرقاً كانت المسلك أو الطريقة التي اهتمدى على أساسها المؤرخين الذين أتوا من بعدهم ومن هؤلاء المؤرخين نذكر

هو الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي من ولد سليمان بن زولاق الليثي بالولاء، نسبة الى ليث بن كنانة. أبو محمد. مؤرخ مصري زار دمشق سنة ٣٣٠ هـ وولي ديوان المظالم في أيام الفاطميين كان جده الأعلى علي بن زولاق من العلماء المشاهير. من كتبه: فضائل مصر واخبارها وخصائصها، تحدث فيه عن أخبار قضاة مصر جعله ذيلًا لكتاب أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المسمى بكتاب القضاة والولاة وانتهى فيه الى سنة ٢٤٦ هـ فأكماله ابن زولاق الى سنة ٣٨٦ هـ توفي ابن زولاق عن ٨١ عامًا!

٢- أبو الحسن علي الشابشتي صاحب كتاب الديارات

٣- أبو صالح الأرمني المتوفى سنة ٦٠٥ هـ الف كتاب الكنائس وأديرة مصر

٤- محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسبحي

ألف كتاباً كبيراً بعنوان تاريخ مصر يقع في ست وعشرين ألف صفحة ولكن لم يبق من هذا الكتاب أثر ولم يبق منه إلا الجزء الأربعون وموجود بمكتبة الأسكوريال بمدريد.

شعراء الدولة الفاطمية

عرف العصر الفاطمي عدداً من الشعراء المشهورين الذين تناولت قصائدهم موضوعات المدح والوصف والثناء وكان الخلفاء والأمراء يشجعون رجال الأدب بالهبات الثمينة مما حدا بالكثير من الأدباء والشعراء بالاتصال بهم ومدحهم ومن أشهر شعراء العصر الفاطمي في مرحلته الأولى:

١- بن هاني الأندلسي

الذي لقب بمتنبي الغرب وهو أبو القاسم محمد بن هاني ولد في أشبيلية بالأندلس، وله قصائد مدح بها القائد جوهر الصقلي ومن ثم نمت وأشتهر خبره فسمع عنه المعز لدين الله فطلبه وبألف في الأنعام عليه فأتت قصائده تشع ببريق أخاذ ومنها قصيدته الرائية المشهورة.

٢- أبو الطيب احمد بن الحسين بن الجعفي

«من بني جعفي من مذحج من قبيلة تسكن اليمن». ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في حي بني كندة، فنسب إليها ومن أشعاره في مدح المعز لدين الله (ع).

٣- عمارة بن علي اليميني

ومن قصائده المشهورة تلك التي قالها في رثاء قصور الفاطميين التي حين رآها خاوية على عروشها ومهجورة دروبها فأنشأ قصيدته المشهورة التي رثى بها القصور وأهلها، وهي من عيون المراثي.

٤- أبو عبد الله محمد بن أبي الجرع

والذي بلغه توجع الوزير من ألم بيده فنظم قصيدة ظهر فيها توجعه.

٥- عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي

وغيرهم كثير.

القاضي النعمان وقلم الحبر تاريخ فاطمي لا يطمث

ومن لمحات التاريخ التي خلفها العهد الذهبي للعلم والعلماء في الدولة الفاطمية واهتمام الخلفاء بهذا الجانب تلك القصة التي تحكي ان الفاطميون اول من استخدم القلم الحبر في التاريخ وهو ما أورده القاضي النعمان في (كتاب المجالس والمسائرات) نصاً قيماً مفاده أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أمر بأن يصنع له قلم مداد، فكان ذلك وبصورة أثارت إعجاب القاضي النعمان وجعلته يسرد تفاصيل ما حدث. كان ذلك قبل انتقال المعز لدين الله من أفريقيا الى مصر سنة ٣٥٨ هـ ٩٦٩ م، ويظهر المعز لدين الله من خلال (كتاب المجالس والمسائرات) شخصية ذات اهتمامات فكرية وعلمية معمارية، لا بل ويبدو اهتمامه بالأمور التقنية من فقرة وردت في الكتاب حول تكليفه أحد الصناع صنع قلم حبر له حسب مواصفات حددها له. قال المعز لدين الله: نريد ان نعمل قلماً



يكتب به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله، فمتى شاء الإنسان كتب به فأمدّه وكتب بذلك ما شاء ومتى شاء تركه فارتفع المداد، وكان القلم ناشفاً منه يجعله الكاتب في كفه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه، ولا يرشح شيء من المداد عنه ولا يكون ذلك إلاّ عندما يبتغي منه ويراد الكتابة به، فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا سبقنا إليها، ودليلاً على حكمة باللغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها.

فقال القاضي النعمان: ويكون هذا يا مولانا؟

فما مر بعد ذلك إلاّ أيام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة به معمولاً من ذهب، فأودعه المداد وكتب به فكتب، وزاد شيئاً من المداد على مقدار الحاجة. فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به فإذا هو يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد فإذا أخذه الكاتب وكتب به أحسن كتابة ما شاء أن يكتب به ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد، قال القاضي النعمان: فرأيت صنعة عجيبة لم أكن أظن أنني أرى مثلها وتبين لي فيه مثل حسن في أنه لا يسمح بما عنده الا عند طلب ذلك منه. ولا يخرج منه ما يضر فيلطح يد من يمسكه أو ثوبه أو ما لصق به، فهو نفع ولا ضرر.

وقد نوه بهذا الابتكار العربي لقلم الحبر الأستاذ سي. ي. بوزويرث من جامعة مانشستر ببريطانيا في مقال نشره في خريف عام ١٩٨١ م في (مجلة الدراسات السامية) التي تصدر عن جامعة منشستر أورد فيه ترجمة وافية ودقيقة لنص العربي من (كتاب المجالس والمسائرات). وذكر الأستاذ بوزويرث في مقاله أن قلم الحبر - كما نعرفه اليوم - بدأت صناعته في أوروبا في القرن التاسع عشر، حتى إذا ما حل عام ١٨٨٤ م انتج ل. ووترمان - من مدينة نيويورك - أول قلم عملي من أقلام الحبر وبعد ذلك سنوات (أي في سنة ١٨٨٧ م) تأسست شركة أقلام باركر، ولم يلبث أن انتشر استعمال أقلام الحبر وذاع في أنحاء العالم منذ نهاية القرن التاسع عشر ويعلق الأستاذ بوزويرث في نهاية مقاله بأنه «إذا كان القلم الذي صنع للمعز صالحاً بالفعل للاستعمال، فإنه يكون قد سبق بعدة قرون أقلام الحبر التي تصنع الآن بالجملة في بلاد الغرب».

وقد تطورت بعد ذلك صناعة أقلام الحبر في الأندلس والمغرب وتأنق أصحابها في

صنعتها كما يتبين من الحكاية التي يرويها ابن الآبار القضاعي في كتاب (تحفة القادم) عن ثلة من الأدبار في سبته في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي مر بهم رجل معه محبرة أنوس احتفل في عملها وتأنق في حليتها وقال: «أن هذه المحبرة أريد أن تتموا احتفالي فيها بأن تصنعوا لي بينكم أبيات شعر ادفعها معها» فقال: من بينهم الأديب الشاعر أبو الطاهر ابن ركب - من أهل جيان - بيتين سربهما الرجل وسأل كتبهما فكتبا له. فلم يغب إلا سيراً وإذا به قد عاد وفي يده قلم نحاس مذهب، فقال: وهذا مما أعددت له للدفن مع هذه المحبرة. ففضلوا بإكمال الصيغة عندي بذكره، فبدر أبو الطاهر وقال:

حطت بأصفر من نجار حلييا تخفيه أحياناً وحيناً يظهر
غرثان ألا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

وأن كان الشيء بشيء يذكر فهنا ننوه بما للقاضي النعمان من بصمات ومؤلفات كان لها الأثر البالغ في الصد والذود عن النسب الشريف وتنقيح والتعريف بما كان عليه السلف الصالح من ديانة وتبحر في العلم وكشف ما استحدث في أصول العقائد الاسلامية ومن مؤلفاته رحمه الله:

١- كتاب المجالس والمسائرات

٢- أساس التأويل

٣- دعائم الإسلام

٤- الأرجوزة المختارة

٥- تأويل الدعائم

٦- الاقتصار

٧- كتاب اقتتاح الدعوة.

ابراهيم الشيباني

اما ابراهيم بن محمد الشيباني، ابو اليسر، فهو يعرف بالرياضي الكاتب: اديب، اصله من بغداد، واستقر في القيروان فترأس ديوان الانشاء لبني الاغلب ثم الفاطميين الى ان توفي. من كتبه «سراج الهدى» في معاني القرآن واعرابه، و«مسند» في الحديث، و«قطب الادب» و«لقط المرجان» في الادب الكرزي.

وفي هذا العهد أيضاً كانت الحركة الأدبية في أوج قوتها مما أثر بالتالي الى خروج الكثير من المؤلفات والمؤلفين الذي كان لأبداعاتهم الصدى الكبير في هذا العصر وكل عصر ومنهم على سبيل المثال ابن عبد ربه الأندلسي صاحب كتاب المتوفي سنة ٣٢٨ هـ صاحب كتاب العقد الفريد.

وأبي فرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني وأبو حاتم الرازي والذي كان له دوره المشهود سواء على صعيد المناظرات والذود عن النسب الشريف أو في مجالات العلم والذي ذكرنا نبذة عنه في سياق هذا البحث علماء خلد لهم التاريخ ومن كتبه كتاب الزينة وقد أهدها الى القائم بأمر الله.

وأيضاً لا يفوتنا هنا الى ما خلفه أخوان الصفا وخلان الصفا من رسائل في الرياضيات والماورائيات والأخلاق والطبيعات.

الخاتمة:

أولاً -

إذا كانت المؤامرة على الامة الاسلامية في عصرنا الراهن قد استعانت بالخلافات المذهبية العتيقة لزرع فتنة طائفية وصراع اسلامي بين الشيعة والسنة من خلال استحضار الخلاف حول الدولة الشيعية واللعب على ورقة تأويل التاريخ الفاطمي لصالح هذه المؤامرة، وكذلك انسياق العديد من الجهلاء او المرتزقة او حتى المتعصبين خلف هذه المؤامرات، فأن التاريخ الفاطمي ذاته يمكنه ان يشكل خطوة مضادة على طريق هذه المخططات، خاصة لو اعدنا قرائته مرة اخرى في سياق استحضار بواعث الوحدة الاسلامية من مخرجات هذا المشروع التاريخي، بكل ما يحويه من ملامح للتسامح الديني والعمل على رفعة الامة ككل.

ثانياً -

لقد امتد عهد الدولة الفاطمية (الشيعية) لأكثر من ٢٦٠ عام من عمر التاريخ الاسلامي شهدت خلالها ١٤ حاكم لهم طبيعة بشرية تحركهم، وبالتالي لهم وعليهم، ولا يمكن لأي منصف لعهدهم ان يطلق عليهم احكاماً مطلقة خاصة تلك الاحكام التكفيرية والتي من شأنها زيادة الفرقة بين المسلمين سنة وشيعة.

ثالثاً -

مما هو ثابت من التطرق لتاريخ الدولة الفاطمية اهتمامها بالجانب الذي نصطلحه اليوم على انه حقوق الانسان، حتى ولو لم يكن الهدف منها الانسان نفسه، وان القضية لا تعدو تثبيت دعائم دوله ونشر مذهب جديد، فسوف تكون مشكورة بهذا قد تركت لنا ما يمكن ان نتمسك به اليوم.

رابعاً-

ثبت من خلال تضارب المؤرخين في التأريخ للحقبة الفاطمية انها بهذا التضارب قد احتملت التأويل على كل الاوجه، فلماذا يترك التأريخ للمتعصبين عقائدياً أو للمأجورين للعبث به، ولماذا لا نستحضر من ذلك التأريخ ما يؤكد وحدة وهوية الامة الاسلامية خاصة في ظل الظرف الراهن.

خامساً-

لقد اكدت افرازات الدولة الفاطمية من علماء أثروا في بالغ التأريخ الاسلامي انها كانت دولة رائدة في الاهتمام بالعلوم، وهو ما افتقدته الامة اليوم في عصر التجريح والمجاملة والفتنة، فكم نحتاج لاستحضار هذه الروح اليوم لصنع وحدتنا التاريخية وسط محاولات غريبة بالقضاء عليها.

مراجع الدراسة

الفاطميون وتقاليدهم في التعليم - هاينز هالم

د. احمد ال الشيخ، جريدة شباب مصر، ٢٠٠٧/٩/٤

د. محمد زغلول سلام، الأدب الفاطمي

تقي الدين المقريري، اتعاظ الحنفاء ج ٣

عبد المنعم ماجد - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر - دار المعارف - القاهرة

١٩٦٨

عبد المنعم ماجد - الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه

الشيعة في مصر - صالح الورداني

دراسات في الدولة الفاطمية ورسالتها مركز المقدسات للنشر بيروت

حسن ابراهيم حسن - تاريخ الدولة الفاطمية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٨ م

أيمن فؤاد السيد - الدولة الفاطمية في مصر - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٤١٣ هـ

١٩٩٢ م

رؤية حول التعايش المذهبي

الشيخ حسن الصفار

مفكر وكاتب من السعودية

تهب على الأمة الاسلامية عاصفة فتنة طائفية هوجاء، تهدد بتمزيق مجتمعات الأمة، وتقويض أمنها واستقرارها، وإشغالها عن مواجهة تحديات الهيمنة الاجنبية، والتخلف الحضاري.

وتتطلب هذه الفتنة من حال الاقتتال والمجازر اليومية الفظيعة في العراق، هذا الحال الذي يعرف الجميع دور الاحتلال الاميركي البغيض في صنعه، كما يعرف الجميع الدافع السياسي للاطراف المشاركة فيه، حيث يسعى كل طرف لاختذ موقعه وحصته في الواقع العراقي الجديد، بعد عقود من الاستبداد وهيمنة الحزب الواحد والقائد الفرد، الذي همش وقمع الجميع، وصادر ارادة كل الشعب العراقي.

مع وضوح هذه الخلفية للاحداث المؤلمة في الساحة العراقية، إلا ان هناك ارادة واصراراً على اثاره الفتنة الطائفية من خلالها، وتصويرها وكأنها اجتراب مذهبي، والترويج لخطر داهم من قبل الشيعة على السنة ومن قبل السنة على الشيعة.

وفجأة سادت لغة طائفية فجّة على اغلب وسائل الاعلام العربية، واصبحت تضفي على مختلف الاخبار هذه النكهة، وتتصيد الانباء والمشاهد المثيرة في هذا السياق.

وتخندق كثير من كتاب الصحف والمجلات وراء ستاريس طائفية، حتى بعض الليبراليين الذين كانوا يستسخفون التوجهات الدينية بشكل عام.

وتحولت خطب الائمة في المساجد الى منابر للتحريض الطائفي، مستدعية كل ما في التراث والتاريخ من رصيد للكراهية المتبادلة والصراع المذهبي. أما مواقع الانترنت المهتمة بهذا الشأن فقد وجدت فرصتها الثمينة، وتحركت اسواقها بعد ان كانت تعاني من الركود والكساد.

العلماء بين الاستدراج والوعي:

أمام هذه الفتنة الهوجاء كان متوقفاً من علماء الاسلام ان يأخذوا دور التحذير والتنبيه، حتى لا تسقط الامة في هذا الفخ الخطير وأن يتحركوا سريعاً لمحاصرة الحريق المشتعل في العراق، حتى لا يمتد لهبه الى سائر المناطق، ومن ثم العمل على مساعدة الشعب العراقي للخروج من محنته بأقل قدر من الخسائر والتضحيات. فالعلماء يتحملون مسؤولية تذكير الامة بمبادئ دينها، وتوعيتها باخطار التحديات المحدقة بها، وتبصيرها في مواجهة الفتن والشبهات. يقول الله تعالى:

﴿انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ (المائدة: من الآية ٤٤).

والعلماء يمثلون دور الربانيين والاحبار في هذه الامة، وواجبهم ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أن يؤكدوا على مبدأ الوحدة الذي فرضته آيات القرآن المجيد، واحاديث السنة النبوية الشريفة، وان يأخذوا دور الرقابة والشهادة على الواقع ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ فيحذرون من الفرقة والتنازع وفق توجيه كتاب الله تعالى، الذي يقول (ان هذه امتكم امة واحدة) يقول: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ ويقول: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

لكن المؤسف جداً انزلاق بعض العلماء واستدراجهم الى احوال الفتنة، ومشاركتهم بوعي او غفلة في تأجيج اضرامها، عبر التعبئة واثارة الضغائن والاحقاد، وفتح ملفات

الخلافاً للعقيدية والفقهية، وتجميع اوراق السقطات والاطياء.
انه لا يمكن انكار وجود مشكلة هنا وخطأ هناك، بحدوث اساءة من طرف شيوعي، او تصرف سيئ من طرف سني، كما أن تاريخنا وتراثنا الاسلامي مليء بالاوراق الصفراء، والجراح الدامية، لكن هل هذا هو الوقت المناسب لفتح الملفات، وطرح الاوراق؟ ألا يعتبر ذلك صبا للزيت على نار الفتنة المتقدة؟ وتوسيعاً لرقعة اشتعالها؟ ليس ذلك نوعاً من تقديم الخدمة الممتازة لانجاح مخططات الهيمنة الاميركية باحداث الفوضى الخلاقة - حسب وصفهم - في ارجاء المنطقة؟

✳ الموقف المسؤول

وبمقدار ما يأسف الانسان ويألم لمواقف بعض العلماء الذين انطلت عليهم الخديعة، وخذلهم الوعي، أو دعتهم المصالح الشخصية والفئوية للوقوع في شرك الفتنة الخطير، فإن الانصاف يقتضي الاشادة والتقدير للموقف الرسالي المسؤول الذي جسده العلماء المصلحون الربانيون، وفي طليعتهم المرجع السيد السيستاني، هذا الرجل الذي ضرب اروع الامثلة المعاصرة في التزام المبدئية، والحرص على وحدة الامة، والتسامي على الجراح.

إن الجميع يعرف الظروف القاسية التي عاشها السيد السيستاني والحوزة العلمية في النجف الأشرف وامتداداتها على الشعب العراقي، في عهد النظام البائد، والمقابر الجماعية، وأرقام الشهداء من الفقهاء والعلماء والخطباء، وحملات التهجير، ومآسي المعتقلات كلها شواهد واضحة لا تقبل الانكار.

لكن السيد السيستاني بعد سقوط النظام ألجم أي نزعة للانتقام واخذ الثأر في صفوف اتباعه، واصدر اكثر من فتوى تحرم اي نوع من انواع الانتقام حتى نشر الوثائق التي تفضح اذلام النظام السابق وعملاءه.

فقد أجاب على سؤال حول من تأكد دوره المباشر في قتل الابرياء من اذلام النظام السابق هل تجوز المبادرة الى القصاص منه؟ أجاب سماحته: (القصاص انما هو حق

لاولياء المقتول بعد ثبوت الجريمة في المحكمة الشرعية، ولا تجوز المبادرة اليه لغير الولي، ولا قبل الحكم من قبل القاضي الشرعي).
ورداً على سؤال حول كون الشخص عضواً في حزب البعث السابق أو متعاوناً مع أجهزة النظام الامنية هل يكفي ذلك لمعاقبته؟ اجاب سماحته: (لا يكفي وامر مثله موكول الى المحاكم الشرعية، فلا بد من الانتظار الى حين تشكيلها).
وحول نشر الوثائق التي تفضح عملاء النظام السابق اجاب سماحته: (لا يجوز ذلك، بل لابد من حفظها وجعلها تحت تصرف الجهة ذات الصلاحية).

* تجاه فتنة الارهاب والتكفير:

حين بدأت فتنة الارهاب والتكفير الطائفي في العراق، واعلن الزرقاوي حربه على شيعة العراق، واستهدفه لشخصياتهم ومناسباتهم الدينية، بمراى ومسمع من الجميع، وبصراحة تامة، حيث توالى الاغتيالات والتفجيرات من عصابته والمتحالفين معهم، كالتفجير الذي استهدف السيد محمد باقر الحكيم بتاريخ ١ رجب ١٤٢٤ هـ عند مرقد الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف، وكتفجيرات يوم العاشر من المحرم ١٤٢٥ هـ في كربلاء المقدسة، التي استهدفت مواكب المعزين والزائرين، وما تلاها من تفجيرات الكاظمية وغيرها كالحلة والعمارة ومسجد برائا التاريخي في بغداد وصولاً الى تفجير قبة الامامين العسكريين (عليهم السلام) في سامراء.

ولا شك ان هذه التفجيرات وما تسفر عنها من ضحايا ومجازر رهيبة، وما تشكله من انتهاك لحرمة المقدسات والشعائر الدينية للشيعية، كانت تفجر الغضب في نفوسهم، وتلهب مشاعر التحدي في اوساطهم، مما يدفع باتجاه الانتقام والقيام بردود فعل مشابهة، لكن وعي السيد السيستاني وحكمته منعت ذلك لوقت طويل، حيث كان يرفض اتهام اي جهة مذهبية، ويؤكد على التحلي بالوعي والحذر من الفئات المعادية لكل العراق ولكل المذاهب.

ففي رده على سؤال عن الموقف تجاه تهديدات الزرقاوي قال بيان صادر عن مكتبه

بتاريخ ٢١ شعبان ١٤٢٦ هـ:

(ان الهدف الاساس من اطلاق هذه التهديدات وما سبقها واعقبها من اعمال اجرامية استهدفت عشرات الآلاف من الابرياء في مختلف انحاء العراق: هو ايقاع الفتنة بين ابناء هذا الشعب الكريم، وايقاد نار الحرب الاهلية في هذا البلد العزيز، للحيلولة دون استعادته لسيادته وامنه. ومنع شعبه المشن بجراح الاحتلال، وما سبقه من القهر والاستبداد، من العمل على استرداد عافيته، والسير في مدارج الرقي والتقدم.

ولكن معظم العراقيين - والله الحمد - على وعي تام بهذه الاهداف الخبيثة، وسوف لن يسمحوا للعدو الطامع بتحقيق مخططاته الاجرامية، مهما نالهم من ظلم وأذى واريق على ترى بلدهم الطاهر من دماء زكية لاهليهم واحبتهم.

واننا في الوقت الذي نعبر فيه عن بالغ الاسى لكل قطرة دم عراقية تسفك ظلماً وعدواناً، وتنال لآهات الشكالي وبكاء الايتام وانين الجرحى، ندعو المؤمنين من اتباع اهل البيت (عليهم السلام) الى الاستمرار في ضبط النفس مع مزيد من الحيلة والحذر).

ولنا ان تقارن هنا بين هذا الموقف المسؤول للسيد السيستاني وهو يعيش في معمة الاحداث ويواجه غليان الشارع المحيط به، وبين مواقف علماء وشخصيات اخرى تعيش مرفهة خارج العراق، ثم تتخذ من الاحداث الارهابية التي اصابت بعض السنة في العراق مبرراً لاثارة النعرة الطائفية والفتنة المذهبية، وكأنها تحمل كل الشيعة في العالم وزر ما حصل لاهل السنة في العراق، متجاهلة تعقيدات الساحة العراقية، وانعكاسات الارهاب التكفيري، ودور الاحتلال الاميركي، وتأثيرات السياسة الاقليمية!!

رؤية التعايش المذهبي:

تضمن البيان الهام الذي صدر عن مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف الاشرف بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨ هـ - ٣ / ٢ / ٢٠٠٧ م رؤية عميقة لمعالجة المشكل الطائفي، تستحق الدراسة والاهتمام، واني اوافق الدكتور حمزة قبلان المزيني على ما ذكره حول هذا البيان في مقال له في جريدة (الوطن) السعودية بتاريخ ٨ / ٢ / ٢٠٠٧ م

حيث قال:

(وتأتي أهمية هذا البيان من صدوره عن هذه المرجعية الشيعية العليا التي يقلدها كثير من المؤمنين الشيعة في العالم، وهذا ما يوجب الترحيب به، والعمل على جعله اساساً لبداية عمل مخلص لوأد الفتنة بين المسلمين، كما يجب ان يبرز وينشر على نطاق واسع لما يتضمنه من المبادئ التي يمكن ان ترشد مواقف المسلمين الشيعة، وتدخل الاطمئنان على السنة، وتضع الخلاف بين المذهبيين في مساره الحقيقي...).

(ومن هنا يجب ان نمسك بهذه اللحظة التاريخية التي يمثلها صدور هذا البيان من هذه المرجعية المرموقة، ونعمل تبعاً لذلك على تعميمه على اوسع نطاق في العراق خاصة الآن، وان يكون وثيقة يوعظ بها على منابر المساجد والحسينيات والمنتديات والصحف والندوات التلفازية والاذاعية. حتى يصل الى المسلمين جميعاً من المذهبيين، بدلاً لما تحفل به هذه المنابر كل يوم من الشحن الطائفي البغيض، ولا يقل عن ذلك أهمية ان يقابل هذا البيان ببيانات من علماء اهل السنة تماثله من حيث المرجعية والمحتوى).

وبالعودة الى الرؤية التي تضمنها البيان فان من اهم ملامحها ما يلي:

اولاً: اخذ الظروف العصيبة التي تمر بها الامة بعين الاعتبار، فهناك أكثر من وطن اسلامي يئن تحت وطأة الاحتلال كفلسطين والعراق وأفغانستان، واوطان اخرى تحت طائلة التهديد بالتدخل والضربات العسكرية، وهناك حرب معلنة على رموز الاسلام ومقدساته، واستخفاف بوجود الامة وكرامتها، تحت غطاء مكافحة الارهاب.

ان من يعي هذه التحديات الخطيرة يجب ان يرفض اي اضعاف لجبهة الامة الداخلية، واي ارباك لساحتها بالنزاعات والخلافات.

ثانياً: ان التنوع المذهبي وما يعنيه من اختلاف في بعض المعتقدات والاحكام ليس شيئاً طارئاً، ولا حادثاً مستجداً، بل واقع عاشته الامة طيلة عهودها السابقة، فلا بد من قبول هذا التنوع والتعددية المذهبية. وهذا ما نصت عليه توصيات قمة مكة الاستثنائية بين قادة الدول الاسلامية، في العام المنصرم ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

ثالثاً: ان اصول الدين وarkan العقيدة ودعائم الاسلام هي مورد اتفاق بين المسلمين،

يشترون بجميع مذاهبهم في الايمان بها، فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الاحد ورسالة النبي المصطفى - صلى الله عليه وآله - وبالمعاد، وبكون القرآن الكريم - الذي صانه الله من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للاحكام الشرعية، وبمودة اهل البيت (عليهم السلام) ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة، ومنها دعائم الاسلام: الصلاة والصيام والحج وغيرها، فهذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية... رابعاً: انه لا ضير في بحث الاختلافات العقيدية والفقهية والتاريخية في (اطار البحث العلمي الرصين) وليس ضمن اساليب التعبئة والتهريج.

خامساً: تحقيق التعايش السلمي على اساس الاعتراف والاحترام المتبادل وحفظ الحقوق الانسانية والوطنية ونبد المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية. والتأكيد على (حرمة دم كل مسلم سنياً كان او شيعياً وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً ايأ كان صاحبه).

❁ باعث الدين والوعي:

هذه الرؤية العميقة التي يقدمها السيد السيستاني للتعايش بين أبناء المذاهب الاسلامية ليست فكرة اثارها في ذهنه التطورات السياسية بل تنطلق من جذور دينية راسخة، فهو خريج مدرسة حملت هم الوحدة والتقريب بين المسلمين منذ عقود من الزمن، هي مدرسة استاذة السيد حسين البروجردي (توفي ١٣٨٠ هـ) والذي كان المرجع الاعلى في الحوزة العلمية في قم وهو الذي رعى تأسيس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة في ستينيات القرن الميلادي المنصرم وله آراؤه المعروفة على صعيد الانفتاح والتقريب.

وقد انضم السيد السيستاني الى دروس السيد البروجردى عام ١٣٦٨ هـ وتأثر به واستفاد من ملاحظاته ونظرياته الدقيقة العلمية في علمي الرجال والفقه.

ان السيد السيستاني في بحثه لموضوع الاجتهاد والتقليد يؤكد على اهمية اطلاع الفقيه الشيعي على آراء فقهاء السنة المعاصرين لائمة اهل البيت (عليهم السلام) وان ذلك من

مقومات الفقه والاعلمية كما جاء في تعليقه على العروة الوثقى مسألة رقم ١٧.

وهو ينفي عن اهل السنة بغض اهل البيت بل يراهم مؤمنين بمودتهم كما جاء في بيانه بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨ هـ (فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الاحد.. وبموده اهل البيت عليهم السلام)).

وبناء عليه فالسنة ليسوا نواصب لان النواصب (هم المعلنون بعداوة اهل البيت عليهم السلام) كما جاء في رسالته العملية الجامعة لفتاواه (منهاج الصالحين) الجزء الاول ص ١٣٩.

وهو يشيد برموز الجهاد من اهل السنة ويعتبر من يقتل منهم في سبيل الله شهيداً يدعو له بالرحمة والمغفرة كما جاء في بيان مكتبه حول استشهاد الشيخ احمد ياسين بتاريخ ٣٠ محرم ١٤٢٥ هـ بالنص التالي: (في صباح هذا اليوم وفي جريمة بشعة ارتكبتها الكيان الصهيوني المحتل فقد الشعب الفلسطيني احد رجاله الابطال العالم الشهيد الشيخ احمد ياسين تغمده الله بواسع رحمته الذي كرس حياته لخدمة وطنه ودينه واصبح مثلاً يُحتذى به في الصبر والمقاومة^٢).

وحينما بلغه اقتحام بعض الجهلاء من الشيعة في بعض مناطق العراق لبعض مساجد اهل السنة وطرد ائمة الجماعة منها اصدر السيد السيستاني فتوى في الاجابة على سؤال عن الموضوع بتاريخ ١٨ صفر ١٤٢٤ هـ بالنص التالي: (هذا العمل مرفوض تماماً ولا بد من رفع التجاوز وتوفير الحماية لامام الجماعة واعادته الى جامعته معززاً مكرماً)^٣. بل انه امر بالاسهام في بناء مساجد اهل السنة واعادة تعميرها كما نقل ولده السيد محمد رضا السيستاني حسبما اورده جريدة الحياة بتاريخ ١٨ ابريل ٢٠٠٣ م ١٦ صفر ١٤٢٤ هـ.

وهو يبرئ اهل السنة من جريمة الاعتداء على مقام الامامين العسكريين في سامراء كما جاء في بيانه حول الذكرى السنوية بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٨ هـ حيث قال ما نصه: (ندعو المؤمنين وهم يحيون هذه المناسبة الحزينة ويعبرون عن مشاعرهم الجياشة تجاه ما تعرض له ائمتهم عليهم السلام) من هتك واعتداء ان يراعوا اقصى درجات الانضباط ولا

يبدد منهم قول او فعل يسيئ الى المواطنين من اخواننا اهل السنة الذين هم براء من تلك الجريمة النكراء ولا يرضون بها ابداً).

❖ الى الداخل الشيعي:

لا تخلو الساحة الشيعية من اتجاهات متشددة مذهبياً لقناعاتها الفكرية او لنهج تعقبي او رد فعل لتطرف من الجهة الاخرى، هذه الاتجاهات الشيعية المتطرفة تشكل ضغطاً على خط الاعتدال الشيعي العام بدغدغتها للمشاعر الطائفية وطرح نفسها كسور حصين للدفاع عن العقيدة وحمائتها، وهي بطروحاتها المغالية ونيلها من رموز الطرف الآخر انطلاقاً من فهمها لقضية التولي والتبري تعطي المبررات والاوراق لجهات التطرف في الجانب السني وهكذا تستمر لعبة الفعل ورد الفعل بين جهتي التطرف الشيعية والسنية على حساب مصلحة الدين والامة مما يشكل ضغطاً على دعاة التقريب والاعتدال ويعوق مسيرتهم.

وهنا يأتي دور كبار العلماء عند السنة والمرجعيات العليا عند الشيعة لترشيد توجهات الجمهور، وتشجيع جهود التقريب والوحدة، والانتصار لخط الاعتدال، وكبح جماح جهات التطرف والتشدد.

لذا يمكن القول ان رؤية سماحة السيد السيستاني بما يمثله من مرجعية عليا ومواقفه الوجدانية الداعية للتسامح والتعايش المذهبي تشكل افضل رسالة دعم لخط الاعتدال العام في الساحة الشيعية.

فلا احد يستطيع المزايدة عليه ولا اتهمه بالتخاذل في نصرة العقيدة او تقديم التنازلات لمصالح سياسية، ونطمح من سماحته الى المزيد من هذه الرؤى المنفتحة والمواقف الرسالية ونأمل فيما يوازيها ويمثلها من كبار علماء السنة حتى تستطيع الامة تخطي هذه المحنة والفتنة الطائفية العمياء وليحقق هذا الجيل المسلم حلم الوحدة والتقريب ان شاء الله.

الهوامش:

- ١- الغروي: السيد محمد / المرجعية ومواقفها السياسية ص ٤٢، دار الحجة البيضاء - بيروت ٢٠٠٤.
- ٢- الخفاف: حامد / النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، ص ١١٢، الطبعة الاولى، دار المؤرخ العربي - بيروت ٢٠٠٧ م.
- ٣- المصدر السابق، ص ١١.

أضواء من قوله تعالى:

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾

فضيلة الشيخ عبد الهادي بدلة
الجمهورية العربية السورية

المقدمة

(خمس صفات لسيد السادات في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾.
(معنى شاهداً).

(معنى بشيراً ونذيراً) أسلوب الدعوة الناجح.

(معنى وداعياً إلى الله بإذنه) الاستمداد من الله أساس التوفيق.

(معنى سراجاً منيراً) الاسلام رسالة التنوير الحقيقية.

الخاتمة والدعاء.

الحمد لله، الحمد لله معز الاسلام بنصره، ومذل الكفر بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكر؛ القوي فوق عباده فلا يدافع، الظاهر عليهم فلا ينازع، الحاكم بما يريد فلا يراجع، الممسك المعطي فلا يمانع.

أحمده جلّت حكمته وعز سلطانه على ما أخذ وأعطى وعلى ما أبلى وابتلى، وأستعيذ به من سلب نعمته أو إيجاب نقمته، وأستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه.

وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له سبحانه، تنزه الخالق العظيم، تنزه الله ربنا لا يقاس بالقياس، ولا يشبه بالناس ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(١).
وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، ابتعثه ربه والناس يضربون في ظلمة ويموجون في حيرة؛ فبلغ وأدى ونصح وكشف، وخلف في الأمة راية الله الثقيلة، من استمسك بها سعد وفاز، ومن تركها شقي وضل ضلالاً بعيداً.
الآخرة مرآة الدنيا، الآخرة مرآة الدنيا اليوم عمل وغداً رؤية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(٢).

أما بعد أيها الاخوة المؤمنون:

يقول الحق تبارك وتعالى في التنزيل الحكيم يصف سيد الأولين والآخرين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾^(٣) صدق الله العظيم.

في هذه الآيات الكريمة جاءت صفات خمس للنبي عليه الصلاة والسلام تحدد مهمته والغاية منها كما أنها تبين لمن يريد أن يدعو الى هذا الدين طريق الدعوة، كما أنها تشعر من التزم بهذا الدين بما يجنيه أو يقطفه من ثمرات؛ فجمعت هذه الكلمات المعدودات ما يتعلق بالدعوة والدين وما يتناول صفات سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه.

تدبر معي (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً) فالنبي عليه الصلاة والسلام جاء شاهداً بالحق وشاهداً للحق بوحدانية الله عز وجل، وبكمالهِ وبتصحيح المسار في العقيدة للانسانية التي انحرفت فجعلت مع الله آلهة أخرى، ثم تشهد لهذه الأمة لها وأنت بين ظهرانيها وتشهد لها في الآخرة، ثم تكون شاهداً أيضاً للأنبياء بأنهم قد بلغوا رسالة ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾^(٤) فتشهد للأنبياء وتشهد لأمتك وتشهد على الأمم وتشهد بالتوحيد أن لا اله الا الله واحد أحد لا معبود بحق سواه.

(ومبشراً) والبشارة الاخبار بالشيء الحسن حتى تظهر آثار ذلك الخبر على البشرية على الوجه، فتعاليم الاسلام التي أمرنا بها هذا الشرع العظيم فيها ما يدفع الى الحسن في الدنيا بشارة تنجلي على الجوارح، وتبدو آثارها سعة وراحة نفسية تحارب الاكتئاب، فتبدو على البشرية راحة ونضارة ونعياً، وهي في الآخرة بشرى لمن تمسك بها بالجنة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر المؤمنين (مبشراً ونذيراً) البشارة بالخير وهي اشارة الى الأوامر الشرعية وكل الأوامر الشرعية فيها خير للفرد وللجماعات (ونذيراً) بمن تنكب طريق الشرع بأن يجني عاقبة تنكبه وتركه للأخذ بأوامر الله أو تقحمه على مناهي الله عز وجل أن يجني في الدنيا نكداً وفي الآخرة عذاباً أليماً.

حينما يتنكب عن شرع الله ولا يأخذ بما أمر الله يعيش التعاسة في الدنيا ويعيش الشقاء في الآخرة ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾^(٥)

﴿ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله﴾ ولاحظ أن الدعوة جاءت بعد التسليح بسلاح المعرفة الحقيقية في الدعوة في معرفة البشارة والنذارة التبشير والانذار، وأن البشارة مقدمة في الدعوة لأن الأصل أن رسولنا صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين، فحينما تحمل المعرفة التي تخولك في أن تكون داعياً الى الله متى تبشر؟ ومتى تنذر؟ تصلح أن تلقي الكلمة بين الناس فتؤتي ثمارها باذن الله عز وجل.

(مبشراً ونذيراً وداعياً الى الله وليس دعوة شخصية ولا دعوة الى منافع ولا دعوة الى حزب ولا دعوة الى مجموعة بعينها، وانما هي دعوة الى الله وهذه الدعوة لا تكون الا باذنه

﴿وداعياً الى الله باذنه﴾ بمدده وتيسيره، فالذي يريد أن يدعو دون أن يستمد المدد من الله يفشل في دعوته، فلا بد أن تنهض الدعوة على أساس من استمداد القوة والتيسير من الله عز وجل حتى ينجح الداعي.

كل دعوة لا تنهض على أساس من مدد الله وتيسير الله وقوة الله وعطاء الله واذن الله مكتوب عليها الفشل (وداعياً الى الله باذنه) الثمرة لهذه الدعوة هي:

﴿وسراجاً منيراً﴾ حينما تفهم ما يلزمك في طريق الدعوة، وحينما تكون دعوتك الى الله وتكون دعوتك باذن الله عز وجل تكون الثمرة الحتمية أن هذه الدعوة تصبح دعوة تنوير، فديننا الاسلامي هو دين التنوير على الحقيقة، دين نزل به الملك جبريل الذي خلق من نور في جبل النور حراء والقرآن هو النور و﴿الله نور السموات والأرض﴾^(٦) على نبي هو السراج المنير؛ فكان الاسلام هو دعوة التنوير ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور﴾^(٧) وليس تنويراً غريباً مادياً يقضي على الدين ويقضي على العلاقة ما بين الانسان وربه، فيبقى الانسان في سيرة أبتّر لا يعرف كيف يسير؟ ولا يرقى حقوقاً لانسان ولا يرقى ذمة ولا يحافظ على عهد وانما يتحول الى حيوان بل أضل.

حينما ينفلت من عقل الدين يصبح كالحيوان الشرس؛ يعيش ليسيطر على الناس ويدمر البشر ويقضي على عباد الله، ويتسلط على رقابهم ويتجبر على خلق الله.

أما ديننا فهو دين التنوير على الحقيقة، دين المعرفة التي تصل الانسان بالانسان، دين المعرفة التي تصل الانسان بربه، دين الاسلام دين التنوير الذي يجعل الانسان يسير على نور من ربه فيعرف كيف يتعامل مع البيئة كما أراد الله عز وجل صانعها وخالقها.

﴿انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ هؤلاء المؤمنون الذين حملوا مشعل الدعوة لهم فضل كبير على العالم لأنهم سينقذون العالم من الضلال الى الهدى من الظلام الى النور، سيحولون العالم من الفساد الى الاصلاح من الظلم الى العدل، ولذلك فلهم على العالم كله في حمل مشعل السعادة والدعوة فضل كبير.

﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ في الدنيا شرفاً وفي الآخرة مكانة ونعيماً وجنة ورضواناً من الله أكبر، وأنت تسير في دعوتك تحمل مشعل الخير الى الناس اياك أن تمالي الكافرين أو تداهنهم أو ترضخ لهم أو تضعف أمامهم (ولا تطع الكافرين والمنافقين، ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يزورونه من معسول الكلام، وفيما يقدمونه لك بألوان من المصطلحات التي تغش، يزورون الكلام ويزيفون الحقائق ويقلبون الأمور.

﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ وان آذوك وأنت تحمل الخير لهم دع أذاهم، ولا يصرفك الأذى لا يصرفك الأذى عن متابعة سير الدعوة وخطها الى الأمام (ودع أذاهم) لأنك قوي بربك وما سوى الله ضعف، وما سوى الله لا بقاء له.

﴿وتوكل على الله﴾ وتوكل على الله لتكون قوياً على الحقيقة (وكفى بالله وكيلاً) في هذه الآيات أوصاف للنبي عليه الصلاة والسلام السراج المنير، واختصار للإسلام في حقيقته وغايته وتعليم للمسلمين كيف يدعون الى ربهم عز وجل؟ اللهم اجعلنا ممن اذا قرأ القرآن تدبره وعمل به، اجعل خير زماننا آخره وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، أقول هذا وأستغفر الله استغفروا ربكم يغفر لكم، سلوه أيها الاخوة أنتم في ساعة اجابة، سلوا الله يعطكم.

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن اله الا الله وحده لا شريك له ارغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الشفيح المشفع بالمحشر، ما اتصلت عين بنظر ووعت أذن بخبر.

عباد الله أوصيكم واياي بالتقوى واليقظة، والاستعداد للقاء الله عز وجل تهيأوا للعرض الأكبر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾^(٨).

أكثرُوا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد مفتاح الخيرات طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضياؤها.

ارض يا ربنا عن خلفاء نبينا الكرام سيدنا أبي بكر القمة الأولى بعد رسول الله وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي، ارض عن جميع الصحابة والآل والقراة والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

اللهم أيد الاسلام والمسلمين، اللهم أيد الاسلام والمسلمين، وانصر وأعل يا مولانا بفضلك كلمتي الحق والدين، اللهم اخذل الكفرة المجرمين، اللهم انصرنا عليهم.

اللهم رد المسلمين الى دينهم رداً جميلاً، وارفع الكرب والشدائد عنا أجمعين، اللهم انصر المسلمين واكسر الكافرين أعداءك أعداء الدين يا ذا القوة المتين، يا ذا القوة المتين. اللهم انا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،

ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونيبك صلى الله عليه وسلم، اللهم انا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل، ربنا وما قضيت لنا من أمر فاجعل عاقبته رشداً.

اللهم أجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة، نسألك اللهم المعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة يا مقلب القلوب والأبصار، يا مقلب القلوب والأبصار، يا مقلب القلوب والأبصار، اللهم ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك ومحبتك ورضاك.

اغفر يا ربنا للمؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات انك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات والحمد لله رب العالمين.

عباد الله ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾^(٩).



الهوامش:

- ١- الشورى / ١١.
- ٢- الزلزلة / ٧-٨.
- ٣- الأحزاب / ٤٥-٤٨.
- ٤- النساء / ٤١.
- ٥- النور / ٦٣.
- ٦- النور / ٣٥.
- ٧- الزمر / ٢٢.
- ٨- الحاقة / ١٨.
- ٩- النحل / ٩٠.

نحو تنظير ثوري لمفهوم الاقتصاد في الاسلام

الدكتور محمود اسماعيل

أستاذ التاريخ بجامعة عين شمس - القاهرة

لم يهتم مجددو المذهب الاثني عشري بالجانب السياسي من منظور ثوري فحسب؛ بل كتب الكثيرون - أيضاً - عن الاقتصاد وفق تلك النظرة الثورية أيضاً؛ ادراكاً لما له من تأثير في شتى جوانب الحياة.

وسنعرض في هذه الدراسة لأنموذجين معاصرين عالجا الاقتصاد في الاسلامي حسب المفهوم الاثني عشري ووفق رؤية ثورية كما نصا على ذلك، وهذا يعني بداهةً خروجهما عن المألوف المتواتر والسائد والمتداول، وتقديم رؤية جديدة بصدد هذا الموضوع الذي طالما اختلف الدارسون بصده لاختلافهم في قراءة النصوص الدينية؛ نتيجة تأثير العامل الايديولوجي.

يمثل الدكتور حبيب الله بايدار الأنموذج الأول، والسيد محمد باقر الصدر الأنموذج الثاني، وهذا لا يعني اختلافها حول مفهوم الاقتصاد الاسلامي؛ بل العكس هو الصحيح، خصوصاً فيما يتعلق بالمسائل الجوهرية؛ نظراً لانطلاقهما معاً من قراءة مذهبية واحدة، بل واعتمادهما مرجعيةً واحدةً تتمثل في الفقه الاثني عشري.

في دراسته بعنوان «التفسير الثوري للجانب الاقتصادي في الاسلام» قدم الدكتور بايدار اجتهاداً حول الموضوع، سنحاول عرضه ونقده في ضوء ما تيسر لنا من معارف

بصدده أثبتناها في دراسات كثيرة سابقة...

ينطلق المؤلف في اجتهاده من مبدأ إسلامي قوامه: أن مقدرات الاقتصاد أو موارد الثروة الطبيعية أو قوى الانتاج «ملك الهي» للجميع فيه حق الانتفاع حسب ما يقدمه من «عمل نافع»^١.

وهذا يعني أن حيازة الأرض لمن يفلحها، وأن هذه الحيازة لا تعني التمتع بحقوق الملكية المتضمنة في حق التصرف وحق التوارث، وهو ما يعرف اصطلاحاً باسم «ملكية الرقبة» كما ورد في كتب الفقه والأحكام السلطانية.

وعندنا أن هذا التصور مغاير للمفهوم الإسلامي الذي عالج موضوع الميراث تفصيلاً، كما يتعارض مع ما حدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بل وطوال عصور التاريخ الإسلامي؛ حيث وُجد نظام الملكية التامة بما لا يدع مجالاً للاجتهاد.

أما عن مفهوم بايدار عن «العمل النافع»: فهو ما يتعلق بحسن فلاحه الأرض دون تكاسل أو خمول، كما حدد مفهوم «الانتفاع» بمعيار سد الحاجات الأساسية دون اسراف أو تقتير، أما ما يزيد على الحاجة: فيجب أن يؤول الى الدولة لانفاقه في الأوجه الشرعية؛ تأسيساً على حقيقة نص الإسلام على عدم «الاكتناز»^٢.

وعندنا أن هذا الاجتهاد - أيضاً - يتنافى مع ما حدث بالفعل في تاريخ صدر الإسلام؛ إذ وُجد من الصحابة من كان ثرياً يمتلك الضياع والأموال والدواب بعد أن يصرف منها في الوجوه الشرعية: كالزكاة والصدقات ونحوها، ولم نسمع عن رواية واحدة تثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادر أموال الأغنياء.

ويرر الباحث اجتهاده بتصوير مثالي فحواه: أن اكتساب المال ليس هدفاً في حد ذاته بقدر ما هو وسيلة لهدف أسمى هو تخليق «الانسان الكامل» الذي يُعدّ الأساس لتكوين «مجتمع فاضل»^٣ تنتفي فيه «الطبقية».

وتلك - لعمرى - نظرة «يوتوبية»؛ إذ لم يشهد المجتمع الإسلامي طوال تاريخه ظاهرة المساواة الكاملة إلا في تجارب محدودة وقصيرة العمر، مثل: التجربة القرمطية.

أما عن مفهوم «الانسان الكامل»: فهو تصور «صوفي» مبالغ فيه؛ فالكمال لله وحده،

وفريضة الزكاة والدعوة للتصدق كفيلاً بتزكية الانسان في حدود الشرع. ويرى الباحث أن الحافز الأرض - أو الثروة عموماً - إذا أضل بشروط الحياة وجب على الحاكم انتزاعها منه وتوزيعها على الناس^٤، وهذا الأمر جائز - فيما نرى - فيما يتعلق بنوع محدد من الأرض هو «إقطاع المنفعة» ليس الا، فالأراضي الخراجية والعشرية يتمتع مالكيها بكافة حقوق الملكية طالما دفع لبيت المال ما عليها من ضرائب. ولا عبرة البتة بما ذكره الباحث بأن الحافز على العمل ليس حافزاً مادياً، إذ لا يستقيم هذا التصور مع الطبيعة البشرية.

أما ما ذكره عن «الحافز الروحي والأخلاقي»: فلا يصطدم - فيما نرى - مع الحافز المادي، ومع حكمه بأن «الثروة» ليست إلا «اختباراً للبشر» لفرز الصالح من الطالح. وفي هذا الصدد يرضى ضرورة التوسع في «الانفاق» باعتباره «تجارة مع الله»^٥ لها عائدها في الدنيا والآخرة.

ونرى أن الأمر هذا منوط بالاختيار، وليس فرضاً شرعياً، وإذا تقرر بما ذهب اليه من أن «الانفاق» على هذا النحو يسفر عن فائدة للمجتمع من حيث تحقيق «التوازن» فلا نشاركه الرأي في قدرته على محو النظام الطبقي، كما لا نقر زعمه بأن «الصراع والطبقية» أمر سلبي في كل الأحوال^٦؛ فهو أمر أقره القرآن الكريم ممثلاً فيما نسميه «نظرية الدفع» - أي الصراع - التي من شأنها إعادة التوازن في المجتمع بعد مواجهة الطغاة.. ذلك التوازن الذي لا يمكن أن يتحقق بالسمو الروحي فحسب؛ فما أسماه بـ «القيم المعنوية» لا يمكن أن تردع الظالم؛ فلا ردع إلا بالقوة.

لقد صب الباحث غضبه على النظام الرأسمالي، وهو محق في ذلك؛ لكن دعوته لنفي «الطبقية»^٧ عن طريق تعاضل «المنافع» الناتجة عن العمل ليس إلا تصوراً مثالياً فيما نرى. صحيح أن التوسع في «البذل» و«الانفاق» يسفر عن تسامي الفرد وتكامل شخصيته؛ لكنه لا ينتزع ما غرس في نفسه بالفطرة من حب التملك الذي يعد حافزاً على المزيد من العمل، ومن ثم المزيد من الانتاج.

حاول الباحث برهنة اجتهاده بإيراد روايات تاريخية تتعلق بعصر الرسول صلى الله

عليه وسلم والخلفاء الراشدين، لكنه بالغ في تأويلها وتحميلها أكثر مما تحتل؛ اذ يؤخذ عليه تنديده بسياسة أبي بكر في توزيع «الفيء والمغانم» وفق معيار «التساوي»، متجاهلاً الظرف التاريخي الحرج - بعد حروب الردة - ومحاولة أبي بكر «تأليف القلوب». ويرى أن الخليفة عمر بن الخطاب حين عدل عن هذه السياسة كان تصحيحاً لأخطاء سلفه ووفقاً لمشورة الخليفة علي بن أبي طالب^١، متناسياً اختلاف الظرف التاريخي؛ حيث توطدت دعائم الاسلام وتوسعت الدولة الاسلامية وزادت مواردها الاقتصادية؛ الأمر الذي استوجب مراجعة «التشريع» واستئان اجراءات تتسق مع الواقع الجديد.

لم يتورع الباحث عن التنديد بسياسة الخليفة عثمان بن عفان التي اعتبرها مجافيةً لتعاليم الاسلام^٢، كذا بالسياسة الأموية في مجال الاقتصاد، وقد نوافقه الرأي في هذا الصدد؛ لكن يجب أن نضع في الاعتبار طبيعة المتغيرات الكبرى التي طرأت في «دار الاسلام» عند تقويم تلك السياسات.

وبدعي أن ينحاز الباحث لسياسة علي بن أبي طالب الذي حرّم «الميراث» على أبنائه لأنه حرص على ألا يترك شيئا يمكن توريثه، ودعا الى ضرورة الأخذ بهذا النموذج «المثالي» حتى لا يترك الورثة أملاكاً دون أن يبذلوا جهداً أو عملاً^٣، ولو كان التصور الاسلامي كذلك فلماذا شرع القرآن الكريم لمسألة «الميراث» بصورة مفصلة؟! قصارى القول.. أن اجتهاد الدكتور باي دار يضرب في مثالية تتجاهل معطيات التاريخ وتأويل النصوص الدينية تأويلات متعسفة تخرج عن حدود الشريعة، ناهيك عن قصور في المعارف التاريخية، وإهمال مصادر أصلية في الفقه والأحكام السلطانية، هذا فضلاً عن المصادرات المذهبية التي جعلته يتخذ من البيت العلوي أنموذجاً يمكن احيائه.

ولو قدر له تحاشي تلك المحاذير لوقف على حقيقة عدم وجود ما يسمى بـ «أنموذج اسلامي في الاقتصاد»، بل شهد العالم الاسلامي تجارب شتى ونماذج متعددة ادعى أصحابها انطلاقتها من «مرجعية اسلامية» وأن عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه شهد تغييرات متعددة لكنها كانت رشيدة لا تساقها مع طبيعة المتغيرات.

ومع ذلك.. فحسب الباحث تقديم اجتهاده الخاص الذي نعته بـ «الثورية»، وهو أمر

يحمد له على كل حال؛ نظراً لوعورة الحقل المعرفي الذي يحتفل الكثير من التأويلات؛ لكون الاسلام قد قدم بصدد مبادئ عامة وليس نظرية خاصة.

أما النموذج الثاني: فيمثله السيد محمد باقر الصدر في كتابه «اقتصادنا»؛ حيث قدم رؤية أكثر عمقاً واجتهاداً تنظيرياً لموضوع الدراسة...

لقد كان أكثر واقعية حين نفى وجود علم يسمى «علم الاقتصاد الاسلامي» كما ذهب الكثيرون من الدارسين القائلين بـ «أسلمة العلوم»، وأن ما قدمه ليس إلا محض اجتهاد مستمد من الرؤية الاسلامية العامة للحياة، لكنه اتفق مع سابقه في أن اجتهاده هذا ثورة لقلب الواقع الفاسد وتحويله الى واقع سليم، وليس تفسيراً موضوعياً للواقع^{١١}، كما اتفق معه في الانطلاق من ايدولوجية مذهبية تتمثل في المذهب الشيعي الاثني عشري، ومن مرجعية تتعلق بفقهاء هذا المذهب نفسه.

أما عن تصوره: فيتأسس على قواعد ثلاث هي:

١ - مبدأ الملكية المزدوجة.

٢ - مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود.

٣ - مبدأ العدالة الاجتماعية.

بخصوص المبدأ الأول: يرى أن نظام الاقتصاد في الاسلام مغاير للنظرية الرأسمالية القائلة بالاقتصاد الحر والنظرية الماركسية القائلة بالملكية العامة؛ بل ينطوي على «ملكية مزدوجة»^{١٢}.

ويدلل على خطأ النظريتين السابقتين: باتجاه الاقتصاد الرأسمالي المعاصر نحو تأميم بعض قوى الانتاج، وتعويل الاقتصاد الاشتراكي على الملكية الخاصة في بعض قوى الانتاج^{١٣}، أما الاقتصاد الاسلامي فيجمع بين الملكية الخاصة والملكية العامة وملكية الدولة.

وعندنا أن التجارب التاريخية في الاقتصاد في العالم الاسلامي شهدت أنماطاً أخرى: كالمشاعة والحبوس والطعمة ونحوها، كما جرى الاختلاف حول طبيعة الملكية أساساً:

ما بين حق الحياة أو الانتفاع والاستغلال أو ملكية الرقبة، كما اختلف الفقهاء في تقدير «علاقات الانتاج»: كالمغارة والمساقاة والتخمين ونحوها، بحيث لا يمكن الحديث عن «أنموذج» قارّ وثابت له خصائصه المميزة.

أما عن المبدأ: فيرى أن الحرية الاقتصادية كانت مكفولة في حدود القيم المعنوية والخلقية والروحية في الاسلام^{١٤}، شأنه في ذلك شأن الدكتور بايدار، كما يسايره - أيضاً - في وجود حرية خاصة بالفرد وأخرى بالدولة، وحرية الفرد مؤطرة في حدود «العمل»، أما حرية الدولة فتتعلق بضبط السلوك الاجتماعي وفقاً لمبادئ الشريعة... حرية الفرد مكفولة في العمل النافع لسد الحاجات وزيادة الانتاج، وحرية الدولة في تملكها السلطة التي تحرّم الاحتكار والربا واكتناز المال، وعن طريق الاثنين تصرف الاعمال ويتحقق مبدأ «التوازن» الاسلامي^{١٥}.

وعندنا أن هذا التصور النظري لم يجر تطبيقه على أرض الواقع؛ فلم تكن هناك حدود لسلطة الدولة، بل كانت طاغية في معظم الأحيان، وكان فقهاء السلطة ينظرون لسياسة «الأمر الواقع» ويبررونها بالحق أو بالباطل.

أما عن المبدأ الثالث الخاص بالعدالة الاجتماعية: فيكمن - في نظر المؤلف - في التكافل الاجتماعي والتوازن الاجتماعي^{١٦}...

أما عن التكافل الاجتماعي: فهو - فيما نرى - مرتبط بأخلاقيات الفرد دونما الزام، اللهم إلا فيما يتعلق بالزكاة، والزكاة وحدها - حتى اذا ما أضيف إليها «الانفاق»: كالصدقات - لا تنفي بالضرورة بإحداث التوازن الاجتماعي؛ بدليل أن المجتمعات الاسلامية طوال تاريخها الممتد شهدت نظام الطبقات، بل عرفت الهوة الشاسعة بين الطبقات كما ذكرنا سلفاً.

كما أن الالاحاح على البعد الأخلاقي محض مثاليات نظرية، لا فعاليات واقعية^{١٧} كما ذهب المؤلف، ولم تكن العدالة الاجتماعية إلا حلمًا «جماهيرياً» في معظم عصور التاريخ الاسلامي، ناضلت حركات المعارضة لاقرارها دون طائل في أغلب الأحيان؛ إذ

وجد بون شاسع بين مبادئ الاسلام في العدالة الاجتماعية وبين معطيات الواقع الملموس.

من هنا ألح المؤلف في اجتهاده على ضرورة العودة الى الاسلام كمرجعية يمكن أن يستخلص منها أطر ومقومات النظم الاقتصادية والاجتماعية^{١٨}.

يعرض المؤلف لعلاقات الانتاج والعلاقات الاجتماعية، بما ينم عن وعي كبير بارتباط الثانية بالأولى علمياً، وإذ فطن الى أن علاقات الانتاج تخضع لقانون التغيير فقد اعتسف القول بإمكانية الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية في موقف الثبات، مخالفاً بذلك الماركسية، ومتذرعاً بالقول بأن الاسلام رسخ نظاماً اجتماعياً صالحاً للأمة في الزمان والمكان^{١٩}، كما خالف الفكر الرأسمالي الذي يرى ضرورة تطوير موارد الانتاج لتلاحق التطور الحضاري، زاعماً أن الاسلام كفل هذه الموارد الطبيعية لكن الانسان هو الذي أساء استغلالها وتوزيعها^{٢٠}، ومن ثم وجب العودة الى مبادئ الاسلام بصدد التوزيع العادل للثروة.

أما عن حقوق الملكية: فيرى - كسابقه - بأنها مشروطة بالعمل من أجل اشباع الحاجات، وبالاتفاق لاحداث التوازن الاجتماعي^{٢١}، لكنه يخالفه في امكانية جواز الملكية الخاصة للقائمين بالعمل، أما الملكية العامة فتتعلق بقوى الانتاج غير المقترنة بالعمل البشري^{٢٢}، يشاركه الرأي حول مبدأ «تداول الثروة» وتحريم وتجريم الربا والاكتناز والاحتكار وما شابه، كذا في حق «ولي الأمر» في الرقابة للحيلولة دون الحاق أي ضرر أو خلل في العملية الاقتصادية^{٢٣}؛ منطلقاً من المكانة الخاصة للأئمة في الفكر الاثني عشري.

وفي النهاية يستخلص المؤلف عدة مبادئ جعلها أساساً لاجتهاده بصدد تأسيس اقتصاد اسلامي، منها: أن الملكية ليست حقاً ذاتياً؛ بل هي عملية «استخلاف»، وأن استثمار المال لضمان حاجات الأفراد وحاجات الجماعة أمر مشروع، وأن مفهوم «التداول» يجب الاحتفاء به؛ باعتباره يفضي الى «المنافع»^{٢٤}.

تأسيساً على تلك المبادئ العامة يمكن تأسيس النظم والمؤسسات التي تحدد طرائق المعاملات وأحكامها^{٢٥}.

وينوط أهل «الاختصاص» بالاجتهاد لتحليل تلك المبادئ العامة والهامة، والاضافة اليها حسب ما يستجد من معطيات في صورة «تشريعات» تستلهم من الاسلام ومبادئه. كما ينوه بأن تلك التشريعات ليست ملزمة إلا في عصرها، ومن ثم وجب استمرار عملية الاجتهاد لمواكبة ومواجهة المتغيرات^{٢٦}.

ينوه - أيضاً - بحقيقة جد هامة، وهي أن الاجتهاد من لدن الفقهاء ليس منزهاً وبرئناً في كل الأحوال؛ اذ كثيراً ما وجه لتسويغ واقع فاسد وتبريره باسم الشريعة، ضارباً أمثلة ضافية من التاريخ الاسلامي في هذا الصدد^{٢٧}.

لذلك لم يتقاعس عن وضع شروط للاجتهاد، منها: عدم تجريد الدليل الشرعي من ظروفه وشروطه، وعدم اتخاذ موقف مسبق تجاه قراءة النصوص الفقهية، والتعمق في الفقه وأصوله، فضلاً عن الاحاطة بأسرار اللغة والقدرة على استكناه دلالاتها^{٢٨}، وأخيراً ضرورة أن يجري الاجتهاد «في اطار القرآن الكريم والسنة النبوية»^{٢٩}.

ثم قدم المؤلف بعض اجتهاداته بصدد بعض الأمور الحيوية في مجال الاقتصاد، مثل: موارد الثروة وكيفية توزيعها^{٣٠}، وتقرير الأحكام الناجعة بصدد ها، كذا «الوصفية القانونية لملكية الارض» في إطار تاريخ التشريع الاسلامي والواقع الحال المعيش، مع الاسترشاد بتجربة حكومة الرسول (ﷺ)^{٣١}، والفقه الاثني عشري على وجه الخصوص.

منها أيضاً: التقنين للثروات الكامنة في باطن الأرض - الركاز - وكيفية استغلالها^{٣٢}، كذا ظاهرة «الاقطاع» في ضوء الفقه الاثني عشري، وينسحب الحال على ظواهر أخرى مثل: «أراضي الحمى» وأمور المياه والري... الخ.

والواقع أن ما اراه في هذا الصدد لا تعدو اجتهادات الفقهاء الاثني عشرية السابقين، وان أضاف اليها ما يراه جديداً مستمداً من معطيات العصر ومتغيراته.

خلاصة القول: أن الاتفاق بين المجتهدين كامن في الأصول، وان تفاوت - بدرجة أو

بأخرى - فيما يتعلق بالموقف ازاء «المستحدثات» في الواقع الآتي، لكنّ هناك خلافاً جوهرياً بينهما بصدد ما قدما من اجتهاد؛ اذ تتسم أحكام الدكتور بايدار بالقطع والحسم، بينما طرح «الصدر» مقولاته بصورة «مفتوحة» تحتل الصواب والخطأ؛ باعتبارها اجتهاداً شخصياً غير مُلزم.

ويحمد للمجتهدين معاً خوضهما في موضوع شائك وملتبس وبنهج غير تقليدي؛ نهج «ثوري» حسب اصطلاحهما.

الهوامش

- ١- انظر: حبيب الله بايدار: التفسير الثوري للجانب الاقتصادي في الاسلام.. ترجمة د. ابراهيم شتا الذي ضمنه كتابه «الثورة الايرانية»، ص ١٨٩.. بيروت ١٩٧٩.
- ٢- نفسه: ص ١٩٠.
- ٣- نفسه: ص ١٩١.
- ٤- نفسه: ص ١٩٣.
- ٥- نفسه: ص ١٩٥.
- ٦- نفسه: ص ١٩٧.
- ٧- نفسه: ص ٢٠٠.
- ٨- نفسه: ص ٢٠٢.
- ٩- نفسه: ص ٢٠٣.
- ١٠- نفسه: ص ٢٠٤.
- ١١- انظر: محمد باقر الصدر: اقتصادنا ص ٣٣٠، ٣٣١ بيروت ١٩٨٦.
- ١٢- نفسه: ص ٢٩٦.
- ١٣- نفسه: ص ٢٩٧.
- ١٤- نفسه: ص ٢٩٨.
- ١٥- نفسه: ص ٣٠١.
- ١٦- نفسه: ص ٣٠٣.
- ١٧- نفسه: ص ٣٠٥.
- ١٨- نفسه: ص ٣٢٩.
- ١٩- نفسه: ص ٣٣٧.
- ٢٠- نفسه: ص ٣٤٧.
- ٢١- نفسه: ص ٣٤٨.
- ٢٢- نفسه: ص ٣٦١.
- ٢٣- نفسه: ص ٣٧٣.
- ٢٤- نفسه: ص ٣٩٧، ٣٩٨.
- ٢٥- نفسه: ص ٣٩٤.
- ٢٦- نفسه: ص ٤٠٣.
- ٢٧- نفسه: ص ٤٠٥-٤٠٧.
- ٢٨- نفسه: ص ٤١٠-٤١٣.
- ٢٩- نفسه: ص ٤١٥.
- ٣٠- نفسه: ص ٤٣٣ وما بعدها.
- ٣١- نفسه: ص ٤٣٠ وما بعدها.
- ٣٢- نفسه: ص ٤٩٤ وما بعدها.

آفاق الحضارة الإسلامية العدد واحد وعشرون - السنة الحادية عشرة



ولن نتوقف عند أوصاف الفرس الجسمية ولا ألوانها وأعمارها وهي جميعاً مشهورة متداولة في متون كتب الأدب ولا سيما فيما عرف بكتب الخيل التي أتت على تفصيل أخبارها وذخبار فرسانها. كما لا نتبع أوصافها والتشابه والاستعارات المتصلة بها لأنه موضوع طويل من جانب ومن جانب ثان لأن فيما سنذكره بخصوص التراث الشعبي في الخيل هو حسب زعمنا استمرار لتلك الصور البلاغية القديمة لا تختلف عنها إلا في الصياغة أو في بعض الجزئيات اليسيرة.

ولما جاء الاسلام وازدادت الحاجة الى الفرس للنهوض بواجب الجهاد وحماية الدعوة الجديدة للوقوف في وجه مناوئها وأعدائها على تعدد دوافعهم واختلاف منازعهم. فكانت الدعوة الاسلامية توقر الخيل وتحض على العناية بها، فقد أفرد لها القرآن الكريم أكثر من آية مثل قوله تعالى: ﴿والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً، فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا أن الانسان لربه لكنود﴾ وقوله أيضاً: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾. كما كرمت الأحاديث النبوية الخيل وأصحابها ورغبت في العناية بها مثل حديث: «الخيال معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة».

وكان عدد الخيل لدى المسلمين قليلاً في البداية اذ كان اعتمادهم الأساسي على الابل ثم توسع ذلك العدد أكثر فأكثر ولا سيما بعد فتح مكة. ولقد أطلقت تسميات لوحداث الخيالة تبعاً لعدددها وللمهام الموكلة اليها، منها الكتيبة والطليلة والسرية والجريدة أو جريدة الخيل والمجردة والرابطة الخ...

ثم ازدادت أهمية الفرس في الحرب واقتنى المسلمون بفتوحاتهم خارج شبه الجزيرة العربية أعداداً كبيرة من الخيول وخاصة بعد انتصارهم على الروم في الشام في معركة اليرموك وعلى الفرس في معركة القادسية. وكان الخليفة عمر بن الخطاب محباً للخيال مقدراً أهميتها فشجع على تربيته والاكثار منها. وهذا يدعم الاتجاه الذي سار عليه الرسول الأكرم منذ البداية لما جعل نصيب الفارس من الفنائم التي يحصل عليها المسلمون من أعدائهم ثلاثة أضعاف ما يحصل عليه المقاتل الراجل، وفي ذلك كل

التشجيع على تربية الخيل وحيازتها.

ومن أجلى مظاهر التشجيع على اقتناء الخيل اعفاء صاحبها من أداء فريضة الزكاة المفروضة على الأنعام كافة بما في ذلك الإبل التي كانت هي الأخرى أداة مهمة في الحروب. فقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله تجاوز لكم عن صدقة الخيل» وكان للرسول العربي عدد من الأفراس جلها جاءته هدية من القبائل الداخلة في الإسلام. وقد ذكرت الروايات أسماءها مع شيء من الاختلاف حول العدد ومن بينها السكيب والمرتجز واللحيف ولزار واليعسوب وذو الضمار والفطير.

وتوسعت الدراسات المتصلة بالخيول فتناولت أصولها أو أنسابها وصفاتها. وألّفوا فيها الكتب وأطّبوا في ذكر أخبارها مما يدل على أهميتها لديهم. ويمكن تلخيص أهم ما جاء فيها بالاستشهاد ببعض المأثورات من كلام العرب من ذلك جواب أحد الأعراب للحجاج بن يوسف وقد سأله عن صفة الجواد من الخيل فقال: «القصير الثلاث، الطويل الثلاث، الرحب الثلاث، الصافي الثلاث، فقال صفهن فقال: أما الثلاث الطوال فالأذن والعنق والذراع، وأما الثلاث القصار فالظهر والساق والعسيب. وأما الثلاث الرحبة فالجبهة والمنخر والجوف، وأما الثلاث الصافية فالأديم والعينان والحافر».

وبخصوص تصنيف الخيل في السباق فقد رتبوها كما في قول الجاحظ: «كانت العرب تعد السوابح ثمانية، ولا تجعل لما جاوزها حظاً. فأولها السابق ثم الحلبي ثم المقفي ثم التالي، ثم العاطف، ثم المذمر ثم البارع ثم اللطيم. وكانت العرب تلطم وجه الآخر» وزادها بعضهم إلى عشرة وهما السكيت والفكل وجمعها بعضهم مع شيء من الاختلاف، جمعها في النظم التالي الذي يورده الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى:

مهمة خيل السباق عشرة	في الشرح دون الروضة المعبرة
وهي مجل ومصل تالي والبارع	المـرتاح بالتوالي
ثم حظى عاطف مؤول ثم	السكيب والأخير الفكل

وتزعم العرب أن جدهم اسماعيل بن ابراهيم الخليل هو أول من ركب الخيل وروضها بعد أن كانت وحشية ولذلك سميت بالعرييات، تقابلها حثالة الخيل أو البراذين. وعدا

خوض الحروب واستخدام الخيل للركوب، كان سباقها متعة ورهاناً في نفس الوقت وذلك منذ أقدم العصور، وتحفل أخبار القبائل بذكر فرسانها وما دار بينها من مسابقات أفضت أحياناً إلى خصومات وشجار قد يدوم سنين طويلة مثل أخبار الفرسين داحس والغبراء وغيرهما مما هو شائع في أيام العرب في الجاهلية والإسلام. ورغم أن هذا الأخير كان ضد القمار والرهان المالي، ومع ذلك لا تبخل كتب التاريخ والأدب بذكر بل بتصوير بعض مشاهد مما كان يجري من مسابقات، فهذا الشاعر الاخطل يصور في أواخر خلافة معاوية ابن أبي سفيان سباق خيل مشفوع برهان ذكر فيه ثلاثة أسماء لأفراس من جملة ثمانية تتابعت في السباق وهي الصريح والدهماء والصلتان. وذكر أن صاحب الفرس السابق هو يزيد بن معاوية الممدوح في القصيد وأما مكان السباق فهو شرق معترك في أراضي حمص من بلاد الشام. وحدد مدى السباق بتسعين غلوة والغلوة هي رمية السهم، كما أشار إلى محفل القوم الحاضرين السباق والرهان وأن الفارس الفائز هو البربري راكب الدهماء التي سبقت. يصور الأفراس في سرعة جريها ونسفها الحصى بحوافرها. وشبه الفرسين السابقين وقد أشرفا أو استحما برجلين عريانيين، كما صور لنا ثياب البربري فارس الدهماء تخفق كأنها في مهب اعصار يطيرها:

أتاني وأهلي بالمزاغب أنه	تتابع من أهل الصريح ثمان
جمعن فخص الله بالسبق أهله	على حينه من محفل ورهان
فلما علون الأرض من شرق معترك	طرحن الحصى الحمصي كل مكان
ولما ذرعن الأرض تسعين غلوة	تمطرت الدهماء بالصلتان
كأنهما لما استحم وأشرفا	سليان من ثوبيهما صردان
كان ثياب البربري تطيرها	أعاصير ريش زفزف زفيان
ولما نأى الغايات جد كلاهما	فلا ورد إلا دونما تيريدان

انه مشهد حي لسباق لا نرى إلا أنه يتكرر دورياً أو موسمياً وهو يشف عن أهمية الفروسية في الحياة العربية. وقد بلغ حب الفرس ببعض الفرسان مبلغاً عظيماً حتى صار يقدمه على نفسه ويؤثره بالخير ويخشى عليه أن تدور الدوائر بعده. فهذا الشاعر مالك

ابن الريب وهو يرثي نفسه وقد أيقن من النهاية القريبة فيلتفت حوله مودعاً:
تذكرت من يبيكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشقر خنديد يسجر عنانه الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
والبكاء هنا ليس ذرف الدمع الهتون بقدر ما هو تعطيل وظائف السيف والرمح والجواد
الأصيل بعده. وقد يؤثر الفارس جواده على نفسه، فهذا أحدهم وهو في قتال مستمر
تحت لفح الهجير لم يفكر في ويلات الحرب وأهوالها وانما رق لجواده الصغير الذي لا
يزال مهرا تحرقه الشمس وهو ثابت لا يريم فتمنى أن تظلمه عقاب بجناحيها حتى يتم
صاحبه قتال الأعداء:

ألا ليت ظل عقاب يستجير به مهري من اللفح والأبطال تقتتل
ولشدة ارتباط الفرس بصاحبه والصلة القوية بينهما ضرب المثل القائل «الخيال أعلم
بفرسانها» وهو يضرب لمن يدعي الغناء ولا غناء عنده.

ورغم تدهور الحضارة العربية في عصور الانحطاط لم يتخل العرب عن حب الخيل
وركوبها. وكانت الجيوش الاسلامية تعتمد في حروبها لذلك استوجبت العناية
والرعاية. وقد اشتهر المماليك الذين حكموا مصر والشام بعنايتهم الفائقة بالخيال
وبالفروسية. ورغم حالة ضعفهم زمن الحكم العثماني إلا أنهم استمروا على تقاليدهم
الراسخة في الفروسية حتى بداية العصور الحديثة. ومع أن اندحارهم كان سريعاً أمام
حملة نابليون بونابرت على مصر في ١٧٩٨ إلا أن ذلك الاندحار لا يتصل بنقص في
الفروسية بل بأمور أخرى مثل اختلال موازين القوى الاقتصادية والمعرفية بين الطرفين
وعدم التكافؤ في التسليح وفي التنظيم العسكري، يقول نابليون بهذا الصدد: «لا شك أن
مملوكين يتفوقان على ثلاثة من الفرنسيين وأن ١٠٠ مملوك يعادلون ١٠٠ فرنسي، و
٣٠٠ فرنسي يتفوقون على ٣٠٠ مملوك، أما ١٠٠٠ فرنسي فيهزمون بلاريب ١٥٠٠
مملوك». وعلق أحد الكتاب في الشؤون العسكرية على ذلك قائلاً: «كل ما يحتاج اليه
نابليون هو قدر محدد أدنى من مفرزة الخيالة ليظهر قوة وجدوى الانضباط الذي عليه
الصفوف المتراصة والعمليات المخططة.. حتى يتفوق على حشود أكبر من الفرسان غير

النظاميين الذين يملكون خيولاً أجود ويتصفون ببراعة أكثر في الفروسية وفي المبارزة ولا يقلون عن غيرهم بسالة».

وبالفعل لقد انبهر الفرنسيون بالجواد العربي وبالفروسية التي يتفنن فيها العرب والعثمانيون عامة، ومن هنا كان اهتمامهم الشديد بدراسة الجواد العربي في خصائصه الفيزيائية المتميزة مثل أن عدد فقرات عموده الفقري ثلاث وعشرون بينما نجد في باقي أنواع الخيل أربعاً وعشرين، أو في تربيته وما يتصل به من مآثورات وتراث. وانكب بعض الباحثين ولاسيما من بين الضباط على التأليف في هذا الغرض مثل كتابات الجنرال دوما في الجزائر أو استكتبوا بعض المثقفين العرب ذوي الصلة مثل الأمير عبدالقادر الجزائري ونصيف بطرس غالي المصري في توصيف الخيل ونقل التجربة العربية في الغرض سواء من خلال التراث العربي المكتوب أو من خلال المآثورات الشفوية وخاصة الشعر الشعبي الذي كان ولا يزال يعتبر الجواد غرضاً مهماً ونبيلاً في الآن معاً.

الخيال في التراث الشعبي

للحصان مزايا عديدة ومتنوعة، فهو حيوان جميل لا تمل العين النظر اليه وهو أداة حرب وغزو وبالتالي احدى وسائل الكسب والاسترزاق وفوق ذلك، ان تملكه له دلالة اجتماعية وثقافية اذ هو علامة على اليسر والرفاه المادي كما يضيف على صاحبه مكانة ويهونه مقاماً مرموقاً لدى المجموعة، أما ركوبه فهو متعة وفخر وكلما أتقن الفارس فنه كلما ذاع صيته وصار نجماً بلغتنا اليوم. انه «الفارس الأعوج» نعم ان انحناء ظهر الفارس له دلالة ايجابية لما يرمز له من فن ودربة على امتطاء صهوات الخيل. ولهذه الأسباب جميعاً أولت المآثورات الشفوية وبصورة خاصة الشعر والغناء قيمة عزيزة المثال للحصان وصاحبه، حتى صار وصف الحصان غرضاً مستقلاً بذاته وهو ما يعرف بالكوت. وقد أكثر شعراء المدن والقرى وصف الفرس وصفاً مادياً قريباً من التصوير الشمسي يتناولون أعضائه ولباسه ولونه بكثير من التفصيل، أما شعراء البوادي فهم أقرب الى الشعر العربي الفصيح في الجاهلية وصدر الاسلام، لا يفردون قصائد لوصف الفرس وانما يأتي

ذلك في ثنايا الملزومة أو القسيم حسب موقعه الملائم. فالحصان يمكن أن يكون في الحرب أو في السلم، في النزهة أو في الاحتفالات. والاحتفالات بدورها تختلف بين البوادي والمستقرين. إن لعبة الزقارة منتشرة بين سكان القرى وقوامها تدريب الحصان على الرقص على إيقاع الطبل أما سكان البوادي فيفضلون لعبة المشلية وقوامها أن يؤدي الفرسان دور المحاربين في شكل جماعة تلاحق جماعة أخرى ملاحقة حربية باستعمال سلاحى السيف والبارود. وهي لعبة اختفت حالياً من تونس ولا نجد أصداءها إلا في بعض الأغاني القديمة. ولربما عبر اختفاء المشلية عن تخلي الفرس عن دوره التاريخي في الحروب والاكتفاء به للركوب وخاصة للرهان.

ويمكن أن نورد مقاطع من شعر الكوت لأحد شعراء الحضر من أمثال أحمد ملاك أو ساسي الجبالي من شعراء القرن التاسع عشر أو من شعر أحمد البرغوثي الذي عاش الثلث الأول من القرن العشرين ويتفق جميعهم في وصف الحصان أما ابتداء أو اثر وصف المفازات الشاسعة المخيفة المسماة بالضحضاح والتي يتوجب قطعها للوصول الى الحبيب مثل قوله البرغوثي الشهير:

ما أشناه يوساع يغراق
يصعب على كل وهاق

يخليه شي الرقاقة

فبعد أن يصف الأرض الموحشة المخيفة يخلص الى وصف جواده:

الله لكوت هباق
في الجري سباق

مطلوق يدا وساقه

أمة دخيله بتحقاق
جابه سراق

هانوه مجان قبضوا حقه ثلاثين ناقة

وهي قصيدة معروفة يتناول فيها الفرس تناولاً موضوعياً معتمداً على الوصف المادي وعلى القدرة على النظم. ومن هذا القبيل قصيدة ساسي الجبالي الذي عاش في القرن التاسع عشر نورد أهمها:

حد المنى سابق أدهم
كما الليل الأظلم



أكحل وماهوش أدغم
كما جمرة النار تلهم
كما رعد خارج يترجم
كما المارق يجي مخطم
كما صيد الأخناق يرزم

عابر عيونه توقد
كما برق وقت أن تبسم
كما ريع غيمه مسود
كما السبع بالناب يرشم
يصهل على الخيل يغرد

ثم يخلص الى وصف الأعضاء والملامح:

يا محسنة اذا تنغم
ومنقار وجبين وخشم
شباب الزين في الخيل ما ثم
ذرعان وحوافره صم
عريض الكفل أجرد اللحم
ما زال يقوى ويعظم
محجل سببيه معرم
هذا الكوت بالنفس قايم
محال ما شافش الهم
ماذا كلا من طعايم

سيالته لشارب الفم
ورقبة كما الريم الأشرد
مربوع قده محكم
قصير القيادات مجهد
صحيح الأعضاء والقوايم
كيف بزغ الناب الأسود
رياع وقوم
وربي عندي مولد
من العيب والمرض سالم
مشهي مدلل مودد

وبعد تطرقه الى تربية فرسه وأنه يشرب حليب النوق ويأكل حبوب العرمة والمخللة يأتي الى لباس الفرس ثم لباس الفارس وسلاحه ثم يختم بوصول الحبيب.
ان هذه قصيدة نموذج لشعر الكوت الدارج بين الشعراء ولا سيما من أولئك الذين ليس لهم علاقة قوية بالفروسية الحقيقية.

أما شعراء البادية والشعراء الفرسان فهم يتناولون الفرس من خلال موقف قد يكون احتفالياً أو صيداً أو حربياً وليس تناولاً استكاثيكياً ويمكن أن نعتبر شعر سعد الأزرق وعلي الدليوي والحياق من هذا النوع.

يبدأ سعد لزرق قصيده بمخاطبة الخيل ثم سرعان ما يلتفت الى راكبيها مع ملاحظة أن

استخدام المترادفات الثلاث: أفراس، الخيل، أعياد جمع عودة وعود وهو الحصان النبيل:

يا لله يا لفراس ردوا النبأ يا راكبين الخيل

يا الي أعيادكم تساس زرق حميمات في التمثيل

أنعالهم كباس في صنعتوا ما يوقع التنسيل

ايدقدقوا الحصاص ويجرولوا لوطا تجرويل

ثم يتطرق الى موضوعات أخرى لينهي قصيدته بالغزل.

أما علي الدليوي وهو معاصر لسعد لزرق وله معه مطارحات فهو كثيراً ما يشبه

شجاعته وركوبه الصوش وحبه للنساء ومغامراته معهن، من ذلك قوله في قصيدة مشهورة

يقرع فيها قبيلة أولاد عيار لتفصيرهم في الأخذ بثأره من قبيلة الجلاص.

يقول في علاقته بحصانه:

م الحمادة يجي العمرة

علي راكب الصوش

اب سيف ماضي الشفرة

يشق مقبل الجيوش

يسهل تحتي بنزره

اذا عرفني الحصان مغشوش

سوابقه تمحي الحجرة

عرقو على الدير كشكوش

امخلط شعره بشعره

أرزق بالشهب مرشوش

لا يكن لا تجيبه عشره

لا يلو ط الركاب وينوش

لزغرت عليه بشره

على لعب الحجاب مرعوش

من قبله يرد لها لظهره

يفك عرايس العطوش

انه مزج بين وصف الفرس والفارس ويصل هذا المزج درجة التواصل الوجداني

بينهما في هذا البيت الرائع:

يسهل تحتي بنزره

اذا عرفني الحصان مغشوش

ان هذا التجاوب لا يصدر إلا عن شاعر فارس حقيقي وهو يذكرنا في هذا الصدد بقول

عنتره العبسي:

وشكى الى بعبرة وتحمحم

فازور من وقع القنا بلبلانه



فكلاهما استنطق جواده في علاقته بما يعانيه راكبه وان كان تعبير الديوي أبلغ اذ الحصان لا يعاني من شيء سوى شعوره بقلق راكبه وغضبه.

بقد اعتاد الفرسان لدى السرى ليلاً أن يناموا فوق صهوات جيادهم. ويتكفل الحصان بإيقاظ فارسه كلما تحسب لخطر ما أو مع طلوع الفجر. ولكنه قد يخطئ كأن يختلط عليه ضوء القمر بسناء الفجر مثل ما جرى لفرس علي الديوي:

ازرق كما لون كدرون	كفله كما واد جارج
شاف القمر يحسبه نور	طلق الزغاريد فارح

ويصور الحياق الكريمي (توفي ١٩٥٦) في قصيد من نوع القسم، السير في مفازة موحشة وهو يقتفي أثر «النجم» الذي سبقه بمسافة لا يقطعها إلا فارس حازم على جواد شاب «رباع». فيرسم حالات الفرس في انفعالاته ومعاناته وما ناله من تعب وشحوب لم تبق إلا على ملامحه الأصلية:

بساط خوفه مظلم يوحشه	بعيد المراحل يطوله
من الغب يستزاد عطشه	قليل الماء في ظلولة
تسمع ألفساعه يكشفو	والبوم يغرد بهوله
منه الثعابين ينشوا	ضحضاح يرعب نزوله
فاتوه بالنجم يمشوا	في لول ساقط فحوله
مرحول مكحول رمشه	تقش ويصعب وصوله
قدا وين تتغاب سمشه	رنت وكنت طبوله

ثم يأتي على وصف الكوت وقد امتطاه شاب عازم على وصل حبيته:

على كوت طافر بغشه	ارباع صالب على أوله
في الراس يزداد همشه	ملجم يلك في غلوله
من الفم يتلاح طشه	الرهاوي يتفايضوله
والسرج مخضوب نقشه	واركاب يضوي شعوله
في الجنب ما يطيق نبشه	نقمار يرمق صهوله

والبعد ما يكو دوله	الغسيم المظلم يخشه
شاحب ومقنوط شوله	كثر التعب من يهشو
كان السماعيل بقوله	بيست على السن كرشو
يلوج على سمح زوله	يقطع الرقراق حرشو
حرام الدريدي حفوله	مولاة السخاين يغشو

ويلاحظ أنه ركز على فعل الفرس وما يعتريه من حالات ولم يول أهمية للوصف المادي المعتاد في شعر الكوت، مثل تصوير هيكل الحصان وأعضائه وحوافره. بل تجاوز ذلك إلى تفاعله مع المهمة المنوطة به وهي اجتياز المسافة التي تفصله عن ناجعة الحبيبة. وفي الأثناء نعر على صور حية مثل: «رباع صالب على أولو، وملجم يلك في أغلاله، من الفم يتلاح طشه، الرغاوي يتفايضوله، يرمق صهوله. ولعل أجمل بيت هو قوله:

بيست على السن كرشه	كان السماعيل بقوله

لقد كان الحياق فارسا بالنهار ومغنياً في سهرات الليل حتى ضعف بصره وأدركته الفاقة في أيامه الأخيرة التي عرفناه خلالها في بعض دكاكين مدينة قفصة يروي أشعاره وأخباره، وكأنه يختزل في حياته وشعره مجتمع البادية التونسية عشية توطينه واستقراره.

ويتداخل الحصان في حياة البدو مع مواقف أخرى مثل مقاومة الغزاة مثل مقاومة الجيش الفرنسي المحتل الذي اجتاحت تونس في ١٨٨١ فقد اعتمد الحصان وسيلة للمقاومة. تستهل أغنية همامية تصور خروج جل القبائل التونسية نحو بلاد طرابلس في انتظار النجدة العثمانية بقيادة بعض رجال المخزن البدوي مثل علي بن خليفة وأحمد بن يوسف وحرث وعلي بن عمار، تستهل هذه الأغنية الملحقة بمناجاة الحصان أداة التنقل والغزو والمقاومة.

لاصبت لك هيباق	عريض الكفل عالي الرقة
في مشيته سباق	يوصلهم يخطف بكريه
يسلم على الأحباب	يرد الخبر شور هنية

الله لكوت ميصل مربوط في الرتعة يسهل
 شارب حليب نياق خوار وأمه مهريه
 قبل أن تأتي على طلب الرحيل من أمام الزحف العسكري الفرنسي:
 أحمد حلف بالصوم قال العمالة تستفيا
 راه غار عليها القوم صبحت خيامهم مطوية
 وهي أغنية نسائية لا تزال تردد في ولاتي قفصة وسيدي بوزيد.

فالحصان والفروسية مدخل تلقائي للغزو والمقاومة ولذا ارتبطت بيدايات الوطنية التونسية الناشئة المتمثلة في مقاومة الأرياف وبعض المدن للاحتلال العسكري الفرنسي في بداياته وحتى في مرحلة تالية إبان التمردات التي عمت الجنوب التونسي في أواخر الحرب العالمية الأولى وبعدها بقليل. مثل انتفاضات سكان أقصى الجنوب التونسي وحركتي الدغباجي وبشير بن سديرة من بينها لما اغتيل هذا الأخير غدراً، قيلت في رثائه عديد الأشعار والأغاني من ذلك ملزومة مطلعها يبدأ بالافصحاح عن الرغبة في التوفر على جواد، ثم يتوجه الى جمهور الفرسان طلباً للثأر من الاستعمار لصالح البطل بشير بن سديرة:

المكسنية راكب فوق حصان فرخ بلا جنحين يطير
 متغشش قلبي مليان أيا فرسان نعطو نهار على بشير
 كانت الحرب العالمية الأولى نهاية الحصان كأداة حربية لتحل محله الدبابات والطائرات، ولكن ذلك الحيوان الأليف الجميل ما زال يغري الناس بجماله وخفته. انه تراث مستمر الفعل في الوجدان والقيم الجمالية بالاضافة الى وظائفه الاستعمالية وقيمه المالية وقد شاء التاريخ أن يكون لنا نحن العرب أجمل حصان وأهم تراث يتصل به.

الهوامش والاحالات

- نعتذر لحجب المراجع المتصلة بالمأثورات الشفوية، اذ هي من أرشيف شخصي أو من أعمال غير منشورة بعد.
- أما المراجع المتعلقة بالجانب التراثي الفصيح فهي باختصار:
- الأخطل (غياث) الديوان، دار المشرق، بيروت ١٩٦٩.
 - الأصمعي (أبوسعيد عبدالله)، الأصمعيات، تحقيق عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ١٩٩٥.
 - الدميري (كمال الدين)، حياة الحيوان الكبرى، ٢ ج. دار الألباب، بيروت، دمشق (د.ت).
 - القرشي (أبوزيد)، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت (د.ت).
 - الكلبي (عبدالله)، كتاب الخيل، تحقيق وتقديم محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٦.

فلسفة العلم في ضوء الرسالة المحمدية

الدكتور مهدي غلشني

رئيس معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

وزارة العلوم والابحاث والتكنولوجيا

نعني بالعلم هنا ذلك الفرع من المعرفة الذي يُعنى بالعالم المادي. وفلسفة العلم تلك التي تُعنى بالمشكلات الفلسفية التي تنبعث من العلاقة بهذا العلم.

و من بين أهم تلك المشكلات ما يأتي:

١. كيف تتوسع معرفتنا عن العالم الخارجي؟

٢. ما هي المبادئ التي يقوم عليها البحث العلمي؟

ونحن هنا نناقش هاتين المشكلتين من وجهة نظر قرآنية.

١. المشكلات المعرفية من منظور قرآني:

يوجد من وجهة نظر القرآن الكريم عالم واقعي مستقل عن أذهاننا:

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ وفي أنفسكم أفلا تبصرون. ﴿

(الذاريات / ٢٠-٢١)

﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور... ﴾.

(الأنعام / ١)

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء... ﴾.

(الأعراف / ١٨٥)

ونحن مأمورون بأن ندرس هذا العالم الخارجي لتتقرب الى الله تعالى (من خلال الآيات في الطبيعة) وأن نفيد مما سخر لنا منها:

﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾.

(يونس/١٠١)

﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾.

(الرعد/٢)

﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون...﴾ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

(النحل/١٢، ١٤)

و لو كانت دراسة الطبيعة غير ممكنة لما أمرنا القرآن الكريم بالتمتع في أصل المخلوقات و معرفة التطور والظواهر الكونية، بل أكثر من ذلك توجد آيات في القرآن الكريم تشرح بوضوح هذه النقطة:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...﴾.

(فصلت/٥٣)

وبعبارة أخرى ان القرآن الكريم بما أنه كتاب هداية لكل الناس لم يغفل عن ذكر أي شيء يخدم حياة الإنسان:

﴿... ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.

(النحل/٨٩)

﴿... ما فرطنا في الكتاب من شيء...﴾.

(الأنعام/٣٨)

ونحن نتوقع من خلال دراسة دقيقة أن يتوصل المرء الى مرحلة يستطيع فيها أن

يستنتج من القرآن الكريم مواصفات الطرق والوسائل لمعرفة الطبيعة.

«وسائل معرفة الطبيعة»

إستناداً الى ما جاء في القرآن الكريم فإنَّ الوسائل العامة لمعرفة الطبيعة هي حواسنا وعقولنا:

﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أُمَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ...﴾.

(النحل / ٧٨)

إننا نتعلم عادة من خلال المشاهدات والتجارب التي يعقبها التفكير والتعلل:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...﴾.

(العنكبوت / ٢٠)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...﴾.

(الحج / ٤٦)

إنَّ الأجزاء الأولى من هذه الآيات تشير الى الملاحظات والتجارب، فيما تشير الأجزاء الأخرى الى استخدام قوة العقل. ولذلك تكون التجارب العملية وسائل أساسية لمعرفة الطبيعة، وذلك على العكس من تصور بعض المدارس الفكرية المدعية أن كل معلوماتنا عن الطبيعة تأتي مباشرة فقط عن طريق الحواس. وإذا حبسنا أنفسنا على الحواس ولم نقد من عقولنا شيئاً فلن يكون حالنا بأحسن من الحيوانات.

﴿...لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُوَ أَضَلُّ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

(الأعراف / ١٧٩)

وعلاوة على ذلك نجد القرآن الكريم يشير باستمرار الى أن ادراك الآيات الإلهية الماثلة في الطبيعة يكون من شأن أولئك الذين يعقلون ويتفكرون.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ *

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويستفكرون في خلق السماوات والأرض... ﴿١﴾

(آل عمران / ١٩٠-١٩١)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(البقرة / ١٦٤)

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَعْلَمُنَا أَيْضاً بِوُجُودِ كَثِيرٍ مِنَ الْحَقَائِقِ فِي الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ وَالَّتِي لَا يُمْكِنُ لِحَوَاسِنَا أَنْ تَدْرِكَهَا:
﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

(الحاقة / ٣٨-٣٩)

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾.

(القمان / ١٠)

و أخيراً إن القرآن الكريم يشجب أفكار أولئك الذين يظنون بأن مصادر المعرفة الوحيدة حول العالم الخارجي تأتي عن طريق حواسنا فقط:
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ...﴾.

(النساء / ١٥٣)

و مع الأسف أن رياح الوضعية التي هبّت في أوائل هذا القرن كانت قد أثّرت على عقول كثير من العلماء المسلمين. كما يوجد كثير من العلماء المسلمين الذين يظنون أن معرفتنا حول العالم الخارجي لا تتعدى ما تصفه تجاربنا الحسية. و لمناقشة هذه الفكرة نقدم الملاحظات التالية:

١. نحن لا نواجه الطبيعة بأذهان فارغة، ولذلك لا توجد معطيات تجريبية خالصة. و

ان تفسيراتنا للمعطيات التجريبية - وحتى ما نراه حول هذه المعطيات - يعتمد - الى مدى معين - على مفاهيم سابقة وفرضيات يحملها الباحث مسبقاً. ان بلانك^١ يشرح هذه النقطة جيداً:

كل مقياس تقديري للتجربة الطبيعية يأخذ معناه أولاً من خلال ما تقدمه النظرية، وإن كل شخص له المام بالمختبرات الدقيقة يتفق على أن المقاييس التقديرية حتى الظرفية منها والمباشرة مثل الأوزان والعملات يجب أن تصحح باستمرار قبل استخدامها في الأهداف العملية. و واضح بأن تصحيح المقاييس لا يمكن أن يكون بواسطة تلکم المقاييس نفسها. ولكنه يجب أن تنكشف أولاً من خلال هذه النظرية أو تلك لتسلط الضوء على الحالة المدروسة، و بقول آخر يجب أن تستنتج من فرضية ما. (بلانك، ١٩٥٩: ٥١).

٢. كما أشار انشتاين^٢ حقاً (انشتاين، ١٩٧٩: ٣١٢) الى أن المفاهيم الأساسية و الفرضيات العلمية لا يمكن أن تستنتج من الحس التجريبي بأي منهج استقرائي، وإنما هي وليدة إختراعات حرة من قبل العقل البشري:

الفيزياء تقوم على فكر منظم منطقي يكون في حالة تطور، و لا يمكن تجلية قاعدته كما لو كانت من التجربة بمنهج استقرائي، بل يمكن الوصول الى ذلك فقط عن طريق الإختراع الحر. وإن تقييم محتوى حقيقة النظام يعتمد على توكيد الإقتراحات المستنتجة بالحس التجريبي، في حين ان علاقة هذا الأخير بالسابق يمكن أن تفهم فقط فطرياً. و التطور يسير في اتجاه تبسيط الأسس المنطقية لهذه النظريات. و من أجل الوصول أكثر الى الهدف يجب أن نسلم أنفسنا الى الحقيقة القائلة بأن القاعدة المنطقية تبتعد أكثر فأكثر عن حقائق التجربة، وإن طريق تفكيرنا من القاعدة الأساسية يصبح بالنسبة الى تلك الإقتراحات المستنتجة ذات

العلاقة بالتجارب الحسية أصعب وأطول بشكل مستمر. (بارگمن
(الترجمة)، ١٩٥٩: ٣٢٢-٣٢٣).

و السبب بالنسبة الى هذه الحقيقة هو أن النظرية يمكن أن تعتبر نتيجة مباشرة للتجربة، إذا استطعنا أن نبرهن على عدم وجود شرح آخر لتلك التجربة، ولكننا لا نستطيع أن ندعي ذلك. وإن تجارب الماضي قد حذرتنا من الوقوع في مثل هذه الأخطاء. وإن التوافق بين النظرية و عدد من الحقائق التجريبية لا يعني بالضرورة أن هذا صحيح، لأن النتائج المنطقية يمكن أن تستنتج من مقدمات متنوعة، وهكذا لا يمكن أن ندعي بأن النظرية هي نتيجة مباشرة للمعطيات التجريبية، إذ كثير من النظريات يمكن أن توضع لشرح عدد من الحقائق التجريبية. ويجب أن يضيف المرء فرضيات أخرى أو يقدم معلومات أخرى ليخصص واحدة منها.

فعندما كان كيبلر^٣ يدرس المعطيات حول الموقع النسبي للمريخ^٤ خلافاً لخلفية الكواكب الثابت، حاول أن يحصل على قانون له جاذبيته الخاصة^٥ حول المعطيات الموجودة، لكنه أخفق، وبعد أن تعرف على النظرية البيضوية في مجال آخر، افترض بأن المدار، بيضوي، ودقق هذه الفرضية خلافاً للمعطيات التجريبية فوجدها صحيحة و ناجحة. وهكذا كانت فرضية المدار البيضوي للمريخ غير ناتجة عن الملاحظات التجريبية حول المريخ.

فنمو العلم وازدهاره يرجع الى كلا الجانبين العمل التجريبي و الفرضيات النظرية.
٣. توجد عدة مفاهيم ليست مستنتجة عن طريق الحس التجريبي، وكمثال على ذلك مفهوم العلية^٦، و هو ليس مستنتجاً من الانطباعات الحسية. و كل ما يمكن أن نحصل عليه من خلال حواسنا هو أن «ب» رتبته بعد «أ» و أن العلاقة العلية بين «أ» و «ب» نابعة من حكم عقولنا. كما توجد عدة مفاهيم معتبرة في العلوم الفيزيائية لكنها ليست حصيلة الملاحظات المباشرة و أنها قدمت من قبل العلماء لتشرح المعطيات التجريبية. و على سبيل المثال، نحن نستخدم مفهوم الذرة^٧ لنشرح آلافاً من الملاحظات التجريبية، و لما يستطع أحد ملاحظتها (حتى في أدق الآلات وأكثرها حساسية). نحن نعلم بوجود الذرة

بواسطة التعمق الفكري. وكذلك هي معلوماتنا حول المناطق البعيدة مكاناً وزماناً ليست مباشرة.

و النتيجة التي نريد الوصول اليها من هذه المناقشة هي:
١. إنَّ التجربة وحدها بدون العقل النظري لا يمكن أنْ تعطي اية معلومات متميزة حول الطبيعة.

٢. حتى ولو كانت الملاحظة و التجربة واجبة لأخذ الصورة عن العالم الفيزياوي، ولكن ليست كل معرفتنا عن الطبيعة ناتجة عن التجارب الحسية.
وإنَّ الطريقة في أخذ الصورة الصحيحة عن العالم الفيزياوي هي طويلة، و يمكن أنْ تتكامل من خلال التدرج في مزاجعة العمل التجريبي و التدقيق النظري.

«حواجز أمام التعقل الصحيح»

كما أشرنا الى ان القرآن الكريم يوصينا بالتفكر في الطبيعة، و أنْ تتأمل بما نلاحظ. و التأمل بدوره يدعو الى الإفادة من المعلومات المتوفرة و التحرك نحو معرفة جديدة و طازجة. و هذه الحركة التفكيرية - على أية حال - تقودنا الى نتائج صحيحة إذا ما روعيت مبادئ معينة و قواعد خاصة. و هكذا نصل الى المنطق الذي هو دراسة مبادئ التعقل الصحيح، إلا أنْ استخدام الأسس المنطقية وحدها - على أي حال - لا يستطيع أنْ يضمن النتائج الصحيحة، إلا إذا تأكدنا من أنْ المقدمات التي استخدمناها ليست فاسدة. و من أجل هذا السبب حذرنا القرآن الكريم من الأشياء التي تحرم عقولنا من العمل بشكل صحيح. و نحن هنا نشير الى العوامل الرئيسة التي تمنع من فهم الطبيعة على حقيقتها:

١. نقص الايمان:

ينص القرآن الكريم، على أن العلم بلا إيمان لا يقود الى معرفة صحيحة للطبيعة:

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(يونس/١٠١)

إنَّ الدور الأساس للإيمان في الفهم هو حفظ قوة العقل في الإنسان في مستواها الفطري، بعيدة عن نزغ الشيطان ونزغات الهوى.

٢. الإنحياز في الحكم:

إنَّ اتباع المرء لأهوائه حباً أو بغضاً يؤدي الى تعصب غير عادل، وكذلك تكون ميوله وإعجابه بنفسه عاملاً مهماً يمنعه من استخدام قوة العقل بشكل غير منحاز أو حكم عادل.

﴿... وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

(البقرة/١٢٠)

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

(الزخرف/٧٨)

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مَبْصُورَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً...﴾.

(النمل/١٣-١٤)

٣. التقليد الأعمى للآباء والأبناء:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

(الأحزاب/٦٧)

﴿... بَلْ تَتَّبِعْ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

(البقرة/١٧٠)

٤. النقض و التأكيد بلا دليل:

إنَّ سبباً من أسباب الخطأ في الحكم الرئيسية يرجع الى إبدال العلم بالظن:

﴿وما لهم به من علم أن يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾.

(النجم/٢٨)

و من أهم مبادئ البحث العلمي أنه يجب أن لا ينفي المرء أو يؤكد أي شيء بدون

دليل:

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه

مسؤولاً﴾.

(الاسراء/٣٦)

مبادئ مقررة في البحث العلمي:

لقد أشرنا الى أن البحث العلمي هو عبارة عن مزيج بين العمل التجريبي والنشاط الفكري. والآن و من أجل أن يكون الإدعاء ذا معنى، وان يحظى المرء بنتيجة صحيحة، لا بد من تحديد جملة من المبادئ المعنوية مسبقاً قبل أي عمل علمي. وقد وجدت وجهات نظر مختلفة حول عدد هذه المبادئ وطريقة تفسيرها. وبالرجوع الى القرآن الكريم كمنبع هداية لنا، نعتقد بالمبادئ التالية، إضافة الى الأسس المنطقية (من قبيل مبدأ عدم التناقض) وهذه يجب أن يفترضها المرء سابقة لأي نشاط علمي:

١. مبدأ التوحيد:

من وجهة نظر القرآن الكريم، ان دراسة الطبيعة يجب أن لا تكون من أجل إشباع فضول الانسان و حب الإطلاع، بل الأخرى يجب فيها قصد معرفة الخالق الحكيم و حاكم الكون العظيم، وإنَّ كل الموجودات الطبيعية علامات وآيات لقدرته تعالى، ودراستها يجب أن تعود اليه.

و أبعد من ذلك، توجد في القرآن الكريم إشارات الى وجود النظم والإنسجام و

الهدفية في العالم الخارجي.

﴿... وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾.

(الفرقان/٢)

﴿... ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾.

(الملك/٣)

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

(الدخان/٣٨-٣٩)

وهذا النظم والإنسجام في الوجود يعود إلى الباريء (جلّ وعلا) الذي برأ الكون كله.
﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا...﴾.

(الأنبياء/٢٢)

﴿... صنع الله الذي أتقن كل شيء...﴾.

(النمل/٨٨)

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

(النساء/٨٢)

﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق...﴾.

(يونس/٥)

إن الإعتقاد الجازم بمبدأ التوحيد يدعو العالم الباحث إلى تكوين نظرة شاملة حول الطبيعة؛ إذ لا يراها متناثرة متنافرة؛ بل يمكنه من شرح هذا الإنسجام والنظم في الوجود الخارجي.

ومن جهة أخرى، بدون عقيدة راسخة بالنظام والإنسجام الحاصل في الطبيعة، سيكون البحث العلمي مفرغاً من النظرة الشمولية، وسيكون على أحسن تقدير ذا اعتبار مؤقت.

نعم يوجد بعض العلماء الذين يؤمنون بوجود النظم والإنسجام في الطبيعة، و لا يؤمنون بمبدأ التوحيد، بل لا يعيرون أهمية لذلك، ولكننا نرى بدون عقيدة التوحيد لا يمكن وجود شرح مرض لنظم الخليقة.

٢. واقعية العالم الخارجي:

وكما قلنا مسبقاً فإنه يوجد من وجهة نظر القرآن عالم خارجي مستقل عن التصور الذهني:

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...﴾.

(النحل/٧٨)

﴿الذي جعل لكم الأرض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون *... والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾.

(الزخرف/١٠-١٢)

إنَّ الإعتقاد بوجود عالم موضوعي، يشكل القاعدة التي تركز عليها جميع العلوم الفيزيائية والطبيعية، وبدونه ستكون أية محاولة علمية مجرد لعبة أو رياضة عاطلة. وهذه العقيدة كانت دائماً من أقوى الدوافع المحركة للعلماء الواقعيين. وان بلانك^٨ يعبر عن هذه النقطة جيداً بقوله:

إنَّ مواقف العلماء وأكثر العقول أصالة أمثال كيبلر^٩ ونيوتن^{١٠} وليبنس^{١١} وفارادي^{١٢} كانت قد آمنت بواقعية العالم الخارجي وبتدبير عقل متعال له وخارج عنه (بلانك، ١٩٥٩: ٢٥٠).

٣. محدودية المعرفة البشرية:

نحن نتعلم من القرآن الكريم بادية ذي بدء ان المعرفة البشرية محدودة: -
﴿...وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.

(اليسراء/٨٥)

كما نتعلم منه أيضاً أنه توجد كثير من الأشياء لا تستطيع أجهزة حواسنا إدراكها:
﴿فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون﴾.

(الحاقة/٣٨-٣٩)

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾.

(الرعد/٢)

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(يس/٣٦)

و بالتالي فإن علينا أن نؤمن بالغيب، وهو حقيقة قدرة ما وراء الطبيعة:
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و
مما رزقناهم ينفقون﴾.

(البقرة/٢-٣)

وإنَّ الإيمان بمحدودية العلم البشري و الايمان بالغيب يحثنا على التطلع و التأمل
لأنه:

أ. لا يحدد أذهاننا بالوقوف عند المرحلة الحسية.

ب. يجب ألا نظن بأننا اكتشفنا كل شيء.

٤. مبدأ العلية:

هذا المبدأ يقرر بأنه لا بد من علة لكل معلول، و منه يشتق مبدأ أن مهمان:

أ. مبدأ الضرورة: كل علة لها معلول، و بلا علة يستحيل وجود معلول.

ب. مبدأ نسخية العلة و المعلوم: العلة المتشابهة توجد معلولات متشابهة.

و قد وجدت فرضية من قديم الزمان قال بها كثير من العلماء و على مرَّ العصور تنص
على وجود قوانين معينة تحكم عالمنا الخارجى. و ان مبدأ العلية فرضية تعطي معنى
تطبيقياً لكل قانون يشرح الظواهر الطبيعية.

و نحن نجد في القرآن الكريم إشارات الى هذا المبدأ في عدة نصوص:

١. هنالك عديد من الآيات تتحدث عن عدم تغيير سُنَّة الله في الكون:
﴿فهل ينظرون إلا سُنَّة الأولين، فلن تجد لسُنَّة الله تديلاً و لن نجد لسُنَّة الله تحويلاً﴾.

(فاطر/٤٣)

﴿...فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله...﴾

(الروم/٣٠)

٢. توجد عدة آيات تتحدث عن ميكانيكية ثابتة لحدوث حوادث معينة:
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

(المؤمنون/١٢)

﴿...و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم...﴾.

(البقرة/٢٢)

٣. إن بعض الآيات القرآنية تشرح تدخل بعض الوقائع لظهور وقائع أخرى:
﴿و أرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل﴾.

(الفيل/٤-٣)

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم...﴾.

(التوبة/١٤)

كما توجد أيضاً بعض الآيات تنسب خلق العالم و تدبيره الى الله تعالى مباشرة:
﴿...قل الله خالق كل شيء...﴾.

(الرعد/١٦)

﴿...إلا له الخلق والأمر...﴾

«الاعراف/٥٤»

و من الجمع بين هذين النوعين من الآيات يمكن للمرء أن يستنتج بأن كل شيء يتحقق بإرادة الله تعالى، ولكن من خلال قناة معينة، وأن الآيات من قبيل ما يأتي تؤكد هذا الأمر:

﴿و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا...﴾.

(الأعراف/٥٨)

إنَّ هذه الآية تشير، إضافة إلى ضرورة وجود إرادة الله في نمو النبات، إلى ضرورة خصوبة الأرض أيضاً. إذ ليس كل نبات يمكن أن ينمو في كل مكان.

هنا لك بعض علماء المسلمين المشاهير «أمثال الإمام الغزالي (تهافت الفلاسفة: ٢٤٠-٢٣٩) والإمام الرازي» (التفسير الكبير، ج ٢: ١١١-١١٠، ج ١٤: ١٩٥-١٩٣، ج ٣٠: ٥٣) من أتباع المدرسة الأشعرية يرفضون ضرورة العلاقة العلية (القطعية) في العالم الخارجي. وقد قالوا بعدم وجود دور للأسباب الطبيعية في تحقق الظواهر الطبيعية وإن علة أي حدث مرتبطة بإرادة الله تعالى، غير أنه من سُنَّة الله في خلقه أن يخلق ما يصطلح عليه (بالمعلول) بعد ما يصطلح عليه (بالعلة). وإذا لم يرد الله تعالى ما يصطلح عليه (بالمعلول) لا يتبع ما يصطلح عليه (بالعلة).

و السبب في إنكار هؤلاء العلماء لهذه القطعية يكمن في تصورهم بأنَّ الفرضية القائلة بضرورة العلاقة العلية ستؤدي إلى:

١. محدودية قدرة الله.

٢. عدم وجود مجال للمعجزات.

إنَّ هذه النتيجة - على أية حال - ليست صحيحة، لأنَّ ما يصطلح عليه بالعلة ببساطة هو توسطها في البين أو علة مهيئة، وليست علة تامة. وإنَّ دور الأسباب المتوسطة هو تهيئة الأرضية اللازمة لوجود بعض الأشياء، والله تعالى يخلق كل شيء من خلال هذه المتوسطات المعينة أو العلل المهيئة، وهذه نفسها قد خلقها الله تعالى. وإنَّ الحاجة لهذه المتوسطات لا تعني عدم قدرة الخالق الكافية، بل تعود إلى عدم قابلية المحل الكافية لفيض الله تعالى.

بعد ظهور نظرية الكوانتوم في الفيزياء^{١٣} وطرح مبدأ عدم القطعية من قبل «هايزنبرغ»^{١٤} في أوائل الربع الثاني من القرن الحالي، فقد أنكر بعض المؤسسين لهذه النظرية مبدأ الضرورة ومبدأ نسخية العلة والمعلول في الوجود الذري.

وفي نظرهم ان كل قوانين المايكروفيزياوية^{١٥} ذات حالات إحصائية، مشيرين الى المعدلات المحصلة من ملاحظات عديدة متشابهة، و معترفين بوجود استثناءات في بعض الملاحظات.

إن أكثر الفيزيائيين مع استثناء بعض منهم أمثال بلانك^{١٦} وأنشتاين^{١٧} قد قبلوا النظرية الجديدة و تفسيراتها المتمتة، و هي باقية على هذه الحالة على الرغم من ازدياد عدد المعارضين لها على مرور الأيام.

إن أنشتاين و بلانك و بعض العلماء الآخرين من الفيزيائيين لم يقبلوا حاكمية قوانين احتمالية للكون. وفي نظرهم يجب تفسير الحوادث في الطبيعة نهاية على أساس القوانين الشاملة، و إن قاعدة قطعية يجب أن تكون تحت السلوك الإحصائي الظاهر. وإنما يستعمل الإنسان القوانين الاحتمالية إما لأن القوانين الأساسية غير معروفة، أو أن صعوبة ما حاصلة من عدم الإحاطة بالأرقام الكثيرة. وبهذا الصدد كان لأنشتاين التعليق الآتي:

«أنا لا أستطيع إلا الاعتراف بأهمية تحويلية^{١٨} لهذا التفسير. وأنا ما أزال أعتقد بإمكانية تشخيص الواقع، و ذلك بالقول بنظرية تحقق الأشياء نفسها لا باحتمال حدوثها فقط» (بارگمن (الترجمة)، ١٩٧٩: ٣١٠).

وفي رسالة الى بورن^{١٩} في ديسمبر ١٩٢٦ كتب أنشتاين قائلاً: «إن الميكانيكية الكوانتومية: ^{٢٠} بالتأكيد تفرض نفسها، ولكن صوتاً من الأعماق يقول لي هذه ليست شيئاً واقعياً. إن النظرية تشرح الكثير، ولكنها لا تقربنا حقاً الى سرّ «الشيء القديم». وأنا - على أية حال - مطمئن الى أنه لا يقامر^{٢١}» (أنشتاين، ١٩٧٩: ٣١٠).

و مع الأسف فقد أطلعنا على آراء بعض العلماء المسلمين الذين أحيوا نظرية الأشعرة المنتقضة، و قد اتخذوا من الميكانيكية الكوانتومية^{٢٢} برهاناً على ادعاءاتهم. و نحن ننقض هذا الطراز من التفكير بما يأتي من النقاط:

١. إذا كنا ننكر صحة مبدأ العلية في عالم الذرة أو ما حوالها، فإن هذا يعني تشويه هذا المبدأ في العالم كله، لأن العلية تربط أقسام العالم المختلفة معاً.

٢. إذا كان مبدأ العلية قد أصبح غير حقيقي، فإنه يعني عدم وجود رابطة بين مقدمات قضية ونتيجتها، لأنَّ المقدمات عبارة عن السبب في قبول الإنسان للنتيجة. وبدون مبدأ العلية لا شيء يمكن أن يكون نتيجة لقضية ما، وبأي نوع من المقدمات حينئذ يمكن للإنسان أن يشتق أي نتيجة، وبذلك لا يكون فرق بين إثبات شيء، وعدم إثباته. ولهذا السبب حتى أولئك الذين يرفضون مبدأ العلية يستخدمون هذا المبدأ ضمناً (ابن رشد، تهافت التهافت: ١٣٢١ هـ: ١٢٢) لأنهم لولم يؤمنوا بأنَّ قضيتهم سوف تسبب تغييراً في عقيدتنا لما حاولوا الجدل معنا.

٣. كما أشار الشهيد الأستاذ مرتضى المطهري (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: ج ٣: ٢١٧) والشهيد آية الله الصدر (فلسفتنا، ١٩٨٠: ٣٠٩-٣٠٥) إلى أن استحالة الاستنباط في عالم الذرة ليس عائداً إلى خلل في القطعية، ولكنه نتيجة لجهلنا بالقوانين القطعية الحاكمة في الظواهر الذرية، وهذا يمكن أن يكون إما بسبب حاضرنّا التجريبي ومعرفتنا النظرية غير الكاملة، أو عائداً إلى حقيقة عدم استطاعتنا قياس أثر المراقب على معياره بدقة.

و على أية حال، يجب أن يكون المرء منتبهاً إلى أن إخفاقنا في اكتشاف القطعية في عالم الذرة لا يعني بأنَّ العلاقة العلية غير قائمة وليس لنا الحق بأن ندعي بأننا اكتشفنا كل المشخصات القياسية المنطبقة على هذا العالم.

و يبدو أنه من المناسب عند هذه النقطة أن نقبس ما كتبه ديراك^{٢٣} في ١٩٧٩:

يبدو واضحاً في الوقت الحاضر أن ميكانيكية الكوانتومية^{٢٤} ليست في شكلها النهائي. وستحتاج إلى تغييرات أبعد من ذلك كما حصلت تغييرات خطيرة في الانتقال من مدارات بورن^{٢٥} إلى الميكانيكية الكوانتومية وستكتشف يوماً ما ميكانيكية كوانتومية نسبية جديدة لا يوجد فيها هذه اللانهايات التي لدينا مطلقاً. وربما ستمتلك ميكانيكية الكوانتوم هذه القطعية على الطريقة التي أرادها انشتاين^{٢٦} وهذه القطعية ستقدم على حساب هجران بعض المفاهيم التي تقول بها الفيزياء المعاصرة والتي ليس

من المتعقل الآن محاولة الوصول إليها. (اديسون (التصحيح)، ص ٦٥)
 «وفق الشروط، أظن من المحتمل جداً، أو على أية حال من المحتمل فقط، و على
 مدى طويل سيثبت كون انشتاين مصيباً، حتى ولو كان على الفيزياء المعاصرة أن تقبل
 تفسيرات احتمالات بورن،^{٢٧} و على الخصوص إذا كانت ثمة اختبارات أمامهم».
 وباختصار بنفي العلية لا يمكن أن يُتَحَصَّلَ على شيءٍ وليس يمكن لشيءٍ أن يشتق
 من شيءٍ، ولا يمكن أن يكون للعلم مجال. و على العلم أن يقبل مبدأ العلية بكل لوازمها،
 حتى يكون وجوده ذا معنى. و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.



المصادر

- الفزالي، تهافت الفلاسفة، طبع مصر.
- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ٢؛ ج ١٤؛ ج ٣٠.
- صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة، ج ٦.
- ابن رشد، تهافت التهافت، طبع مصر؛ ١٣٢١ هـ ق.
- حواشي الشهيد المطهري على أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٣.
- الشهيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، بيروت؛ ١٩٨٠.
- Max Plank. *The New Science*, Greenwich Editions (1959).
- *Einstein, A Centenary Volume*, Edited by A. P French, Heinemann (1979).
- *Ideas and opinions by Albert Einstein*, Trans. sonja Bargman, New York, Crwon Publishers (1954).
- *some strangeness in teh Proportion*, Edited by woolf, Addison wesley Co.

الهوامش:

1. Planck
2. Einstein
3. Kepler
4. Mars
5. a good looking law
6. causality
7. particle
8. Planck
9. Kepler
10. Newton
11. Leibnits
12. Faraday
13. Quantum Theory
14. Heisenberg
15. Microphysics
16. Planck
17. Einstein
18. Transitory Importanc
19. Born
20. Quantum Mechanics
21. He is not playing dice
22. Quantum - Mechanics
23. Dirac
24. Quantum-Mechanics
25. Born orbits
26. Einstein
27. Born

المديح النبوي في شعر حسان بن ثابت وخاقاني شرواني

دكتور صادق آئينه وند*

نعيمة حسوكي**

تهدف هذه المقالة الى إبراز المضامين المشتركة في المديح النبوي في شعر كل من الحسانين (حسان العرب وحسان العجم) فمدح الرسول (ﷺ) بدأ منذ عصر الرسول وارتبط بأحداث عصره وتميز بالصدق واقترن مديحه بالهجاء والفخر والاعتذار في شعر حسان بن ثابت وكان لشهرة حسان الأثر الكبير فالكبير في توجه الشعراء العرب والعجم الى هذه الشخصية ومدح الرسول احتذاء به وكان لخاقاني الشرواني النصيب الأكبر من هذا التوجه والفخر اذ لقب بحسان العجم وكان يقصد بهذا اللقب الفخر بمقدرته الشعرية والنيل من أعدائه وقد أبدع في هذا المضمار اذ كتب قصائد طويلة مدح بها سيد المرسلين وتناول معجزة معراج النبي بأدق تفاصيلها وهذا ما لا نجده في ديوان حسان على الرغم من انه عاصر الرسول إلا أنه غفل عن ذكر هذه المعجزة الهامة ومع ذلك يبقى فضل السبق لحسان كونه شاعر الرسول الأول الذي دافع عن الرسول وناصر الإسلام والدين الحنيف.

الكلمات الرئيسية: المديح النبوي، حسان بن ثابت، خاقاني شرواني.

(*) استاذ تاريخ الاسلام في جامعة تربيت مدرس بطهران.

(**) طالبة دكتوراه في قسم اللغة الفارسية في جامعة تربيت مدرس.

المديح، أهدافه:

المدح فن عريق من فنون الشعر، ينبع من احساسات الشاعر ويعبر الشاعر من خلاله عن الفضائل والخصال السامية المتعالية ولقد توجه الشعراء الى هذا الفن الشعري وابتغوا من خلاله مقاصد كثيرة كالتكسب والحصول على الثروة والجاه ومنهم ان لجأ الى المدح لأسباب سياسية وذلك عندما يميل الشاعر الى مذهب سياسي فيشيد برجاله ويظهر حسن مذهبهم وهناك من يمدح لأسباب دينية ولذلك تنوع المدح وتنوع دواعيه.

المديح من منظار القرآن والحديث:

لقد مدح الله تعالى عبده أيوب وأثنى عليه في محكم التنزيل اذ قال: «إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب» وأثنى على سيد الكائنات اذ قال: «وانك لعلى خلق عظيم» واننا نلاحظ أن ما قد مدح في هذه الآيات هو الأخلاق الحسنة وهذا هو المدح المقبول أما اذا سمعنا الرسول يقول: «اذا رأيتم المادحين فأحثوا في وجوههم التراب» فانه يقصد ذلك المدح الذي يرفع الشخص الدني الى أرفع درجات الفضيلة، ذلك المدح الذي يغضب الله عز وجل كما قال (ﷺ): «اذا مدح الفاجر اهتز العرش وغضب الرب» اذ يبتعد عن المدح الحقيقي ويكون تملقاً ونفاقاً ولهذا نجد الرسول (ﷺ) يحث الشعراء أمثال حسان وغيره لقول الشعر الملتزم الذي يدافع فيه عن الفضيلة ودين الاسلام.

المديح النبوي

أ - أهميته التاريخية: لا بد لنا أن نشير الى أن المدائح النبوية لم تحظ بعناية كافية وقد استطاع زكي مبارك أن يشكل نقطة انعطاف أساسية في هذا المسير اذ بحث في كتابه «المدائح النبوية» خصائص المدائح النبوية وأشار الى أهميتها على الرغم من اهمال الباحثين لهذا النوع المهم من الأدب السامي وأكد أن هذا النوع من الفن يستحق الدراسة الكافية والوافية لاحتوائه على قصائد ومقطوعات تمتاز بخصوصيات تختلف عن ميزات المديح العادي وخصائصه.

ب - بواعثه وتعريفه: أكد زكي مبارك خلال تعريفه للمدائح النبوية على الغرض الأساسي للمدح النبوي اذ قال «المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص» وهنا نجد بأنه يشير الى أن مدح الرسول اذا لم يكن عن رغبة وصدق فإنه لا يسمى مدحاً ولا بد أن نشير الى أن معظم الشعراء الذين مدحوا الرسول لم يكن لهم غرض سوى التوصل اليه عن صدق واخلاص واما أن يرد هذا الشرط في تعريف المدح النبوي فإنه يبقى محل شك وترديد.

وقد قيل بأن المدح هو ذكر فضائل الممدوح وهو على قيد الحياة أما الرثاء فهو ذكر محاسنه وهو ميت وفيه تظهر الحسرة واللوعة والحزن أما في مدح الرسول فقد تحطم هذا الحاجز بين مدحه ورثائه لأن مقامه فاق مقام الشهداء والصدّيقين وهذا ما عبر عنه محمود محمد سالم بقوله: «وبذلك نجد أن المديح النبوي، هو في بدايته قسم من المديح العام الذي عرف في أدبنا العربي ولكنه انفرد عنه لأنه مخصص لسيد البشر... ووفق هذه المقاييس سار شعراء المدح النبوي، وتحرروا من اشكالية الرثاء والمدح، ولم يعد يدور في خلد هم أنهم يرثون، أو أن مديحهم للرسول به ما يميزه، فهم اطمأنوا الى أنهم يمدحون رسول الله (ﷺ)... وبعد ان استقر في أذهان الشعراء تواصل حياة النبي اتسع نطاق المديح النبوي طلباً للمغفرة والرحمة» وهذا ما أكدّه زكي مبارك أيضاً بأن الموت لم يستطع أن يصرف الشعراء عن مدح الرسول فتصوروه وأخذوا يمدحونه وكأنه حي. وبهذا يمكننا أن، نعرف المديح النبوي كما يلي المدائح النبوية تشمل كل الأشعار التي قيلت في مدح الرسول (ﷺ) سواء أكان حياً أم ميتاً لأنه موصول الحياة ونحن نقصد بهذا كل المدائح والمراثي التي قيلت في شخصه لأنه يشكل المحور الأساسي في هذه المدائح.

حسان وخاقاني في المديح النبوي:

يعتبر حسان بن ثابت الشاعر المخضرم شاعر الرسول الأول الذي حفظت لنا صفحات

التاريخ اسمه مقروناً بالنبي (ﷺ) وكان له الفخر بأن يسئل لسانه كالسيف القاطع ليدافع عن الرسول ودعوته ويمدحه ولذا نجد أن معظم الشعراء قد سعوا للاستئثار بهذا اللقب وهذه الشهرة لشاعر قلما نجد مثله بهذه الشهرة الواسعة التي فاق طنينها العرب والعجم وقد كان للشاعر الإيراني خاقاني شرواني الحظ الأكبر من بين الشعراء الذين حذوا بهذا المنحى اذ لقب بحسان العجم ويمكننا أن نلاحظ مرحلتين في حياة الشاعر ففي الشطر الأول منها نجده مسخراً قلمه لمدح رجال الدولة والسلاطين أما في الشطر الثاني فانه يميل الى العزلة والزهد والحكمة وفي هذه الفترة تسنح له الفرصة لزيارة بيت الله والحج وهنا نلمس تحولاً واضحاً في شخصية هذا الشاعر اذ يحج مرة أخرى بعد اصرار شديد والتماس السلطان الأعظم ليصل الى غايته وهو يؤكد في هذه الزيارة بأن قصده من الحج هذه المرة هو زيارة ضريح الرسول وطلب الشفاعة والتوبة وفي هذا المعنى يقول:

اي شفيع صد هزار امت چو خاقاني به حشر

بنده مرتد بود؛ بر دست تو؛ ايمان تازه كرد

زين سفر مقصود امشالش تو بودستی نه حج

كالامان گويان، به درگاه آمد وجان تازه كرد

وفي هذه الأوضاع السياسية والاجتماعية المتوترة تبلورت مدائحه النبوية اذ سعى لأن يجد لنفسه ملجأً آمناً يفر اليه وفي نفس الوقت يثبت مكانته ومقدرته الشعرية بين معاصريه ومنافسيه ولذا نجده يمدح الرسول بشوق ومحبة لا توصفان مستفيداً من لقب حسان العجم ويحاول أن يأتي بأدق التفاصيل ويتخذ منها موضوعاً لبيانته الشعري.

لقد ذكر خاقاني حسان بن ثابت في شعره وادعى بأنه أفضل منه في مدح الرسول فهو يعني تماماً أبعاد هذا اللقب ويثبت ادعاءاته بقوله:

مصطفی حاضر و حسان عجم مدح سراي پيش سيمرغ خمش، طوطی گویا بينند
ويجدر بنا الاشارة الى أن خاقاني قد أنشد ١١ قصيدة طويلة وثمانية مثوي في مدح الرسول وقد اخترنا حسان وخاقاني لخصوصة اللقب في المدح النبوي علماً بأن أغلب الشعراء زينوا دواوينهم الشعرية بحمد الله ومدح رسوله (ﷺ).

١- الدنيا قبل بعثة الرسول:

كان الناس يعيشون في ضلال مبين، يعبدون الأصنام ويظلمون ويستبيح القوي دم الضعيف وماله وعرضه الى أن جاء رسول الرحمة فأخرجهم من ضلالهم وهداهم الى الصراط المستقيم وفي هذا يقول حسان:

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
وأندرنا ناراً وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد
وقد أشار الامام علي (عليه السلام) الى الأوضاع الأخلاقية والاجتماعية والفكرية السائدة في تلك الوقت وقبل بعثة الرسول اذ يقول: «ان الله بعث محمد (ﷺ) نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار... الأصنام فيكم منصوبة والآثارم بكم معصوبة». خاقاني ومن خلال حديثه عن أهمية الرسول في عالم الوجود يشير الى تحطيمه الأصنام بقوله:

أن با و تا شکن که به تعریف او گرفت هم قاف ولام رونق وهم کاف ونون بها
وهو يقصد من (با و تا شکن) الرسول الكريم عندما أمر بتحطيم الأصنام يوم فتح مكة.
كما أنه في تحفة العراقيين يصف هذه الدنيا الوضيعة وبشكل دقيق قبل بعثة الرسول (ﷺ):

چون میغ رسیدی آتش آمیغ	با غرش کوس و برش تیغ
این طارم مندرس بدیدی	تصویر نوش در آوریدی
بامش همه زرنگار کردی	بومش همه در نثار کردی
برگرد عذار او بگشتی	نقش شهد اللہش نوشتی
اول سر اشقیا بریدی	پس بر سر انبیا رسیدی
دست همه برگرفتی از دل	پای همه برکشیدی از گل

٢- مولد الرسول (ﷺ) وسرور الكائنات:

لقد كان الرسول الكريم موضوعاً مناسباً لأغلب شعراء المديح النبوي اذ أن الله بعث

الرسول ليخرج الناس من غيهم وضلالهم ولذا فقد كان مولده بشرى سارة للناس أجمعين وكان ذلك اليوم الميمون يوماً عظيماً عمت فيه الفرحة أرجاء الدنيا فقد أضاء نوره الكون وهذا ما وصفه حسان بقوله:

يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي

ويقول خاقاني في تحفة العراقيين في هذا المعنى:

تاريخ شرف كه آسمان راست از روز ولادت تو برخاست
ز آن نور شد این جهان دل افروز در هفت هزار سال وشش روز
فالأجرام السماوية تعزف سمفونية السعادة لقدوم هذا المولود المبارك وهما هي
السماء ارتدت أجمل حللها احتفالاً لقدوم سيد البشر:

گه ولادتش، ارواح خوانده سوره سور سه تار بست ستاره، سماع کرد سما
بکوفت موکب اقبال، موکب اجرام بسبست قبه زربفت، قبه مينا

٣- هداية البشرية:

لقد بعث الله تعالى رسوله بالحق ليهدي الناس ووصفه في محكم التنزيل بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ وهذا ما جاء به حسان عندما مدح الرسول ووصفه وهو يدعو إلى عبادة الله تعالى بقوله:

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنت اله الخلق ربّي وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد
ويكرر هذا المعنى في قطعة أخرى بقوله:

متكرماً يدعو إلى رب العلى بذل النصيحة، رافع الأعماد
مثل الهلال مباركاً ذا رحمة سمح الخليفة، طيب الأعواد

وبما أن حسان كان يدافع عن الرسول ودين الله فانتنا نجد أنه يؤكد هذا المعنى في أكثر

من قطعة أما خاقاني فيؤكد أن الرسول (ﷺ) رحمة للعالمين بقوله:
 او رحمت خداست، جهان خدای را از رحمت خدای شوی خاصه خدا
 وقد جاء لينقذ الناس من جهالتهم وظلماتهم ويحيي القلوب الميتة ويعيد اليها صفوها
 اذ يقول:

خضر جلايي به دست از آب دست مصطفی
 کوست ظلمات عرب را، آب حيوان آمده
 فمحمد رسول الهداية وقائد الأمة:
 ور تو أعمى دیده‌ای، بر دوش احمد دار دست
 کاندر این ره، قائد تو مصطفا به، مصطفا
 ولذا فهو يشكر الله ويفخر بأنه على الدين المحمدي:
 خاقانی را به دست مردی از خاک به آدمی تو کردی
 از عادی عادتش رهاندی در هود هدایتش رساندی

٤ - نسب الرسول (ﷺ):

بعد هذا المحور من أهم المحاور التي اتكأ عليها شعراء المديح النبوي، فقد أشاد
 الرسول الأعظم بنسبه الشريف اذ قال: «ان الله اختار بني كنانة من ولد اسماعيل، واختار
 من بني كنانة قريشاً، واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم» وقد أشار
 حسان الى عراقه وشرف نسب الرسول من خلال هجائه لأبي سفيان بقوله:
 لقد علم الأقوام أن ابن هاشم هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد
 وأن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
 وجاء بهذا المعنى في قصيدة اخرى من خلال الفخر بقبيلة قريش وآل هاشم:
 ونحن ولدنا من قريش عظيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم
 وهذا ما ذهب اليه خاقاني أيضاً فالرسول درة بني هاشم:

رسول كاينات احمد، شفيع خلق، أبو القاسم
جمال جوهر آدم، كمال گوهر هاشم

٥ - القرآن الكريم ومعجزات الرسول الاخرى:

ان الله عز وجل بعث مع كل رسول معجزات وكانت معجزة محمد الكبيرة القرآن الكريم اذ تحدى فيه العرب والعجم في الفصاحة والبلاغة وتحداهم على أن يأتوا بآية من مثله الأمر الذي عجز ويعجز عنه البشر فهذه المعجزة خالدة باقية ما بقيت الدنيا وقد فخر حسان بتأييد الأنصار للرسول وبنزول الوحي على النبي الأعظم وسعادة المسلمين بالقرآن المبين:

الله أكرمنا بنصر نبيه	وبنا أقام دعائم الاسلام
ينتابنا جبريل في أبياتنا	بفرائض الاسلام والأحكام
يتلو علينا النور فيها محكماً	قسماً لعمرك ليس كالأقسام
فنكون أول مستحل حلاله	ومحرم لله كل حرام

وما نلاحظه في شعر حسان بأنه لم يشر الى هذه المعجزة الهامة في مكان آخر من ديوانه أما خاقاني فقد لمح لهذه المعجزة المهمة في أكثر من قصيدة فالقرآن الكريم نزل على قلب سيد المرسلين، النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة أو الكتابة: هادي مهدي غلام، امى صادق كلام خسرو هشتم بهشت، شحنه چارم كتاب وهذا البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته....﴾ ويؤكد على هذه المعجزة وبشكل أوضح بقوله:

در دار الملك سر قرآن	خطبه أبدى به نام او دان
نزل دلش از سرای قدمت	پیش درس از برای خدمت
خیمه زده شرع در جنابش	حبل الله المتين طنابش

أما بالنسبة للمعجزات الاخرى وعلى رأسها معجزة الاسراء والمعراج، هذه المعجزة المهمة في تاريخ الاسلام فإننا لا نجد لها أثراً في ديوان حسان بن ثابت على العكس من

خاقاني الذي خصص قصائد طويلة لوصف دقائق هذه الحادثة المهمة ويمكننا أن نقول بأنه أبدع في هذا المجال وفي وصف هذه الحادثة يقول:

جنت ز شرم طلعت او گشته خار بست دوزخ ز گسرد ابلق او گشته گلستان
خورشيد بر عمامه او برفشانده تاج برجيس بر رداش فدا کرده طيلسان
«لا تعجبوا» اشاره کرده، به مرسلين «لا تسقنطوا» بشارت داده، به اتقيا
روح القدس خريطه کش او، در آن طريق روح الامين جنيبه بر او، در آن فضا
ره رفته تا خط رقم اول، از خطر پى برده تا سرافق اعلى، از علا
زو بازمانده غاشيه دارش، ميان راه سلطان دهر گفته که: «ای خواجه! تا کجا»
ز آن سوي عرش رفته، هزاران هزار ميل خود، گفته: «اين انزل؟ وحق گفته: هيينا»
کما یشير الى أن جبريل عليه السلام صاحب النبي في هذا السفر الملكوتي ولم
يستطع أن يتجاوز سدرۃ المنتهى وقال «لودنوت منه قيد أنملة لا حترقت» اذ رأى الرسول
ربه هناك حيث لا عين رأت ولا اذن سمعت. وقد أكد خاقاني على هذه المعجزة ووصفها
مراراً وتكراراً واكتفينا بهذا المثال كيلا نطيل الحديث.

كما أن خاقاني أشار الى المعجزات الأخرى مثل شق القمر وقد ذكرها الله في محكم
التنزيل بقوله: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا أو يقولوا سحر
مستمر﴾ وفي هذا يقول خاقاني:

مه را دو نیمه کرده، به دست چو آفتاب سایه نه بر زمينش واز ابر، سایه بان
أما حادثة الهجرة فان حسان لم يشر اليها بشكل واضح واكتفى بالاشارة الى
اصطحاب أبي بكر للرسول في هجرته من مكة الى المدينة وكذلك خاقاني إلا أنه أشار
الى العنكبوت وبيض الحمام في باب الغار وكان وصف كل منهما سطحياً مع أن حادثة
الهجرة من أعظم الحوادث في تاريخ الاسلام.

٦- وصف خصال وشمائل الرسول الأكرم:

لقد تناول الشاعران شمائل الرسول ووصفوا جماله وخلقه وخلقه في أكثر من بيت

فها هو حسان يصفه بقوله:

متى بيد في الداجي البهيم جيئنه
فمن كان أو من يكون كأحمد
وأنه أجمل ما ولدت النساء:

وأحسن منك لم تر قط عيني
خلقت مبرءاً من كل عيب
وأجمل منك لم تلد النساء
كأنك قد خلقت كما تشاء

ووصفه بالشجاعة والكرم والمقام العالي والكمال ويأتي بهذه الأوصاف التي تتابع في أبيات قليلة مؤكداً على عفقه وشرفه وعطفه و.... وفي هذا يقول:

مستشمري حلق الماذي يقدمهم
أعني الرسول فان الله فضله
جلد النحيزة ماض غير رعديد
على البرية بالتقوى وبالجهود
ماض على الهول ركاب لما قطعوا
واف وماض شهاب يستضاء به
مبارك كضياء البدر صورته
ما قال كان قضاء غير مردود

ويبرز لنا مكانته العالية التي سمت به وقرنت اسمه باسم الله عز وجل اذ يقول:
وضم الإله اسم النبي الى اسمه
وشق له من اسمه ليجله
وهذا ما ذهب خاقاني اليه اذ قال:

به دست لا اله افكند شادروان الا را
كه توقيع رسول الله بر طغرای او آمد

ولا بد أن نذكر بأن الشاعرين قد أفاضوا في وصف شمائل وخصال النبي وتحدثا عن كرمه وحلمه وشجاعته وهمته العالية وعدله و... مما يضيق المجال عن ذكره وما امتاز به خاقاني أنه وصف الرسول بالأمين بل أنه انسان كامل حمله الله تعالى الأمانة التي أشفقت السموات والأرض من حملها وفي هذا يقول:

آن قابل أمانت در قالب بشر
وآن عامل ارادت در عالم جزا

٧- غزوة بدر في شعر حسان و خاقاني:

عندما بعث الله تعالى النبي وشرع بالدعوة الاسلامية، تبعه بعض الناس كما خالفه الكثيرون وشرعوا بايذائه بشتى الوسائل وانتهى الجدل بين الطرفين بالاعتقال والوقوف وجهاً لوجه ودفاع المسلمين عن الدين الحنيف.

لقد صور حسان كل حروب المسلمين في تلك الفترة وافتخر بشجاعة المسلمين كما أنه هجا المشركين وفي ثنايا هذا الهجاء والفخر، كان يمدح الرسول (ﷺ) أحياناً ويؤكد على اتباع الشريعة الاسلامية. لقد وصف حسان الرسول ومدح شجاعته وهو يقود المسلمين في غزوة بدر كما وصفه بالشهاب والبدر المنير فيقول:

مستشعري حلق الماذي يقدمهم	جلد النخيزة ماض غير رعديد
أعني الرسول فإن الله فضله	على البرية بالتقوى وبالجود
مبارك كضياء البدر صورته	ما قال كان قضاء غير مردود

وقد سار خاقاني في هذا المسار اذ صور شجاعة الرسول وهو يصور ويجول في أرض المعركة فهو كالبدر المنير ويصف فرع المشركين وهلعهم فيقول:

ديده نه‌اي روز بدر كان شاه دين، بدروار راند سپه درسيه، سوي نشيب وعقاب
بهر پلنگان دين، كرد سراب از محيط بهر نهنگان كين، كرد محيط از سراب
از شغب هر پلنگ، شير قضا بست وز فرع هر نهنگ، حوت فلك ريخت ناب
ويشير الى تأييد الملائكة للمسلمين في ذاك اليوم العظيم حيث بشر جبريل عليه السلام المسلمين بالظفر في هذه المعركة:

از ي پ تأييد او، صف ملايك رسيد

آخته شمشير غيب، تاخته چون شير غاب

حامل وحى آمده كه كامد يوم الظفر

اي ملكان الغزاة! اي ثقلين! النهاب

كما أن خاقاني لم يغفل عن الدور المهم الذي كان للامام علي وهو يقاتل تحت راية الرسول (ﷺ) بكل شجاعة وبسالة ويلقن الأعداء درساً لن ينسوه أبداً فيقول:

در علمش، میر نحل کشیده نیزه چو نخل
غرقه صد نیزه خون اهل طعان و ضراب
چون الف سوزنی نیزه، ز بنیاد، کفر
چون بن سوزن، به قهر، کرده خراب و بیاب

٨- محمد (ﷺ) والأنبياء:

محمد خاتم الأنبياء ورسول الرحمة وهذا ما تناوله الشعراء، كل بطريقته الخاصة، فالبعض منهم أشار الى منزلته العالية والبعض الآخر أشار الى كمال رسالته أما حسان فقد اكتفى بذكر أن الرسول نبي من أنبياء ورسول الله وأرسله الله ليكمل الرسالة الالهية وينفذ الشريعة على الأرض:

شهدت بإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل في دينه متقبل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
وأن أخا الأحقاف اذ يعذلونه يقوم بدين الله فيهم فيعدل
أما خاقاني فقد تألق في هذا المجال ونحى منحى بعض فرق الصوفية بالقول بالحقيقة المحمدية وأوضح أن الرسول هو أصل الوجود وغايته وافتخر بأفضليته وأشار الى افتخار الأنبياء بالانتساب اليه بقوله:

او مالك الرقاب دوى تى گو و بر درش
در كـهـترى، مشجره آورده أنبيا
هم موسى، از دلالت او، گشته مصطفى
هم آدم، از شفاعت او، گشته مجتبا
بر نيامد دهى سب صبح ازل هنوز
كو برده ي ه سب ي س ازل بوده شواى پ
كما أنه يذكر الأنبياء الذين سبقوا الرسول ويؤكد على أثر الرسول في إتمام رسالاتهم

السماءية والشواهد على ذلك كثيرة ونقتطف منها قوله في تحفة العراقيين:

آدم ز خزان جرم، رخ زرد	لاله ز ژاله در خوی سرد
از تسو اثر ربیع دیده	بر جرم خودت شفیع دیده
ادریس به درس چاکر تو	تاریخ شناس اختر تو
نوح از تو به بحر باز خورده	ملاحی زورق تو کس کرده
ابراهیم از تو مهره برده	تا آتش او بر او فسرده
موسی چو فسرده ره نوشته	آتش خواه از در تو
خضر از تو شراب در کشیده	الیاس به جرعه ای رسیده
داود مغنی در تو	صاحب جیش و لشکر تو
یعقوب ضریر غم رسیده	کحالی دیده از تو دیده
یوسف ز تو کرده ملک تحصیل	در صدر تو خوانده علم تأویل
یحیی ز تو گشته عصمت اندوز	در مکتب تو فرایض آموز
عیسی ز حواریان خاصیت	پرورده لطف خوان خاصیت

٩ - مدح صحابة الرسول وأهل بيته (عليهم السلام):

لقد كان صحابة الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) ممن وقفوا مع الرسول ودافعوا عن الاسلام ونشروا أحكامه ومقرراته في كل أرجاء العالم ولذا فإننا نجد مدحهم يسري على السنة الجميع.

لقد مدح حسان شجاعة وروح الفداء في صحابة الرسول، فقد مدح أبا بكر وعمر وعثمان ولكننا وللأسف لا نجد في ديوانه أثراً لمدح علي (عليه السلام) مع أنه من بيت أهل النبوة ولا بد من وجود أسباب لهذا الأمر ولكننا لن نخوض في هذه الأسباب حتى لا نخرج عن إطار الموضوع. لقد أشار حسان الى أبي بكر وذكر قصته مع الرسول أثناء الهجرة:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني محمود شيمته وأول الناس طراً صدق الرسلا
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
خير البرية أتقاها وأرفعها بعد النبي وأوفاهما بما حملا
كما أن لحسان أبياتاً يشير فيها لحبه لأهل بيت النبوة وقد أنشدها في قصيدة اعتذر
فيها من عائشة أم المؤمنين وفيها يقول:
فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل نبي الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تسقاصر عنه سورة المتطاول
خاقاني أيضاً أكد على أهمية صحابة الرسول فهم أعمدة الدين:
چهار يارش تا تاج اصفيا نشدند نداشت ساعد دين، ياره داشتن يارا
كما أنه أكد كثيراً على هذه المسألة ومن يقرأ ديوانه يجد ذلك وكذلك يجد حبه وتعلقه
بأهل بيت النبوة الأطهار وعشقه لهم:
علوی دوست باش، خاقانی! كز عشیرت، علی است فاضلتر
هر كه بد بینی از نژاد علی نیكتر دان ز خلق وعادلتر
بدشان نیكتر ز مردم دان نیكشان ز فرشته كاملتر

١٠- رحلة الرسول والحزن الذي خيم كل الدنيا:

يوم ارتحل الرسول وانتقل الى جوار ربه عم الحزن أرجاء المعمورة وحزنت كل الكائنات لفراقه فقد كان موته فاجعة وراثه الشعراء وراثه حسان بقصائد ملتهبة المشاعر والأحاسيس منها:

يكون من تبكي السموات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدا
وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد
فأصبح محموداً الى الله راجعاً يبكيه جفن المرسلات ويحمد

وهذا ما وصفه خاقاني فالدنيا اظلمت وجلست في مجلس العزاء لارتحال سيد البشر:

جو نقل كرد روانش، مسافر ملكوت برای عرشش، بر عرش، خرقة کرد و طا
درید جوزا جیب و برید نی پرو عقد گذاشت مهر دواج و فکند صبح لوا
١١ - التوسل الى الرسول (ﷺ) وطلب الشفاعة منه:

حرص شعراء المدائح النبوية على التوسل الى رسول الله لطلب المغفرة من الله تعالى
جزاء على مدحهم له وصلوا عليه وسلموا تسليماً. بين حسان غرضه من مديحه للرسول
بأن يكون مع الرسول الكريم وبجواره في جنة الخلد:

وليس هوائي نازعاً عن ثنائه لعلني به في جنة الخلد أخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسمى وأجهد
ويؤكد هذا المطلب مرة أخرى:

يا رب فاجمعنا معاً ونبيينا في جنة تشني عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد

كذلك الحال بالنسبة لخاقاني الذي يتوسل بشفاعة الرسول ويقول:

اگر ز عارضه معصيت شکسته دلی تو را شفاعت احمد ضمان کند، به شفا
وفي قصيدة أخرى له يقول:

سوگند خورد مادر طبعم که در ثنائش از يك شکم، دوگانه چو جوزا برآورم
امروز کز ثنائش مرا هست کوثری رخت از گو ثری به ثریا برآورم
فردا هم از شفاعت او کار آن سرای در حضرت خدای تعالی برآورم
كما يشير كل منهما الى الغرض من المديح وبكل وضوح وصراحة، يقول حسان في
هجائه لأبي سفيان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
ويقول خاقاني في قصيدته منطلق الطير:



خاطر خاقاني است مدحگر مصطفی ز آن

ز حقش بی حساب هست عطا در حساب

كما أنهما يؤكدان على الدفاع عن الرسول باللسان القاطع وفي هذا يقول حسان:

لساني وسيفي صارمان كلاهما
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
ويقول أيضاً:

لساني صارم لا عيب فيه
ووصف خاقاني لسانه بقوله:
وبحري لا تكدره الدلاء

ی پ ثنای محمد بر آر تیغ ضمیر
که خاص، بر قد او، بافتند درع سنا
زبان بسته به مدح محمد آرد نطق
که نخل خشک ی پ مریم آورد خرما
١٢- الصلاة على الرسول (ﷺ):

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ولذا فالصلاة على النبي من أهم لوازم المديح النبوي وقد قال حسان
في هذا:

صلى الإله ومن يحف بعرشه
والطيبون على المبارك أحمد
خاقاني أيضاً يصلي على النبي ويقول:

چون نوبت نبوت او در عرب زدند
از جودی وأحد، صلوات آمدش صدا
وكما كان حسان شاعر الرسول وكان الرسول يحثه ويشجعه للدفاع عن دين الله،
ادعى خاقاني بأن الرسول طلب منه أن يمدحه فقال:

ز بارگاه محمد، ندای هاتف غیب
به من رسید که خاقانیا بیار ثنا
كما أنه قد حصل على اذن خطي من الرسول بأن يكون مادحه الأول ومن دون منازع:
چون زبان ملك سخن دار، من از صدر رسول

در سر و ستار، منشور زبان آوردم
بلکه در مدح رسول الله، با توقيع رضاش

بر جهان، منشور ملك جاودان آوردم

النتيجة:

نخلص الى أن مدح الرسول جار على السنة الشعراء، بدأ من أيام الرسول (ﷺ) وسيبقى ما بقي الدهر وقد اهتم الكثير من الشعراء بما أحرزه حسان بن ثابت في مجال المدح النبوي فذكروا اسمه بين طيات أشعارهم واستطاع خاقاني شرواني أن يثبت لنفسه لقب حسان العجم في هذا الميدان اذ كانت غايته مدح الرسول (ﷺ) من جهة وإثبات مقدرته الشعرية وتفوقه على أقرانه ومنافسته بمقارنة نفسه مع حسان كونه شاعراً للرسول وقد استطاع أن يتناول مضامين المديح النبوي وأن يخرجها بحلة جديدة تبهر السامعين. وتميزت مدائحه عن مدائح حسان فقد تناول حادثة معراج الرسول بأدق جزئياتها وخصص لها قصائد طويلة وأسهب كثيراً في وصفها الأمر الذي لاجده في شعر حسان مع أنه عاصر الرسول وشهد هذه المعجزة العظيمة إلا أن ديوانه يخلو من ذكر هذه الحادثة المهمة في تاريخ الاسلام كما أن خاقاني كان يعمد ومن خلال شعر المديح النبوي الى الفخر ببيانه الشعري الذي يسمو به ويؤوه المقام الرفيع الأمر الذي نجده بصورة مغايرة في شعر حسان اذ نجد المدح النبوي في ثنايا الفخر بالمسلمين وبأنصار الرسول كما أن الحوادث المتلاحقة في زمن الرسول لم تسمح لحسان بأن يستفرغ للمحسنات البديعية واللفظية في شعره فسرده في البداهة وبما يتناسب مع الظرف الموجود وجاءت قطعاته وأغلب قصائده الاسلامية زاخرة بوصف الجزئيات الدقيقة والوقائع التي شهدها المسلمون في تلك الأيام أما خاقاني فقد ركز في مدائحه على أوصاف الرسول وشمائله وأكد على هذه المعاني الى حد كبير ولربما كان يقصد بذلك أن يتعمق في موضوع يتلاءم مع ما يطمح اليه من الشهرة وإثبات الذات من خلال مقارنة نفسه مع شاعر الرسول في مدح شخص أعظم الكائنات وأشرفهم والفتنن بأبهى وأروع الصور ويمكننا أن ندمج هذه التشابهات والاختلافات بين الشاعرين فيما يلي:

- ١ - خصص كل من الشاعرين جزءاً كبيراً من شعرهما لمدح الرسول (ﷺ) وكان للأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة في زمن كل منهما دور مهم في هذا المديح.
- ٢ - أفرد خاقاني قصائد طويلة لمدح الرسول الأمر الذي اقتصر فيه حسان على

قطعات قصيرة وجاء مدحه للنبي الأعظم من خلال أشعار الفخر بالمسلمين وهجاء الكفار وثناء الرسول الذي وجد فيه الشعراء من بعده منبعاً غنياً فنهلوا من هذه المعاني ومدحوا سيد البشر.

٣- صدق العاطفة ملحوظ عند كل منهما وثبتتها لحسان أكثر من خاقاني كونه عاصر الرسول وعاش أحداث تلك الفترة المهمة.

٤- من خصوصيات المدح النبوي عند الشاعرين وصف الجزئيات الدقيقة، حسان وصف وقائع وأحداث تلك الفترة و خاقاني وصف شمائل ومحاسن الرسول (ﷺ).

٥- جاءت صفات الرسول في شعر حسان بشكل متتابع ومتلاحق لتدل على الاضطراب الذي يعيشه الشاعر في تلك الفترة والذي انعكس بشكل مباشر في ألفاظه ولغته فجاءت لغته سهلة وتقريرية كما أنها أثرت في صورته أما خاقاني فقد أفرد أبياتاً عدة لمدح الرسول وجاءت لغته جزلة قوية وجاء بصورة جديدة لم نألفها من قبل.

٦- لم يذكر حسان معجزة المعراج في شعره أما خاقاني فقد أولاه اهتماماً خاصاً وخصص لها قصائد طويلة.

المصادر والمراجع:

بالإضافة الى القرآن الكريم ونهج البلاغة:

- ١ - الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، شرح محمد مفيد قميحة، دار بيروت ودار الكتب العلمية ١٩٩٣.
- ٢ - الدهان سامي، المديح، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ.
- ٣ - الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ٤ - حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤.
- ٥ - حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الثالثة، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٣.
- ٦ - خاقاني شرواني، ديوان، ويراسته جلال الدين كزازي، چاپ مركز، ١٣٧٥.
- ٧ - خاقاني شرواني، تحفة العراقيين، تصحيح يحيى قريب، چاپ تهران، ١٣٣٣.
- ٨ - خاقاني شرواني، ديوان، كوشش ضياء الدين سجادي، چاپ سوم، گلشن، ١٣٦٨.
- ٩ - مبارك زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، مطبعة مصطفى باني الحلبي، مصر ١٩٣٥.
- ١٠ - محمود محمد سالم، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الاولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٤.

الهوامش:

- ١ - محمود محمد سالم، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الاولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٤، ص ٤٧ - ٤٨.
- ٢ - القرآن الكريم، ص / ٤٤.
- ٣ - القرآن الكريم، القلم / ٤.
- ٤ - الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، شرح محمد مفيد قميحة، دار بيروت ودار الكتب العلمية ١٩٩٣، ص ٣٤٧.
- ٥ - مبارك، زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، مطبعة مصطفى باني الحلبي، مصر ١٩٣٥، ص ١٨.
- ٦ - نفس المصدر، ص ١٨.
- ٧ - محمود سالم، نفس المصدر ص ٥٦ - ٥٧.
- ٨ - مبارك، نفس المصدر، ص ١٧.
- ٩ - ديوان خاقاني شرواني، ص ١٤٨.
- ١٠ - نفس المصدر، ص ٨٤٨.
- ١١ - ديوان حسان بن ثابت، ص ١٣٤.
- ١٢ - ديوان خاقاني ص ١٣.
- ١٣ - تحفة العراقيين خاقاني، تصحيح يحيى قريب ص ١٥٢.
- ١٤ - ديوان حسان ص ١٥٤.
- ١٥ - تحفة العراقيين ص ١٠٦.
- ١٦ - ديوان خاقاني، ص ٢٦.
- ١٧ - ديوان حسان، ص ١٣٤ - ١٣٥.
- ١٨ - نفس المصدر ص ١٤٣.
- ١٩ - ديوان خاقاني، ص ٣١.
- ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٦.
- ٢٣ - الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، القاهرة، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص ٢١٧.
- ٢٤ - ٢٥ - ديوان حسان، ص ١٣٨.
- ٢٦ - تحفة العراقيين، ص ٢٣٦.
- ٢٧ - ديوان حسان، ص ١٤٠.
- ٢٩ - تحفة العراقيين، ص ١٤١.

- ٣٠-٣١- ديوان خاقاني ص ٣٥٣-٤٣٥.
 ٣٢-٣٣-٣٤-٣٥- ديوان حسان ص ١٥٧-٦٦-١٣٤.
 ٣٦-٣٧- ديوان خاقاني ص ٧٢٣-٢١.
 ٣٨- ديوان حسان ص ١٣٤.
 ٣٩-٤٠-٤١- ديوان خاقاني ص ٦٧.
 ٤٢- ديوان حسان ص ٣٧٥-٣٧٦.
 ٤٣- ديوان خاقاني ص ١٣-١٤.
 ٤٤- تحفة العراقيين ص ١٥٥-١٥٦.
 ٤٥-٤٦- ديوان حسان ص ٣٨٠-٣٥٥.
 ٤٧-٤٨- ديوان خاقاني ص ٢١-١٨١.
 ٤٩- ديوان حسان ص ١٤٧.
 ٥٠- ديوان خاقاني ص ٢٧.
 ٥١-٥٢- ديوان حسان ص ١٥٣-١٥٣.
 ٥٣-٥٤- ديوان خاقاني ص ٢٦-٣٨٠.
 ٥٥- ديوان حسان ص ٦٦.
 ٥٦- ديوان خاقاني ص ٦٧.
 ٥٧-٥٨- ديوان حسان ص ١٨٣-٦٦.
 ٥٩- ديوان خاقاني ص ٢٦.
 ٦٠- ديوان حسان ص ١٥٥.
 ٦١-٦٢-٦٣- ديوان خاقاني ص ٣١-١٧-٣٤٥.

تاريخ الطب في ايران الاسلامية

قيس آل قيس

استاذ الأدب العربي بدورة الماجستير معهد
العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

ظهور العلوم الطبية :

من المؤكّد أنّ البحث عن نشأة العلوم الطبية أمرٌ ليس بالهين بل هو عسيرٌ جداً يُعَدُّ العهد، وتباين الآراء فيه منذ القدم، ولم نجد لذوي الآراء الصادقة قولاً مرجحاً يعتمد عليه، والآراء السائدة في هذا المضمار تنقسم الى قسمين، القسم الاول يقول بقدمه ويعتبرونه كأحد الأشياء القديمة لم تزل مُدْكَانت، مثل خلق الانسان، والقسم الثاني يقول بخُدُوئِهِ، وهم فريقان: فريقٌ يقول إنّ الطب خلق مع الانسان لأنّه من الأمور التي بها صلاح البشرية، وفريقٌ يقول أنّ العلوم الطبية أُسْتُخْدِثَتْ فيما بعدُ، وهم طائفتان:

الطائفة الاولى تقول أنّ الله سبحانه وتعالى ألهم هذه العلوم الانسان، وهم أنصار آراء جالينوس (Galenos) وبُقراط (Hippocrate) واصحاب القياس. والطائفة الثانية تقول أنّ الانسان قد اكتشف هذه العلوم واستخرجها نتيجة تجاربه وهم انصار ثاسلُوس (Thessalos) وفيلن، وهؤلاء مختلفون أيضاً في الوضع الذي اسْتُخْرِجَتْ بِهِ.

يقول قسمٌ منهم أنّ المصريين هم الذين استخرجوها، ويقول القسم الآخران هِرْمُس (Hermes)^١ هو الذي استخرج الطب والفلسفة، وهناك طائفة تقول أنّ أهل «فولوس» أو أهل «موسيا» و«أفروجيا» كانوا يعالجون الناس بايقاعات وألحان المِزْمَار، وبعضهم

يقول أن حكماء أهل «قو» وهي الجزيرة التي كان بها بقراط وآباؤه هم الذين اكتشفوا الطب وعلومه.

واغلب المؤرخين القدماء يعتقدون أن الطب ظهر في جُزُرٍ ثلاث هي: جزيرة رُودس (Rhodes) إحدى جزر الأرخبيل اليوناني قرب الساحل الغربي الجنوبي من تركيا الآسيوية، وجزيرة قَيِّدَس وهي جزيرة صغيرة في دوديكانيز (Dodecanese) في أرخبيل سبوراد، وجزيرة قُو (Cos) في غرب مجمع الجزائر في بحر إيجه مَوْطِنُ بَقْرَاطٍ. وروى أن الكلدانيين (وهم سكان جنوب العراق في الألف الأول قبل الميلاد) هم الذين استخرجوا العلوم الطبية، وقيل السحرة من أهل اليمن في جنوب الجزيرة العربية، وقيل سحرة بابل العراق أو سحرة بلاد فارس (إيران)، ويقول البعض إن أول من استخرج هذه العلوم أهل جزيرة كريت (Crete) اليونانية، وقيل أهل طُور سينا وهي بلدة في جزيرة سينا جنوب غربي جبل موسى على قناة السويس.

أما الذين قالوا بأن الله سبحانه وتعالى ألهم الإنسان هذا العلم (وهم انصار جالينوس وبقرات كما ذكرنا) فيعتقد بعضهم «هو إلهام بالرويا» حيث أن جماعة رأوا في منامهم أدوية استعملوها في اليقظة فشفتهم وشفت من استعملها بعدهم.

والبعض الآخر يعتقد أن الإلهام كان بالتجربة حيث استعمل الإنسان بعض النباتات صدفة فكان فيها الشفاء، فاشتهرت بين الناس وعم استعمالها، وساد أمر التجربة بين أرباب هذه المهنة.

وأما الذين قالوا: إن الله خلق صناعة الطب مُذ خلق الإنسان لأنه من الأمور التي بها صلاح البشرية، واحتجوا في ذلك بأنه لا يمكن لعقل الإنسان أن يستخرج هذا العلم. ورأيت في طبقات الأطباء نقلاً عن تفسير كتاب الإيمان: «وأما نحن فالأصوب عندنا والأولى أن نقول أن الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب وألهمها الناس، وذلك أنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذي هو بالحقبة فقط يمكنه خلقه».^٢

الطب قبل التدوين :

اتَّفَقَ أَكْثَرُ الْمُؤَرِّخِينَ وَرِجَالِ الْعُلُومِ الطَّبِيَّةِ أَنَّ «أَسْكَلِيبِيُوسَ - Asclepios» أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّبِّ عَلَى طَرِيقِ التَّجَرِبَةِ وَانْكَشَفَتْ لَهُ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْعِلَاجِ وَالتَّمْرِیْضِ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ فَعَظَّمَهُ أَهْلُ بَلَدِهِ حَتَّى صَارَ عِنْدَهُمْ إِلَهَ الطَّبِّ، لِأَنَّهُ أَبْرَأُ الْمَرْضَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ مِنْ بَرِّهِمْ وَلَمَّا شَاهَدَ النَّاسُ أَفْعَالَهُ ظَنُّوا بَعْضُ الْعَامَّةِ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى.

وَعَاشَ أَسْكَلِيبِيُوسُ قَبْلَ الطُّوفَانِ بِخَمْسَةِ قُرُونٍ وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ عَلَّمَ ابْنَاءَهُ صِنْعَةَ الطَّبِّ مُشَافَهَةً وَحَذَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعَلِّمُوهَا الْغُرَبَاءَ.

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْهُ أَفْعَالٌ تُلَبِّقُ بِالْخُرَافَاتِ لَا بِالْحَقَائِقِ الْعَقْلَانِيَّةِ.

وَخَلَّفَ «أَسْكَلِيبِيُوسُ» هَذَا اثْنَيْنِ مَاهِرَيْنِ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَعَهْدَ إِلَيْهِمَا أَنْ لَا يُعَلِّمَا الطَّبِّ إِلَّا لِأَوْلَادِهِمَا وَأَهْلِ بَيْتِهِمَا، وَأَنْ لَا يُدْخِلَا فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ غَرِيبًا.

وَأَتَمَّ مَسِيرَةَ «أَسْكَلِيبِيُوسَ» تَلَامِذَةٌ مِنْ آلِ بَيْتِهِ، وَهَم: مَسَاغِيثُسُ، وَسُفَرَاتُونُ، وَخَرْوِسِيثُسُ، وَمِهْرَارِيثُسُ، وَمُورِيْدِسُ، وَمِيْسَاوُسُ. وَكَانَ هَؤُلَاءُ يَتَنَحَّلُونَ رَأْيَ أَسْتَادِهِمْ، وَهُوَ رَأْيُ التَّجَرِبَةِ، وَلَمْ يَزَلِ الطَّبِّ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ التَّلَامِيزِ مِنْ جَدِّ لِأَبٍ وَنَجْلِ وَحَفِيدٍ إِلَى أَنْ ظَهَرَ: غُورْسُ (Gors)، وَهُوَ ثَانِي حُذَّاقِ الْأَطْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ بَعْدَ «أَسْكَلِيبِيُوسَ»، وَخَلَّفَ مِنَ الْأَطْبَاءِ بَيْنَ وَلَدٍ وَحَفِيدٍ سَبْعَةَ أَشْخَاصٍ وَهَم: مَرْقِسُ، وَجُورْجِيثُسُ، وَمَالِسِطُسُ، وَفُولِسُ، وَمَاهَالِسُ، وَأَرَسْطُوطَاطُسُ الْأَوَّلُ، وَسَقِيْرُوسُ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ يَتَنَحَّلُ رَأْيَ أَسْتَادِهِ وَهُوَ رَأْيُ التَّجَرِبَةِ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ مِيْنِسُ (Menes) وَهُوَ ثَالِثُ الْأَطْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ حَيْثُ جَدَّدَ النَّظَرَ فِي نَظَرِيَةِ الْآبَاءِ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّجَرِبَةِ وَضَمَّ إِلَيْهَا الْقِيَاسَ، وَقَالَ: لَا تَجَرِبَةُ بِلَا قِيَاسٍ لِأَنَّ التَّجَرِبَةَ تَكُونُ خَطَرًا عَلَى حَيَاةِ الْمَرِيضِ، وَخَلَّفَ مِنَ التَّلَامِيزِ أَرْبَعَةً، وَهَم: قَطْرُطُسُ، وَأَمِيْثُسُ، وَسُورَانُسُ، وَمِيْنِيَاوُسُ الْقَدِيمُ، حَيْثُ عَمِلُوا بِطَرِيقَةِ الْقِيَاسِ وَالتَّجَرِبَةِ، وَلَمْ يَزَلِ الطَّبِّ يَتَنَقَّلُ مِنْ أَسْتَادٍ إِلَى طَالِبٍ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ بَرْمَانِيدِسُ (Parmenides)، وَكَانَتْ الْفَتْرَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيْنِسَ «٧١٥» سَنَةً، وَنَقَضَ بَرْمَانِيدِسُ نَظَرِيَّةَ الْأَقْدَمِينَ، وَقَالَ: «إِنَّ التَّجَرِبَةَ خَطَأٌ وَحَدِّهَا كَانَتْ أَمُّ مَعَ

القياس»، ثم اتَّخَذَ القياس مَذْهَبًا.

وبعد وفاته خَلَفَ ثَلَاثَةُ تَلَامِيذٍ وَهُمْ: ثَاسِلُسُ، وَأَفْرِنُ، وَدُيُوفِيلُسُ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الْخِلَافُ، فَاتَّخَذَ أَفْرِنُ التَّجَرِبَةَ مَذْهَبًا، وَاتَّخَذَ دُيُوفِيلُسُ الْقِيَاسَ مَذْهَبًا، أَمَّا ثَاسِلُسُ فَاتَّحَلَّ الْحِيلِ، وَقَالَ: «إِنَّمَا الطَّبْ حِيلَةٌ»، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْحَالُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَ أَفْلَاطُونُ بَعْدَ ٧٥٣ سَنَةً. وَعِنْدَمَا ظَهَرَ أَفْلَاطُونُ (Phaton): وَجَدَ الْقَوْمَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ كَمَا ذَكَرْنَا أَعْلَاهُ فَنَظَرَ مَقَالَاتِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّ التَّجَرِبَةَ وَحْدَهَا رَدِيئَةٌ وَخَطِيرَةٌ، وَالْقِيَاسُ وَحْدَهُ لَا يَصُحُّ، فَاتَّحَلَّ الرَّائِيَيْنِ جَمِيعًا، وَأَسْقَطَ رَأْيَ أَصْحَابِ الْحِيلِ وَمَنِ اتَّحَلَّ رَأْيًا وَاحِدًا مِنَ التَّجَرِبَةِ وَالْقِيَاسِ، وَعِنْدَمَا تَوَفَّى أَفْلَاطُونُ خَلَفَ سِتَّةُ تَلَامِيذٍ مِنْ أَوْلَادِهِ وَاقَارِيهِ، وَهُمْ:

١- مِيثْرُونِسُ: وَأَفْرَدَهُ بِالْحُكْمِ عَلَى الْأَمْرَاضِ.

٢- فُورُونُوسُ: وَأَفْرَدَهُ بِمُعَالَجَةِ الْأَبْدَانِ.

٣- فُورَاسُ: وَأَفْرَدَهُ بِالْفَصْدِ وَالْكَيِّ.

٤- ثَافُرُورَسُ: أَفْرَدَهُ بِعِلَاجِ الْجَرَاحَاتِ.

٥- سَرُجِسُ وَأَفْرَدَهُ بِعِلَاجِ الْعَيْنِ.

٦- فَاينِسُ وَأَفْرَدَهُ بِجَبْرِ الْعِظَامِ الْمَكْسُورَةِ وَاصْلَاحِ الْمَخْلُوعَةِ.

وَلَمْ يَزَلِ الطَّبُّ يَجْرِي عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِلَى أَنْ ظَهَرَ «أَسْقَلِيْبُوسُ الثَّانِي».

أَسْقَلِيْبُوسُ الثَّانِي: سَارَ عَلَى الدَّرْبِ الَّذِي رَسَمَهُ أَفْلَاطُونُ، وَخَرَّجَ ثَلَاثَةَ طُلَّابٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ لَا غَرِيبَ فِيهِمْ وَلَا طَبِيبَ سِوَاهُمْ، وَهُمْ: بُقْرَاطُ، وَمَاغَارِيثُسُ، وَأَرْخَسُ وَمَا هِيَ إِلَّا فِتْرَةٌ حَتَّى تَوَفَّى مَاغَارِيثُسُ، وَشَاءَتْ الْأَقْدَارُ أَنْ يَتَّبِعَهُ بَعْدَ مَدَّةٍ الطَّبِيبُ الْآخَرُ أَرْخَسُ، وَبَقِيَ بُقْرَاطُ وَحِيدَ زَمَنِهِ طَبِيبًا كَامِلَ الْفَضَائِلِ تُضَرَّبُ بِهِ الْأَمْثَالُ، وَعَلِمَ الْغُرَبَاءُ الطَّبَّ وَجَعَلَهُمْ كَأَوْلَادِهِ، وَبِفَضْلِ بُقْرَاطِ الْحَكِيمِ خَرَجَ الطَّبُّ مِنْ دَائِرَتِهِ الْمُغْلَقَةِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ.

تَذْوِينُ الْعُلُومِ الطَّبِيَّةِ:

إِتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ عِلْمَ الطَّبِّ، بُقْرَاطُ الْحَكِيمِ (Hippocrate) الَّذِي

ولد في جزيرة قوس (Gos) باليونان نحو سنة ٤٦٠ ق.م، وتوفي سنة ٣٧٧ ق.م، ونُقِلَتْ مُصَنَّفَاتُهُ الى العربية، منها: كتابُ تَقْدِيمَةِ المعرفة، وكتابُ طَبِيعَةِ الانسان^٣. وكان في زمن أردشير شاه من مُلُوكِ الفُرس، وكان يسكنُ جِمَصَ من مُدُنِ الشَّامِ.

ثمَّ ظهر من بعده جالينوس الحكيم (Galenos) (نحو ١٣١-٢٠١ م) امامُ أطباء عصرِهِ وصاحب الاكتشافات الخطيرة في التَّشْرِيح، ومُؤَلِّفُ الكتب الجليلة في الطبِّ وغيره ومؤلفاتُهُ تَنيفُ على ستين تأليفًا، وهو من اكبر مراجع اطباء العرب والمسلمين.

ثمَّ أتمَّ مسيرتهُما فيلغريوس (philigarius) وهو طبيبٌ وجراحٌ اشتهر بين الاطباء المسلمين بكتابه (أمراض اللثة والاسنان) الذي ترجمه الى العربية ثابتُ بنُ قُرَّة بن زَهْرَوْن الحرَّاني (٢٢١-٢٨٨ هـ).

اوريباسيوس (Oribasios)، (٣٢٥-٤٠٠ م) ولهذا الطبيبُ شهرةٌ واسعة لدى أطباء الأمصار الاسلامية له كُنَاشُ في الطبِّ ترجمَهُ حنينُ بنُ اسحاقَ الطَّبِيبِ (١٩٤-٢٦٠ هـ) الى العربية. ثمَّ سادتْ بعد هؤلاء سَجِيَّةُ تَدْوِينِ المُولَفَاتِ الطَّبِيةِ حَتَّى وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر، كما سنذكرُ في الفصول الآتية.

الطبُّ في الإسلام:

المقصودُ من الطبِّ في الاسلام هي التعاليمُ الطَّبِيةُ التي وردت في القرآن المجيد، أو التي اقْتَبِسَتْ من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ على صاحبها وآلِهِ الفُ الصَّلَاةُ والسلام، ثمَّ انتشرتْ مع الفتوحات الإسلامية التي شملت أنحاء المعمورة، وعمل بها المسلمون أيَّما وُجْدُوا لاعتقادهم الرَّاسِخُ بالقرآنِ المجيدِ وتنفيذِ ما جاء به حَرْفِيًّا.

وقد اشار القرآن الكريم الى الماء وهو عنصرُ الطَّهَارَةِ في ٦٣ آيةً وَعَيَّنَ دَوْرَهُ الفَعَّالَ في النَّظَافَةِ، ابتداءً من الوضوءِ للصلاة وانتهاءً بانواع الطَّهَارَةِ والغسلِ الواجب والاستحمام، وَمِنْ دَرَسِ القرآنِ المجيدِ يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ القرآنَ لم يَهْتَمَّ بالعلاجِ فقط وإنَّما تجاوزَهُ الى الوقايةِ قبل المرضِ حيثُ قال عزَّ وجلَّ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^٤، «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ»^٥.

وقال الرسول الأكرم ﷺ: «العلمُ علماً، عِلْمُ الأبدانِ، وعِلْمُ الأديانِ» ويظهر من هذا أنَّ الرُّسُولَ ﷺ كان يُقدِّمُ العلمَ المُتعلِّقَ بالبَدَنِ، على العلمِ المُتعلِّقِ بالدينِ، كما كانت أحاديثُهُ ﷺ في هذا المضمار قد جَلَبَتْ أنظارَ عُلَمَاءِ الطَّبِّ من القرنِ السابعِ الميلادي إلى يومنا هذا، منها:

قال ﷺ: «المِعْدَةُ بَيْتُ كُلِّ دَاءٍ وَالْحِمِيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ».

وقال ﷺ: «شَرْبُ الألبانِ مَحْضُ الإِيمَانِ».

وترك لنا الرُّسُولُ الأكرمُ مجموعةً كبيرةً من التَّعاليمِ الطَّيِّبَةِ مَقْسَمَةً على ثلاثة فُئُونٍ:

١- قواعد الطَّبِّ.

٢- الأدوية والأغذية.

٣- علاج الأمراض.

وقَدْ جَمَعَهَا عددٌ من العلماء في كتابٍ وسَمَّوهُ: «الطَّبُّ النبوي»، منهم: أبو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأصفهانيُّ المتوفى سنة ٤٣٠هـ، وأبو العباس جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ، وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وطُبِعَ الكتابُ في مصر سنة ١٣٤٦هـ. ق. طباعة حديثة في ٢٧٩ صفحة.^٦

وقد سارَ على هذا النَّهْجِ الأئمةُ الأطهارُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حيث وصلنا من هذا التُّراثِ «طَبُّ الإمامِ الصادقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» طبع في النجف الأشرف طباعة حديثة سنة ١٣٧٤ هـ. ق.، و«طَبُّ الإمامِ الرضا» تأليفُ الإمامِ عليِّ الرضا ابنِ الإمامِ موسى الكاظمِ عليهما وعلى آبائيهما السلامُ، وقد طُبِعَ هذا الكتابُ ضمنَ المجلدِ الرابعِ عَشَرَ من كتابِ بحار الأنوار، وبشكلٍ كتابٍ مستقلٍّ في بغداد (وبدون تاريخ) باهتمامِ الدكتورِ صاحبِ زيني في ١٧٠ صفحة.

الطَّبُّ الإسلاميُّ :

مَنْ المُتَّفَقُ عليه تاريخياً أنَّ الطَّبَّ الإسلاميَّ امتدادٌ للطبِّ الفارسيِّ واليونانيِّ والاسكندرانيِّ، وأنَّ كافَّةَ أطباءِ العصرِ الإسلاميِّ قد استندوا في دراستهم على مصادرٍ وآثارِ علماءِ الأقطارِ المذكورة. ونهضَ بأعباءِ النهضةِ الطَّيِّبَةِ رجالٌ من كافَّةِ أرجاءِ البلدانِ

الاسلامية، وقاموا باعمال مهمة منها ترجمة المصنفات والمؤلفات من اللغات المختلفة الى اللغة العربية والتي تُعتبر لغة العلم والثقافة في ذلك الأوان. وكان أغلب هؤلاء العلماء المسلمين من غير العرب، لذا فقد نسب اكثر المؤرخين هذه العلوم الى العرب بدل الاسلام وذلك لأنهم اعتبروا لغة الدين والقرآن والتي تكلم وكتب بها كل مسلم لغة قوم، وخلطوا بين الطب الاسلامي والطب العربي.

كما أن أشهر أطباء الاسلام هم من خريجي جامعة جُندي سابور (جندي شاپور)، رحلوا بعلومهم الى البلاد العربية وكان فخرهم أنهم من منتسبي جندي سابور.

ومما تجدر الإشارة اليه هو أن العلوم الطبية في الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام كانت علوماً بدائية ونتيجة لامتزاجها بالعلوم الطبية للدول الاسلامية الاخرى فقد صار لها شأن مرموق، وكانت اللغة العربية هي السائدة في كافة الاقطار التي آمنت بالاسلام ديناً والقرآن كتاباً ومحمد ﷺ رسولاً، لذا دُوِّنت كافة العلوم بلغة الدين الجديد الذي يحمل رسالة الهداية والإصلاح ولواء الحرية والعدالة ومشعل الرحمة والقوة، كي يعمر الارض والنفس بالعمران والايمان، وبما أن الطب قد شارك العلوم بهذه الميزة فأننا سنستعرض تاريخ العلوم الطبية الايرانية والاسلامية ضمن إطار واحد.

الأطباء المسلمون :

لقد حافظت جامعة جندي سابور على مكانتها العلمية البارزة التي تميّزت بها قبل الإسلام خلال القرن الأول والثاني الهجري (أي: قبل التمرکز العلمي في بغداد) وبعده وقدّمت أطباء ملأت شهرتهم العالم أمثال جورجس بن جبرائيل المتوفى سنة ١٥٢هـ، عيسى بن صهار بخت المتوفى سنة ١٦٥هـ عيسى بن شهلانا المتوفى سنة ١٦٨هـ، وبخت يشوع الكبير بن جورجس المتوفى حوالي سنة ١٨٠هـ، وأبي يوحنا ماسويه المتوفى بعد سنة ٢٠٠هـ، وجبرائيل بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢١٣هـ، وميخائيل بن ماسويه المتوفى سنة ٢٢٠هـ، ويوحنا بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ، وسابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وبخت يشوع بن جبرئيل بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢٥٦هـ،

ويوحنا بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢٩٠هـ، وغير هؤلاء^٧. وقد اُعتَبِرَ المحققونَ والمُؤرِّخونَ طبَّ جندي سابور القاعدةَ العريضةَ التي يَسْتَنِدُ عليها الطبُّ الإسلامي، وأساتذة جُنْدِي سَابُورِ اساتذة مدرسة الطبِّ الإسلامي حيثُ قَدَّمَ هؤلاءِ خَدَمَاتٍ طَبِّيةً جَلِيلَةً شَمَلَتْ أَرْجَاءَ الْعَالَمِ الإسلامي. وهنا يجبُ أن لا ننسى دَوْرَ الْأَطْبَاءِ النَّسَاطِرَةِ (Nestorians) أتباع بطريرك القسطنطينية (Nestorius) حيثُ قَدَّمُوا خَدَمَاتٍ جَلِيلَةً يَنْقُلُهُمُ الْعُلُومُ الْيُونَانِيَّةُ إِلَى مَنْطِقَةِ الشَّرْقِ الْاَوْسَطِ، وَالصَّابِئَةِ أَوْ الْحَرَائِيَّينَ وَهُمْ فِرْقَةٌ تُوَلِّهُ الْكَوَاكِبَ وَكَانَ مَقَرُّهُمْ فِي حَرَّانَ فِي بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ظَهَرُ مِنْهُمْ أطباءُ أَجْلَاءَ ذَكَرَهُمُ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ عَيُونُ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ، وَخَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلِيِّ فِي الْأَعْلَامِ، ج ٢، ص ١٨٢ «الحرَّاني»، حيثُ قاموا بترجمة الكتب السريانية إلى العربية، أو بتأليف كتبٍ في هذا المضمار، أو ادارتهم المُسْتَشْفَيَاتِ وَالبِمَارِسْتَانَاتِ وَمَعَالِجَتَهُمُ الْمَرْضَى، وَطَبَّ الْاِسْكَندَرِيَّةِ بِمِصْرَ حَيْثُ انْتَقَلَ إِلَيْهَا الطَّبَّ الْيُونَانِيُّ عَنْ طَرِيقِ اثْنَا (Athenes)، وَطَبَّ الْاَثْنَدَلْسِ انْتَقَلَ إِلَى الشَّرْقِ أَثْنَاءَ الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ بِقَرْطَبَةِ.

تَأْسِيسُ مَدِينَةِ جُنْدِي سَابُورِ وَجَامِعَتِهَا:

فِي سَنَةِ ٢٤١م جَهَّزَ فاليريانوسُ (Valerianos) امبراطور الروم حملةً على قبادوقية (كبادوكية) فاستحلَّها وانسحبَ الْاِيرَانِيُّونَ مِنْ تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ، وَظَهَرَ الطَّاعُونَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْجَيْشِ الرُّومِيِّ وَطَالَتْ مُدَّةُ الْحَرْبِ، وَفِي سَنَةِ ٢٥٩م (أو ٢٦٠م) أَسَرَ الْاِيرَانِيُّونَ الْاِمْبَرَاطُورَ الرُّومِي الْمَذْكُورَ فِي مَدِينَةِ الرَّهَّا^٨، ثُمَّ شَنُّوا حَمْلَةً عَلَى مَدِينَةِ اِنْطَاكِيَّةِ فِي سُورِيَا وَاسْرُوا عِدَدًا كَبِيرًا مِنْ جُنُودِ الرُّومِ، وَسَاقُوا الْاِمْبَرَاطُورَ الرُّومِيَّ وَجُنُودَهُ إِلَى جَنُوبِ اِيرانِ كِي يُسْتَخْدَمُوا فِي بِنَاءِ سَدِّ «الشَّاذِرْوَان» فِي مَدِينَةِ شُوشْتَرِ (وتعريبها: تُسْتَر، وَلَا يَزَالُ هَذَا السَّدُّ قَائِمًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ فِي تَنْظِيمِ مِيَاهِ الرِّيِّ)، وَبِنَاءِ مَدِينَةِ جُنْدِي سَابُورِ (جُنْدِي شَابُورِ)^٩ فِي خُوزِسْتَانِ بَيْنَ شُوشْتَرِ وَدَرْفُولَ وَبَعْدَ أَنْ تَمَّ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ عَدَّتْهَا جَمٌّ مِنَ الْاِيرَانِيِّينَ وَعَدَدٌ مِنَ الْأَسْرَاءِ الرُّومِ وَالْيُونَانِيِّينَ وَكَانَ بَيْنَ الْأَسْرَاءِ جَمْعٌ مِنَ الْأَطْبَاءِ

والمهندسين وأصحاب الحرف. وبعد وفاة سابور الأول الذي أمر ببناء السد ومدينة جُندي سابور، جلس على عرش المملكة سابور الثاني، وفي الأيام الأولى من سلطنته أمر بنقل العاصمة إلى جُندي سابور.

وروي أن اختلافاً قد وقع بين النساطرة والامبراطور الرومي مما أدى إلى لجوء عدد من العلماء إلى إيران وسكن أغلبهم هذه المدينة.

ونتيجة لتجمع أصحاب الحرف وأولي النهى والعلماء والمفكرين في هذه المدينة ومثابرة سابور الثاني في رفع مستوى العاصمة الجديدة فقد صارت المدينة مركزاً صناعياً مهماً للنسيج وصناعة العطور، واشتهرت هذه المدينة بجامعتها وعلومها الطبية.

وفي سنة ١٩هـ (٦٤٠م) دخل المسلمون خوزستان وأصبحت مدينة جُندي سابور مع مدين خوزستان الأخرى ضمن الامبراطورية الإسلامية.

أطبباء جُندي سابور :

كان لجامعة وبیمارستان جُندي سابور دور مهم في الطب الإسلامي، واستمرت أهمية هذا الدور الفعال إلى أواخر القرن الثالث الهجري، وكان لمدرسة جُندي سابور الفضل الأكبر على العلوم الطبية في العصر الإسلامي، حيث أخذت على عاتقها القسط الأوفر في أعداد الأطباء والصيادلة، وعلى رأس هؤلاء الأطباء أبناء بخت يشوع الذين خدموا العلوم الطبية حوالي ٢٥٠ سنة.

وكان الاساتذة في جُندي سابور قبل الاسلام خليطاً من الإيرانيين والسريانيين واليونانيين، وكان التدريس باللغة اليونانية، أما الفارسية فكانت تستعمل في علوم الصيدلة وتحضير الدواء، وتقدم الأطباء الإيرانيون في هذا المضمار حيث اقتبسوا علوم الأطباء الأجانب وأضافوا إليها اكتشافاتهم وتجاربهم فوصلوا درجة تفوق درجة الأطباء اليونانيين.

وكانت جامعة جُندي سابور تدرس الحكمة والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية كما خصصت لمدرسة الطب مستشفى يتمرن بها الطلبة. كما كان الطلاب يردون إلى هذه

الجامعة من المدُن الإيرانية والدُول المجاورة.

قال القفطي في تاريخ الحكماء، في ترجمة الحارث بن كلدة النَّفَّيُّ: «طبيبُ العرب في وقته، رَحَلَ إلى فارس وأخذَ الطبَّ عن أهلِ جندي سابور وغيرها في الجاهلية وقبل الإسلام...»^{١٠}.

جامعة جندي سابور وبغداد:

كانت علاقة جندي سابور ببغداد قائمةً على احضار أطباء هذه الجامعة إلى بغداد طَوْعاً أو كَرْهاً وللاسباب التالية:

١- قِلَّةُ الاطباء الحاذقين قبل المركزية الطبية ببغداد والشهرة الواسعة التي كانت يتمتع بها اطباء جندي سابور.

٢- قِلَّةُ الثقةِ بِعِلْمِ ومهارةِ الاطباء العرب من قبل الخلفاء والامراء في اوائل العصر العباسي.

٣- افراطُ الخلفاء والامراء في الغذاء والشراب وال...، ممَّا جعلهم يَتَلَوَّنُ بِأمراضٍ يَعْجَزُ الطبيبُ غيرُ الْمُتَفَوِّقِ مُعَالَجَتَهَا، لذا اضطرُّوا إِسْتِدْعَاءَ أطباء مُتَخَصِّصِينَ من جندي سابور.

٤- رغبةُ خلفاء بني العباس في جعل عاصمة مُلْكِهِم (والتي شُيِّدَتْ حديثاً) مركزاً للعلوم والفنون والآداب كي يَسْتَطِيعَ كوكبُ العلم في بغداد وتأقْلَ أنوارُ المراكز العلمية الاخرى كجامعة جندي سابور مثلاً.

٥- إِهْتِمُّ بعضُ خلفاء بني العباس كهارون الرَّشِيد (١٧٠-١٩٣هـ)، والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ) بترجمة العلوم اليونانية إلى العربية، والدورُ الفَعَّالُ المتميزُ الذي قام به علماء ايران.

وكانت أوَّلُ رابطةٍ حصلت بين بغداد وجندي سابور هي احضارُ جورجس الطبيب إلى بغداد من قبل الخليفة المنصور في القرن الثاني الهجري، قال القفطي في تاريخ الحكماء: «كان المنصورُ في صدر امرِهِ عندما بنى مدينة السلام ببغداد في سنة ثمانٍ وأربعين ومائة

للهجرة أدركه ضعف في معدته وسوء استمراء، وقلة شهوة، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه، فتقدم إلى الربيع (حاجيه) بجمعهم، فلما اجتمعوا قال لهم المنصور: أريد طبيباً ماهراً. فقالوا: ما في عصرنا أفضل من جورجس رئيس أطباء جندي سابور، فتقدم المنصور باحضاره. فأثقفه العامل بجندي سابور بعد ما امتنع عن الخروج، وأكرهه العامل فخرج ووصى ولده بخت يشوع بالبيمارستان...»^{١١}

أما تدريس الطب في بغداد فكان بواسطة أساتذة الطب القادمين من جندي سابور حيث اجتمع عدد من الطلبة في حلقة محاضرات جورجس بن بخت يشوع، وعيسى بن شهلان^{١٢} وكانت هذه الحلقات نواة مدرسة الطب في بغداد.

وكانت حلقة درس يوحنا بن ماسويه^{١٣} من الحلقات الناجحة فكان برنامجها الدراسي يشتمل على العلوم الطبية والفلسفة والحكمة والطبيعات، وقد تخرج منها عدد من كبار العلماء، منهم: الطبيب الفيلسوف ثابت بن قرة (٢٢١-٢٨٨هـ).

وقد ألف ثابت هذا ١٥٠ كتاباً^{١٤}، والفيلسوف الطبيب المنجم المترجم قسطا بن لوقا البعلبكي (٣٠٠-٤٠٠هـ) كان جيد العربية وله مؤلفات كثيرة وقام بتعريب عدد من المصنفات اليونانية^{١٥}، وحنين بن اسحاق الطبيب (١٩٤-٢٦٠هـ) وكان يجيد اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، عينه المأمون رئيساً لديوان الترجمة، وله كتب ومترجمات كثيرة تزيد على المائة^{١٦}، والمترجم المعروف الحجاج بن يوسف بن مطران، كان في زمن هارون الرشيد والمأمون، وترجم كتباً عديدة.

فكانت هذه التراجم أساساً للطب الاسلامي وكان لها الاثر الاكبر في تقدم العلوم الطبية، ودراسة هذه الكتب ساعد الكثير من طلبة العلوم في الوصول الى غاياتهم، ونتيجة لهذا فقد نبغ جماعة من الأطباء المسلمين، وأرثقوا بالعلوم الطبية الاسلامية الى أعلى المستويات.

ومما تجدر الإشارة اليه هو أن مستشفى جامعة جندي سابور كانت اكبر مستشفيات العالم في ما قبل الاسلام والى سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م حيث قرّر هارون الرشيد أن يُشيد مستشفى على طراز جندي سابور، فاستدعى الطبيب الايراني المشهور جبرائيل بن بخت

يشوع وأمره بإنشاء مستشفى في بغداد، فقام جبرئيلُ بإنشائها على هيئة جندي سابور، وعندها أتمَّ عمله عيَّته الرشيدُ رئيساً لهذه المستشفى والتي سُمِّيت بمستشفى الرشيد، ثمَّ جُلِبَ إليها الاطباء من جندي سابور منهم الطبيب والصيدليُّ المشهور أبو يوحنا ماسويه^{١٧} صيدليُّ جندي سابور المشهور وغيره كما وضع لها برنامجاً يُطابقُ برنامج جندي سابور وبعد مدةٍ أحال رئاستها الى دهشتك أحد اساتذة جندي سابور ولكنَّ دهشتك هذا لم يوفَّق في عمله فاستقال من منصبه مما اضطرَّ جبرئيل أن يُعيِّن أخاه ميخائيل بن بخت يشوع رئيساً للمستشفى المذكور واستمرَّ هذا التبادلُ الثقافيُّ والاسنادُ العلمي بين جندي سابور وبغداد من النُصفِ الثاني من القرن الثاني الهجري واستمرَّ طيلة الحكمِ العباسي.

ومن هذا يتبيَّنُ للقارئ العزيز مدى التبادل الثقافي والاسناد العلمي بين جندي سابور وبغداد، والدَّورُ الفعَّالُ للأطباء الإيرانيين في تقدُّم العلوم الطبيَّة وخصوصاً جامعة جندي سابور.

تاريخُ الطبِّ في ايران الإسلامية :

إنَّ تاريخ الطبِّ وحركة النمو والتكامل للعلوم الطبية في ايران الإسلامية يبدأ من سقوط الدَّولةِ الأمويَّة واستيلاء بني العباس على الخلافة في النُصفِ الأوَّلِ من القرن الثاني حيثُ بايع الناسُ أبا العباس السَّفَّاحَ بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢هـ ثم بنى مدينة الهاشمية قرب الانبار وجعلها مقرَّ خلافته، توفي السَّفَّاحُ سنة ١٣٦هـ، وولِّيَ الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور، وأمر سنة ١٤٥هـ ببناء مدينة بغداد، وبعد ذلك جعلها دارَ مُلكِهِ بدلاً من «الهاشمية» ثُمَّ دعا إليها علماء البصرة والكوفة، وعندما استقرَّ هؤلاء في بغداد بدأت حركة علميَّة وشكَّلت حلقات الوَعظ والحديث والفقه والاصول وعلوم العربية و...، وقصدها طُلَّابُ العلوم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ.

وبعد زمنٍ شَيِّدَتْ في الجانبِ الآخرِ لِديجَّةٍ محلَّةٍ باسم الكرخ يربطها

بيغداد جسرٌ على دجلة. وكان قاطبةً الايرانيين قد رجَّحُوا السُّكنى في جانب الكرخ كما شَيِّدَتْ أَوَّلُ بيمارستان بيغداد في الكرخ وكانت التَّوَاةُ لشجرة العلوم الطبية ونُقْطَةُ الانطلاق في تكوين المدرسة الطبية بيغداد وعمل بها أطباء ملأَتْ شُهْرَتُهُمْ عالم تلك الفترة أمثال آل بخت يشوع وغيرهم، وتوسَّعت بغداد في زمن الرشيد وصارت مركزاً للتمدُّن الاسلامي ونشر العلوم وخصوصاً موضوع بحثنا «العلوم الطبية» وذلك لان الخلفاء كانوا يحضرون الاطباء من البلاد المفتوحة الى بغداد وخاصةً اطباء جندي سابور، وكان لاساتذة جندي سابور الفضلُ الاكبر في نشر العلوم الطبية في العصر الاسلامي وتوطيد اركان دار العلم بيغداد وعلى رأس هؤلاء آل بخت يشوع حيث قدَّموا للعلوم الطبية الاسلامية خدماتٍ جليَّةً بين جدٍّ وأبٍ ونجلٍ وحفيدٍ وفي ستة اجيال وخلال ٢٥٠ سنة حيث كانوا سادة الطب والاطباء في ذلك العصر.

بيغدادُ مركز العلوم :

لو أخذنا بنظر الاعتبار ما ذكر في الفصل السابق نرى أهمية تلك العوامل في جعل بيغداد مركزاً للثقافة والعلوم في ذلك العصر، وازافةً الى تلك العوامل هناك عوامل اخرى كان لها الاثرُ في تمركز العلوم بدار السلام بغداد، منها: حركة ترجمة الكتب بواسطة علماء الدول المفتوحة كمصر والروم وايران حيث ترجمت الكتب العلمية اليونانية الى اللغة العربية، او الى السريانية ومنها الى العربية وخصوصاً كتب بَقْرَاطٍ وجالينوس، وهجوم علماء الاقطار على مركز العلوم الجديد للحصول على المكانة اللاتقة والثروة المنشودة، انتشار اللغة العربية لغة الدين الجديد في الاقطار المفتوحة، مَنَحُ الحريات للأفكار الواردة مما ادى الى ظهور مكاتب فكريَّةٍ جديدة، توجُّهُ طلبة العلم الى مراكز العلوم من أنحاء المعمورة.

وتكاثفت هذه الاسبابُ وغيرها مما أدَّى الى حلول المركزيَّة في بغداد وأقول المراكز العلمية في الاقطار الاخرى كجندي سابور.

الترجمة في العصر الإسلامي :

من المُتَّفَقِ عليه إنَّ ترجمة الكتب من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية قد راجت وترعرعت في العصر العباسي الأوَّل، أمَّا نشأة هذه الحركة فكانت قد بدأت منذ العصر الاموي حيث أمر مروان الاموي ماسرجوينة (ماسرجيس) ^{١٨} الطبيب (١٠٠٠-١٠١هـ) ترجمة كتاب طب (كناش) أهرن (هارون) بن أعين من السريانية الى العربية وكان في ثلاثة مقالات فترجمه ماسرجويه وأكمله بمقالتين وقد اشار اليه المؤرخون واعتبروه من أقدم التأليف العربية الطبية.

ولاقى هذا الكتاب في عهد عمر بن عبدالعزيز الاموي أهمية خاصة حيث أخرج من خزانة الكتب وجعل في يدي طالبيه.

وعندما وصل العباسيون الى الحكم في سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م جلس على عرش الخلافة أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)، وأبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)، والمهدي (١٥٨-١٦٩هـ)، والهادي (١٦٩-١٧٠هـ) فلم يكن للترجمة شأن مرموق خلال هذه الفترة وعندما ارتقى الرشيدُ العرش (١٧٠-١٩٣هـ) اهتم بالعلوم والآداب اهتماماً بالغاً، وكان لنهضة ورود العلوم اليونانية في عهده أثر بالغ في التمدُّن والتقدم العلمي، ثم جاء بعده ابنه المأمون (عبدالله بن هارون، ١٩٨-٢١٨هـ) وكانت أمه فارسيةً محبة للعلوم فرغبتُه على اتمام مسيرة والده، فسار على ذلك الدرب فسمت العلوم والمعارف في عهده حتى سُميت فترة الرشيد والمأمون بـ «العصر الذهبي».

وقد ذكرت لنا التواريخ أنَّ هارون الرشيد وبمساعدة وزيره البرمكي قد أمر بتعريب المصنَّفات العلمية اليونانية المُتيسِّرة في بغداد ولم يكتفِ بهذا بل أرسلَ من يُهييء مخطوطات المصنَّفات والكتب من بلاد الروم، فاشترى الوفدُ المُرسَلُ كتباً خطيةً يونانية كثيرةً أغلبها في العلوم الطبية، ثم أمر العلماء والاطباء بتعريب هذه الكتب، وهذا الامر قد اثرى مكتبة دار العلم ببغداد بالكتب العلمية وخاصة الكتب الطبية وقد تأسى عدد آخر من الحكام والامراء بخلفاء بني العباس فابتاعوا الكتب اليونانية وعربوها.

وكان للاطباء الايرانيين الذين أحضروا من جامعة جُندي سابور الى بغداد دور هام

في حركة تعريب المصنفات والكتب اليونانية.

ومن المتفق عليه هو أنَّ المصنَّفات اليونانية كانت تُترجمُ إلى اللغة السريانية ثمَّ من السريانية إلى العربية، وبعد مدَّةٍ صارَ التعريبُ من اليونانية إلى العربية مُباشرةً وكان التعريبُ قد شمل الكتب الفلسفية والطبية والعلمية ككتب أرسطو وبقراط وجالينوس وغيرهم من علماء وأطبَّاء اليونان والتي كانت قد مهَّدت السبيل للعلوم في عصر الخلافة العباسية.

وبلغت نهضة الترجمة أوجها في عهدِ المأمون، حيثُ أمرَ بحملِ المؤلفات الطبية والعلمية بحجم فاق حدَّ التصوُّر وتكادُ لا تُرى قافلة دخلت بغداد من مُدُن اليونان والروم بدون أن تحمل مجموعةً من هذه المؤلفات التي أرسلها العلماء الذين أرسلهم المأمون لهذه المهمة، لذا أصبحت بغداد كنزاً مشهوراً ودار ترجمةٍ واسعةٍ لتعريب المصنَّفات اليونانية.

مُترجمو الكتب العلميَّة والطبيَّة :

كان تعريب المؤلفات والمصنفات قبل الدولة العباسية قليلاً ومحدوداً، وعندما تشكَّلت الدولة العباسية اتخذت ترجمة الكتب مكاناً مرموقاً. وحينما يرغبُ أيُّ ذي بصيرة أن يُدوِّن موضوعاً ما عن التمدُّن الإسلامي لا يمكنُ أن يَغزو التقدُّم العلميَّ إلى العَرَب وحدهم أو لغير العرب (من الامصار المفتوحة) وحدهم، وبما أنَّ تاريخ الطبِّ في إيران جزءٌ من تاريخ الطبِّ الإسلامي لذا لا يمكنُ الفصلُ بينهما، وعلى مَنْ يُريدُ أن يخوضَ هذا البحرَ الزاخرَ عليه أن يبحثَ العلوم من المغرب العربي والأندلس إلى إيران وجماهيريات الاتحاد السوفياتي السابقة وتركيا والباكستان والبنغال والهند وما إليها والصين والتَّبت وما جاورها لوقوعها ضمن حدود الامبراطورية الإسلامية في عصرها الذهبي، ولكي لا نخرجَ عن الهدف المقصود من هذا المؤلف نكتفي هنا بذكر المُترجمين الإيرانيين :

١- ماسرجويه (ماسرجيس)، ذكره ابنُ النديم في الفهرست (الفن الثالث - من المقالة

السابعة، ص ٣٥٥) وقال: «من الأطباء، وكان ناقلاً من السرياني إلى العربي، وله من الكتب...». ثم ذكر في نفس الصفحة في ترجمة «أهرن القس»: «وعمل كتابه (الكناش) بالسريانية، ونقله ماسرجيس (إلى العربية) وزاد عليه مقاليتين».

٢- عيسى بن ماسرجيس: كان مترجماً مثل والده نقل من السريانية إلى العربية قال ابن النديم في المصدر أعلاه: «ولهُ من الكتب: كتاب الألوان، وكتاب الروائح والطعوم».

٣- آل بخت يشوع: وهُم عائلة مسيحية نسطورية خدمت العلوم الطبية بجندي سابور (جندي سابور)^{١٩} وبغداد خلال ثلاثة قرون منهم: بختيشوع الكبير، ثم جورجس بن بختيشوع الذي ترجم من اليونانية إلى العربية كتباً كثيرة (انظر الاعلام للزركلي، ج ٢، ص ١٤٣، وعيون الانباء لابن أبي أصيبعة، الباب الثامن، ص ١٨٣).

٤- يوحنا (يحيى) بن ماسوية (انظر ترجمته في هذا المجلد): قال صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص ٢٤٦: «قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون، ووضعه اميناً على الترجمة». وقد ألف يوحنا ٤٦ كتاباً ذكرناها في ترجمته وأشرنا إلى نسخها الخطية في مكاتب العالم المعاصرة.

٥- عيسى بن صهار بخت (چهار بخت)، كان طبيباً من أطباء جندي سابور، واستاذاً في الترجمة، ومنه أخذ يوسف بن عيسى الطبيب المترجم المعروف بيوسف الناقل.

وترجم عيسى بن صهار بخت المقالات الثلاث الاخيرة من تفسير جالينوس لكتاب «الفصول لابقراط» من السريانية إلى العربية، وأما الاصل السرياني فقد ترجمه حنين بن اسحاق من اليونانية إلى السريانية.^{٢٠}

٦- يوسف الناقل: هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطبب الناقل، ويُلقب بالناعس، وهو تلميذ عيسى بن صهار بخت، وكان يوسف الناقل من خوزستان وكانت في عبارته لكثرة.^{٢١}

٧- سهل بن ربن الطبري، انظر ترجمته في هذا المجلد، نُسب إليه ترجمة «المجسطي».

٨- عيسى بن ماسة، ذكره الدكتور نجم آبادي ضمن المترجمين^{٢٢}، انظر ترجمته في هذا المجلد.

٩- يوحنا بن بخت يشوع ترجم كثيراً من الكتب اليونانية الى السريانية، انظر ترجمته في هذا المجلد.

ونكتفي بهذا العدد من المترجمين الايرانيين ونرجو من يرغب المزيد مراجعة طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة، ص ٢٧٩-٢٨٤.

الكتب الطبية:

المعروف أن تدوين تاريخ الطب يشمل ترجمة حياة الاطباء والحكماء وآثارهم ومؤلفاتهم، وروى أن أقدم رسالة في هذا الموضوع هي رسالة اسحاق بن حنين (٢١٥-٢٩٨هـ) «تاريخ الاطباء والحكماء» بدأ منذ تاريخ ظهور الطب الى زمن الطبيب المشهور محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١هـ (انظر ترجمته في هذا المجلد)، ومما لا شك فيه أن كتباً قد سبقت رسالة ابن حنين في هذا المضمار ككتاب «قسم بقراط» المنسوب الى جالينوس، وتاريخ يحيى النحوي للاطباء والحكماء وقد ترجمه اسحاق بن حنين وضمه كتابه المذكور أعلاه، وكان مؤلف اسحاق مصدراً لكافة كتّاب تواريخ الطب من بعده، وهي:

١- كتاب قينون الترجمان (من القرن الثالث الهجري) وهو الذي قال فيه ابن النديم في الفهرست: «ومنهم قينون، وهو أصح الناقلين نقلاً وأحسنهم عبارةً ولفظاً»^{٢٣}.

وقد استند ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الانباء في طبقات الأطباء) على كتاب قينون المذكور ونقل عنه بعض التراجم. ولم أجد في المصادر الموجودة من يشير الى وجود هذا الكتاب في مكتبات العالم، ولعله قد فُقد.

ومما تجدر الإشارة اليه هو أن بعضهم ذكر اسمه «فثيون» والله أعلم.

٢- كتاب «أدب الطبيب» تأليف اسحاق بن علي الرهاوي (من ابناء القرن الثالث الهجري)، نقل عنه صاحب «عيون الانباء في طبقات الاطباء»، والتفطفي في «اخبار

العلماء باخبار الحكماء»، بعض التراجم، والظاهر أن هذا الكتاب قد فُقدَ أيضاً ولم يصل إلينا.

٣- تاريخ اليعقوبي، تأليف أحمد بن اسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي^{٢٤}، انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، طبعه (هوتسما)^{٢٥} في لندن سنة ١٨٨٣م طباعة حديثة، وفي النجف الاشرف سنة ١٣٥٨هـ وفيه الكثير من تراجم الاطباء.

٤- كتاب سيرة الحكماء، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ نقل عنه صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء، ولم يصل إلينا.

٥- أخبار الاطباء (المتطيين) واخبار المنجمين، تأليف ابن الداية، ينقل عنه ابن أبي أصيبعة في «عيون الانباء»، والقفطي في «اخبار العلماء»، كثيراً، وقد فُقدَ ولم يصل إلينا.

٦- كتاب «التنبية والاشراف»، تأليف المسعودي (علي بن الحسين) المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٦م، طبع في لندن - بريل سنة ١٨٩٣م طباعة حديثة، وتضمن الكثير من تراجم الاطباء.

٧- كتاب الفهرست لابن النديم، طبع مرّات عديدة، وهو من اهم المراجع في هذا المضمار.

٨- طبقات الاطباء والحكماء لابن جلدجل الاندلسي المتوفى سنة ٣٧٧هـ طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٥م.

٩- كتاب «رتبة الحكيم» تأليف ابي القاسم مسلمة بن احمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي^{٢٦}، الأندلسي^{٢٧}، انظر فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية بالقاهرة، ج ٥، ص ٣٨١ في الكلام على «رتبة الحكيم».

١٠- كتاب «صوان الحكمة» لأبي سليمان المنطقي (محمد بن طاهر بن بابا بن بهرام السجستاني) المتوفى في العقد الاخير من القرن الرابع الهجري، نشر بطهران سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، ويعتبر من اهم المصادر في تاريخ الطب.

١١- كتاب «مناقب الاطباء»، تأليف عبيد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع

المتوفى سنة ٤٥٣هـ. انظره في ترجمته في هذا المجلد.

١٢- طبقات الأمم، تأليف القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الاندلسي المتوفى سنة

٤٦٢هـ طبع في مصر وببيروت.

١٣- بُستانُ الاطباء وروضة الالباء، تأليف موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران

المتوفى سنة ٥٨٧هـ منه مخطوطة في:

Army Medical, Glevel and.U.S.A.

١٤- مختار الحكم ومحاسن الكلم، للأمير مبشر بن فاتك المتوفى سنة ٥٨٩هـ.

مخطوطة منه في مكتبة أحمد الثالث كتبت سنة ٦٥٨هـ، برقم ٣٢٤٩.

١٥- تاريخُ حكماء الاسلام للبيهقي المتوفى سنة ٥٩٥هـ طُبعَ بدمشق سنة ١٩٤٦م.

١٦- إخبار العلماء بأخبار الحكماء تأليف جمال الدين ابن القفطي (علي بن يوسف)

المتوفى سنة ٦٤٦هـ. طبع في مصر سنة ١٣٢٦هـ.

١٧- عيون الانباء في طبقات الاطباء تأليف ابن أبي اصيبعة (موفق الدين أبي العباس

احمد بن القاسم) طبع بمصر سنة ١٢٩٩-١٣٠٠هـ.

١٨- وفيات الأعيان، لابن خلكان، طبع سنة ١٨٣٥-١٨٤٣م.

١٩- تاريخ مختصر الدول، لابي فرج ابن العبري، وفيه نقل كثير عن ابن جَلْجَل، طُبعَ

في بيروت سنة ١٨٩٠م.

٢٠- مسالك الأبصار في ممالك الامصار^{٢٨}، تأليف شهاب الدين بن فضل الله العمري

المتوفى سنة ٧٤٩هـ أفرد فيه قسماً كبيراً للاطباء في المشرق والمغرب، طبعت دار

المعارف المصرية بالقاهرة الجزء الاول منه سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

أما في اوروبا، فنرى مؤرخي زمن بعد النهضة العلمية (نهضة تجديد العلوم =

Renaissance) قد وجهوا عنايتهم الى آثار علماء واطباء الاسلام ودوّنوا في مؤلفاتهم:

تاريخ الطب الاسلامي، ورجال الطب والصيدلة، والمؤلفين والنقل، ومن هؤلاء على

سبيل المثال لا الحصر:

١- «Danel Le Clerc» في كتابه تاريخ الطب

Histoire de La Medecine, La Haye, 1729.

٢- «Lucien Leclerc» في كتابه تاريخ الطب العربي

Histoire de La Medecine arabe, Paris, 1876.

٣- «F.Wustenfeld» في كتابه:

Geschichte der Arabischen Ärzte and Natur for cher, Gottingen 1840.

٤- «Edward G.Browne» في كتابه:

Arabian Medicine, Gambrige, 1921.

٥- «Dr.L.Meunier» في كتابه:

Histoire de la Medecine, Paris, 1924.

٦- «Dr.Donald Campbell» في كتابه:

Arabian Medicine and its influence on the Middle Ages, London, 1926.

٧- «Charles Green Cumston» في كتابه:

M.D (Mme Dispan de Floran) Paris, 1931.

٨- M.Steineg,

K.Sudhof,

في كتابهما:

Geschichte der Medizin, Jena 1928.

٩- A.Castiglioni في كتابه:

Histoire de la Medecine, Paris, 1931.

١٠- Ch.Singer في كتابه:

A Short History of Medicine, Dxford, 1938.

١١- Karl Brockelmann في كتابه:

Geschichte der Arabischen Litteratur, Leyden, 1937, 1943.

١٢- Dr.Cyril Elgood في كتابه:

A Medical History of persia, Cambridge, 1951.

وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية زميلنا الاستاذ المرحوم محسن جاويدان، وطبع في طهران (مطبعة اقبال) سنة ١٣٥٢ هـ. ش، في ٨٩٠ صفحة.

١٣- E.H. Ackerknecht في كتابه:

A short History of Medicine, New york, 1955.

١٤- Ralph H.Major في كتابه:

History of Medicine, 1954.

١٥- Douglas Guthrie في كتابه:

A Story of Medicine, London, 1957.

١٦- Dr.Henry F.Sigerist في كتابه:

A Story of Medicine, Newyork, 1961.

١٧- Maurice Bariety

Charles Coary

Histoire de la Medecine, Paris, 1963. في كتابهما:

ومن المتفق عليه أن كافة الكتب المذكورة أعلاه تعتبر من أمهات المراجع المعتمدة في عصرنا الزاهر، وقد استند مؤلفوها على مصادر التاريخ والطب الاسلامي.

عهد تجديد العلوم

بدأ عهد تجديد العلوم الطبية في ايران منذ ظهرت مؤلفات الجرجاني (السيد اسماعيل بن حسن) في ساحة العلوم الطبية، حيث ألف أربعة كتب باللغة الفارسية جمع فيها كافة العلوم الطبية السائدة في زمانه، و اضاف اليها ما حصل عليه من تجارب في حياته العملية.

وصارت مؤلفات الجرجاني الاساس الثابت في بناء علم الطب لطلاب العلوم وعشاق الصحة وعلومها والى كافة المؤلفين والمصنفين الذين اكملوا هذه المسيرة.

ومما يجبُ التَّوَيُّهُ عنه هو أنَّ جماعةً قبل الجرجانيّ قد دوَّنُوا بعض مؤلفاتهم بالفارسية واغلب مصنفاتهم كانت بالعربية كابن سينا وغيره، ولكنَّ الجرجانيّ اختار الفارسية لكتبه كما أوْجَدَ اصطلاحاتٍ فارسية للاصطلاحات الطبية السائدة في علوم زمانه ومن اطلع على كتابه «الذخيرة» يحصل على ما اقصد.

وقد إهْتَمَّ الايرانيون بمصنَّفات الجرجاني وكثُرَ استنساخُها وتداولُها، وذلك لانها حوت علوم كتب أبي زكريا الرازي، وابن سينا، مع علوم الجرجاني وتجاربه، وخاطبت الناس بلغة البيت والمدرسة والشارع ولسان القلب والضَّمير وكانت النتيجة أن سيطرت مؤلَّفاتُ الجرجاني على افكار كافة من آلف في العلوم الطبية أو الصيدلة من القرن السادس الى عصرنا الحاضر وكان كتابُ «الذخيرة» مصدر كل المصنَّفات التي ظهرت فيما بعدُ ككتاب «تحفة المؤمنين» المعروف بـ «تحفة حكيم مؤمن» تأليف محمد مؤمن بن محمد زمان الحسيني الشَّكَّائِيّ (طبع في الهند سنة ١٢٦٦هـ وفي طهران مرَّات عديدة آخرها سنة ١٣٧٨هـ. ق)، وكتاب «مجمع الجوامع» تأليف السيد محمد حسين خان بن مير محمد هادي العلوي الخراساني الشيرازي، طُبِعَ في كَلْكُتَا «Calcutta» بالهند سنة ١٢٥٦هـ. ق، وفي بومباي سنة ١٢٦٢هـ. ق، وغيرهما.

نعم لقد تمكَّنَ الجرجاني قبل تسعة قُرونٍ ان يُقدِّمَ نظرياتٍ تطابقُ أغلبَ نظريات الطبِّ في عصرنا الحاضر، ومن إطلَعَ على مؤلَّفاتِ الجرجاني يقف على مدى العطاء الذي قدَّمه بنتاجه العلمي للعلوم الطبية الشرقية والغربية، وتأثير هذا النتاج في السَّيْرِ التَّكَامُلِيّ للطبِّ في العالم.

تاريخُ المستشفيات في الاسلام:

١- أوَّلُ مستشفى في الاسلام خيمةٌ رفيدة، حيثُ رُوِيَ أنَّ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري الصَّحابي كانت له سيادةُ الأوس، وحملَ رايَتَهُم يوم بدر، وشهد الخندقَ ولكنه سُرعانَ ما أصيب في يده بجرحٍ شديدٍ من سهمٍ رماه به أحدُ القرشيين^{٢٩}، فأمرَ الرسولُ (ص) أن يُوضَعَ في خيمةٍ «رُفيدة» قُربَ المسجد الحرام، هو وبقية

الجرحى^{٣٠}، كي يتمكن الرسول الأكرم (ص) من زيارتهم. لذا اعتبر المؤرخون هذه الخيمة أول مستشفى في الإسلام.

٢- دارُ المرضى التي أسسها الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨هـ وجمع في فنائها المجذومين والعميان والمرضى وعيّن لها أطباء وممرضين وخدمة وأجرى عليها الصدقة من بيت المال.

٣- بيمارستان الرشيد^{٣١}: تأسست هذه المستشفى بأمر هارون الرشيد في سنة ١٧١هـ حيث طلب من طبيب جبرئيل بن بختيشوع أن يشيّد بها ويقيم بإدارتها، فاستدعى جبرئيل عدداً من الأطباء للإشراف على أمورها، منهم أبو يوحنا ماسويه الطبيب، وكان قبل ذلك طبيباً وصيدلانياً في جندي شابور، واستمر الخلفاء على احضار أطباء من جندي شابور وبقيت المستشفى في يدي أطباء إيرانيين في عهد الرشيد والمأمون ومن جاء بعدهما.

٤- بيمارستان البرامكة، أسسها البرامكة في بغداد في اواخر القرن الثاني الهجري، وكان رئيسها ابن دهن الهندي (راجع الفهرست لابن النديم - الفن الاول من المقالة السابعة - نقلة الهند والنبط - ص ٣٠٥ - طبعة طهران).

٥- بيمارستان بدر، أسسها بدر غلام المعتضد العباسي في بغداد بمحلة مخرم، قال ياقوت في معجم البلدان: «مخرم» بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الراء وتشديدها، محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المَعلى، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهيون والسلجوقيون، خلف الجامع المعروف بجامع السلطان... وكانت مصارف البيمارستان تُرسل في كل سنة من موقوفات سجاح والدة المتوكل العباسي.

٦- بيمارستان ابن الجراح، أسسها في بغداد أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح، ذكره الزركلي في الأعلام (ج ٥، ص ١٣٢) وقال: «وزير المقتدر العباسي والقاهر وأحد العلماء والرؤساء، فارسي الأصل... ولي مكة واستقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠هـ فولاها الوزارة...» وروي أنه كان قد دفع كافة تكاليف المستشفى من خالص ماله، وعين أبا عثمان سعيد بن يعقوب الطبيب الدمشقي رئيساً لها.

٧- بيمارستان سيده، أسسها أم المقتدر بالله العباسي، وكان اسمها شغب وتُعرفُ بِسَيِّدَةَ قَالَ الزركلي في الأعلام (ج ٥، ص ٢٤٥): «شغبُ أم جعفر (المقتدر بالله العباسي) مُدَبَّرَةٌ حَازِمَةٌ، كانت من جواري المعتضد بالله وتزوَّجها، ولَمَّا آلت الخلافةَ إلى إِيْنِهَا «المقتدر» سنة ٢٩٥ هـ وعمره ثلاث عشرة سنة قامت بتوجيهه، واستولت على أمور الخلافة... وكان لها الأمرُ والنهي في دولة ابنها وكانت صالحةً، وكان مُتَحَصِّلُهَا الف الف دينارٍ فتصدَّقُ بها وتخرجُ من عندها مثلها. من آثارها بيمارستان (مستشفى) أنشأته ببغداد، وكان طبيبه سنان بن ثابت، وكان مبلغُ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينارٍ».

٨- بيمارستان المقتدر، أسَّسه بِيَابُ الشَّامِ في بغداد جعفرُ المقتدرُ بالله العباسي سنة ٣٠٦ هـ وكان مبلغُ النفقة فيه مائتي دينار.

٩- بيمارستان مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الديلمي، أسَّسه ببغداد مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الحُسَيْنِ أَحْمَدُ بن بويه الديلمي سنة ٣٥٥ هـ وكان مبلغُ النفقة فيه خمسة آلاف دينارٍ، تُدْفَعُ من موقوفات خُصِّصَتْ لهذه المستشفى.

١٠- البيمارستان العَضُدِيُّ، بناها عَضُدُ الدَّوْلَةِ فناخسرو الديلمي على دَجَلَةِ غَرْبِي جسر بغداد، وعيَّن الطبيبَ المشهور محمد بن زكريا الرازي رئيساً لها. ذكر ابنُ خُلِّكَانَ في وفيات الأعيان في ترجمة فناخسرو الديلمي (ج ٣، ص ٢١٨)، وقال: «والبيمارستان العَضُدِيُّ منسوبٌ إليه، وهو في الجانب الغربي، وغرِمَ عليه مالاً عظيماً، وليس في الدُّنْيَا مثْلُ ترتيبه، وفرغ من بنائه سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة، وأعدَّ له من الآلات ما يقصرُ الشرح عن وصفه».

والظاهرُ أنَّ هذه المستشفى قد هُدمَتْ وأصْبَحَتْ أنقاضاً نتيجة لفيضان مياه دجلة. قال ابنُ الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (ج ١١، ص ٤٠٨، حوادث سنة ٥٦٩ هـ): «وزادت دجلةُ زيادةً عظيمةً... وخاف الناسُ الفرقَ، وفارقوا البلدَ، وأقاموا على شاطئ دجلة خَوْفاً من انفتاح القورج وغيره، ونبع الماء في البلاليع وخرب كثيراً من الدُّورِ، ودخلَ الماءُ إلى البيمارستان العَضُدِي، ودخلت السُّفُنُ من الشَّباييك التي لهُ، فإنَّها كانت قد تَقَلَّعتْ...».

١١- بيمارستانُ فخر المُلكِ، أسَّسها ببغداد فخرُ المُلكِ محمد بن علي بن خلف، وزيرُ

بهاء الدولة البويهى.

١٢- بيمارستان واسط، ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (ج ١٢، ص ١٤، حوادث سنة ٤١٣هـ) وقال: «وفيه (أي سنة ٤١٣هـ) فُتِحَ البيمارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك أبو علي الحسن، وزير شرف الملك، «بواسط»^{٣٢}، ورُتِبَ له الخزان، والأشربة، والأدوية، وغير ذلك مما يُحتَاجُ إليه».

١٣- بيمارستان باب المِعْوَل، بُنِيَتْ جنبَ محلّة الكرخ في بغداد سنة ٤٤٩هـ (انظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان المعروف بتاريخ العيني، لابي محمد محمود بن احمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م - حوادث سنة ٤٤٩هـ).

١٤- بيمارستان ميافارقين، أسَّسَهَا نصيرُ الدولة بن مروان حاكم ديار بكر في عصر خلافة القائم بأمر الله العباسي.

١٥- بيمارستان المُوَصِّل، بناها سنة ٥٧٢هـ في مدينة الموصل مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزيني حاكم الموصل زمن الأتابك سيف الدين غازي بن مودود ووقف أملاكاً كثيرة تصرف عائداتها في ادارة هذه المستشفى.

١٦- بيمارستان الرِّقَّة، ذكرها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٧٥١) في ترجمة بدر الدين ابن قاضي بعلبك (هو بدر الدين مظفر ابن القاضي مجد الدين عبد الرحمن بن ابراهيم البعلبكي الطبيب - المتوفى سنة ٦٧٥هـ).

١٧- بيمارستان حرّان، ذكرها ابن جبير في رحلته وقال أنّه شاهدها (انظر رحلة ابن جبير، طبعة ليدن، ص ٢٤٧).

١٨- بيمارستان نصيبين، ذكرها ابن بطوطة في رحلته عندما ذكر نصيبين ومُرُورَهُ بها سنة ٧٢٠هـ.

١٩- بيمارستان نابلس في فلسطين.

٢٠- بيمارستان دمشق الكبير.

٢١- بيمارستان انطاكية، في سوريا.

٢٢- بيمارستان حلب في سوريا.

٢٣- بيمارستان حماة في سوريا.

٢٤- بيمارستان القدس في فلسطين.

٢٥- بيمارستان غزة في فلسطين.

٢٦- بيمارستان عكا في فلسطين.

٢٧- بيمارستان الكرك في الأردن.

بيمارستانات إيران الإسلامية :

١- بيمارستان جندي سابور، تعتبر أكبر أمهات مستشفيات الإسلام، واعظم مصادر إمداد الطب الإسلامي باطباء عظماء أمال آل بختيشوع وماسويه وابن سينا ومحمد بن زكريا الرازي و...، وذلك لقدمها في تاريخ الطب ومكانتها في العلوم الطبية منذ أقدم العصور.

٢- بيمارستان الرّي، والرّي مدينة ملاصقة لتهران، كانت من المستشفيات المهمة في إيران، وكان رئيسها الطبيب المعروف محمد بن زكريا الرازي^{٣٣}، وتعتبر من أقدم بيمارستانات إيران في العصر الإسلامي.

٣- بيمارستان زرنج، أسسها عمرو بن الليث الصفار ثاني امراء الدولة الصفارية ولي بعد وفاة أخيه يعقوب بن ليث الصفار سنة ٢٦٥ هـ^{٣٤}، قال الإصطخري في المسالك والممالك (طبعة ليدن، ص ٢٤١): «بنى عمرو بن ليث الصفار في زرنج سوقاً ومسجد جامع وبيمارستان».

وزرنج كما ذكر ياقوت في معجم البلدان (ج ٣، ص ١٣٨): «بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة وجيم، مدينة، هي قصبة سجنستان (وتسمى اليوم سيستان)».

٤- بيمارستان اصفهان، ذكرها ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٤٦٠، عند الكلام عن أبي علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني المتوفى بعد سنة ٣٥٠ هـ (انظر ترجمته في هذا المؤلف)، وقال: «لأبي علي بن مندويه الاصفهاني من الكتب عدة رسائل مشهورة الى جماعة من أصحابه في الطب، وهي: رسالة الى أحمد

بن سعد في تدبير الجسد، و...، ورسالة إلى المتقّدين علاج المرضى ببيمارستان اصفهان...».

٥- بيمارستان نيشابور، ذكرها خير الدين الزركلي في الاعلام، ج ٤، ص ٣٤٠، في ترجمة عبد الملك بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الخركوشي المتوفى سنة ٤٠٧هـ، نقلاً عن كتاب «تبیین كذب المفتری»، طبعة دمشق، سنة ١٣٤٧هـ، ص ٢٣٣، لابن عساکر، وقال: «قال ابن عساکر: بنی فی سکتیہ مدرستہ وداراً للمرضی، ووقف علیها أوقافاً، ووضع فی المدرسة خزانةً للکُتُب».

٦- بيمارستان مرو، ذكرها ابن البيطار (أبو محمد ضياء الدين، عبدالله بن أحمد المالقي المتوفى سنة ٦٤٦هـ) في كتابه الأدوية المفردة المعروف بمفردات ابن العطار^{٣٥}، طبعة مصر، ج ٢، ص ١٥، وذكر ان عيسى بن ماسة (انظر ترجمته في هذا المجلد) كان من أطباء هذه المستشفى.

هذه أهم البيمارستانات التي اشتهرت قبل عصر الإنحطاط (أي قبل انهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦هـ)، ونعزف عن ذكر مستشفيات عصر الانحطاط لقلّتها أو بالأحرى لانعدامها، وكذلك عصر النهضة والزمن الراهن لكثرتها وخرجها عمّا نحن في صدد.

الصيدلة والكيمياء:

تُعتبر علوم الصيدلة والكيمياء من أهم فروع العلوم الطبية، وكان للمسلمين فضلٌ عظيم على علوم الصيدلة والكيمياء ومعرفة النباتات، حيثُ تحقّق لعلماء الغرب بعد نهضتهم العلمية (نهضة تجديد العلوم = Renaissance) أنّ المسلمين هم الذين وضعوا أسس هذه العلوم، وهم أوّل من عمل في تحضير الأدوية والعقاقير فضلاً عمّا اكتشفوه من الأدوية الجديدة، وأنّهم أوّل من ألف «الأقرباذين»^{٣٦} على الشكل الذي وصل إلينا.

وكانت البيمارستانات ودور المرضى ودكاكين الصيدلة في أوّل العصر العباسي تعتمد على «أقرباذين» ألفه الطبيب الإيراني سابور بن سهل الأهوازي المعروف بالكوسج

المتوفى سنة ٢١٨ هـ^{٣٧} (انظر ترجمته في هذا المجلد)، الى أن ظهر «أَقْرَبَازِينَ» ابن التلميذ هبة الله بن صاعد المتوفى سنة ٥٦٠ هـ رئيس البيمارستان العضدي^{٣٨}، ولا زالت أكثر أسماء العقاقير التي أخذها العلماء الغربيون عن المسلمين باسمائها الفارسية أو العربية أو الهندية.

ومن المثقّق عليه أن التّفدّم الذي أحرزهُ المسلمون في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والثّبات. ولا خلاف في أن المسلمين هم الذين أسّسوا الكيمياء الحديثة بتجاربيهم ومستحضراتهم، ولا يخفى على دارس مكانة الامام جعفر الصادق عليه السلام في هذا المضمار، وكذا جابر بن حيّان، وأبي بكر محمد بن زكريا الرّازي وغيرهم، حيث اكتشفوا كثيراً من المركّبات الكيميائية التي يُبيّن عليها الكيمياء الحديثة.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الأوروبيين قد ذكروا أن علماء المسلمين هم الذين استحضروا ماء الفضة (حامض النّثريك)، وزيت الزّاج (حامض الكبريتيك)، وماء الذهب (حامض النيتروهيديروكلوريك)، واكتشفوا البوتاس، وروح النّشاذير، وملح النّشاذير، وحجر جهنّم (نترات الفضة) والسليمانيّ (كلوريد الزئبق)، والراسب الأحمر (أكسيد الزئبق)، وملح البارود (نترات البوتاس)، والزّاج الأخضر (كبريتات الحديد)، والكحول والقلّيّ والبورق، وغير ذلك من المركّبات والمكتشفات التي لم يصل إلينا خبرها، منها المادة التي أشار إليها ابن الأثير في الكامل عند ذكر «احراق قصر صاحب الزنج» في حوادث سنة ٢٦٩ هـ (الكامل: ج ٧، ص ٣٧٧) وهي التي إذا طُلّي بها الخشب إمتنع احراقه، كما أثبتت الأبحاث أن المسلمين هم الذين ركبوا البارود كيميائياً، وهم أوّل من وصف التّقطير والتّرشيح والتّصعيد والتّبلور والتّدويب.^{٣٩}

أمّا النباتات والأعشاب فكان للمسلمين اليد الطولى في هذا المضمار، وهناك مؤلفات كثيرة بالفارسية والعربية والهندية تبحث كيفية وكميّة ونوعية الأعشاب المستعملة في شفاء الأمراض، ولا تزال طهران وأغلب المدن المهمة في إيران تُعصّد بدكاكين بائعي الادوية النباتية الى يومنا هذا، وقد شاهدتها وشاهدت زحام الناس عليها بمدينة طهران والرّي واصفهان وشيراز ومشهد والأهواز.

الهوامش :

- ١ - هوالة الفصاحة والتجارة عند اليونان ورسول الآلهة، سماء الرومان: ميركور بن جوبيتر.
- ٢ - طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ص ١٣.
- ٣ - المنجد في الاعلام: بقرط.
- ٤ - سورة الأعراف، الآية ٣١.
- ٥ - سورة البقرة، الآية ٢٣٣.
- ٦ - راجع كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٩٥، وفهرست الكتب العربية المطبوعة (فهرست كتابهای چاپی عربی) تأليف خان بابا مشار (بالفارسية)، ص ٦٠٥.
- ٧ - أنظر تَراجُمُهُمْ في هذا المجلد.
- ٨ - الرّها: وتُعرفُ بأورفا (Urfa)، مدينة في تركيا اشتهرت بمدريستها اللاهوتية التي انتقلت اليها من نصيبين بعد الفتح الفارسي، وكانت عاصمة الآداب السريانية حتى القرن السابع الميلادي، فتحها المسلمون سنة ٦٣٩م.
- ٩ - وتعرف اليوم بشاه آباد وفيها قبر يعقوب بن ليث الصفّار.
- ١٠ - تاريخ الحكماء للقفطي، ص ١٦٢. كما روى القفطي أنّ الحارث هذا كان طبيب الرسول (ص) في الاسلام.
- ١١ - تاريخ الحكماء للقفطي، ص ١٥٨.
- ١٢ - انظر ترجمتهما في هذا المجلد.
- ١٣ - انظر ترجمته في هذا المؤلف.
- ١٤ - انظر الاعلام للزركلي، ج ٢، ص ٨١.
- ١٥ - معجم المؤلفين لكحالة، ج ٨، ص ١٣١، وعيون الأنباء، ص ٣٢٩.
- ١٦ - انظر الاعلام للزركلي، ج ٢، ص ٣٢٥.
- ١٧ - أنظر ترجمته في هذا المجلد.
- ١٨ - انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج ٨، ص ١٦٧.
- ١٩ - ذكرناهم جميعا في هذا المجلد نرجو مراجعة فهرسته.
- ٢٠ - تاريخ الطب في ايران للدكتور محمود نجم آبادي، ص ٢٣٦.
- ٢١ - عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص ٢٨١.
- ٢٢ - تاريخ الطب في ايران، ص ٢٦٩.
- ٢٣ - الفهرست لابن النديم: (آخر الفن الثاني من المقالة الاولى) ص ٢٦.
- ٢٤ - توفي بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، انظر الاعلام للزركلي، ج ١، ص ٩٠.
- ٢٥ - هوتسما (Houtsma) مستشرق هولندي، أحد محرري دائرة المعارف الاسلامية في



- طبعتها الاولى، نشر تاريخ اليعقوبي المذكور أعلاه، وساعد على طبع تاريخ الطبري.
- ٢٦ - مجريط = مدريد.
- ٢٧ - هكذا ذكره الزركلي في الاعلام (ج ٨، ص ١٢١) نقلاً عن عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة.
- ٢٨ - نرجو مراجعة مصادر هذا المجلد والاخذ بنظر الاعتبار المصنفات التي لم نشر اليها هنا.
- ٢٩ - صفة الصفوة، ج ١، ص ١٨٠، طبقات ابن سعد، ج ٣، ص ٢ القسم الثاني، الإصابة، الرقم ٣١٩٧، دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، ج ١١، ص ٤١٠، الاعلام للزركلي، ج ٣، ص ١٣٩.
- ٣٠ - تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك، ص ٩.
- ٣١ - تعتبر هذه المستشفى وما تلاها امتداداً لمستشفى جامعة جُندي شاپور كما أشرنا فيما تقدّم.
- ٣٢ - الآن محافظة في العراق، مركزها «الكوت»، وأقضيّتها: الصويرة، النعمانية، بدره، الحئي.
- ٣٣ - تاريخ الحكماء للقفطي (طبعة مصر ١٣٢٦ هـ)، ص ١٧٨، وطبقات الأطباء والحكماء (طبعة القاهرة - ١٩٥٥ م)، ص ٧٧.
- ٣٤ - انظر الاعلام للزركلي، ج ٥، ص ٢٥٧.
- ٣٥ - وسماه حاجي (كشف الظنون - ج ١، ص ٥٧٤): جامع مفردات الأدوية والأغذية. طبع بمصر بمجلدين.
- ٣٦ - الأقرباذين: هو لفظ يوناني معناه التركيب، أي تركيب الأدوية وقوانينها.
- ٣٧ - تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان، ج ٢، ص ٣٩٠.
- ٣٨ - انظره في وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٩١، والاعلام للزركلي، ج ٩، ص ٥٩.
- ٣٩ - انظر تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان، ج ٢، ص ٣٩٠.

الحركة الأدبية في الكويت

الدكتور شاكر العامري

جامعة سمنان - قسم اللغة العربية

المقدمة

لا يمكن - في الواقع - تحديد تاريخ دقيق للحركة الأدبية لأي مجتمع، لأن الأدب لا ينفصل عن الوجود الإنساني، مثله في ذلك مثل اللغة. ولا يمكن تصور تكوّن كيان للكويت ومجتمع له خصائصه دون تصور أدب خاص به، فللبحر أدبه الخاص، وللصحراء كذلك أدبها. فكان البحارة منذ خروجهم الى البحر وتركهم لأهليهم وحتى عودتهم الى ديارهم ثانية، يرددون من الأشعار والأغاني ما يمثل الحالات النفسية والروحية لهم فكان هناك الشوق للأهل والدعاء بالتوفيق والنجاح في رحلتهم والخلاص من الأخطار المحتملة. ثم اختص بالغناء البحري متصد أطلقوا عليه النّهام، كما سمّوا الغناء الذي كان يؤديه بالنهمة، وهي نوع من الدعاء. ويصور ديوان (مذكرات بحار) للشاعر محمد الفايز حياة البحار ومعاناته أحسن تصوير. أما الصحراء فكانت لها أغانيها التي تصور حالات سكانها النفسية وصراهم مع الطبيعة القاسية. وقد شاع في صحراء الكويت وبين أهلها نوع من الشعر المحلي أطلقوا عليه (الشعر النبطي)، الذي كان يؤدي بعض الأحيان مع الرّابة، إحدى الآلات الموسيقية. يكثر تداول الأشعار في جلسات الأسمار التي يتبارى فيها الشعراء، وقد يلجأون الى النقائض أو معارضة بعضهم للبعض الآخر.

بدايات ظهور المؤسسات الأدبية في الكويت

نعود الى محاولة تحديد تاريخ للحركة الأدبية في الكويت فنقول: إن كل ذلك لا يعني أننا نقنط ونترك الأمر أصلاً، لأن مقصودنا من الحركة الأدبية ليس النشاط الأدبي بشكل عام، بل النشاط الأدبي المنظم. ومن هذا المنظور نستطيع أن نقول إن العمل الأدبي المنظم تعود جذوره الى بدايات العقد الثاني من القرن العشرين متمثلة بالجمعية الخيرية التي تأسست عام ١٩١٣.

وفي بداية العشرينات أنشئ النادي الأدبي، الذي استمر بأعضائه طوال العشرينات والثلاثينات، والمكتبة الأدبية التي كانت - في الواقع - تجمعاً ثقافياً تناقش فيه مختلف الأمور الثقافية وغيرها، وتم إغلاقها فترة لتعود الى نشاطها السابق في منتصف الثلاثينات^٢. وتم في بداية العشرينات كذلك إنشاء الرابطة الأدبية.

عوامل انتعاش الحركة الأدبية في الكويت

١ - العامل الاقتصادي: يعتبر الدكتور سليمان الشطي^٣ العامل الاقتصادي سبباً في اتصال الكويتيين بالحركة الأدبية خارج الكويت، وخاصة العربية، وانفتاحهم عليها. فهو يعتبر عدم وجود زراعة في الكويت سبباً لتعميق الصلات الاقتصادية بالخارج، والتي أدت بدورها الى توثيق الصلات الثقافية والسياسية كذلك يقول: «المجتمع الكويتي... كان متصلاً بالعالم لا منقطعاً عنه، وكان ذلك الإتصال ضرورة موضوعية، إذ لا زرع ولا ضرع في الكويت، كل اتصالات الكويتيين كانت بالخارج»^٤.

٢ - البعثات الدراسية: ولكنني، إذ أؤيد الدكتور الشطي في رأيه أضيف الى ذلك عاملاً آخر هو البعثات الدراسية. فبعد أن ازدادت البعثات الدراسية، خاصة، الى القاهرة، التي كانت عاصمة للثقافة العربية ومولداً لنهضتها، ظهرت الحاجة الى مقر دائم لتلك البعثات المتلاحقة، فتم في الأربعينات تأسيس (بيت الكويت الثقافي) الذي - بعد أن رسخت أقدامه - كان يصدر مجلة البعثة التي كانت، بحق، تجمعاً ثقافياً يمارس أنشطة متعددة: ندوات، أمسيات شعرية، مسرحيات، وغيرها^٥.

٣ - المؤسسات الأدبية: في بداية الخمسينات، ظهرت عدة نوادٍ ثقافية وجمعيات ومجلات شكلت تجمعات ثقافية نشطة. فقد ظهر النادي الثقافي القومي، ونادي المعلمين، ونادي الإرشاد، إضافة الى بيت الكويت الثقافي الذي استمرت نشاطاته الثقافية بعد عودته للكويت في تلك الفترة، فكان يقيم الأمسيات الشعرية والندوات الثقافية وغيرها. وفي تلك الفترة صدرت مجلتا «الرائد» و«الإيمان» اللتان كان يكتب فيهما عدد من الوجوه الثقافية الكويتية، من أمثال: فهد الدويري، محمد الرشيد، وأحمد العدواني، والوجوه الثقافية العربية، من أمثال: غسان كنفاني^٦.

وقد أدّى التواصل الثقافي بين الكويت والدول العربية الى أن تنعكس التحولات الثقافية فيها بسرعة على المسرح الثقافي في الكويت. فبعد تأسيس اتحاد الكتاب العرب إثر مؤتمر بلودان عام ١٩٥٥ م، أنشئ في الكويت النادي الأدبي، أو الرابطة الأدبية، عام ١٩٥٨ م، حيث أشرفت على مؤتمر الأدباء الذي عُقد في الكويت عام ١٩٥٩ م^٧. وفي عام ١٩٥٨ م كذلك، تأسست مجلة العربي الشهيرة التي كانت من العوامل المهمة لتشجيع الأدب والثقافة العربيين.

وفي عام ١٩٥٩ م، تم إغلاق كافة النوادي لتعاود نشاطها بعد سنتين، أي بعد الاستقلال، ولكن بأسماء جديدة وواجهات أخرى، كالنادي العربي ونادي الكويت اللذين غلب عليهما النشاط الرياضي، ونادي المعلمين، الذي كان نادياً مهنياً، كما تم إنشاء مسارح عديدة كانت تمارس نشاطاً فنياً وثقافياً.

وفي عام ١٩٦٤ م، تم إنشاء رابطة الأدباء التي كانت ولا تزال راعية الحركة الأدبية في الكويت^٨.

ولم تكن المؤسسات الأدبية في الكويت في ذلك الوقت قد بلغت النضج الكافي ليكتب لها الاستمرار في احتضان جانب من الحركة الأدبية وإيصالها الى مبتغاها، ولكنها كانت مؤسسات فتيّة تفتقر الى التجربة الكافية والدعم اللازم على المستويين الرسمي والشعبي، لذلك لم يكتب لأكثرها النجاح والدوام ما عدا الرابطة الأدبية.

يقول الكاتب والناقد الكويتي صالح العاقل حول تأخر نشأة المؤسسات الأدبية

تاريخياً في الكويت: «صحيح أن الثقافة مفهوم عام، لكن الأجناس الأدبية بالمفهوم الحديث لم تكن قد رأت النور بعد، فضلاً عن أن جميع محاولات مؤسسة حركة الأدب الأهلية كانت تتهاوى تحت ضغوط ذاتية، وموضوعية خارجة عن إرادة روادها، في حين أنها كانت تشق طريقها في بلدان عربية أخرى، وذلك بسبب نفوذ التشكيلات الاجتماعية والسياسية من أحزاب وجمعيات وغيرها في تلك البلدان»^٩.

العامل الذي أشار إليه الاستاذ العاقل صحيح، ولكنني أستطيع أن أقول: إنه محدود، أو صادق على موارد معينة وليس على الحركة الأدبية ككل. وتحديدًا يمكننا أن نقول: إنه يصدق على ما قبل عصر النفط، أو - لنكن أكثر تحديداً - قبل الاستقلال. أما بعد الاستقلال، وبعد حدوث الانقلاب المادي في المجتمع الكويتي، وبدلاً من أن نرى ازدهار الحركة الأدبية وتفتح الطاقات الثقافية في ظل التحولات الكبيرة التي شهدتها المجتمع على المستوى الاقتصادي، تماماً كما حدث في عصر هارون الرشيد المسمى بالعصر الذهبي مادياً وثقافياً، بدلاً من كل ذلك حدث العكس وحدثت فجوة ثقافية كبيرة. فقد اتجه الشباب نحو المادة وعزفوا عن النشاطات الثقافية وسادت في المجتمع روح الاستهلاك وفُقدت القيم. وقد أنبرى عدد من الشعراء لانتقاد ذلك الوضع المادي الصرف، كالشاعر علي السبتي الذي كان يحسّ بالغربة في مجتمعه وبين أهله متشبهاً بالبساطة والصفاء نافرأً من الانسياق المادي، فأظهر همه وقضاياهم في قصائد الحب^{١٠}. فقد تناول السبتي الفوارق الطبقيّة بين الغني والفقير، وبين «الأصيل ذي الحسب والنسب» وبين من هو من عامة الناس الذين لا يُعرف لهم أصل ولا فصل. والواقع هو أن أصلهم قد يكون معروفاً، ولكنه غير مشهور. يحكي السبتي قصة حب فاشل بين فتاة غنية وفتى فقير:

ماذا لو أني لم أكن بنتاً أصيلة

.. بنتاً تريدُ فتستطيعُ، وليس والدها يريد..

.. فيتمزّقُ الروحُ البريءُ صيانةً لدم القبيلة^{١١}

كما أنه كتب ثلاث قصائد عن المدينة، مدينة الكويت، أشار فيها إلى مظاهر المدنية؛ البيوت الفخمة والسيارات الفارهة، وقارن ذلك بما قبل عصر النفط، فأحس بالغربة. أما

تلك القصائد فهي: عودة الى الأرض الخراب (أيلول ١٩٦٤)، والليل في المدينة (كانون الأول ١٩٦٤)، ومدينة ناسها بشر (كانون الأول ١٩٦٦) والتي يقول في جانب منها:
فكلُّ شيءٍ في مدينتي له ثمن
الجنسُ والأطفالُ والسكن
مدينتي غيومها بلا مطر
وأرضها حجر^{١٢}

الخطاب الأدبي في الكويت

لقد كان الخطاب الأدبي في الكويت - كما في غيرها من البلدان العربية - متأثراً كثيراً بالعامل الديني (الإسلامي) الذي كان يطبع حياة الناس بطابعه. فقد كان الدين الإسلامي يلقي بظلاله على كافة أصعدة الحياة في المجتمع، وكان العلماء والأدباء والشعراء يتفياؤن بظلاله الوارفة، ومنه ينطلقون في رسائلهم، ومن أنماره يستقون كلماتهم ومعانيهم. وقد كان القرآن والحديث وغيرهما من منابع الأدب العربي، أهم مصادر ثقافة شعراء الكويت. يقول الباحث الكويتي عبد الله خلف عن بدايات الحركة الأدبية في الكويت: «إن الخطاب الأدبي كان وعظيماً، خاصة أنه لم تكن لدينا في تلك الفترة صحافة، كان الشعر الشعبي - والفصح أيضاً - يقوم بذلك الدور بهدف نشر الوعي، حتى الصحي منه، كما حمل هموم السياسة والتنوير. لم يكن هناك تركيز على الجوانب الفنية في الإبداع الأدبي، فالهدف إيصال رسالة، وهذا الأمر لدينا لم يكن مختلفاً عن مثيله في الحركة الأدبية العربية عامة. كثير من الشعراء العرب كانوا يكتبون «رسائل» هدفها الإصلاح الاجتماعي، بعضهم تقدم نحو الإبداع، وبعضهم الآخر ظل كذلك حتى قضى»^{١٣}. وعن شكل ذلك الخطاب الأدبي، يقول القاص والناقد الكويتي وليد المسلم: «المباشرة والتقريبية هما الشكلاّن اللذان كانا سائدين»^{١٤}.

الحركة الأدبية في الكويت حركة أصيلة

إن الدارس للحركة الأدبية في الكويت يشد انتباهه استمرار تلك الحركة ومواكبتها لحركة المجتمع، وإن ما يميز تلك الحركة أنها حافظت على أصولها ولم تنحرف مع التيارات الأدبية الغربية التي عصفت بالأدب العربي ابتداءً بشعر التفعيلة وانتهاءً بمفاهيم الحداثة وما بعدها. ولا يعني ذلك أن شعراء الكويت لم يعرفوا شعر التفعيلة، بل إن عدداً منهم قد مارس شعر التفعيلة وقصيدة النثر، ولا يزال - إضافة لقصيدة النثر، ولكننا هنا، نتحدث عن ظاهرة شعر التفعيلة وقصيدة النثر، أو ما يسمى بالشعر الحر جمعاً، لم يصل إلى مستوى الظاهرة الشعرية في الكويت، وبقي الشعر الكويتي محافظاً على سماته الشعرية الأصيلة، ينظر للحداثة من منظور غير المنظار الذي ينظر منه دعائها. ويميز د. سليمان الشطي مدرستين في الأدب الكويتي «تري الأولى أن الفن يجب أن يكون في خدمة المجتمع، والثانية ترى أن الفن للفن، وكلتاها تساهمان في خدمة المجتمع بشكل أو بآخر... تجد شاعراً قد غنى (بالرسالة) وآخر غنى (بالجماليات). هذا همه إصلاحي وذاك همه شعري»^{١٥}. أما عبد الله خلف فانه يقسم مسيرة الحركة الأدبية إلى مرحلتين: «مرحلة التعليم القديم والبسيط التي أنتجت الخطاب الوعظي التقريري... ومرحلة التعليم الجديد، خاصة العالي منه، والتي ساهمت في تأهيل الفعل الأدبي، تأهيلاً فنياً»^{١٦}.

دور الدولة في تنشيط الحركة الأدبية

لقد ساهمت دولة الكويت بعد الاستقلال في تنشيط دور الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية، ليس بشكل مباشر طبعاً، بل عن طريق ترخيصها ودعمها بعد ذلك. يتحدث د. سليمان الشطي عن دور الدولة ذاك، فيقول: «مع بداية الاستقلال وتبلور مفهوم المؤسسة، بدأت الدولة تنظم الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، فأنشأت - على غرار التجربة المصرية - الجمعيات المرخصة من خلال وزارة الشؤون، جمعية الفنانين التشكيليين، رابطة الأدباء... الخ. (ثم يقول:) وزارة الشؤون هي جهة مساعدات، تقدم معونة ولا ترعى مشروعات، فالجمعيات ورابطة الأدباء أنشئت

كجمعية نفع عام للانتقال من العمل الفردي الى العمل الجماعي، المؤسسي»^{١٧}. لا أحد ينكر دور المؤسسات الثقافية في تفعيل وتنشيط العمل الثقافي ودفعه الى الأمام، ولكن هل أن الإنتاج الثقافي، والأدبي على الأخص، يعتمد بشكل كامل على وجود تلك المؤسسات أو عدم وجودها؟ بالطبع، لا. فالمؤسسة الثقافية لم توجد النتاج الأدبي أو الأديب، بل إن وجودهما سابق على وجودها، وإن دورها هو تأطير وتنظيم تلك الحركة الأدبية من أجل تشجيعها ودفعها الى الأمام واحتضان الطاقات الشابة والمبدعة. هذا عن دور المؤسسة الثقافية، فماذا عن دور المثقف؟

دور المثقف الكويتي

يتحدث القاص إسماعيل فهد إسماعيل عن دور المثقف، فيقول: «إن المثقف المبدع - إذا شئنا - لا يكون من خلال تأطيرنا له ضمن ناد أو ضمن هيئة أو جمعية، وإيداعه ليس مرهوناً بوجود هذه الجمعية أو بحلها أو بإيقافها أو تجميدها، وبالتالي، المثقف هو الذي كان وراء فكرة إنشاء الجمعية، وهو يعطي قبل إنشائها، وخلال إنشائها وأثناء تجميدها. إنها مجرد كيان لتوحيد الجهود لا أكثر ولا أقل، لكن حتى في غيابها يظل إنتاجه وإيداعه، ويمكن أحياناً أن يتأثر حسب طبيعة حركة المجتمع، نضجها وتوجهها نحو تحقيق هدف معين. المبدعون خارج كل هذه الأطر، وعلى فرض أنها غير موجودة، يفعلون ويعطون، وربما أكثر مما في حالة وجودها»^{١٨}.

وقد اختلف دور المثقف نوعياً في مسيرة الحركة الأدبية في الكويت وتاريخها. فهي هو القاص إسماعيل فهد إسماعيل يميز بين مرحلتين للدور الذي لعبه المثقف في تلك المسيرة. يقول: «إن المثقف في التشكيل القديم (قبل الاستقلال وظهور النفط) كان يتحرك في إطار أهداف تحديث مجتمعه، ولعل قصة فهد الدويري التي يدور موضوعها حول الزكاة وحث الأغنياء على أداء هذه الفريضة تقدم مثلاً على دور المثقف أو المبدع. أما في التشكيل الجديد فقد أصبح المثقف ما يمكن أن نطلق عليه ضمير المجتمع، نهض لديه نوع جديد من الاحساس النقدي أو الممارسة النقدية غير المباشرة، يرى الحالة

ويقترح تحسين الأوضاع»^{١٩}. أي أن الأديب أصبح محترفاً بعد أن كان هاوياً. فالأديب سابقاً كانت لديه اهتمامات أخرى إلى جانب اهتماماته الأدبية التي لم تكن همه الأول. أما الآن فهو يمتهن الأدب، لا بمعنى أنه يرتزق منه، بل بمعنى أن الأدب أصبح همه الأول وبه صار يُعرف.

رابطة الأدباء في الكويت

إن أهم جمعية أو مؤسسة أدبية عرفها تاريخ الكويت الأدبي هي رابطة الأدباء الكويتيين التي تأسست عام ١٩٦٤ م وبدأت بالعطاء منذ عام ١٩٦٥ م، ولا زالت مستمرة تعطي. وإن أهم إصدارات الرابطة منذ تأسيسها حتى الآن هي مجلة البيان التي تنطق باسمها، والتي صدرت لأول مرة عام ١٩٦٦ م ولا زالت مستمرة بالصدور حتى اليوم، ما عدا عددين لم يصدرا في مناسبتين أليمتين: الأولى نكسة حزيران عام ١٩٦٧ م، والثانية غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ م. والرابطة لم تكن بمعزل عن حركة المجتمع الكويتي. فعندما تم حل مجلس الأمة في عام ١٩٧٦ م، تم حل الرابطة مع ثماني جمعيات أخرى. ومع الانفراج الديمقراطي بعد الغزو تحسّن وضع الرابطة وازدادت نشاطاتها.

وقد توالى على رئاسة مجلس إدارة الرابطة أسماء لامعة في تاريخ الحركة الأدبية في الكويت، نذكر منهم مؤسسها السيد عبد المحسن الرشيد، عبد الله الحاتم، أحمد السقاف، خالد سعود الزيد، سليمان الشطي، خليفة الوقيان، عبد الله العتيبي، وعبد الله خلف^{٢٠}.

وإضافة إلى مجلة البيان، قامت الرابطة بين الفينة والأخرى بإصدار بعض الكتب والمطبوعات التي كان إصدارها يتم فصلياً، ولكنه، وبمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠١ م تقرر أن يكون إصدارها شهرياً بعد أن ازدادت إمكانيات الرابطة المادية. والكتب التي أصدرتها الرابطة لحد الآن عديدة، منها: (الحركة الأدبية في الكويت) و(الحركة الثقافية في الكويت) للدكتور محمد حسين عبد الله، كتاب لصقر الرشود عن المسرح في الكويت، كتاب لأحمد العدواني، (أدباء الكويت) و(أدباء وأدبيات من الكويت) لليلى محمد صالح، (المسرح في الكويت) لمحمد حسن عبد الله،

(الأجنحة والشمس) دراسة تحليلية في القصة الكويتية للدكتورة نجمة إدريس، (المغيب والمجسد) دراسة في قصص د. سليمان الشطي، كتاب (عبد الله سنان) لفاضل خلف، (العرب وتفعيل المسرح) لخالد عبد اللطيف، (تجليات الأنا في شعر ابن الفارض) و(الدوائر والزوايا في شعر أحمد السقاف) للدكتور مختار أبو غالي^{٢١}.

وعن دور الرابطة في دفع وتنشيط الحركة الثقافية في الكويت بعد تأسيسها، يتحدث د. سليمان الشطي قائلاً: «وقامت الرابطة فعلاً بتفعيل الحركة الثقافية والأدبية منذ تأسيسها، فكانت الندوات المنظمة والأمسيات الشعرية، وبدأت الرابطة بتمثيل الأدباء الكويتيين في الاتحادات العربية والعالمية المماثلة، وإصدار مطبوعات»^{٢٢}.

أزمة ثقافية

يتحدث د. سليمان الشطي عن أزمة ثقافية سادت في عقد الستينات كادت أن تؤدي بكيان الحركة الأدبية وتاريخها في الكويت والمنطقة الخليجية بأسرها. يقول: «في منتصف الستينات، كانت ثمة حالة سائدة من انقطاع ثقافي وأدبي بين أصول تاريخ أدب المنطقة وتوجهات الشباب، بل والدارسين أيضاً آنذاك، كانت هناك فجوة ونقاط مظلمة تصل إلى حد الجهل أو التجهيل. الأنظار متجهة (إلى)، بل مشغوفة بمنايع تيارات الأدب في الخارج، فتشكلت فجوة، بل قطيعة بين جيلين حتى وصل الأمر إلى سؤال باطنه سخرية واستهجان: هل هناك أدب أو أدباء بيننا أو قبل هذه الأيام التي نعيشها؟ إننا نسمع عن أسماء ونجد أفواهاً تنفتح على مصراعيها متشدقة باسم أدباء وشعراء ولكن ليس بين أصابعنا أو تحت أنظارنا شيء من هذا، فأين الأدب في الكويت؟»^{٢٣}. هنالك انبرى شاعر الكويت الكبير وأديبها اللامع، المرحوم خالد سعود الزيد (١٩٣٧ - ٢٠٠١ م)، للإجابة على ذلك السؤال فألف أهم كتاب في التوثيق لحياة الحركة الأدبية الكويتية، ألا وهو كتاب أدباء الكويت في قرنين (في ثلاثة أجزاء).

أما القاص وليد المسلم فيتحدث عن أزمة ثقافية عربية عامة. يقول: «هناك أزمة ثقافية وفكرية في الوطن العربي، أزمة نصوص جيدة، أزمة سينما، أزمة مسرح، أزمة شعر،

أزمة حضور جماهيري في الندوات الثقافية، وأزمة قراءة اعتبرها مظهراً حاداً للأزمة الثقافية، وسبباً من أسباب وجودها»^{٢٤}.

وحتى على مستوى رابطة الأدباء هناك أزمة تكمن في قلة إقبال الأدباء على الرابطة، أو قل العمل الأدبي المنظم، مما حدا بالأستاذ وليد المسلم أن يقول بيأس من المستقبل: «ليس من رافد»^{٢٥}. فقد كان أعضاء الجمعية العمومية لرابطة الأدباء في الانتخابات السابقة ٦٦ شخصاً، ولكن لم يسجل سوى ٣٠ شخصاً لم يجددوا، بينما كانت الجمعية العامة قبل سنوات تضم ١٥٠ - ١٩٠ عضواً. فأين تكمن المشكلة؟

وفي معرض ذكرنا للمؤسسات الثقافية في الكويت يجب أن لا ننفل ذكر مؤسستين ثقافيتين كويتيتين تجاوز نشاطهما الثقافي والأدبي ليس الكويت فحسب، بل البلاد العربية كذلك، ليصل الى البلدان الإسلامية وغيرها، وهما مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين ودار سعاد الصباح للنشر.

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين

عبد العزيز سعود البابطين قبل أن يكون رجل أعمال موفق ومشهور، ليس على مستوى الكويت والمنطقة الخليجية والعربية فحسب، بل العالم كذلك، قبل أن يكون كذلك هو شاعر أديب كتب الشعر منذ نعومة أظفاره في الحادية عشرة نبطياً، وكتبه فصيحاً في الخامسة عشرة. لذلك احتلت اهتماماته الثقافية، بعد أن وصل الى وضع مالي جيد، حيزاً كبيراً من نشاطاته وحياته، فقام، أول ما قام به، بإنشاء بعثة سعود البابطين الكويتية للدراسات عام ١٩٧٤ م أخذت على عاتقها إعطاء ١٠٠ منحة سنوية للدراسة في الأزهر الشريف، وذلك لطلبة جمهوريات آسيا الوسطى في البداية، ثم توسع نطاق عملها ليشمل دولاً أخرى في أفريقيا. ولكن الجوائز الثقافية، والشعرية على الخصوص، هي أهم نشاطات المؤسسة التي منحتها شهرة عربية وعالمية. فقد أقامت المؤسسة حتى الآن سبع دورات شملت كل دورة منها تقديم عدد من الجوائز في الشعر والأدب هي:

١ - جائزة الإبداع في مجال الشعر.

٢- جائزة الإبداع في النقد الأدبي.

٣- جائزة التفوق في الشعر، وتخصص عادة لأحسن ديوان شعر.

٤- جائزة أحسن قصيدة.

وإضافة الى توزيع الجوائز الذي يتم في حفل تدعى له بعض الشخصيات الأدبية والسياسية، تقام ندوات أدبية وأمسيات شعرية وتصدر المؤسسة عدداً من المطبوعات التي تخص أحد العمالقة من الشعراء الذي تقام الندوة لإحياء ذكره وتسمى الدورة باسمه، حيث تقرر اعتباراً من الدورة الثالثة إطلاق أسماء الشعراء على الدورات وإقامة الندوات والأمسيات الشعرية إحياءً لذكرهم واعترافاً بفضلهم ومكانتهم في سماء الشعر والأدب. فقد أُطلق على الدورة الثالثة دورة البارودي، حيث خصصت لإحياء ذكرى الشاعر محمود سامي البارودي الذي كان من رواد النهضة الشعرية العربية أو الإحيائيين - حسب ما أُطلق عليهم. وقد تم طبع عدد من الأعمال في هذا المجال والتي كانت عبارة عن:

١- كشف الغمة في مدح سيد الأمة (قصيدة في ٤٥٠ بيتاً للبارودي).

٢- ديوان البارودي في مجلدين، تقديم الدكتور جابر عصفور.

٣- مختارات البارودي في أربعة مجلدات؛ تحقيق وشرح ومراجعة.

٤- البارودي: حياته وشعره، تأليف الدكتور نفوسة ذكريه سعيد.

٥- مصادر دراسة محمود سامي البارودي.

وكانت الكتب الثلاثة الأخيرة بإشراف الدكتور محمد مصطفى هدارة.

وقبل هذه الدورة، كانت هناك دورتان لتوزيع الجوائز، أُقيمت الأولى عام ١٩٨٩ م في

القاهرة بالتعاون مع رابطة الأدب الحديث، وجرت الثانية عام ١٩٩١ م.

أما الدورة الرابعة فقد حملت اسم الشاعر التونسي الكبير أبي القاسم الشابي، حيث

أُقيمت تلك الدورة في المغرب عام ١٩٩٤ م بالتعاون مع جمعية فاس سايس المغربية

وحضرها الملك الحسن الثاني وولي عهده محمد. وتم في هذه الدورة إصدار المطبوعات

التالية:



١- مجلد يضم: أغاني الحياة، الخيال الشعري، مذكرات الشابي.

٢- مجلد يضم: رسائل الشابي، نثر الشابي.

٣- الشابي في مرآة معاصرة.

٤- رسائل حول الشابي.

٥- دليل الباحثين عن الشابي.

٦- الشابي: صور وكلمات.

٧- كتيب يحوي وثيقة نادرة للشابي بخط يده عبارة عن محاضرة له حول شعراء المغرب كان يتهماً لإلقائها في يناير ١٩٣٠ م، ولم يتمكن من ذلك لعدم حضور الجمهور. وقد سميت الدورة الخامسة باسم الشاعر الكويتي أحمد مشاري العدواني وأقيمت في أبو ظبي عام ١٩٩٦ م بالتعاون مع المجمع الثقافي، ورعاها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات وتناولت الندوة الفكرية ثلاثة محاور: المحور الأول: شعر العدواني، والمحور الثاني: رؤية حول النقد والتغيير والتجريب في شعر الخليج والجزيرة العربية، والمحور الثالث: مرجعية القصيدة العربية المعاصرة.

وقد تم في الندوة توزيع كتاب أبحاث دورة أبي القاسم الشابي ووقائعها في ٨٣٢ صفحة، إضافة الى إصدار الكتب التالية:

١- العدواني رائداً ومبدعاً، للأستاذ صدقي خطاب والدكتورة نسيم الغيث.

٢- العدواني: صور وكلمات، للدكتورة دلال الزين والأستاذ علي عبد الفتاح.

٣- العدواني في عيون معاصريه، للأستاذ علي عبد الفتاح.

٤- العدواني: الأعمال الشعرية الكاملة.

٥- المختارات الشعرية من الخليج والجزيرة العربية.

كما تم توزيع شريط صوتي يضم مختارات من أجمل الأغاني التي كتب العدواني كلماتها.

وكانت الدورة السادسة التي سميت باسم الأختل الصغير قد أقيمت عام ١٩٩٨ م في بيروت بحضور رئيس الحكومة اللبنانية السيد رفيق الحريري. وقد نوقشت في الدورة

بحوث عديدة حول الأخطل الصغير إضافة الى إقامة ثلاث أمسيات شعرية ومحاضرة للمؤرخ القطري مبارك الخاطر بعنوان (العلاقات الثقافية المبكرة بين بلاد الشام وبلاد الخليج والجزيرة العربية).

وفي الدورة السابعة التي أُقيمت في الجزائر عام ٢٠٠٠ م بحضور الرئيس الجزائري بوتفليقة والتي سميت بدورة أبي فراس الحمداني تم الاحتفاء كذلك بالشاعر الأمير عبد القادر الجزائري.

ولم تكتف مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين بتلك النشاطات حسب، بل دخلت ميادين أخرى خيرية وثقافية في الدول الإسلامية. فقامت ببناء المدارس والكتليات والمستشفيات وتسيير البعثات وما الى ذلك، وهذه بعض المنجزات:

١ - جائزة باسم جائزة عبد العزيز سعود البابطين (أحفاد الإمام البخاري) قيمتها مائة ألف دولار لترميم الجسور الثقافية القديمة مع الدول الإسلامية المستقلة حديثاً في آسيا الوسطى.

٢ - بعثة سعود البابطين الكويتية للدراسات، حيث تقوم منذ عام ١٩٧٤ م بتقديم ١٠٠ منحة سنوية لطلبة جمهوريات آسيا الوسطى للدراسة في الأزهر، إضافة الى خمس منح للمغرب وخمس للنيجر وخمس لأوغندا ومالي بصفة مشتركة. وقد وصل عدد الطلاب حتى الآن الى أكثر من ٥٢٢ طالباً.

٣ - بناء ثلاث مدارس ثانوية في مصر، وأخرى في العراق، وخامسة في المغرب.

٤ - بناء مدرستين في قرية قانا جنوب لبنان دمرتهما الغارات الاسرائيلية عام

١٩٩٤ م.

٥ - بناء مدارس في المغرب وقرقيزستان وكازاخستان وباكستان ومالي والجزائر.

٦ - إنشاء كلية للشريعة الإسلامية في باكو (عاصمة جمهورية أذربيجان)، وكلية للآداب في جامعة عليكرة في الهند.

٧ - إنشاء مركز طبي كويتي في مدينة الحميدية، جنوب الجمهورية الإسلامية في إيران، ومركز طبي آخر لمعالجة الحروق وجراحة التجميل في الكويت، وهو مركز

تخصصي في الشرق الأوسط.

٨- إقامة بعض الندوات الثقافية والاشتراك الفعّال فيها، كإقامة ندوة ثقافية في طهران للإحتفاء بالشاعر الإيراني سعدي الشيرازي، وقد تم فيها كذلك بحث العلاقات الثقافية المتبادلة بين العرب والفرس، أو الإحتفاء بابن المقرّب العيوني في البحرين، وغيرها^{٣٦}.

دار سعاد الصباح للنشر

تعتني دار سعاد الصباح للنشر بتأصيل حركة الثقافة والفكر والإبداع ليس في الكويت فحسب، بل على امتداد الوطن العربي. وقد تأسست الدار أول الأمر في القاهرة، ثم انتقلت الى الكويت بعد تحررها من الاحتلال العراقي وأبقت لها فرعاً في القاهرة وتولى الأستاذ خالد القطمة، وهو كاتب وصحفي، إدارة الدار. وقد تركزت نشاطات الدار على ثلاثة محاور، هي: إصدار الكتب، تكريم المبدعين من الشباب ممن هم دون الثلاثين، والاحتفاء بالأعلام.

فعلى صعيد المحور الأول قامت الدار بنشر كثير من الكتب دون الالتفات لأعبائها المادية، بل إنّ القيمة الفكرية لتلك الكتب كانت هي الرائدة. فقد قامت الدار بإعادة طبع مجلة الرسالة الأدبية التي ساهم فيه جيل من أدباء مرحلة النهوض الثقافي، حيث صدرت مجموعة الرسالة في أربعين مجلداً. وقد حشدت الدار ثلاثين باحثاً لإنجاز كتاب «الثقافة في الكويت» الذي صدر بثلاثة مجلدات بلغ عدد صفحاتها حوالي ١٥٠٠ صفحة توثق للأعمال الثقافية في الكويت على مدى نصف قرن من الزمان في مجالات التاريخ والعمارة والصحافة والفن والأدب والتراث والإعلام. وأهم كتاب وثائقي قامت الدار بإصداره حول الغزو العراقي للكويت كان «الوثائق تتحدث» في ١٤٠٠ صفحة من القطع الكبير يجمع بين دفتيه كافة الوثائق الميدانية المتعلقة بحادثة الغزو. كما قامت الدار بإعادة طبع بعض الكتب، كالشاهنامة للشاعر الإيراني فردوسي، والمجموعات الكاملة لبعض الشعراء العرب، وبعض الكتب التراثية، من قبيل: المنازل والديار لأسامة بن منقذ، وكتاب المقابسات للتوحيد، وأعمال أخرى مترجمة من مثل: رواية (رباعية

الإسكندرية) للكاتب لورنس داريل، ورواية (مائة عام من العزلة) للكاتب غارثيا ماركيز. وفي مجال الدفاع عن الهوية الوطنية للكويت قامت الدار بإصدار مجموعة من الكتب، منها: أيام القهر الكويتية / طفل الخليج بين رفاهية البترول ونيران الحرب / الدرس الأول / البعد الرابع لأزمة الخليج / مدخل قانوني ووثائقي لدراسة جرائم حرب النظام العراقي ضد الكويت / الحب في زمن الاحتلال / الأعداء.

أما على صعيد المحور الثاني، فقد خصصت دار الصباح، اعتباراً من عام ١٩٨٨ م، جوائز سنوية في الحقول الأدبية والعلمية للشباب الذين هم دون سن الثلاثين من أجل تفجير طاقاتهم الكامنة في البحث العلمي والدراسات الأدبية في القصة القصيرة والشعر والرواية والمسرح والنقد. وتقوم الدار بنشر النتاجات الفائزة، كما يتم توزيع الجوائز في احتفال خاص في واحدة من الدول العربية. وفي ما يلي بعض الكتب المنشورة في هذا المجال: العلاج الدوائي بين الأمس والغد / تحديات التصحر / الجينات / الشمس ومستقبل الطاقة / علم الفلك عند العرب / أزمة المياه في الوطن العربي / الإنترنت / التداوي بالأعشاب / الإستمطار / دور العرب في تقدم علوم الطب / التكامل الزراعي العربي / هل تكفي اللغة العربية لتدريس الطب والعلوم، ولماذا؟ / الأرقام العربية / معجزة التحنيط / أشعة الليزر واستخدامها في العلاج الطبي.

وعلى صعيد المحور الثالث، قامت الدار بالاحتفاء بعدد من الأعلام من الرعيل السابق وذلك بنشر الكتب التذكارية عنهم. وتم لحد الآن نشر ما يلي:

- ١ - عبد العزيز حسين وحلم التنوير العربي.
- ٢ - إبراهيم العريض وإشعاع البحرين الثقافي.
- ٣ - نزار قباني شاعر لكل الأجيال.
- ٤ - وردة في عروة الفارس النبيل (المقصود هو د. ثروت عكاشة)^{٢٧}.

الهوامش

- ١- انظر: مجلة الكويت، العدد ٢١٤، ص ٣٠.
- ٢- انظر: المصدر السابق، ص ٣١.
- ٣- قاص وياحث وناقد كويتي.
- ٤- مجلة الكويت، العدد ٢١٤، ص ٣٣.
- ٥- انظر: المصدر السابق، ص ٣١.
- ٦- انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ٧- انظر: المصدر السابق، ص ٣٢.
- ٨- انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ٩- مجلة الكويت، العدد ٢١٤، ص ٣٤.
- ١٠- انظر: الداية، فايز. امرأة من بلور في عمر علي السبتي (مقالة) مجلة الكويت، العدد ٢٠٩، ص ٤٦.
- ١١- اسماعيل، اسماعيل فهد. علي السبتي شاعر في الهواء الطلق، رابطة الأدباء في الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ص ٥٣ - ٥٤.
- ١٢- اسماعيل، اسماعيل فهد. المصدر السابق، ص ٤٩.
- ١٣- مجلة الكويت، العدد ٢١٤، ص ٣٦ - ٣٧.
- ١٤- المصدر السابق، ص ٣٧.
- ١٥- مجلة الكويت، العدد ٢١٤، ص ٣٧.
- ١٦- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ١٧- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ١٨- المصدر السابق، ص ٣٥.
- ١٩- المصدر السابق، ص ٣٦.
- ٢٠- المصدر السابق، ص ٣٩.
- ٢١- انظر: المصدر السابق، ص ٤٠.
- ٢٢- المصدر السابق، ص ٣٧.
- ٢٣- مجلة العربي، العدد ٥١٨، ص ٢١.
- ٢٤- مجلة الكويت، العدد ٢١٤، ص ٣٥.
- ٢٥- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ٢٦- أكثر المعلومات التي وردت في الموضوع تم استخلاصها من: مجلة الكويت، العدد ٢٠٩، ص ٣٨ - ٤١.
- ٢٧- انظر: العاني، نزار. مقومات الشخصية الاعتبارية لدار سعاد الصباح للنشر، مجلة الكويت، العدد ٢١١، ص ٤٦ - ٥٠.

النزعة القومية في شعر المتنبي

الدكتور عدنان طهماسبي

الاستاذ المساعد بجامعة طهران

محمود حيدري

طالب الماجستير بجامعة طهران

الملخص:

ابو الطيب احمد بن الحسين الملقب بالمتنبي شاعرٌ عربيٌّ فذٌّ، شيد بشعره صرحاً عظيماً في الادب العربي والذين طرّقوا ابعاد شخصية الشاعر كثيرون ومن هذه الابعاد نزعة الشاعر الى القومية العربية والتغني بها، وبحثنا هذا، يتناول دراسة موجزة عن نزعته القومية وهو رد على من يرى بأن القومية العربية هذه في اشعاره لم تترك مجالاً للذكر سائر القوميات.

نرى من خلال دراستنا بأن الشاعر قومي في اشعاره الى حد ما ولا يمكن القول بقوميته المتشددة إذ نرى مدحاً لسائر القوميات مثل مدح الاعاجم والفرس فهو يتقلب في اشعاره من القومية الى الشعوبية على حسب احواله.
الكلمات الرئيسية: المتنبي، الشعر، القومية العربية، الشعوبية

المقدمة

القومية صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع



وقد تنتهي بالتضامن والتعاون الى الوحدة^١ ويحدد الدكتور مصطفى عبد الغني مفهوم الاتجاه القومي العربي فهو يتخلص في «ان الاتجاه القومي هو الذي يستهدف تعميق الاحساس لدى أبناء الأمة بالانتماء الى الامة العربية الواحدة ووعيهم بمفهوم القومية العربية ومقوماتها وتحريكهم بالعاطفة والوعي معاً لترجمته في سلوكهم وممارساتهم واضعين نصب أعينهم الهدف القومي الأكبر وهو تحقيق الوحدة العربية الشاملة»^٢. وعندما تكون القومية حالة نفسية عاطفية في الانسان فلهذا تختلف من فرد الى فرد ولكي نلّم بقومية شاعرنا الماماً كافياً فمن الواجب أن نشير الى حياته الاجتماعية والسياسية والعوامل التي انبعثت فيه قوميته.

كان المتنبي شاعر العظماء والملوك وطاف اكثر البلاد ومربلاط الشام ومصر وفارس ومدح اشخاصاً مختلفي الجنسية منهم الاعاجم والفرس وهو شاعر متكسب بشعره وطار صيته في العالم الاسلامي ولشهرته اطلق عليه في الاندلس اسم الشاعر العظيم وفي مصر والمغرب اسم الشاعر العبقرى واصبحت كلمة الشاعر علماً له^٣.

أولاً: ولد ابو الطيب في الكوفة وترعرع في البادية ولذلك له دور هام في نفسية الشاعر للعصبيّة العربية وحنينه الى موطنه الاول^٤.

ثانياً: انه كان يعيش في اواخر العهد العباسي حيث تشعبت الحكومة واصبحت دويلات مستقلة تقريباً فترى الحمدانيين في الشام والفاطميين في مصر والبويهيين في بغداد وشيراز والأمويين في الاندلس و... والمتنبي يكره هذا كسائر العرب فلذا عاد الى التغني بقوميته حيث يقول: «وما تفلح عرب ملوكها عجم»^٥ وما يقلّ الوضع الاجتماعي اقل فداحة من الوضع السياسي اذ عصفت الاضطرابات والفتن والفوضى في المجتمع سواء من الخارج أو الداخل من جانب الروم الحاقدين على المسلمين والتناحر بين أبناء الدولة التي طالت القضايا الدينية بين العلويين والفاطميين من جهة والعباسيين من جهة أخرى، حيث تركت بصمات على المجتمع الاسلامي.

ثالثاً: أن شاعرنا مضى اكثر عمره في بلاط سيف الدولة الحمداني ومعروف عنه بأنه متعصب للعروبة فكان الأخير يطمح لإعادة مجد الخلافة العباسية وبهائها وحيث تركت

حروبه ضد الروم اثر كبير في شعر ابي الطيب وقد اجتمعا الامير والشاعر على سبيل واحد.^٦

بعد ان طابت له الحياة عند امير العرب وشى به عند الامير وما زالوا يوقعون بينه وبين سيف الدولة حتى اوغرو صدر سيف الدولة عليه فقدفه سيف الدولة ذات يوم بدواة كانت بين يديه فغضب المتنبي وغادر حلب^٧ واقترب الصديقان الوفيان وذهب الى مصر قاصداً «كافور الاخشيدي»^٨ مفتوناً بمواعيده العرقوبية ولكن خاب امله عند كافور وفر من ديار مصر فهجاه بقصائد عدة تظهر فيها ذروة شعره القومي ونزل في آخر مطافه بلاط «عضد الدولة البويهبي»^٩ بعد ان مكث مدة شهرين عند وزيره «ابن العميد»^{١٠} وكان ابن العميد هذا ادبياً عالمياً بـ «ارجان»^{١١} فمدح ابن العميد وعضد الدولة بقصائد رائعة ولم تدم اقامته هناك حتى قفل الى الكوفة وقُتل وهو في طريقه اليها^{١٢}.

تعتمد الدراسة على امهات الكتب النقدية محاولة منها لتقديم البحث بشكل جديد ليس معهوداً فيما رأينا وهو دراسة قوميته في كل فن من فنونه الشعرية مبتدئين بفن المدح وبسطنا القول فيه لانه يشغل مساحة كبيرة من ديوانه ثم الفخر والوصف عالمين بأن التقصير سمة عامة في كل بحث يريد ان يسلط الضوء على شخصية المتنبي وشعره راجين ان يكون مفيداً ومقبولاً.

القومية في مدحه:

ان المتنبي مدح اشخاصاً كثيرين في عمره سواء من العرب او غيرهم ولكن ما يهمنا من مدحه إلا فترة اتصاله بالامراء والملوك مبتدئين في دراسة مدحه منذ نزل عند بدر بن عمار القائد العربي لما نصره بـ «طبرية»^{١٣} ويعبر عنهما «بنقطة الانقلاب» في شاعرية المتنبي ومطلعهما:

في الخدّ إن عزم الخليط رحيلاً مطرٌ تزيد به الخدودُ محولاً^{١٤}

أبعد نأى الميحة البخل في البعد ما لا تُكلف الإيل^{١٥}

ولكن سرعان ما وقعت الوحشة بينهما فتركه ابو الطيب وسار إلى «الرملة» حيث مدح

ابو محمد بن طنج وهو اميرٌ تركيٌ وفي طريقه الى «انطاكية»^{١٦} عند ابي العشائر الحمداني استناره ابن كيغلغ لكي يمدحه ابو الطيب ولكن ابي ابو الطيب هجاه هجاءً مُراً وبعد ان دخل المتنبي انطاكية التقى هناك بسيف الدولة وهو ضالة المتنبي المنشودة وقد التقى الاثنان عند مطعم مشترك كلاهما فارسان شجاعان محبان الخوض في غمار الحرب وسيف الدولة اميرٌ عربيٌّ يأمل ان يعيد مجد الخلافة العباسية الذي بات في ضмор طمعاً منه ليجسد السيادة العربية المسلوبة ورأى المتنبي ايضاً في صاحبه نزعة عربية صميّة واستشعر لذة العيش عند الامير العربي ومدحه كأنه لا يدانيه أحد:

يا أكرم الأكرمين يا ملك الأملا ك طراً يا اصيد الصيد^{١٧}

ومن اشعار قالها في سيف الدولة وفيها لمحة من القومية واعتزاز بعربية سيف الدولة ويعدّها من مفاخره:

تهابُ سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا

يقول الشاعر: إن السيوف تهاب مع انها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها فكيف يكون حالها في الخوف منها اذا كانت عربية نزارية أي تقطعُ بنفسها دون استعانة بغيرها وسيف الدولة عربيٌّ نزاريّ فيكون أحقُّ بالخوف منه^{١٨}.

رفعت بك العرب العماد فصيرت قِسمُ الملوك مواقد النيران^{١٩}

وبعد معركة «الحدث»^{٢٠} يصفه بأنه ليس ملكاً عادياً يقاتلُ ملكاً آخر نظيره من اجل سيطرة زمنية او سيادة دنيوية بل هو داع مؤمن يقاتل في سبيل الله ضد مشركٍ فهزمه العربي دفاعاً عن العروبة ضد اعجمي يكيدها ويبغي زوالها:

ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربعة وتفتخر الدنيا به لا العواصم^{٢١}

كان المتنبي يقضي احسن ايامه عند سيف الدولة الحمداني اذ جرى بينه وبين ابن خالويه النحوي مشاجرة فجرحه ابن خالويه وكان سيف الدولة حاضراً مخيط الشفتين وما دافع عنه وغادره ابو الطيب قاصداً كافور الاخشيدي مادحاً اياه مغروراً بالولاية من قبله ولما رأى مما طلة كافور تركه وهجاه. ومن قصائده في مدح كافور:

كفا بك داءً أن ترى اذ الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
وهذا مطلع عابه كثير من النقاد على المتنبي لسوء مطلععه وكما قال عنه الرواة «انه
يتطر منه»^{٢٢} ومدحه في كافور كما قال نفسه مدح وهجاء فاذا اردت تقليبها يكون هجاء
ويعبر الدكتور حسن فتح الباب عنها بـ «مدائح المتنبي الهجائية»^{٢٣} وربما رأينا عدداً كبيراً
من ابيات المديح في كافور تورية بالهجاء وفقدت مدائح المتنبي في كافور تلك العناصر
التي كنا نراها في مديحه سيف الدولة التي كانت تدور على عظمة الملك ووصف المعارك
ولقد أخذ المتنبي يعتاض عن ذلك كله بالحكمة ينشرها في قصائده ليعزي نفسه عن
حياة المجد التي عاشها في حلب. وهو لا يصفى الود لمدوحه حتى يقول في اثناء هذه
القصيدة:

أقل اشتياقاً ايها القلبُ ربما رأيتك تُصفى الود من ليس صافيا
ولكن بالقسطاظ بحرأ أزرتـه حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
وفي هذا يقول ابراهيم عبد القادر المازني: وإنا والله نراه تهكم به ولم يُثن عليه وما
قرأنا قصيدة في كافور ألا عثرنا فيها على بيت أو أبيات نشر بأن المتنبي كان يأخذه
بالدعابة ويرى نفسه أجـل وأخطر شأنًا من أن يمدحه^{٢٤}.

أما مدحه للفرس هو موضع الصراع بين النقاد فمنهم من يرى في هذا المدح انتقص
من العصبية العربية ومنهم من يقول لا عار فيه. علينا ان نرى من مدح المتنبي من الفرس
وبأي صفاتٍ مدحهم؟ بعد ان دخل المتنبي بلاد فارس أخذ يمدح البعض منهم «علي بن
صالح الروذباري»^{٢٥} وابن العميد وعضد الدولة البويهى ووصفهم بمجدهم العالي وشرفهم
الاصيل وايضاً بحضارتهم وثقافتهم والآن نستعرض هذه الصفات من خلال شرح ابياته
حيث يقول في مدح علي بن صالح الروذباري:

ليس كل السراة بالروذبار	ي ولا كل من يطير بباز
فارسي له من المجد تاج	كان من جوهر على أبرواز
نفسه فوق كل نفس شريف	ولو أنى له الى الشمس عاز
وبآبائك الكرام التأسى	والتسلي عما مضى والتعازي

يقول هو من العلية الاشراف وهو بينهم كالبازي بين سائر الطير أي ليس أحد مثل هذا الممدوح الذي قد جمع ما تفرق في غيره من العلية، ويتابع في مدحه قائلاً: إنه من اولاد ملوك فارس وله تاج من المجد كان مثله من الجواهر على رأس «ابرويز» وهو احد الاكاسرة تصرف في اسمه كعادة العرب تتصرف في الأسماء الأعجمية ما شاءت وهو بنفسه اجل من كل اصل شريف حتى لو نسبته الى الشمس كان اشرف منها^{٢٦}.

هذا مدح واضح كل الوضوح بأن ابا الطيب وصف الممدوح بنسبه العالي. يقول الدكتور طه حسين: «مع كل ما نعلم عن قومية المتنبي فهو يخرج عن مألوفه احياناً ولكنه كان يتجنبُ التعرض لمدح اجناسهم الاجنبية ويكتفي بمدح اشخاصهم لم يعد ما لآبائهم من سابقة في الاسلام وفي ظل الدولة العربية أما في هذه القصيدة، المتنبي الذي إتخذ العربية لنفسه مذهباً سياسياً فلسفياً يخرج عن مألوفه فيمدح هذا الرجل الفارسي ويمدح الفرس ويرقى بمدحه الفرس قبل الاسلام^{٢٧}.

هذا رأي الدكتور طه حسين ولكن نرى عبد الوهاب العزم يقول: لا عار فيه ولا اخلال بعزة الشاعر العربية «لست أرى في هذا المدح إخلالاً بالعصبية العربية فمدح جماعة ليس تحقير أخرى ولا سيما من شاعر له من وراء المدح مآرب أخرى، كأن الشاعر ضاق عليه مجال القول في هذا الممدوح فحلاه بشيء من مجد الفرس القديم ولو أنه اراد تعظيم الفرس لاتسع له المجال في قصائد عضد الدولة»^{٢٨}.

ولكن ادلة عزام ضعيفة والمتنبي شاعر فحل وبيده ناصية اللغة وله مقدرة عظيمة في تعدد صفات الممدوح ولا يمكن لشاعر مثله أن يضيق عليه مجال القول وإنه بسط القول في عضدياته سواء في رثاء عمّة عضد الدولة أو في وصف شعب بؤان أو في مدائحه وهذا رائع بأن نعلم أن عصام السيوفي الذي يرى في كل بيت من ابیات المتنبي عصبية للعربية ويؤولها ويفسرها على رأيه لئلا ينبس عن بنت شفة لهذه الابيات في مدح ابن العميد والروذباري لأنه ليس في امكانه ان يفسر هذه الابيات وهي واضحة. أما في قصيدة أخرى في مدح ابن العميد يمدح فيها الممدوح بحضارته ومملكه القديم:

تركت دخان الرمث في أوطانها طلباً لقوم يسوقدون العنبرا

من مبلغ الأعراب أنى بعدهم لاقيتُ رسطاليس والإسكندرا
ولقيتُ بطليموس دارس كتبه مستمكلاً متبدياً متحضراً

في شرح هذه القصيدة شرحان مختلفان؛ الأول لعبد الوهاب عزّام حيث يقول: «إن الشاعر يصف انتقاله من البداوة إلى الحضارة فقد ذكر دخان الرمث وهو من شجر البادية وذكر الأعراب ثم قابل هذا بالعنبر وارسطاليس والاسكندر فكلام الشاعر عن الأعراب لا عن العرب وليس فيه قياس أمة بأمة بل حال بحال بدواة وجهالة بحضارة وعلم ولكن مع هذا لا أبرئ الشاعر من أنه وقف نفسه موقف التهمة وكان خيراً له أن لا يقول هذا»^{٢٩}.

أما الشرح الثاني قول عصام السيوفي إذ يقول «إن أبا الطيب يقارن بين العرب المتبدين والفرس المتحضرين ثم يرسل تحذيراً إلى الأعراب أن عليهم أن يحذروا تلك الدولة برجالها الذين جمعوا علم الماضين وحضارتهم إلى قوة بأسهم وشدتهم وأنهم ألموا بحضارة العرب وثقفوا بثقافتهم فامتلكوا ناصية لغتهم وهم لذلك كله صاروا يشكلون الخطر الأكبر على العرب جميعاً وسيادتهم فلذلك يدعو العرب إلى استدراك أمورهم قبل أن يقضي عليهم البويهيون قضاء تاماً»^{٣٠}. ولكننا نتفقنا بثقافة الإسلام أكثر من ثقافة العرب.

وفي مكان آخر يمدحُ عضد الدولة ويقول:

وقد رأيتُ ملوك الأرض قاطبة وسرتُ حتى رأيتُ مولاها
أبا شجاع بفارس عضد الدو لة فنا خسرو شهنشاهها
اسامياً لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها^{٣١}

يرى المتنبي عضد الدولة أفضل الملوك ولا يستثنى أحداً حتى سيف الدولة ويؤكد المعنى بلفظ «قاطبة» أي جميعاً وعضد الدولة ملك الملوك ومولى الملوك جميعاً.

أما قصيدة أخرى يمدحُ في إثنائها عضد الدولة والقصيدة في رثاء عمه عضد الدولة فيجعل عضد الدولة فخراً للدهر كله ويمدح آباءه وأبنائه:

يا عضد الدولة من ركنها أبوه والقلب أبو له
ومن بنوه زين آباءه كأنها النور على قضبه
فخراً لدهر أنت من أهله ومنجبٍ أصبحت من عقبه^{٣٢}

ويدعوه له في قصيدة أخرى ويمدحه بسخائه وشجاعته في صمته:

يا عضداً ربه به العاضد
وسارياً يبعث القطا الهاجد
وممطر الموت والحياة معاً
وأنت لا بارق ولا راعد^{٣٣}
وفي قصيدة «شعب بوان»^{٣٤} يراه شمساً تبهر كل العيون ولا تُحصى فضائله:
ولا تُحصى فضائله بظن
ولا الأخبار عنه ولا العيان
وكنت الشمس تبهر كل عين
فكيف وقد بدت معها اثنتان^{٣٥}

كما قلنا سالفاً إن أبو الطيب ملتصق بشعره كل الالتصاق ومن اغدق له مالاً أكثر فهو بمدوحه ولولا شعره في الهجاء والغزل والفخر لقلنا إنه ليس قومياً أبداً. المتنبي شاعرٌ متكسبٌ بمدحه ولا يعرف القومية في مدحه وقد رأينا أنه مدح الفرس وانسابهم على حدٍ لم يمدح العرب في النسب.

وما كان أبو الطيب مضطراً أو مرغماً إلى مجازاة أحدٍ مثلاً لما دعاه «صاحب ابن عباد»^{٣٥} وهو وزير إيراني لم يلبّ دعوته ولّى دعوة ابن العميد وكان مختاراً في اختياره الممدوح.

وإذا تصفحنا كتب الأدب النقدية مثل «العوامل السياسية»... لا نرى هذه الأبيات لأنهم لا ينظرون إلى البحث بنظرة موضوعية علمية بحتة ويتعصبون دائماً على الفرس ولو كان في وسعهم لحذفوا كل ما قال المتنبي عن الفرس ونسبهم وشرفهم الرفيع ولكن خير ما نرى من كلام النقاد عن المتنبي في مدائحه قول الدكتور عبد اللطيف عمران إذ يقول في شرح قصيدة مدح بها ابن العميد: «يقترّب المتنبي في هذه القصيدة ممّا نعرفه اليوم بحوار الحضارات إذ يتعدّد عن العصبية العربية المقترنة بنزوع غير انساني ويجد في شخصية الممدوح بعداً حضارياً عربياً إسلامياً فارسياً:

عربيّ لسانه فلسفيّ
رأيه فارسية أعياده^{٣٦}

أما مدحه في الكافور كما قال أبو الطيب نفسه محتمل الضدين فإذا اردت تقليبها يكون

هجاء، لننظر نظرة عابرة على هذه القصيدة المدحية: «كفا بك داءً أن ترى الموت شافيا»، إن مطلع القصيدة على مذهب الرواة «إنه يتطير منه» ثانياً نرى أنه لا يصفى الود الخالص لممدوحه ويقول في إثناءها:

أقل اشتياقاً أيها القلب ربما رايتك تصفى الود من ليس صافيا
ولكن بالفسطاط بحرأً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا^{٣٧}
يتبين في هذه القصيدة مقدرة أبي الطيب؛ بأن ما أورده ظاهره مدحٌ قحٌ لكافور ولكن تعدية فعل «زار» اعتراف واضح بأن أبا الطيب ليس راضياً بهذه الزيارة وقد عبر عن عمق احساسه بالغيرة والوحشة في مثل قوله:

غريبٌ عن الخلان في كل بلدةٍ اذ عظم المطلوبُ قل المساعد^{٣٨}
وايضاً فيه اعتراف واضح بأن مطلوبه كان عظيماً وهو أخذ الولاية من كافور فمدحه في كافور ليس خالصاً وإنما مدحه لأخذ الولاية.

إن أبا الطيب في مدحه الاعاجم ينتهج طريقتين مدحه في الفرس لا يشوبه الخداع وهو صافي الود في مدحه ولكن في كافورياته ليس مدحاً في الحقيقة كما يقول الشراح وأبو الطيب نفسه.

القومية في وصفه

يشتمل وصفه وصف الحروب والمعارك ضد الروم ووصف الطبيعة خاصة وصف شعب بوان وله قصيدة في وصف الحمى وسنسط القول في هذه القصائد.

(الف) وصف المعارك: يصف الشاعر حروب سيف الدولة ضد الروم وصفاً رائعاً لانه فارس شجاع وحاضر بنفسه في هذه المعارك وان الامير في حلب - هذه الولاية الصغيرة - بات درعاً للامة العربية يحميها ويذود عنها من غزو دولة الروم الشرقية فمجد المتنبي هذه البطولة وتغنى به غناء لسبيين: الاول فواضح فهو موقف سيف الدولة من الروم وحمايته العرب وكان المتنبي يشعر بعرويته شعوراً عميقاً وثانياً إن المتنبي ثائراً يريد أن يسترجع على العرب دولتهم المسلوقة وبذلك اجتمعت له عناصر مادية ونفسية كثيرة

جعلت وصفه لحربه شعلة من الحماسة القوية ومن أروع ما يصور احتدام الشاعر العروبة في نفسه قوله مخاطباً سيف الدولة:

لقيت بدرب القلة الفجر لقية شفت كمدي والليل فيه قتيل

فقد جعل انتصاره يشفى غيظه حيث يصور فترة الخمود ليلاً ثقيلاً وهو ليل لم يلبث أن طعنه سيف الدولة طعنة نجلاء فتبلج الظفر منها وعلى هذا النمط يتغنى ببطلته وهو غناء لا شك أن كل نفس عربية تجد فيه صورة لروحها وقوميتها^{٣٩}.

يقول الدكتور طه حسين حين يشبه وصفه للحروب بالكهرباء «نجد في وصف المتنبي لحروب سيف الدولة عند الثغور فتوة عربية اجتماعية وترى هذه الفتوة تشيع في وصفه حية قوية مضطربة شديد الاضطرام كأنها الكهرباء ولا تكاد تتصل بهذا الشعر حتى ينتقل اليك ما صورّ فيه المتنبي من حياة هؤلاء المجاهدين»^{٤٠}.

فظن سبب إجادته وصف الحروب ينم من كونه فارساً مغواراً شجاعاً قد خاض الحروب ناهيك أن هذه الحروب تعد من حروب الاسلام ضد الكفر وليست حروب عرب ضد العجم وسيف الدولة هو فارس الاسلام وحاميه ولكن لا شك أن وصفه المعارك الذي يجري على لسان الشاعر من احسن شعره واقواه جزالة:

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً ولا فيه مراتب ولا منك عاصم

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلی وراجيك والاسلام أنك سالم

ولم لا يقي الرحمن حديق ما وقى وتفليقه هام العدى بك دائم

يعني أيها السيف الذي لا يزال مسلولاً على الاعداء لتهناً هذه المذكرات بسلامتك لأنك قوامها ويقول لماذا لا يصون الله سيفاً كذا الحدين مادام يحفظه وبهذا السيف لا يزال الله يفلق رؤوس الاعداء وينتصر منهم^{٤١}.

ب) وصف الطبيعة: حينما وصل المتنبي «شيراز» ورأى سحر جمال شعب بوان اعجبه كثيراً وانشد قصيدة وصفية هي من أروع قصائده في هذه القصيدة يشبه الجنات والبساتين بالرضوان ويخشى على فرسه بالحران والمقام هناك لكن هو عربي بدوي يعتاد قطع البيدات القفرة ونرى في شعره كما قال حنا الفاخوري «نابض بذكرى وطنه وقومه

وشاهد بان فكرة العروبة قد لازمته اينما حل حتى كانت أوفر الأشياء فتنة وسحرا تعجز عن ملء نفسه واسعاده:

مغاني الشعب طيباً في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان^{٤٢}

نرى أن الشاعر يشعر بالغربة في هذا المكان سواءً غريب في لونه او لسانه او سلاحه وكما فسر الشارحون المراد بغريب اليد أن سلاحه متفاوت عن سلاحهم وسلاح العربي سيفه وسلاح الفرس الرماح والترس رغم هذا يتغنى بعروبيته^{٤٣}.

يقول محمود شاكر حينما يشرح هذه القصيدة: «فهذا هجاء بين ارض فارس وأهلها فقد زعم أن سليمان (ع) الذي علم منطق الجن والطيور والحشرات والبهائم لو دخل ارضهم لاحتاج الى ترجمان فاخرجهم بذلك من منزلة البهائم وما ذكرنا وجعلهم دونهم وانه من هوانهم على الله وقتلهم في الارض لم يعلم الله سليمان لسانهم وليس يخفى هذا على مثل عضد الدولة ولم يكتف ابو الطيب بهذه واتبع قوله بعدا:

اذا غنى الحمام الورق فيها
أجابته أغاني القيان
ومن بالشعب أحوج من حمام
اذا غنى وناح الى البيان

وتتم المعنى وابان مقصده اذ جعلهم اقل منزلة من الطير في البيان والافصاح ولم يقتصر على هذا بل اراد ان يعلم عضد الدولة أن هذه البلاد ليس مكانه الذي يرتاح اليه وليست بالارض التي تحرص عليها وأنه غريب عنهم وأن مدحه لهم ليس شيئاً وأنه عربي ليس باعجمي يميل اليهم»^{٤٤}.

وللنظر الى قول الواحد في تفسير هذا البيت: «جعل الشعب لطيبه وطرب اهله ملاعب وجعل أهله جنة لشجاعته في الحرب والعرب اذا بالغت في مدح شيء نسبته الى الجن كقول الشاعر «بخيل عليها جنة عبقرية» وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان آتاهم لاحتاج الى من يترجم له»^{٤٥}.

أما السمة الأخرى التي يتميز بها الشاعر العربي الكبير في هذه القصيدة هو احاطته بالتراث العربي وقدرته على توظيفه في شعره رموز ومعان وهي سمة عامة في كل شعره

اذ كان من اكبر مثقفي عصره بل كانت سعة ثقافته رافداً لنهر عطائه الفني شأنه في ذلك شأن كبار الشعراء في العالم والبيان الثالث والأخير شاهدان على علمه بالتراث وتأثره به وتوظيفه له اذ يشير في أولهما إلى معجزة النبي في التحدث بلغة الحيوان والطير كما ورد في القرآن الكريم ولكن سليمان كان يخاطب الجن ويسخره لأمره ومن ثم كان يعرف بالضرورة لغتهم. أما المتنبي فكان محتاجاً الى وسيط يترجم عنه للجان ولعل الشاعر أراد بهذه التفرقة المبالغة في تصوير السحر الغامض لشعب بوان وانبهاره بما رآه من مشاهد واغترابه بين أهل الشعب اذ وجد نفسه بينهم كأنه مخلوق قادم من عالم آخر فلا مكان له بينهم^{٤٦}.

نرى أن الشراح المعاصرين يحايدون العرب ويتعصبون له ويحطون من شأن الفرس آنذاك رغم أنها كانت تحظى بامبراطورية قوية.

للمتنبي قصيدة وصفية أخرى في وصف الحمى قالها في مصر وقد ورد ذكرها في اكثر كتب الادب في هذه القصيدة يصف الشاعر فيها خيبة أمله عند كافور ويصف آماله المبثقة مما أدى الى فقدان الثقة بالناس جميعا وهو يعاني لهذا ويقول:

ولما صار ود الناس خباً جزيت على ابتسام بابتسام
ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على المنام

في هذا البيت الاخير تعريض لكافور لما وعده بالولاية والملك ولم يف بوعده - مع أنه في امكانه ان يهبه الملك ولكن لا يفعل ويماطله. هذا ما وصلنا من خلال شرحه ونعتقد بها وأما عصام فيرفضه ويقول: «ان كان الوضع هكذا يفقد الكلام قيمته المعنوية والفنية، انه يخاطب العرب وقد يعد كل عيب في الانسان العربي اذا ذاك امرأ حتمياً إلا امرا واحدا يرفض التسامح فيه وهو أن الانسان العربي وهو قادر على صون عزته وكرامته ثم يتراجع متقاعساً متخاذلاً راضياً بحكم الاعاجم وما أبانته مصر من هذا الواقع المرير الذي كان العرب عليه آنذاك واقع حافل بالتخلف والذل والفساد السياسي والاجتماعي والأخلاقي فما الحمى إلا السبب الأخير الظاهر لما يعانيه ابو الطيب ويرى ان الحمى نتيجة ظاهرة لمضاعفات نفسية نتجت عن تراكم اسباب عميقة سالفة فكبتها الشاعر زمنا حتى تفجرت

هنا بهذا التلميح الرائع وأن سبب مرضه تقييده والحجر عليه في هذه البيئة وليس كمرض عضوي عادي يتمنى الشاعر ان يصح منها والحمى مثال الانطلاق والقوة ورمز العزة العربية الصميمة وشعار غلبة القيم الشريفة^{٤٧}.

ان ما لا شك فيه أن ابا الطيب قد ضمن قصيدته في وصف الحمى كثيراً من آلامه النفسية وآماله المثبطة عند كافور وتقييده وعدم الثقة بالناس ولكن قلما يمكن ان نعبر هذه القصيدة كما يرى عصام انفجاراً لآلامه النفسية وانه لم يمرض أبداً ونراه يرتبط كل ما في الديوان بالقومية العربية بل انه مرض ولكن ضمن خيبة آماله في هذه القصيدة.

القومية في فخره:

قد شاع الفخر منذ اقدم العصور في الشعر العربي والشاعر كان يفخر بقبيلته او بنفسه مثل عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد او كانوا يفخرون بدينهم الجديد في صدر الاسلام ولكن في العصر العباسي حيث شهدت العصبية القبلية والدينية اصبحت ضموراً وتمازجت الثقافات المتنوعة «اخذ المتنبي يفخر لا بجذوده وآبائه وقبيلته لأنهما يكتنفهما الغموض الكثيرة وانه لم يكن يهتم بحزب سياسي او بطائفة دينية وهو اذا يفخر يذكر قومه في مفاخره دون ان يحدد من يكونون»^{٤٨}.

هذا رأي فوزي عطوي ويتماشي معه الدكتور طه حسين حين يفسر هذا البيت:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى فخرت لا بجذودي
وبهم فخر كل من نطق بالضاد وعود الجاني وغوث الطريد^{٤٩}

ان ابا الطيب يفخر بنفسه دائماً وهو شاعر أبي ولا يقبل الذل عند الأمراء والملوك وحين يريد أن يمدح سيف الدولة يشترط بانه يجلس وينشد وهذه خصوصية يرتبطها شوقي ضيف بالقومية العربية ويقول: ان كل عربي ينطوي عليها ينطوي على الثقة بالنفس التي لا حد لها وما يتصل بها من الانفة والشعور بالكرامة والاباء من اجلها وشعره ملتصق بنفوس العرب ويشغفون به شغفاً شديداً^{٥٠}.

والمتنبي في هجائه وفخره ذهب مذهب الجاهليين اذ يرى قومه فخر العرب،

ويتعصب لقوميته ويحيى العصبية العربية ثانية^{٥١}.

من خصائص فخر المتنبي أنه يفخر بنفسه أمام مدوحيه وهم مع هذا يعجبون بشعره ويرفضون منه وماذا نرى حين يمدح سيف الدولة مفتخراً بنفسه:

وكيف لا يحسد امرئ علم له على كل هامة قدم
ولا يستثنى حتى رأس مددوحيه ومفاخره يتناول حيناً آباءه وأحياناً نفسه وإذا افتخر
بآبائه يجمل القول:

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظم^{٥٢}
يبدو في دراستنا عن فخر المتنبي أنه يفخر بنفسه أولاً ثم قومه ودليل هذا القول أن
الآبيات التي يفتخر بنفسه فيها أكثر عدداً ووضوحاً بالنسبة إلى آبيات قالها في قوميته
وآبائه ولكن هذا الضرب من الشعر القومي الذي مبثوث في أشعاره المدحية والوصفية
كان مجهولاً عند الأقدمين لأن الأقدمين لم يتناولوا قط معاني القومية العربية ولم يجدوا
ضرورة للدفاع عنها إذ كانوا باجمعهم صريحي العروبة لا يناوئهم فيها أحد مع هذا إن أبا
الطيب يقدم الفخر بنفسه ثم يتلو الفخر بقومه ولا يفصل بينهما وله عصبية واضحة لقوميته
العربية ولكن يصبح ضعيفاً في بعض الأحيان^{٥٣}.

٤. القومية في هجائه

تظهر قومية المتنبي في هجائه لابن كيغلف وكافور الأخشيدي بيد أن هجائه قليل
بالنسبة إلى أشعاره لأنه رجل فخور أبي النفس ولا يدفع ثمناً لهجاء الناس نفسه وحينما
ترك المتنبي بلاط المهلبى الوزير أثار المهلبى الشعراء لهجوه ولكن لم يهتم المتنبي بهم.
لما خاب أمله عند كافور ورأى مما طلة كافور هجاء بهجاء مؤلم وموضوع أهاجيه هو
الجهاد المتواصل للخلاص من الرقبة وسيادة الأعجميين وبعث الكيان العربي الصميم:

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الاعبد القزم^{٥٤}

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد^{٥٥}

وأكثر ما يؤلم المتنبي في هجائه كافور أنه يرى الهمة العربية وقد اندرست في زعمائها

واحرارها وبادت وقدمت ولم يعد يملك العربي حياها إلا الحزن والبكاء عليها بكائه
على الاطلال البالية:

أحق عافٍ بدمعك الهمم احدث شيء عهداً بها القدم^{٥٦}
ويتابع القول بان العرب لن يفلحوا في استعادة مجدهم القديم وعزهم الاصيل
بالسيادة والسلطان ما لم يتخلصوا من تسلط الاعجمي عليهم ويقابل بين الاعجمي
المتسلط وبين العربي المحكوم:

وانما الناس بالملوك وما تفلح عربٌ ملوكها عجم
لا ادبٌ عندهم ولا حسب ولا عهودٌ لهم ولا ذمم
والناس على دين ملوكهم وطالما ان السيادة العربية بيد الاتراك والديلم وغيرهم من
الاعاجم فلا فلاح لهؤلاء العرب وابو الطيب ما قصد هنا مجرد تحقير ملوك عصره بقدر ما
توخى ان يتهمهم عليهم وينفز العربي منهم مذكراً العرب بحضارتهم الراقية وهو بهذا
يستحدث امراء عصره من العرب وقوادهم جميعاً مستنهضاً همهم باثناً فيهم روح
الانتفاضة والثورة^{٥٧}.

اما هجائه لابن كيغلغ، لما سألته ان يمدحه واما ابو الطيب ثم فر وهجاه بهذه القصيدة:
لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أنى أسلم^{٥٨}
حتى يصل الى هذا البيت ويغلى غضبه ويفور اشمئزازه ويهجو بنسبه ويرى العربية
افضل من قومية العجم بحيث يتصور هذه الارجحية في افعالهم وعاداتهم:
افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم أعجم

القومية في غزله

ان المتنبي في غزله متابع الاقدمين ويستهل قصائده بالغزل والوقوف على الاطلال
وهذه قضية تستلقت النظر في غزله وسبب ذلك انه قضى ايام شبابه في البادية وله روح
بدوي ودرس اللغة والادب عند اللغويين ولذا صار شعر الاقدمين ملكة ذهنه حتى غدت
الروح البدوية صورة ولفظاً ومعنى وغزلاً تجسيدا لما ضم في اعماق المتنبي من حس



عربي اصيل يتجلى قوميته في اشكال مختلفة منها التشبب بالاعرابية وهيام فواده بها:

هام الفؤاد باعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تعد له طنباً^{٥٩}

ومن جانب آخر يفضل البدويات على الحواضر ويكثر من المدح والثناء في حقهن:

ما اوجه الحضر المستحسنات به كاوجه البدويات الرعايب^{٦٠}

فالممتنبي خلف هذا التشبيب والمقارنة بين البدويات والحواضر يتمسك بتقاليد قوميته العربية المحضة وعاداتها وينفر مما خالطها في المجتمعات الريفية والحضرية فهو ينظر الى تلك التقاليد نظرة الاكرام والاجلال ويخيل الى الانسان ان الشاعر يعتقد بالمحافظة الشديدة على خصائص العنصر العربي التي كان موطنها الصحراء^{٦١}.

ومن المعروف ان التقديم بالغزل من ميزات الادب العربي الخاصة والممتنبي في اختياره الغزل في استهلال قصائده يريد ان يظهر لنا خواطره وآرائه النفسية ولا يريد اتباع الاقدمين لانه ليس عاشقاً حتى يهيم فؤاده في حب احد بل هذ الغزل ليس كغزل امرئ القيس وعمر بن ابي ربيعة وسائر الشعراء بل في ورائه مآرب أخرى وهو الحنين الى الموطن العربي الخالص والقومية العربية.

النتائج

يمكننا ان نلخص نتائج البحث فيما يلي:

١. ان الممتنبي شاعر العظماء والامراء وهو يتكسب بشعره ويصرح نفسه هذا المعنى في قصيدة هجا ابن كيغلق كما مر: «ان الثناء لمن يزار فينعم»^{٦٢} ولا يمكن القول بقوميته من خلال شعره المدحى ولا سيما ما قال في الفرس حين يمدح الروزباري وعضد الدولة وابن العميد بشرفهم العالي حيث يعلي من شأن قوم ابن عميد ويرفع مقامهم بدرجات من النجوم يعني ان قوم الممدوح ورهطه أكرم واشرف من النجوم:

زحل على أن الكواكب قومه لو كان منك لكان أكرم معشرا

وحين يمدح الروزبادي:

فارسي له من المجد تاج كان من جوهر على أبرواز

والمتنبي يودع عضد الدولة ولا يرجع من عنده غاضباً كما ترك سيف الدولة وكافور
ويرى عضد الدولة فوق كل الملوك ويفديه كل الملوك:

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك اذن إلا فداكا^{٦٣}

٢. تتجلى قومية المتنبي في غزله وشوقه الى الوطن الاصلي والبدو والتشبيب بالاعرابية
ووصفه لاسيما وصف الحمى عندما خاب امله عند كافور.

٣. تظهر ذروة شعره القومي في هجائه كافور وابن كيغلف ويفور اشمزازة وكرهه من
الحكم الاعجمي:

افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الأعاجم اعجم
انما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

المصادر والمراجع:

١. ابن عباد، صاحب، امثال سائره از شعر متبني، ترجمه دكتر فيروز حيريجي، چاپ اول، تهران، بي تا.
٢. الامين، احمد، ظهر الاسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٤٥.
٣. انوار، سيد امير محمود، سعدي ومتبني، تهران ١٣٨٠ هـ ش
٤. انيس، ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة السابعة، طهران ١٣٧٦ هـ ش
٥. البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، الطبعة الثانية، مصر ١٩٨٣
٦. البستاني، فؤاد افرام، ادباء العرب، ج ٢، بيروت ١٩٨٩
٧. البغدادي، أحمد ابن علي الخطيب، تاريخ بغداد، بيروت، بي تا، ج ٤
٨. حسين، طه، مع المتنبي، دار المعارف مصر، ١٩٣٧
٩. رضائي هفتادري، غلام عباس، محمد حسن حسن زاده نيري، شرح گزيده ديوان متبني، تهران، ١٣٨٣ هـ ش.
١٠. السيوفي عصام، الانفعالية والابلاغية في اليان العربي، بيروت، ١٩٨٦
١١. السيوفي، عصام، العوامل السياسية في شعر ابي الطيب، بيروت ١٩٨١
١٢. شيخو، الأب لوئيس، المجاني الحديثة، المجلد الثالث، الطبعة الرابعة، ايران: قم، ١٩٩٨
١٣. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر، الطبعة العاشرة، دار المعارف مصر ١٩٤٣
١٤. عبد الغني، مصطفى، عالم المعرفة: الاتجاه القومي في الرواية، كويت ١٩٩٤
١٥. العزام، عبد الوهاب، ذكرى ابي الطيب بعد الف عام، بغداد ١٩٣٦
١٦. عطوى، فوزي، المتنبي شاعر السيف والقلم، بيروت ١٩٨٩
١٧. العقاد، عباس محمود، مطالعات في الكتب والحياة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٦٦
١٨. عمران، عبد اللطيف، الادب العربي في بلاط عضد الدولة البويهى، دمشق ٢٠٠٢
١٩. الفاخوري، حنا، تاريخ الادب العربي، طهران ١٣٧٦ هـ ش

٢٠. فاضلي، محمد، التعريف بالمتنبي من خلال اشعاره، مشهد ١٣٧٢. هـ ش
٢١. فتح الباب، حسن، رؤية جديدة لشعرنا القديم، بيروت ١٩٨٤
٢٢. فروخ، عمر، المنهاج الجديد في الادب العربي، الجزء الثاني، بيروت ١٩٦٩
٢٣. المازني، ابراهيم عبدالقادر، حصاد الهشيم، بيروت ١٩٨٥
٢٤. محمد شكر، محمود، المتنبي، مصر ١٩٨٧
٢٥. المعري، ابوالعلاء، شرح ديوان ابي الطيب المتنبي، الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر
١٩٩٢
٢٦. الواحدي، شرح ديوان المتنبي، حققه فريد ريخ ديترصي، اربعة اجزاء، برلين ١٨٦١

الهوامش:

- ١- المعجم الوسيط، مادة: قوم.
- ٢- الاتجاه القومي في الرواية، ص ١٧.
- ٣- سنوات ضائعة من حياة المتنبي، ص ١٢.
- ٤- تاريخ بغداد، ٤ / ١٠٢.
- ٥- شرح الديوان، الواحدي، ص ١٤٨.
- ٦- ظهر الاسلام، ١ / ١٨١.
- ٧- المنهاج الجديد في الادب العربي، ٢ / ١١٤.
- ٨- سلطان مصر وسورية مملوك توصل على الحكم وحافظ على الدولة الأخشيديّة مدة عشرين سنة. ت. ٩٦٨.
- ٩- سلطان بويهى وأحد الأخوة الثلاثة الذين لعبوا دوراً هاماً في تاريخ الامبراطورية الاسلاميّة ضم العراق وفارس في دولة واحدة. ت. ٩٨٣.
- ١٠- هو ابو الفضل محمد بن الحسين فارسي من مدينة قم اديب وسياسي. ت. ٣٦٠ هـ. ق.
- ١١- مدينة في بلاد فارس.
- ١٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٤٢٠.
- ١٣- مدينة على بحيرة طبرية أسسها هيرودس انتيباسو دعاها باسم القيصر طيباريوس جعلها الصليبيون عاصمة إمارة الجليل سنة ١٠٩٩ م.
- ١٤- شرح كزیده ديوان، دکتر غلام عباس رضائي، ص ٣١.
- ١٥- شرح الديوان، الواحدي، ص ٢١٠.
- ١٦- مدينة شهيرة بمتحفها ومركزها الزراعي أسسها سلوقوس واصبحت عاصمة السلوقيين احتلها العرب سنة ٦٣٦.
- ١٧- المتنبي، ص ٤١٠ وما بعد.
- ١٨- شرح كزیده ديوان، دکتر غلام عباس رضائي وديگران، ص ٢٤٠.
- ١٩- شرح الديوان، الواحدي، ص ٤٧٥.
- ٢٠- مدينة في آسية الصغرى احدى العواصم الهامة على الحدود البيزنطية احتلت في عهد عمر بن الخطاب امرها الروم واعاد بنائها المهدي (المنجد).
- ٢١- شرح الديوان، الواحدي، ص ٦٢٤.
- ٢٢- الرؤية الجديدة لشعرنا القديم، ص ٢٠٥.
- ٢٣- المنهاج الجديد، ص ١٢١ وسعدي ومتنبي، ص ٦٨.
- ٢٤- حصاد الهشيم، ص ١٣٥.



- ٢٥- إيراني من رجال الدولة البويهية.
- ٢٦- شرح الديوان، البرقوق ج ٢ ص ٣٤٣.
- ٢٧- مع المتنبي، ص ٨١ وما بعد.
- ٢٨- ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، ص ٢٨٠.
- ٢٩- ذكرى أبي الطيب، ص ٤١- ٣٣٣.
- ٣٠- العوامل السياسية في شعر أبي الطيب، ص ٣٥٧.
- ٣١- شرح الديوان، الواحدي، ص ٧٦٨.
- ٣٢- شرح الديوان، الواحدي، ص ٧٨١.
- ٣٣- المصدر نفسه، ص ٧٨٩.
- ٣٤- المصدر نفسه، ص ٧٦٥.
- ٣٥- من رجال الدولة البويهية وزير غلب عليه الادب استوزه مؤيد الدولة ثم اخوه.
- ٣٦- الادب العربي في بلاط عضد الدولة البويهى: ص ٥٩.
- ٣٧- شرح الديوان، الواحدي، ص ٦٢٤.
- ٣٨- امثال سائره از شعر متنبى، ص ٤٧.
- ٣٩- الفن ومذاهبه، ص ٣٠٦.
- ٤٠- مع المتنبي، ص ١٧٤.
- ٤١- المجاني الحديثة، ٣/ ٢٤٢.
- ٤٢- تاريخ الادب العربي، ص ٦٣١.
- ٤٣- شرح الديوان، الواحدي، ص ٧٦٦.
- ٤٤- المتنبي، ص ٣٨٣.
- ٤٥- شرح الديوان، الواحدي، ص ٧٦٦.
- ٤٦- رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص ٢٤٨.
- ٤٧- الأفعالية والأبلاغية في البيان العربي، ص ٢٨٠.
- ٤٨- المتنبي شاعر السيف والقلم، ص ٥٢.
- ٤٩- الفن ومذاهبه في الشعر، ص ٣٠٦.
- ٥٠- سعدي ومتنبي، ص ٧١ ومع المتنبي، ص ١٨١.
- ٥١- أدباء العرب، ص ٣٥٤.
- ٥٢- أدباء العرب، ص ٣٥٤.
- ٥٣- تاريخ الادب العربي، ص ٦٣٢.
- ٥٤- شرح الديوان، الواحدي، ص ٣٣٩.
- ٥٥- المصدر نفسه، ص ٦٦١.
- ٥٦- المصدر نفسه، ص ١٤٨.

- ٥٧- العوامل السياسية، ص ٣٠٨.
- ٥٨- شرح الديوان، الواحدي، ص ٣٣٩.
- ٥٩- المصدر نفسه، ص ١٥٥.
- ٦٠- المصدر نفسه، ص ٦٣٥.
- ٦١- التعريف بالمتنبي من خلال اشعاره، ص ٤٤.
- ٦٢- شرح الديوان، الواحدي، ص ٣٤٤.
- ٦٣- المصدر نفسه، ص ٨٠٠.

الانسجام الاسلامي والأخاء بين المذاهب الاسلامية

الدكتور حسين جويين

الجامعة الحرة الاسلامية - فرع دزفول

استاذ مشارك وعضو الهيئة العلمية

الخلاصة:

لقد انتصر المسلمون في صدر الاسلام بكلمتين عظيمتين هما: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ولا ينتصر المسلمون في عصرنا هذا على اعدائهم إلا بهاتين الكلمتين فلا سلاح كالانسجام والاتحاد وقد اثبت هذا تاريخنا الاسلامي في القرون الماضية وفي هذا العصر.

مفاتيح البحث:

الانسجام الاسلامي، الأخاء، الوحدة الاسلامية.

المقدمة:

(يد الله مع الجماعة) والمقصود بعبارة (يد الله) هو الانتصار باذن الله تعالى، وهذا الانتصار لا يكون من فرد، بل من مجموعة متعاضة بكل ود وإخلاص. والاسلام هو دين الأخاء، ولا يمكن ان ننسى سنة الأخاء من النبي محمد (ﷺ) حيث آخى بين

المسلمين في المدينة المنورة، وما اعظم بركة ذلك الاخاء الاسلامي اذ جاءت الانتصارات بعده متتالية، وارتفعت راية الاسلام خفاقة في الجزيرة العربية، ببركة ذلك الاخاء العظيم.

واليوم، نحن لا نتصفح التاريخ للتمتع بالمطالعة ولنثير دهشتنا بما عمل المسلمون الاوائل، وانما التاريخ هو: (قراءة الماضي من اجل الحاضر) وفي هذا البحث عندما نستذكر الانسجام بين المذاهب الاسلامية في مصر يوم كان يحكمها الفاطميون في القرن الرابع، والانسجام بين الشام والعراق يوم كان الحمدانيون الشيعة يحكمون في الموصل وديار الشام وكيف تمكّن الحمدانيون من دحر الروم الغزاة، فكل هذه الانتصارات انما جاءت ثمرة للانسجام بين المسلمين، ونريد ان نعيد ماضيها الزاهر في تاريخنا المعاصر باذن رب العالمين.

كلمة (الانسجام) من حيث اللغة والاصطلاح:

كلمة (الانسجام) مصدر من باب الانفعال والفعل (انسجم) بمعنى (انصب)^١، ومعنى عبارة (الانسجام الاسلامي) اي ان جميع المذاهب الاسلامية هي روافد كبيرة جداً ولها التقاء في مصب واحد يشكل اقيانوساً عظيماً يحيط بجميع القارات، فاذا تحقق الانسجام، وسيتحقق بعون رب العالمين، سيشكل المسلمون قوة عالمية عظيمة قد لا تضاهيها أية قوة في العالم، ولكن لا ظلم ولا ظلام، بل سلم وسلام (وان جنحوا للسلم فاجنح لها)^٢ فالاسلام هو دين الصلح والصلاح والفلاح فلا ابتداء بالاعتداء ونعوذ بالله من الاعتداء، بل الوقوف بوجه الاعتداء ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^٣، وشعار الاسلام هو ﴿لا اكراه في الدين﴾^٤.

كلمة (مذهب) من حيث اللغة والاصطلاح وفي نهج البلاغة:

كلمة (مذهب) من حيث اللغة مصدر ميمي بمعنى الذهاب، مثل كلمة (مخرج) بمعنى الخروج، و(مدخل) بمعنى الدخول، وجاء في بعض المعاجم اللغوية أن معنى ذهب: مر،

كما جاء في المعجم الوسيط^٥ ويرأي هذا المعجم ان معنى مذهب هو المرور، ويبدو ان استعمال هذا المعنى اللغوي لهذه الكلمة قليل.

واما المعنى الاصطلاحي لكلمة مذهب فقد ذكرت عدة معاني لهذه الكلمة مثل: المذهب الفكري والمذهب الواقعي ومذهب التعالي^٦ وغيرها، وجاء في بعض المعاجم اللغوية ان معنى (ذهب مذهب فلان: قصد قصده وطريقه، وذهب في الدين مذهباً: رأى فيه رأياً وعند العلماء):

المذهب: مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة مُنسقة^٧.

وذكرت كلمة (مذهب) بصورة مفرد وجمع في بعض الخطب والكتب للإمام امير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: (من تعدى الحق ضاق مذهبه)^٨ وقال (عليه السلام) عن اهل الضلال: (اخذوا يميناً وشمالاً ظعنأ في مسالك الغي وتركأ لمذاهب الرشد)^٩.

اشترك المذاهب الاسلامية في تسعين بالمائة من الاصول:

برأي العلامة التسخيري الامين العام لمؤسسة التقريب بين المذاهب الاسلامية ان المذاهب الاسلامية تشترك في تسعين بالمائة من الاصول، وتختلف في عشرة بالمائة فقط^{١٠}. وكلها تشترك في الاصول الاسلامية الثلاث وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وقد اسهب العلامة التسخيري في شرحه لنقاط الالتقاء بين المذاهب الاسلامية^{١١} وهذا هو جانب مهم جداً لانسجامها في الدفاع عن الاسلام والمسلمين.

التقاء المذاهب الاسلامية في القرآن الكريم:

من ابرز نقاط الانسجام في المذاهب الاسلامية اجماعها على ان القرآن الكريم هو كتاب الله الكامل وهو الموجود بين ايدينا، لم يُحذف منه شيء كما لم يُضف اليه شيء، وكل رواية تقول بالحذف او الاضافة ليس لها اي اعتبار بهذين الدليلين:

اولاً: قوله تعالى: ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾^{١٢} وجملة ﴿وانا له

لحافظون ﴿ فيها ثلاث تأكيدات بلاغية وهي:

١ - حرف (ان) في اول الجملة

٢ - حرف اللام في (لحافظون)

٣ - تقديم (حرف الجر والضمير المجرور محلاً) على الخبر، وهذه الجملة بدون تأكيدات بلاغية تكون هكذا: نحن حافظون له، وبيان هذه التأكيدات البلاغية بلغة مبسطة يكون هكذا: نحن للقرآن حافظون، حافظون، حافظون.

والاستنتاج من كل هذا هو انه لا يمكن ان يكون قد حذف شيء من القرآن كما لا يمكن ان يكون قد اضيف اليه شيء، وهذا الاستنتاج هو محل تلاقي المذاهب الاسلامية. ثانياً: مضت السنون وتمضي القرون، وكتاب الله هو القرآن الموجود بين أيدينا، ولو كان هناك قرآن آخر بأي اسم كان لظهر وعُرف، ولما لم يظهر فالقرآن هو القرآن، وكل رواية تخالف هذا الرأي فهي باطلة. وترى المذاهب الاسلامية:

أن انفراد القرآن بنسخة واحدة فيه جانب من الاعجاز، مع أن اعداء القرآن كثيرون ولكنهم خاسئون، فالانجيل صار عدة اناجيل وبرزها اربعة، اما القرآن فبقى كما اراده الله تعالى.

واجماع المذاهب الاسلامية على هذا الرأي فيه جانب عقائدي وفقهي مهم جداً، فكل رواية تخالف نص القرآن لا يؤخذ بها، فالقرآن هو الميزان وهو الصراط المستقيم.

الانسجام الاسلامي بين اتباع المذاهب الاسلامية في القرن الرابع:

لا يمكن ان نذكر جميع الجوانب العملية لهذا الانسجام لأنها كثيرة، ولكن، كما قيل: ما لا يدرك كله لا يترك كله، فمن الجوانب العملية للانسجام - في القرن الرابع:

اولاً: ما قام به الفاطميون الشيعة في مدة حكمهم في مصر بالسماح لغير الشيعة من المسلمين بتدريس فقههم في جامعة الازهر فبعد موت كافور الاخشيدي دخلت جيوش الفاطميين مصر بقيادة (جوهر) المكني بأبي الحسن وذلك في اوائل النصف الثاني من القرن الرابع، واصدر (جوهر) القائد الشيعي الفاطمي بياناً الى ابناء مصر اعلن فيه بقاءهم

على مذهبهم وحريرتهم في مساجدهم، وهذه فقرة من ذلك البيان: (الاسلام سنة واحدة وشريعة مُتَّبَعَةٌ وهي اقامتكم على مذهبكم والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدهم وفقهاء الامصار الذين جرت الاحكام بمذاهبهم وفتواهم وان يجرى الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام ليلاليه، والزكاة والحج والجهاد على ما امر الله في كتابه ونصّه نبيه في سنته)^{١٣} والجدير بالذكر ان ابن الاثير انكر في كتابه (الكامل) بعض الاشعار المنسوبة لابن هاني شاعر الفاطميين التي فيها غلو وقال: (يُنسب اليه ولم اجدها في ديوانه)^{١٤}.

ثانياً: الحمدانيون الشيعة الذين حكموا في الموصل وفي ديار الشام في القرن الرابع وفي طليعتهم سيف الدولة الذي كان خير مساعد للمعتقي الخليفة العباسي وفي الوقت نفسه كانت الدنانير الذهبية التي امر بضربها كبيرة وعليها ما يلي: (لا اله الا الله، محمد رسول الله، امير المؤمنين علي بن ابي طالب، فاطمة الزهراء، الحسن، الحسين، جبريل عليهم السلام)^{١٥}، وفي الوقت نفسه كان الحمدانيون برواية ابن الاثير الموصلي يدافعون عن الخليفة العباسي المعتقي، وهذا النص برواية ابن الاثير الموصلي: (كان المعتقي قد انقذ الى ناصر الدولة بن حمدان يستمده فارسل اخاه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان نجدة له في جيش كثيف فخدم سيف الدولة للمعتقي خدمة عظيمة وسار معه الى الموصل، فنثر الدراهم والدنانير على ولد المعتقي، فسار ابن حمدان الى المعتقي لله فخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله امير الامراء وذلك في مستهل شعبان سنة ٣٣٠ وخلع على اخيه ابي الحسين علي ولقبه سيف الدولة ووصل بنو حمدان والمعتقي الى بغداد وتزوج الامير ابو منصور بن المعتقي لله بابنة ناصر الدولة بن حمدان)^{١٦}.

ونظم ابو فراس الحمداني وهو شيعي اشعاراً خاصة بمساعدة بني حمدان للخليفة العباسي وجاء فيها هذا البيت:

ففينا لدين الله عزٍّ ومنعاً ومنا لدين الله سيفٌ وناصرٌ^{١٧}

ويعني الشاعر بكلمتي (سيف) و(ناصر) سيف الدولة وناصر الدولة الحمدانيين اللذين

اكرما الخليفة المتقي ونصراه في وقت عزّ فيه الناصر، وهذا يدل على انسجام الشيعة مع بقية المذاهب الاسلامية.

الانسجام الاسلامي بين اتباع المذاهب الاسلامية في التاريخ المعاصر:

ان اهم نقطة في هذا المجال الفتوى التي اصدرها الفقيه المصري المعاصر، العلامة الراحل الشيخ محمود شلتوت رئيس الأزهر الشريف في الستينات وأعلن فيها جواز العمل بالمذهب الجعفري. وتُدرس اليوم الاحكام الفقهية للمذهب الجعفري في الأزهر الشريف الى جانب فقه بقية المذاهب الاسلامية.

والفتوى التي اصدرها علماء الشيعة في ايران بجواز الصلاة جماعة خلف امام من اتباع بقية المذاهب الاسلامية، وفي طليعة هؤلاء الفقهاء سماحة آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي الخميني وسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامنئي، ويشترك ابناء المذاهب الاسلامية في اقامة صلاة الجمعة في طهران جنباً الى جنب وهم اخوة متحابون كما قال الله عز وجل: ﴿انما المؤمنون اخوة﴾^{١٨}، وقد تأسست الكليات الخاصة بالمذاهب الاسلامية في ايران وهي بلد شيعي فكما يُدرّس المذهب الشيعي في مصر، تدرس المذاهب الاسلامية في ايران ولها كليات خاصة وهذا من اهمّ الجوانب في الانسجام الاسلامي.

وتُعرض كتب المذاهب الاسلامية في معرض الكتاب السنوي الذي يُقام في طهران في كل عام، فكل المذاهب الاسلامية ومن مختلف الدول الاسلامية لها الحرية التامة في عرض كتبها وذلك خدمةً لجميع المسلمين وقد كُتبت اسماء الائمة الاثني عشر من اهل بيت رسول الله (ﷺ) في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة والى جانبها اسماء الصحابة الكرام، وهذه الاسماء تعكس الانسجام الاسلامي وقد كُتبت بخط جميل وكبير.

ونُشير الى الفتوى التاريخية المهمة جداً التي اصدرها آية الله العظمى الامام الراحل السيد محسن الحكيم الخاصة بتحريم محاربة الاكراد في شمال العراق مع العلم ان الاكراد

في شمال العراق ليسوا شيعة، وهذا مظهر آخر من مظاهر الانسجام وباخلاص بين جميع المذاهب الاسلامية.

وقد تعاضد الشيعة الايرانيون مع الفلسطينيين في مواجهة الصهاينة الذين احتلوا فلسطين وغصبوا القدس الشريف، مع العلم ان فلسطين ليس فيها شيعة، لأن الانسجام الاسلامي هو اعلى بكثير من النظرة الفتوية الضيقة، والضربة القاصمة التي وجهها الزعيم الشيعي اللبناني سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله لاسرائيل، هذه الضربة العظيمة هي انعكاس آخر للانسجام بين المذاهب الاسلامية امام عدوها المشترك، الحكم الصهيوني اللقيط.

ويجدر بنا ان نشير الى فتوى الجهاد التي اصدرها علماء الشيعة في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني وقد ابرزت الوجه المشرق للانسجام بين المذاهب الاسلامية امام المستعمرين الانجليز، فقد ناصر علماء الشيعة الدولة العثمانية وهي غير شيعية ضد حملة البريطانيين على العراق. واصدر آية الله العظمى شيخ محمد تقي الشيرازي فتوى الجهاد ضد الانجليز منسجماً مع رئيس الفتوى في تركيا، وعُرف الشيخ محمد تقي الشيرازي باسم (الشيخ محمد تقي المجاهد) كما اصدر احد العلماء الكبار في التجف الاشرف وهو آية الله العظمى السيد مصطفى الكاشاني فتوى الجهاد منسجماً مع الفتوى التي صدرت في تركيا ضد الانجليز والروس المحتلين وجاء في فتوى الكاشاني قوله: (علينا ان نقف امام الدسائس التي ينشرها اعداء الاسلام، علينا ان ننهي الجدل بين الشيعة والسنة فكلنا مسلمون ومتحدون في عقيدة التوحيد والرسالة المحمدية وكلنا مشتركون بالاصول الاسلامية فعلياً ان نحافظ على استقلالنا الاسلامي ونحمي حدودنا من الغزاة الذين يريدون أن يحتلوا البلاد الاسلامية)^{١٩}.

واصدر آية الله العظمى شيخ الشريعة الاصفهاني فتواه داعياً الى اتحاد المسلمين جميعاً للوقوف امام الغزاة الاجانب وجاء في فتواه قوله: (ان هدف الغزاة هو احتلال البلاد الاسلامية ونهب ثرواتها والقضاء على الدين الاسلامي الحنيف وتغيير عقيدة التوحيد بعقيدة التثليث فالجهاد فرض واجب على جميع المسلمين)^{٢٠} وارسل عدد من علماء



الشيعة ابناءهم الى جبهات القتال ضد الانجليز والروس وفرنسا^{٢١}.

وقال الباحث المعاصر (حنا بطاطو) في كتابه الخاص بالعراق والذي كتبه بالانجليزية وترجم الى اللغة العربية:

(جرى الكثير من المؤاخاة بين السنة والشيعة في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ من خلال اجتماعات دينية - سياسية عقدت في مساجد بغداد، واذا كانت ثورة ١٩٢٠ قد فشلت في تخليص البلاد من الفاتحين فأنها نجحت من خلال التقريب بين الشيعة والسنة معاً في تقوية الشعور الوطني الذي عمل مع نموه المطرد وسيطرته في آخر الأمر على جماهير واسعة على الحاق الاذى بالمصالح الانكليزية)^{٢٢}.

وقال هذا الباحث عن دور العلماء المسلمين في تحريض الشعب العراقي للوقوف بوجه المعاهدة الاستعمارية بين الحكم الملكي في العراق والانكليز في سنة ١٩٢٣: (كان العلماء قد نجحوا في وقف عملية انتخاب جمعية تأسيسية كانت قد دُعيت للاجتماع اساساً للتصديق على المعاهدة)^{٢٣} وقال حنا بطاطو عن الاخاء بين الشيعة والسنة في العراق بعد ان اندلعت الحرب العالمية الثانية: (اختلطت واندمجت مشاعر الشيعة والسنة والعرب والاكراد في بغداد والمدن الاخرى في تلك اللحظة وعلى امتداد ايام القتال)^{٢٤} و اضاف هذا الباحث قائلاً: (من الامور ذات الدلالة في هذا المجال انه في الاربعينات بدأت الدوائر السنية ذات الدخل الأعلى تقبل بزواج بناتها من الشيعة)^{٢٥}، و اشار هذا الباحث في موضع آخر من كتابه الى التزاوج بين الاسر السنية والشيعة في العراق (عبر احكام الترابط بين الشيعة والسنة... وحتى التزاوج في ما بينهما)^{٢٦} وذكر هذا الكاتب ضمن حديثه عن التزاوج بين الشيعة والسنة في العراق ان عبد الكريم قاسم مؤسس الجمهورية العراقية كان ابوه من اهل السنة وكانت امه شيعية^{٢٧}.

تأكيد الامام الراحل، روح الله الخميني رحمه الله على الانسجام الاسلامي

تُشير في معرض الختام في هذا البحث الى الكلمات النيرة التي القاها الامام الراحل روح الله الخميني رضوان الله عليه واكد فيها على الوحدة الاسلامية والانسجام

الاسلامي، فقبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران القى الامام الراحل خطباً قيمة جاء فيها قوله: (انما نحن نعمل من اجل تحقيق الوحدة الاسلامية واتحاد جميع الدول الاسلامية وتحقيق الاخوة بين المسلمين في جميع انحاء العالم، فعلينا ان نتحد جميعاً امام الصهيونية والاستعمار، فالمسلمون كلهم يد واحدة، وكلهم سواء في تحمل مسؤولياتهم، فلا تفرقة ولا عنصرية، ولا امتياز لشعب مسلم على شعب مسلم آخر، وانما الامتياز بالتقوى كما قال الله تعالى: ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾^{٢٨}.

ومع بزوغ فجر الثورة الاسلامية في ايران قال سماحته: (ان التفرقة بين المسلمين هي التي جعلت الاجانب يسيطرون على المسلمين، فالواجب على المسلمين جميعاً ان يتحدوا، فلو التزم المسلمون بهذه الآية الشريفة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^{٢٩} لتمكنوا من القضاء على جميع مشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولما تمكنت اية قدرة في العالم من الوقوف امامهم، واذا لم يلتزم المسلمون بآية الاعتصام بحبل الله فسوف يواجهون مشاكل اكثر واصعب، فيا ايها المسلمون في جميع انحاء العالم، يا ايها الملتزمون بكلمة التوحيد، ان العامل الاساس لبروز المشاكل في البلدان الاسلامية هو التفرقة، والعامل الاساس لانتصار المسلمين هو وحدة الكلمة، فكلكم في صراط الاسلام وتعملون لتعلو كلمة الاسلام ولكي تؤمنوا منافع المسلمين، فعليكم ان تتجنبوا التفرقة لانها هي الاساس لظهور المصاعب والتخلف، فالتفرقة هي التي فتحت الطريق امام الاجانب ليسيظروا علينا، وقد ظهرت التفرقة بايدي الجهلة من المسلمين، ومازلنا نعاني من ويلاتها، فالاتحاد فرض واجب على كل المسلمين)^{٣٠}.

تأكيد آية الله العظمى الامام الخامنئي على الانسجام الاسلامي:

منذ ان تسلم المرشد الاعلى للثورة الاسلامية الامام الخامنئي مسؤولية ولاية الامر في الجمهورية الاسلامية أكد ومازال يؤكد على الاخاء الاسلامي والانسجام بين المسلمين ومن مظاهر هذا التأكيد ان سماحته اطلق في السنة الماضية الاسم المبارك للنبي محمد (ﷺ) الذي هو رمز للوحدة اطلقه على العام الهجري المنصرم، كما اطلق

على السنة الهجرية الجارية اسم: (الاتحاد الوطني والانسجام الاسلامي) وكان سماحته قد افتى بالصلاة خلف ائمة جميع المذاهب الاسلامية، ومازال يؤكد على الانسجام بين المسلمين في جميع خطبه القيمة التي يلقيها على مئات الآلاف من الايرانيين بين آونة وأخرى.

والجدير بالذكر أن حجة الاسلام والمسلمين غلام حسين محسني وزير الامن العام في الجمهورية الاسلامية الايرانية اعلن اخيراً أنه تم اللقاء القبض على عدد من الجواسيس كانت مهمتهم ايجاد الاشاعات الكاذبة لبث التفرقة بين المذاهب الاسلامية في ايران وسيقدمون الى المحاكمة^{٣١}.

النتيجة مع قصيدة نظمها كاتب هذا البحث:

ان حصيلة هذا البحث هو ان الأخاء والانسجام بين ابناء المذاهب الاسلامية قد جاء اساساً بتأكيد من الاسلام نفسه قام على دعامين عظيمتين وهما كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ومسك الختام هذه الأبيات التي نظمها كاتب هذا التحقيق وهي بوزن الرجز المنقوص (مستفعلن مستفعلن مفعولن)

اسلامنا اساسه التوحيد	وبانسجامنا لنا التمجيد
من شيعة او سنة فالدين	يجمع اذ جاء به التعزيد
فأن توحدنا وفي اخلاص	يأت لنا من ربنا التأييد
(فرق تسد) قد اعلن الاعداء	منا على العكس أتى التأكيد
فقد تأخينا ولا تفريق	ليست لنا شكوك او ترديد
قلوبنا يجمعها التقريب	شعارنا التقريب لا التباعد
لنا وئام وانسجام يعلو	فلا تفرق ولا تبديد
ان انسجامنا صراط الله	ومستقيم ما به تعقيد
ان انسجامنا سلاح ماض	ورمية لنا بها التسديد
فلننسجم حقاً على الاعداء	كي يزهد الباطل والتهويد



لا يدنُ منا الخصم والتهديدُ
للجرح إستتصالُ لا تضييدُ
الى متى اللجوءُ والتشريدُ
فأن تعد لنا سيأتي العيدُ

وان تعاضدنا بروح الدين
فبانسجامنا نجاة القدس
متى فلسطين ترى تحريراً
وما لنا عيدُ بحزن القدس

الهوامش :

- ١ - المعجم الوسيط، عدد من الاساتذة المصريين، حرف السين.
- ٢ - سورة الانفال المباركة، الآية ٦١.
- ٣ - سورة البقرة المباركة، الآية ١٩٤.
- ٤ - السورة نفسها الآية ٢٥٦.
- ٥ - المعجم الوسيط حرف الذال.
- ٦ - موسوعة المورد، منير البعلبكي، بيروت ١٩٨٣، المجلد الحادي عشر، حرف الميم.
- ٧ - المعجم الوسيط، حرف الذال.
- ٨ - نهج البلاغة، الكتاب ٣١.
- ٩ - نهج البلاغة، الخطبة ١٥٠.
- ١٠ - صحيفة كيهان، طهران، ٤ صفر ١٤٢٨، العدد ١٨٧٤٥، الصفحة الخامسة.
- ١١ - المصدر السابق.
- ١٢ - سورة الحجر المباركة، الآية التاسعة.
- ١٣ - الكامل في التاريخ، ابن الاثير الموصلي، بيروت، ١٤٠٨ هـ ج ٥، ص ٣٥٩، الحاشية، نقلاً عن كتاب: اتعاظ الحنفاً للمقرئزي، صص ٦٧ - ٧٠.
- ١٤ - المصدر نفسه، ص ٣٧٩.
- ١٥ - اعيان الشيعة، الامام السيد محسن الامين العاملي، بيروت ١٤٠٦ هـ، المجلد الثامن، ص ٢٦٩.
- ١٦ - الكامل في التاريخ، ابن الاثير الموصلي، ج ٥، ص ٢٢٦، ٢٣٩.
- ١٧ - اعيان الشيعة، المجلد الثامن، ص ٢٨١.
- ١٨ - سورة الحجرات المباركة، الآية العاشرة.
- ١٩ - صحيفة ايران، طهران، ٢٠ ربيع الاول ١٤٢٨ هـ، العدد ٣٦٠٧.
- ٢٠ - المصدر السابق.
- ٢١ - العراق، حنا بطاطو (بالانجليزية) ترجمة عفيف الرزاز، سنة ٢٠٠٥ م، ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
- ٢٢ - المصدر السابق، ص ٣٦٢.
- ٢٣ - المصدر السابق، ص ٤٨.
- ٢٥ - المصدر السابق، ص ٦٨.
- ٢٦ - المصدر السابق، ص ٤٢.
- ٢٧ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٨.
- ٢٨ - سورة الحجرات المباركة، الآية ١٣.
- ٢٩ - سورة آل عمران المباركة، الآية ١٠٣.
- ٣٠ - صحيفة كيهان، طهران، ١٩ ربيع الاول ١٤٢٨ هـ، العدد ١٨٧٦٩، ص ٦.
- ٣١ - الصحيفة نفسها، والعدد نفسه، ص ١٤.

الرسول الأكرم (ﷺ) في كلام علي (عليه السلام)

الدكتور نصر الله شاملي والدكتور عبدالغني ايرواني زاده
جامعة اصفهان

المقدمة

الكلمة المحمدية

شاع من أوائل عهد الاسلام القول بازلية «النور المحمدي» (ﷺ)، وهو قول ظهر بين الشيعة واهل السنة. واستند الكل في دعواهم الى أحاديث يظهر أن أكثرها موضوع. من ذلك أن النبي (ﷺ) قال: «أنا أول الناس في الخلق»، ومنها: «أول ما خلق الله نوري»، ومنها: «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين»^١، وغير ذلك من الأحاديث التي استنتجوا منها أنه كان لمحمد (ص) وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل؛ وإن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدي (ﷺ). وقد أفاضت الشيعة في وصف هذا النور المحمدي (ﷺ). فقالوا إنه ينتقل في الزمان من جيل الى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيراً بصورة خاتم النبيين محمد (ﷺ). وبهذا أرجعوا جميع الانبياء من آدم الى محمد (ﷺ)، وكذلك ورثه محمد (ﷺ) الى أصل واحد، وهو قول نجد له صدى في الغنوسية المسيحية. يقول الأب كليمنت الاسكندري: «ليس في الوجود إلا نبي واحد، وهو الإنسان الذي خلقه الله على صورته، والذي يحل فيه روح القدس، والذي يظهر منذ الازل في كل زمان بصورة جديدة»^٢.

نجد لكل هذا الكلام نظيراً في كتب ابن عربي فيما يسميه الكلمة المحمدية (ﷺ) في فص من فصوص الحكم له: أعني محمداً الرسول (ﷺ)، وإنما يقصد الحقيقة المحمدية التي يعتبرها أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل يعتبره الإنسان الكامل والخليفة الكامل بأخص معانيه.

وإذا كان كل واحد من الموجودات مجلى خاصاً لبعض الاسماء الالهية التي هي أرباب له، فإن محمداً قد انفرد بأنه مجلى للاسم الجامع لجميع تلك الأسماء، وهو الاسم الأعظم الذي هو «الله»، ولهذا كانت له مرتبة الجمعية المطلقة، ومرتبة التعيين الأول الذي تعينت به الذات الأحدية؛ إذ ليس فوقه إلا هذه الذات المنتزعة في نفسها عن كل تعيين وكل صفة واسم ورسم.

ومن ناحية صلة الحقيقة المحمدية بالإنسان، يعتبرها ابن عربي صورة كاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود، ولذلك آدم الحقيقي والحقيقة الإنسانية، وبعدها من الناحية الصوفية مصدر العلم الباطن ومنبعه وقطب الأقطاب^٢.

هذا هو ما يقصده ابن عربي بالكلمة المحمدية وهي شيء يختلف تمام الاختلاف عن شخصية النبي (ﷺ)، بل ليس بينهما من الصلة إلا ما بين الحقيقة المحمدية وإي نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل أو ولي من الأولياء. فالكلمة المحمدية إذن شيء متافيزيقي محض خارج عن حدود الزمان والمكان. أو قل إن شئت هي الحق ذاته ظاهراً لنفسه في أول تعيين من تعييناته في صورة العقل الحاوي لكل شيء، المتجلى في كل كائن عاقل. وليس هذا الاختصاص لغير الكلمة المحمدية، ومن هنا كانت فردية الحكمة المحمدية.

وأما كلمة الرسول (ﷺ) في نهج البلاغة أكثر كلمة اشتغل الإمام بها، وفقاً لمواقع التي عرفها، مبيّناً شخصية الفذة والبيئة الوحيدة التي كان الرسول (ﷺ) فيها. فتأدب الإمام (عليه السلام) بأدبه وحكمته وأخلاقه، فخلقه خلق القرآن وأدبه أدبه وعلمه علمه، قال محمد بن علي:

أدب الله محمداً ﷺ بأحسن الآداب فقال: (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن

الجاهلين) فلما وعى قال: (ما آتاكم الرسول (ﷺ) فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله...) ٤.

قصد الامام عن القاء اسم الرسول (ﷺ) في خطبه ورسائله كله بيان مواضعه في الآداب والاخلاق والمجتمع الإنساني ومنع المسلمين عن إقتحامهم في الفساد والمجون وجذب الشهوات واللذات ونسيان قيمة الايمان وكلمة الإسلام.

فكان رسول الله تمثالاً واسوةً للشبان والشيوخ من جانب وميزاناً لاسر المؤمنين والمؤمنات من جانب آخر. فكان (ﷺ) يأكل على الأرض. ويجلس على الارض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشي في الاسواق. وكان يقول: «إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد. واشرب كما يشرب العبد. ولو دعيتُ الى ذرع لأجبتُ ولم يأكل قط وحده. ولا ضرب عبده ولا ضرب احداً بيده إلا في سبيل ربه» ٥.

وكان (ﷺ) بنشأته العنصرية خاتم النبيين وبذلك يكون معنى «بدئ به الأمر وختم أي بدئ به امر الوجود وختم به أمر الرسالة».

أخبر الامام علي (عليه السلام) عن الرسول (ﷺ) إنه قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» لكن ما هي المعرفة التي تعطينا معرفة الرب. فيشير ابن عربي الى إن معرفة الإنسان بنفسه مقدمة على معرفته بربه. فإن معرفته بربه نتيجة عن معرفته بنفسه. فإن شئت قلت بمنع المعرفة في هذا الخبر والعجز عن الوصول فإنه سائغ فيه وان شئت قلت بثبوت المعرفة ٦.

نستنتج من كل هذه الاقوال أن باب معرفة الرسول (ﷺ) وهو الإنسان الكامل، باب علم يقدر أن يبين ما يتلو في القرآن أولاً تفسيراً وتلاوةً أو ما يرى في الوجود العنصري للرسول (ﷺ) ثانياً أو في الوجود الملكوتي له ثالثاً، فللرسول (ﷺ) ثلاث شخصيات: الاول شخصية قرآنية؛ الثاني. شخصية ملكوتية؛ والثالث شخصية عنصرية، وفي هذه الجهات الثلاث يقدر الإمام (عليه السلام) أن يصف وصفاً واقعياً عنه حتى يكون الرسول أسوة حسنة ومثلاً كاملاً لمن عاش في الحاضر والبادي.

الرسول الكريم في كلام علي (عليه السلام)

يعتبر كلام الإمام علي (عليه السلام) في ترسيم شخصية النبي الكريم (ﷺ) أفضل دليل لمن يريد أن يتخذ منها مثلاً أعلى للأخلاق النبوية السامية.

تعتبر الأخلاق إحدى الرسائل التي جاء بها النبي العظيم (ﷺ) بل تعتبر من أهم رسالاته «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقد وردت روايات واحاديث غير قليلة منه (ﷺ) تدل على ذلك.

ومن أحسن من الإمام علي (عليه السلام) في ترجمة هذه الروايات وتبيين سيرته الشريفة وقد قال (ﷺ) فيه «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وعلى هذا فإذا أردنا أن نعرف تلك السيرة الحسنة يجب علينا أن نأخذها من لسان علي باب هذه السيرة والمطلع عليها لأنه تربى في بيت الرسول (ﷺ) وكان (ﷺ) بمنزلة الأب بالنسبة إليه. إذن فهذا الأب يعرف أخلاق ابنه بشكل جيد وكذلك هذا الابن يعرف أخلاق أبيه بشكل جيد. لقد عاش علي (عليه السلام) في بيت النبي (ﷺ) ردحاً من الزمن قبل البعثة الشريفة^٧، وكان قد تروى بحياة النبي (ﷺ) العرفانية كاملاً يدل على ذلك ما ورد في خطبته القاصعة: «لقد كنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به، لقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ﷺ) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعتُ رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ﷺ) فقلت يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا إنك لست بنبي ولكنك لوزير وإنك لعلی خير»^٨.

كان علي (عليه السلام) في زمن طفولته ملازماً للنبي (ﷺ) ملازمة الطفل لأمه وكان (ﷺ) يعلمه في كل يوم جانباً من أخلاقه ويأمره بإتباعه.

إذن فمن البديهي أن ما يقوله علي (عليه السلام) في أوصاف أخلاقه (ﷺ) وسيرته وسلوكه وشمائله ودينه حق لا يُدانيه الشك ولا يرتفع إليه الريب لأنه (عليه السلام) عاش سيرته (ﷺ) بتمام وجوده واحسها بتمام أحاسيسه، فكلام علي (عليه السلام) في نهجه

رسم لنا شخصية الرسول الكريم بنواحيها المختلفة علماً وعرفاناً وسلوكاً.
صرح الإمام موقف اسرة آل محمد (ﷺ) وقال: لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة
احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابداً، هم اساس الدين وعماد اليقين. اليهم
يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة، الآن
اذ رجع الحق الى أهله ونقل الى منتقله^٩.

في هذه الخطبة نرى بعض المفردات المهمة، منها: اساس الدين، عماد اليقين، الولاية،
الوصاية، الوراثة... كل هذه الالفاظ يدل على رمغة موقف الدين وحفاظه. وان اهل البيت
يعد من حفاظه، بل هم اساس الدين وعماد اليقين. قال الشيخ عبد الرزاق القاساني في
كتاب تأويلات القرآن: في تأويل هذه الآية: ﴿قل لا أسئلكم عليه اجراً إلا المودة في
القربى...﴾: بعد إلا استثناء منقطع وفي القربى متعلق بمقدر، أي المودة الكائنة في القربى،
ومعناه نفي الأجر اصلاً، لأن ثمره مودة اهل قرابته عائدة اليهم، لكونهم سبب نجاتهم، اذ
المودة تقتضي المناسبة الروحانية، المستلزمة لاجتماعهم في الحشر كما قال عليه
الصلوة والسلام: «المرء يحشر مع من أحبه» فلا تصلح أن تكون أجراً له ولا يمكن من
تكدرت روحه وبعدت عنهم مرتبة، محبتهم بالحقيقة، ولا يمكن من تكدرت روحه
وعرف الله واحبه من أهل التوحيد أن لا يحبهم، لكونهم اهل بيت النبوة ومعادن الولاية
والفتوة، محبوبين في العناية الأولى ومربوبين للمحل الأعلى، فلا حبهم إلا من يحب الله
ورسوله، ويحبّه الله ورسوله. ولو لم يكونوا محبوبين لله في البداية، لما أحبهم رسول الله، إذ
محبتة عين محبته تعالى في صورة التفصيل بعد كونه في عين الجمع، وهم الاربعة
المذكورون في الحديث الآتي، ألا ترى أن له اولاداً آخرين وذوى قرابات في مراتبهم
كثيرين لم يذكرهم ولم يحرص الأمة على محبتهم تحريصهم على محبته هؤلاء وخص
هؤلاء بالذكر...^{١٠}.

ميزات بيئة الرسول الكريم العائلية وصفاته النفسية

ليحدث علي (عليه السلام) عن ميزات بيئة الرسول العظيم قائلاً:

«مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومعاهد السلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثبتت إليه أزمة الأبصار. دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر. ألف به إخواناً، وفرق به أقراناً. أعز به الذلة، واذل به العزة. كلامه بيان، وصمته لسان»^(١). لقد أدى النبي (ﷺ) دوراً مهماً زمن الجاهلية الجاهلاء؛ فقد كشف (ﷺ) بحكمته وموعظته الحسنة حجاب الجهل والغفلة عن العرب الجاهليين، ومهد الأرضية اللازمة لثورة إسلامية أي ثورة نور في عالم أحاطته الظلمات من جميع جوانبه وأنحائه. «بعثه - الله - والناس ضلال في حيرة، وحاطبون في فتنة. قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجاهلاء. حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل. فبالغ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة». إن أهم الأسباب التي أدت إلى زوال الجاهلية ودفنها جهاد النبي (ﷺ)، ومبايعته في النصيحة والموعظة. فكان (ﷺ) دائماً وباستمرار يدعو الناس إلى الحكمة والموعظة الحسنة. والحكمة هي هذه المعرفة العملية التي بعد أن يكتسبها الإنسان يطبقها في شؤون العملية، وسلوكه الحياتي بشكل واضح.

والشيء الذي يدفع الناس، ويقود المجتمع نحو التكامل والرقى في المسيرة التاريخية هو الأسوة العملية التي تعتمد على المعرفة والتفكير والتعقل وتستند إليها، وهذه الحكمة لا تكون دائمية ومؤثرة إلا إذا كانت مصحوبة بالموعظة الحسنة؛ لأن الموعظة من أسباب دوام الحكمة واستمرارها. فالموعظة الحسنة كانت هي السيرة الأساس للنبي (ﷺ) في محو الجاهلية ودفنها؛ لأن الموعظة سبب ظهور الحكمة العملية، ومنشأ الحكمة العملية هو البرهان والبصيرة، وهذه هي أسباب إحياء الفطرة الكامنة في نفوس الجاهل.

ميزات النبي العظيم في أداء رسالته

يختص قسم من الخطبة المائة في ترتيب خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ببيان ميزات النبي (ﷺ) في أداء رسالته؛ فالإمام علي (عليه السلام) بينها بالترتيب التالي:

١ - تلقى النبي (ﷺ) بشكل علني رسالته السماوية.

- ٢- بلغ النبي (ﷺ) هذه الرسالة الإلهية كما هي بشكل واضح وصريح.
 - ٣- بلغ هذه الرسالة الإلهية تبليفاً صحيحاً صابراً محتسباً.
 - ٤- رفع (ﷺ) راية الحق والعدالة الإنسانية في المجتمع البشري.
 - ٥- كل من تقدم على هذه الراهية، فهو مارق؛ أي: إنه خارج عن الدين.
 - ٦- كل من تخلف عن هذه الراهية وخفوقها، فهو زاهق؛ أي: إنه هالك.
 - ٧- كل من انظم تحت هذه الراهية ونعم ببركاتها فهو من اتباع النبي (ﷺ) ورسالته.
 - ٨- إن رافع هذه الراهية وقائده هو النبي (ﷺ). يتكلم بطمأنينة، بطيء في القيام؛ سريع إذا قام؛ مستنداً في ذلك الى العقل والحكمة والبصيرة. فقد قال (عليه السلام) واصفاً إياه (ﷺ):
- «وأن محمداً (ﷺ) عبده ورسوله. أرسله بأمره صادعاً، وبذكره ناطقاً؛ فأدى أميناً، ومضى رشيداً، وخلف فينا راية الحق. من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها زهق، ومن لزمها لحق دليلها. مكث الكلام، بطيء القيام، سريع إذا قام...»^{١٢}.
- فعند تحليل كلام الإمام علي (عليه السلام) تتضح أعجوبة سيرة الرسول، وطريقته في تبليغ رسالته، وهداية عامة المجتمع. هذا المجتمع الذي كان يعيش في محيط مليء من الجهل والسفاهة والحق.

إن تعديل الناس وهدايتهم الى الطريق الديني المستقيم نظرياً وعملياً يجب أن يكون من الدقة بقدر، وإلا فإن أقل انحراف يمكن أن يؤدي الى الإفراط أو التفريط في إطاعة الأحكام الدينية؛ لهذا أكد القرآن الكريم على «أسوة» النبي (ﷺ) قائلاً: ﴿ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾^{١٣}.

لقد كان النبي (ﷺ) يعمل بدقة متناهية بالنسبة الى ما كان يؤمر به من الناحية التبليغية، بحيث ان الفرد المسلم إذا أفرط أو فرط في ذرة من ذلك، فإنه يعتبر منحرفاً عن التعاليم الإسلامية، وخارجاً عن الطريق المستقيم الذي هو طريق النبي (ﷺ).

إن الأمر الذي يؤكد عليه الإمام علي (عليه السلام) في جميع خطبه في نهج البلاغة هو أن النبي (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) يعتبرون أسوة على مدى تاريخ الإسلام الصحيح؛

وهذا الفرق بين «الكتاب والسنة» في عقيدة أهل السنة، وبين «الكتاب والعتر» في عقيدة شيعة علي (عليه السلام). فكل من تقدم على النبي (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام)، يعتبر مارقاً، وكل من تأخر عنهم، يعتبر زاهقاً، وكل من كان معهم، يعتبر لاحقاً. فاللاحق هو ذلك الفرد الذي سلك صراط السيرة النبوية المستقيم؛ فقيامه مثل قيام النبي (ﷺ)، وعوده مثل عودته (ﷺ).

سيرة النبي (ﷺ) في تبليغ رسالته

١ - في الخطبة الرابعة من نهج البلاغة رسم لنا الإمام علي (عليه السلام) طريقة النبي (ﷺ)، وسيرته في تبليغ رسالته ودعوته مختلف الناس إليها فقال:

«... فقاتل بمن أطاعه من عصاه، ويسوقهم الى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير، ويقف الكسير؛ فيقيم عليه حتى يلحقه... إلّا هالكاً لا خير فيه...».

فالرسول الكريم (ﷺ) كان يقود الناس، ويهديهم الى سبيل منجاتهم قبل أن يحيط بهم الموت. يساعد العجزة والضعفاء حتى يلحقوا بقافلة الهداية، ويصلوا الى الهدف والغاية بسلام. فكان (ﷺ) حريصاً على أن يأخذ بأيدي أضعف طبقات المجتمع، ليضعهم في الصراط المستقيم، ليصلوا الى الغاية السليمة، والهدف الصحيح^{١٤}.

٢ - وفي الخطبة ١٠٨ من خطبه (عليه السلام) ضمن بيان صفاته (ﷺ) ينعت به بأنه طبيب دوار بقوله: «طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه: من قلوب عمى، وآذان صم، وألسنة بكم. متبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة».

فقد شبهه بطبيب دوار، لا يهدأ لحظة، ولا يستقر دقيقة. إنه يراقب مرضاه «بعكس عادة الأطباء». أحياناً يعالجهم بوصف الدواء لهم، وتعيين مرهم لعلاجهم، وأحياناً يئس من المرهم والدواء، فيلجأ الى العملية الجراحية لاجتثاث أصل الداء وعلمته. أحياناً مرهمه تبليغ الوحي الإلهي، ودعوة الناس الى عبادة الله الواحد الأحد، وإزالة ما ران على قلوبهم من غبار الجهل والغفلة والنسيان، وأحياناً أخرى ليس له طريق سوى اجتثاث

المرض من صفحة الوجود واقتلعه ومحوه، وتخليص المجتمع منه نهائياً، وليس قتل رؤساء الكفر والشرك سوى هذا العلاج الذي أشار اليه علي (عليه السلام)، وهو إخماء المواسم، ومقصوده كما يقول المثل: آخر الدواء الكي.

فهو طبيب يداوى ذوي القلوب العمي، والآذان الصم، والألسنة البكم، وما دواؤه إلا الوحي والسنة والعبرة. طبيب يفتش عن مرضاه الحيارى والمنسيين.

الإمام علي (عليه السلام) في خطبته يعتبر طريقة تبليغ رسالة الأنبياء طريقة خاصة. فالنبي طبيب أكثر حساسية من مرضاه، وأكثر تألماً منهم. عالمنا اليوم يتحرق عطشاً إلى الحقائق القرآنية، وإلى سنة الأئمة المعصومين (عليهم السلام). إنما بحاجة ماسة إلى مبلغين مسلمين يعرفون الأمراض المعنوية لمجتمعنا الحاضر، ويعرفون كيف يعالجونها بإيجاد محيط بشري سالم، وبيئة اجتماعية نقية، ومنزهة من الأوبئة الاجتماعية الفتاكة.

إن أهم عوامل انحطاط المجتمعات البشرية هي حيرة الجيل الصاعد، وغفلته أمام الفذلكات الشيطانية الغريبة. ففراغته الغرب في عالمنا الحاضر يستفيدون من عناصر الغفلة والحيرة في إغواء الجيل، وتجريده من هويته في سبيل محو عناصر المجتمع السامية، ودفن ثقافته وإزالة قيمه الأخلاقية السامية.

٣- من أهم عناصر تبليغ النبي (ﷺ) هو زهده (ﷺ)، وأثره في المجتمع؛ فهو في سيرته النبوية الشريفة كان دؤوباً في جعل الناس في طبقة واحدة، لا فرق بين غني وفقير. فكل سلوك كان يسلكه النبي (ﷺ) في حياته العملية كان يتخذ طريقه إلى المجتمع الإسلامي، وينتشر بين المسلمين بسرعة، مخترقاً حجب الزمان والمكان، ومتخذاً سبيله إلى قلوب عامتهم. فزهده (ﷺ) كان سبباً مهماً في قمع غرور الدنيويين، وأملأ مضيئاً في قلوب المستضعفين. فالدنيا في نظره (ﷺ) لا قيمة لها. كان يعرض عنها، ويميت ذكراها في قلبه بإحياء ذكر الله تعالى فيه.

كان يحب أن يمحو زينة الدنيا وجمالها من أمام عينيه. على هذا لم يكن يهتم بفخر الملبس، كما كان يفتخر بذلك الأعراب الجاهليون. كان يدعو الناس بتقديم نصائحه اليهم، منذراً إياهم بالنار مرة، ومبشراً أخرى بالجنة والخلود مع الأبرار والصالحين



مرة أخرى.

على هذا فالإنذار والتبشير من جهة، والخوف والرجاء من جهة أخرى، وزهده (ﷺ) وإعراضه عن الدنيا من جهة ثالثة، كل هذا كان من أهم عناصر سيرته الشريفة في تبليغ الرسالة الإسلامية، وإرساء ثقافتها الحقيقية القيمة.

«قد حقر الدنيا وصغرها وأهون بها وهونها... فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه... دعا الى الجنة مبشراً، وخوف من النار محذراً»^{١٥}.

٤ - وفي الخطبة ١١٦ من نهجه (عليه السلام) نعتة (ﷺ) بالقوة والشدة في التبليغ والجهاد في سبيل الله قائلاً: «أرسله داعياً الى الحق، وشاهداً على الخلق؛ فبلغ رسالات ربه غير وان، ولا مقصر، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر. إمام من اتقى، وبصر من اهتدى».

فقد وصف (عليه السلام) دعوته (ﷺ) بأنها حق، وأنه «شاهد» على الخلق، وأنه مجاهد دؤوب، وإمام للمتقين، وبصر للمهتدين. على هذا فشرط تبليغ الرسالة وشرط موفقيتها في تمام مراحل رشدنا الديني هو البصر وقول الحق المتمثلان بالنبي (ﷺ)، وكونه أسوة في العمل باعتباره شاهداً على الأمة الإسلامية.

٥ - إن غلبة النبي (ﷺ) في سيرته الشريفة على أعدائه يرجع الى وجود مجاهدين يأترون بأوامره، وينتهون عن نواهيهِ. فعندما تكون الحاجة ماسة الى عملية جراحية في المجتمع، أو كيّ الداء المتوغل في جسمه، واجتثاثه من أصله، كان (ﷺ) يستفيد من هؤلاء المجاهدين الذين كانوا يعتبرون الشهادة تاجاً افتخارياً يتوجون أنفسهم به، مؤتمرين بأوامر الله، صابرين على مواجهة المصائب والمصاعب، معتبرين ذلك هو الداء الوحيد لتخليص المجتمع من أوبنته الفتاكة.

قال (عليه السلام): «فلقد كنّا مع رسول الله (ﷺ)، وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات. فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلاّ إيماناً ومضياً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح»^{١٦}.

٦ - من أهم طرق تبليغ رسالته (ﷺ)، وسيرته العملية بساطة عيشه (ﷺ):

فقد كان أسوة لجميع المسلمين في هذا المضار، والإمام علي (عليه السلام) يُشير إلى هذه الناحية من حياته (ﷺ) مؤكداً عليها قائلاً: «ولقد كان في رسول الله (ﷺ) كاف لك في الأسوة، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبيها، وكثرة مخازيها ومساوئها؛ إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكتافها، وفطم عن رضاعها وزوى عن زخارفها...»^{١٧}.

في هذه الخطبة يبين لنا الإمام علي (عليه السلام) بساطة عيشه (ﷺ)، ويشير إلى أن حكام المسلمين وولاتهم في تدبير أمورهم السياسية والاجتماعية يجب أن يقتدوا بالرسول الكريم (ﷺ) في هذه الناحية، إن هؤلاء الذين يريدون أن يكونوا موفقين في حياتهم الاجتماعية ليس لهم بدٌّ من الاقتداء بالرسول العظيم في جميع مناحي حياته الفردية والاجتماعية - جزئية كانت أم كلية - وجعله أسوة لهم، حتى يخرجوا حب الدنيا من قلوبهم بصورة تدريجية ليحل ذكر الله محلها بصورة دائمة، ولربما كانت بعض هذه النماذج في حياته (ﷺ) بسيطة في ظهرها غير مهمة، لكن أثرها في إيصال الإنسان إلى الكمال ليس بالقليل.

لقد وصفه (ﷺ) بهذه النوعت قائلاً:

- ١ - كانت أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً.
- ٢ - عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها.
- ٣ - إن علم أن الله - سبحانه - أبغض شيئاً، أبغضه، وحقر شيئاً، حقره، وصغر شيئاً، صغره.

٤ - وكان (ﷺ) يجلس على الأرض ويأكل.

٥ - كان (ﷺ) يجالس العبيد، ويجلس جلستهم.

٦ - كان (ﷺ) يخفض بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه.

٧ - كان (ﷺ) يركب الحمار العارى، ويردف خلفه.

٨ - يكون الستر على باب بيته وتكون فيه التصاوير، فيأمر قائلاً: غيِّبوه عني؛ لأنني إذا

نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها.

٩ - أعرض عن الدنيا، وأمات ذكرها في قلبه ونفسه.

١٠- كان يحبُّ أن تغيب زينتها عن عينه حتى لا يتخذ منها ريشاً.

١١- لم يكن يعتقد الدنيا دار قرارٍ ولم يكن يرجو فيها مقاماً.

١٢- كان جائعاً في الدنيا مع خاصته وأقربائه.

في هذه النعوت التي وصف بها علي (عليه السلام) رسول الله (ﷺ) نقطة مهمة جدية بالملاحظة، يجب أن يتأمل فيها المتأمل، وأن ينظر فيها الناظر بعقله وبصيرته، وهي: هل ان الله - سبحانه وتعالى - أكرم نبيه (ﷺ) بها أم أهانه؟ فالامام علي (عليه السلام) بعد أن عدد هذه النعوت التي وصف بها رسول الله (ﷺ) طرح هذا السؤال قائلاً: «فلينظر ناظرٌ بعقله: أكرم الله محمدًا بذلك أم أهانه؟ فان قال: أهانه، فقد كذب - والله العظيم - بالافك العظيم، وان قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره، حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه».

ثم انه (عليه السلام) في خطبته المرقمة ١٦١ يتنعتة بقوله: «أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة، وثمارها متهدلة، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، علا بها ذكره، وامتد بها صوته».

ربما يقول قائل ان مكان المولد ومكان الهجرة ليس لها تأثير في تكامل وارتقاء شخصية الرسول الكريم (ﷺ)، بل هي عناية الله - سبحانه وتعالى - التي أوصلته الى هذه المنزلة الرفيعة، ولطفه وهدايته.

وفي الجواب يقال: ان هذه العناية وهذه الهداية هما اللتان قدرتا أن يكون مولده بمكة، وأن تكون هجرته الى طيبة. فاجتمعت فيه (ﷺ) هاتان الميزتان. والله - سبحانه وتعالى - أرسله بحجة كافية، ودلائل شافية وموعظة حسنة وافية، فأحيا كثيراً من حقوق الناس الذاهبة، وأعادها اليهم، وأمات كثيراً من البدع التي كانت قد أخذت طريقها الى دين الله القويم، وبين للناس ما هي أحكام الدين الالهي الحق.

نتيجة البحث

ان أهم النتائج التي يمكن أن نقتطفها من كلام الامام علي (عليه السلام) في نعت الرسول

الكريم (ﷺ) وسيرته الشريفة يمكن أن تكمن في قوله من خطبته الشريفة برقم ٩٤، حيث بين (عليه السلام) أصالة أسرة الرسول العظيم (ﷺ)، ومحتده الشريف ونزاهة مولده (ﷺ) مشيراً إلى سائر صفاته التي لم تتهاً بشكلٍ كاملٍ لأحد من الأنبياء العظام، بله بقية الناس، وذلك بسبب الفارق التكويني والتشريعي بينهم وبينه (ﷺ).

قال (عليه السلام): «فهو امام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراجٌ لمع ضوءه، وشهابٌ سطع نوره، وزندٌ برق لمعه، سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل. أرسله على حين فترةٍ من الرسل، وهفوةٍ عن العمل، وغباوةٍ من الأمم».

فهذه الميزات نادرة، ولم تتوفر مجتمعة إلا في النبي (ﷺ)، وأهمها في الخطبة هي:

١ - أنه (ﷺ) في مقدمة المتقين؛ لأنه امامهم.

٢ - أن كل من يريد أن يخطو في طريق الحق على أساس من الهداية والبصيرة يجب أن يعتبر النبي (ﷺ) وسيرته أسوةً له.

٣ - أنه كالشمس المضيئة التي تنير الأقمار المحيطة بها، أن نور هدايته (ﷺ) يضيء أعماق الزمان المظلمة ويهدي الأجيال الضالة. من مطالعة تاريخ البلاد الإسلامية، وسيره بعد بعثته النبي (ﷺ) - خاصة تاريخ إيران - تتضح لنا هذه الحقيقة، وهي أن نواحي العلم والأدب الفرس لم يكونوا يصلون إلى ما وصلوا إليه إلا بسبب نور هدايته (ﷺ)، ولم يكونوا يستطيعون دفع عجلة العلم والأدب إلا بواسطة ذلك النور النبوي العظيم، وتلك الهداية النبوية الشريفة.

٤ - لقد عم نور هدايته جميع أنحاء الكرة الأرضية، وإن زناد برقه أشعل نار الغضب ضد الطواغيت والمستكبرين.

٥ - أن سيرته سيرة القصد والاعتدال مبرأة من الإفراط والتفريط.

٦ - سنته الشريفة إيقاظ الأهليات الكامنة في نفوس عامة الناس، وتنميتها ودفعها نحو الإمام.

٧ - كلامه (ﷺ) فصل الخطاب لكل كلام.

٨ - حكومته أساسها العدل والانصاف.

٩ - بعث (ﷺ) في زمن تضاربت فيه الأفكار والعقائد، واختلف الأديان على حين فترة من الأنبياء والرسل السماويين الذين يستطيعون أن يسدوا حاجات الناس المعنوية ويدفعوا عنهم ضلالاتهم.

١٠ - لقد بعث (ﷺ) لهداية الناس في زمان كانت الخطايا والذنوب فاشية بين الناس محيطة بهم، وكان الجهل الفكري والعمي العقائدي قد ران على قلوبهم، ولم تكن الثقافة والأفكار السائدة انذاك لتستطيع أن ترفع هذه النقائص أو أن تقلل منها.

من هذا التحليل يبدو أن أهم النقاط التي تبرز شخصية النبي (ﷺ) شخصية نادرة الهمة سماوية هي حكومة عدله، وفصل خطابه، ورشد سنته وإيقاظها، والقصد فيها، وانارتها لظلمات الجهل والعمي. هذه الميزات في سيرته الشريفة (ﷺ) هي التي جعلت منه هادياً دُوباً في ابلغ الوحي، ورفع الفرقة والاختلاف الموجود بين طبقات المجتمع، وتوحيد صفوفهم بشكل نادر لا مثيل له.

الناظر في شرح نهج البلاغة يرى أن الفساد والتفكك الاجتماعي والتناحر المستمر، والتباغض بين طبقات المجتمع لم يكن يسود المجتمع الجاهلي فقط، بل كان متفشياً في كل أنحاء العالم - شرقه وغربه - كان المجتمع في الشرق والغرب يقاسى الجور والظلم والفساد، وهذا هو السبب الذي أدى الى تقويض عروش الطغاة والمستكبرين، وحصونهم القوية وقلاعهم المستحكمة شرقاً في ايران، وغرباً في بلاد الروم بمحض دخول المسلمين بلادهم.

أشار (عليه السلام) في نهجه الى ذلك واصفاً النبي قائلاً^{١٨}:

«فصدع بما أمر به، وبلغ رسالات ربه، فلم الله به الصدع، ورتق به الفتق، والفاء به الشمل بين ذوي الأرحام، بعد العداوة الواغرة في الصدور، والضغائن القاذحة في القلوب».

ففي تحليل كلام علي (عليه السلام) في وصف الرسول الكريم يكفي أن نقول ان أسباب العداوات بين المجتمعات واشعال الحروب بينها قد قضى عليها رسول الله (ﷺ) وقبرها ووجد بين المجتمعات الاسلامية المختلفة وجعلها أخوة حسب التعبير القرآني

انما المؤمنون أخوة.

ان البحوث العلمية بين المجتمعات المختلفة لغة وعرقاً والتي تخص علماء الاجتماع يمكن أن تثبت هذه الحقيقة، وهي أن العامل الوحيد في ايجاد مجتمع ديني واقتصادي وسياسي عالمي هو الدين، والدين وحده هو الذي يخلق نماذج قوية للشخصية الانسانية.

وفي الختام نقول: ان من الأسباب المهمة للمجتمع الديني الذي يستطيع أن يخلق مجتمعاً اقتصادياً وثقافياً وسياسياً عالمياً هو القدرة على خلق النموذج الأسوة.

هذه القدرة على خلق النموذج الأسوة لا يمكن أن تبدأ إلا من شخصية مرتبطة بالوحي؛ ثم تعمم على جميع المجتمعات الانسانية. فاذا كانت سيرة النبي العظيم (ﷺ) قد استطاعت أن توجد تغييرات ثقافية جذرية عظيمة في زمان ومكان خاصين، وفي ظروف اقتصادية وثقافية سيئة، وذلك بعد مضي قرن أو قرنين، فمن البديهي أن الدين الكامل بتقديمه النماذج الكاملة في الارشاد والهداية يستطيع أن يخترق حجب الزمان والمكان، ويؤثر ايجابياً في كثير من المجتمعات البشرية.

كان الرسول الكريم (ﷺ) قبل البعثة صادقاً أميناً حليماً خلقاً مسامحاً، وكان تاجراً صادقاً في تجارته. يروى أنه باع أحد القريشيين بضاعة، لكن القرشي لم يتسلم البضاعة كاملة، بل بقي قسم منها عند النبي (ﷺ). فكان (ﷺ) يذهب في كل ليلة الى المكان المعين ينتظر ذلك القرشي ليسلمه بضاعته حتى لا يضيع حقه.

وكانت هذه سيرته حتى بعد بعثته^{١٩}، وكانت هذه السيرة أهم واقوى دعامة في انتشار دعوته الشريفة. فكان (ﷺ) كما أمره القرآن الكريم: «خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين»^{٢٠}

هذا الخلق وهذه السمائل هي التي جذبت الناس الى النبي (ﷺ)، وأحاطتهم به دون حاجة الى دليل أو برهان؛ لأن الحقيقة - مهما كانت - تظهر عفويةً وبديهيًا.

ان ميزات النبي (ﷺ) لا تنحصر ببيان علي (عليه السلام) وكلامه، لكن أحسن شخص يستطيع أن يصفه (ﷺ) هو علي (عليه السلام). علي الذي تربى في بيته، وتلقى القرآن

مباشرة منه.

كان سلوكه (ﷺ) يستند الى أربعة أدلة: الحلم والحذر والتقدير والتفكير. أما التقدير، فكان ينظر الى الناس جميعاً بنظر واحد، لا يفرق في ذلك بين واحد وواحد، وكان يصغى الى الجميع كذلك. أما تفكره، فكان فيما يبقى وفيما يفتنى. أما حلمه وصبره، فكانا عنده توأمين، ولم يكن أي شيء مادي في هذه الدنيا الفانية ليغريه ويستهويه ويشغل تفكيره^{٢١}.

كان النبي (ﷺ) قليل الكلام كثير الصمت. اذا أمر بالجهاد، كان (ﷺ) أول من يخرج اليه. كان أشجع الناس، والشجاع من المجاهدين كان هو الذي يحارب الى جانبه؛ لأنه (ﷺ) كان أقرب المجاهدين الى العدو. لم ير (ﷺ) جماعة من الأعداء إلا كان أول من يتقدم الى مجاهدتهم ونضالهم، وكان (ﷺ) اذا حمى الوطيس، ينزل عن بغلته، وينادي بأعلى صوته: «أنا النبي محمد، أنا لست بكذاب، أنا ابن عبد المطلب»، ولم يكن في مثل ذلك الوقت رجل أشجع منه^{٢٢}.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار احياء التراث العربي، دون تاريخ.
- ٢- ابن اسحاق، محمد، سيرة ابن اسحاق، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٩.
- ٣- ابن العربي، محيي الدين، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء العفيفي، طهران، طبع الزهراء، ١٣٦٦.
- ٤- ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ.ق.
- ٥- ابن هشام، السيرة النبوية، منشورات مصطفى، قم، ١٣٥٥ هـ.ش.
- ٦- البحراني، ميثم، شرح نهج البلاغة، دار العلم للملايين، بيروت. ٢٠٠١ م.
- ٧- جرداق، جورج، الامام علي صوت العدالة الانسانية.
- ٨- الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء.
- ٩- دشتي، محمد (تصحيح)، نهج البلاغة، نشر الهادي، قم ١٣٧٩ هـ.ش.
- ١٠- طباطبائي، محمد حسين، سنن النبي، المكتبة العلمية، قم، ١٣٦٢.
- ١١- الطبري، محب الدين أحمد، تاريخ الأمم والملوك، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ.ق.
- ١٢- عدة من المؤلفين، محمد خاتم پیامبران، ناشر مؤسسه فرهنگي حسينييه ارشاد، طهران ١٣٦٠.
- ١٣- مسلم بن حجاج، الصحيح، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٦.



الهوامش:

- ١- ابن العربي، فصوص الحكم، ص ٢١٤، فص حكمة فردية في كلمة محمدية.
- ٢- المصدر نفسه، ص ٣١٩.
- ٣- راجع تفصيل ذلك في: العفيفي، أبي العلاء، «نظريات الإسلاميين في الكلمة»، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد، سنة ١٩٣٤، ص ٢٣ - ٧٥.
- ٤- الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ٥١.
- ٥- المصدر نفسه، ص ٥٢.
- ٦- ابن العربي، فص حكمة فردية في كلمة محمدية.
- ٧- ابن اسحاق، السيرة، ج ١، ص ١٥؛ جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ١٥٧.
- ٨- نهج البلاغة، خ ١٩٢.
- ٩- المصدر نفسه، خ ٢.
- ١٠- القيصري، شرح مقدمة فصوص، ص ٧٤٦.
- ١١- نهج البلاغة، خ ٩٥.
- ١٢- البحراني، شرح نهج البلاغة، ج ٣، هامش الخطبة ٩٧، ص ٦ وما بعدها.
- ١٣- الأحزاب، الآية ٢١.
- ١٤- البحراني، ج ٣، هامش الخطبة ١٠١، ص ٢١ و ٢٢.
- ١٥- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة؛ والبحراني، ج ٣، هامش الخطبة ١٠٦، ص ٦٨ وما بعدها.
- ١٦- الخطبة ١٢٢ نهج البلاغة (دستي).
- ١٧- الخطبة ١٦٠ رقم ١٤.
- ١٨- ان أبي الحديد والبحراني، نفس الخطبة.
- ١٩- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٠ وبعدها.
- ٢٠- الأعراف، الآية ١٩٩؛ وكذلك انظر: عدة من المؤلفين، محمد خاتم پیامبران، ج ١، ص ٣٤٤.
- ٢١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٧ و ١٨.
- ٢٢- انظر: مسلم، الصحيح، ج ١، ص ١٦٨؛ الطبري، محب الدين أحمد، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٣٤٨.

جماليات اللون في القرآن الكريم

مرتضى قائمي

الاستاذ المساعد بجامعة بو علي سينا - همدان

الملخص

اللون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الادبية لما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، الدينية، النفسية، الاجتماعية الرمزية والاسطورية.

للون دوره الخاص في الصورة الفنية القرآنية لان اللون قد وظف في المستويات البنيوية والتعبيرية، الحسية، التزيينية والجمالية والرمزية للتصوير الفني القرآني. فاللون في القرآن قد يدل على القدرة الالهية والرحمة الربانية والجمال الالهي الذي تبارز وتظاهر في الطبيعة وقد يرمز الى الحياة أو الموت والأمل أو الخيبة والكفر أو الإيمان، الهداية أو الضلالة والنشاط أو الحزن و...

استخدم اللون لشتى الدلالات فيما يدل عليه مباشراً كالأخضر والأصفر والأبيض والأحمر والأزرق والأسود وما يدل عليه غير مباشر كالليل والنهار والنور والظلام. القرآن كريم، اللون، الجمالية، الدلالة

مقدمة

لاشك أن اللون من أهم الظواهر والعناصر التي تشكل الصورة الأدبية لأن له ارتباطاً

وثيقاً بجميع مجالات الحياة وظواهر الكون وله علاقة وطيدة بالعلوم الطبيعية وعلم النفس، الدين والثقافة والأدب، الفن والأسطورة ..

هذا وقد يعمق اللون علاقة الأدب بفن الرسم لأنه كما يقول سيمونيدس الشاعر اليوناني: الرسم شعر صامت والشعر تصوير ناطق (طارق الشريف، ص ١).

الأديب يستثمر الألوان لخلق التوازن والتناسب والوحدة والأنسجام التي هي من أهم مباني علم الجمال. بحيث يعتقد بعض كبار الشعراء أنه لا بد من تدمير الواقع الخارجي لخلق واقعية جديدة ولحصول هذا الغرض لا بد من الالتجاء الى الألوان. (نفس المصدر، ص ٩)

اذن التدقيق في الآثار الأدبية يرشدنا الى أن استخدام اللون في هذه الآثار ليس صدفة وليس لتنميق الكلام فحسب بل له ارتباط وثيق بجميع المستويات البنيوية والبلاغية والتعبيرية للنص الأدبي. (ينظر: جابر عصفور، ص ٢٨١)

هذا والتصوير هو الأداة المفضلة في اسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الطبيعة البشرية ثم يرتقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فاذا المعنى الذهني هيئة أو حركة واذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد واذا النموذج الانساني شاخص حي واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية و... يجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن. فهو تصوير باللون وتصور بالحركة وتصور بالتخييل (سيد قطب، ص ٣٦)

اذن الدراسة في كيفية استخدام وتوظيف الألوان في القرآن الكريم تستطيع أن تكون خطوة هامة لفهم المفردات والتراكيب والتصاوير القرآنية القيمة.

فالهدف من هذه الدراسة التعرف على الدلالات البنيوية والتعبيرية والبلاغية للألوان وأثرها في جماليات القرآن الكريم.

للدراسة هذه لم أعثر على آثار علمية دقيقة الا ما يوجد في التفاسير القرآنية وعدد من كتب النقد والأدب وبعض المقالات، منها مجمع البيان للطبرسي والتصوير الفني

للسيد قطب.

يتناول هذا التحقيق بحثاً موجزاً في ماهية اللون ودلالات الألوان ثم يلقي الضوء على المعاني والدلالات المعنية باللون في التصاوير القرآنية.

ماهية اللون

يعرف اللون بأنه الانطباع الذي يولده النور على العين، فكل لون يتخذ قيمة معينة بالنسبة للبيئة التي تحيط به وهذا التعريف يقع ضمن دائرة الوعي الاجتماعي لمدرجات الأشياء أما التفسير الفيزيائي للون فهو عبارة عن موجات ضوئية اهتزازية تدركها العين وهذه الموجات تقصر أو تطول وفقاً لطول الموجه وعليه فإن اللون يكون أكثر من مجرد زخرفة أو زينة للعين، أنه النور وقد تجزأ أطوال موجات والى نسب اهتزازية مختلفة، فالشيء الذي يمتص كامل النور فيسمى أبيض. وبما أن كل جسم يمتص موجات خاصة ويعكس الموجه التي تناسب لونه، فالموجه التي تدخل العين هو لون نفس الجسم. (فردريك بيوكي، ص ٤٢٨ وعبدالله الشاهر، ص ١).

دلالة اللون

كل انسان يفضل ويحبذ بعض الألوان ولا يحب البعض الآخر وقد يرفض بعض الألوان بالطبع، اختيار الألوان ورفضها وقبولها يعود الى اسباب متنوعة فيزيولوجية، نفسية، اجتماعية، دينية، رمزية، ذوقية و...

ولكل لون معنى نفسياً يتكون نتيجة لتأثيره الفيزيولوجي على الانسان. يقال أن الوقت يمضي بسرعة تحت أشعة خضراء ويمضي ببطء تحت أشعة حمراء، فاللون الأخضر لون هادئ، ومريح للأعصاب مما يشعر بمرور الوقت ضعيفاً وأما اللون الأحمر فمشهور بأنه لون مثير ومهيج ومقلق ويؤدي الى الشعور بالملل مما يجعل المرء يشعر بأن الوقت لا يمضي. (عبدالله الشاهر، ص ٢).

فيمكن القول أن الحالات النفسية والعاطفية قد تسبب عن آثار الألوان على الانسان.

فالألوان مفرحة، مهدئة، مهيبة، محزنة، مشوشة، مقلقة، مؤلمة، مخيبة و...
هكذا العوامل الاجتماعية كالآداب، السنن، التقاليد والعادات لها اثرها في اختيار
وتفضيل اللون. فلبس السواد لون الحداد والحزن عند كل الشعوب كما أن البياض ليس
لون الفرح والسرور عند الجميع.

والبيئة الجغرافية والأقليمية ايضاً لها اثر يذكر في اختيار اللون، لأن كل شعب يمكن
أن يجذب لوناً ويستثمره وفقاً لظروفه البيئية والجغرافية. فمثلاً يعشق الجاهلي اللون
الأخضر لأنه يبحث عن الخصوبة والعشب والكأ والشجر في فيافي الجزيرة ولا يحب
اللون الأحمر لأرتباط هذا اللون بالجذب والقحط والحرارة والجفاف والظما.

اذن وظائف أي لون تختلف باختلاف الحضارات والمجموعات البشرية. يطرح
(غرهام كولبير) مثلاً للتدليل على ذلك في إطار الوظيفة الرمزية للون في الرسم الديني
البيزنطي في القرون الوسطى: فالأزرق اللون الغالب على رداء العذراء الخارجي يرمز الى
النقاء والصفاء ويلمح الأحمر الى العاطفة البشرية والأنهماك الدنيوي ويمثل الأخضر
الخصب وحاله الأمومة بينما يستعمل الذهبي كأرضية للصورة ليرمز الى ما هو مقدس.
(جهاد عقيل، ص ٣)

علاوة على هذا كله الذوق الفردي له دوره في تفضيل أي لون إلا أن الذوق متأثر من
الأسباب السابقة. فالألوان بالاضافة الى كونها مظهراً من مظاهر الواقعية تكون حاملة
ارث ثقافي حيث تتوضع في الألوان جملة من البنى الأسطورية الحضارية المؤسسة
لثقافات الشعوب فلها دلالات جمالية.

اللون في القرآن الكريم

لاشك أن بلاغة القرآن هي التي افحمت العربي واسكتت جميع البلغاء ومن دعائم
بلاغه القرآن موسيقى المفردات والمركبات والصور الفنية اللطيفة الدقيقة فيه واللون
ظاهرة وظفت في الصورة الفنية القرآنية كثيراً لتلعب دورها في الدلالات القرآنية.

كلمة اللون

أن كلمة اللون وردت في القرآن الكريم تسع مرات. قد يهدف ذكرها تحديد ماهية اللون كما في: قالوا ﴿أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ (البقرة، ٦٩).

فيما بقي من الآيات التي ورد فيها لفظ اللون يقتزن هذا اللفظ بالكلمة (الاختلاف) أو كلمة (المختلف) ليدل أولاً على القدرة المطلقة الإلهية وثانياً على ما دعى الإنسان إليه من التفكير والتبصر في حقائق عالم الكون. هذا ما يؤيده ذكر عبارة «الم تر أن الله...» أو عبارة «ومن آياته...» أو عبارة «أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون...» في هذه الآيات: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم﴾ (الروم، ٢٢). ﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيئ فتراه مصرفاً ثم يجعله حطاماً أن في ذلك لذكرى لأولى الأبواب﴾ (الزمر، ٢١).

الأخضر والأصفر والأبيض والأسود والأحمر والأزرق هي الألوان الستة المذكورة في الآيات القرآنية كما أن هناك كلمات أخرى قد تدل على ما تدل عليه الألوان كالليل والنهار والنور والظلام...

اللون الأخضر

اللون الأخضر هو لون الحياة والحركة والسرور لأنه يهدئ النفس ويسرها وهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفاؤل وهو لون الربيع، الطبيعة الحية، الحداثق، الأشجار، الأغصان والبراعم.

يعتبر الأخضر في الفكر الديني رمزاً للخير والأيمان وأنه أكثر شيوعاً في الروايات العربية الإسلامية وقياب المساجد واستار الكعبة وعمائم رجال الدين. (عبدالله الشاهر، ص ٤).

قد وردت لفظه الأخضر ثماني مرات في القرآن الكريم. كلمة خضر استخدمت لبيان

ماهية وجمال ثياب ومجلس أهل الجنة:

﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق﴾ (الكهف، ٣١)

﴿عاليتهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾ (الأنسان، ٢١)

في الآيات التسعة الباقية اقترنت كلمة أخضر ومشتقاتها بالنبات دلالة على جمال الكون وحيويته كمظهر من مظاهر القدرة والرحمة الإلهية المطلقة. القدرة التي تجعل الشجر الأخضر حطباً يحترق ومولداً للطاقة ليستثمره الإنسان في حياته:

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا منه توقدون﴾ (يس، ٣٨)

القدرة التي تخرج من التراب نباتاً أخضر:

﴿وأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً﴾ (الأنعام، ٦٩).

فأخضرار الأرض وخصوبتها وطرأوتها تحت الأمطار الغزيرة من دوافع التفكير وحوافز التبصر في حقيقة الوجود:

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ (الحج، ٦٣).

هناك حكاية رمزية في قصة يوسف القرآنية استخدمت فيها كلمة خضرة مرتين. في التصاوير المقدمة في هذه الحكاية لكلمة الخضر دلالة رمزية ترمز هذه اللفظة إلى الحياة والحركة والطلاوة والطلاوة مقابل كلمة اليابس التي ترمز إلى الصمت والسكون والفناء والموت:

﴿اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر

يابسات﴾ (يوسف، ٤٦)

اللون الأصفر

يعتبر اللون الأصفر من أشد الألوان فرحاً لأنه منير للغاية ومبهج. هذا اللون يمثل قمة التوهج والأشراق ويعد أكثر الألوان اضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس ومصدر الضوء واهبة الحرارة والحياة والنشاط والسرور. واستخدمه المصريون القدماء رمزاً لألهة الشمس وللوقاية من المرض. الشاهر، ص ٣.

للون الأصفر دلالة أخرى تناقض الأولى وهي دلالته على الحزن والهم والذبول والكسل والموت والفناء ربما الدلالة هذه ترتبط بالخريف وموت الطبيعة والصحارى الجافة وصفرة وجوه المرضى.

ورد اللون الأصفر في القرآن كريم خمس مرات، منها:

﴿... قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ (بقرة، ٦٩).

الجملة الوصفية (تسر الناظرين) في الآية يبين دلالة هذا اللون المبهجة في الطبيعة ف (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروى عن الصادق (ع) أنه قال من لبس نعلًا صفراء لم يزل مسروراً حتى يبليها كما قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. (الطبرسي، ج ١، ص ٢٧٤).

ففي الآية هذه، البقرة موصوفة باللون الأصفر تحديداً لماهية لونها والدلالة على جمال هذا اللون وتأثيره النفسي على الإنسان.

في الآيات الأربعة الباقية المذكور فيها هذا اللون لا نجد دلالة إلا ما يدل على المرض والموت والفناء: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ (الحديد، ٢٠).

اذن في الآية صورة تمثيلية لنهاية الحياة وفناء لذائذها. شبهت ملاهي الحياة ولذائذها بأخضرار الأرض وخصوبتها بعد نزول امطار غزيرة فلم تلبث الأرض أن تجف وتصير قاحلة ويتحطم زرعها اليابس. فالأصفرار في هذه الآية يدل على الذبول، الموت والأضمحلال وكل الصورة في خدمة هداية الناس وتوجيههم نحو السعادة.

الصورة نفسها توظف في سورة زمر آية ٢١ مرة أخرى حتى تكون موعظة بليغة لأصحاب الفكر وأولي الأبواب:

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً أن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب﴾.

الآية تدعو الى التبصر والتفكير والأصفرار علامة القدرة الكاملة الالهية والسنة

الالهية النافذة والجارية في الخلق التي تحكم بفناء كل شيء.

هناك تصوير آخر تجسم وتجسد فيه حالات المكذبين في يوم القيامة. عندما تقول لهم الخزنة أذهبوا وسيروا الى النار التي كنتم تجحدونها وتكذبون بها. ثم شبه الله تعالى شرر النار بالتقصر في العظمة والتخويف ثم شبهه في لونه بالجماليات الصفر فقال كأنه جمالت صفر أي كأنه أبيض صفر وقيل أبيض سود (انظر: طبرسي، ج ١، ص ٦٣٤) فالصفرة وصف ورد تبيناً لشدة العذاب وتخويفاً وتحذيراً للناس من التكذيب.

هناك صورة أخرى يعيب فيها سبحانه كافر النعمة، حيث يقول:

﴿ولئن أرسلنا ريحاً فوأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون﴾ (الروم، ٥١).

فـ(المصفر) في الآية وصف لنبات دال على الفناء والعذاب كما يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى الذي يجعل الخضرة والطراوة صفراً وذبولاً.

اللون الأزرق

يعتبر اللون الأزرق لون الوقار والسكينة والهدوء والصدقة والحكمة والتفكير اللون الذي يشجع على التخيل الهادئ والتأمل الباطني ويخفف من حدة ثورة الغضب ويخفف من ضغط الدم ويهدئ التنفس ويرمز الى الصدق والحكمة والخلود والأخلاص. (انظر: الشاهر، ص ٣).

لم يرد هذا اللون في القرآن الكريم الا مرة واحدة: ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ (طه، ١٠٢).

قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الهاً يحشرون زرق العيون، سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سود العيون كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق وقيل زرقاً عمياً ترى زرقاً وهي عمى عن الفراء (طبرسي، ج ٧، ص ٤٨).

اذن اللون الأزرق استخدم في صورة مخفية قرآنية الا أن هذا اللون لم يدل على الخوف والوحشة إلا مع ما تركب معه من السواد.

اللون الأحمر

اللون الأحمر لون القوة والقدرة والحياة والحركة وأما عاطفياً فيعتبر اللون الأحمر لون الحب الملتهب والتفاؤل والقوة والشباب (الشاهر، ص ٢).

أكثر الشعراء القدماء من استخدامهم هذا اللون نتيجة وعيهم الجمالي والمعرفي لدوره في أصل الوجود والواقع، لذلك تنوعت الفاظه التي كثرت لتعبر عن ماهيته وقيمه ومدى ثقائه ودرجة تشعبه، من ذلك قولهم أحمر، أحمر قاني، ومدمي واضريح، جريال، عندم، اسفع، كميت و... (خالد زغریت، ص ٣).

كما يمثل هذا اللون الشر والكفر والقتل والدم والجنان يرتدون اللباس الأحمر وأحياناً يعبر عن الفرح والسرور ويستخدم في الأعياد.

لم يرد اللون الأحمر في القرآن الكريم بلفظه الصريح إلا مرة واحدة مزروعة بين اللونين الأبيض والأسود: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر، ٢٧).

فـ (الحمر) في الآية الشريفة يبين تلون الطبيعة وتنوعها ليدل على المنة والمنة الإلهيتين موعظة للناس ودعوة لهم إلى التفكير.

استخدم هذا اللون بغير لفظه في آية: فكانت ورده كالدهان (الرحمن، ٣٧). وظف (الوردة) في هذه الصورة الفنية لتدل على لون السماء حين تنفجر أبوابها لتزول الملائكة. فشبّه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بأفرس الورد وقيل أراد به النبات وهي حمراء (طبرسي، ج ٩، ص ٣١١). الحمرة في هذا التصوير تدل على شدة العذاب تهويلاً وتخويفاً للعصاة والمذنبين لأن الحمرة تمثل وتجسم لهيب النار.

اللون الأسود

السواد في الفيزياء بمعنى فقد اللون. أي كل شيء لا تبلغ منه موجات إلى العين يرى أسود.

هذا اللون هو لون الظلام، الصمت، اليأس والخيبة والفناء ورمز الحزن والهم والموت

والأخفاق و... اللون الذي يمثل الظلم، الضلالة، الغضب، الأثم، الكفر، الشرك و... (الشاهر، ص ٦ وخالد زريت، ص ٢).

ورد اللون الأسود سبع مرات في القرآن الكريم، بعضها تمثل الكفر والارتداد والعصيان والتكذيب، فسواد الوجه يرمز الى سواد الروح وتلوثها تمثل وتجسم في وجوههم، لأن الوجه مرآة الروح ولا يخفى ما في الروح من الحالات:

﴿ ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ (الزمر، ٦٠).

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ (آل عمران، ١٠٦).

وقد يستخدم السواد كناية عن ظلمة آخر الليل التي تكاد تنحسر:

﴿ كلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ (البقرة، ١٨٧).

وقد يكنى به عن شدة الغضب وحدة الغيظ:

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهم كظيم ﴾ (النحل، ٥٨).

﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ (الزخرف، ١٧).

وقد وظفت الألوان ومنها السواد لتدل على آثار قدرة الله

﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ﴾ (فاطر، ٢٧).

اللون الأبيض

من وجهة نظر فيزيائية، اللون الأبيض يحتوي على موجات الألوان كلها بمعنى أن الشيء الذي يعكس الموجات كلها الى العين، يرى أسود (بيوكي، ص ٤٣٢).

ومن وجهة نظر سايكولوجية واجتماعية و.. هذا اللون، لون الطهارة والخلوص والصفاء والنقاء والمحبة والخير والحق والعدالة.

هذا اللون يقابل السواد في كل دلالاته. اذن يمثل ويصور الأوصاف الإيجابية والحالات المطلوبة والخصائص المحمودة.

ورد البياض إحدى عشرة مرة صراحة في القرآن الكريم. بعض الآيات توضح لنا أن الطهارة والنقاء والإيمان والصفاء تتجسم ببيضاء في القيامة، فتصبح وجوه الصالحين والظاهرين ببيضاء لامعة:

﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾ (آل عمران، ١٠٧).

في هذه الآية (أبيضت وجوههم) كناية عن (صلحت أعمالهم وطهرت أرواحهم). وفي الآية ﴿أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (يوسف، ٨٤)، بياض العين كناية عن العمى، لأن من يصبح أعمى، يفقد سواد عينه عادة.

استخدم هذا اللون في حكاية موسى، عندما كانت يده بيضاء بأمر من الله دلالة واضحة ومعجزة لرسالته وبيانا لما أعطاه الله من القدرة لأثبات نبوته وأفحام المنكرين.

﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ (النمل، ١٢)

﴿أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ (القصص، ٣٢).

وفي الآية الكريمة ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ البياض من مظاهر الجمال الإلهي والقدرة الكاملة الربانية. وفي الآية الكريمة ﴿يطاف عليهم بكأس من معين، ببيضاء لذة للشاربين﴾ وصفت الخمر (في الجنة) بالبياض لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن (الطبرسي، ج ٨، ص ٦٩٢).

ففي الآية تصوير يدل فيه البياض على الرقة والصفاء والجمال من ناحية وعلى الرحمة الخالدة في الجنة من ناحية أخرى.

هذا وقد تستخدم الألوان بصورة غير مباشرة في الصورة الفنية. أهمها ما يدل على السواد والبياض من غير لفظيهما كالنور والظلام والليل والنهار:

النور:

بما ان النور يوجه الإنسان الى مقصده ويسعده في روية كل شيء للتعرف على جميع

الأشياء والموجودات، فيستعار لكل ما يهدي ويوجه الإنسان في حياته وفكره ورؤيته. استعير النور في القرآن الكريم للهداية والدين والإيمان والقرآن والنبي الكريم والأدلة والبراهين والعدالة والعلم.

الف: الهداية، قد استخدمت كلمة «النور» استعاره عن الهداية كراراً. كلمة النور في الآيات التالية قد تمثل وتجسم الهداية في صورة حسية ملموسة، تقريراً وتقريباً لها إلى الفهم: (ينظر: سيد قطب، ص ٨٥).

﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ (احزاب، ٤٣).

﴿.. ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ (طلاق، ١١).
 ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ (حديد، ٩)
 ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ (إبراهيم، ١).
 ﴿وآتيانه الأنجيل فيه هدى ونور﴾ (مائدة، ٤٦).

كلمة (النور) في الآيات المذكورة استعارة تصريحية للهداية إلى طريق الرشاد وسبيل النجاة.

ب: الدين والإيمان: قد تستعار كلمة (النور) في الصور الفنية القرآنية للدين والإيمان، على سبيل الاستعارة المصروفة على الأغلب:
 ﴿.. يهدي الله لنوره من يشاء﴾ (نور ٣٥).

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره...﴾ (الصف، ٨).

ج: القرآن: قد تعبر لفظه (النور) عن القرآن الكريم بوصفه هادياً للناس ومنوراً الطريق لمن يبحث عن طريق لانتقاذ نفسه.

﴿وأتبعوا النور الذي أنزل معه...﴾ (أعراف، ١٥٧).

﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (توبة، ٣٢).

﴿فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ (تغابن، ٨).

﴿أنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ (نساء، ١٧٤).

د: النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء الآخرون:
النبي هو القرآن الناطق ورسالته في هداية الناس جعلته نوراً لامعاً وضياءً ساطعاً
لأنقاذ الناس من الضلالة والكفر كما أن الأنبياء كلهم كانوا قد أرسلوا النفس السبب وأنجاز
المهمة نفسها:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (مائدة، ١٥).

عبارة (نور على نور) من آية ٣٥ (سورة النور) فسرت وعبرت بعبارة (نبي بعد نبي)
وفيه خلاف (انظر: طبرسي، ١٩٨٦، ج ٧، ص ٢٢٦).

ذ: الأدلة والبراهين:

وقيل أن (النور) استعارة للأدلة والبراهين في بعض الآيات: (انظر، طبرسي، ج ٥، ص
٣٨ و ج ١، ص ١٥٢):

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ (توبة، ٣٢).

﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ (بقرة، ٢٠).

ر: العدالة: في الآية الكريمة التالية، لفظه (النور) تجسم وترسم العدالة في استعارة

مصرحه:

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب...﴾ (زمر، ٦٩).

الا أن هناك اختلافاً بين المفسرين في المستعار له للفظه (النور) في الآية المذكورة.
(انظر: طبرسي، ج ٨، ص ٧٩٢).

ز: العلم: يقول بعض المفسرين أن كلمة «النور» في الآيتين التاليتين ترمز إلى العلم.

﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ (انعام، ١٢٢).

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (رعد، ١٦).

علاوة على ما ذكر قد ذكر (النور) علامة تدل على القدرة الكاملة الألوهية والرحمة

الشاملة الرحمانية.

﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (انعام، ١).

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾ (يونس، ٥).

الظلام

الظلام تقيض النور في كل خصائصه، كما كان السواد تقيض البياض، فيستطيع الظلام أن يدل على الضلالة والكفر ويرمز إلى الجهل والخوف والوحشة ويمثل الخيبة والأخفاق والشر والظلم والباطل والعتمة.

في القرآن الكريم يدل الظلام على:
الف: الضلالة:

﴿هو الذي ينزل على عبده آيات لينزل به آيات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ (حديد، ٩).

﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ (إبراهيم، ١).
إلا أن بعض المفسرين يعتقدون أن «الظلمات والنور» في الآية السابقة استعاره عن «الكفر والإيمان» (طبرسي، ج ٦، ص ٤٦).

ب: الكفر: أن الظلام تصوير دقيق للكفر والألحاد. لأن الكفر يسبب أن يتحير ويتخبط الإنسان في حياته ومماته، كما أن الظلام يجعل الإنسان متحيراً في طريقه:
﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (بقرة، ٢٥٧).

﴿والذين كذبوا بآياتنا صم بكم في الظلمات﴾ (انعام، ٣٩).
ج: الجهل: سبق أن قلنا إن العلم يوجه الإنسان فهو كالنور وفيما أن الجهل يضل الإنسان فلا تمثله صورة الا الظلام:

﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (انعام، ١٢٢).

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (رعد، ١٦).
﴿أن للبياض والسواد قيمة تعد من أهم القيم الفكرية والفنية في الأدب العربي نلمح فيها بصورة جلية المقابلة بين الأبيض والأسود والليل والنهار والنور والظلم وكل ما يمكن أن يتصل بهما من معان ترمز للخير والشر والعدل والظلم﴾ (محمد قرانيا، ص ١).

وظائف الألوان في القرآن الكريم:

- ١- الوظيفة التعبيرية: قوامها اللفظ الصريح الذي يحمل معاني كبيرة مشحونة بطاقات هائلة من التعبير، تشير المشاعر، كالبهجة والفرح والمتعة والحزن والخوف والرهبة.
- ٢- الوظيفة الرمزية: وقوامها اللفظ الموحى، الذي يمكن أن يحدث استجابة نفسية بشعور ما يحرك عواطف الأنسان ويدعو الى التأمل والتفكير والتدبر كما في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، فإذا أنتم منه توقدون﴾ فاللون الأخضر الذي يرمز للخصب أولاً وللحياة وأستمرارها ثانياً جعل منه وقوداً للأحترق والموت وجعله متناسقاً متناسقاً مع سياق الآيات قبله، والتي يستنكر فيها الكافرون قدرة الله على البعث وأعادة الحياة الى الأموات. (محمد قرانيا، مجلة التراث، ص ٦).
- ٣- الوظيفة الحسية وقوامها تأثر العين والعين وسيلة الاتصال المباشر مع الكائنات.
- ٤- الوظيفة الجمالية التزيينية: واللون له دوره في تنميق وتزيين الكائنات.

خاتمة:

ان اللون ظاهرة هامة في القرآن الكريم استخدم مرات عديدة ليؤدي وظائف مختلفة من التعبيرية والحسية والتزيينية والمجازية والرمزية فيما يدل على الألوان مباشراً كالأخضر والأصفر والأبيض والأسود والأزرق والأحمر وما يدل عليها غير مباشر كالنور والظلام والليل والنهار و....

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- بيوكي، فردريك، فيزيك برای رشته های فني، ترجمه محمد ابراهيم ابو كاظمي، مركز نشر دانشگاهي، چاپ اول، تهران، ١٣٧٠.
- ٣- رازي، الامام فخر الدين، التفسير الكبير، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م، ١٤١١ هـ.
- ٤- زغريت، خالد، الاساس الواقعي لجماليات اللون في شعر الاغربة، مجلة التراث العربي، العدد ٨٥.
- WWW. awu - dam.org
- ٥- الشاهر، عبدالله، الاثر النفسي للون، مجلة الموقف الادبي، العدد ٣٧٩.
- WWW. awu - dam.org
- ٦- شريف، طارق، الشعر والفن التشكيلي، مجلة الموقف الادبي، العدد ٧، ١٩٧٤ م.
- WWW. awu - dam.org
- ٧- طبرسي، الشيخ ابو علي، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الاولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ٨- عصفور، جابر، النقد الادبي (٢)، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ٩- عقيل، جهاد، الالوان المكتوبة مدخل الى الالوان في الشعر، مجلة الموقف الادبي، العدد ٣٦٢ حزيران ٢٠٠٠.
- WWW. awu - dam.org
- ١٠- قرانيا، محمد، الالوان في مخيله العربي وتأثيرها في عبقريته، مجلة التراث العربي، العدد ٩١- ايلول ٢٠٠٣.
- WWW. awu - dam.org
- ١١- ظاهره اللون في القرآن الكريم، مجلة التراث العربي، العدد ٧٠- كانون الثاني ١٩٩٨.
- WWW. awu - dam.org
- ١٢- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، الطبعة الثالثة دار الشروق، ١٤٠٣ هـ.

الحكمة في شعر ابن الوردي

الدكتور محمود آبدانان مهديزاده

استاذ مساعد بجامعة شهيد چمران اهواز

قسم اللغة العربية

الخلاصة

ابن الوردي من أشهر الأدباء الحكماء وقد ذكرت اشعاره الحكيمة ومنها لاميته المعروفة في أكثر المجموعات الشعرية والحكمة هي علم وتوجيه وتربية وتنقيف، وفي هذا البحث استقرأ للأشعار الحكيمة التي نظمها بعض الشعراء ومقارنة بين أشعار ابن الوردي ومنظومات أولئك الشعراء ورأس الحكمة الرائعة مخافة الله وكان ابن الوردي من دعاة هذه المقولة الرائعة والاعتبار بالماضين، وقد انعكس هذا جلياً في بعض أشعاره. الكلمات الرئيسية: ابن الوردي، الحكمة، العلم.

مواضيع البحث

بعد المقدمة

١- خلاصة عن ابن الوردي.

٢- ما هي الحكمة؟ وما هي مراحلها التاريخية من العصر الجاهلي حتى زمان ابن

الوردي؟

٣- الحكمة في شعر ابن الوردي.

٤- مقارنة بين ما نظمه ابن الوردي في رحاب الحكمة، وما نظمته الشعراء الآخرون.

المقدمة

العلم هو المعرفة والاطلاع عن كنه واسرار ما تجبُ معرفته والحكمة هي أن توضع المعلومات في مكانها ومقامها المناسب، وكل حكيم عالم، وليس كل عالم حكيمًا، والحكمة في الشعر هي ذروة الأدب وقمة ما تجود به القريحة وعُرف بعض الشعراء بمنظوماتهم الحكمية ومنهم المتنبي والمعري وابن الوردي، وهذا البحث يدور حول ما جادت به قريحة ابن الوردي من الأشعار في مضمار الحكمة وأهم ما في هذا البحث المقارنة بين ما نظمه ابن الوردي في هذا الميدان وما فاضت به قرائح الآخرين والله ولي التوفيق.

١- خلاصة عن ابن الوردي

ابن الوردي هو عمر بن مظفر من أشهر الشعراء في القرن الثامن ووُصف بأنه شاعر وعالم، وقد ولد في معرة النعمان بسوريا وتوفى - بالطاعون - في حلب، عرف بثقافته الواسعة وتصانيفه الكثيرة في التاريخ والجغرافيا والفقه واللغة والنحو^(١) ومن مؤلفاته: (تنمة المختصر في أخبار البشر) ويعرف هذا الكتاب أيضاً باسم: (تاريخ ابن الوردي) وله ديوان شعر، وقصيدته الأخلاقية والحكمية المعروفة باسم: (لامية ابن الوردي) تُعرف أيضاً باسم: (نصيحة الإخوان).

٢- ما هي الحكمة؟ وما هي مراحلها التاريخية من العصر الجاهلي حتى زمان ابن الوردي؟

الحكمة: قال عنها اللغويون: «والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم»^(٢) و«العلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاها ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي القوة العقلية العلمية

وهذه هي الحكمة الإلهية^(٣) و«أن لها مَعْنَيْنِ رئيسَيْنِ : «المعنى الأول: المنع، والمعنى الثاني: الإستحكام وارتباطها مع هذين المعنيين هو أنها ممانعة من الجهل والأخلاق المذمومة وتطلق على العلم الخالي من الخلل والمحكم الذي لا يقبل الخطأ مطلقاً»^(٤) وقال عنها المفسرون : «الحكمة بكسر الحاء على فِعْلة بناء نوع يدلّ على نوع المعنى، فمعناه النوع من الإحكام والإتقان، أو نوع من الأمر المحكم المتقن الذي لا يوجد فيه ثلمة ولا فتور. وغلب استعماله في المعلومات الفعلية الحقّة الصادقة التي لا تقبل البطلان والكذب البتة»^(٥) و«أن يدعوهم إلى أفعالهم الحسنة التي لها مدخل في استحقاق المدح والثواب عليها»^(٦) «الحكمة القرآن ... لأنه يتضمّن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح»^(٧) و«هي المقالة الصحيحة المحكمة وهي الدليل الموضح للحقّ المزيل للشبهة»^(٨).

وبالإمعان في أقوال الفريقين يتضح الاختلاف الكبير بينهما وبالذات فيما ذهب إليه السيّد محمد حسين فضل الله من أن ما ذهب إليه اللغويون ليست معاني للحكمة ... وإنما يعتبرها مصاديق للمعنى تلتقي بالمعنى الواسع للحكمة إلّا أنها - المصاديق - لا تتّصف بما ذكره لها اللغويون كمعنى حقيقيّ فهو كمفسّر مع اللّغويين في المعاني التي ثبّتها لـ «الحكمة» في خلاف والسبب «لأنّ مهمّتهم ليست تشخيص المعاني والمفاهيم الحقيقية للفظ، بل مهمّتهم الأساسية هي تشخيص موارد الإستعمال فحسب، وبيان لصحيح منها من الفاسد»^(٩) ولكنّه مع هذا يزعم أن أقرب أقوالهم إلى لفظ «الحكمة» وألصق معنى بها ولكنّه ليس هو نفس المعنى هو : «وضع الشيء في موضعه» أو «صواب الأمر وسداده» وعليه تلتقي صفة الحكمة بـ «الخبرة» و«المران» و«التجربة» الأمر الذي يُمكن إطلاقها على العالم والعدل والحليم والنبّي لاشتمالهم على مبادئ العلم والعدل والحلم والنبوة التي تُساعد على وضع الأشياء في مواضعها في العلم حين يبحث ويفكر، وفي العدل حين يقضى ويحكم، وفي الحلم حين يعفو ويسامح، وفي النبوة حين يدعو ويبلغ»^(١٠).

والخلاصة : أن مفردة «الحكمة» تشير إلى مفهوم «وضع الشيء في موضعه» أو «صواب الأمر وسداده» إلّا أن مبادئها تختلف، كما أن مجالاتها تتعدّد. وهذا هو ما نفهمه

من «الحكمة» لغويًّا أو هو الفهم اللغويُّ لها ويتَّضح معناها العرفي من خلال معرفة : هل هي محتوى ومضمون؟ أم هي أسلوب وطريقة؟ وبالرجوع إلى بعض التفاسير وجد أنها حاولت أن تجعل من الحكمة مضموناً للدعوة ومتعلِّقاً لها يتمثلان بالأمر بالحسن والنهي عن القبيح، أو بالإتيان بالآيات القرآنية في مقام الدعوة، أن بإقامة الأدلة على الحق وهي ممَّا لا تنسجم على أن تكون محتوى ومضموناً.

وإذا لم يكن هذا هو المطلوب فما هو إذن؟

«المراد بالحكمة هو السير على الطريقة الواقعية، ونعني بها تلك التي تلاحظ الواقع الخارجي للمجتمع الذي تعيش فيه، وتدرس ظروفه العقلية والفكرية والنفسية والاجتماعية، وتضع كل ذلك في حساباتها قبل بداية العمل»^(١١).

وقد ورد هذا المعنى في أسلوب آخر هو : «إنها تمثل الخطَّ العملي الذي يُحاول أن يزن الأمور بموازينها الحقيقية التي تتوازن فيها المبادئ مع واقعية الحركة ... ثلماً تنحرف المسيرة عن المبادئ باسم الواقعية، أو تباعد عن الواقع، نحو المثالية، باسم المحافظة على المبادئ وذلك هو ما نستوحيه من تأكيد القرآن الكريم على الحكمة، إلى جانب الكتاب ... فيما هو الخطَّ المستقيم الذي تتحرَّك فيه النظرية مستوى الخطَّ الواقعي للتطبيق»^(١٢).

وبعد الإلمام بمعنيي «الحكمة» اللغوي والعرفي تأتي محاولة متابعتها في معنيها أوفيما يُقربهما إليها في الفكر العربي منذ قبل الإسلام وإلى زمن ابن الوردي ليكون هذا الإلمام مقدمة بسيطة وسريعة عن تأريخها في الشعر العربي على امتداد أعصره مستشهدين لكل منها :

فالحكمة في الجاهلية لم تكن ذلك العلم الواضح المعالم المحدد الحدود والمستند إلى قواعد وأصول وإنما هي عبارة عن شذرات من الأقوال المأثورة والآراء الصحيحة والمقبولة في زمانها فيما لا يكون بعضها كذلك في تالي الأزمنة ومن القائلين فيها بشامة خال زهير الذي أخذ عنه زهير الشعر والحكمة والرصانة، وطرفة، والأفوه الأودى صاحب هذه الأبيات وهي من مشهور الحكمة في الجاهلية :

- والبيت لا يُبْتَنَى إلّا له عمدٌ
فإن تَجَمَّعَ أوتادٌ وأعمدة
ولا يصلحُ النَّاسُ فوضى لا سُراةَ لهم
تُهدَى الأمور بأهل الرأي ما صلحت
ولا عمادٌ إذا لم تُرسَ أوتادٌ
وساكُنْ بلغوا الأمر الذي كادوا
ولا سُرارة إذا جُهاّهم سادوا
فإن تسوّلوا فبالأشرار تنقاد^(١٣)

واكتملت في صدر الإسلام نظرياً من خلال القرآن الكريم وأقوال النبي (ﷺ)
والإمام علي (عليه السلام) وعملياً من خلال سيرته (ﷺ) الممتدة ٢٣ عاماً من عمر
الرسالة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) كأحسن ما يكون.

ولم أَرَبَابَ الشَّرِّ سهلاً لأهله، ولا طُرُقَ المعروفِ وعَثاً كثيها
- وإن لم يكن إلّا الأسنة مركبٌ فلا رأى للمُضطَرِّ إلّا ركوبها^(١٤)!

أمّا في العصر العباسي فرغم الصعود العالي في نواحي العلم والمعرفة وبوسائل متعدّدة
متنوعة ودارالحكمة منها فإنّ الحكمة لم يختلف حالها عمّا كانت عليه عصر حكم
الأمويين. فانحراف العباسيين عن جادة الحقّ ليس أقلّ من انحراف الأمويين. وعليه لم
يسجل التاريخ ذلك التّبني الرّسمي للحكمة على أنّها وسيلة لمنهاج عملٍ دؤوب وهكذا
انتقلت مسؤوليّتها إلى التّيّارات العقليّة، والمذهبيّة، والمجادلات الكلاميّة، وإلى علاجات
المحن والشدائد الإقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة لتكون هذه أفعالاً ردودها شعر
حكمة عالٍ المذاهب الحيّاتيّة المستقاة من الآراء الفلسفيّة ومن التجربة العمليّة كما عند
أبي تمام والمنتبي وتطوّر عند أبي العلاء فلسفة اجتماعيّة هي ثورة على الأوضاع
والثقاليات والعقائد الموروثة. قال المنتبي:

أبْنَى أبينا نحنُ أهلُ منازلٍ
نبكي على الدّنيا، وما من معشرٍ
أيسن الأكاسرة الجبابرة الأولى
من كلّ مَنْ ضاقَ الفضاؤُ بجيشة
خُرسٌ إذا تُودوا كأن لم يعلموا
فالموتُ آتٍ والنفوسُ سفائسُ
أبدأ غرابُ البَيْنِ فيها يَنعَقُ
جمعتهم الدّنيا فلم يَتَفَرَّقُوا
كنزوا الكنوزَ، فما بقينَ وما بقوا
حتّى ثوى فحواه لحدٌ ضيّقُ
أنّ الكلامَ لهم حلالٌ مطلقُ
والمُسْتَفْزَعُ بما لديه الأحقُّ

والمرء يأملُ والحياةُ شهيةٌ والشَّيبُ أوقرُ والشَّيبةُ أنزقُ^(١٥)
 أمّا في عصر ما بعد سقوط بغداد فلم تتطوّر الحكمة إلى أكثر ممّا بلغتْهُ عصرَ حكم
 العباسيين كما أنّها لم تنحسر حين ظَلَّت تحتفظ بوجود لم يعبرَ عنه بمؤلفات وتطبيقات
 خاصّة ونوعية وإنّما تمثل في حركة تأليف كان أفضل ردّ على ما خسرتْهُ المكتبات
 بهمجية المغول وهو يعبرُ تعبيراً كبيراً عن مفهوم الحكمة في التطبيق والتجسيد اللذان
 يرفدان من الوحي مُحَصَّنَيْن بالعصمة ويصبيان في الحياة كمّا لا ينضب ونوعاً أوحداً لا
 يثنى أبداً إلّا أنّه لم يفهم فلم يطبق لقصور العقول أولتغاضياها عنها لأنّها لا تؤدّي إلى
 مصالحها الدنيويّة منافقةً زمن الرّسول (ص) وناكثةً أوقاسطةً أومارقةً زمن الإمام
 علي (عليه السلام).

ومع هذا فهناك من له باع فيها من الشعراء كأبي ذؤيب الهذلي راثياً أولاده الخمسة:

أَمِنْ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ؟	والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ
سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ	فَتُخْرَمُوا، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بَأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ	وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا	أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ	أَنْتَى لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ
لَأَبْدَ مَنْ تَلْفٍ مُقِيمٍ فَانْتَظِرْ	أَبَارِضِ قَوْمَكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَضْجَعُ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبَتْهَا،	وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ^(١٦)

واستمرَّ إهمال اكتمال الحكمة عملياً بعدم الإستفادة منها عصر حكم الأمويين عناداً
 وتجاهلاً بل إنّ الأمويين لم يتورّعوا عن أيّ طريق شيطانيّ يُحقّق أطماعهم فأتى للحكمة
 أن تتطوّر وأن تُنقل نقلة جوهرية وأن يعمل بما بلغتْهُ في صدر الإسلام ولهذا ظَلَّت على
 شكل أقوال ووصايا ونصائح نثرية وشعرية كما في افتتاحية الكميّ بن زيد الأسدي
 قصيدة يعاتب بها قريشاً «بنى أمية» على عداوتهم لبني هاشم:

أَلَا لَا أَرَى الْإِيَّامَ يَقْضِي عَجِيْهَا	بَطُولٍ، وَلَا الْأَحْدَاثُ تُفْنِي خَطْوِيهَا،
وَلَا عَبَرَ الْإِيَّامَ يَعْرِفُ بَعْضُهَا	بِبَعْضٍ مِنَ الْأَقْوَامِ إِلَّا لَبِيْهَا

ولم أَرْقُولَ المرءَ إلَّا كَنَبَلِهِ : به وله محرومها ومصيبها
وما غُيِبَ الأَقْوَامُ عن مثل عقولهم ولا مثلها كسباً أفادَ كسوبها
وما غُيِبَ الأَقْوَامُ عن مثل خطّة تَغَيَّبَ عنها يومَ قيلت أريبها
معناها العامّ، وحين لم يغفلها الشعراء لينظموا فيها الكثير في كمّيّته والمتفاوت جودة
ورداة في نوعيّته. قال البوصيري :

والنفسُ كالطفل، إن تُهملهُ شبَّ على حُبِّ الرّضاع، وإن تَفطّمهُ ينفطّم
فاصرف هواها، وحاذِرْ أن تُؤلّيَهُ إن الهوى ما تَوَلَّى يُضْمِرُ أَوْ يَصِمُ
كَم حَسَنَتْ لَذَّةً للمرءِ قاتلة من حيثُ لم يدُرْ أن السُّمَّ في الدَّسَمِ
وَاستفرغ الدَّمْعُ من عينٍ قد امتلأت من المحارم والزَّمَّ حِمِيَّةَ النَّدَمِ
وَخالَفَ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعصِهما وإن هما محضاك التّصحّ فاتّهم^(١٧)

٣- الحكمة في شعر ابن الوردي

١- اسبابها

الحديث عن حكمة ابن الورديّ يوجب معرفة سيرة حياته. ففصلوها الإيجابية وما
أحسنها، والسلبية وما أكثرها وأقساها خلقت منه انساناً كثير الشكوى من الحياة والناس،
شكوى لازمته طول مسيرة حياته لتتحوّل إلى معناة دائميّة مرهقة مُكَلِّفة.
وطالت شكواه النَّاسَ عامتهم بسبب معاملة بعضهم البعض الآخر معاملة سيّئة،
ولمعاملتهم إيّاه :

والناسُ أعداءُ من سارتُ فضائله وإن تعمّقَ قالوا عنه زنديق^(١٨)

كما وطالت شكواه خاصّتهم ومن الخاصّة تحديدًا من تولّوا منصب قاضي القضاة
أساتذة له أوسواهم لأنهم لم يعطوه الأهميّة التي هو عليها في أماكن تعيينه وطالب أماكن
سكناء راضياً لضرورة طلب العلم كحلب، أو مكرهاً لتعيينه قاضياً فيها دون رغبته. ثمّ أنّ
ما عليه من درجة علميّة فقهاً وتأليفاً وأدباً وشعراً قياساً إلى من سواه من معاصريه،
وعدم الإكتراث به بالمقدار الذي يُطْفِئ ظمأه للإحترام والتقدير وعدم الإهتمام في

أما كن توليته منصب القضاء جعلته سلبياً مع عصره وناسه بما يُذكرنا بالمتنبى الذي عصر فكره واحتلبه حكمة ملأت الأصقاع، وكذلك ابن الوردي وإن لم يبلغ شأواً سابقه، وللظروف الاجتماعية والدينية والسياسية المتسمة بالغموض والاضطراب والتقلبات، والأوبئة الفتاكة، والإنحدار الخلقى المريع تأثيرها الكبير في اتجاهه نحو التأمل والتفكير لإيجاد الحلول متمثلة في حكمته.

٢- مصادرها

تتوزع حكمته على شعره وجدانياً كان أو غيره ... ولدى استطلاعها وُجِدَتْ ضربين : الأول موزع بين أبيات القصائد والمقطوعات كلما رأى الحاجة ضرورية لها ويتميز قسم منه بالعاطفة وحسن الجذب، والثاني ما شكّل مقطوعات أو قصائد مستقلة هي بمثابة الشعر العلمي الخلو من العاطفة والخيال. وبعملية حسائية وجد أن عدد القصائد والمقطوعات والثقف التي توزعت الحكمة بين أبياتها مكونة الضرب الأول ستة وعشرين نصاً بينما نيفت نصوص الضرب الثاني على الخمسين نصاً والجميع مثبت في ديوانه الذي شكّل مصادر حكمة الشاعر جاعلةً منه شاعر حكمة بارزاً بين أقرانه من الشعراء.

٣- اغراضها

يضمّ الديوان سبعين قصيدة وسبعمئة وتسعة عشر بيتاً يتيماً وتنفة وقطعة من ضمنها نصوص الحكمة وهو ما يؤكد كثرة شعره الحكمي قياساً إلى مجموع شعره أولاً وأنه لم يقتصر على غرض واحد ثانياً.

فمن غير المعقول أن يقبل الشاعر لنفسه الشعري بالامتداد إلى المدى الواسع على أرضية غرض واحد خاصة وأن الشعراء - وابن الوردي لا شك منهم - لا يتحملون ديمومة الدوران حول معنى أو غرض واحد لأنهم مرهفو حسّ يُصيرهم إلى التثقل أثرى منهم إلى المكوث على حالة واحدة والجمود عليها ثم إن طبيعة حياته المتنوعة والمتبدلة وغير المستقرة، وما عاناه فيها من نحس، وما اعترته من آلام، وما هيّة الناس الذين عاش

بين ظهرانهم بشتى شرائحهم واتجاهاتهم لا ترضى لهذا الغرض الشعري الكبير بمقداره إلا أن يكون كبيراً في أغراضه، وإلا فكيف يكون لحالة خاصة مربيها الشاعر تأثير عاطفي عليه يعكسه نظماً ولا يكون مثل هذا المجموع الحالات الأخرى التي قد يكون وقعها أكثر وأشد؟ هذا وإن الإمتداد الزماني لتلك المعاناة لم يكن امتداد سنة أو سنتين وإنما كان امتداداً بدأ منذ أن امتلك الشاعر زمام نفسه وحتى آخر لحظات حياته والنص الآتي الذي قاله قبل يومين من مماته يؤكد وجهة هذا الرأي:

ولست أخاف طاعوناً كغيري فما هو غير إحدى الحُسنيين
فإن مت استرحت من الأعادي وإن عشت اشتفت أذني وعيني (١٩)

واستناداً لكل ما مر واستنتاجاً منه تأكد أن غرض الحكمة لدى ابن الوردي قد تشعب وامتد ليتناول أغراضاً كثيرة فتناسبت تناسباً طردياً مع كثرة نصوصه حيث بلغت أبيات النصوص الخاصة بالحكمة مئتي بيت بإضافة الثمانية أبيات للامية المثبتة في شرحها الموسوم بـ «فتح الرحيم الرحمن» ولم ترد في النص الموجود لها في الديوان، وبلغت الأبيات المتناثرة في سائر الأغراض مائة وخمسة وثلاثين بيتاً لتكون النتيجة «٣٣٥» بيتاً تقاسمهن ستون غرضاً تفاوتت حصصها من الأبيات فقد يكون لغرض أن أكثر بيت واحد أو بيتان إلى ثمانية كاللهي عن الغش مثلاً بينما تصعد حصص أغراض أخرى إلى العشرة أبيات أو تزيد قليلاً كذم الجهل والجهال. وهناك من الأغراض ما تزيد على العشرة أبيات فتبلغ العشرين أو تتجاوز أحياناً.

إن قلة حصص الأغراض من الأبيات وكثرتها وتوسطها بين الحالتين تدل على مدى تأثيره بتلك الأغراض وعلى مدى تأثيره فيها فذكر الله، والموت، الغش إنما كانت حصصها من بيت إلى ثمانية لقلة معاناته فيها رغم جهوده غير القليلة. فذكر الله تعالى متقدم على متقدّمات حياته وكيف لا وقد قيل عنه: «كان الشيخ سراج الدين ... رجلاً صالحاً كثير الخيرات ... له مقام عظيم عند الناس، ومهابة كثيرة لما كان عليه من الزهد والورع والخشية والخوف من الله تعالى» (٢٠).

وكُلّما صعد عدم تقبّل المعاناة يصعد مقدار الأبيات وهكذا حتى نصل قمة الصعود في

مقادير الأبيات ببلوغنا قمة معاناة الشاعر من تولية منصب القضاء. إن هذه المعاناة المتمثلة في فشله التام في عدم بلوغه مأربه في هذا المجال أثر في الشاعر نفسياً إذ لم يكتف بمهاجمة منصب القضاء وإنما تعدّاه إلى حث الآخرين على وجوب الزهد عن تولية المناصب عامة والقضاء خاصّة. وبهذا تحوّل من عالم وفقه مغرم في القضاء، في حلب بالذات لا في توابعها وأريافها كما يدلّ على هذا توصله بكلّ وسيلة والشعر في المقدمة بمن تسند لهم مهمة قاضي القضاة، إلى إنسان يزهد فيه لا عن قناعة ورغبة وإنما يأساً وقنوطاً. وإذن فالمعاناة فائقة الصعوبة وعدم التقبّل النفسى لها أشدّ وأدهى. لهذا بلغت أبيات هذا الغرض العشرين بيتاً مؤكّدة حقيقة أن لكلّ فعل ردّ فعل يعاكسه في الاتجاه ويساويه في القوة.

وتقع بين النوعين الأغراض التي كان تقبّلها الروحيّ والتعامل النفسى معها حالة وسطى، كالجهل والجهال، والمال، والنساء، والشعر وذمّ، مخالطة المرد وسواها فإنّ معاناة الشاعر منها غير قليلة لا يمكنه تحمّل تبعاتها لعدم تقبّلها روحياً والتعامل معها نفسياً، بإيجاب. فكيف يتقبّل الشاعر الجهل والمال الحرام أو شعر التكسّب المُهين. أن مخالطة المرد، أو اختلال القيم والمفاهيم؟ ولما لم يكن هذا من شيمه فمن الطبيعيّ أن تترتّب على هذا معاناة إلّا أنّها من النوع الذي يمكنه تحاشيها بتحاشى أسبابها.

إنّ هذا التحاشى هو الحلّ الذي يعنى الإبتعاد أو عدم الإكتراث المتلف عن الأسباب لتكون المعاناة في حالة وسطى، فلا هي نافذة ولا هي قاتلة وإنما هي بذلك الأثر غير المتلف وغير الممحو نهائياً ولهذا جاءت حصص أغراضها بين بين.

٤- مقارنة بين ما نظمه ابن الوردي في رحاب الحكمة، وما نظمه الشعراء الآخرون يُعرّف شعر الحكمة بأنه: «خلاصات نظريّة تقوم على التبصّر في شؤون الحياة عامّة، واستخلاص العبرة منها، وصوغها الصياغة الفنيّة الممكنة، التي تستمتع بإمكان البقاء، بما يتيسّر لها من حقائق الفكر، والقيم الإنسانيّة، ومن فنيّة التعبير، وجماليّة الشكل في آن» (٢١).

ويستطرد الدكتور ميشال عاصى والدكتور إميل بديع يعقوب في تعريفهما للحكمة قائلين: «يدخلُ في مدلول هذه النسبة القصائد، والمقطوعات، والأبيات، التي يُودعها الشعراء خلاصة تجاربهم في الحياة وعصارة معاناتهم الإجتماعية والمصيرية لإذاعتها في الناس تعبيراً عن موقف، ورسالة تعليمية، وتربوية، يتعظ بها المتعظون، وتُوجّه إلى الأجيال الطالعة في جملة موارد الإرشاد الأخلاقي والتعليم التربوي» (٢٢).

وعند التعمق في النصّين نرى تلاقياً بين الشعر الحكيم والتعليمي على الوسائل والأهداف إلّا أنّ الأول أرفع شأنًا من الثاني، «وذلك لأنّ الفكرة الحكيمية قابلة لاستيعاب الفنية الجمالية أكثر من الفكر العلمي، والشاعر الحكيم قادرٌ على استخدام الوسائط البلاغية، والصور البيانية والبديعية، فضلاً عن قدرته على استخدام القصص الأسطوري، والمثل الخرافي، في حين أنّ الباب إلى مثل هذه الوسائط الفنية مسدود كلياً أمام الشعر التعليمي الصرف» (٢٣).

ويُفهم ممّا ورد آنفاً أنّ خصائص شعر الحكمة هي:

١- يمثل موقفاً معيّناً ونظرة في الحياة تدفع قائله إلى بسطه أمام النَّاس.

٢- هدفه الموعظة والنصيحة والعبرة.

٣- وتتجسّد تلك الموعظة والنصيحة والعبرة في الأخلاق، وفي المعاملة، والتربية والتعليم والحضّ على العلم، وغير ذلك.

٤- يصاغ صياغة فنيّة ليتمتّع بإمكان البقاء بما تيسّر له من حقائق الفكر والقيم الإنسانية.

٥- جمالية الشكل.

٦- وهو عبارة عن قصائد، ومقطوعات، وأبيات، وتكون جميعها مستقلة أو أن تكون عبارة عن أبيات تقلّ وتكثر موزّعة بين أبيات القصيدة أو مجموعة القصائد.

٧- رغم التلاقي والتشابه بينه وبين الشعر التعليمي أو العلمي بالوسائل والأهداف إلّا أنّه أرفعُ شأنًا فنيّاً من الشعر التعليمي لقدرته الشاعر الحكيم على استخدام الوسائط البلاغية، والصور البيانية والبديعية، والقصص الأسطوري، والمثل الخرافي بينما لم يتأتّ

هذا الشاعر الشعر التعليمي^(٢٤).

٨- ولكنه دون الشعر الغنائي والوجداني لاعتماده النظر العقلي أصلاً مع إمكانية احتماله الذاتية الشعورية والخيالية، بمقادير محدودة فهو عكس الشعر الغنائي الذي هو وليد الإنفعالات العاطفية والإبداع الخيالي، أساساً، مع ما قد يواكب ذلك من أفكار عقلية مجردة في المرتبة الثانية، ليظلّ للشعر الغنائي هويته النوعية وطبيعته الأقرب إلى الذاتية منها إلى الموضوعية، والأقرب إلى الفنّ منها إلى النظم^(٢٥).

وبعد دراسة شعر ابن الوردّي الحكمي تأكد ما يلي:

إنّ الحديث عن «أسباب حكمة ابن الوردّي» قد بسط القول في الخاصية الأولى مستنتجاً فيها أنّه خاض شؤون الحياة عامّةً وخاصّةً حلوها ومرّها بما مثل مواقف معينة ونظرات في الحياة دفعته إلى بسطها أمام الناس بنماذج شعرية كان هدفه منها الموعظة والنصيحة والعبرة المتجسّدة في الأخلاق، والمعاملة، والتربية والتعليم، والحض على العلم... فبات هذا الهدف وذلك التجسيد تجسيدا للخاصيتين الثانية والثالثة.

وكون شعره الحكمي قصائد، ومقطوعات، وأبيات، وتكون جميعها مستقلة أو أن تكون أبياتاً تقلّ وتكثر موزّعة بين أبيات القصيدة أو مجموعة القصائد أكّد الخاصية السادسة.

وتمثّلت الخاصية السابعة بالتلاقي بين شعره الحكمي والشعر التعليمي بالوسائل وهي المفردات التي تكوّن الجمل وهذه تكون البيت ومجموعة الأبيات، وبالأهداف فشعر الحكمة عنده يسعى إلى تثبيت استنتاج عقلي أو مجموعة استنتاجات عقلية وهو عين ما يسعى الشعر التعليمي إلى تثبيته.

وقد نظم في النوعين ولم تجد بينهما اختلافاً ذا بال:

١- قال في العلم

أطلب العلم ولا تكسل فما	أبعد الخير على أهل الكسل
في ازدياد العلم إزغام العدى	وجمال العلم إصلاح العمل ^(٢٦)

٢- وقال في كتابة عقد مبايعة

باسم إله الخلق هذا ما اشترى
 من مالم بن أحمد بن الأزرق
 فباعه قطعة أرض واقعة
 بشجر مختلف الأجناس
 بيعاً صحيحاً ماضياً شرعياً
 ثم شراءً قاطعاً مرعياً (٢٧)

وبمقارنة سريعة بين النصين يتضح التشابه الكبير بينهما من حيث الإستنتاجات العقلية، ولا مصادفة لابن الوردي فإنه جعل الكلمات والجمل والأسلوب تندفع معبرة عن مجموعة الصور الخطابية التي جسدها في نصه، وما هذا التدافع والتجسيد والإجادة إلا ولدان الإنفعالات العاطفية والإبداع الخيالي أساساً.

وأما شاهد ما يواكب هذا من أفكار عقلية مجردة لكنها تظل في المرتبة الثانية فإننا نقرأ:

ما للزمان عن المروءة عارى
 أشكو إلى الله الزمان فدأبه
 لا غرؤ إن حسدت بنوه مناقبي
 يا سعد ساعدني عى هجرانهم
 واحذر بني الدنيا وكن في غفلة
 واحفظ لصاحبك القديم مكانه
 وإذا أساء وفيك حمل فاحتمل
 سارع إلى فعل الجميل وقلد أ
 ما عنده في منكرو عن عار
 عز العبيد وذلة الأحرار
 كل على مجرى أبيه جار
 في الله هجر بجانب متواري
 عنهم وجانب كل كلب ضارى
 لا تترك الود القديم لطارى
 إن احتمالك أعظم الأنصار
 أعناق حسنى فالزمان عواري (٢٨)

الشاعر هنا من المكنة بحيث وقف بالشكل الذي صورته مضموناً يقطر ألماً وحسرة ولوعة حتى إذا فرغ منها بالمقدار الذي فكّه من أسر العاطفة والإنفعالات لفترة معينة محدودة ثاب إلى رشده وأعمل عقله بالآيات الأربعة الأخيرة. وهذا هو مواكبة الأفكار العقلية المجردة بمرتبة ثانية للإنفعالات العاطفية والإبداع الخيالي اللذين لاحظناهما في

الآيات الأربعة الأولى وإن كان هذا النوع من شعره الحكمي قليلاً جداً. والآن فإلى الحديث عن الصياغة الفنية ليعتمتع النص الأدبي بإمكانية البقاء بما يتيسر له من حقائق الفكر والقيم الانسانية. وجمالية الشكل وهما ما يشكلان الخاصيتين الرابعة والخامسة. إن الحديث عنهما شائق ومهم فيه تُعقد المقارنة بين شعر ابن الوردى الحكمي وشعر غيره ممن ليسوا من معاصريه أو من الفترة السابقة لعصره بزمان قصير لأن الشعراء المعاصرين له، مهما ارتفع مستواهم إن لم يكونوا دونه فلا يزيدون عليه بالمقدار الذي يؤهلهم لأن يرقوا إلى مرتبة الحكم على الآخرين من خلالهم، ويصدق هذا الحكم على شعراء الفترة التي سبقت سقوط بغداد. وعليه فلا تجدى المقارنة تلك الجدوى التي نتوخاها ممالو قارئاً بينه وبين المتنبي وأبي العلاء المعري سيما وأن الأول: «قد سُئل عن البحتري وعن أبي تمام وعن نفسه فقال: أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري» (٢٩). وأن الثاني: «وأبو العلاء صرف الشعر عن الخيال إلى الحقيقة، إذ جعله مسرحاً للنظر في الطبيعة، والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية» (٣٠).

١- قال المتنبي في الحكمة

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ	فلا تقعُ بما دونَ النجوم
فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ	كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمٍ
يرى الجبناء أن العجز عقلٌ	وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكلُّ شجاعةٍ في المرء تُغنى	ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً	وأفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الآذانُ منه	على قدر القرائح والعلوم (٣١)

فالمتنبي تَوَاق إلى المغامرة لنيل الشرف الرفيع ببلوغ أعلى المراتب دون اكتراثٍ بالموت الذي لا يختلف طعمه في الهين من الأمور عنه في عظامها. وما رؤية الجبناء العجز على أنه عقل إلا خديعة الطبع اللئيم. والشجاعة مقبولة مطلوبة إلا أنها في الحكيم العاقل أتم وأحسن منها في سواه. وهذا هو الرأي الفصل فإذا لم يفهمه الجاهلون فذلك من

سقم قرائحهم.

وقال ابن الوردي:

بَايَعُ وَتَابِعُ وَأَطْعُ وَاضْغِ لَهُمْ وَخَلَّاهُمْ فِي حَلَّاهُمْ وَنَقَضَهُمْ
وَدَارَهُمْ فِي دَارِهِمْ وَحَيَّاهُمْ فِي حَيَّاهُمْ وَأَرْضَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ (٣٢)

فابن الوردي هنا مباع متابع مطيع مُضغٍ مدارٍ مُحَيٍّ مُرضٍ أعجبه من الأسراب سرب الإِمِعات فكانَ منهم، ثم أوجب هذه الحالة على الآخرين.

وبمقارنة النصّين نرى الشجاعة كلّها في الأوّل، والضعف والهوان في الثاني صحيح أنّه رجلٌ دين وعلم والمنتبى ليس كذلك إلّا أنّهما من أعظم الدّواعى وأجلّها إلى الكرامة والكفر بالذّلّ والمصانعة.

وإذن فأينَ هذا من ذاك؟!

هذا من ناحية المعنى أما من ناحية الشكل والصّيغة الفنّية فبعد معايشة رصانة الشكل وعذوبته في التعبير عن المعنى الجيّد لدى المنتبى، فإنّنا لم نجد شيئاً من هذا لدى ابن الورديّ. فهذه العينات والضمير «هم» المتكرّر في الكلمات، والمجانسة الممبوجة بين «دارهم ودارهم وحَيَّاهم وحَيَّاهم، وأرضهم وأرضهم» لم تترك فرصة للمدافع إلّا أن يعترف بأنّها تصنّعٌ كانَ من الممكن ألا يتورّط الشاعر فيه خاصّة وأنّ المفردات «دارهم، حَيَّاهم، أرضهم» في النصّ تؤدّي نفس المعنى فكانَ من الممكن الإكتفاء بواحدة ولكنّه اضطرّ لذكرها جميعاً إظهاراً لقدرته على المجانسة فخرس أكثر ممّا ربح.

واستناداً لما مرّ فالمنتبى صاغ نصّه صياغة فنّية فتمنّع بإمكانية البقاء بما تيسّر له من حقائق الفكر والقيم الإنسانيّة ناهيك عن شكله العادى.

٢- وقال أبو العلاء المعرى

رَوَيْدًا عَلَيْهَا إِنَّهَا مُهْجَاتُ وَفِي الدَّهْرِ مَحْيَا لَامَرِيٍّ وَمَمَاتُ
أَرَى غَمَرَاتٍ يَسْجُلِينَ عَنِ الْفَتَى وَلَكِنْ تَوَافِي بَعْدَهَا غَمَرَاتُ
وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ سَكْرِ سَاعَةٍ تَهْوُنُ عَلَيْهِ، غَيْرَهَا، السَّكَرَاتُ

ألا إنما الأيامُ أبناءٌ واحدٍ وهذى الليالي كلها أخواتُ
فلا تطلّين، من عند يومٍ وليلةٍ خلافَ الذي مرّت به السّنواتُ (٣٣)
كما عهدُ أبو العلاء يائساً متشائماً فإنّه كذلك في هذا النصّ حين يدعو إلى الرّفق
بالأرواح لأنّها لطاف لاتتحملّ التّعنت، ولأنّه لا بدّ من الموت فعلامُ التّعنت الذي يقضى
عليها. والإنسان إذا اجتازَ شدّة فأنّى له الخلاص والإفلات من أختها لتكون النتيجة
الحتميّة الموت الذي تعادل سكرته كلّ السكرات السابقة. وبما أن الليالي والأيام واحدة
لأنّها بنات الدّهر بطبعه المفطور على الإساءة فلا تطلّين منها غير الذي فطرت عليه ولا
ترجّون إحسانها.

فأبو العلاء الخبير المتمكّن والمحترف عبّر عن المعانى غير الجديدة بالذاتية الشعوريّة
البلاغية، والصور البيانية فحوّلها بها من معانى مطروقة كثيراً إلى عبرة وتجربة ذاتية هو
فيها متأثر جداً ومؤثر بوساطاتها في القراء والسّامعين فكان ناجحاً ناجحاً يجعلُ
القارئ معه في كلّ بيتٍ، وفي كلّ شعر، بل في كلّ جملة ليبقى هذا النصّ معتبراً إلى اليوم
بعد أن صيغ صياغة فنيّة أثّرته بأسباب التمتع بالبقاء. وقال ابن الوردي :

- ١- واقتدّ بالموتى على أنّه لأبَدَ للحَيِّ من الإحيا (٣٤)
 - ٢- وما تنفع الآداب والعلم والحجى وصاحبها عند الكمال يموت (٣٥)
 - ٣- كُتِبَ الموتُ على الخلق فكم فلّ من جمع وأفنى من دُول (٣٦)
- في البيت الأوّل يطلب الاقتداء بالموتى، وفي البيت الثّاني يستنكر فائدة الآداب
والعلم والحجى، لأنّها مهما كملت وكمل صاحبها بكمالها فلا بدّ له من الموت. وعليه فما
فائدة الكمال إذا لم يدفع عن صاحبه الموت؟ وفي البيت الثالث يؤكّد أن الموت حقيقة لا
مفرّ منها فكم فرّق صفوفاً وأباد دولاً؟ وفات ابن الوردي أن العلماء أحياء دائماً ولا
يموتون بموت اجسامهم.

الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ.ق.

١٣- عاصي، ميشال وبديع يعقوب، إميل، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

١٤- الفاخوري، حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ.

١٥- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، أيلول ١٩٩٢ م.

١٦- فضل الله، محمد حسين، أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤١٨ هـ.

١٧- -----، الحكمة في خط الإسلام، بيروت، لبنان، مؤسسة الوفاء.

١٨- القناوي، مسعود بن أبي الحسن ابن أبي بكر، فتح الرحيم الرحمن في شرح لامية ابن الوردي المسماة بـ «نصحية الإخوان ومرشدة الخلّان»، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٠ هـ.

١٩- المعري، أبو العلاء، سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

Abstracts :

'Wisdom in Ebn-Alvardi's poem'

Ebn-Alvardi was the most famous philosopher man of letters, and his wisdom poems such as 'Lamie Ode' was among his well-known works specially in his versification.

Wisdom contains knowledge, advice and education. In this research we examined wisdom poems of some poets and the comparison of these poems with that of Ebn-e-Alvardi.

Superior to wisdom, we should mention fear and avoidance of sin and wrong doing. Ebn-Alvardi was a propagator of this concept who followed the learned interpretation of the ancients and this was obvious in his poems.

الهوامش :

- ١- موسوعة المورد، منير البعلبكي.
- ٢- لسان العرب، ابن منظور، مادة (حكم).
- ٣- تاج العروس، الزبيدي، مادة (حكم).
- ٤- العلم والحكمة في الكتاب والسنة، الريشهري، ص ٨١.
- ٥- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج ٢، ص ٣٩٥.
- ٦- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ج ٦، ص ٤٤٠.
- ٧- مجمع البيان، الطبرسي، ج ٤، ص ١٣٨.
- ٨- الكشاف، الزمخشري، ج ٢، ص ٦٤٤.
- ٩- اسلوب الدعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله، ص ٥٢.
- ١٠- المصدر نفسه، ص ٥٢.
- ١١- المصدر نفسه، ص ٥٥.
- ١٢- الحكمة في خط الاسلام، محمد حسين فضل الله، ص ٨.
- ١٣- تاريخ الادب العربي، عمر فروخ، ج ١، ص ١٣٣.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ٦٩٩-٧٠١.
- ١٥- شرح ديوان المتنبي، البرقوقى، ص ٤٧٨-٤٧٩.
- ١٦- المصدر نفسه، ص ٢٩١-٢٩٢.
- ١٧- الموجز في الادب العربي وتاريخه، الفاخوري، ج ٢، ص ٤٨٢-٤٨٣.
- ١٨- ديوان ابن الوردي، ص ٢٤.
- ١٩- المصدر نفسه، ص ٣٤١.
- ٢٠- فتح الرحمن في شرح لامية ابن الوردي، القناوي، ص ٤.
- ٢١- المعجم المفصل في اللغة والادب، ميشال عاصي واميل بديع يعقوب، ج ٢، ص ٧٤٥-٧٤٦.
- ٢٢- المصدر نفسه، ص ٧٤٥.
- ٢٣- المصدر نفسه، ص ٧٤٥.
- ٢٤- المصدر نفسه، ص ٧٤٥.
- ٢٥- المصدر نفسه، ص ٧٤٥.



- ٢٦- ديوان ابن الوردي، ص ٣٣٩.
٢٧- تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي ج ١، ص ١٥-١٦.
٢٨- المصدر نفسه، ص ٢٠٤-٢٠٥.
٢٩- شرح ديوان المتنبي، البرقوقى، ج ١، ص «ى» من المقدمة.
٣٠- المجاني الديثة، البستاني، ج ٣، ص ٢٩٩.
٣١- شرح ديوان المتنبي، البرقوقى، ج ٢، ص ٣٧٧-٣٧٩.
٣٢- ديوان ابن الوردي، ص ٢٣٤.
٣٣- سقط الزند، المعرى، ص ٢١٩.
٣٤- ديوان ابن الوردي، ص ١٤١.
٣٥- المصدر نفسه، ص ١٤٧.
٣٦- المصدر نفسه، ص ٣٣٩.

موازنة نقدية بين عيد الاضحى والحدث الحمراء

الدكتور سيد خليل باستان
كلية الآداب جامعة العلامة الطباطبائي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللغة على
اعدائهم أجمعين.

الخلاصة:

هذه موازنة نقدية لقصيدتي المتنبي، فيها ذكر لحياته وقيمة أدبه، والوقوف على وجوه
الاشتراك والافتراق بينهما من حيث المعاني والالفاظ والاشارة الى نقاط القوة والضعف
للمتنبي، وتحتوي على نقد القصيدتين الاولى التي يمدح فيها سيف الدولة ويهنئه بعيد
الاضحى والاخرى كذلك يمدحه ويذكر بناء الحدث الحمراء.

الكلمات الاساسية:

المتنبي - موازنة - نقد أدبي - قصيدة عيد الاضحى - قصيدة الحدث الحمراء.

المتنبي في سطور:

(هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي، ولد في الكوفة سنة

ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة، فنسب إليها.

التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وذهب الى مصر سنة ست واربعين وثلاثمائة، ومدح كافور الأخشيدي، وكذلك مدح ابن العميد. قتل هو وابنه وغلّامه بالقرب من النعمانية سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. كان المتنبي من الشخصيات الغريبة، وكان عظيماً، وكان عبقرياً، وكانت حياته زاخرة بكل ما يجلب الحب والاشفاق والاجلال).^١

أدب المتنبي:

لأدبه مستوى رفيع في الشعر وله مقام عظيم لدى النقاد، فاز بالمناصب عند الامراء، اختلف فيه العلماء وتشاجرت فيه الآراء، فمنهم من وقف جنباً الى جنبه كابن جني ومنهم من عاداه أمثال ابن وكيع والعميدي، وابن فورجة وغيرهم، وعلى أي حال الآن ننظر الى بعض الآراء فيه:-

١- قال العباس بن علي بن نور الدين العاملي في كتاب نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس: ((المتنبي) فاضل طاب به الادب طيب النوار بالربيع، ونظم الحكم والغزل الذين يبرأ بهما الصريح، زاحم سنان رمح قريضه السماك الرامح، فكان لسيف الدولة سعد السعود ولاعدائه سعد الذابح، فهو ربّ الحكم والامثال والبديع والبيان، وبنى الادب الذي ما اختلف فيه اثنان، فائي ان زدت الاطناب في مدحه، واتعبت طير ثنائي بصدحه، فكأني كمن قال للمسك ما اعطرك، وللروض المزهر ما ازهرك وأنضرك، وللبدر ما أبهاك، وللشهد ما أحلاك واشهاك).^٢

٢- قال الدكتور البستاني: (يعدّ المتنبي رائداً للشعر العربي في مختلف عصوره حتى ليكاد ينفرد في ضخامة النتاج الذي صدر عنه).^٣

٣- يقول الدكتور عمر فروخ: (فقد أفاض فيه النقاد واجمعوا على أنه في المقام الاول بين جميع الشعراء وفوقهم).^٤

٤- قال عنه الاب لويس شيخو: (وقد نال هذا الشعر (للمتنبي) من اهتمام ادباء العرب

والمستشرقين وعنايتهم ما لم ينله شعر شاعر غيره)٥.

٥ - الكلام في هذا المقام كثير، ونختم القول بما قاله ابن الاثير: (وانا أقول قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متلثماً، وذلك أنه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت اقواله للسامع مقام افعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلوا فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركة، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه، ما أدى اليه عيانه، وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء، ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء)٦.

موضوعات فنه الشعري:-

لقد تطرّق المتنبي فنون شعرية كثيرة مطروحة في ديوانه، مشروحة من قبل العلماء والنقاد، والذي يهمنا ان نشير اليه في هذا البحث هي الحكمة وسوح القتال.

الف) الحكمة: ونقصد من وراء ذلك تجارب المتنبي في الحياة، واكتساب المعارف من خلال المطالعة، فله خبرة باخلاق الناس، والحياة بصورة عامة، وهو لا يشك في آرائه وأفكاره كما صنع المعري، ويعدّ في هذا الباب من المؤسسين للحكمة والامثال، حيث اشتهرت بعض ابياته بين الادباء والكتاب، وسارت على ألسن الفصحاء من العلماء، فمن اراد المزيد فعليه بكتاب تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ج ٢: ٤٧٦.

ثم ان الحكمة في شعره جاءت اما بلغة مباشرة او بلغة مصورة (من تشبيه واستعارة...)، ونحاول قدر الامكان ان نشير اليهما خلال البحث هذا.

باء) سوح القتال: المتنبي صادق العاطفة في وصفه للمعارك التي خاضها سيف الدولة مع الروم خاصة، فهو يصوّر أهوال المعارك وسوح القتال بقوة تامة وتمثيل رصين ويصوّر لك مشاهد اقتدار العدو الرومي بما يملكه من قوة وعدد ومع ذلك يرجع القهقهري، ويلوذ بالفرار امام سيف الدولة الشجاع.

وما هذه القدرة في البيان لدى الشاعر إلا لأنه فارس شجاع فتاك، عالم بامور القتال خائض في الحروب مع سيف الدولة بلا خوف ولا جزع، وابلى فيها بلاءً حسناً.

وقصائده الحربية تُعدُّ من أروع القصائد، لأنه كان متمكِّن منها حيث رأى المشاهد الحربية عن كثب، لا كمن تُوصف له، وجاءت أوصافه دقيقة كاملة، وصوِّر المناطق الحربية بأحسن صورة وأبدع فيها، وأشار الى جميع هذه المواطن عن طريق مديح صادق خالص لفارس الاسلام سيف الدولة واحتوى ديوانه على الثلث منه وسنشير اليها عن كثب في تحليلنا النقدي هذا.

تاريخياً:-

بما أن سيف الدولة كان السدُّ المنيع للعالم الاسلامي امام الهجوم المسيحي من قبل الروم، وانه أسدى خدمات اجتماعية وسياسية مُلفتة للنظر آنذاك للمسلمين والدين الحنيف، وكانت شجاعته باذية لكل عدوٍّ وصديق، فجاءت الابيات الجهادية مادحة له من قبل شاعر عظيم ظلَّ موالياً لسيف الدولة وليَّ نعمته، ومدحه بأكثر قصائده وتقرَّب اليه وشاركه في المعارك التي خاضها مع الروم، (وخاصة الحرب التي دارت في الحدث الحمراء التي عزم سيف الدولة بنائها، ولكن الدمستق نازله في نحو خمسين الف فارس وراجل، وبدأ القتال يوم الاثنين آخر جمادى الثانية، سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة، من أول النهار الى العصر، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو ٥٠٠ من غلمانه، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسّر خلقاً كثيراً)^٧. وسنرى خلال البحث في نقد هذه القصيدة اسماءً للروميين أمثال الدمستق وابنه وصهره، وارض جيحان وآمد.

الموازنة: عادة تكون بين شاعرين أو أكثر كالفرزدق والجرير والاخلط، وتكون فيها اتفاق بينهم في الاغراض والاساليب والخيال...، او تكون بين قصيدتين في معنى واحد، كما سنواجه المتنبي هنا وكما يقول البدوي: أولاً:- (اعلم ان التفضيل بين المعنيين المتفقين ايسر خطباً من التفضيل بين المعنيين المختلفين. ثانياً:- أنهم - النقاد - يجمعون على ان الموازنة تتم اذا اتحد المعنى بين النصين ويختلفون في جواز الموازنة اذا اختلف المعنى)^٨، فعلى هذا المنوال نسير في هذه المقالة.

القصيدتان:

الاولى: (قال يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الاضحى سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة، أنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما:-

- ١- لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
- ٢- وأن يكذب الإرجاف عنه بضده ويُمسي بما تنوي أعاديهِ أسعدا
- ٣- ورب مريد ضره ضر نفسه وهادٍ إليه الجيش أهدي وما هدى
- ٤- ومستكبر لم يعرف الله ساعة رأى سيفه فسي كفه فتشهدا
- ٥- هو البحر غص فيه اذ كان ساكناً على الدر وأحذره اذا كان مُزيدا
- ٦- فأني رأيت البحر يعثر بالفتى وهذا الذي يأتي الفتى مستعداً
- ٧- تظل ملوك الارض خاشعةً له تُفارقه هلكي وتلقاه سجداً
- ٨- وتُحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما يُحيي التيسم والجدا
- ٩- ذكي تظنيه طليعة عينه يرى قلبه في يومه ماترى غدا
- ١٠- وصولاً الى المستصعبات بخيله فلو كان قرن الشمس ماءً لا وردا
- ١١- لذلك سمى ابن الدمستق يومه مماتاً وسماه الدمستق مولدا
- ١٢- سريت الى جيحان من أرض أمد ثلاثاً لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
- ١٣- فولى وأعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يعط الجميع ليُحمدا
- ١٤- عرضت له دون الحياة وطرفه وأبصر سيف الله منك مجردا
- ١٥- وما طلبت زرقُ الأسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدا
- ١٦- فأصبح يجتاب المسوح مخافة وقد كان يجتاب الدلاص المسردا
- ١٧- ويمشي به العكاز في الدير تائباً وما كان يرضى مشي أشقر أجردا
- ١٨- وما تاب حي غادر الكر وجهه جريحاً وخلي حفته النقع أرمدا
- ١٩- فلو كان يُسجى من علي ترهبٌ ترهبت الاملاك مثتى وموحدا
- ٢٠- وكل امرئ في الشرق والغرب بعدها يعُ له ثوباً من الشعر أسودا
- ٢١- هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيدُ لمن سمي وضحي وعيدا

- ٢٢ - ولا زالت الاعيادُ لتسلك بعده
٢٣ - فذا اليوم في الايام مثلك في الورى
٢٤ - هو الجد حتى تفضل العين أختها
٢٥ - فيا عجباً من دائل أنت سيفه
٢٦ - ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده
٢٧ - رأيتك محض الحلم في محض قدرة
٢٨ - وما قتل الاجرار كالغفو عنهم
٢٩ - اذا أنت اكرمت الكريم ملكته
٣٠ - ووضع الندى في موضع السيف بالعلأ
٣١ - ولكن تفوق الناس رأياً وحكمة
٣٢ - يدق على الأفكار ما أنت فاعل
٣٣ - ازل حسد الحساد عني بكبتهم
٣٤ - اذا شد زندي حُسن رأيك فيهم
٣٥ - وما أنا الا سمهري حملته
٣٦ - وما الدهر إلا من رواة قلائدي
٣٧ - فسار به من لا يسير مشمرا
٣٨ - أجزني اذا انشدت شعراً فانما
٣٩ - ودع كل صوت غير صوتي فأنني
٤٠ - تركت السرى خُلفي لمن قل ما له
٤١ - وقيدت نفسي في دراك محبة
٤٢ - اذا سأل الانسان أيامه الغنى
- تسلم مخروفاً وتعطى مجددا
كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا
وحتى يصير اليوم لليوم سيذا
أما يتوقى شفرتي ما تقلدا
تصيده الضرغام فيما تصيدا
ولو شئت كان الحلم منك المهندا
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
وان انت اكرمت اللئيم تمردا
مُضر كوضع السيف في موضع الندى
كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتدا
فسيترك ما يخفي ويؤخذ مابدا
فأنت الذي صـيرتهم لي حُـسدا
ضربت بسيفٍ يقطع الهام مغدا
فزين معروضاً وراع مُسـددا
اذا قبلت شعراً أصبح الدهر مُنشدا
وغنى به من لا يغني مغردا
بشعري أتاك المادحون مُرددا
أنا الصائح المحكي والآخر الصدى
وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
ومن وجد الإحسان قيـداً تقيدا
وكنت على بُعـدٍ جعلتك موعداً^٩

أما الثانية فهي التي مدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه الحدث الحمراء:

- ١ - (على قدر أهل العزم تأتي العزائم
٢ - وتعظم في عين الصغير صغارها
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتصغر في عين العظيم العظائم)

- ٣ - يكلف سيف الدولة الجيش همّه
 - ٤ - ويطلب عند الناس ما عند نفسه
 - ٥ - يُفدّي أتمّ الطير عُمرًا سلاحه
 - ٦ - وما ضرّها خلقٌ بغير مخالٍ
 - ٧ - هل الحدث الحمراء تعرف لونها
 - ٨ - سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله
 - ٩ - بناها فاعلى والقنا تفرع القنا
 - ١٠ - وكان بها مثل الجنون فأصبحت
 - ١١ - طريده دهر ساقها فرددتها
 - ١٢ - ثفيت الليالي كل شيء أخذته
 - ١٣ - اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً
 - ١٤ - وكيف تُرجى الروم والروس هدمها
 - ١٥ - وقد حاكموها والمنايا حواكم
 - ١٦ - أتوك يجرون الحديد كأنهم
 - ١٧ - اذا برقوا لم تعرف البيض منهم
 - ١٨ - خميسُ بشرق الارض والغرب زحفه
 - ١٩ - تجمع فيه كلُّ لسن وأمةٍ
 - ٢٠ - فلله وقتٌ دوّب الغش ناره
 - ٢١ - تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا
 - ٢٢ - وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ
 - ٢٣ - تمرُّ بك الابطال كلّمى هزيمة
 - ٢٤ - تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
 - ٢٥ - ضمنت جناحيهم على القلب ضمه
 - ٢٦ - بضربٍ أتى الهامات والنصر غائب
- قد عجزت عنه الجيوش الخضارم
وذلك ما لا تدّعيه الضراغم
نور الملا أحداثها والقشاعم
وقد خلقت أسيافه والقوائم
وتعلم أيّ الساقين الغمام
فلما دنا منها سقتها الجماجم
وموج المنايا حولها مُتلاطم
ومن جُثث القتلى عليها تمائم
على الدين بالخطي والدهر راغم
وهُنَّ لما يأخذن منك غوارم
مضى قبل ان تُلقى عليه الجوازم
وذا الطعنُ اساسٌ لها ودعائم
فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالم
سروا بجيادٍ ما لهن قوائم
ثيابهم من مثلها والعمائم
وفي ادن الجوزاء منه زمازم
فما تفهم الحدّاث إلا التراجيم
فلم يبق إلا صارمٌ أو ضُبارم
وفر من الابطال من لا يُصادم
كأنك في جفن الردى وهونائم
ووجهك وضّاح وثغرك باسم
الى قول قومٍ أنت بالغيب عالم
تموت الخوافي تحتها والقوادم
وصار الى اللبّات والنصر قادم

- ٢٧ - حقرت الرُّدَّ يَنِيَّاتٍ حَتَّى طَرَحَتْهَا
 ٢٨ - وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَاِنَمَا
 ٢٩ - نَشَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ كُلَّهُ
 ٣٠ - تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلَ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
 ٣١ - تَظُنُّ فَرَاخَ الْفَتْحِ أَنَّكَ رُزْتُهَا
 ٣٢ - إِذَا زَلَفْتَ مَشِيَّتَهَا بِسَبْطُونِهَا
 ٣٣ - أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمَشْقِ مُقَدِّمٌ
 ٣٤ - أَيْنُكَ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ
 ٣٥ - وَقَدْ فَجَعْتَهُ بِابْنِهِ وَابْنَ صَهْرِهِ
 ٣٦ - مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الطَّبِي
 ٣٧ - وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ
 ٣٨ - يَسْرُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ
 ٣٩ - وَلَسْتُ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ
 ٤٠ - تَشَرَّفُ عِدْنَانُ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ
 ٤١ - لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ
 ٤٢ - وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَظَايَاكَ فِي الْوَعَى
 ٤٣ - عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ
 ٤٤ - أَلَا أَيُّهُ السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُغْمِداً
 ٤٥ - هَنِيئاً لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى
 ٤٦ - وَلَمْ لَا يَاقِي الرَّحْمَنُ حَدِيكَ مَا وَقَى
- وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ
 مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
 كَمَا نَشَرْتَ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ
 وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ
 بِأَمَانِهَا وَهِيَ الْعَتَاقُ الصَّلَادِمُ
 كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ
 قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَانِمُ
 وَقَدْ عَرَفْتَ رِيحَ اللَّيْثِ الْبِهَائِمُ
 وَبِالصَّهْرِ حِمْلَاتِ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ
 بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمُ وَالْمَعَاصِمُ
 عَلَى أَنْ أَصْوَاتِ السَّيُوفِ أَعْجَامُ
 وَلَكِنْ مَغْنُوماً نَجَا مِنْكَ غَانِمُ
 وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدَ لِلشَّرْكِ هَازِمُ
 وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ
 فَإِنَّكَ مَعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمُ
 فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ
 إِذَا وَقَعْتَ فِي مَسْمَعِيهِ الْغَمَاغِمُ
 وَلَا فِيهِ مَرَاتَبٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمُ
 وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامُ إِنَّكَ سَالِمُ
 وَتَفْلِيقُهُ هَامُ الْعِدَا بِكَ دَائِمُ^{١٠}.

توثيق النص:

لدينا قصيدتان الأولى دالية والتي مطلعها:-

لكل امرئ من دهره ما تعودا . وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

أنشدها لسيف الدولة بمناسبة حلول عيد الأضحى سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة، ذكرها عبد الرحمن البرقوقي في شرحه ج ٢: ٣، واحتوت على ٤٢ بيتاً، وجعلناها الاصل في بحثنا هذا، لأنه يقول في ج ١: ٩، (تتبع جميع من تعرض بالشرح او النقد كابن فورجة، والعروضي، وابن الافليلي، فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيئات، والى سدادهم زلات وهفوات). وكذلك ذكرها صاحب المجاني الحديث ج ٣: ٢٣٥ مقتبساً إياها من شرحي العكبري واليازجي وهي تحتوي على ٤١ بيتاً، اذن فهما قاما بمراجعة النسخ العديدة، فاعتمدت عليهما، وعساني اصبحت الحقيقة.

وأما الاختلاف في الرواية كما يلي:-

١ - جاء في البيت (١) عادات، وذكره شيخو (عادة)، والجمع أولى من المفرد لانه في مقام المدح.

٢ - جاء في البيت (٨) يُحيي، وذكره شيخو (تحيي)، لا فرق بينهما حيث يستوي المذكر والمؤنث في المصادر الموصوف بها.

٣ - جاء في البيت (١٠) قرن بالرفع، وذكره شيخو (قرن) بالنصب، والظاهر فيه تحريف لان قرنُ اسم كان.

٤ - جاء في البيت (١٥) طلبت بالسكون، وذكره شيخو بالفتح وهو تحريف لان زُرق الاسنة مؤنث.

٥ - جاء في البيت (١٨) (تاب) وذكره شيخو (ناب) أظنه خطأ مطبعياً ولربما تحريف.

٦ - جاء في البيت (٢٠) بعدها، وذكره شيخو (بعده)، وكلاهما صحيحان على ما بينه البرقوقي.

٧ - جاء في البيت (٢٤) تفضل بالنصب وذكره شيخو بالرفع، احتمالان.

٨ - جاء في شرح البيت (٢٥)، (قال ابن القطاع: صف هذا البيت فروي دائل - بالبدال المهملة - من الدولة، ولا معنى للدولة فيه، والصحيح بالذال المعجمة وهو الرجل المتقلد سيفه المتبخر في مشيه) ١١.

٩ - جاء في البيت (٢٥) يتوقي، وذكره شيخو يتقي، والاول أفضل لما فيه معنى

التجنب الذي هو أقرب الى الاول دون الثاني.

١٠ - جاء في البيت (٢٦)، بازاً لصيده، وذكره شيخو للصيد بازه، فيه احتمالان ففي الاول تأكيد لل باز وفي الثاني تأكيد للصيد.

١١ - جاء في البيت (٣٤) (فيهم) بالكسر، وذكره شيخو بالرفع (فيهم) والثاني اولى كما جاء في البيت (٢٨). وقال البرقوقي في ج ٢: ١٣، وروي بدل فيهم: في يدي، وبدل بسيف: بنصل.

١٢ - جاء في البيت (٣٦) قلاندي، وذكره شيخو قصائدي، والاول أفضل لما فيه من استعارة.

١٣ - حذف شيخو عجز البيت (٣٨) وذكر مكانه: (انا الطائر المحكي والآخر الصدى) وفي كلمة الطائر نظر، والرواية الاخرى تقول: الصائح فهو المناسب لمعنى المحكي.

١٤ - حذف شيخو البيت (٣٩) من القصيدة وهي:

ودع كل صوت غير صوتي فأنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى
وأراه بيت القصيدة لما فيه من معنى عظيم نشير اليه في التحليل.
والقصيدة الثانية الميمية والتي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
يمدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة. ذكرها البرقوقي في شرح ج ٢٤: ٣، واحتوت على ٤٦ بيتاً حيث جعلناها الاصل في بحثنا هذا وذكرها صاحب المجاني الحديثة في ج ٣: ٢٣٨، مقتبساً ايّاه من شرحي العكبري واليازجي وهي تحتوي على ٤٣ بيتاً.

وأما الاختلاف في الرواية فهي كما يلي:-

١ - جاء في البيت (٥) نسور الملا، وذكر شيخو الفلا، ولهما معنى واحد اي الصحراء.

٢ - جاء في البيت (٩) تفرع، وذكر شيخو يقرع، والثاني أفضل لانه اسم جنس جمعي

قال تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا﴾ (يس / ٨٠) فالاخضر صفة للشجر وهو مفرد مذكر، ومفردها مؤنث قال تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾

(البقرة/٣٥).

٣ - جاء في البيت (١٢) أخذته، قال البرقوقي نقلاً عن التبريزي وابن القطاع: - من رواه بالنون أفسد المعنى، ومن أراد البسط في الموضوع فعليه بالشرح ج ٣: ٩٧.

٤ - حذف شيخو البيت (١٣).

٥ - جاء في البيت (١٦) كأنهم، وذكر شيخو وعمر فروخ ج ٢: ٤٧٠ (كأنما) والثاني أولى لما فيه من معنى الحصر.

٦ - قال البرقوقي في البيت (٢١) ومن روي فقطع: أراد الوقت...

٧ - جاء في البيت (٢٦) غائب بالرفع، وذكر شيخو وعمر فروخ ج ٢: ٤٧٠ بالتثنية، والثاني أقرب للصواب لان الكلمة نكرة وتدخلها التثنية ليدل على الكمال.

٨ - جاء في البيت (٣٦) (بما) وذكر شيخو (لما)، والاول أولى لان شغل هنا يتعدى بالباء وبه يتم المعنى وهو أفصح من اللام.

٩ - جاء في البيت (٣٧) (فيهم) بالكسر، وذكر شيخو بالرفع، والثاني أولى لما جاء في البيت (١٧) من هذه القصيدة.

١٠ - حذف شيخو البيتين (٣٩ - ٤٠).

١١ - جاء في البيت (٤٤) ليس، وذكر شيخو لست، والاول افضل لما فيه صنعة الالتفات (من المخاطب الى الغائب).

اشترك المعاني:-

تحوم القصيدتان على معاني مشتركة ولكنها جاءت بالفاظ متنوعة وصياغة جديدة وتضمن المعاني التالية:-

صفات الممدوح:-

أولاً) الشجاعة: هي صفة استقرت في اعماق قلوب البشر جميعاً، حتى الجبناء، وما بالك لو كان الوصاف لها شاعراً شجاعاً والموصوف بها أميراً مقدماً، فهو العارف بمواطنها،

والواقف عليها، والممارس لها في حياته. وشاعرنا كالصراف يميز الخبيث من الرديء، فانظر كيف يصف ممدوحه بهذه الصور الجمالية المباشرة:-

الف: الضربة الحاسمة بيد سيف الدولة، لانه تعود ونشأ على القتال فلا تظاهر ولا تكلف في القتال كما يقول في هذا البيت:-

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعاداتُ سيف الدولة الطعن في العدا
باء: سيف الدولة ضد الاعلام المزيف، الذي له دور فعال في سوح القتال من نشر
الاكاذيب واشاعة الخوف والرعب في صفوف الجيش و... حيث يقول الشاعر:
وأن يكذب الإرجاف عنه بضده ويُمسي بما تنوي أعاديهِ أسعدا
جيم: هو صاحب همة عالية، لا يأتي عليها حتى الجيوش العظام وبها تكمل الضربة
الحاسمة للعدو، يقول المتنبي:-

يكلف سيف الدولة الجيش همّه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
دال: أشجع الشجعان، تضرب الشجاعة مثلاً بالأسد ولكن سيف الدولة أشجع منه لأنه
يطالب الآخرين ان يكونوا شجعاناً مثله، والاسد لا يطلب ذلك، كما يصوره الشاعر لنا في
هذا البيت:-

ويطلبُ عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدّعيه الضراغم
ويصوره تارة أخرى بانه واقف في عين الموت:-
وقفت وما في الموت شك لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائم
فالشجاع البطل لا يهاب الموت في سبيل الله فاما النصر واما الشهادة فكلاهما فوز
بالسعادة.

وكذلك يصور شجاعة سيف الدولة بالصور التالية:-

- ١- مرور الابطال الجرحى أمامه وهو ضاحك مبتسم.
- ٢- له شجاعة ورجاحة عقل خارقتان للعادة، وبهما يكشف الغيب والمستقبل.
- ٣- دحر العدو لما ضم الميمنة على المسيرة.
- ٤- واخيراً نزول النصر عليه لما بلغ السيف الرقاب.

٥ - فرار الدمستق من ساحة الحرب بعدما تأسر ابنه قسطنطين.

هاء: وسائل الحرب:

من المعلوم لا ينتصر الفارس في ساحة المعركة إلا ومعه ادوات القتال، وفي القصيدة الدالية جاءت اسماء للأسلحة من مثله سيفه، السيف، الطعن، زُرق الأسنه، الصوارم، القنا، واستعمل ايضاً الكلمات التالية: الجيش، الفدية، الممات، الجريح، الكر، والنقع،... المناسبة للحرب.

واما ما جاء في القصيدة الميمية فهي: الخطي، البيض، الدرع، القنا، الصارم، الردينيات، الرمح، الخيل، المشرفية، تفدي وكذلك استعمل الكلمات المناسبة للحرب من سقي الجماجم، يجرون الحديد (الاسلحة)، الجيوش الخضارم، القتلى، الشجاعة، ضرب الهام و....

ثانياً) الكرم والجود:

وهي من الصفات الحميدة الرفيعة المستوى، اتخذها الجليل مظهراً لقدرته وعظمته حيث هو الباسط بالجود يده الذي لا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، ثم اتخذها الانبياء (ع) منطلقاً لدعوتهم وعمل بها المؤمن والكافر، فأصبحت من السمات الفاضلة لدى البشر، وها هو الشاعر يصوّر ممدوحه باحسن الصور في الكرم حيث يقول:-

هو البحر غُص فيه اذ كان ساكناً على الدر، واحذره اذا كان مزبداً
واعلم ان المال الذي يجود به على الفقراء العفاة ليس بالقليل، بل كان يمنحهم مالاً كثيراً بحيث يقتل به آثار الحزن ويحيى به علامات الفرح والسرور، ومن جهة ثانية انما حصل على هذه الاموال الطائلة عن طريق الجهاد ومن غنائم دار الحرب انظر الى كلامه هذا:-

فولى واعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يُعط الجميع ليحمداً
أو يقول في قصيدة أخرى:-

يُسّر بما أعطاك لا عن جهالة
ولكن مغنوماً نجاً منك غائب
واسمعه يقول:

ويُحيي له المال الصوارم والقنا
ويقتل ما يُحيي التبسم والجدا
ومن أبرز مصاديق الكرم لسيف الدولة، ما ناله الشاعر منه حيث يقول:-
وإني لتعدو بي عطايك في الوغى
فلا أنا مذموم ولا أنت نادم
واعلم أنّ العطية جاءت فورية في ساحة القتال، لا بمواعيد عرقوب، كما يصوره
الشاعر في البيت التالي:

تركتُ السرى خلفي لمن قلّ ماله
وأنعلتُ افراسي بُنعماك عسجداً
وأنّ العطايا كثيرة بحيث جعل نعل افراسه من الذهب.

ثالثاً) العزم والارادة: فهما مصدرا قوة للقائد المحنك، وبما ان الشاعر مغرم بكل
الخصال الحميدة فهو يتبعها اتباع الظل للانسان، ويُشبهها بالفعل المضارع الذي له معنى
الحال او الاستقبال، فهي ماضية قبل ان تجزّمها الجوازم من حرف جزم أو شرط وبمعنى
آخر لا يسبقه نهى الناهين او عذل العاذلين كما يقول مخاطباً لسيف الدولة في البيت
التالي:-

اذا ما كان تنويه فعلاً مُضارعاً
مضى قبل ان تُلقى عليه الجوازم
رابعاً) الذكاء والفتنة: فهي خاصة لبعض الناس، وان استخدمها الانسان في صالح
الاعمال توصل الى أهدافه السامية خلافاً لمن يستغلها في الاهواء والشور، فمن رزقه
الله العقل والفتنة سيكون من اصحاب المعاجز في الاعمال وهذا المتنبي يصف ممدوحه
المتالي قائلاً:-

ذكيّ تظنيه طليعة عينه
يرى قلبه في يومه ما ترى غدا
خامساً) الحلم والقدرة: الحليم من يمتلك سعة الصدر، وهي ممدوحة في الملوك،
وطلبها النبي موسى عليه السلام من الله تعالى قائلاً: ﴿رَبِّ اشرح لي صدري﴾ (طه / ٢٥)،
ويزداد الحلم ثمناً اذا اقترنت بالقدرة كما يقول الشاعر:-

رأيتك محض الحلم في محض قدرة
ولو شئت كان الحلم منك المهندا

سادساً) الحكمة والرأي: قال أنوشروان: (أربعة تؤدي الى أربعة، العقل الى الرياسة، والرأي الى السياسة، والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير)^{١٢}، فهي كما ترى مجتمعة في سيف الدولة كما يصفه المتنبي:-

ولكن تفوقُ الناس رأياً وحكمة كما فقتهم حالاً ونفساً محتداً
يدق على الافكار ما انت فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا
سابعاً) لبس الجديد: وهو ما تميل اليه كل نفس، ويحبُّ الانسان ان يجدد ملابسه، أكلاته، و... و...، وهذه الظاهرة مشهودة في الاعياد والحفلات خاصة، فتظل ذكراها في خواطر الناس حيّة، فالممدوح المثالي هذا وحيدٌ بين اقرانه كما ان الاعياد وحيدة في الازمان، ويعتقد الشاعر ان الافضلية هذه ما جاءت إلا عن طريق الحظ والبخت، ومما يؤخذ على الشاعر هنا انه استخدم الحظ الذي هو ليس بحليف الانسان دائماً، وارى ان الشاعر اجحف بحق سيف الدولة الذي كان حليفاً للقوة والراي السديد، فهو يشير الى هذه المعاني في أبياته التالية:-

ولا زالت الاعيادُ لبسك بعده تُسلمُ مخروفاً وتُعطي مجدداً
فذا اليوم في الايام مثلك في الوري كما كنت فيهم أوحداً كان أوحداً
هو الجدُّ حتى تفضل العين اختها وحتى يصير اليوم لليوم سيداً
ثامناً) سيف قاطع: السيف سلاح الشجعان وفي ظله اكتساب الجنان فما بالك من كان اسمه على مسمى، فهو مسلول على الاعداء ولا يشك فيه احداً، حيث يقول الشاعر:-
ألا أيها السيف الذي ليس مُغمداً ولا فيه مراتبٌ ولا منه عاصم
نقد رأي: مدحه عظيم، مسبوك من الذهب، صور ومعاني جميلة، خيال رائع، إلا أنني اظن استخدامه للتوحيد في البيت التالي:-

ولست مليكاً هازماً نظيره ولكنك التوحيدُ للشرك هازم
فيه نوع من المبالغة، لان التوحيد من العقائد الاسلامية والخاصة بالله سبحانه الذي ليس كمثله شيء.

صفات العدو: للعدو صفات أشار اليها الشاعر:-

أولاً: شاكي السلاح: الروم من اعداء الاسلام فهم أصحاب القدرة عُدَّة (من خيل وسلاح)، وعدداً (فلهم الجيش الجرار، فيه رجال من الامم المختلفة) وها هو المتنبى يصورهم في أبياته الاربعة التالية:-

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائمُ

..... الى قوله: فما تفهم الحدّاث إلا التراجم

ثانياً: استسلام العدو: ما أقساها من ذلة وأمرها طعماً في فم الانسان وسيبقى العار عليه مدى التاريخ، حيث ترى هذه الصورة الخالدة جرت على لسان المتنبى قائلاً:-

تظلُّ ملوك الارض خاشعة له تفارقه هكلى وتلقاه سُجداً

أو يقول في القصيدة الاخرى:-

ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم

ثالثاً: من صفات قائد قوات الروم:-

يشير المتنبى في اشعاره الى خصال القائد العام للقوات المسلحة الرومي (الدمستق) قائلاً:-

الف - العزم والارادة: فهو مصمم على الضربة القاضية لسيف الدولة ومستعد للنزال معه بجميع قواته المسلحة، وانه مغتر بنفسه ومتكبر على ربّه كما يُمثله المتنبى في هذين البيتين:-

وربّ مريد ضرّه ضر نفسه وهادٍ اليه الجيش أهدي وما هدى

ومستكبر لم يعرف الله ساعة رأى سيفه في كفه فستشهدا

باء - عديم التجربة:-

قليل لا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين، لان التجربة من اكبر البراهين للانسان، حيث يكتسب من وراءها معارف جمّة ان فاته التعليم، ولكن الدمستق جرب الحرب مراراً مع سيف الدولة لكنه عاود اليها ثانية ويعدّه المتنبى أقلّ عقلاً من الليث، حيث يقول:-

أفي كل يومٍ ذا الدمستق مقدّم قفاه على الإقدام للوجه لائم

أينكر ريح الليث حتى يذوقه
أو يقول في قصيدته الاخرى:-
وقد عرفت ريح الليوث البهائم
ما تاب حتى غادر الكرُّ وجهه
جريحاً وخلق جفنه النقع أرمداً

جيم - الفرار من الزحف:

هي صفة مذمومة في القيادة خاصة وعند الجنود عامة، ويُحكم على من يرتكبها بالاعداء في وقتنا الحاضر، وجعلها الله تعالى صفة لاعدائه حيث يقول: ﴿لن يضرّوكم إلاّ أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار﴾ (آل عمران / ١١١)، ويُشير المتنبي الى الدمستق قائلاً:-

وما طلبت رُزق الأسنة غيره
فأصبح يجتاب المسوح مخافة
ولكنّ قسطنطين كان له الفدا
وقد كان يجتاب الدلاص المسردا
وكذلك تجد هذا المعنى في البيتين (١٩ - ٢٠) من هذه القصيدة ايضاً.

دال: الطامة الكبرى:

القتل فخر للأبطال في سوح القتال، والاسر ذلّ وعار بل هو ممات للاحرار، فهنا يصوّر الشاعر فاجعة الأسر لقسطنطين قائلاً:

وقد فجعته بابنه وابن صهره
او يقول في موطن آخر:

وما قتل الاحرار كالغفو عنهم
او يشير الى أسر قسطنطين قائلاً:-

وما طلبت رُزق الاسنة غيره
او يقول:-

لذلك سمّى ابن الدمستق يومه

فعليه يلزم ان يكون الخصم المقابل للروميين (سيف الدولة) على هذا المستوى من

القوة والقدرة أو أعلى منهم، ومن خلال هذه الصور للعدو تبدو لنا قدرات ومواقف سيف الدولة في الدفاع عن العقيدة، ومن جانب آخر انك تلمس سمات القوة والقدرة بوضوح في هذه الالفاظ التي تصدر عن نفس مقتدرة للشاعر.

رابعاً: ساحة القتال:-

صوّر هذا الفنان الحرب بمناظر جميلة لا يُنحتها إلاّ الاديب الماهر. وتحتوي ابیات هذه القصيدة على صور بديعة لجوانب مختلفة من ساحة القتال منها:-

(الف) بودقة الانصهار:- قيل آخر الدواء الكي، مثل معروف، عندما تنسد جميع ابواب العلاج في وجه الانسان، يلجأ في النهاية الى الحماوة والنار حتى تحل المشاكل، فالعلاج النهائي للمريض الكي بالنار، وعلاج الذهب المغشوش بالذوبان والانصهار بالنار، وكذلك نار الحرب بودقة تميز الخالص من المغشوش كما يقول الشاعر:

فلله وقت ذوب الغش نارهُ فلم يبق إلا صارمٌ أو ضبارم

(باء) فرار الابطال، من علامات الاندحار والانكسار، وهو الذي حرّمه الله على اولائه قائلاً ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئحة﴾ (الانفال / ١٦) فالجيش الرومي أصابه الخوف ولاذ بالفرار كما يصفه المتنبي:-

وفرّ من الابطال من لا يُصادم

جيم) قتلى العدو: فهم بكثرة ولا يُحصى لهم عدد، وهم منتثرون على الارض كما تُنثر الدراهم على رؤوس العرائس^{١٣}:

نشرتهم فوق الأحيدب كله كما نثرت فوق العروس الدارهم

(دال) السقي بالدم: لقد سقت الطبيعة أرض الحدث بغمامها قبل النزال وها هو سيف الدولة يُسقيها ثانية بالدماء حيث يقول:-

سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجمامم

(هاء) الرصد في الجبال: الحرب في المناطق السهلية صعبة جداً، فما بالك لو تصاعد في المناطق الجبلية الوعرة والعالية المرتفعة، حيث اعشاش الكواسر والعقبان من الطيور

الجارحة، فهذا جبل الأحيـدب عالي جداً تسكنه الافراخ، وصعبة لعبور الخيل، فترى سيف الدولة كيف يمشي الخيل الى الامام قائلاً:

تدوسُ بك الخيلُ الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفُتح انك زرتها بأماتها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشييتها بسبطونها كما تتمشى في الصعيد الاراقم
أو يقول في قصيدة أخرى:-

وصولُ الى المستصعبات بخيله فلو كان قرنُ الشمس ماءً لأوردا

عنصر العاطفة:

انك ترى الاعجاب الناشئ من عاطفة الشجاعة والكرم لدى الشاعر سارية المفعول من اول القصيدة الدالية وحتى نهايتها فالايات الثمانية الاولى تتحدث عن شجاعة سيف الدولة والبيت الخامس منه يتحدث عن كرمه، وهكذا يستمر الشاعر في وصفه للشجاعة حتى البيت العشرين، وفي كل بيت يصور الممدوح من زاوية خاصة، فاذا بالصور الخيالية هذه تتكامل بأحسن شكل، ويصور الشجاعة لسيف الدولة بأعظم صورة في البيت التالي:

وصول الى المستصعبات بخيله فلو كان قرن الشمس ماءً لاوردا
فليس الشجاع من يضرب هام الاعداء فقط، بل الشجاع من يتحمل المصائب والمصاعب حتى ينال الهدف المنشود، (فلو) هنا من الفروض المحالة، يقول المتنبي: لو وُجدت الحياة (عبر عنها بالماء) في قرن الشمس (لبعد المسافة) لتحمل سيف الدولة المشاق للوصول اليها، لما يحمل من رسالة انسانية الى البشرية، فما ابدعها من صورة وجمال، ومن لوحة فنان اديب عالم بأسرار الكلام، ولا يأتي الابداع هذا من اي فنان سوى المتنبي الشاعر.

نعود ونقول ان الاعجاب بالممدوح مصدر تاثير الشاعر في عاطفته لهذه القصيدة، فانظر الى قوله:



هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا على الدر واحذره اذا كان مزبدا
فالشاعر هنا معجب بكرم سيف الدولة في هذا البيت ونظائره لان الشجاعة جعلته
يقدم على الجود وقتل الفقر وحياء الابتسامة على الشفاء، ثم لو نظرنا الى هذا البيت:
سريت الى جيحان من ارض امد ثلاثاً لقد ادناك ركض وابعدا
فالسرعة في السير ناشئة من شجاعته فلو كان جباناً ما امكنه قطع هذه المسافة
الطويلة في ثلاثة ايام، وهكذا ان الاعجاب هذا فرض نفسه في الابيات جميعاً ولولاها لما
نطق الشاعر بكلمة.

ثم لو وقفنا قليلاً عند القصيدة الميمية سنجد الاعجاب والشوق الى سيف الدولة
فرضت نفسها على ارجاء القصيدة فانظر الى قوله:

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم
ومن عوامل الاعجاب عند المتنبى ان سيف الدولة اشجع من الاسد الذي يضرب به
المثل في الشجاعة وذلك ان الاسد لا يطلب من الآخرين ان يكونوا اسوداً مثله، ولكن
سيف الدولة اعلى منزلة من الاسد الشجاع، لانه يطلب من الآخرين ان يكونوا اسوداً
مثله، وكذلك لو نظرنا الى قوله:

بناها فأعلى والقنا تفرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
ومما يثير الاعجاب عند الشاعر انه بدء بالبناء والحرب لم تضع اوزارها، ومن مظاهر
الاعجاب ايضاً قوله:

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
فسيف الدولة هو سيد الموقف فلا رأي ولا حكم إلا له، فكلمة سيف الدولة هي نافذة
المفعول لا غير.

ومن اعجابه به هذا البيت:
حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كان السيف للمرح شاتم
لان الرماح سلاح الجبناء ويرمى به على الاعداء من مسافة بعيدة، ولكن السيف هو
سلاح الشجعان الذي يقابل به العدو وجهاً لوجه، والاعجاب من ذلك كله قوله:

الا ايها السيف الذي ليس مغمدا
ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم
فسيف الدولة سيف على الاعداء ولا يشك احد في ضربته القاطعة ولا ينجو منه احد.
وينتهي هذا الاعجاب بالدعاء للمدوح حيث يقول:
ولم لا يقي الرحمن حديدك ما وقى
وتفليقه هام العدا بك دائم

موضوعات متنوعة:

أولاً) الاعمار:

المعروف عن الحروب انها تدمر كل أخضر ويابس، فلا بد للقائد المقدم ان يعمر ما
ابادته الحرب، ولكن سيف الدولة بما انه مميز في جمع الصفات وهو كذلك مميز في
الاعمار حيث يصدر الاوامر بالاعمار والحرب قائمة على قدم وساق، يقول المتنبي:-
بناها فأعلى والقنا تفرع القنا
وموج المنايا حولها مُتلاطم

ثانياً) السكون:

لا بد للريح أن تهدأ بعد العاصفة، ولا بد للنار ان تخبث، ولا بد للشران يزول يوماً، وهذه
الحدث الحمراء زال عنها الجنون واستقرت لما علتها التمام من القتلى، حيث يقول:-
وكان بها مثل الجنون فأصبحت
ومن جثث القتلى عليها تمام
ثالثاً) بشائر النصر:

لكل شيء علامة، ومن علامات الانتصار في ساحة القتال، الضربة القاضية وتفليق
رؤوس الاعداء كما يصوره المتنبي:-
بضرب أتى الهامات والنصر غائب
وصار الى اللبات والنصر قادم

رابعاً) حكم وأمثال المتنبي:-

ان من عادة المتنبي ان يطرح موضوعاً ذا حكمة في مطلع كل قصيدة ثم يستنتج
المطلوب منه، فنراه يطرح في الشطر الاول من البيت الاول قضية عامة ألا وهي الدهر

- والعادة، ثم يسير بها نحو الممدوح وعادته، وهكذا نراه يعمل بالخطبة نفسها في القصيدة الاخرى، فانه يطرح موضوع العزم والكرم واهلهما ثم يتجه نحو كرم وعزم سيف الدولة. وكذلك نشاهد هذا الحكم يطرح في طيات القصيدة لأغراض ينشد بها الاديب، منها:-
- ١ - اذا أنت اكرمت الكريم ملكته وان أنت اكرمت اللئيم تمردا
 - ٢ - ووضع الندى في موضوع السيف بالعلی مضراً كوضع السيف في موضع العلی
 - ٣ - ومن وجد الاحسان قيلاً تقيدا
 - ٤ - هو الجد حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيديا
 - ٥ - ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام فيما تصيدا

خامساً) الافتراق:

اما المعاني المفترقة في القصيدتين فجاءت قليلة، ففي القصيدة الاولى وعند الختام ذكر وفاءه واخلاصه لسيف الدولة قائلاً:

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيلاً تقيدا

وأما القصيدة الميمية اختتمت بالدعاء للمحسوب المثالي حيث يقول:-

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلی وراجيك والاسلام انك سالم

ولم لا يقي الرحمن حدك ما وقى وتفليقه هام العدا بك دائم

سادساً: الفخر بالشعر: من دأب الشعراء ان يفتخروا بآدابهم، فما بالك بسيدهم المتنبى الذي تكرر منه هذا الموقف في القصيدتين ولكنه عند الدالية اكثر فخراً من الميمية، فانظر الى الايات التالية:-

وما الدهر إلا من رواة قلائدي اذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ مُنشدًا

فسار به من لا يسير مُشمرًا وغنى به من لا يُغني مُغرداً

أجزني اذا أنشدتُ شعراً فانما بشعري أتاكَ المادحون مُردداً

ودع كل صوتٍ غير صوتي فانني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وتجد المعنى نفسه (الفخر بالشعر) تكرر في البيت التالي من القصيدة الاخرى:-

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فانك مُعْطيه وانني ناظم

هيكل القصيدة:

فهي مكونة من خمسة اجزاء ١- المقدمة: يدخل مباشرة في صلب الموضوع (المدح) تاركاً وراءه الغزل، وهي ذات طابع حكمية عالية. ٢- وصف لشجاعة سيف الدولة ٣- مدح لسيف الدولة ٤- ثم العود على البدء وطرح الحكم ثانية ٥- ثم التخلّص الى مدح نفسه حيث يقول:-

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه
او تراه يقول في القصيدة الاخرى:-

وما الدهر إلا من رواة قلاندي
فسار به من لا يسير مشمرا
ودع كل صوتٍ غير صوتي فانني
وتراه يُطالبه فخراً واعتزازاً:-

اذا شد زندي حُسن رأيك فيهم
وما أنا إلا سُمهريٌّ حملته
ضربتُ بسيف يقطع الهام مُغمدا
فزيّن معروضاً وراع مسدداً
ويشير كذلك الى هذا المعنى (الفخر) في القصيدة الثانية:-

أجزني اذا انشدتُ شعراً فانما
تركت السُرى خلفي لمن قلّ ماله
بشعري أتاك المادحون مردداً
وأنتعلتُ أفراسي بنعماك عسجداً
وبهذه الروح الطيبة والنفس المطمئنة السائدة على ارجاء القصيدة تنتهي على خير، واخيراً نرى اخلاصه ووفاءه العظيمين لممدوحه المثالي حيث يقول:

وقيدتُ نفسي في ذراك محبة
وأخرى يدعوله بالنصر والبقاء سالماً حيث يقول:

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلى
ولم لا يقي الرحمن حديدك ما وقى
وراجيك والاسلام أنك سالم
وتفليقه هام العدا بك دائم



وأما من حيث الكلمات، بما أننا شاركنا الشاعر في ساحة القتال وذكر الشجاعة...
و...، فإن الكلمات المختارة جاءت مناسبة لمحيط القصيدة من أمثال: السيف، والرمح،
والطعن والاعداء، والجيش، والضرر، والهلكى، والصوارم، والخيول والممات والفدية
والكرّ والنقع، والشفرة والضرغام، والباز، والقدرة وقطع الهام والهزيمة، الأبطال، الجرحى،
الضرب، النصر، خميس، المنايا، البيض، الهدم، الجماجم، النصور، القشاعم وما شابه ذلك.

وقفه مع الكرم:

الممدوح بحر للعطاء، يقتل ما تُحيي التبسم والجدا، ويسلم مخروفاً ويُعطي مجدداً،
ومن أبرز مظاهر الكرم العفو عند القدرة حيث يقول:-

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليد

ثم نرى استعماله للكلمات المناسبة للكرم مثل: الندى، الكريم، والعسجد، إعطاء،
عطاياك، أجزني، وأمثالها، ثم ينتهي إلى هذا البيت:-

إذا سأل الإنسان إيامه الغنى وكنت على بعدٍ جعلتك موعداً

وثم يُعرج من كرم الممدوح إلى إزالة حسد الحساد الذي نشأ من كرم سيف الدولة له
حيث يقول:

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فانت الذي صيرتهم لي حسداً

أهم البحوث: تطرق المتنبي لبحوث مختلفة في القصيدتين منها الموضوعات العقلية
والعاطفية و... و...

وأما الموضوعات العقلية: فهي الجهاد والحكم، والعلم والدراية، وأما المسائل
العاطفية فهي الشجاعة والكرم، العزم والإرادة، الحلم والقدرة التي نشأت من الإعجاب
بالمحبوب المثالي عند المتنبي. وأما الصورة الخيالية: فهي تدور على محورين: التشبيه
والاستعارة، فالتشبيه أحكامه وأصوله مبسطة في الكتب البلاغية، وإنما نشير هنا إلى:-

ادوات التشبيه:

استغل المتنبي التشبيه لبيان مقاصده فاستعمل من الادوات:-

١- الكاف: وهي الحرف الاصلي وتحتل المرتبة الاولى في هذا المقام بين أقرانها حيث استخدمها القرآن الكريم في (٢٨٢) موطناً، وتكررت في القصيدتين للمتنبي خمس مرات كالتالي:-

١. كما كنت فيهم أوحداً كان أوحداً.

٢. وما قتل الاحرار كالغنو عنهم.

٣. كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتداً.

٤. كما نثرت فوق العروس الدراهم.

٥. كما تتمشى في الصعيد الراقم.

٢- كأن: تأتي في المرحلة الثانية في الاستعمال حيث استخدمها القرآن الكريم في ٣١ موضعاً، وتكررت عند المتنبي ٣ مرات كما يلي:-

١. اتوك يجرون الحديد كأنهم...

٢. وفقت وما في الموت شك لواقف - كأنك...

٣. حتى كأن السيف للرمح شاتم.

٣- مثل: تأتي في المرحلة الثانية ايضاً حيث استخدمها القرآن الكريم في ٣١ موضعاً، وتكررت عند المتنبي مرتين كما يلي:-

١. فذا اليوم في الايام مثلك في الورى...

٢. وكان بها مثل الجنون فأصبحت...

فأكرم بها صناعة ادبية عالية.

الاستعارة:-

واما الالبات التي استخدم الشاعر فيها الاستعارة هي:-

١- هو البحر غُص فيه اذا كان ساكناً...-

- ٢- وتحيي له المال الصوارم والقنا - ويقتل ما تُحيي التبسم والجدا
- ٣- يرى قلبه في يومه ما ترى غدا
- ٤- ولا زالت الاعياد لبسك بعده -
- ٥- وما الدهر الا من رواة قصائدي -
- ٦- يكلف سيف الدولة الجيش همه -
- ٧- ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
- ٨- ... - وموج المنيا حولها متلاطم
- ٩- وقد حاكموها والمنيا حواكم - ...
- ١٠- لك الحمد في الدر الذي لي لفظه

بحر القصيدة:

وأخيراً إن القصيدة الدالية جاءت على وزن البحر الطويل الذي هو سيد البحور العربية، وما من شاعرٍ إلا وخاض الوزن هذا، وبناءً على هذا فإن الوزن هذا هو المناسب للمقام من المدح والشجاعة والكرم والسيادة وهاك الوزن العروضي لها:-

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا
ل كل لم / رثن من ده / رهي ما / ت عو ودا
فعولن - مفاعيلن، فعولن - مفاعلن
وعادة / س فل دو / ل تل طع / ن فل ع دا
... / لا / لا / لا / لا.

فعولن - مفاعيلن، فعولن - مفاعلن

وحدة الموضوع:

واما وحدة الموضوع فهي تفرض نفسها من اول القصيدتين حتى نهايتهما من المدح للشجاعة، المدح للكرم، المدح للعفو، المدح لسيف الدولة، ومن أجل التوازن يذكر

خصال العدو الذميمة. واخيراً مدح نفسه، فالملاحظ في القصيدتين ان احدهما تكمل الاخرى، وبهما يتم المعنى وهما في خط واحد.

نقد أخير:

يؤخذ عليه التعرض للخليفة، لانه لا يناسب موضوع البحث حيث يقول:

فيا عجباً من دائل أنت سيفه اما يتقي من شفرتي ما تقلدا
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيما تصيدا
ولكن ان اخذنا الحكمة بنظر الاعتبار في هذين البيتين فلا بأس بهما.

وقفتان: الاولى مع القصيدة الدالية والثانية مع الميمية. اما القصيدة الدالية فسيطرة القوة على ارجاءها منذ البداية وحتى النهاية، فهناك مواقف سديدة لسيف الدولة، الاول: مع العدو الذي كان يتميز بالقوة والاقتدار، حيث نرى هذا المعنى في البيت الاول، فمن طعن الاعداء الى ابطال الاكاذيب والاراجيف في البيت الثاني، والحاق الضرر بسيف الدولة من قبل العدو المستكبر في البيتين - ٣ و ٤، الى استسلام الملوك امامه، او القتل والفناء حالة الرد والرفض البيت ٧. الثاني: القوة عند سيف الدولة لقد صورها الشاعر بأشكال مختلفة، فمن الذكاء والتنبؤ للمستقبل البيت ٩، الى تحمل المشاق والصعاب البيت ١٠، والى العمل الدؤوب البيت ١٢، والى بيان شجاعة سيف الدولة البيتان ١٤ - ١٥، وكيف صور سيف الدولة انه اوحدي زمانه فهو عيد لكل عيد، وهو القمة في الفكر والكرم - الايات ٥، ٨، ٢١ الى ٣١، ٤٠ والى بيان القوة في اخلاقه المتجلي في العفو والجلود - البيتان ٢٨، ٢٩، الى بيان الاتزان في القدرة البيت ٣٠، ثم انظر كيف يصور القوة المعنوية للممدوح عندما يطلب منه ازالة الحسد عنه - البيت ٣٣.

الثالث: لما كان سيف الدولة بهذه القوة والصلابة، فلا بد للعدوان يتصاغر امامه ويكون ذليلاً كما في الايات ١٦، ١٧، ١٨. الرابع: قوة الشاعر، قيل كل اناء بما فيه ينضح، فالكلام هذا ينطبق كاملاً على المتنبي القوي الشجاع في البيان والسنان، فهو يضرب الاعداء بسيف مغمد - البيت ٣٤، وهو الرمح الذي يزين حامله ايام السلم ويصيب الاعداء ايام

الحرب - البيت ٣٥، والمتنبى يفخر على الآخرين ان الدهر اصبح مطيعاً له - البيت ٣٦، ثم انظر كيف تجلت القوة عنده لما استخدم فعلي الامر - اجزني - البيت ٣٨، و - دع - البيت ٣٩. واخيراً يتصاغر الشاعر امام سيده سيف الدولة الذي قيده باحسانه واصبح مطيعاً لمن هو اقوى منه قدرة. اما القصيدة الميمية، فكذلك تجد فيها مظاهر القوة مهيمنة عليها، ولكن بشكل احسن واكمل من الدالية، أولاً: صورة سيف الدولة انها على منزلة من الجيوش الخضارم، وايضاً على همة من الضراغم والاسود، البيتان ٣ - ٥، ولاجل هذه الهمة العليا تفدي الطيور الكواسر اعمارها له، لانه صاحب قدرة وقوة وضربة - البيتان ٥ - ٦، واما قدرته على الاعمار والبناء زمن الحرب، التي تكون عادة من اصعب الامور، فجاءت في البيت ٩، وايضاً انظر كيف يصور عزم وارادة الممدوح الذي لا ينثني عزمه امام الآخرين البيتان ١٣ - ١٤، وايضاً انظر كيف يصور شجاعة سيف الدولة وهو وسط ساحة القتال، لايهاب الموت بل هو ضاحك مستبشر بالنصر - البيتان ٢٢ - ٣٢. ثانياً: التعجب من قدرة سيف الدولة، فهو قوي كما جاء في البيتين ٧ - ٨، حيث سقى الحدث الحمراء دماً من كثرة القتلى، علماً انها كانت من قبل هائجة ومجنونة البيتان ١٠ - ١١. ثالثاً: قوة العدو، حيث صورها الشاعر بدقة كاملة من انه يمتلك جيشاً جراراً مسلحاً مع الخيول ولبس الدروع والخوذ، وان اصوات الحديد تسمعها السماء كما جاء في الابيات ١٦ الى ٢٠، رابعاً: الامتحان، قيل عند الامتحان يكرم المرء او يهان، فانظر الى هذا الشاعر القدير كيف يرى ان نار الحرب تصهر وتذوب الغش، وتظهر الخالص للعيان، فانكسار السيوف والرماح والدروع وفرار الابطال من سوح القتال ما هي إلا قوة للحرب التي خاضها سيف الدولة البيتان ٢٠ و ٢١. خامساً: ذلة العدو، فلن يبقى للعدو سوى الانهزام امام قوة سيف الدولة، فمن تصوير للفرار الى عدم التجربة للمستق و... الابيات ٣٣ - ٣٨. واخيراً الى قوة البيان عند الشاعر الذي اختار الالفاظ الجزلة المحكمة، والنظم الدقيق للمعركة البيت ٤١.

ساحة القتال: بما ان القصيدة احتوت على صور لسوح القتال، لكن الميمية جاءت اكمل ملامحاً من الدالية، كما هو الظاهر في بيان اسماء الروميين، ففي الدالية ذكر الدمستق

وابنه قسطنطين، واما الميمية فاضاف عليها ذكر الروم والروس وصهر الدمستق. واما بالنسبة الى ذكر الامكنة ففي الدالية جاء ذكر جيحان وامد وفي الميمية، الحدث الحمراء، والاحيدب، فهما متساويان من هذه الناحية. واما بالنسبة الى الاسلحة، ففي الدالية جاء ذكر السيف والصوارم والقنا والسمهري والطعن والجيش والجيوش وزرق الاسنة والدلاص، ولكن الميمية اشتملت على ذكر اكمل واوسع فمن الجيش والجيوش، والخميس والجناح والقلب، والسيف والسيوف والاسياف والحديد والقوائم، والمشرقية والضبي والبيض والضرب، ومن الرمح والقنا والخطي والطعن والردينيات، الى الدرع والجياد والوغي.

الجديد في البحث: اذا كان الهدف المرسوم من قبل النقاد في الموازنة هو التفاضل وترجيح قصيدة على اخرى من حيث المعنى فاني ارى ان القصيدتين جاءتا لتكمل احدهما الاخرى كما هو المشهود في الامثلة التالية: ١- انظر الى هذين البيتين:

فولي واعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يعط الجميع ليحمداً
وقوله:

يسر بما أعطاك لا عن جهالة ولكن مغنوما نجا منك غانم
فعملية الاعطاء من الابن والجيوش لم تكن عن جهل ولم تكن لاجل اكتساب الحمد والمدح بل للنجاة من القتل المحتوم، فالمعنيان يتكاملان في البيتين.

٢- ثم انظر الى هذين البيتين في الكرم والجود:

واني لتعدو بي عطايك في الوغى فلا انسا مذموم ولا انت نادم
وقوله:

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وانعلت افراسي بنعمك عسجداً
ان عطايا وهبات سيف الدولة كثيرة حيث انني جعلت نعل خيولي ذهباً، فان البيتين تكاملا معنى.

٣- وانظر الى العزم والارادة في قوله:

وصول الى المستصعبات بخيله فلو كان قرن الشمس ماءً لا وردا

وقوله:

إذا ما كنت تنويه فعلاً مضارعاً مضي قبل أن تلقى عليه الجواز
ففي البيت الأول سيف الدولة يعمل المستحيل بعزمه القوي لما عبر الشاعر عنه بـ لو
- فالبيت الأول يعد من مصاديق البيت الثاني ومفسراً له، وبذلك يظهر الكمال فيهما
جميعاً.

٤ - وانظر أيضاً إلى قوله:

ولست مليكاً هازماً نظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم
وقوله:

تظل ملوك الأرض خاشعة له تفارقه هلكى وتلقاه سجداً
بما أن الممدوح لا نظير له، فهو ملك الملوك، فلا يهزمه أحد بل أن المملوك تظل
مستسلمة له، وإن فارقه سيكون مصيرها العدم والفناء.

٥ - وهكذا الكلام في البيتين التاليين:-

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الاقدام للوجه لائس
وقوله:

ما تاب حتى غادر الكر وجهه جريحاً وخلي جفنه النقع ارمداً
فلن يتوب الدمستق من الاقدام للحرب إلا من بعد أن أصبح وجهه جريحاً واصيبت
عيناه بالرمد وفر أخير من الحرب، فالبيتان يكملان أحدهما الآخر من حيث المعنى.
٦ - وأخيراً للنظر إلى قوله في هذين البيتين:

وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغواشم
وقوله:

وما طلبت زرق الاسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدا
الفاجمة الكبرى في البيت الأول، والفداء الأعظم في البيت الثاني، ما هو إلا الأسر
لقسطنطين، فجاء المعنى مكماً أحدهما الآخر.

الكلمة الاخيرة:

انك لتجد التوازن قائماً بكفيه على ارجاء القصيدتين، مما يجعل المخاطب او القارئ يشعر بجمال التعادل القولي في الشعر. فمن الصفات الحميدة لسيف الدولة الى الصفات الرذيلة للقائد الرومي... ومن شجاعة واقدام سيف الدولة الى جبن وفرار الدمستق من الزحف، ومن اكتساب الغنائم الى انهزام الروميين. ومن عزة الانتصار الى ذلة الاستسلام. ومن تجارب سيف الدولة الى عدم تجربة الدمستق. ومن الاحسان بالعفو الى ابن الدمستق الى اناية الدمستق في تقديية ابنه. ومن قوة الدمستق الى الاقوى منه سيف الدولة، ومن كرم الدمستق (اعطاء الجيوش....) الى الاكرم منه سيف الدولة، (حيث احبى الابتسامة على افواه الفقراء والمحتاجين).

كلاهما من اصحاب العزيمة والثبات ولكن اين الثرى من الثريا.
ومن تحمل المصائب الى الفرار منها. ومن الاعمار الى الدمار والخراب.
فالتوازن هذا يزيه المتنبى بحكمه البالغة، وحتى يتم التوازن نهائياً جاءت القصيدتان على منهاج المدح من الاول وحتى النهاية.

المصادر

الكتب التالية كانت عوناً لنا في كتابة البحث، او اخترنا منها بعض النماذج وهي مرتبة حسب حروف الهجاء للمؤلفين:-

١. القرآن الكريم.
٢. الأبشيهي / محمد بن احمد / المستطرف / بيروت / دار الامم.
٣. ابن الاثير. المثل السائر. بيروت. صيدا. المكتبة العصرية. ١٩٩٩ - ١٤٢٠.
٤. البرقوقي / عبد الرحمن / شرح ديوان المتنبي / بيروت / دار الكتاب العربي.
٥. بدوي / أحمد أحمد / أسس النقد الادبي / مصر / دار النهضة.
٦. الراغب الاصفهاني / الحسين بن محمد / المفردات / طهران / المكتبة المرتضوية.
٧. البستاني / محمود / تاريخ الادب العربي / بيروت / مجمع البحوث الاسلامية / ١٤١٠ هـ.
٨. حقي / مدوح / العروض الواضح / بيروت / دار مكتبة الحياة / ١٩٧٠.
٩. شيخو / لويس / المجاني الحديث / بيروت / دار المشرق / بادارة فؤاد افرام البستاني.
١٠. الصدر / سيد حسن / تأسيس الشيعة / طهران / الاعلامي.
١١. عبد الباقي / فؤاد / المعجم المفهرس / طهران / معارف اسلامي.
١٢. العسكري / ابو هلال / الفروق اللغوية / قم / انتشارات بصيرتي / ١٣٥٣ ش.
١٣. فروخ / عمر / تاريخ الادب العربي / بيروت / دار العلم للملايين / ١٩٧٥.
١٤. القمي / شيخ عباس / مفاتيح الجنان / تهران / علمية اسلامية.
١٥. الانطاكي / محمد / المحيط / بيروت / مكتبة دار الشرق / ١٩٧٥.



الهوامش :

- (١) شرح ديوان المتنبي - عبد الرحمن البرقوقي ج ١: ٣-٦، بتصرف.
- (٢) تأسيس الشيعة - سيد حسن الصدر ص ٢١٩.
- (٣) تاريخ الادب العربي - الدكتور محمود البستاني ص ٦١٦.
- (٤) تاريخ الادب العربي - الدكتور عمر فروخ ج ٢: ٤٦٥.
- (٥) المجاني الحديثة - الاب لويس شيخو ج ٣: بادارة فؤاد افرام البستاني.
- (٦) شرح ديوان المتنبي - عبد الرحمن البرقوقي ج ١: ١٣.
- (٧) شرح ديوان المتنبي - عبد الرحمن البرقوقي ج ٤: ٩٤.
- (٨) اسس النقد الادبي - احمد احمد بدوي ص ٥٤٣.
- (٩) شرح ديوان المتنبي - عبد الرحمن البرقوقي ج ٢: ١٥.
- (١٠) شرح ديوان المتنبي عبد الرحمن البرقوقي - ج ٤: ١٠٨.
- (١١) أيضاً - ج ٢: ٩.
- (١٢) المستطرف ج ١: ١٥.
- (١٣) وهذا العمل (نثر الدراهم) باق ليومنا هذا.

موقف الشعر من الإسلام في صدره

الدكتور حسين چوبين *

الدكتور غلامرضا كريمي فرد **

مقدمه:

علينا أن نعرف أنه عندما جاء الإسلام شريعةً جديدةً تفاعَلَ الشعراءُ كسائر الناس مع هذه الظاهرة الجديدة، فهم ينقسمون في ذلك إلى ثلاث فِرَقٍ؛ الفرقة الأولى الشعراء الذين أقبلوا على الدعوة الإسلامية وذلك بايمانٍ عميقٍ لا وَصَفَ له و«لقد أنيطَ بهؤلاء دَوْرٌ اعلاميٌّ، فادعوا الاسلام وألزموا أنفسهم بتوجُّهاته الروحيَّة والماديَّة، وجنَّدوا شعرهم للذِّبِ عنه، وتعزيزه ونُصْرَتِهِ. فكان شعرهم حَمِيمَ الصِّلَةِ بالدعوة الاسلاميَّة، يَرصُدُ أحداثها، ويؤاكب تطوُّراتها، ويتأثَّر بها في موضوعاته ومعانيه»^١ وأبرز شعراء هذه الفرقة لاريب أنهم: حسان بن ثابت الأنصاري، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه؛ وينضمُّ اليهم أيضاً النابغة الجعديّ ثمَّ كعب بن زهير بن أبي سلمى.

والفرقة الثانية ومُعظمها من شعراء قريشٍ يَنْضَمُّ اليهم بعض شعراء اليهود، فقد خالفوا الدعوة الجديدة وبادروا رسولَ الله والإسلام والمسلمين بالهجاء اللاذع مُساندين قريشاً في كُفْرِها وبَغْيِها وأشهرهم طُراً: أميَّة بن أبي الصَّلْت، وكعب بن الأشرف، وعبد الله بن الزَّبَعْرِي وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص، وضرار بن

*. استاذ مشارك بالجامعة الإسلامية الحرة في دزفول

**. استاذ مساعد في الأدب العربي بجامعة الشهيد جمران في اهواز

الخطاب، وهُبَيْرَةُ بن أَبِي وَهَب.

والفرقة الثالثة من الشعراء، لم يَتَّخِذُوا موقفاً خاصاً مع الاسلام أو ضده؛ ولم يَسْتَخْدِمُوا حربتهم الشعرية لصالح قريش أو أي قبيلة تُعارض الاسلام والرسول (ﷺ). وربما بعضهم آمن بالله وأسلم كلبيد إلا أنه ترك الشعر ولم يقرضه بعد إسلامه إلا نادراً. وأبرز المُحَايِدِينَ هما:

لبيد بن ربيعة، والحطيئة.

- الفرقة الأولى وموقفهم المؤيد للاسلام.

١ - حسان بن ثابت الأنصاري: ((أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري أشعر الشعراء المُخَضَّمِينَ وأشهرهم، وأكثرهم دفاعاً عن رسول الله (ﷺ) ومدحاً له، وأمنعهم لحوزة الإسلام وعزته، حتى عُرِفَ بشاعر الإسلام، وهو الذي أجاد المديح في الجاهلية والاسلام))^٢ وأشهر قصيدة له في الجاهلية هي تلك التي مدح فيها آل جفنة والذي يقول فيها:^٣

أَسَأَلْتُ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ	بين الجوابي، فالبُضَيْعُ، فحَوَمَلِ...
دَارُ لَقُومٍ قَدْ أَرَاهُمْ مَرَّةً	فوق الأعرزة عِزُّهُمْ لَمْ يُنْقَلِ
لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادِمَتُهُمْ،	يوماً يَجِلَّقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
يَمْشُونَ فِي الْحُلَلِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا،	مَشَى الْجَمَالِ إِلَى الْجَمَالِ الْبَزْلِ
الضَارِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرِقُ بَيْضُهُ،	ضَرْباً يَصِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصَلِ
وَالْخَالِطُونَ فَكَبِيرَهُمْ بَغْنِيَّتُهُمْ،	وَالْمُنْعِمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمِلِ...

وكان في الجاهلية شاعر قبيلة الخزرج، يُدافع عنها بما أُوتِيَ من قوَّةٍ خاصَّةٍ عندما دارت بين الخزرج والأوس منافساتٍ ومُشَاخَنَاتٍ امتدَّت سنين، فكان حسان في طليعه شعراء الخزرج، كما كان زُذَّةُ قيس بن الخطيم في طليعة شعراء أوس؛ فتهاجيا كثيراً قبل الإسلام.

أمَّا في الاسلام فقد اهتدى للاسلام مُبادراً مُطِيعاً لله ولرسوله (ﷺ)، مُدافعاً عن الدين وعن الرسول الأمين، فقد هجا الكثير من شعراء قريش وساداتها، أولئك الذين

أرادوا أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم. فقد تصدَّى حسان لأنثمة الكفر فقد هجا في قصيدة ملتهيه الوليد بن المغيرة فحل قريش يقول فيها:^٤

مَتَى تُنْسَبَ قَرِيشٌ أَوْ تُحْصَلْ، فَمَا لَكَ فِي أُرُومِهَا نِصَابُ
نَفْثَكَ بَنُو هُصَيْنٍ عَنْ أَبِيهَا، لِشَجْعٍ حَيْثُ تُسْتَرْقُ الْعِيَابُ
وَأَنْتَ، ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَبْدُ شَوْلٍ قَدْ ائْتَبَ حَبْلُ عَاتِقِكَ الْوِطَابُ
إِذَا عُدَّ الْأَطَايِبُ مِنْ قَرِيشٍ تَلَاقَتْ دُونَ نِسْبَتِكُمْ كِلَابُ

أو ما قاله في هجاء لأبي سفيان بن الحارث، يقول فيه:^٥

إِنَّ السَّنَامَ وَانْ طَالَتْ شَطِئْتُهُ يَسْتَعَادُ ذُرْوَتَهُ الْأَذْوَاءُ وَالْعَمَدُ
فَاللَّوْمُ فَيْكَ وَفِي سَمَاءٍ مَا بَقِيَتْ، وَفِي سُمَيَّةٍ حَتَّى يَنْقُذَ الْأَجْدُ
لَمْ يَكْتَفِ حَسَّانُ بِهِجَاءِ كِبَارِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ وَ الطَوَائِفِ الْأُخْرَى إِلَّا أَنَّهُ وَشَحَهُ
بِمَدْحِ كَرِيمٍ مُبَارِكٍ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَقَدْ أَكْثَرَ مِنْهُ، عَلِماً بِأَنَّ مَدْحَ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ
الْخَالِدَةِ جَدِيراً بِأَنْ يَكُونَ خِدْمَةً لِدِينِ اللَّهِ وَرِسَالَةً دَعْوَةٍ يَبْعَثُ بِهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَهُ قَلْبٌ
سَلِيمٌ، لِكَيْ يُبَصِّرَ السَّبِيلَ وَيَهْتَدِيَ إِلَى الْحَقِّ كَمَا اهْتَدَى هُوَ إِلَيْهِ؛ وَ مِنْ أَشْهُرِ قِصَائِهِ الَّتِي
مَدَحَ بِهَا الْمُصْطَفَى الْأَمِينُ (ﷺ)، وَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ هَاجِياً بِهَا أَبَا سُفْيَانَ مُتَوَعِّداً آيَا
بِجُنُودِ اللَّهِ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) (فيقول: ^٦

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءٍ مَنَزَلُهَا خَلَاءُ
دِيَارٍ مِنْ بَنَى الْحَشْحَاسِ قَفْرُ، تُعْقِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ...
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الْظِمَاءُ
تَظِلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّراتٍ، تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ
فَإِذَا تَعَرَّضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا، وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَالَا، فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ، يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ...
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي، فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَجَبٌ هَوَاءُ...
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا، فَأَجِبْتُ عَنْهُ، وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

أَتَهَجُّوهُ، وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ، فَشَرُّكُمْ لَخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتُ مُبَارَكًا، بَرًّا، حَنِيفًا، أَمِينَ اللَّهِ، شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَمَنْ يَهْجُوا رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ، وَيَمْدَحُهُ، وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ
فَأَنَّ أَبِي وَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ...

٢- كعب بن مالك: إسمه كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري وأُمُّه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بنى سَلَمَةَ أيضاً، ((كان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يَرُدُّونَ الأذى عنه، وكان مُجَوِّدًا مطبوعاً، قد غَلَبَ في الجاهليَّة عليه أمر الشعر، وعُرفَ به، ثمَّ أَسْلَمَ وشَهِدَ العَقَبَةَ، ولم يَشْهَدْ بدرًا، وشَهِدَ أُحُدًا والمشاهد كلها حاشا تبوك فإنه تخلَّف عنها))^٧.

كان كعب بن مالك ممَّن استغلَّ كلَّ طاقاته دفاعاً عن الإسلام والرسول، فلم يكتفِ أنَّه وقَّفَ شعره كلَّه لخدمة الإسلام ومصالح الدين، بل دافع عنه أيضاً بنفسه مُجاهداً في سبيلِ الله بسيفه أضافه الى لسانه، فقد امتاز بذلك عن حسان فإنه لم يضرب بسيفٍ ولم يطعن برمح ولم يشهد المعارك الا من جَنَّب.

أما كعب بن مالك فقد ((وَضَعَ نفسه ومَوَاهِبهُ الشعرية في جانب الدفاع عن شخصيَّة النبي ﷺ)) وعن حَوَازَةِ الدين، حينما كان من كبار شعراء الجاهليَّة قبل الإسلام، يستخدم مواهبه الكلامية في الأغراض النافهة، فلما إهتدى الى الإسلام أَسْلَمَ شعره معه، ووقَّف من خدمة الدعوة الإسلامية والثناء على ما حدث من التحوُّل الكبير في الحياة الانسانية بنعمة الإسلام، وتربية النبي - عليه الصلاة والسلام - موقفاً عظيماً، يشهدُ به شعره الاسلامي^٨.

و ممَّا يُعَيِّرُ شعره أنَّه كان عندما يَهْجُو قريشاً يُعَيِّرُهُم بالكُفر وبالصفات الأخلاقية الذميمة كالكَذِب وغيرها من مَساوِيء الأخلاق، ففي قصيدة له غَرَاء يُخاطب قريشاً فيَهْدِدُهُم بالمَصير المظلم الذي ينتظرهم إن لم يتصاعوا الى الحقِّ ثمَّ يُعَيِّرُهُم بالكفر والكذب في القول؛ ثمَّ يُخبرُهُم بأنَّ المسلمين يحاربون طاعةً لله ورسوله لا نزولاً على الشَّهَوَاتِ وَحُبِّ السُّلْطَانِ! يقول^٩:

أبلغ قريشاً وخير القولِ أصدقُهُ
و الصدقُ عند ذوى الأبواب مقبولُ
أن قد قتلنا بقتلنا سرائكُم
أهلَ اللواءِ ففهم يكثُر القيلُ
و يوم بدرٍ لقيناكم لنا مددُ
فيه مع النصرميكالُ وجبريلُ
إن تقتلونا فدينُ الحقِ فطرئنا
والقتلُ في الحقِ عند الله تفضيلُ...
و إن تروا أمرنا في رأيكم سفهاً
فرائي من خالفَ الإسلامَ تضليلُ
و لو هبطتم ببطن السيلِ كافَحكم
ضربُ بشاكلة البطحاء ترعيلُ
تلقاكم عُصَبٌ حول النبي لهم
مما يُعدون للهيجا سرايلُ...

بهذه الروح كان كعب بن مالك يُجاهد الأعداء و يدافع عن عقيدته التي ارتضاها لنفسه، وارتضاها له الله، حتى قضى شهيداً في سبيلِ الله في معركة حنين و بذلك قد وقى بما عاهد عليه الله و عاهد عليه رسوله، فطوبى له الشهادة.

٣ - عبد الله بن رَواحَةَ الأنصاري: هو عبد الله بن رَواحَةَ بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أيضاً من خيرة الشعراء الذين دافعوا بشعرهم عن الإسلام و عن رسول الله (ﷺ)، وقد كان هجاءه كالسُمِّ العضال يُنجعُ لمن اسودَّت قلوبهم و غُلِفت و غُشى على أبصارهم، لاسيما شعراءهم الكبار الذين كانوا يناضلون المسلمين و يعرضون لهم بأبشع الطرق و أنجعها من أساليب الكلام.

و يكفيني أن نعرفَ عنه أنه ((كان حاضر البديهة سريع القول للشعر، يقول هشام بن عروة عن أبيه عروة، قال سمعتُ أبي يقول: ما سمعتُ أحداً أجراً و لا أسرع شعراً من عبد الله بن رَواحَةَ، سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يقولُ له يوماً: قل شعراً تقتضيه الساعة، و أنا أنظرُ اليك فانبعثَ مكانه يقول:

إني تفرّشتُ فيك الخيرَ أعرفُهُ
و الله يعلمُ أن ما خائني البصرُ
أنتَ النبيُّ و من يُحرّم شفاعته
يومَ الحساب لقد أزرى به القدرُ
فثبتتُ الله ما آتاك من حسنٍ
تثبّيتَ موسى، و نصرٍ كالذي نُصروا

فقال رسول الله (ﷺ): و أنت فثبتتَ الله يا بن رَواحَةَ. قال هشام بن عروة: فثبتتَ الله

- عزَّ و جلَّ - أحسن الثبات فقتل شهيداً، و فتحت له الجنة فدخلها.)) ١٠



٤ - النابغة الجعدي: إختلف الباحثون من العلماء في حقيقة اسمه فقيل أنه عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة . وقيل : هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة . ((وأنفقت مصادر ترجمته أن كنيته (أبو ليلي) وأنه عُمِرَ طويلاً، فقد جاوز المائة سنة.))^{١١}

وأما عن سبب تلقيه بالنابغة فأيضاً هناك أقوال أشهرها: ((إنه ظلّ ثلاثين عاماً في الجاهلية لا ينطق الشعر ثم تفجّر على لسانه، فسُمّيَ النابغة لنبوغه فيه بأخوة.))^{١٢} وأما عن إسلامه فقد أسلم مع وفد قومه بنى جعدة وذلك سنة تسع للهجرة، فأنشد الرسول قصيدة منها هذه الأبيات التي تعبّر بحق عن موقفه الراسخ تجاه الإسلام ورسوله الكريم:

يقول: ^{١٣}

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَسِيرًا
وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أَحْسُ وَمَنْ مَعِيَ سُهَيْلاً إِذَا مَا لَاحَ ثَمَّتْ غَوْرًا
أَقِيمُ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفَعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَوْجَرًا
فهذه الطرائف من الأبيات تعكس لنا كل ما يختلج من أفكار وعقائد في قلب النابغة، بعثته على إنشاد هذه الأبيات ونظائرها وأقامته على الدفاع عن موقفه والتمسك به، حتى صيرته في كوكبة شعراء الرسول وشعراء الإسلام الأوائل.

٥ - كعب بن زهير: أبوه زهير بن أبي سلمى المُرَني من فحول شعراء الجاهلية، وقد لقّب بالشاعر الحكيم، وقد اضطلع طريقة في الشعر تُسمّى (الشعر المُحَكَّك) أي المُنقَّح تنقيحاً تدريجياً على مراحل. وقد ربّى زهير ولديه كعباً وبُجَيْراً وتلميذه الحطيئة على هذا المنهج الشعري.

وقد رَوَتْ لنا الكتب الأدبية والتاريخية أن زهيراً قد بشر ولديه اثر منام له فقال لهما: «إني لا أشك أني كائن من خبر السماء بعدى شيء، فإن كان فتمسكوا به و سارعوا اليه.»^{١٤}

فلما بعث النبي خرج بُجَيْرُ إلى رسول الله فسبق كعباً في الإسلام . عندما سمع كعب بأن

أخاه بجيراً قد صَبَأَ؛ فأرسل إليه بشعرٍ يستنكرُ فيه ما فَعَلَ بجيرٌ ويهجو فيه رسول الله (ﷺ) فعندما بلغ الرسول شعره أهدر دمه، إلّا أن الأخ الطيّب بجير أرسل إليه شعراً بدافع الأخوة والأمل في هدايته يعرض في هذا الشعر على أخيه الإسلام ويحذّره من مَعْبَةِ الكفر والعصيان، يقول فيه: ^{١٥}

مَنْ مُبْلَغُ كَعْبٍ فَهَلْ لَكَ فِي التِّي تَلُومُ عَلَيْهَا بِاطْلَاءٍ وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ « لَا الْعُزَى وَلَا اللَّاتِ » وَحَدَهُ وَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُقْلِتٍ مِنَ النَّاسِ أَلَا طَاهِرَ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ
فوصل الشعر إلى كعبٍ وأثر كلام أخيه فيه ودخل الإيمان قلبه، فأتى متخفياً متليماً فدخل على رسول الله (ﷺ) فوضع يده في يد الرسول وقال: ((يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به؟ قال رسول الله (ﷺ): نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير)) ^{١٦} عند ذلك قام كعب بن زهير، فأنشده قصيدته المشهورة التي مطلعها: ^{١٧}

بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَّ مَكْبُولُ
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْكَرِيمَةِ:
إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورُ
فِي فِتْنَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِطَنْ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفُ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ وَلَا خَوْرٌ مَعَاذِلُ
أشار رسول الله إلى الحِلَقِ [المجتمعة في المسجد] أن يسمِعُوا شعرَ كعب بن زهير.

ألا تُفسِّرُ هذه القرائض من الأبيات من أولى قصائد هذا الشاعر العظيم بعد إسلامه؛ مواقفه التالية حول الدين الجديد الذي اهتدى إليه قلباً وعقلاً، فالذي يرى في رسول الله أنه سيفٌ من نور يهيبُ في الظلمات فيمحو دُجَاهَا. وإنَّ من يُحِيطُ به من فتية، آمنوا برسالته حقَّ الإيمان وهم مُتَأَهِّبُونَ للتضحية بالغالي والنَّفِيسِ في سبيل إعلاء شأن هذا الدين.

الفرقة الثانية وموقفهم المعارض للإسلام.

١ - أمية بن أبي الصلت: هو أمية ابن أبي الصلت العنزي الشقيبي الايادي، من كبار الشخصيات الأدبية والدينية في الجاهلية، وقد قيل عنه الكثير وحيكت حوله الأساطير، لكنّه ممّا لا شكّ فيه أنّه ((كان من رؤساء ثقيف وفصحاءهم)).^{١٨} فقد كان أمية بن أبي الصلت ((قد إطلع على الكتب القديمة، أى كتب الدين، الاسرائيليه منها والمسيحيه، القانونيه وأسفار الزور، فتتقّف بها، ودوّن ما عرفه من أخبارها بشعره، ذاكرًا أشهر حوادثها كالخلق، والطوفان، ومآتى ابراهيم، وقصّه لوط، وخراب سدوم، وبغثة موسى)).^{١٩} وبهذه الثقافات التي جمعها كان من أكثر الناس علماً ورعاً وزهداً ((فقد ليسّ المسوح تعبدًا وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحفيّة وحرم الخمر وشكّ في الأوثان وكان مُحَقِّقًا والتمسّ الدين وطمع في النبوة لأنّه قرأ في الكتب أنّ نبيًا يُبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له هذا الذي كنت تسترّيت وتقول فيه فحسده عدو الله وقال، أنما كنت أرجو أن أكونه فأنزل الله فيه عزّ وجلّ ((وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا)) (الأعراف / ١٧٥) فلم يؤمن برسول الله وهرب بيته الى أقصى اليمن، فمرض هناك ومات اثر ذلك وهو كافر، ما ذاق خلاوة الإيمان. ومما يظهر موقفه المعارض للإسلام تلك القصيدة الطويلة التي قالها في قتلى بدرٍ مُحَرِّضًا قريشاً ضدّ محمّد (ﷺ) وأتباعه والتي جاء في مطلعها:^{٢١}

ماذا ببدرٍ فالعققل
هلاّ بكيت على الكرام
من مرازبةٍ جاحج
بنى الكرام أولى الممارح

ومن أشعاره أيضاً:^{٢٢}

باتت هُمومى تسرى طوارقها
مما أتانى من اليقين ولم
أم من تلظى عليه واقدة النار
أم أسكن الجنة التي وعِد الأبرار
لا يستوى المنزلان ثم ولا الأعمال
لا يستوى طرائقها

هُمَا فَرِيقَانِ فِرْقَةٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ
وَفِرْقَةٌ مِنْهُمْ قَدْ أُدْخِلَتِ النَّارَ
تَعَاهَدَتِ هَذِهِ الْقُلُوبُ إِذَا
وَصَدَّهَا لِلشَّقَاءِ عَنْ طَلَبِ الْجَنَّةِ
عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فَعَاتَبَهَا
مَا رَغِبَ النَّفْسَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ
يُوشِكُ مَنْ قَسَرَ مِنْ مَنِيَّتِهِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ غِظَةً تَمُتُ هِرْمًا

٢ - عبد الله بن الزُّبَيْرِ: أَسْمُهُ الْكَامِلُ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ، كَانَ مِنْ أَلْدِّ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمِنْ أَشَدِّهِمْ هِجَاءً لِلرَّسُولِ (ﷺ) وَالْمُسْلِمِينَ. وَلَهُ قَصِيدَةٌ قَالَهَا فِي يَوْمِ أُحُدٍ مَطْلَعُهَا:

كُلُّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
وَقَدْ هَجَا الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ:

يَا غُرَابَ الْبَيْتِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ
وَفِي كُلِّ هِجَاءٍ رَدٌّ عَلَيْهِ حَسَنٌ أَوْ سَائِرُ شِعْرَاءِ الْإِسْلَامِ. مَهْمَا يَكُنْ؛ فَقَدْ أَسْلَمَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ظَاهِرَ الْأَمْرِ وَمَدَحَ النَّبِيَّ (ﷺ) وَاعْتَذَرَ مِنْهُ، مِنْ اعْتِذَارِيَّاتِهِ
الْمَشْهُورَةِ: ٢٤

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي
إِذَا جَارَى الشَّيْطَانُ فِي سُنَنِ الْغَيِّ.....
أَمِنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ بِمَا قُلْتُ.....
وَقَالَ:

مَنْعَ الرُّقَادِ بَلَابِلُ وَهُمُومُ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَا مَنِي
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلْتُ عَلَى أَوْصَالِهَا
وَاللَّيْلُ مُغْتَلِجُ الرُّوَاقِ بِهِمِ
فِيهِ قَسِيْتُ كَأَنِّي مَحْمُومُ
عِيرَانَةُ سُرْحِ الْيَدَيْنِ رَسُومُ

إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَيَّامَ تَأْمَرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ
فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَاهُمَا
وَعَلَيْكَ مِنْ أَثَرِ الْعَلِيكَ عِلَامَةٌ
مَضَتْ الْعِدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنِنَا وَحُلُومُ
أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ
سَهْمُ وَتَأْمَرُنِي بِهَا مَخْزُومُ
ذَنْبِي فَأَنْتَ رَاجِمُ مَرْحُومُ
نُورُ أَضَاءٍ وَخَاتَمُ مَخْتُومُ

٣- أبو سفيان بن الحارث: لم يصلنا الكثير عن حياة أبي سفيان بن الحارث لكننا نعلم أنه كان له شعر كثير في الجاهلية ((فَسَقَطَ وَلَمْ يَصِلْنَا مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ وَلَسْنَا نَعُدُّ مَا يَرُوى ابْنُ إِسْحَاقَ لَهُ وَلَا لغيره شعراً)).^{٢٥} أَلَا أَنَا نُوَقِّنُ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ هَجَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَانْتَصَرَ لِقُرَيْشٍ فَقَدْ ((جاء في الخبر: ... أَتَى حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ هَجَاكَ وَأَسْعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ نُوْقُلُ بْنُ الْحَارِثِ وَكَفَّارُ قُرَيْشٍ، أَقْتَاذُنُ لِي أَهْجُوهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِي؟ فَقَالَ: أَسَلُّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ، قَالَ لَهُ: أَهْجُوهُمْ وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَكَ...))^{٢٦}

وهذا أكبر دليل على موقفه المعادي للدين والرسول، لكنه أخيراً أسلم أيضاً على مضض وإجبار كما أجبر غيره على الإسلام وحتى أنه اعتذر إلى رسول الله بأبيات من الشعر يقول في إحدى هذه الاعتذاريات:^{٢٧}

لَعَمْرُكَ أَنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً
أَنَا الْمُدْلِجُ الْحَيْرَانُ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
هَدَانِي هَادٍ غَيْرَ نَفْسِي وَقَادَنِي
وَقَدْ أَنْكَرَ الرَّسُولُ (ﷺ)، عَلَيْهِ مَقُولَتُهُ الْآخِرَةُ.
لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
بَعِيداً أَرْجِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي
إِلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ

٤- كعب بن الأشرف: ومما لا شك فيه أن اليهود - منذ ظهور النبي بدعوته - ظلوا يُحْطِطُونَ وَيَحْكُمُونَ الدَّسَائِسَ وَالْفِتَنَ لِمَخَوِ هَذَا الدِّينِ خَشْيَةً ذَهَابِ سُلْطَانِهِمْ وَنُفُوزِهِمِ السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِسَادِيِّ. وقد عاهدوا قريشاً منذ البداية على إحباط دعوة محمد (ﷺ) وساعدوهم مادياً ومعنوياً وقد جندوا شعرائهم أيضاً لِمُسَانَدَةِ قُرَيْشٍ وَمُحَارَبَةِ الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ كِيداً مِنْهُمْ وَعِدَاءً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. ومن أبرز الشعراء الذين

قاموا بهذا الدور هو كعب بن الأشرف فعندما عَلِمَ بهزيمة قريش في بدر، أتى مكة يُحَرِّضُ قريشاً على الانتقام والأخذ بثأر قتلهم؛ فحذَّرهم من اتِّساع دعوة محمد (ﷺ) التي تُساوي اندثارهم قائلاً: ٢٨

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلَمِثْلِ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَتَدْمَعُ
قَتَلْتُ سُرَاةَ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاظِهِمْ لَا تَتَّبِعُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصَرَّعُ
نُسِيتُ أَنَّ الْحَارِثَ بَنَ هَشَائِهِمْ فِي النَّاسِ يَبْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَشْرَبُ بِالْجُمُوعِ وَأَنَا يَحْمِي عَلَى الْحَسَبِ الْكَرِيمِ الْأَرْوَغُ

الفرقة الثالثة و موقفهم المُحايد للإسلام.

١- ليبد بن ربيعة: اسمه ليبد بن ربيعة بن مالك العامريّ وكنيته أبو عقيل، عاش في قومه رفيع الجاه منعم البال في الجاهليّة مترفعاً عن التكسُّب بالشعر والحضور على أعتاب السلاطين، حتّى ظهر الإسلام فأسلم مع جَمْعٍ من قومه وقد دَخَلَ الإيمان قلبه. فعندما عاد إلى قومه بعد إسلامه ظلَّ ((يَذْكُرُ لَهُمُ التَّبْعُثُ وَالتُّشُورَ وَالجَنَّةَ وَالتَّارَ وَيَقْرَأُ لَهُمُ الْقُرْآنَ، وَ مَا زَالَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَطَّ عَمْرُ الْكُوفَةِ فَنَزَلَهَا وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ فِي صَدْرِ خِلَافِهِ مَعَاوِيَةَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ)) ٢٩

وعليّنا أن نذكرَ هنا نقطةً مهمّةٌ وهي أنّنا أمّا جَعَلْنَا لبيداً في زُمرَةِ شعراء الانحياز، لا لأنّه لم يَقُلْ الشعر بعد إسلامه بتاتاً كما يزعمُ البعضُ أنّه لم يقل بعد إسلامه إلّا بيتاً واحداً وهو: ٣٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِسْنِي أَجْلِي حَتَّى كَسَانِي مِنَ الْإِسْلَامِ سِرّاً
فَهَذَا الرَّأْيُ بَاطِلٌ وَالْدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ الْأَدَبِيَّةِ خَاصَّةً دِيوانه من أشعارٍ تَحْفَلُ بِالْمَعَانِي الدِّينِيَّةِ لَا تُشْكُّ أَنَّ قَالَهَا بَعْدَ إِسْلَامِهِ خَاصَّةً لَا مِثْلَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: ٣١
أَنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّنِي وَعَجَلٌ
أَحْمَدُ اللَّهَ فَلَا نِدْلَ لَهُ يَبْدِيهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ...

بل نقصدُ أنّه لم يستخدم شعره وكلّ طاقاته الشعريّة والأدبيّة دفاعاً عن الإسلام كما فَعَلَ غَيْرُهُ مِنْ شعراء عصره أمثال حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رِوَاحَةَ؛ ربّما دافَع

عن دينه بغير وسيله إلا أنه انحاز بشعره ولم يدافع به عن الدين لذا عُدَّ في عداد المحايدين من الشعراء في العصر الاسلامي.

فقريحه لبيد الشعرية لم تنضب بعد اسلامه بل ربما زادت طراوة وفاعليته في النفوس، فقد نراه اتخذ سبيلاً زهدياً في قصائده يعظ نفسه والناس ويحذرهم من الدنيا و مكارهها ومن الموت: ٣٢

مَنْ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأَيِّ أَوْلَعَا
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذُنُوبًا مُشْتَرَعَا وَقَدْ أَبَادَ إِرْمًا وَتُبَعَا

إذن فهو ما زال ذلك الشاعر الفحل من أصحاب المعلقات وصاحب القريحة الطرية و النفوذ الشعري، إلا أننا لا نراه يُشارك إخوانه الشعراء تلك المشاركة الشعرية في الدفاع الصارم عن الدين وعن شخص الرسول (ﷺ) وقد كانت الدعوة تمر في مراحل حرجية احتاجت فيها الى كل لسان مُصلحت أن يدافع عنها ويرد عنها هجاء المشركين، فهل ترى أن لبيداً قام يوماً - كما قام حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وغيرهم من شعراء الاسلام - فهجا مشركاً دفاعاً عن الاسلام أو دفاعاً عن الرسول (ﷺ)، لذا فهو لم يُشارك بشعره تلك المشاركة التي تُرجى من مثله وهو من فحول الشعراء ولسان من ألسنة العرب!

٢ - الحطية: هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، لُقِبَ بالحطية لقصره و ذمامته، أمه من الاماء تُسمى الضراء، أمه الأوس بن مالك العبسي ((ونشأ في حجره أوس بن مالك) مغموراً في نسبه. وجعله ذلك قلقاً مضطرباً منذ أخذ يحس الحياة من حوله. وزاد في اضطرابه وقلقه ضعف جسمه وقبح وجهه. إذ كانت تفتحمة العيون. ولم يكن فيه فضل شجاعه يستطيع أن يتلافى به هوان شأيه في عبس) على نحو ما صنع عنتره من قبله. و ثم نشأ يشعر بغير قليل من القنطرة، ولعل هذا هو السبب في غلبة الهجاء عليه)) ٣٣
وهو كما نعلم تلميذ زهير بن أبي سلمى، المطيع له والمتخذ طريقته في الشعر المحكك.

اذن فلم يكن العيب في شعره بل كان العيب في نفسيته وخلقه، مما جعل الأصمعي

يقول عنه:

«و ما تشاء أن تقول في شاعرٍ من عيبِ أَلَا وَجَدْتَهُ [فيه]، و قلَّما تَجِدُ ذلكَ في

شعره»^{٣٤}.

و معظم شعره قد قرضه في موضوعي المديح و الهجاء في جاهليته و إسلامه. لكنه لم يكن طبعاً من المُسارعين الى الاسلام و لم يكن ممَّن تَوَطَّدَ الايمانُ في قلبه و الشاهدُ على ذلكَ أنَّه كان من أوائل المرتدِّين في عهد أبي بكرٍ فهو القائل حينذاك: ^{٣٥}

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا فَيَا لِعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ
أَيُورِثُهَا بِكَراً إِذَا مَاتَ، بَعْدَهُ فَتِلْكَ، وَ بَيْتِ اللَّهِ، قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

أما المشهور به أنَّه من الشعراء الهجائيين و من أشهر من هجاهم الزُّبرقان بن بدر حيث

قال فيه: ^{٣٦}

دَحِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُعَيْيَها وَ اقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

و قد حبسه عمر كما نعرف إثر هذا الهجاء. لكننا حين نقرأ أشعاره المختلفة التي عرَّضَ فيها بالزُّبرقان بن بدر نجد أنَّه ((لا يُقْدِرُ في هجائه، إنَّما يَمَسُّه على نحو ما رأينا في بيته السالف برفقٍ، عامداً الى التَّهْكُمِ و السُّخْرِيَّةِ. و لا نَشْكُ في أَنَّ الإسلامَ خَفَّفَ من حِدَّةِ لسانه، و نراه يُصَرِّحُ بذلك فيقول: ^{٣٧}

و لَمَّا إِنْ مَدَحْتُ الْقَوْمَ قُلْتُمْ هَجَوْتُ وَ لَا يَجِلُّ لَكَ الْهَجَاءُ
أَلَمْ أَكُ مُسْلِماً فَيَكُونُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ الْمَوَدَّةُ وَ الْإِخَاءُ
و لَمْ أَشْتُمْ لَكُمْ حَسَباً وَلَكِنْ حَدَوْتُ بِحَيْثُ يُسْتَمَعُ الْحَدَاءُ

و أخيراً مع ما ذكره في أبياته من حُرْمَةِ الإسلام و التَّذَمُّمِ بها، فإنَّه لم يكن من المؤثِّرين فيه بشعره أو المُجاهدين فيه بأدبه و ردِّته أكبر شاهدٍ على ذلك؛ حيثُ لم يُسَلِّمِ مؤمناً بل أَسَلَّمَ مُجْبِراً، على ما لا تشتهيهِ نفسه و لا تبتغيهِ أهوائُهُ، لذا لم يهتمَّ بشأنِ هذا الدين و ما سيَحْضُلُ له، بل استمرَّ في غِيِّه و عبثه و هجاءه يَرِجُّ في جاهليته الأولى، فجاء شعرُهُ خالٍ من مواقف دُفاعِيَّةٍ تُشِيدُ بالدعوة أو تدعُمُها أو تُؤَيِّدُ مواقف رسول الله (ﷺ) أو تردُّ عنه أقوال المشركين؛ و هذا عُدَّةُ الحطيئة في زُمرة الشعراء المُحايدِين باليُسْبَةِ الى

الإسلام، أولئك الذين لم يَقْذِفُوا بَيِّنَاتٍ من الشعر في الدفاع عنه وعن حياضه.
النتيجة:

إنَّ تقسيم شعراء هذا العصر الى الأقسام الثلاثة التي ذكرناها، ليس تقسيماً مطلقاً أو عاماً؛ بل هو تقسيمٌ مبنئٌ على هذه النظرة الخاصة الى شعراء هذا العصر وهي مَدَى تَحُمُّسِهِم للدين الجديد ومسارعتهم في الدخول تحت رايته والأهم من ذلك - وهو أَسُّ تقسيمنا - مَدَى مشاركتهم شعرياً في الدفاع عن حياض الإسلام والردِّ على جاحديه و معانديه والسعى الى ترسيخ فكرة الاسلام الحنيف وفكرة الجهاد في سبيل إنجاح دعوته؛ على هذا الأساس هناك شعراء كان لهم حميم الإتصال بالدعوة فشاركوها جميع موافقها وعبروا عنها وشايعوها في أهدافها وآمالها وتطلعاتها منذ أوَّل بارقة لها.

فاستخدم هؤلاء الشعراء كلَّ أفانينهم الأدبيَّة وطاقتهم الشعريَّة والذهنيَّة في سبيل اجلاء معالم الشريعة الاسلاميَّة، فلم يَخَافُوا ولم يَهِنُوا ولم تجبرهم الضغوطات كُلُّها التي كانت تُمارَسُ عليهم من كلِّ الجوانب منها الاجتماعيَّة، تلك التي كانت على شاكلة أعرافٍ سائدة في المجتمع العربيِّ الجاهلي، أو تلك الضغوطات التي كانوا يُواجهونها على الصعيد العائلي، فقد أنشَقَّ هؤلاء على الأفكار التي كانت تحكُم عوائلهم، الأفكار التي كانت راسخة في أذهان آبائهم وإخوانهم، فحين ما انشَقَّ هؤلاء عن آبائهم وإخوانهم و قبائلهم، فقد أصبحوا جميعاً في عِداد أعدائهم، والشاعر الذي كان تغلَّب على هذه الضغوط جميعاً، فوقف راسخاً بوجه كلِّ هذه الأعراف والتقاليد الزائفة، مدافعاً عن عقيدته وإيمانه الجديد، فهذا هو الشاعر المدافع عن الاسلام الذابُّ عنه.

و هناك أيضاً من لم تكن لديه الرَّغبة التامَّة في المسارعة الى هذا الدين، واستخدام أفكته ما لديه من سلاح وهو «الشعر» للدفاع به عنه.

و هناك مَنْ؛ ربَّما أسلمَ بحقِّ وآمَنَ باعتقاد، إلَّا أنَّه رأى أنَّ الشعرَ ليس الطريقَ الأمثل في خدمة الإسلام و هناك طرائقُ أخرى يستطيع المرءُ أن يستخدمها في الدفاع عن عقيدته، وهي على أيِّ حالٍ لا تشمل الشعر أبداً...

كلا الفريقين في تقسيمنا المذكور آنفاً هم في زُمرة الشعراء المحايدين، الذين بخلوا

بشعرهم و مواهبهم الأدبيّة على الإسلام.
و غيرهم ممّن عادى الإسلام و الرسول (ﷺ) جهرةً فهؤلاء أيضاً أمرهم معلوم،
فهم في زمرة الشعراء المعادين للإسلام حسب تقسيمنا المذكور.

المصادر:

- ١- ابن سلام الجُمحى: محمّد طبقات فحول الشعراء، ت: عمر فاروق الطَّبَّاع، دار الأرقم ابن أبى الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت * لبنان: ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.
- ٢- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم - الشعر والشعراء، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت * لبنان: ١٩٦٩ م.
- ٣- ابن كثير: أبو الفداء الحافظ. - البداية والنهاية، مكتبة المعارف * بيروت، مكتبة النصر * الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.
- ٤- ابن هشام: عبد الملك الحميرى. - السيرة النبويّة، ت: محيى الدين عبد الحميد، بيروت * لبنان: لا تا.
- ٥- الأصفهاني: أبو الفرج - الأغاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لا تا.
- ٦- الأعظمى الندوى: سعيد. شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق * سورية: ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.
- ٧- البستاني: فؤاد أفرام. - المجانى الحديثة، عن مجانى الأب شيخو، انتشارات ذوى القربى، الطبعة الرابعة، قم * إيران: ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.
- ٨- حسان بن ثابت الأنصارى - الديوان، ت: على العسيلي، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت * لبنان: ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م.
- ٩- ضيف، شوقي، تأريخ الأدب العربى، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة، القاهرة: ١٩٦٣ م.
- ١٠- كعب بن زهير، الديوان، جمعة: الامام أبى سعيد الحسن بن الحسين العسكري، ت: حنّا نصر الحيتى، دار الكتاب العربى، الطبعة الثانية، بيروت * لبنان: ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.
- ١١- مغنية، حبيب يوسف، الأدب العربى من ظهور الاسلام الى نهاية العصر الراشدى (١-٤٠ هـ)، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٠/ ١٤٢١ م.

الهوامش :

- ١ - مغنية، حبيب يوسف: الأدب العربي من ظهور الإسلام الى نهاية العصر الراشدي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ٢٧٤.
- ٢ - الأعظمي الندوي، سعيد: شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق - سورية: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٩٤.
- ٣ - الديوان، ت: علي العسيلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان: ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، صص ١٦٤ و ١٦٥.
- ٤ - المصدر نفسه، ص ٣٢.
- ٥ - حسان بن ثابت: الديوان، ت: علي العسيلي، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان: ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٤٨.
- ٦ - المصدر نفسه، صص ١١ و ١٢.
- ٧ - الأعظمي الندوي، سعيد: المصدر السابق، ص ٣٦.
- ٨ - المصدر نفسه، صص ١٣ و ١٤.
- ٩ - المصدر نفسه، ص ٤٥ و ٤٦.
- ١٠ - الأعظمي الندوي، سعيد: المصدر السابق، صص ٢٨٠ و ٢٨١.
- ١١ - النابغة الجعدي: الديوان، ت: واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان: ١٩٩٨ م، ص ٧.
- ١٢ - ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ج ٢ (العصر الإسلامي)، الطبعة السابعة، القاهرة: ١٩٦٣ م، ص ١٠٠.
- ١٣ - المصدر نفسه، ص ١٠١.
- ١٤ - الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ج ١٧، لا تا، ص ٨٥.
- ١٥ - الأعظمي الندوي، سعيد: المصدر السابق، ص ٣٧٩.
- ١٦ - المصدر نفسه، ص ٣٧٩.
- ١٧ - الديوان، ت: حنا نصر الحيتي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ص ١٩٩.
- ١٨ - البستاني، فؤاد أفرام: المجاني الحديثة * عن مجاني الأب شيخو، انتشارات ذوي القربى، ج ١، الطبعة الرابعة، قم - إيران: ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٣٥٩.
- ١٩ - المصدر نفسه.
- ٢٠ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٨٠.
- ٢١ - ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ت: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي

- الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: ١٤١٨ هـج / ١٩٩٧ م، ص ١٣٢.
- ٢٢ - ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت ومكتبة النصر-الرياض، ج ٢، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م، ص ٢٥٢. أيضاً: ابن سلام الجمحي: المصدر نفسه، ص ١٣٣. أيضاً: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، ج ٣، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان: ١٤١٨ هـج / ١٩٩٧ م، ١٨٠.
- ٢٣ - الأعظمي الندوي، سعيد: شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق - سورية: ١٤٢٢ هـج / ٢٠٠١ م، ص ٢٤.
- ٢٤ - ابن سلام الجمحي: المصدر السابق، صص ١٢٤ و ١٢٥.
- ٢٥ - المصدر نفسه، ص ١٢٦.
- ٢٦ - الأعظمي الندوي، سعيد: المصدر السابق، ص ٢٥.
- ٢٧ - المصدر السابق، ص ١٢٦ و ١٢٧.
- ٢٨ - ابن هشام، عبد الملك الحفيري: السيرة النبوية، ت: محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان: لا تا، ص ٤٣١.
- ٢٩ - ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ج ٢ (العصر الاسلامي)، الطبعة السابعة، القاهرة: ١٩٦٣ م، ص ٩٠.
- ٣٠ - ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١، بيروت - لبنان: ١٩٦٩ م، ص ٢٣٢.
- ٣١ - المصدر نفسه.
- ٣٢ - المصدر نفسه.
- ٣٣ - ضيف، شوقي: المصدر السابق، صص ٩٥ و ٩٦.
- ٣٤ - الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، ج ٢، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان: ١٤١٨ هـج / ١٩٩٧ م، ص ١٦٣.
- ٣٥ - المصدر السابق، ص ٩٦.
- ٣٦ - ضيف، شوقي: المصدر السابق، ص ٩٧.
- ٣٧ - المصدر نفسه، ص ٩٨.

عنصر الحظ في الأدب

الدكتور محسن راثي
كلية الآداب - جامعة الشهيد بهشتي

إذا ما رجعنا إلى أدبنا وآثارنا الأدبية وافكار عظماء شعرائنا نجد في الوقت الذي كانوا فيه قد ادركوا الحقائق وعرفوا الحكم وحملوا أفكاراً لطيفة، فقد ظهرت عليهم حالات برزت منهم فيها آراء فكرية عجيبة، فمثلاً نجد أنهم قد أولوا عناية كبيرة «للحظ»، وقالوا: «نَمْ أَنْتَ وَلَيْكُنْ حَظُّكَ يَقْظاً»

نعم إنهم إذا سمعوا باسم الحظ، فقدت الأمور الأخرى قيمتها لديهم. العلم والعقل والجذ والسعي والاجتهاد، والفن والهندسة وقوة التفكير والإبداع والفن، كلها لا شيء في نظرهم. وينادون بأعلى اصواتهم: الحظ هو الذي يُحقّقُ الآمال ولا شأن للعقل في ذلك اوفتاده است در جهان بسيار
بى تميز ارجمند وعاقل خوار
يعني:

علوم الكون أحوي في فزادي
رغيد العيش صدرأ للنوادي

ترى الدنيا تُعادي من يُنادي
غبي القوم يحيا مستقراً

وإذا حسن الحظ، فلا أثر للفن واللياقة والخبرة.

هنر بكار نياید چو بخت بد باشد
فلن ينفع الفن اذا كان الحظ سيئاً

اگر به هر سر مویت دوصد هنر باشد
لو كان لك في كل شعرة مئتا فن

وما قيمة السعي والاجتهاد، المهم هو الحظ:

از این بوالعجب تر حدیثی شنو که بی بخت، کوشش نیرزد دوجو
(اسمع من أبي العجائب هذا حديثاً فبغير الحظ لا يسوى الاجتهاد جتي شعير)
حسن الحظ هو المطلوب، قوة العצל لا تصنع شيئاً:

چه کند زورمند و ارون بخت بازوی بخت به از بازوی سخت
(ماذا يصنع القوي المقلوب الحظ فقوة الحظ خير من قوة العצל)
برنج بردن بیهوده کنج نتوان یافت که بخت راست فضیلت نه زور بازورا
(بالتعب الفارغ لا يعثر على كنز إذاً الفضل للحظ لا لقوة الساعد)
الکلام کله علی الحظ، ولكننا لو سألنا هؤلاء الفضلاء المبرزين أنفسهم، ما هو الحظ؟
عرفوه لنا، فلا بد أنکم تعرفونه ما دمتم لا تتعبون من ذكره، لما حاروا جواباً.

کس نتواند گرفت دامن دولت بزور کوشش بی فایده ست، و سه برابروی کور
بالعزم لا تُدرک ما تشتهي لكي تُرى بين البرايا اميرٌ

فسعیك الباطل سبه له وسمُ علی حاجب عین الضریر

وایضاً یقول

چه کند زورمند و ارون بخت بازوی بخت به که بازوی سخت
تخور القوی مع قلة الحظ فالفتي بطالع سعدٍ لا بقوة ساعدٍ
وایضاً:

اگر بهر سر مویت صد خرد باشد خرد بکار نیاید که بخت بد باشد
بزلّٰفك لوكل العلوم تعلقت لما زدت إفضالاً وحظّك نائمٌ
ومن ذلك:

هنرور چو بختش نباشد بکام بجایی رود کس ندانند نام^۱
العارف الفذّ اما الحظّ عاكسه فحيثما حلّ كم يُذكر لدى الناس
اهبتُ بالحظ لو ناديت مُستمعاً والحظّ عني بالجهال في شغلٍ
لعله إن بدا فضلي ونقصهم لعينه نام عنهم أو تنبّه لي

أصل ظهور فكرة الحظ*

نعم لقد عثروا على أثر غامض وموضع قدم خفيفة، فظهر عندهم الاعتقاد بالحظ، ترى ما الذي عثروا عليه؟ كانوا يعيشون في مجتمع أمضى أفرادهم أعمارهم يكدون ويكدحون، ولكنهم لم ينالوا غير الفاقة والحرمان، وفي الوقت نفسه كانوا يرون من لا يعمل شيئاً مرفهاً ومعزراً، ومن لا يعرف شيئاً عالمأً، ومن يتصف بالعقل ذليلاً. كل الذي رأوه هو أن ليس هناك تناسب بين الفن واللياقة والادراك من جهة، والحظ والحق والرخاء من جهة أخرى، لأن هذا هو ما رأوه في مجتمعهم، واتخذت هذه المشاهدات المنتزعة من مجتمعهم شيئاً فشيئاً صنيعة فلسفة باسم فلسفة الحظ، وأطلقوا اسم الحظ على كل هذه المظالم والتناقضات، بعلم أو بغير علم، ولكم أنحوا على هذه الفلسفة بالسب والشتم.

ان فكرة الحظ وفلسفتها لا أصل لها سوى الظلم والجور وانعدام العدالة الاجتماعية، ان الذي ألهم هذه الفكرة الشيطانية هو الهرج والمرج والظلم الاجتماعي.

اذا ما تجاوزنا ذلك المصدر: فلا يتبقى سوى مصدرين آخرين لذلك الإلهام. الأول هو الدين حيث أن الشعراء كانوا يستلهمون أحياناً الآيات القرآنية، وأحياناً الأحاديث النبوية وأحياناً أقوال الأئمة. لا نرى ذكراً للحظ. والمصدر الآخر هو العقل والعلم والفلسفة ان الكتب الفلسفية التي تذكر الحظ انما تذكره دائماً على أنه وهم من الأوهام.

اذن، فكرة الحظ هذه ذات القدرة الخارقة من أين جاءت، بحيث أصبح الانسان يتصور أن سلطة الحظ أعلى من كل عقل، وعلم، وعمل، وسعي، وفن، وصناعة، وقوة؟

ان الملهم الأول لهذه الفكرة الشيطانية ليس سوى انعدام التنظيم، والتباين الذي لا موجب له، واعطاء الأولويات لغير مستحقها، فعندما تتزلزل العدالة الاجتماعية، ولا يراعى لكل ذي حق حقه، بل يستعاض عن ذلك بالمحسوبية والمنسوبية والتخرب، يشتد ساعد أفكار كالحظ وأمثاله ويتسع نفوذها، وذلك لأن معنى الحظ هو ألا يكون شيء شرطاً لحصول شيء آخر.

ما أوسع الفرق بين أن يقول المرء بوجود أثر للسعي والاجتهاد، وان (ليس للانسان إلا ما سعى) وذلك الذي يقول: كل سعيك جاء منثور، وأن ليس ثمة شيء شرط لشيء آخر!

ما أعظم الفرق بين الاعتقاد بـ (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) والاعتقاد بالحظ! هذا مثال واحد.

سوء الظن بالزمان

نلاحظ في آثارنا الأدبية مقولة تحت عنوان الشكوى من الزمان، وكس من السب واللعن يصبونه عليه، والصفات التي ينسبونها إليه، كالغدار والظالم والخون وكل صفة أخرى تحكي الجور والجفوة والغدر والمكر والخداع، يلصقون كل ذلك بالزمان، حتى بلغ بهم الأمر أنهم زعموا أن الزمان يحقد على الطيبين من الناس ويحمل لهم العداة والضغينة. وهذا الزمان الذي يناصبهم العداة ليس زمان الأفلاك ودوران الأرض، بل انه زمان القائل نفسه، أي أنه محيطه الاجتماعي، البيئة التي تحيط به، لا الزمن الكبير. انها أقوال تعكس حالات قائلها النفسية الخاصة. بل ان هذه الأقوال التي يرددها الشاعر لا تحكي مشاعره الخاصة فحسب، وانما هي لسان حال مجتمعه وعصره. اذا ما جال المرء ببصره حوله ولم ير غير الظلم والغدر دون أن يعرف السبب، أو اذا عرفه لا يستطيع الجهر به، عندئذ يفرغ ما في نفسه من الحقد على الزمان ودوران الفلك المعاكسة لآماله.

ثم ينتج عن كل ذلك نوع من سوء الظن بجهاز الخليفة، ثم يقوى سوء الظن هذا، بحيث يرى أن بنية الدنيا قد ركبت على ظلم الطيبين، وعلى نوع من عداة وحقد قديمين يكنها الزمان للاخيار، لاشك أن هذا عمل الناس على أن يسيئوا الظن بالزمان، وبالخلق بل وببدء الكائنات، وفي هذا يقول ابن الراوندي:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا

على كل حال، فان اضطراب التعادل الاجتماعي والتمايز بين الناس يورث الاضطراب الفكري والاعتقاد بسيادة الفوضى وبلا جدوى العوامل الواقعية للسعادة، كالعلم والتقوى والسعي والعمل والفن واللياقة، الأمر الذي ابتدع ما يسمى بفلسفة الحظ، وهي ما نرى آثارها في آدابنا، كما أن تلك الحالات والظروف تؤدي إلى سوء الظن

بالخليفة وبمبدأ التكوين المقدس، وهذا يكون بتأثير انعدام العدالة في العقيدة والفكر.

عَيْبِكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ

وكانت سعادته تُضرب بها الأمثال، وكثرة أمواله التي لم يَجتمع لقارون مثلها. قال أبو حيان: فكان الناس يعجبون من ذلك، حتى أن جماعةً من شيوخ بغداد كانوا يقولون: إنَّ ابنَ الجصاص أعقلُ الناس، وأحزمُ الناس، وأنه هو الذي ألهم المالَ بين المعتضدِ وبين خمارويه بن أحمد بن طولون، وسَفَرَ بينهما سفارةٌ عجيبة، وبلغ من الجهتين أحسنَ مبلغ؛ وخطبَ قَطْرَ الندى بنتَ خمارويه للمعتضد، وجهازها من مصرَ على أجملٍ وجد وأعلى ترتيب، ولكنه كان يقصد أن يتغافل ويتجاهل ويُظهر البُله والنقص، يستبقى بذلك ماله، ويحرس به نعمته، ويدفع عنه من الكمال، وحسد الأعداء.^٢

قال أبو حيان: قلتُ لأبي غسانَ البصري: أظنُّ ما قاله هؤلاء صحيحاً، فإنَّ المعتضدَ مع حَزَمه وعقله وكماله وإصابةِ رايه ما اختاره للسِّفارة والصِّلح إلا والمرجُو منه فيما يأتيه ويستقبله من أيامه نظير ما قد شُهد منه فيما ماضى من زمانه؛ وهل كان يجوز أن يصلح أمرٌ قد تفاقم فسادُه وتعاضَّم واشتدَّ برسالةِ أحقِّ، ويدبُّ عن عرض المتلطِّخ، ويقرب الصوابَ بمنطقه، والصحةَ برأيه، والنجاحَ بسعيه، والجِدَ يستخدم العقلاء لصاحبه، يستعمل آراءهم وأفكارهم في مطالبه، وابنُ الجصاص على ما قيل وروى وحدث وحكى، ولكن جدّه كفاه غائلة الحمق وحماه عواقبُ الخرق، ولو عرفت خبط العاقل وتعسّفه وسوء تأتيه وانقطاعه إذا فارقه الجدُّ، لعلمت أن الجاهلَ قد يصيب لجهله ما لا يُصيب العالمَ بعلمه مع جرمانه.

قال أبو حيان: فقلت له: فما الجدُّ؟ وما هذا المعنى الذي علّقت عليه هذه الأحكامُ كلها؟ فقال: ليس لي عنه عبارة معيّنة، ولكن لي به علمٌ شافٍ، استفدته بالاعتبار والتجربة والسماع العريض من الصّغير والكبير ولهذا سمع من امرأةٍ من الاعراب تُرَقِّص ابناً لها فتقول له: رزقك الله جداً يخدمك

احترام الحقوق وتحقير الدنيا

يتضح ما يوليه الدين الإسلامي من احترام ورعاية لحقوق الأفراد والمجتمع فيما بينهم بالرجوع إلى التشريعات الإسلامية في باب خيانة الأفراد وظلم بعضهم بعضاً، وبخصوص وظائف الحاكم وظلمه وعدله، وبشأن القضاء وواجبات القاضي وصعوبة اجرائها، وفيما يتعلق بالشهود، وغير ذلك. هنا قد يخطر بالبال تساؤل اعتراضى مفاده كيف يحمل الإسلام هذا القدر من الاحترام للحقوق الاجتماعية، في حين أن المعروف عن الإسلام أنه يحتقر الحياة الدنيا؟ ان حقوق البشر فيما بينهم تتعلق بهذه الحياة الدنيا، وتمنع الفرد من أن يتجاوز على حقوق الفرد الآخر فاذا كان شيء ما زهيداً في نظر شخص ما، فإن ما يتعلق بذلك الشيء يكون زهيداً أيضاً. وعليه اذا كانت الدنيا نفسها والحياة في هذه الدنيا حقيرة في نظر الإسلام ولا تستوجب الاحترام، فلا بد أن تكون حقوق الأفراد التي تتعلق بهذه الدنيا المحترمة، محتقرة أيضاً ولا تستوجب الاحترام.

القيمة الذاتية والقيمة النسبية

للإجابة على هذا التساؤل ينبغي أن نعرف أولاً معنى تفاهة الدنيا في نظر الدين، إذ أن الإبهام الذي يكتنف هذه الأمور يؤدي إلى الكثير من الشبهات والتساؤلات المشابهة. اذا نظرنا إلى قيمة شيء بحد ذاته لكان لكل شيء قيمته، أي أن لكل شيء قيمته الذاتية. لأن لكل شيء مكانته في الوجود. وأن مجرد كون الشيء موجوداً يعطيه قيمة ما.

وعلى حد تعبير الفلاسفة، فإن الوجود يساوي الخير. ولكن اذا نظر إلى الشيء لا من حيث قيمته الذاتية، بل من حيث علاقته بشيء آخر، ومن حيث تأثيره في وجود شيء آخر، فمن الممكن أن لا يكون للشيء قيمة بالنسبة لشيء آخر، فلا يكون له تأثير نافع أو مضر في الشيء الآخر، او قد يكون له تأثير سلبي أو ايجابي فيه. فاذا كان تأثيره ايجابياً قلنا ان هذا الشيء ذو قيمة بالنسبة للشيء الآخر - على نوعين: فمرة تؤخذ قيمة الشيء بمفرده بنظر الاعتبار، كأن نقول أن النقود ذات قيمة للإنسان. ومرة تقاس قيمة الشيء بالنسبة إلى شيء آخر بمقارنتها بقيمتها بالنسبة إلى شيء ثالث، كأن نتساءل عن قيمة

المال للإنسان بالقياس إلى قيمة الصحة، أو العلم، أو الأخلاق للإنسان. وقد نقول أن قيمة حفنة من الحصى، أو قيمة ذبابة أو بعوضة، عند الإنسان، لا تساوي شيئاً، لأن وجودها وعدم وجودها سيان عنده. ولا شك أن الحقوق التي تخص هذه الأشياء التي لا قيمة لها. أما المال فإنه ذا قيمة للإنسان لأنه يمكن أن يكون مفيداً له وحلاً لمشاكله. ولكن هذا المال نفسه، بالقياس إلى الصحة، أو الشرف، أو المنعة، يفقد قيمته ويصبح شيئاً لا قيمة له، ولا نقول تقل قيمته، بل يصبح لا قيمة له وليس معنى ذلك أنه إذا كان المال كثيراً أصبح من الممكن أن تقارنه بالشرف إذا كان قليلاً. لهذا إذا كان شخص ما يحب المال، ولكنه كان من ناحية أخرى شريفاً كريم النفس، فإنه يسعى نحو المال إلى الحد الذي تكون فيه شرافته وكرامته ومنزلته محفوظة، ولكن ما إن يتوجه بعض الحظ نحو كرامته أو شرفه بسبب المال، حتى يتنازل عن المال بصرف النظر عن مقداره، كثيراً كان أم قليلاً، بل حتى لو أعطوه كل أموال الدنيا فإنه لا يتقبله ثمناً لشرفه أو كرامته. فهذا شخص يرى أن للمال أو للمقام قيمته. ولكن ليس في مقابل الكرامة، إذ أنه عند ذاك يفقد قيمته، قليلاً كان أم كثيراً، بل إن كثيره أيضاً لا يساوي قليلاً.

يصف علي (ع) حالته النفسية والروحية هكذا:

(والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته).

أي أن الدنيا كلها لا قيمة لها إذا كان في قبالتها أن اظلم نملة بسلبها قشرة شعيرة ليس في هذا تقليل من قيمة الدنيا وما فيها، بل فيه رفع لقيمة الحق والعدل، فهو لم يرد أن يقول أنه لا يرضى بالدنيا وما فيها لأنها ضئيلة أو لا قيمة لها، بل أراد أن يقول أن الظلم من الكبر بحيث أن أصغر الظلم، وهو سلب نملة قشرة شعيرة، لا يعدل قيمة الدنيا وما فيها^٣.

يقول سعدى في هذا المعنى:

دنسيا نيرزد آن كه پريشن كني دلي زنهارد بدمكن كه نكرده است عاقلي
(لا تسوى الدنيا أن تسبب الاضطراب لقلب فاحذر ولا تقترب سوء فما فعله عاقل)
وسعدى أيضاً لا يريد أن يقول أنه قيمة الدنيا من القلة بحيث أنها لا تسوى أن يقبلها

المرء ثمناً للقيام حتى يعمل تافه مثل القاء الاضطراب في قلب ما، بل يقصد إلى القول بأن القاء الاضطراب في قلب ما من الأهمية بحيث أن الدنيا لا قيمة لها بازاء ذلك. وهذا تقويم بالمقايسة، وهو التقويم النسبي. فالدنيا التي لا قيمة لها في نظر الدين، انما تعني تقويم المقايسة، أي أن الدنيا لا تسوي أن يقوم المرء في سبيلها بالتخلي عن القيم الأخلاقية والاجتماعية وعن معنى الانسانية والرفعة، أو أن يكذب، أو يخون، أو يخلف عهداً، أو يظلم أو يدوس على حقوق الآخرين. لا تستأهل مطالع الدنيا ومنافعها أن تغلق القلوب، أو حتى أن يداس حق نملة.

المنطق الانساني الرفيع

هذا المنطق منطق جيد رفيع. ان من الخطأ القول أن الدين يرى أن الدنيا لا تسوي حتى كذبة واحدة ولا خيانة، ولا ظلماً. أن التفسير الصحيح لذلك هو أن الدين يرى أن العقائد والحقوق والأخلاق والإيمان على قدر من الأهمية والتقدير بحيث أنه يقول: ينبغي في سبيل هذه التخلي عن الدنيا وما فيها. وهذا هو الحق اذ أننا لو أدركنا معنى الإنسان والانسانية والقيم المعنوية لما قلنا غير هذا. فالإنسان في كل أنحاء الدنيا، وحتى الإنسان المادي، لابد أن يقر بالقواعد والأصول والحقوق وأن يحترمها، ولا يسعه إلا أن يستصغر المطامح والمنافع المادية بازاء العقيدة والسلوك والحقوق. هذا المعنى يعبر عنه بلغة الدين الخاصة بكون الدنيا لا قيمة لها ولا هي جديرة بالاهتمام. ان المباني الدينية هي وحدها التي تستطيع أن تكلم الانسان بهذا المنطق، وأن تقنعه بأن العقيدة والأخلاق والقواعد والحقوق فوق المنافع الدنيوية. ولو جردنا الإنسان من المباني الدينية فلن يبقى أساس للقول بأن الانسانية أعلى مرتبة من المنافع. ولو أخذنا الدنيا بحد ذاتها بنظر الاعتبار، بصرف النظر عما اذا كنا نريد في سبيلها أن نرتكب اثماً، أو أن نخالف قاعدة، أو أن نضيع حقاً، فإن الدنيا تكون من هذه الناحية، ذات قيمة كثيرة لنا. ولكن النبي الأكرم عليه السلام يصف الدنيا بقوله:

(الدنيا مزرعة الآخرة) ويصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله).

فهذا مكان لا يمكن القول بأنه مكان لا فائدة له ولا قيمة.

ان الدين بمنطقة الرفع هذا، لا يبخص الدنيا حقها من حيث ما هي، ومن حيث ما يفهمها الجميع: بل يعرف الناس بالقيم المعنوية وبالتقوى والفضيلة، وبالحقوق الاجتماعية التي قلما يدركها الناس، وبين مالها من قيمة: اذن فالقول بأن الدنيا لا قيمة لها أمر اعتباري نسبي، وهذا لا يتنافى واحترام الحقوق المتعلقة بالحياة الدنيا، بل هو احترام هذه الحقوق ذاتها. ان احترام الإسلام الكبير لهذه الحقوق دليل على أن القول بأن الدنيا لا قيمة لها انما هو من باب المقارنة. هذا أولاً.

المنطق الاجتماعي

ثانياً، في الإجابة على ذلك السؤال أقول: ألا يريد الإسلام بقاء المجتمع الإنساني؟ لاشك أنه يريد ذلك. فاذا كان الأمر كذلك. فهل يمكن ذلك بدون أن تدور عجلة هذا المجتمع على محور العدالة والحفاظ على حقوق الناس فيه؟ أولم يقل الرسول عليه السلام نفسه: (الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم) أي ان مجتمعاً يسوده العدل والاعتدال يمكن أن يبقى حتى وان كان افراده من الكفار، ولكن اذا ساد هذا المجتمع الظلم وهدر الحقوق والاجحاف بسبب التمايز والمنسوية والمحسوية، فانه لم يدون ولا يكون له بقاء، وان يكن افراده من المسلمين ان في القرآن كثيراً من الآيات التي تقول أن سبب هلاك الأقوام الفلانية هو ظلمهم. يقول: (ما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) يرى المفسرون أن المقصود بالظلم هنا هو الشرك، لأن الشرك نوع من الظلم (إن الشرك لظلم عظيم) أي أن الله لا يهلك الناس بسبب الكفر والشرك، اذا كانوا هم من حيث العلاقات والحقوق الاجتماعية أناساً عادلين.

أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمُنْخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا؛ أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمَّهَا! أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا ام هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ!

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا

ودارُ موعظةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا. مسجدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ ومُصَلَّى ملائكةِ اللَّهِ، ومهبطُ وَحيِ اللَّهِ، ومتجرُ أولياءِ اللَّهِ اكتسبوا فيها الرَّحمةَ وربحوا فيها الجَنَّةَ فمن ذَا يَذُمُّهَا، وقد آذَنَتْ بَيْنَمَا، ونَادَتْ بفراقِها ونَغَتْ نفسها وأهلها فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِلَاثِهَا البلاءَ، وسَوَّقَتْهُمْ بِسُرورها إلى السُّرورِ!

نهج البلاغة حكمت ١٢٧

الدنيا دارُ التَّأديبِ والتَّعْرِيفِ، الهِي بِمَكْرُوهِهَا توَصَّلَ إلى محبوبِ الآخرةِ ومضمارِ الأعمالِ، السابقةُ بِأَصْحَابِهَا إلى الجنانِ، ودرجةُ الفوزِ التي يرتقى عليها المتقون إلى دارِ الْخُلْدِ، وهي الواعظةُ لِمَنْ عَقَلَ، والناصحةُ لِمَنْ قَبَلَ، وبِإِسْطِ الْمَهَلِّ، وميدانِ العملِ، وقاصِمةُ الْجَبَّارِينَ، وملحقةُ الرِّغْمِ مَعَاطِيسُ الْمُتَكَبِّرِينَ، وكاسيةُ التُّرَابِ أَبْدَانُ الْمُخْتَالِينَ، وصارعةُ الْمُغْتَرِّينَ، ومفرقةُ أَمْوَالِ الْبَاخِلِينَ، وقاتلةُ الْقَاتِلِينَ، والعادلةُ بِالموتِ على جميعِ الْعَالَمِينَ، وناصرةُ الْمُؤْمِنِينَ، ومُبِيرَةُ الْكَافِرِينَ. الحَسَنَاتُ فِيهَا مُضَاعَفَةٌ وَالسَّيِّئَاتُ بِآلَامِهَا مَمْحُوءَةٌ، ومع عسرِهَا يُسْرَانِ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ ضَمَّنَ أَرْزَاقَ أَهْلِهَا، وَأَقْسَمَ مِنْ كِتَابِهِ بِمَا فِيهَا، وَرَبُّ طَيِّبَةٍ مِنْ نَعِيمِهَا قَدْ حَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا فَتَلَقَّتْهَا أَيْدِي الْكُتُبِ وَوَجَّعَتْ بِهَا الْجَنَّةُ؛ وَكَمْ نَايِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِهَا، وَحَادِثَةٌ مِنْ حَوَادِثِهَا، قَدْ رَاضِيَتْ الْقُفُومَ، وَتَبَهَّتِ الْفِطْنَةُ، أَذْكَتِ الْقَرِيحَةَ، وَأَفَادَتْ فَضِيلَةَ الصَّبْرِ، وَكَثَّرَتْ ذَخَائِرَ الْإِجْرِ. وَمِنْ الْكَلَامِ الْمُنْسُوبِ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يُلَاقُ الْمَرْءُ عَلَى حَبِّ أُمِّهِ، أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ الْجَمِيرِيُّ فَقَالَ:

وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لَغَيْرِهَا وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فَهُوَ شَيْءٌ مُحِبَّبٌ

وَمِنْ شَرَائِطِ الْإِيمَانِ وَخِصَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَخِصَالِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا رَغِبَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى» وَقَالَ: «بَلْ تُوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» وَآيَاتُ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ فِي التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَطْبُوعٌ عَلَى أَنْ لَا يَتْرَكَ النِّفْعَ الْحَاضِرَ الْعَاجِلَ وَيَزْهَدَ فِيهِ وَيَطْلُبُ الْغَائِبَ الْآجِلَ وَيَرْغَبُ فِيهِ، إِلَّا بَعْدَ مَا يَتَبَيَّنُ لَهُ فَضْلُ الْآجِلِ عَلَى الْعَاجِلِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحُكَمَاءَ وَالْأَنْبِيَاءَ إِنَّمَا زَهَدُوا فِي الدُّنْيَا وَتَرَكُوا عَاجِلَ شَهَوَاتِهَا وَرَغَبُوا فِي الْآخِرَةِ وَطَلَبُوا أَجَلَ نَعِيمِهَا، لَمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ حَقِيقَةُ الْآخِرَةِ، وَعَرَفُوا فَضْلَ نَعِيمِهَا

على نعيم الدنيا، وشاهدوها بعيون قلوبهم ونور عقولهم كما شاهد أبناء الدنيا أمورها بحواسهم.

واعلم أن الطريق إلى معرفة حقيقة الآخرة، ومشاهدة أحوالها، بالاعتبار والتفكير في أمور الدنيا، والمقايضة بينها وبين أمور الآخرة بالعقول السليمة من الآراء الفاسدة، والنفوس الصافية من الأخلاق الرديئة ونتائج المقدمات الصحيحة الضرورية بيان ذلك أن العاقل اللبيب. إذا فكر في قول الجمهور من الناس، وتسميتهم هذه الدار التي نشأوا فيها بأسم الدنيا. وذمهم نعيمها. يدلُّ على الدار الآخرة وشرفها. لأن لفظة الدنيا تدلُّ على الأخرى كما أن لفظة الأخرى تدلُّ على الأولى لأنهما من جنس المضاف.

ومن وجه آخر إذا اعتبرت أحوال الناس في الدنيا وجدتهم كلهم طائفتين: أخياراً أو أشراراً. فأما الأخيار فهم الذين يعملون من أعمال ما رُسهم لهم في النواميس الإلهية، ويفعلون ما أوجبته العقول السليمة، ولا يطلبون على ذلك عوضاً من جر منفعة إلى أجسادهم أو دفع مضرة عنها. فعند ذلك يقال إنهم أخيار على الإطلاق، وإنهم من أبناء الآخرة. وأما الذين يطلبون العوض فيما يعملون من الخير والشر، من جرّ المنفعة إلى أنفسهم، أو دفع المضرة عنها، ولا يفكرون في المعاد ولا يرجون في الآخرة الغير، ولا يخافون العقاب، ولا يهتمُّهم أمر النفس ولا النظر في حالها بعد الموت، فيقال عند ذلك إنهم أشرار وإنهم من أبناء الدنيا^٥.

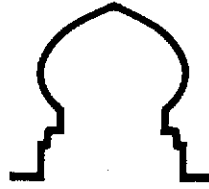


المراجع والمصادر

- ١- رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا الجزء الرابع باعداد وتحقيق الدكتور عارف تامر - بيروت ١٩٩٥.
- ٢- سعدي الشيرازي - الحديقة الباب الثالث - تهران بتحقيق استاذ غلام حسين اليوسفي.
- ٣- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.
- ٤- عشرين مقالة للاستاذ العلامة الشهيد مرتضى المطهري طبع صدرا.
- ٥- الغيث المسجم في شرح لامية العجم لمؤيد الدين اسماعيل الطفرائي الاصفهاني، صلاح الدين عبدالله الصفدي طبع بيروت.

الهوامش :

١. گلستان الباب الثالث.
٢. شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ٢٠٢.
٣. راجع الى مقالة الاستاذ العلامة الشهيد مرتضى المظهرى (عشرين مقالة)
٤. شرح نهج البلاغة ذيل الحكمة ١٢٧.
٥. الرسائل احوال الصفا وخلان الوفا الجزء رابع ص ٧٣ - ٧٤.



شخصية العدد

جابر بن حيان

(... - ٢٠٠ هـ)

قيس آل قيس

مدير تحرير المجلة ومدير قسم الادب العربي

جابر بن حيان بن عبد الله، أبو موسى الصوفي، وُلِدَ بمدينة طوس، وقيل بخراسان ببلاد فارس (إيران)^(١)، عاش في مدينة الكوفة من أرض العراق ونسب إليها. كان كيميائياً، فيلسوفاً، مشاركاً في العلوم الطبيعية والفلك والآداب، ومفخرة من مفاخر الشرق، حيث حَظِيَ بشُهرةٍ كبيرةٍ عند الإفرنج بما نقلوه من كتبه في بدءٍ يقطّتهم العلميّة.

قال المستشرق M. Berthelot: لجابر بن حيان ما لأرسطوطاليس قبله في المنطق، وهو أوّل من استخرج حامض الكبريتيك وسمّاه زيت الزّاج، وأوّل من اكتشف الصّودا الكاوية، وأوّل من استحضّر ماء الذهب، وينسبُ إليه مركباتٌ أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم. كما درس خصائص مركبات الزئبق واستحضرها.

وقال المستشرق G. Le bon: تتألف من كتب جابر بن حيان موسوعة علمية تحتوي على خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء عند العرب في عصره، وقد اشتملت كتبه على بيان مركبات كيميائية كانت مجهولةً قبله. وهو أوّل من وصف أعمال التقطير والتبليور والتذويب والتحويل... الخ.^(٢)

وقد رأيتُ في هامش الصفحة ٩١ من الجزء الثاني من كتاب الأعلام (الطبعة الثالثة) تعليقةً للاستاذ خير الدين الزركلي، مضمونها: «يظهر أن حياة جابر كانت غامضة في أوائل القرن الرابع للهجرة حتى انكر بعض الكتاب وجوده، وقال بعضهم: إن كانت له حقيقة فما صنف الا كتاب الرّحمة. وردّ عليهم ابن التّديم بأنّ الرّجل له حقيقة، وتصنيفاته أعظم وأكثّر. وقال: اختلف الناس في أمره، فقالت الشيعة، إنّه كان صاحب (الإمام) جعفر

الصادق عليه السلام، وقال غيرهم: كان في جملة البرامكة ومنقطعاً إلى جعفر بن يحيى البرمكي. قُلْتُ (والقول هنا للزركلي): نشأ عن القول بصحبته لجعفر الصادق عليه السلام الأخذ بما جاء في بعض المصادر من أنَّ جابراً توفي سنة ١٦١ هـ، لأنَّ وفاة جعفر الصادق عليه السلام كانت سنة ١٤٨ هـ وقد أخذت بهذا في الطبعة الأولى من الأعلام. ثُمَّ وجدتُ في كتاب الذريعة (إلى تصانيف الشيعة)، ج ٢، ص ٥٥ نصّاً جديداً له قيمته، وهو رواية أبي الربيع سليمان بن موسى بن أبي هشام، في صدر كتاب الرحمة لجابر، قال: «لَمَّا توفي جابر بطوس سنة المائتين من الهجرة وجد هذا الكتاب تحت رأسه». فهذه الرواية أفادتنا معرفة البلد والعام اللذين توفي بهما جابر، ورجحتُ القولُ بأنَّه كان من أصحاب جعفر بن يحيى البرمكي المتوفى سنة ١٨٧ هـ ويؤيد هذه الرواية ما في «نهاية الطلب» للجلدي، من أنَّ جابراً أدرك عصر المأمون».

وقال صاحب دائرة المعارف: «أما الكيمياء فإنَّ جابراً يخالف فيها كلَّ المعارف التي وصلت إلينا من كيمياء القدماء، وذلك أنَّه يَسْتَفْنِي على الإطلاق عن استعمال الرموز والتشبيهات «الهرمسيّة» التي ترجع في آخر أمرها إلى علوم المصريين القدماء والتي ترد في كتاب «زوسيموس» وغيره من مؤلفي اليونان، وهي الرموز والتشبيهات التي أحياها في الإسلام أصحاب الكيمياء أمثال الطفرائي والجلدي... أما كيمياء جابر فهو علم تجريبي قائم على نظرية فلسفية، وهذه النظرية الفلسفية مأخوذة في معظمها من طبيعيات أرسطو. فجابر يعرف كلَّ أجزاء الكتاب الأرسطيَّة وشروح الإسكندر الأفروديسي، وثامسطيوس، وسمبليقيوس، وبطليموس، وأرشميدس، وغيرهم.

وليس في تواليف المسلمين في الكيمياء كتب ككُتُب جابر تكشف عن هذه المعرفة الواسعة بتصانيف القدماء، أو تمتاز بهذه الإحاطة «الموسوعيّة».

وأساس علم جابر هو ما يطلق عليه اسم الميزان، ويشمل هذا المصطلح نواحي كثيرة هي أشد ما تكون اختلافاً، وهو يدل دلالة واضحة على التوفيق بين المذاهب المتباينة الذي يمتاز به علم جابر.

ويقول جابر إنَّه تلقى عُلُومَه من سيده جعفر الصادق عليه السلام ويردّها جميعاً إلى أستاذه

هذا الذي يسمّيه «معدن الحكمة» ويصرح بأنه لم يبقَ له - أي لجابر - إلا جمعها وترتيبها... ويذكر من بين معاصري جعفر الصادق عليه السلام خالداً ويحيى وجعفر من آل برمك الذين أهدى إليهم بعض رسائله، ثم آل يقطين من أعيان الشيعة الإمامية. وقد أثرت رسائل جابر في كيمياء العرب المتأخرة تأثيراً كبيراً، ذلك أن كتاب العرب المتأخرين جميعاً ينقلون عنه، وقد كتب كثير منهم شروحاً على رسائله، وترجمت كتب من مجموع تواليفه إلى اللاتينية^(٣)...

وقال صاحب تاريخ الحكماء: «كان متقدماً في العلوم الطبيعية، بارعاً في صناعة الكيمياء وله فيها تواليف كثيرة ومصنفات مشهورة، وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة، ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام كالচারث بن أسد المحاسبي (أبو عبد الله الصوفي المتوفى سنة ٢٤٣هـ)، وسهل بن عبد الله التستري (المتوفى سنة ٢٨٣هـ - انظر ترجمته في المجلد السابع رجال التصوف والعرفان من مؤلفنا هذا)، ونظرائهم.

وذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الأضرلابي الأندلسي أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً في عمل الاضرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير له».

وفاته:

اختلفت المصادر في تاريخ وفاته اختلافاً كبيراً، ولكن صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة أدرك الصواب وحسم الخلاف في النص الذي وجدته في صدر كتاب الرحمة لجابر، حيث جاء فيه: «لما توفي جابر بطوس سنة المائتين من الهجرة وجد هذا الكتاب تحت رأسه»^(٤). وقد استند بعض علماء الرجال على هذا القول ودوّنوا تاريخ ومحل وفاته كما ذكر أعلاه، منهم خير الدين الزركلي في الاعلام حين دوّن ترجمة جابر بن حيان (ج ٢، ص ٩٠).

مصنفاته:

له مصنفاتٌ عديدةٌ، قيل: عددها ٢٣٢ كتاباً، وقيل بلغت خمسمائة. ضاع أكثرها، وترجم بعض ما بقي منها إلى اللغات الأوروبية، ومما توصلنا إليه من كتبه:

١- مجموع رسائل، طبعت في ألف صفحة في استراسبورج سنة ١٥٣٠م وسنة ١٦٢٥م، وبمجلدين في القاهرة سنة ١٩٣٥م، وفي القاهرة أيضاً سنة ١٣٦٣هـ ق، بتصحيح المستشرق الألماني باول كراوس (Paul Kraus)، في ٥٥٩ صفحة، وفي بومباي سنة ١٨٩٣م.

٢- أسرار الكيمياء، جاء في اكتفاء القنوع - ص ٢١٤: «له مصنف في أسرار الكيمياء طبع سنة ١٦٨٨م في ليدن، وسمَّته المكتبة الخديوية في فهرستها: كشف الأسرار وهتك الأستار».

٣- كتاب أصول الكيمياء، طبع في باسل سنة ١٥٧٣م (اكتفاء القنوع - ص ٢١٤).

٤- كتاب المكتسب، له شرح بالفارسية دونه الجلدكي، ونُشر مع الشرح في بومباي سنة ١٣٠٧هـ ق، طباعة حجرية.

٥- كتاب كشف الأسرار وهتك الاستار، هو نفس كتابه المذكور في ٢ أعلاه.

٦- علم الهيئة، ذكره له الزركلي في الاعلام، ج ٢، ص ٩٠، وقال: مطبوع.

٧- كتاب أسرار البرانيات، ذكره له صاحب كشف الظنون، ج ١، ص ٨٣.

٨- روح الأرواح - في الإكسير، ذكره له المصدر أعلاه، ج ١، ص ٩١٤، وقال: «أولهُ:

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين... الخ».

٩- كتاب علل المعادن، ذكره له صاحب كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٦٠^(٥)، وقال:

«لأبي موسى جابر بن حيان الصوفي المتوفى سنة... أولهُ: الحمد لله الذي خلق الأشياء عن قُدرة... الخ».

١٠- كتاب العلم المخزون - في الصنعة، ذكره له المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٦١.

١١- كتاب الخالص في الكيمياء، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤١٥.

١٢- كتاب الخواص الكبير، ذكره له المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤١٦، وقال: «للشيخ جابر بن حيّان الصوفي، وهو في علم الكاف، احدى وسبعون مقالة، أوله: الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكريم... الخ، بحث فيه عن خواص الاشياء المتعلقة بالكاف»، وقال صاحب الاعلام، ج ٢، ص ٩٠: «المعروف بالمقالات الكبرى، والرسائل السبعين».

١٣- كتاب الرحمة - في الكيمياء، ذكره له المصدر المذكور أعلاه، ج ٢، ص ١٤١٩، وقال: «شرح فيه أصول الصنعة وأساسها (واسبابها) التي لا غناء للطالبين عنها»، والزركلي في الاعلام، ج ٢، ص ٩٠، وصاحب الذريعة، ج ٢، ص ٥٥.

١٤- كتاب السبعين في الصنعة، ذكره له المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٢٤، وانظر التسلسل ١٢ أعلاه.

١٥- كتاب الشعر، ذكره له صاحب كشف الظنون، ج ٢، ص ١٤٣٠، وقال: لجابر بن حيّان الفيلسوف الطوسي.

١٦- كتاب الصّافي من الخمسمائة، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٣٢، وقال: مختصر، أوله: الحمد لله المجازي بالإحسان المتفضل بالغفران... الخ.

١٧- كتاب العهد، ذكره له المصدر المذكور أعلاه، ج ٢، ص ١٤٤١، وقال: «لجابر بن حيّان، مختصر، أوله: هذا كتاب العهد اليكم يا بني الأكارم».

والظاهر أنّ ابن حيّان قد قلّد في كتابه هذا كتاب العهد لبقرات الذي وضعه للمتعلمين كي يقتدوا به وان لا يخالفوا ما شرطه عليهم فيه، وان يسعوا لنقل هذه الصناعة من الورثة الى الإذاعة والنشر.

١٨- كتاب القمر، في الصنعة، المصدر المذكور أعلاه، ج ٢، ص ١٤٥٠.

١٩- كتاب النخب، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٦٦.

٢٠- كتاب منافع الحجر بعد تمام تدبيره، ذكره له المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٣٥،

وقال: «وهو كتاب مختصر ذكر فيه اسراراً كثيرة من الصنعة».

٢١- كتاب مهج النفوس، ذكره له صاحب كشف الظنون، ج ٢، ص ١٩١١، وقال:

«للشيخ أبي موسى جابر بن حيّان (شيخ علماء الكيمياء)».

٢٢- كتاب نهاية الأدب، ذكره له المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٨٥.

كما ذكر له الاستاذ خير الدين الزركلي في الأعلام (ج ٢، ص ٩٠) إضافة الى ما تقدم المصنفات التالية:

٢٣- كتاب في السُّموم (خطي).

٢٤- تصحيحات كتب افلاطون (خطي).

٢٥- كتاب الخمائر (خطي) (٦).

٢٦- كتاب الرياض (خطي).

٢٧- كتاب صندوق الحكمة (خطي).

٢٨- كتاب الحكمة (خطي)، وهو في الكيمياء.

أما ابن التّديم فقد ذكر له إضافة الى ما مدوّن اعلاه المصنفات والرسائل التالية، وقال: ونحن نذكر جملاً من كتبه رأيناها، وشاهدها الثقات فذكروها لنا، فمن ذلك:

٢٩- كتاب اسطقس الأس الأوّل.

٣٠- كتاب اسطقس الأس الثاني.

٣١- كتاب الكمال.

٣٢- كتاب الواحد الكبير.

٣٣- كتاب الواحد الصغير.

٣٤- كتاب الركن.

٣٥- كتاب البيان.

٣٦- كتاب الترتيب.

٣٧- كتاب الثّور.

٣٨- كتاب الصُّبغ الأحمر.

٣٩- كتاب التدايير الرائية.



- ٤٠- كتاب يعرف بالثالث.
- ٤١- كتاب الرُّوح، نرجو ملاحظة الرقم ٨ فيما تقدم.
- ٤٢- كتاب الزُّبُق.
- ٤٣- كتاب الملاغم الجوانية.
- ٤٤- كتاب الملاغم البرانية.
- ٤٥- كتاب العمالقة الصغير.
- ٤٦- كتاب العمالقة الكبير.
- ٤٧- كتاب البحر الزّاهر.
- ٤٨- كتاب البيض.
- ٤٩- كتاب الدّم.
- ٥٠- كتاب الثّبات.
- ٥١- كتاب الاستفتاء.
- ٥٢- كتاب الحكمة المصونة، راجع الرقم ٢٨ فيما تقدم.
- ٥٣- كتاب التّوبيع.
- ٥٤- كتاب الأملاح.
- ٥٥- كتاب الأحجار.
- ٥٦- كتاب أبي قلمون.
- ٥٧- كتاب التدوير.
- ٥٨- كتاب الباهر.
- ٥٩- كتاب التكرير.
- ٦٠- كتاب الدُّرّة المكنونة.
- ٦١- كتاب البُدُوح^(٧).
- ٦٢- كتاب الحاوي.

- ٦٣- كتاب الشَّمْس، انظر الرقم ١٨ فيما تقدم.
- ٦٤- كتاب التركيب.
- ٦٥- كتاب الفقه.
- ٦٦- كتاب الحيوان.
- ٦٧- كتاب البول.
- ٦٨- كتاب التَّدابير، انظر الرقم ٣٩ فيما تقدم.
- ٦٩- كتاب الاسرار، انظر الرقم ٢ و ٥ و ٧ فيما تقدم.
- ٧٠- كتاب كيما (لعلها كيمياء) المعادن.
- ٧١- كتاب الكيفيّة.
- ٧٢- كتاب السَّماء، أوّلة، وثانية، وثالثة، ورابعة، وخامسة، وسادسة، وسابعة.
- ٧٣- كتاب الأرض، أوّلة، وثانية، وثالثة، ورابعة، وخامسة، وسادسة، وسابعة.
- ٧٤- كتاب المجردات.
- ٧٥- كتاب البيض، الثاني، انظر الرقم ٤٨ فيما تقدم.
- ٧٦- كتاب الحيوان، الثاني، انظر الرقم ٦٦ فيما تقدم.
- ٧٧- كتاب الأملاح، الثاني، انظر الرقم ٥٤ فيما تقدم.
- ٧٨- كتاب الباب الثاني.
- ٧٩- كتاب الأحجار، الثاني، انظر الرقم ٥٥ فيما تقدم.
- ٨٠- كتاب الكامل.
- ٨١- كتاب المَدخ (٨).
- ٨٢- كتاب فضلات الخمائر، انظر الرقم ٢٥ فيما تقدم.
- ٨٣- كتاب العنصر.
- ٨٤- كتاب الخواص. انظر الرقم ١٢ فيما تقدم.
- ٨٥- كتاب البُستاني.



- ٨٦- كتاب السيول.
- ٨٧- كتاب روحانية عطار.
- ٨٨- كتاب الإستتمام.
- ٨٩- كتاب الأنواع.
- ٩٠- كتاب البرهان.
- ٩١- كتاب الجواهر الكبير.
- ٩٢- كتاب الأصباغ، وانظر الرقم ٣٨ فيما تقدم.
- ٩٣- كتاب الرائحة الكبير.
- ٩٤- كتاب الرائحة اللطيف.
- ٩٥- كتاب المنى.
- ٩٦- كتاب الطين.
- ٩٧- كتاب المَلَح، (والمَلَح من الأحاديث ما لُذَّ واستُخْلِحَ منها).
- ٩٨- كتاب الحجر الحق الأعظم.
- ٩٩- كتاب الألبان.
- ١٠٠- كتاب الطبيعة.
- ١٠١- كتاب ما بعد الطبيعة.
- ١٠٢- كتاب التلميح.
- ١٠٣- كتاب الفاخر.
- ١٠٤- كتاب الصَّارِع.
- ١٠٥- كتاب الإفْرَنْد. (٩)
- ١٠٦- كتاب الصَّادِق.
- ١٠٧- كتاب الروضة.
- ١٠٨- كتاب الزاهر.

- ١٠٩- كتابُ التاج.
- ١١٠- كتابُ الخيال.
- ١١١- كتابُ مقدمة المعرفة.
- ١١٢- كتابُ مزارع الصناعة.
- ١١٣- كتابُ الى علي بن اسحاق البرمكي.
- ١١٤- كتابُ التصريف.
- ١١٥- كتابُ الهدى.
- ١١٦- كتابُ تليين الحجارة.
- ١١٧- كتابُ أغراض الصناعة.
- ١١٨- كتابُ الباهت.
- ١١٩- كتابُ عرض الاعراض. راجع الرقم ١٦٨ فيما يلي.
- ١٢٠- كتابُ اللاهوت.
- ١٢١- كتابُ الباب.
- ١٢٢- كتابُ الثلاثين كلمة.
- ١٢٣- كتابُ الصِّفَاتِ.
- ١٢٤- كتابُ العشرة.
- ١٢٥- كتابُ النعوت.
- ١٢٦- كتابُ العهد.
- ١٢٧- كتابُ السبعة.
- ١٢٨- كتابُ الحي.
- ١٢٩- كتابُ الحكومة.
- ١٣٠- كتابُ البلاغة.
- ١٣١- كتابُ المشاكلة.



- ١٣٢- كتابُ خمسةَ عَشَرَ.
- ١٣٣- كتابُ الكفوء.
- ١٣٤- كتابُ الإحاطة.
- ١٣٥- كتابُ الرّاوي.
- ١٣٦- كتابُ القُبّة.
- ١٣٧- كتابُ الضَّبِط.
- ١٣٨- كتابُ الأشجار.
- ١٣٩- كتابُ المواهب.
- ١٤٠- كتابُ المُخَنَّقَة.
- ١٤١- كتابُ الإكليل.
- ١٤٢- كتابُ الخلاص.
- ١٤٣- كتابُ الوجيه.
- ١٤٤- كتابُ الرّغْبَة.
- ١٤٥- كتابُ الخِلْقَة.
- ١٤٦- كتابُ الهيئَة.
- ١٤٧- كتابُ الرّوضَة.
- ١٤٨- كتابُ النَّاصِح.
- ١٤٩- كتابُ النّقْد.
- ١٥٠- كتابُ الطاهر.
- ١٥١- كتابُ ليلة.
- ١٥٢- كتابُ المنافع.
- ١٥٣- كتابُ اللّعيبة.
- ١٥٤- كتابُ المصادر.

- ١٥٥- كتابُ الجمعِ.
- ١٥٦- وله عشرة رسائل في الحجر لا أسماء لها.
- ١٥٧- وله عشرة رسائل في الثَّباتِ.
- ١٥٨- كتابُ التصحيحِ.
- ١٥٩- كتابُ المعنى.
- ١٦٠- كتابُ الإيضاحِ.
- ١٦١- كتابُ الهمةِ.
- ١٦٢- كتابُ الميزانِ.
- ١٦٣- كتابُ الإتِّفاقِ. راجع الرقم ٢١٢ فيما يلي.
- ١٦٤- كتابُ الشَّرْطِ.
- ١٦٥- كتابُ الفضلةِ.
- ١٦٦- كتابُ التَّمامِ.
- ١٦٧- كتابُ الاعراضِ، وانظر الرقم ١١٩ فيما تقدَّم، والرقم ٢٢٤ فيما يلي.
- ١٦٨- كتابُ مصححات فوثاغورس.
- ١٦٩- كتابُ مصححات سُقراطِ.
- ١٧٠- كتابُ مصححاتِ فلاطُن، انظر الرقم ٢٤ فيما تقدَّم.
- ١٧١- كتابُ مصححاتِ ارسطاليس.
- ١٧٢- كتابُ مصححات ارسيجانس.
- ١٧٣- كتابُ مصححات اركاغائيس.
- ١٧٤- كتابُ مصححات أمورس.
- ١٧٥- كتابُ مصححات ديمقراطيس.
- ١٧٦- كتابُ مصححات حربي.
- ١٧٧- كتابُ الزُّمُرْدَةِ.

١٧٨- كتاب الأنموذج.

١٧٩- كتاب المهجة.

١٨٠- كتاب سفر الأسرار.

١٨١- كتاب البعيد.

١٨٢- كتاب الفاضل.

١٨٣- كتاب العقيقة.

١٨٤- كتاب البُلُورَة.

١٨٥- كتاب السَّاطِعِ.

١٨٦- كتاب الإِشْرَاقِ.

١٨٧- كتاب المخايل.

١٨٨- كتاب المسائل.

١٨٩- كتاب التَّفَاضُلِ.

١٩٠- كتاب التَّشَايِهِ.

١٩١- كتاب التَّفْسِيرِ.

١٩٢- كتاب التَّمْيِيزِ.

١٩٣- كتاب الكمال والثَّمامِ.

١٩٤- كتاب الضَّمِيرِ.

١٩٥- كتاب الطَّهَّارَة. انظر الرقم ٢١٥ فيما يلي.

١٩٦- كتاب المُبْتَدَأُ بِالرِّيَاضَةِ.

١٩٧- كتاب المدخل الى الصناعة.

١٩٨- كتاب التَّوَقُّفِ.

١٩٩- كتاب الثَّقَّةِ بِصَحَّةِ الْعِلْمِ.

٢٠٠- كتاب التوسط في الصناعة.



٢٠١- كتابُ المِخْنَةِ.

٢٠٢- كتابُ الحقيقةِ.

٢٠٣- كتابُ الإِتِّفَاقِ والإِختلافِ، انظر الرقم ١٦٣ فيما تقدم.

٢٠٤- كتابُ السُّنَنِ والحيرةِ.

٢٠٥- كتابُ السِّرِّ الغامِضِ.

٢٠٦- كتابُ المبلغِ الأَقْصَى.

٢٠٧- كتابُ المخالفةِ.

٢٠٨- كتابُ الشَّرْحِ.

٢٠٩- كتابُ الإِغْراءِ في النهايةِ.

٢١٠- كتابُ الاستقصاءِ.

٢١١- كتابُ التَّسْعَةِ.

وأضاف صاحبُ الفهرستِ قائلاً: «قال محمد بن اسحاق، قال جابرُ بنُ حَيَّانٍ في كتابِ فهرسته: أَلَفْتُ بعد هذه الكُتُبِ ثلاثين رسالة لا أسماءَ لها، ثُمَّ أَلَفْتُ بعد ذلك أربعَ مقالاتٍ هي:

٢١٢- كتابُ الطبيعةِ الفاعلةِ الأولى المتحركة وهي النَّارُ.

٢١٣- كتابُ الطبيعةِ الفاعلةِ الثانية وهي الماءُ.

٢١٤- كتابُ الطبيعةِ الفاعلةِ المنفعلةِ اليابسة، وهي الأرضُ.

٢١٥- كتابُ أَلطِبيعةِ الرابعة المنفعلةِ الرطبة وهي الهواءُ.

قال جابرٌ ولهذه الكُتُبُ كتابان، فيهما شرح ذلك وهما: كتابُ الطهارة (انظر الرقم ١٩٥ فيما تقدم)، وكتابُ الاعراض (انظر الرقم ١٦٧ فيما تقدم). ثُمَّ أَلَفْتُ بعد ذلك أربعة كتبٍ هي:

٢١٦- كتابُ الزهرةِ.

٢١٧- كتابُ السلوةِ.

٢١٨- كتابُ الكامل.

٢١٩- كتابُ الحياة.

وألَّفْتُ بعد ذلك عشرة كتبٍ على رأي بليناس صاحب الطلسمات، وهي:

٢٢٠- كتابُ رحل.

٢٢١- كتابُ المربخ.

٢٢٢- كتابُ الشمس الأكبر.

٢٢٣- كتابُ الشمس الأصغر.

٢٢٤- كتابُ الزُّهرة.

٢٢٥- كتابُ عطاردة.

٢٢٦- كتابُ القمر الأكبر.

٢٢٧- كتابُ يُعرف بخاصية نفسه.

٢٢٨- كتابُ المثني.

وقال ابو موسى (جابر بن حيان): ألَّفْتُ ثلاثمائة كتاب في الفلسفة، وألف وثلاثمائة

كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر، وألف وثلاثمائة رسالة في صنائع مجموعة

وآلات الحرب، ثم ألَّفْتُ في الطب كتاباً عظيماً، وألَّفْتُ كتباً صغاراً وكباراً. وألَّفْتُ في الطب

نحو خمسمائة كتاب، مثل:

٢٢٩- كتابُ المجسدة والتشريح.

٢٣٠- ثم ألَّفْتُ كتب المنطق على رأي ارسطاليس.

٢٣١- ثم ألَّفْتُ كتاب الزيج اللطيف، نحو ٣٠٠ ورقة.

٢٣٢- كتاب شرح اقليدس.

٢٣٣- كتاب شرح المجسطي.

٢٣٤- كتاب المرايا.

٢٣٥- كتاب الجاروف.

وَأَلْفَتْ كِتَاباً فِي الزَّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ، وَأَلْفَتْ كِتَاباً فِي الْعَزَائِمِ كَثِيرَةً حَسَنَةً، وَأَلْفَتْ كِتَاباً فِي النَّيْرِ نَجَاتٍ، وَأَلْفَتْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَعْمَلُ بِخَوَاصِّهَا كِتَاباً كَثِيراً...».

وتجد أخباره في :

أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، ص ١١١.

الأعلام لخير الدين الزركلي، ج ٢، ص ٩٠.

أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي، ج ١٥، ص ١١٥، ١٤١.

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع تأليف المستشرق إدوارد فنديك، ص ٢١٣، ٢١٤.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، ج ٢، ص ٢٨٨.

تاريخ الحكماء المختصر من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، ص ١٦٠.

تاريخ الفكر العربي لمظهر، ص ٧٠ - ٩١.

حضارة العرب، لغوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعيتر، طبع بمصر سنة ١٩٤٨ م، ص ٥٧٤.

الخالدون العرب تأليف طوقان، ص ١٥ - ٢٤.

دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وأصحابه، ج ٦، ص ٢٢٨ - ٣٣٣.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف آية الله آغا بزرك الطهراني، ج ٢، ص ٥٥ حيث عيّن تاريخ وفاته ومحلّها.

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تأليف محمد باقر الخوانساري الأصفهاني، ج ٢، ص ٢١٨ - ٢٢١.

العلماء المسلمون تأليف فهمي اسحاق، ج ١، ص ١٨ - ٤٠.

الفهرست لابن النديم، المقالة العاشرة، ج ١، ص ٣٥٣، وفي طبعة طهران،

ص ٤٢٠ ومنها نقلنا.

فهرست بروكلمن، ج ١، ص ٢٤١.

الفهرست التمهيدي للمخطوطات المصورة، أصدرته الادارة الثقافية في جامعة

الدول العربية، طبع بمصر سنة ١٩٤٨م، ص ٥١٤-٥٢٠.

فوات الوفيات تأليف احسان عباس، ج ١، ص ٢٧٥.

كشف الظنون لحاجي خليفة:

ج ١، ص ٨٣، ٩١٤.

ج ٢، ص ١١٦٠، ١١٦١، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٩، ١٤٢٤، ١٤٣٠، ١٤٣٢، ١٤٤١،

١٤٤١، ١٤٥٠، ١٤٥٩، ١٤٦٦، ١٨٣٥، ١٩١١، ١٩٨٥.

معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سرکس، ص ٦٦٤.

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٠٥.

مفتاح السعادة لطاش كبري زادة، ص ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦.

المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الله بن عبد الكريم الجرافي، (طبعة مصر

١٩٥١م)، ج ١، ص ١٢٣.

هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي، ج ١، ص ٢٤٩.

المصادر الفارسية :

تاريخ علوم در اسلام تأليف تقي زاده، ص ١٤-١٥.

دائرة المعارف مصاحب، حرف (ج)، ص ٧١٦.

فهرست کتابهای چاپی عربی - خان بابا مشار، ص ٤٢٢، ٧٣٨، ٧٦٢، ٨١٤،

٨٩٨.

فهرست کتابهای چاپی فارسی - خان بابا مشار، ج ٢، ص ٣١٠٥.

لغت نامه دهخدا، مجلد حرف (ج)، ذيل «جابر»، ص ١٦.

م طرح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار تأليف ميرزا عبد الحسين خان،

المصادر الأجنبية :

Carra De Vaux: Encyclopedie de l' islam, I: 1015, 1016, Brockelmann: g, I: 240.

Le Livre du Glorieux de Jabir ibn Hayyan par Henry Corbin Rhein - Verlag. Zurich 1950.

وشمل الفصول التالية:

- 1- Al Chimie et Gnose ismaelienne.
- 2- Les trois hypostases dans la Gnose shi'ite.
- 3- Les trois hypostases dans le livre du Glorieux.
- 4- La Balance des Lettres.
- 5- Essai de traduction: le Livre du Glorieux.
- 6- Le Glorieux comme archetype.

الهوامش :

- ١ - انظر معجم المؤلفين، ج ٣، ص ١٠٥، والخالدون العرب، ص ١٥، واعيان الشيعة، ج ١٥، ص ١١٥، وقال الزركلي في الاعلام: أصله من خراسان.
- ٢ - انظر قاموس الاعلام للزركلي، ج ٢، ص ٩٠.
- ٣ - انظر دائرة المعارف الاسلامية، ج ٦، ص ٢٣٢، حيث ذكر عدد من تراجم مؤلفات جابر بن حيان الى اللغات الاجنبية.
- ٤ - انظر الذريعة، ج ٢، ص ٥٥.
- ٥ - وانظر الصفحة ١٤٥٩ في المصدر المذكور كتاب المعادن.
- ٦ - ذكر له ابن النديم في الفهرست: أ - كتاب الخمائر الصغير، ب - كتاب الخمائر الكبير.
- ٧ - البُدُوحُ: جمعُ بُذْحَةٍ، والبُدْحَةُ = المتَّسِعُ من الأرض.
- ٨ - المادخُ = العظيم.
- ٩ - الإفرند: جوهر السيف ووشيه.



نقد الكتب

عرض لكتاب

بين الله والإنسان في القرآن: دراسة دلالية

لنظرة القرآن إلى العالم

عيسى علي العاكوب

أستاذ البلاغة والنقد ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة قطر

إن القرآن الكريم كتاب هداية أساساً، وقد نزلت هذه الهداية على النبي محمد عليه الصلاة والسلام بلسان عربي مبين، ليبين للناس مراد ربهم منهم. وقصد الهداية هذا حملته اللغة العربية نفسها، التي أحدث نزول القرآن تغييراً هائلاً في بنيتها الدلالية. وإذا جاز لنا استخدام تشبيه «أضواء الكلمات» في التعبير عن دلالات الألفاظ القرآنية، فأننا نستطيع القول إن أضواء الكلمات العربية في القرآن ليست هي الأضواء التي كانت لها في الجاهلية. فقد حدث حقاً تغيير مذهل في هذه الأضواء باتجاه بيان المحجة البيضاء الموصلة إلى مرضاة الرب سبحانه. وقد عرض كثيرون لهذا الأمر في قديم الثقافة العربية الإسلامية، كما عرض له بعض المستشرقين في القرن الماضي، وربما قبله. وكانت مقاصدهم مختلفة في هذا الشأن. وقد تناول مؤلف هذا الكتاب، الذي أعددنا له - بحمد الله - ترجمة عربية في طريقها إلى النشر إن شاء الله، تغيير دلالات الألفاظ العربية التي استخدمها القرآن الكريم عما كانت عليه في الجاهلية، وقصد من ذلك إلى بيان أن هذا التغيير الدلالي عبّر عن أمر غاية في الأهمية، وهي نظرة جديدة كل الجدة إلى العالم، أو ما

يسمى بالألمانية Weltanschauung.

ويذكر مؤلف الكتاب الأستاذ توشييهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu في مقدّمته أنّه أراد أن يكون قادراً على الإسهام بشيء جديد في سبيل فهم أفضل لرسالة القرآن لدى أهل عصره الأول، ولدى أهل زماننا أيضاً. ويبيّن في الفصل الأول من الكتاب «الدرس الدلالي والقرآن» أنّ الشطر الرئيس من هذه الدراسة مهتم حصراً تقريباً بمسألة العلاقة الشخصية بين الخالق العظيم، سبحانه، والإنسان في القرآن «أن الشطر الرئيس في دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم. ويوضح أنّه مهتمّ بنقطتين أساسيتين: الدرس الدلالي والقرآن، وقد أراد منذ البداية أن يكون لدى القارئ فكرة جليّة تماماً عن ارتباط المنهجية القائمة على علم الدلالة semantic methodology بالدراسات القرآنية، قاصداً إلى أنّ ثمة دمجاً أو جمعاً في الكتاب بين النّظر المعتمد على مناهج البحث الدلالي، والتطبيق الذي مادّته المعجم اللغوي للقرآن الكريم.

ونظراً إلى تعقيد ما يسمى علم الدلالة semantics وزيادة افتقاره إلى الانسجام والتنظيم، عمد المؤلف منذ البدء إلى إيضاح تصوره الخاصّ لعلم الدلالة، وهو يقول في هذا الشأن: «اظنّ علم الدلالة كما فهمته هو دراسة تحليلية للتعبير المفتاحية - Key terms في لغة من اللغات ابتغاء الوصول أخيراً إلى إدراك مفهوميّ للنظرة إلى العالم Weltanschauung لدى النّاس الذين يستخدمون تلك اللغة أداة، ليس فقط للتحدّث والتفكير، بل أيضاً.. لتقديم مفهومات وتفسير للعالم الذي يحيط بهم». وهو يرى أنّ الدّراسة الدلالية للقرآن ستعالج الكيفية التي يرى فيها هذا الكتاب الكريم بناء عالم الوجود والمكونات الرئيسية للعالم، وكيف يرتبط بعضها ببعض. ويبيّن أنّ المهمّ لتحقيق قصده المحدّد من الكتاب هو نوع النظام المفهوميّ الذي يعمل في القرآن لا المفهومات الفردية متباعدة ومنظوراً إليها في حدّ ذاتها بعيداً عن البناء العام، أو البنية المتكاملة Gestalt التي اندمجت فيها. ويوضح أنّ التعبيرات المفتاحية التي تؤدي وظيفة حاسمة في صياغة نظرة القرآن إلى العالم بما فيها اسم «الله» تعالى، ليس منها ما كان جديداً ومبتكراً، بل كانت كلّها تقريباً مستخدمة قبل الإسلام. وعندما شرع الوحي الإسلاميّ باستخدامها

كان النظام كُلُّه، أي السياقُ العامُّ الذي استُخدمت فيه، هو الذي صدم مشركي مكّة بوصفه شيئاً غريباً وغير مألوف وغير مقبول، تبعاً لذلك، وليس الكلمات الفردية والمفاهيم نفسها. ويقول ههنا: «الكلماتُ نفسها كانت متداولةً في القرن السابع (الميلادي)، إن لم يكن ضمن الحدود الضيقة لمجتمع مكّة التجاري، فعلى الأقلّ في واحدة من الدوائر الدينية في جزيرة العرب؛ ماجدٌ هو فقط أنّه دخلت أنظمةٌ مفهوميةٌ مختلفة. والإسلامُ جمعها، دمجها جميعاً في شبكةٍ مفهوميةٍ جديدةٍ تماماً ومجهولة حتّى الآن».

ويعوّل المؤلفُ على التمييز بين المعنى الوضعي أو الأصليّ للألفاظ basic، والمعنى السياقيّ relational. وتولّف الكلماتُ، كما يرى، نظاماً شديداً التماسك. والنمطُ الرئيس لذلك النظام يحدّده عددٌ معيّن من الكلمات الشديدة الأهمية. ويساعد التحليل الدلاليّ للعناصر الوضعية والسياقية للكلمات في رأيه على أن تُبنى من جديد، على مستوى تحليليّ، البنية الكلية الثقافية كما عاشت حقّاً، أو تعيش، في تصوّر الناس. ويسمّي هذه البنية الكلية «النظرة الدلالية إلى العالم semantic Weltanschauung» في ثقافة من الثقافات.

أما ما نوعُ هذه النظرة وكيف تُنشأ أساساً وأيّةُ أسسٍ لا بدّ منها لكي تظلّ تشكّل فلسفياً نظريّةً فعالةً لطبيعة الوجود، فيوضح ذلك عندما يذكر أن ليست كلمات المعجم اللغوي vocabulary على قدر واحدٍ في تشكيل تصوّر الوجوديّ الذي يشكل أساس المعجم. فقد تكون كلمة «حجر» مثلاً ذات أهمية حقّاً في الحياة اليومية للمتحدّثين بالإنكليزية، لكن يبدو أنّها لا تؤدّي وظيفة حاسمة في تحديد النظرة إلى العالم في اللغة الإنكليزية الحاليّة. كما أنّ كلمة «قرطاس» التي ترد في سورة الأنعام هي كلمة مهمّة جداً من الوجهة اللغويّة ومن وجهة التاريخ الثقافي للعرب، لكنّها لا تسهم إسهاماً أساسياً في تمييز طبيعة النظرة القرآنية إلى الكون. خلافاً لكلمة «شاعر» التي تبدو أكثر أهميةً منها بدرجات. ذلك لأنّ القرآن شديد التشديد على نفي أن يكون النبيّ محمّد، عليه الصلّة والسلام، شاعراً. لكنّ قيمتها في آيةٍ حال أقلّ بكثير من كلمة «نبيّ». هذه الكلمات التي تؤدّي وظيفة دلالية مهمّة في تشييد البنية المفهومية لنظرة القرآن إلى العالم يسمّيها

المؤلف «التعابير المفتاحية» في القرآن، كما أسلفنا. وذلك من مثل كلمات الله والإسلام، والإيمان والكافر والنبي والرسول. ويوضح المؤلف أن أصعب جزء من مهمة الدارس الدلالي الذي سيدرس القرآن من وجهة نظر الدلالة هو قبل كل شيء عزل التعابير المفتاحية لجملة المعجم القرآني Koranic vocabulary، ويشكل ما يحصل عليه من ذلك أساس العمل التحليلي الذي قام به. ويقوم عمل المؤلف في الكتاب على أساس تصور واضح لديه يذهب إلى أن المعجم اللغوي، أو مجموع مفردات أي نص من النصوص أو متن من المتن، يتألف من عدد هائل من طبقات الصلات الترابطية، أو مجالات الترابط المفهومي، التي يتطابق كل منها مع اهتمام بارز لجماعة من الجماعات في مرحلة ما من مراحل التاريخ، ومن هنا يلخص هذا المعجم اللغوي جانباً معيناً من مثلها العليا وطموحاتها واهتماماتها. ويقول إن المعجم اللغوي المعني هنا بنية متعددة الطبقات، وتُصاغ هذه الطبقات من خلال مجموعات من التعابير المفتاحية التي يسميها «حقول الدلالة». وابتغاء تحقيق ذلك انشغل المؤلف بالكيفية التي تُبنى منها «الحقول الدلالية» المستقلة، وكيفية اكتشاف الحقل الدلالي وسط كل شديد التعقيد من العناصر المتشابهة. وأدخل في هذا المجال مصطلحاً تقنياً آخر هي «الكلمة الصميمة» focus - word. وعنى بها تعبيراً مفتاحياً هاماً جداً يشير إلى، ويحدد إطار، مجال مفهومي مستقل و متميز نسبياً، أي «حقل دلالي» ضمن الكل الواسع للمعجم اللغوي vocabulary. ويعدّ من الكلمات الصميمة في المعجم اللغوي القرآني كلمة «إيمان»، ويوضح أن هذه الكلمة تحكم حقلاً دلالياً خاصاً بها. ويقول إننا متى عدنا كلمة ما كلمة صميمة بدأنا نرى عدداً معيناً من الكلمات الأخر المهمة، الكلمات المفتاحية، يتجمع حولها بوصفها النواة المفهومية the conceptual nucleus أو نقطة البؤرة، مشكلة معاً مجالاً مفهومياً دالاً ضمن المعجم اللغوي الشامل للقرآن.

ثم يتحدث المؤلف عن طبيعة الكلمات الصميمة والمفتاحية، ويشير إلى أن الكلمة الصميمة في حقل دلالي معين قد تكون كلمة مفتاحية في حقل آخر، والعكس صحيح أيضاً؛ فقد تكون الكلمة المفتاحية في حقل دلالي ما كلمة صميمة في حقل آخر.

وتتجَمع حولها مجموعة من الكلمات المفتاحية. فكلمة «الله» مثلاً تظهر في الحقل الدلالي لـ «الإيمان» كلمةً مفتاحية إلى جانب كلمات أُخر تتركز حول الكلمة الصميمة «إيمان»؛ لأنّ مدلولها في هذا السياق المحدّد هو مَنْ يقع عليه فعلُ «الإيمان»، فالإيمان على الحقيقة هو إيمانُ بالله. وهناك اعتبارات أُخر مختلفة تحثّم النظر إلى كلمة «الله» على أنّها كلمة صميمة مهمّة تجمع حوّا مجموعة من الكلمات المفتاحية تشتمل على «الإيمان» نفسه. ويذهب المؤلّف إلى أنّ كلمة «الله» هي أسمى كلمة صميمة في المعجم اللغوي للقرآن، مهيمنة على الميدان كلّ. وليس هذا سوى التجلّي الدلالي لما عناه عندما قال إنّ عالم القرآن مرتركز أساساً على الله theocentric.

ويتمتّع المؤلّف بقدرة تنظيرية عالية، تتجلّى في مواقف عملية متعدّدة تتراءى لقارئ الكتاب. ومن ذلك مثلاً أنّه يشير إلى مظهرين للكلمة، مظهر لغويّ ومظهر مفهوميّ، وبرغم عدم إنكاره وجود مفهومات سابقة للغة pre - linguistic concepts فإنّه لا يهتمّ بها. ويوضح للقارئ أنّه متى استخدم مصطلح «مفهوم» في كتابه، دلّ بذلك على مفهوم له كلمة محدّدة. وعمّم هذه القاعدة فأكد أنّ هذا الذي قاله هنا ينطبق على الهيكل الكلّي المنظم للمفهومات. ومن هنا فإنّ شبكة العلاقات المعقّدة نفسها هي في جانبها اللغوي معجم لغويّ vocabulary وفي جانبها المفهوميّ هي نظرة إلى العالم Weltanschauung. وقد تمثّل عمله كلّ في محاولة تبيّن نظرة القرآن إلى العالم من جملة المعجم اللغويّ للقرآن. وابتغاء الوصول إلى هدفه هذا حدّد مبدأً أنطلق منه، وهو أنّ منظومة مفهوميّة system حقيقة لا بدّ من أن تمتلك مبدأً نموذجيّاً تُؤسّس عليه، ولأنّ الأمر كذلك افترض في دراسته أن تُؤسّس المنظومة الكلّيّة للمفهومات القرآنية المشتملة في داخلها على كلّ طبقات الاتصال الترابطيّ، على نمطٍ مميزٍ للفكر القرآنيّ، أي يجعل هذا الفكر مختلفاً جوهريّاً عن كلّ منظومات المفهومات غير القرآنية. أي إنّ هناك خطة أساسيّة وأسلوباً محدّداً وصفة بنائية مميزة لكلّ منظومة مفهوميّة. ورأى أنّ تحديد هذه الصفة البنائية المميّزة التي تحدّد طبيعة المنظومة القرآنية الكاملة وآليتها الفاعلة، نهي الغاية النهائية للدارس الدلالي للقرآن. والنجاح في هذا التحديد هو السبيل الوحيد للنجاح في إظهار

النظرة إلى العالم في القرآن، أي، من الوجهة الفلسفية، طبيعة الوجود كما يراه القرآن. ويعترف بصعوبة هذه المهمة، ويبين أن دراسته مجرد خطوة أولى ومتواضعة جداً في اتجاه هذا الهدف النهائي.

وقد مضى المؤلف في الفصول اللاحقة في تطبيق منهجيته التي حددها في الفصل الأول. فتحدث في الفصل الثاني عن التعابير المفتاحية القرآنية في التاريخ، مستخدماً مصطلحي الدرس الدلالي التزامني synchronic والتعاقبي diachronic. ويصل المؤلف هنا إلى استنتاج أنه في المنظومة القرآنية لا يوجد أي حقل دلالي غير مرتبط بـ «الله» سبحانه، وغير محكوم بمفهومه الأساسي.. وهذا ما جعل الدارسين الدلاليين يذهبون إلى القول إنَّ عالم القرآن مركّز أساساً على الله theocentric، ولم يكن الأمر كذلك في الجاهلية. ويحدثنا المؤلف هنا عن أمر غاية في الأهمية في تاريخ الثقافة الإسلامية الذي أعقب نزول القرآن، فيقول إنه بلغ من سلطان القرآن أن جعل كل منظومة من منظومات الفكر الإسلامي مضطرة إلى اللجوء إلى المعجم اللغوي القرآني للحصول على عناصرها المادية. ويمثل لذلك بمنظومات علم الكلام والفلسفة والتصوّف التي أفادت من المادة اللغوية القرآنية في تعابيرها المفتاحية والصميمية.

ويؤلف الفصل الثالث الموضوع الدقيق للكتاب، أي البنية الأساسية لنظرة القرآن إلى العالم. وههنا يسعى المؤلف إلى تكوين فكرة عامة عن المخطط المفهومي لنظرة القرآن إلى العالم، من خلال دراسة تحليلية ومنظمة للكلمات الأكثر أهمية التي تبدو تؤدي وظيفة حاسمة في تمييز الفكرة الغالبة التي تتخلل جملة الفكر القرآني وتنفذ فيه وتغلب عليه. وابتغاء تحقيق هذا الهدف يرى المؤلف أنه كان عليه في البدء أن يقرأ القرآن من دون أي تصوّر قبلي. أي إنَّ عليه أن لا يحاول أن يقرأ في القرآن الفكر التي طورها وأحكمها المفكّرون المسلمون في الأزمنة التي تلت نزول القرآن بل عليه أن يحاول فهم بنية تصوّر العالم في القرآن في صورته الأصلية، أي كما قرأه وفهمه صحابة النبي عليه الصلاة والسلام وأتباعه المباشرون. ويخلص المؤلف إلى انطباع أساسي وغالب في هذا الشأن، وهو أن هذا القرآن منظومة كبيرة متعددة الطبقات معتمدة على عدد من الأضداد

المفهومية الأساسية التي يؤلف كل منها حقلاً دلاليًا محددًا. والقرآن، كما انتهى إليه فهمه وتأمله، عالمٌ يسوده جوٌّ كثيف من الانشداد والتوتر الروحي. ويقول إننا في القرآن أمام «دراما» روحية حادة تتقدم. ودائمًا لا تحدث «الدراما» إلا حيث يوجد تضادٌّ قويٌّ بين الممثلين أو الأبطال الرئيسيين. ويخلص من ذلك إلى أن نظرة القرآن إلى العالم من الوجهة الدلالية قابلةٌ لأن تمثل في صورة منظومة a system مبنية على مبدأ التضاد المفهومي. ثم يتحدث عن التضاد الأول والأهم في هذه المنظومة، بين الله تعالى والإنسان. وهذا التضاد تنشئه أربعة أضرب مختلفة للعلاقة بين الله والإنسان:

١ - علاقة وجودية، ٢ - علاقة اتصالية، ٣ - علاقة الرب - العبد، ٤ - علاقة أخلاقية. ويرى أن هذه العلاقات متى رُسخت بين الله، سبحانه، والإنسان ولدت جماعة خاصة من الرجال الذين يعترفون بها ويختارون الجانب الإيجابي من المسألة أساساً لنظرتهم إلى الحياة والوجود؛ مما أنشأ في تاريخ الإسلام «الأمة المسلمة». وتتمثل الاستجابة الإيجابية في العلاقة الوجودية في اعترافهم بـ «الله خالقاً لهم وموجداً ومعتنياً بمصيرهم. أما الاستجابة الإيجابية في علاقة الاتصال فتتمثل في استجابة الإنسان استجابة راضية مخلصاً للنداء الإلهي واتباع هدايته وتوجيهه إلى طريق النجاة. وأما في علاقة الرب - العبد فتعني الاستجابة الإيجابية أن يطرد الإنسان عن نفسه بقايا الجاهلية السابقة ويلجأ إلى الله «سيده» كما يليق حقاً بالعبد. وتعني العلاقة الأخيرة أن يعبر عن الشكر لفضل الله عليه وأن يخشى عقابه. ثم يتحدث المؤلف عن التضاد المفهومي الثاني: الغيب والشهادة. ويوضح أن الرؤية القرآنية تقسم العالم الحاضر الذي يحيا فيه الإنسان إلى نصفين، عالم الغيب وعالم الشهادة.

ويخصص الفصل الرابع للكلمة الصميمية في المعجم اللغوي القرآني: الله ويبين أن النظرة إلى العالم في القرآن مرتكزة على «الله» سبحانه، أساساً. ويكون طبيعياً، والحال كذلك، أنه في المنظومة القرآنية يحكم مفهوم «الله» الكل من عل، ويترك تأثيراً عميقاً في البنية الدلالية للكلمات المفتاحية جميعاً. ولأهمية فهم الكيفية التي بنى فيها هذا المفهوم دلاليًا، خصص المؤلف هذا الفصل لتحليل مفصل نسبياً لهذا المفهوم، وجعل ذلك مدخلاً

الى دراسة المسألة الأساسية لديه، مسألة العلاقة الرباعية بين الله تعالى والإنسان. ويتحدث المؤلف هنا عن تطوّر المعنى «السياقي» لكلمة «الله» بين عرب الجاهلية، ويميّز بين ثلاث حالات مختلفة: ١ - المفهوم الوثني لله ٢ - مفهوم اليهود والنصارى لهذه الكلمة في العصر الجاهلي ٣ - استخدام العرب الوثنيين للمفهوم الكتابي لـ «الله» خاصة عندما يمدحُ شاعر بدويّ ملكاً نصرانياً. ويضيف الى الحالات الثلاث السابقة حالة أخرى خاصة جداً، هي مفهوم الله لدى مَنْ عُرِفوا باسم «الخُفَاء». وقد ظلّت هذه الحالة مستقلةً ومتعالية نسبياً عن الأخريات الى أن ظهر الإسلام فأتى بها على نحو مفاجئ الى ضوء التاريخ المتألق.

ثم كان الفصل الخامس من الكتاب محلاً لمناقشة العلاقة الوجودية بين الله والإنسان، وقد ناقش فيه المؤلف محورين مهمين يدوران في فلك هذه العلاقة، وهما خلقُ الله الإنسان من عدم، وقدرُ الإنسان. ويعقد المؤلف هنا مقارنة رائعة بين النظرة الجاهلية الى العالم، والنظرة القرآنية. فالنظرة الجاهلية نظرةٌ كئيبة جداً الى الحياة، إذ تُتصوّر الحياة كلّها سلسلةً من الفواجع، التي لا يحكمها القانون الطبيعي للنماء والبلوى، بل الإرادة الغامضة لكائن مظلم أعمى شبه شخصي، لا منجاة من قبضته القويّة. أما عالمُ القرآن فيقدّم صورةً مختلفة تماماً للشرط الإنساني: إذ على حين غرّة تصحو السماء، ويتبدد الظلام، وفي موضع المعنى المأساوي للحياة يظهر مشهدٌ لآلاء جديد للحياة الخالدة. والاختلاف بين النظريات الى العالم في هذا الشأن شبيهٌ تماماً بالاختلاف بين الليل والنهار. وهكذا فإنّه في المنظومة الجاهلية القديمة، يكون العملُ الخَلقي لـ «الله» تعالى هو في الوقت نفسه البداية والنهاية لتدخلُ الله في شؤون الإنسان. و«الله» من حيث المبدأ لا يعبأ بمَنْ أتى بهم الى الوجود، كحال أبٍ غير مهالٍ لا يعبأ بأولاده، المهمةُ كلّها تُتجزّ بوساطة كائن آخر يسمّى «الدهر». أما في المنظومة المفهومية الإسلامية فالأمرُ على العكس من ذلك، فالخلقُ يحدّد فقط بداية الهيمنة على المخلوقات. وشؤونُ الإنسان كلّها، حتّى أدقّ تفاصيل الحياة وأكثرها أهميّة في الظاهر، تحت الاطلاع الصّارم والمراقبة الدقيقة لحضرة «الله» سبحانه. والأكثرُ أهميّة في هذا الشأن أن «الله» في القرآن هو «الله» ذو العدل الذي لا

يظلم أبداً. ولا شأن للذَّهر، ولا لمكائده الأكثر خفاءً.

وجاء الفصل السادس من الكتاب ليعالج العلاقة الثانية، الاتصالية، بين الله سبحانه والإنسان في ضرب الاتصال غير اللغوي. وهنا يفصل المؤلف القول في نوعين من علاقة الله سبحانه بالإنسان، هما: آيات الله، وهدى الله. ويفرق المؤلف بين الاثنين تفريقاً دقيقاً. فالآيات موجودة في كل شيء، والإنسان يستطيع أن يراها، لكن اختيار الاهتداء أو الضلال راجع إلى مشيئة الله، وصحيح أنه يوجد في القرآن قول الله سبحانه: (مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) (الكهف الآية ٢٩)، لكن الصورة النهائية محكومة بمشيئة من له مُلكُ السماوات والأرض وَمَنْ فِيهِنَّ (مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعِلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام، الآية ٣٩). ويناقش المسألة بقدر من التفصيل، فيبين أنه في المفهوم الأول أو المنظومة الأولى، يستجيب الإنسان لهدى الله إما بالاهتداء وإما بالضلال. أما في المفهوم الثاني، أو المنظومة الثانية، فيستجيب الإنسان لهدى الله بالاهتداء، ويستجيب للضلال بالضلال، حسب التقدير الإلهي. وختم الفصل بالحديث عن العبادة بوصفها أداة لاتصال العبد بربه.

وفي الفصل السابع، وهو أطول فصول الكتاب، يتحدث المؤلف عن العلاقة الاتصالية بين الله والإنسان في نوع الاتصال اللغوي. ويدير حديثه هنا حول جملة محاور: ١- كلام الله ٢- المعنى الأصلي لكلمة وحي ٣- البنية الدلالية للوحي ٤- الوحي في اللغة العربية. ٥- الدعاء. وواضح هنا أن المؤلف يتحدث عن اتصال لغوي بين الله تعالى والإنسان في اتجاهين: من حضرة الله إلى الإنسان بوساطة كلام الله والوحي، ومن الإنسان إلى الله بوساطة الدعاء. وقد ناقش المؤلف القضايا المعالجة في هذا الفصل بقدر كبير من التفصيل والعمق، وخلص إلى نتائج مهمة جداً في طبيعة استجابة الإنسان العربي لمراد ربه سبحانه، وفي طبيعة الكلام القرآني المصوغ ببيان عربي.

ويجيء الفصل الثامن ليحتضن حديث المؤلف عن الجاهلية والإسلام، وقد عالج فيه الجانب الثالث من علاقة الله والإنسان، وهي علاقة الربّ - العبد. ويبين أن تصور «الله» ربّاً لم يكن مجهولاً لدى عرب الجاهلية، وفارق ما بين الجاهلية والإسلام في هذا الشأن أنه

في الإزمئة الجاهلية لم يكن «الله» الربُّ الوحيد المطلق، بل كان الى جانبه أرباب كثيرون وربّات كثيرات. أما الإسلام فقد أقرب «الله» لأول مرة الحاكم المطلق، الرب الواحد المطلق للعالم كله. وقد نشأ عن هذا التصور أن فهم الاسلام بمعنى التسليم التام لهذا الرب العظيم. وقد ناقش المؤلف في هذا الفصل ثنائياً في غاية الأهمية في تحديد نظرة القرآن الى العالم هو ثنائي: الجهل - الحِلْم. وفيه يبيّن باستفاضة ما طرأ على هذين المفهومين من تغيير بين الجاهلية والإسلام. فالجهل في الجاهلية سلوك بشريّ موجّه من الإنسان الى أخيه الإنسان، أما في القرآن فيغدو موجهاً الى الله تعالى. ويفسر القرآن موقف العداء الذي أظهره المشركون العرب من هدى الله بمنطق الشبكة المفهوميّة للجهل. وقد حدث تغيير جذريّ في بنية الجهل بين الجاهلية والإسلام، إذ يتخذ المشركون العرب موقف الجهل من الله تعالى، وهذا في المنظوم القرآنيّ توافقٌ منهم، فالإنسان أساساً «عبدٌ»، وما ينبغي له أن يكون غير ذلك. ولا بدّ إذًا من طرد الجَهل من جناب الربِّ العظيم، ولن يبقى إلّا المفهومُ الضدُّ لهذا: الحِلْم. ولأنّ الحِلْم من العبد الى الرب عصيٌّ على القبول من الوجهة الخلقية، لا بدّ أن يتحوّل الحِلْم الى الخضوع التام، أي الإسلام. وعلى المؤمن الحقّ، أي العبد الحقّ، أن يتخطّى كثيراً درجة الحِلْم، باتّجاه التواضع والتذلّل أمام الله. كلُّ إحساسٍ بالاستغناء والقدرة ينبغي أن يتجاهل، والخضوعُ التام هو المطلوبُ منه. لكنّه عندما يصل التواضع الى هذه الدرجة، لا يعود جِلْماً بل هو إسلام. فكان مفهوم الإسلام من هذه الوجهة تعديلاً جذرياً لمفهوم الحِلْم، تعديلاً فرضته حقيقة أن من واجه الإنسان عند ظهور الإسلام لم يعد إنساناً من الناس، بل ربّه العظيم. ويلحق المؤلف بهذا الفصل حديثاً طويلاً في مسألة تصوّر الدّين ضرباً من الطّاعة.

الفصل التاسع الأخير يعقده المؤلف للحديث عن العلاقة الرابعة بين الله والإنسان: العلاقة الأخلاقية. وتنهض معالجة المؤلف في هذا الفصل على فكرة تبدو مستقرّة لديه هي أن أحد الملامح الجليّة جدّاً للفكر الديني الذي نشأ في العالم الساميّ Semitic، أي اليهودية أو النصرانية أو الإسلام، هو أن مفهوم «الله» أخلاقيّ أساساً. أي إنّ الله سبحانه لأنّه أخلاقيّ أساساً، يعامل الإنسان بطريقة أخلاقية، أي بوصفه الله ذا العدل والخير، ويُنتظر

من الإنسان أن يستجيب لهذه المبادرة الإلهية أيضاً بطريقة أخلاقية. والله سبحانه يتجلى للخلق في نوعين مختلفين من التجلي: الله ذو الرحمة، والله ذو الانتقام، أو الله ذو الفضل والله ذو العدل. والله سبحانه يعامل الإنسان بطريقة غاية في الرحمة والفضل واللطف في صورة الآيات المنزلة. وهذه الحقيقة تحدّد الاستجابة الصحيحة الوحيدة المنتظرة من بني البشر، وهي الشكر. ولا يكون الشكر إلا بعد فهم الآيات. وهكذا لأول مرة في تاريخ الفكر بين العرب يغدو «الشكر» مفهوماً دينياً، وتكون المسافة قريبة جداً من الشكر إلى الإيمان. وضدّ الشكر هو «الكفر»، الذي يعني عدم الاعتراف بالجميل، أو الجحود. وهكذا يأخذ مفهوم «الكفر» الذي لا علاقة له قبل الإسلام البتة بالدين، مغزى دينياً في المنظومة القرآنية. وإذا كان عرب الجاهلية اعتادوا على أن يعيشوا وفق القاعدة الأخلاقية العليا: «شكر النعمة»، فقد تبنى القرآن هذه البنية كما هي وارتقى بها إلى مستوى ديني. النعمة في هذه الحال هي الفضل الإلهي الذي يستجيب له الإنسان إما على نحو صحيح بـ «الشكر»، وإما على نحو خاطئ بـ «الكفر». ويتطور مفهوم الشكر هنا بسهولة إلى مفهوم «الإيمان». وعلى نحو مماثل، يتحوّل الكفر، فاقداً دلالة الأصلية المتمثلة بـ «عدم الاعتراف بالجميل»، إلى مفهوم «عدم الإيمان»؛ وهكذا يغدو مضاداً مفهوماً مباشراً لـ «الإيمان»، كما يغدو ذلك جلياً في قول المولى سبحانه: (كيف يهدي الله الذين كفروا بعد إيمانهم) (آل عمران، الآية ٨٦).

أما لمن يتخذون موقف الكفر بدلاً من الشكر أو الإيمان، لمن يرفضون الخضوع لله ولئن يغفلون تماماً عن الاستجابة الصحيحة، فيظهر الله تعالى التجلي الآخر: تجلي العدل الصّارم والأخذ الشديد. والنقطة المحورية لهذا كله هي الفكرة الأخروية «يوم الحساب». وصورة هذا اليوم الحاسم لا بدّ من أن تمثل دائماً أمام أعين الناس على نحو يقودهم إلى الجدّة المطلقة، بدلاً من الطيش والغفلة في الحياة. وهذه الجدّة، كما يقول، قويّة جداً في المرحلة المكّيّة، وقد تبلورت في مفهوم التقوى، بالمعنى الأصلي لها أي خشية العقاب الإلهي في الآخرة. ويقارن المؤلف بين الدلالة الجاهليّة للفعل «اتقى» والدلالة القرآنية، ويلاحظ أنّه بتقدّم الزمن يضعف ارتباط التقوى بـ «الآخرة»، وتصبح مرادفة لـ «الورع»،

ويغدو «المتقي» مرادفاً لـ «المؤمن الورع» في مقابل «الكافر».

وفي نهاية الفصل يقف المؤلف عند ثنائيين مفهومين واضحين في القرآن هما: الوعد والوعيد، والبشارة النذارة. وفي مناقشة كلٍّ ثنائيٍّ يعتمد المؤلف الى المقارنة بين ما كان عليه الأمر في الجاهلية وما آل إليه في الإسلام.

هذه هي الفكر الأساسية في الكتاب، الذي زوده المؤلف برسوم إيضاحية بيانية، توضح تماماً ما قصد إليه. ولا يمكن القارئ المتأمل المنصف إلا أن يوافق المؤلف على جمهرة الفكر التي عرض لها، والنتائج التي انتهى إليها. هذا باستثناء أمور قليلة جداً، منها مثلاً أنه لا يرى في العربية فضلاً وتميُّزاً من جهة كونها لغةً من اللغات ويقول في مبحث «الوحي في اللغة العربية» من الفصل السابع: «تقوم النظرة القرآنية الى هذه المسألة على الوعي الثقافي الواضح جداً لحقيقة أن كل أمة لها لغتها، وأن العربية لغة العرب، وهي بهذه الوظيفة واحدة فقط من لغات كثيرة. وإذا اختار الله تعالى هذه اللغة فإن ذلك لم يكن بسبب قيمتها الحقيقية من حيث هي لغة، بل فقط بسبب فائدتها ونفعها، أي بسبب أن الرسالة كانت موجهةً أولاً الى المتكلمين بالعربية. ونرى القرآن نفسه يلحن المرأة تلو المرأة أن هذا الكتاب أنزل بالعربية فقط لتسهيل الفهم (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (يوسف، الآية ٢).

واعترضنا على عدم إعطاء العربية أية قيمة من حيث هي لغة، مصدره إدراكنا أن العربية قادرة على الإبانة عن مراد الله سبحانه أكثر من غيرها من اللغات بما توافرها من وفرة في المفردات المعبرة عن الشيء الواحد في أوضاعه وأشكاله وخاصياته المختلفة، وبما انطوت عليه من صيغ صرفية معبرة، وبما تدلّ عليه أوضاعها التركيبية من دلالات، وبما يوفّره جرس ألفاظها من تماثلات صوتية تساعد في إيهاج السامع وإيقاظ ملكاته الإدراكية لتحصيل أكبر قدر من الطاقة الدلالية. وما لا ينبغي إغفاله البتة في السياق الذي نحن فيه أن هذه المادة، مادة عرب، فيما يبدو تفيد البيان والوضوح، يقول الراغب الأصفهاني في المفردات: «والعربيُّ»: المفصح، والإعرابُ: البيان، يقال: أعرب عن نفسه... والعربيُّ: الفصيحُ البينُ من الكلام، قال: «قرآناً عربياً». وإذا كان الأمر كذلك، فالعربية إذاً

هي اللغة الأكثر كشفاً للمعاني والأكثر فصاحةً وبياناً، وينشأ عن ذلك أنها ذات فضلٍ وتفوقٍ من حيث هي لغةٌ معبرةٌ أكثر من غيرها. ولا يتوقف فضلها، فيما نرى، عند إفادتها في التعبير عن المعاني عند متكلميها من العرب، بل هي فيما يبدو لنا أعربُ اللغات وأفصحها وأبينها عن المعاني الدقيقة والعميقة. ولا يأذن لنا المقامُ بالزيادة في هذا المجال.

ويبقى أن نشير هنا إلى أمرين هما: المؤلف والطبعة التي اعتمدها في الترجمة. أما المؤلف فهو الدكتور في الآداب توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu، وكان أستاذاً «بروفسور» في معهد الدراسات الثقافية واللغوية من جامعة كيو Keio University اليابانية، ومقرها في مدينة طوكيو، الحاضرة اليابانية.

والأستاذ إيزوتسو لامعٌ جداً في الدراسات المهمة بالقرآن والثقافة الإسلامية. وقد لاحظتُ أن عدداً من الدارسين الكبار للإسلام والثقافة الإسلامية من أهل الغرب يرجعون إلى مؤلفاته ويفيدون من تبصراته. وهو في كتابه الذي نعرف بمادته العلمية الآن يحيل إلى كتاب آخر له يبدو مهماً في فهم البنية المفهومية للقرآن الكريم، ويحمل عنوان:

The Structure of the Ethical Terms in the Koran

ويدي الأستاذ إيزوتسو اقتداراً كبيراً في فهم القرآن الكريم والشعر العربي في كتابه الذي بين أيدينا، كما تتم تأملاته على إمام كبير بتاريخ الثقافة الإسلامية منذ نشأتها الأولى إلى عصور ازدهارها ونمائها. ويستشعر قارئ كتابه رصانته الكبيرة واتزانه واحترامه الكبير لكتاب الله سبحانه، وللمفاهيم القرآنية.

وأما الكتاب الذي نقدم للقارئ الكريم هنا عرضاً لمحتوياته وترجمناه إلى العربية، فقد أنشأه الأستاذ إيزوتسو بالإنكليزية وحمل العنوان:

God And Man In The Koran Semantics of the Koranic Weltanschauung

وقد صدر عن معهد كيو للدراسات الثقافية واللغوية في طوكيو سنة ١٩٦٤ م. وقد ألفه الأستاذ إيزوتسو بلغة إنكليزية جميلة إلى حد كبير، ولم أجد صعوبة كبيرة في ترجمته إلى العربية، بمن الله سبحانه وفضله. ويستلزم الاعتراف بالجميل الإشارة إلى أن الصديق

التبّيه والباحث الشابّ الجادّ الدكتور عبد الرحمن حللي، المدرّس في كليّة الشريعة من جامعة دمشق، هو صاحب الفضل في لفت انتباهي الى قيمة الكتاب لدارسي القرآن الكريم لغةً وفكرًا ومفهوماتٍ كبرى، فأحسن الله سبحانه له المثوبة.

والحقيقة أنّي سعدتُ بصحبة هذا الكتاب على امتداد خريف سنة ٢٠٠٥ م، وكان عليّ أن أردّد مع شيخي وسيدي جلال الدين الرومي:

«فمن جوار الطالبين تصير طالباً، وتحت ظلال الغالين تصير غالباً»
(المثنوي ج ٣، البيت ١٤٤٨)

والحمد لله في البدء وفي الوسط وفي النهاية، وحيثُ لا بدء ولا وسط ولا نهاية.
- العنوان الأصلي للكتاب بالإنكليزية:

God And Man In The Koran

Semantics of the koranic Weltanschauung

المؤلف: البروفسور توشييهكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu

الناشر وتاريخ النشر: معهد كيو Keio Institute للدراسات الثقافية واللغوية في

جامعة كيو Keio University، طوكيو، اليابان، ١٩٦٤ م.



الفتاوى



سماحة مفتي الديار المصرية و سماحة السيد هادي خسر وشاهي
سفير الجمهورية الاسلامية الايرانية في جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ محمد فريد نصر واصل (الوفري) مجمع البحوث الاسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أتقدم اليكم بخالص الود والتقدير وأهنتكم بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، واسمحوا لي أن أنتهز هذه الفرصة لكي أعبر عن بالغ التقدير لجهودكم الجبارة في مجالس التدريس والتعليم والتأليف والافتاء، كما أنتهز هذه الفرصة لأطرح عليكم هذه الأسئلة وتلك القضايا التي تشغل بال كثير من المسلمين وهي على النحو التالي:

أولاً: ما هو رأيكم في الشيعة الاثني عشرية الجعفرية الامامية وخاصة أن هناك فتاوى صدرت من عدد من شيوخ الأزهر الشريف الأجلاء طوال القرن الماضي من أمثال الشيخ محمود شلتوت، وفضيلة الشيخ سليم البشري وفضيلة الدكتور محمد الفحام وفضيلة الدكتور عبدالحليم محمود حيث قضت هذه الفتاوى بكون مذهب الامامية من المذاهب الاسلامية وكذلك صرحت بعضها بجواز التعبد بالمذهب الاثني عشري الجعفري شأنه شأن سائر المذاهب الاخرى، وكذلك أفتى بهذا مجمع البحوث الاسلامية ... فما رأيكم في مثل هذه الفتاوى للمشايخ العظام، وما هو رأيكم الخاص في القضية برمتها؟

ثانياً: والسؤال السابق يقودنا الى سؤال هام هو ما رأي فضيلتكم في قضية التقريب بين المذاهب الاسلامية؟ وكيف يمكن أن ندعم هذا الاتجاه لمصلحة الامة؟ مع العلم بأن التقريب يجمع شمل المسلمين ويوحد الأمة الاسلامية في شتى بقاع العالم.

ثالثاً: هناك كتب صدرت في بعض البلدان العربية والغربية وهناك أيضاً فضائيات تسعى لنشر المسائل الخلافية بين المذاهب وتبث اشاعات واكاذيب تحاول خلق مناخ من التوتر بين الشيعة والسنة وهذه الكتب والادعاءات قد رشحت الاوضاع للتفجر مما نجم عنه وترتب عليه بعض الاغتيالات والصدامات في باكستان وافغانستان واليمن ويراد نقلها الى العراق كما حدث مؤخراً، فما رأيكم في مثل هذه الكتب والفضائيات؟ وما رأيكم فيمن يحاول أن يعبث بالوحدة الاسلامية داخل امتنا؟ وما هو تقييمكم له؟ وما هي نصيحتكم لشعوبنا المسلمة في مواجهة مثل هذه التحديات والمخاطر؟

هذه بعض الأسئلة والاطروحات الهامة التي نحسب أن الأمة بحاجة لأن تسمع فيها رأيكم كعالم كبير من الازهر الشريف والمفتي السابق لجمهورية مصر العربية، درءاً للفتن وحماية لوحدة الصف.

والله سبحانه وتعالى هو نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيد هادي خسرو شاهي

رئيس مركز البحوث الاسلامية

الحوزة العلمية - قم ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المعالي والفضيلة العالم الجليل سيد هادي خسرو شاهي
رئيس مركز البحوث الاسلامية - الحوزة العلمية - قم - ايران
وسفير ايران بمصر (حفظه الله ورعاه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كل عام وأنتم بخير وبلدكم الكريم وجميع المسلمين في كل مكان بمناسبة هذا الشهر
الفضيل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، اعاده
الله علينا جميعاً كل عام ودائماً باليمن والخير والسلام وقد توحدت كلمة المسلمين
وصفوفهم امام اعدائهم، واعتصموا بحبل الله جميعاً لرفع الظلم والضعف عنهم وتحقيق
النصر لهم والخير والسلام لكل بني الانسان، كما أمر بذلك الإسلام. وبعد:

أولاً: أخي الكريم والعالم الجليل أشكركم على هديتكم العلمية العظيمة ورسالتكم
الكريمة وحسن الثقة بنا ومودتكم الأخوية الاسلامية الكريمة ونرجو الله أن نكون عنده
كما ظننتم بنا من الخير وأن يوفقنا وإياكم وكل العلماء المخلصين لما فيه خدمة العلم
والدين والاسلام والمسلمين في كل مكان.

ثانياً: بالنسبة للقضايا الثلاث المعروضة علينا منكم في رسالة معاليكم الكريمة
للإجابة عنها وبيان رأينا فيها فإليكُم الرأي والبيان في الآتي:

(١) بالنسبة لرأينا في الشيعة الاثني عشرية الجعفرية الامامية يتفق تماماً مع فتاوى
العلماء الاجلاء الوارد ذكرهم في اولاً، ومنهم فضيلة الشيخ محمود شلتوت، شيخ الازهر
الشريف، والشيخ سليم البشري، فضيلة الدكتور محمد الفحام، فضيلة الشيخ الدكتور
عبدالحليم محمود وشيوخ الازهر الشريف وذلك من حيث الاصول والعموم الاسلامية

المتفق عليها دون البعض من الخصوص والفروع الفقهية المختلف فيها والتي لا يؤثر الخلاف الفقهي والمذهبي فيها على العمل بكل المذاهب الاسلامية والتعبد بما جاء فيها والعمل به في مجال الفقه والتشريع بما لا يتصادم مع النصوص الشرعية الصريحة والقطعية الدلالة من الكتاب الكريم والسنة النبوي الصحيحة سواء كانت قولاً أو عملاً أو تقريراً، ومذهب الشيعة الجعفرية الامامية يدخل عندنا في دائرة هذه المذاهب التي ندين بها ونتعبد بها في مجال البحث والدراسة العلمية والفقهية والقضاء، والافتاء حسبما يظهر لنا من العرض على الادلة الشرعية الصحيحة عند ظهور الخلاف في بعض المسائل الفرعية الخلافية حسب اصول البحث العلمي والفقهي المقارن بعيداً عن التعصب المذهبي والتقليد الفقهي للوصول الى الحكم الشرعي والفقهي الصحيح الذي يوافق العصر والحال والمقام والحادثة حسبما يشهد له الدليل الشرعي الصحيح حسب اصول البحث والقواعد الاصولية والفقهية المعول عليها في البحث والدراسة واستنباط الاحكام الفقهية والشرعية عند جمهور الفقهاء المجتهدين في الشريعة الاسلامية من المسلمين وبحوثنا العلمية والفقهية كلها تؤيدنا في ذلك، ومنها كتابنا المدخل الوسيط في دراسة الشريعة الاسلامية والفقه والتشريع.

(٢) أما بالنسبة لقضية التقريب بين المذاهب الفقهية الاسلامية فهي من أهم القضايا التي يجب العمل على تدعيمها من كل مسلم وبخاصة العلماء والفقهاء المجتهدين من المسلمين جميعاً وذلك بشتى الطرق والوسائل العلمية والبحثية والثقافية وغيرها، وذلك لجمع شمل الأمة الاسلامية والمسلمين جميعاً على كلمة سواء في شئون دينهم ودنياهم وعلى التمسك بدينهم الاسلامي والعمل بشريعته الخالدة الصحيحة بما لا يتعارض صراحة مع القرآن الكريم والسنة الصحيحة وبما يسع العمل به حسب الزمان والمكان لدى شعوب الأمة الاسلامية كلها فقد كان لأعداء الأمة الاسلامية في القديم والحديث على طول تاريخها الاسلامي دور كبير في توسيع شقة الخلاف بين المسلمين واستغلوا الخلاف الفقهي والمذهبي الذي تجيزه الشريعة الاسلامية في الفروع دون الأصول ودخلوا من بابه بطرق خفية الى عامة المسلمين وبعض خاصتهم بطرق تدليسية في ازمة

تاريخية معينة فسد فيها الحكم السياسية لبعض الحكام بين المسلمين وظهر فيه اضطهاد بعد اتباع المذاهب الإسلامية التي لا توافقهم في المذهب السياسي والمعتقد الفقهي وحولوا هذا الخلاف في الفقه والسياسة ونظام الحكم الى خلاف في الدين والعقيدة بما كان له الاثر السلبي الكبير بين المسلمين حيث فرق بينهم وجعلهم شيعاً واحزاباً متنافرة أمام اعدائهم من غير المسلمين وكان ذلك هو السبب المباشر في دخول الاستعمار غير المسلم بلاد المسلمين ووقعها جميعاً تحت سيطرته واستعماره وتحويلها الى دويلات متنافرة ومتنافرة في العقيدة والحكم والسياسة، بعد أن فرق بينها وباعد وحجب عنهم التواصل في العلم والثقافة والدين والحياة وأصبح ذلك حقيقة ماثلة أمام أعيننا الآن، فبعد ان تحررت البلاد الإسلامية من الاستعمار العسكري لا الثقافي حيناً من الدهر، رجع اليها من جديد من خلال ادواته العسكرية والعلمية والثقافية المضللة والاقتصادية التي سيطرت عليها وعلى اهدافها الاستعمارية المادية والثقافية الصهيونية العالمية وها هي فلسطين والعراق، وافغانستان تقع بالكامل في قبضة الاستعمار الانجلو امريكي الاسرائيلي الصهيوني الجديد وهو يتربص الآن ببقية الدول الإسلامية ايران، سوريا والسعودية وغيرها تحت مزاعم باطلة مستنداً الى قوته المادية وتفوق وضعف الأمة الإسلامية ولا عاصم من هذا الخطر الحال بالامة الإسلامية الا بوحدتها الدينية والثقافية والسياسية واضعين نصب أعينهم أن ذلك من الفروض الشرعية والواجبات الدينية والوطنية التي لا يجوز التهاون أو التفريط منها بحال في أي زمان أو مكان لقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: «يبد الله مع الجماعة ومن شذذ في النار»، والامر في الآية الكريمة للوجوب والعمل به لجميع العباد المكلفين من المسلمين ولا صارف له عن اصله هذا لأن ترك العمل به يؤدي الى النزاع والخلاف والشقاق المحرم والمنهي عنه قطعاً بنص صريح، قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ والاعتصام بحبل الله المتين والعمل بكل ما جاء في كتاب الله الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ومن سار على نهجهم جميعاً الى يوم الدين هو العاصم باذن الله من خطر العدو الماكت أمام

عيوننا جميعاً هذا العدو اللثيم وهذا الاعتصام هو المؤدي بنا الى الانتصار عليه في أقرب وقت لأن هذا الاعتصام هو المؤدي بنا الى نصرته الله في دينه وشرعه بين العباد ونصرة الله سبحانه مؤديه بلا نزاع الى نصرته من ينصره من العباد، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

٣) أما بالنسبة لما ورد في ثالثاً فإني معكم على يقين كامل بأن إثارة المسائل الخلافية المتعلقة بالفروع الفقهية بين أتباع المذاهب الاسلامية وبخاصة بين ما أستخدم عليه بين الأتباع «مذاهب أهل السنة أو الجماعة ومذاهب الشيعة» غير جائز شرعاً وذلك لأن الخلاف في الفروع منهج في الاجتهاد الفقهي أقرته شريعة الاسلام وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أجتهد فأصاب فله اجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وكل مجتهد مصيب» وقد وقع ذلك الاجتهاد من الصحابة ووقع خلاف بينهم نتيجة هذا الاجتهاد وكل عمل بما وصل اليه اجتهاده وأقرهم النبي على ما وصل اليه اجتهادهم في العمل وصوبهم جميعاً ولذلك فلم يبعأ أحد منهم على الآخر المخالف له في الرأي الاجتهادي اين كان من أهل الاجتهاد في الحوادث والمستجدات البشرية التي يراد منها بيان ومعرفة الحكم الشرعي فيها اذ لم تكن من الامور المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا يجوز فيها الخلاف بأي حال من الاحوال كأركان الاسلام وفرائضه الدينية ومحرماته ومنهياته في العبادات والمعاملات والعادات المنصوص عليها صراحة والمبينة تبياناً كاملاً وواضحاً في الكتاب الكريم وسنة النبي الصحيحة عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ثم إن هذه التسمية للمذاهب باسمائها التي انتشرت بها ليست من الأصول الدينية التي ورد بشأنها نصوص قطعية أو ظنية في الكتاب أو السنة تأمر بالوقوف عند بعضها دون البعض الآخر. بل هي اسماء عرفية واصطلاحية لا يتبع صاحب المذهب تخليداً لجهده العلمي وتيمناً بالعمل بمنهجه في معرفة الوصول الى الحكم الشرعي الصحيح من أقرب طريق تيسيراً للباحث على البحث والاستنباط في الاحكام الشرعية الفقهية ومعرفة

الناس بها في أمور دينهم ودنياهم. لأن أصل الحكم عند الجميع ومصدره هو الشرع من خلال نصوصه الشرعية الصحيحة السماعية والاجتهادية القائمة عليها بالضوابط العلمية والقواعد الشرعية المعمول عليها في الاجتهاد والبحث والاستنباط الشرعي والفقه عند أهل الاختصاص من العلماء والفقهاء. فكل المذاهب الإسلامية أصلها التشريعي واحد وهو الوحي بقسميه القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وبذلك فكلهم بين رسول الله ملتصق سواء كان قرآناً أو سنة. وأما التعصب والتقليد لمذهب لعينه واعتقاد أن الخروج عنه محظور شرعاً فهو اعتقاد خاطئ وفاسد وهذا ما روجه أعداء الإسلام بحيث أوعزوا بين عامة المسلمين في عصور الغزو الاستعماري والثقافي بأن هذا المعتقد الباطل والفاسد هو من أصول الدين والمذهب ونجحوا بذلك في التفريق بين المسلمين لتفرق مذاهبهم الفقهية الإسلامية وتعصب كل اتباع مذهب لمذاهبهم حتى جعله العامة دينهم الذي يتعبد به دون غيره من المذاهب الإسلامية ولو صح الدليل لهم. وهذه سياسة المستعمر دائماً وهي «فرق تسد»، وقد عملوا كل الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق هذا الهدف ونجحوا فيه بالفعل في زمن تخلف المسلمين عن دينهم وشيوع الامية الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية بينهم زمن هذا الاستعمار الاجنبي الذي ظل بينهم طويلاً بطريق مباشر أو غير مباشر وأخطرها الآن هو الامية الدينية والغزو الفكري والثقافي والذي يسيطر الآن بقوة على وسائل الاعلام كلها تقريباً المقروءة والمسموعة والمرئية في داخل البلاد الإسلامية وغير الإسلامية.

ونقرر بيقين أن كل النزاعات والشقاكات والحروب التي دارت بين المسلمين في كل مكان من ديارهم الإسلامية والتي فرقت بينهم وقسمت وحدتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية لصالح العدو غير المسلم إنما هي انتاج هذا التعصب المذهبي والغزو الثقافي الأجنبي، والامية الدينية التي شاعت بين المسلمين حتى لمن وصل منهم الى أعلى الدرجات العلمية التي غرستها الثقافة الغربية والتي اشتهرت وعرفت بالعلمانية الغربية.

وكل الكتب والفضائيات والمؤتمرات والدوريات التي تروج للعلمانية الاوربية

والامية الدينية وبذر بذور الشقاق والخلاف المذهبي بين المذاهب السنية والشيعية هي من أخطر الاسلحة الفتاكة على الاسلام والمسلمين وعلى وحدتهم الاسلامية من جيوش الاعداء العسكرية والحربية ويجب التصدي لها بكل الطرق والوسائل المشروعة وهذا واجب عام يقع على عاتق الحكام والمحكومين وعلى اصحاب القلم والرأي وعلى جميع المسلمين وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وكشف الغث من الثمين امام العامة والخاصة من المسلمين وغيرهم وعند ذلك يرتفع الزيف والخداع عن المخذوعين بالاعلام الاستعماري من المسلمين ويتحقق لهم باذن الله في القريب العاجل النصر المبين والعظيم في كل مجالات الحياة والدين.

وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه ولنصرة دينه العظيم وشرعه الذي جاء لهداية البشر وتحقيق الخير والسلام والامان لكل الناس أجمعين مهما اختلفت عقائدهم الدينية ومذاهبهم الفقهية واجناسهم والسنتهم والوانهم في كل زمان أو مكان.

والسلام على من اتبع الهدى من بني الانسان،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

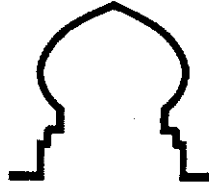
دكتور نصر فريد واصل

مفتي الديار المصرية الاسبق

وعضو مجمع البحوث الاسلامية

واستاذ الدراسات العليا بجامعة الازهر الشريف

القاهرة - ١٣ رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ . ق



اخبار ثقافية من العالم الاسلامي

اخبار ثقافية من العالم الإسلامي

في ختام زيارته لطاجيكستان..

وزير العلوم: ايران تعارض بشدة صناعة وتطوير أسلحة الدمار الشامل والنووية

قال وزير العلوم والابحاث والتقنية الدكتور محمد مهدي زاهدي امس السبت قبيل مغادرته العاصمة الطاجيكية (دوشنبه) أن علوم وتقنية العلماء والنخب الايرانية هي في خدمة السلام والاستقرار والقيم المعنوية في العالم لان تعاليمنا التاريخية والاسلامية مبنية على الكرامة الانسانية وحب البشرية.

واضاف الدكتور زاهدي، أنه بناء على معتقداتنا الاسلامية ومبادئ الاسلام المبنية على احترام حقوق الانسان فان الجمهورية الاسلامية الايرانية تعارض وبشدة صناعة وتطوير السلاح النووي واسلحة الدمار الشامل.

وصرح قائلاً، باعتقادنا أن العلم والتقنية ينبغي أن يكونا دوماً في خدمة البشرية وفي هذا السياق فإن ايران الاسلام تسعى دوماً لتحقيق عالم مفعم بالسلام والاستقرار والهدوء والامن والعدالة والقيم المعنوية. وادف قائلاً، ان ايران توصلت في مجال انتاج العلم والتقنية ومنها تقنية الوقود النووي والخلايا الجذعية والنانوتكنولوجيا الى انجازات مهمة.

وتابع قائلاً، ان اكتشاف دواء جديد للأمراض ومن ضمنها الايدز وبعض انواع

السرطان هي من الانجازات الجديدة للعلوم الطبية لعلماء ايران والتي تعتبر خدمة كبيرة للانسان المعاصر.

جدير بالذكر ان وزير العلوم الايراني اجتمع خلال زيارته الى دوشنبه الى الرئيس الطاجيكي امام علي رحمان ووزير المعارف والثقافة ورئيس اكااديمية العلوم والاساتذة ورؤساء الجامعات في طاجيكستان.

بكلمته في الاجتماع الـ ٢٤ لليونسكو..

معالي الدكتور زاهدي يدعو لاحترام حقوق الشعوب في التنمية العلمية والبحثية

دعا معالي وزير العلوم والتكنولوجيا والبحوث الايراني محمد مهدي زاهدي جميع الدول الاعضاء في اليونسكو الى احترام الحقوق الطبيعية والقانونية للشعوب في التنمية العلمية والبحوثية في مجال التكنولوجيا الحديثة المرتبطة بالطاقة.

وقال زاهدي في كلمة الخميس في الاجتماع الرابع والثلاثين للجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في العاصمة الفرنسية باريس، اننا وضمن دعمنا لتوصيات اليونسكو بشأن الطاقة المبنية على اساس دعم ايجاد الفرصة ونشر المعرفة العلمية والتكنولوجية وادارة الطاقة وحفظ الاحتياطيات فاننا ندعو جميع الدول الاعضاء لعدم الامتناع عن ايجاد الفرص ونشر المنجزات العلمية والتكنولوجية وان تحترم الحقوق الطبيعية والقانونية للشعوب في التنمية العلمية والبحوثية في مجال التكنولوجيا الجديدة.

وقال: اليوم يعاني الملايين من الافراد في فلسطين والعراق وافغانستان ونرى تراثها الانساني والثقافي والسياسي يذهب ادراج الرياح في الوقت الذي تقف المؤسسات والمنظمات والافراد ذوي المسؤولية موقف المتفرج وهو الامر الذي يؤدي في الواقع الى ايجاد واستمرار اجواء العنف والارهاب من جانب بعض القوى.

ودعا وزير العلوم الايراني مسؤولي اليونسكو وسفراء الدول في هذه المنظمة الدولية

لمكافحة التمييز والاستغلال والعمل على مساعدة البشرية التي تعاني اليوم من النقص في الحاجة الالهة والاكثر حيوية لاستمرار حياتها ألا وهي الامن والسلام والاستقرار. وقال: اننا بناء على ذلك نتوقع من اليونسكو ان تجعل شعار التضامن من اجل السلام العالمي والتنمية المستدامة في مقدمة برامجها التعليمية والثقافية.

واستعرض زاهدي اداء الجمهورية الاسلامية الايرانية في الارتقاء بالمستوى النوعي للتعليم في البلاد وقال: ان بلادنا عملت في العقود الاخيرة على تطوير التعليم على أوسع نطاق.

وقال: ان نحو ٩٧٪ من الاطفال في السن المقررة يتلقون التعليم الابتدائي حالياً وهناك نحو مليون ونصف المليون يتقدمون بطلبات للدخول الى الجامعات ومراكز التعليم العالمي عبر المشاركة في الامتحانات الوزارية حيث تشكل الاناث نصف المقبولين.

واضاف: ان عدد الطلبة الجامعيين في البلاد يبلغ حالياً ٣/٣ مليون طالب ونحن نسعى لرفع المستوى النوعي لهم.

بمناسبة رحيل آية الله السيد مرتضى العسكري

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾

ولد السيد مرتضى العسكري في مدينة سامراء المقدسة في عام ١٣٣٢ هـ ق «١٩٠٥م» ودرس في حوزتها العلمية السطوح والمقدمات مدة سنتين وبعد عام ١٣٤٩ هـ ق هاجر الى مدينة قم المقدسة في ايران في محرم ١٣٥٠ هـ ق وبقي فيها حتى عام ١٣٥٣ هـ ق.

درس في قم على يد كبار اساتذة حوزاتها العلمية كالامام الخميني «قدس» والسيد شهاب الدين مرعشي نجفي والشيخ محمد حسن شريعتمدار والشيخ ميرزا خليل كرمي في التفسير والذي كان العربي لسماحة العلامة السيد العسكري. والسيد مهدي شهيد

متولي المدرسة الرضوية حيث بقى فيها سماحته سنتين انتقل بعدها الى المدرسة الفيضية.

خطوات على طريق الاصلاح:

ادرك السيد العسكري من خلال دراسته الحوزوية واقع الحوزة وعدم استيعابها لمتطلبات التطور الاجتماعي المتنامي فكان ان شخص خطوات الاصلاح التي يجب أن تبدأ من الحوزات ذاتها فقام بمحاولة مع مجموعة من الطلبة من بينهم المرحوم السيد محمود الطالقاني لاعادة تنظيم الدراسة الحوزوية بالشكل الذي يمكنها من النهوض بمسؤولياتها في اوساط الامة.

وكان من بين فقرات المنهج المقترح تدريسه: التفسير والحديث والعقائد الاسلامية المقارنة الى جانب الفقه والاصول.

كما تضمن برنامج التدريس تمرين طلبة العلوم الدينية على الخطابة والتأليف والعمل الاجتماعي مع التركيز على دراسة حالة المسلمين وحاجاتهم الى بناء الشخصية الاسلامية الرصينة وصولاً الى المجتمع الاسلامي المنشود.

إلا ان المشروع على ما فيه من جوانب ايجابية تسهم في اعداد وتأهيل طالب الحوزة العلمية ويمكنه من أداء رسالته الاسلامية بما ينسجم ومتطلبات العصر، توقف ولم ير النور لاسباب خاصة، وكان ذلك زمن مرجعية آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم.

وبعد ان رجع السيد العسكري الى موطنه الاصلي سامراء «العراق» تابع دراسته العلمية فدرس الفقه الاستدلالي في حوزتها واستمر في تحصيله العلمي حتى قيام الحرب العالمية الثانية.

رجل العلم والعمل:

توجه العلامة العسكري ومنذ أواسط العقد الثاني من عمره نحو دراسة السيرة

والتاريخ والرحلات وتنوعت مطالعاته في هذه الجوانب وخرج عن حدود المؤلف من اهتمامات اقرانه في ذلك الوقت مما تعارفوا عليه.

فدرس تاريخ الهجمة الاستعمارية على العالم الاسلامي واستطاع بنباهته وذكائه ان يحدد غايات الغزو الفكري الذي اجتاحت بلاد المسلمين على حقيقتها والذي تواصل بشكل مبطن او مكشوف حتى بعد انتهاء السيطرة الاستعمارية المباشرة على العالم الاسلامي. كما أدرك خطورة محاولات الخلط المتعمد بين ما هو اصيل في فكر الاسلام وما هو طارئ عليه من افرازات الحضارة الغربية واثرت تلك المحاولات المقصودة في تشويه معالم الصحوه الاسلاميه الناصعة في أذهان الاجيال المتعاقبة.

فبعد دراسته لما كتب عن قضية التبتاك وقراءته للعروة الوثقى وأفكار السيد جمال الدين الافغاني «اسد آبادي» أعجب بها في البداية إلا انه غير رأيه فيما بعد لانه كما عبر عن ذلك «اكتشف ما فيها من خلط وخلط لان الرجل بغض النظر عن حقيقة نواياه اراد ان يصبغ الشرق بصبغة الحضارة الغربية».

وكان العسكري من اوائل المفكرين الاسلاميين في العراق الذين اكتشفوا حقيقة المناهج التربوية والتعليمية التي قررها المستشارون الاجانب في دوائر التعليم الحكومية للناشئة في العراق فحدد بعد دراسة معمقة التفاوت والبون الشاسع بين المناهج التي تدرس في المانيا وفرنسا واليابان ومثيلاتها المقررة في العراق الخاضعة لنفوذهم وتوصل بذلك الى احد الاسباب الحقيقية لتخلف هذا البلد والمتمثلة بالمناهج الدراسية السائدة.. لذلك سمي المدارس العراقية «معامل تحضير الموظفين» لانها لا تخرج إلا الموظفين الذين يجلسون على الكراسي ويقولون نعم لامراء الاستعمار كما تنبه سماحته رحمه الله الى علاقة الحوزة بالجامعات الحديثة وانقطاع الصلة بين هذين القطاعين الحيويين من جسم الامة فالحوزة منكفئة على ذاتها ولا تعني إلا بتخريج علماء للدرس والتدريس والجامعات كانت غريبة في توجهاتها وغريبة عن مجتمعاتها الاسلامية.

ولذا كان لابد من انطلاقة تكسر الجمود وتزيل حالة التقوقع والخمول فتتحرك العسكري من سامراء هذه المرة والحرب الثانية تتيخ بظلالها الثقيلة على العراق أرضاً

وشعباً. وكون حلقات للتوعية وللتدريس على شكل مدرسة أشبه ما تكون آنذاك بالكتاتيب في حين أنها لم تكن إلا عملاً مدروساً خطط له السيد بعناية وأراد له ان يكون مقدمة لمشاريع اوسع.

وكالعادة فقد واجه العسكري شأنه شأن باقي المصلحين على مر العصور معارضة من ذوي الافكار القديمة.

فشد الرحال الى بغداد العاصمة ليستقر في الكاظمية عله يجد مجالاً ارحب يستطيع من خلاله ان يعالج بالاسلام بعضاً من امراض مجتمعه. فالتقى هناك بالمربي الفاضل الاستاذ احمد امين صاحب كتاب «التكامل في الاسلام» فحصل التفاهم بينهما واتفقا على تأسيس مدرسة ابتدائية فتصدى المرحوم احمد امين للمشروع والعسكري يدفعه الى العمل ويقف من ورائه فكان ان تأسست مدرسة «منتدى النشر» في الكاظمية التي التحقت بجمعية منتدى النشر في النجف الاشرف تسهيلاً لحصولها على الاجازة الرسمية ثم رجع الى سامراء.

غير ان احمد امين واجهته بعض الصعوبات فاستعان بالعسكري الذي رجع ليستقر في الكاظمية ويدير بنفسه مدرسة منتدى النشر. وبعد ان تكلل المشروع في مرحلته الاولى بالنجاح صمم السيد العسكري على البدء في تنفيذ المرحلة الثانية منه وكان قوام مادتها التعليمية تدريس العلوم الاسلامية.

وقد واجهت عمليات التطوير عقبات هي الاخرى تمثلت في معارضة بعض المتسلطين في الكاظمية.

وكانت تلك الفترة مرحلة فاصلة في حياة العلامة العسكري الثرية في عطاءاتها الغزيرة في انتاجها.

فقد قفل راجعاً الى سامراء كما في المرات التي سبقت لينصرف الى البحث والتأليف بعد ان تكاملت قدراته ووجد في نفسه الامكانية على كتابة تاريخ الفكر الاسلامي فقسم مخطط بحثه الى عدة اقسام تمثل مراحل نشوء وتكوين الدعوة الاسلامية التي تلتها انتهاء بالعصر العباسي. وكنت العقبة الشائكة التي تقف في طريق هذا الانجاز الضخم

وجود احاديث مسلم بها عند جمهرة المسلمين إلا انها لا تصمد عند التحقيق من صحتها امام البحث العلمي الرصين. كالا حاديث المروية عن عائشة زوجة الرسول «ص» وابن عباس وانس بن مالك وأمثالهم.

ولم يترك السيد العسكري النشاط العلمي رغم تفرغه للبحث العلمي من اجل تأسيس المدارس والحوزات العلمية النموذجية، ولم يفت في عزمه الصعاب والعقبات التي واجهها في هذا السبيل. فزار لهذا الغرض ايران واتفق مع المرجع الديني الكبير السيد اغا حسين البروجردي على تشكيل «حوزة علمية خاصة» في قم يكون المسؤول عنها السيد العسكري.

لكن زحمة الاحداث التي تلاحقت على المسرح السياسي في ايران وتفجر الصراع بين الكاشاني وجماعته ومصدق والحوزة العلمية في قم دفعت به للرجوع الى العراق ليستقر في الكاظمية ويشروع بتأسيس حوزة علمية فيها ولم يوفق بسبب معارضة بعض الاطراف. فانصرف الى مشروع آخر وهو «مدرسة الامام الكاظم» «ع» التي استمرت الى ما بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

المؤسسات الاسلامية:

ونتيجة لاتساع نشاط الاحزاب العلمانية كالشيوعيين وتصاعد حملة التبشير المنظمة الممثلة بالمدارس التبشيرية كمؤسسة راهبات الكلدان وراهبات مريم العذراء التي كانت تبعث بسياراتها لتتنقل الطلبة من باب صحن الامام الكاظم «ع»، شمر السيد مرتضى العسكري عن ساعد الجد ونزل مع اخوانه من جماعة العلماء في النجف وبغداد وبرعاية مباشرة من المرجعية الدينية المتمثلة بالامام الراحل السيد محسن الحكيم «قدس سره» لخوض معترك الصراع السياسي والفكري المحتدم، وتميز نشاطه في هذه المرحلة بالانصراف للعمل السياسي والحركي بالاضافة الى مهامه الدينية.

وفي اطار هذا التحرك ذهب السيد العسكري الى منطقة البياض اولا كوكيل للمرجعية الدينية ثم انتقل منها الى الكرادة الشرقية التي اراد لها العلامة العسكري واخوانه

المجاهدون ان تكون قاعدة الانطلاق والتغيير لبغداد كلها.

ان بداية التحرك الاسلامي كانت من داخل الحسينيات فكانت مواكب الطلبة التي خرج في مقدمتها المرحوم الدكتور داود العطار ليقودها من مدرسة الامام الكاظم «ع» الى الصحن الشريف ثم لتتسع بعد ذلك لتصل الى ما وصلت اليه في السنوات اللاحقة. وللحقيقة وللتاريخ فان العلامة العسكري قد حمل على عاتقه ثقل المسؤولية الاساسي في التحرك الاسلامي الذي اتسع ليشمل كل زاوية من ارض العراق ارض المقدسات وموطن الانبياء والائمة عليهم افضل الصلاة والسلام. وكانت نظرية العسكري في التحرك قائمة على اساس ان يكون العمل الاسلامي قائماً ضمن مؤسسات وليس على اساس فردي لضمان ديمومته واستمراره ولصيانته من المؤثرات الشخصية فكانت جمعية الصندوق الخيري الاسلامي التي اسسها السيد هبة الدين الشهرستاني وكان اول رئيس لها وبعده كان رئيسها السيد مرتضى العسكري ومن الجدير بالذكر ان السيد العسكري سبق له ان اسس في وقت سابق جمعية التربية الاسلامية التي تركها لاختلاف اعضاء هيئتها الادارية فيما بينهم.

السيد العسكري كان قد كشف عن اسماء ١٥٠ صحابياً مختلفاً لم يكن لهم أي وجود اساساً

ذكرت وكالة فارس للانباء نقلاً عن احمد عابدي الباحث في العلوم الاسلامية واستاد قسم الفلسفة في جامعة قم ومن تلاميذ العلامة الراحل السيد مرتضى العسكري: من انجازات العلامة العسكري المهمة انه كان قد كشف ولاول مرة عن اسماء ١٥٠ صحابياً مختلفاً لم يكن لهم اي وجود خارجي، وان كل ما نقل عنهم من احاديث وروايات يعتبر كذباً وباطلاً.

واضاف هذا الباحث قائلاً: ان السيد العسكري لعب دوراً مهماً في تبادل الاساتذة بين كلية اصول الدين للعلوم الدينية التي كان قد اسسها بنفسه في بغداد وجامعة الازهر في مصر.

وذكر ان غالبية المسؤولين الذين يتولون الحكم حالياً في العراق كانوا من تلاميذ هذا الراحل الكبير ومن خريجي كلية اصول الدين.

وتابع حديثه قائلاً: ان العلامة العسكري كان يقيم في العراق حتى زمن حكومة صدام، وعندما هم الاخير باعتقاله اجبر على الهرب من العراق والمجي الى ايران التي اسس فيها ايضاً ثلاث كليات لاصول الدين في طهران وقم ودرزفول.

وصرح عابدي: لقد قام العلامة العسكري خلال حياته بالكثير من النشاطات الثقافية وألف ما يزيد عن ٥٠ كتاباً، وكان لمؤلفاته بالغ الاثر على المسلمين حيث اعتنق الكثيرون مذهب التشيع بعد مطالعتهم لهذه المؤلفات بحيث انه لم يتمكن احد في التاريخ المعاصر بقدر نجاح السيد العسكري في هذا الصدد، وقد سبق هذا العالم حتى العلامة الاميني والسيد شرف الدين في ذلك.

وقد أجرى العلامة العسكري حسب قول عابدي الكثير من المناظرات في مختلف البلدان وعادة ما كان ينجح في اقناع مناظريه ومنها مناظراته الشهيرة مع علماء الدين اليهود.

وحول أهم ميزات مؤلفات العلامة العسكرية قال: ان اهم ما تتميز به مؤلفات هذا العالم الكبير هو انه قد استند في تأليفها على مصادر لاهل السنة، وان واحد من اهم انجازاته هو انه كشف للمرة الاولى عن اسماء ١٥٠ صحابياً مختلفاً من الذين لم يكن لهم اي وجود خارجي أساساً واثبت بالدلة والبراهين على ان هؤلاء كانوا يعرفون بكونهم اصحاباً للنبي «ص» ولذلك فان الاحاديث والروايات المنقولة عن لسانهم هي كذب.

وذكر ان من بين اهم تأليفاته كتاب «القرآن الكريم وروايات المدرستين» وكان يهدف من تأليفاته لهذا الكتاب توضيح كيفية تعريف القرآن من وجهة نظر اتباع اهل البيت «ع» واتباع اهل السنة حيث قام بدراسة القانون من وجهة نظر الطرفين وتوضيح الفرق بين النظرتين. والكتاب يقع في ثلاثة مجلدات وهو لوحده كان سبباً في اعتناق الكثير من المسلمين في السودان لمذهب الشيعة.

أما عن خصائصه الاخلاقية فيقول تلميذه: من خصائص العلامة العسكري الاخلاقية انه كان في غاية التواضع ولم يكن يسعى الى الشهرة والثروة ويعلن دائماً بأنه لا يأخذ أي اتعاب عن كتبه. وفعلاً لم يستلم العسكري طوال حياته اي مبلغ عن تأليف كتبه وكان يصرح ويقول دائماً أن بإمكان كل من يريد نشر تأليفاته والاستفادة من الحقوق المادية لذلك.

وفي ختام حديثه صرح عابدي قائلاً: كان المرحوم آية الله العظمى الكلبيكاني قد ارسل رسالة للعلامة العسكري قال فيها: ارجوكم تسجيل اسمي في كليتكم كي يحشرنى الله يوم القيامة في عداد خدام كلية اصول الدين.

ويذكر ان العلامة السيد مرتضى العسكري قد فارق الحياة قبل أشهر في مستشفى ميلاد ب طهران عن عمر ناهز ٩٨ عاماً، وله من التأليفات: القرآن وروايات المدرستين، وموسوعة معالم المدرستين، وموسوعة معالم الاسلام، وعوامل التحريف في سنة الرسول، والفرق الاسلامية واسباب ظهورها، وقيام الائمة باحياء عقيدة التوحيد، وقيام الوصي باحياء السنة وغيرها الكثير من المؤلفات.

ندوة مركز يافا / تحت عنوان

لا للتكفير نعم للوحدة الاسلامية عقدت يوم ٢٥/٤/٢٠٠٧

كلمة افتتاحية للدكتور رفعت سيد أحمد:

نرحب بحضراتكم في هذا اللقاء الفكري المتخصص حول قضية تأخذ مكانها وأهميتها في اللحظة التي تمر بها الأمة الآن، وهي قضية «الفتنة المذهبية» و«الطائفية»، التي يثيرها المحتل والمستبد بين أصحاب المذاهب والرؤى والطوائف المختلفة، وكيف ندرك هذه الفتنة ونواجهها بسلامة الوحدة، مستمدين ذلك من حضارتنا العربية الإسلامية، ومن تجارب ونماذج عاشت مثل هذه اللحظات، وتمكنت من مواجهتها والتغلب عليها، وفي مقدمتها النموذج الفاطمي، إذ قرأنا وعلمنا كيف كان أصحاب المذاهب المختلفة يتعايشون في مناخ تسامح وتعدد، في ظل الدولة الفاطمية، وفي مؤسساتها العلمية

الدينية (الأزهر، ودار الحكمة، وجامع عمرو الذي كان مركزا لتعليم المذاهب السنية، آنذاك)، ولم تشهد تلك الدولة ما شهدته دول معاصرة حسبت على «أهل السنة»، وقد أغلقت المساجد التي يتعبد فيها الشيعة لأكثر من مائة عام، وهنا نستحضر ما ذكره أحد علمائنا (د / أحمد الصاوي: أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآثار بجامعة القاهرة) من أن الدولة الفاطمية كانت فوق المذاهب، وأقرب إلى «العلمانية» في إدارتها للتنوع الطائفي والمذهبي داخلها، فلم تتخذ من مذهبها الشيعي الإسماعيلي، بل انفتحت على «الأزهر» المذهبي والطائفي، حتى وصل كثير من النصارى واليهود للمراكز العليا في إدارة الدولة، وفق معيار الكفاءة وحده، في انساق مع رسالة التنوير والحوار الإسلامية، وبهذا الفهم الحضاري تمكنت الدولة الفاطمية من درء الفتنة، وتقديم نموذج للتعایش الإسلامي (سنة / شيعة)، على كافة المستويات الاجتماعية والإنسانية، وهو نموذج نتعش إليه اليوم مع ما نشهده من فتن مذهبية (في العراق مثلا)، لا تفيد أحدا إلا عدو الأمة (الأمريكي / الصهيوني، خصوصا).

وفي ذلك السياق نشير إلى فتوى صدرت قبل أيام من مفتى المملكة العربية السعودية، تتصدى لشأن تاريخي، هو خارج اختصاص ومهام دور الإفتاء، وإنما يرجع فيه للمختصين، فيفتي سماحته بأن مؤسس الدولة الفاطمية «مجوسي»، وهذا له دلالة خطيرة، فقد سمعنا من ادعى بأن مؤسس تلك الدولة كان يهوديا، أما مسألة «مجوسي» هذه فجديدة وخطيرة، والذهن يربطها بسرعة بالفرس (ومن ثم إيران والحملة الأمريكية الجائرة على إيران)، أي أن دار الإفتاء هذه تريد لفت أنظار المسلمين إلى منطقة أخرى في الصراع الحالي، وهي منطقة إيران (الفرس) وتجييش أهل السنة في هذا الاتجاه الذي لا يخدم إلا الولايات المتحدة، ومشروعها «الفوضى الخلاقة»، في سياق اتهام إيران بالتحضير لمشروع «فارسي» و«مجوسي» و«صفوي»، وغيرها من أوصاف خائبة لا تجد سندا من واقع أو تاريخ.

إذن هي فتوى جديدة في غير مكانها تضر بالمسلمين، وتجور على طائفة منهم، وتفتح أبوابا للتنازع والطعن التاريخي والواقعي من كل المذاهب والطوائف، وآل سعود

أنفسهم سيكونون أول الضحايا، فكم من كاتب ومؤرخ كتب عن الأصل اليهودي لمؤسس دولة آل سعود الأولي، وآخرهم «ناصر السعيد» المعارض، الذي خطفه آل سعود وقضوا عليه بطريقة شديدة الوحشية.

ونحن اليوم راغبون عن إثارة مثل هذه الفتن، راغبين في درء الفتنة، انطلاقاً من التجربة الفاطمية، وما شهدته من تسامح وتعايش، ورخاء اقتصادي وسياسي وفكري وإنساني، ومن أجل هذا كان لقاءنا اليوم مداخلية أ / محمد الدريني (الأمين العام للمجلس الأعلى لرعاية آل البيت بمصر): اسمحو لي أن أتجاوز النموذج الفاطمي الذي أشار إليه الدكتور رفعت سيد أحمد، لأتناول الدور السعودي وعلاقته بالدولة الفاطمية، وما يختزن في ضميره تجاه شعب مصر تحديداً.

أنشئ الأزهر على أيدي الفاطميين ليكون منارة إسلامية بعيدة عن الغلو والتطرف، ولكنه - أي الأزهر - صار اليوم وهابياً! كيف أصبح وهابياً؟ وكيف تم اختراقه؟ وكيف استبدل الأزهر الوهابي بالأزهر الفاطمي؟ خاصة مع الدور العالمي للأزهر الذي يتجاوز مصر والأمة العربية والإسلامية، إلى أنحاء الدنيا، عبر دعوته الوسط السمحة، هذه الدعوة التي أصبحت يتحكم فيها مركز الشيخ صالح كامل بالأزهر، من خلال استقطاب العديد من شيوخ الأزهر، ثم إعادة تثقيفهم بالخطاب الوهابي التجديدي الأخير.

ثم أنتقل لمرحل الانفتاح السعودي - المصري الرسمي، الذي نتج عنه فيما بعد الاختراق الشديد على كافة المستويات، سواء الدينية أو السياسية أو الاقتصادية، أو الأمنية حتى!

وضع آل سعود استراتيجية خاصة للتعامل مع مصر والمصريين، حتى إنهم أنشأوا في وزارة خارجيتهم قسماً خاصاً لإعداد الكوادر الدبلوماسية المفترض عملهم في مصر، ليتعاملوا مع الناس بالتحقير وأساليب معينة يحرسون عليها! ومنذ ثماني سنوات تحديداً، لاحظنا نشاطاً سعودياً مكثفاً في أوساط الفاطميين في مصر، ودفعت المملكة بأطقم استخبارات لرصد أنساب الأشراف المصريين في أعالي الصعيد، وإدخالهم في مشاكل ومتاهات، ثم كانت الطامة الكبرى عندما رصدنا مشروعاً لـ «سعودة» سيناء،

وقبائل السادة الأشراف تحديداً، وقمت بنفسى بإعداد مذكرة حول الوثائق التي حصلنا عليها، ووزعت على أهلنا وذوينا من الأشراف في سيناء تحت عنوان «استمارة أسرة سعودية تقيم في مصر»، في نشاط لا يشير إليه الإعلام أو يعترضه أحد، بحكم علاقاتهم الاقتصادية والسياسية والأمنية، والتحالف القائم الذي انتهى بسعي السعودية لتسويق الملك عبدالله زعيماً للمنطقة، والتبشير بدور سعودي رائد على حساب الدور المصري الذي جرى تهميشه حتى صار لا يقارن بالدور القطري!

وأعود للفتوى السعودية، فأسأل: من هو المفتي السعودي؟ وما المدرسة التي يمثلها؟ للإجابة أعود للتاريخ السعودي منذ وطأت أقدام المستر «همفر» أرض الجزيرة منذ مائتي عام لضرب الإسلام بالإسلام، ما اقتضى منه إعداد محمد بن عبدالوهاب بأيديولوجية تأخذ بعين الاعتبار في الدرجة الأولى، عزل المسلمين عن أماكن قوتهم المتمثلة في آل البيت، فكان الخطاب الوهابي السعودي المحرم لزيارة القبور ومراقد آل البيت، لقطع الصلة بين الناس وهذه الرموز الثائرة المنتهجة النهج الحسيني المقاوم للظلم والطغيان، وهو خطاب دعاة الاستعمار أطلقوه في نظر بعيد، تأكد اليوم مع ظهور المقاومة الحسينية (حزب الله والجماعات الحسينية) التي تقاوم بإمكاناتها المتواضعة في صلابة، سواء بالكلمة أم بالكلاشينكوف.

أدرك آل سعود الدور المنوط بهم وقبلوه، فتحولوا من لصوص في الدرعية، يقطعون السبيل على الحجاج ويسلبونهم، إلى دعاة للمذهب الوهابي ورعاة للمصالح البريطانية! أما عن دار الإفتاء السعودية، فقد قدمت وثيقة في كتاب لي تؤكد تبعية تلك الدار لجهاز المخابرات السعودي، وهي وثيقة معنونة بـ «سري للغاية»، وصادرة عن دار الإفتاء السعودية، ولا أعتقد أن هناك جهة دينية أو علمية تعنون رسائلها أو فتاواها بـ «سري»، اللهم إلا إذا كانت تقوم بنشاط أمني تجسسي!

لم تكتف الوهابية البغيضة (التي تم استخدامها لإقامة دولة آل سعود) بإنشاء الدولة على حساب عدة دول مجاورة، بل امتدت وفق الطموح السعودي والتأييد الأمريكي البريطاني، لتكون السعودية زعيمة العالمين العربي والإسلامي، عبر إغداق الأموال

والتوجيه ومحاولة صبغ الأمة بالصبغة الوهابية، كما حاولوا أن يفعلوا ذلك في مصر، التي أنفقوا فيها أضعاف ما أنفقوه على دول جوارهم التي تمثل لهم تهديداً (مثل اليمن المجاورة للسعودية، والتي بها ٥٢ مليون قطعة سلاح).

وأعود للسؤال: ما هو النشاط السعودي في إطار حديثنا عن الدولة الفاطمية؟ وهل توجد لديهم نبوءة تتعلق بالفاطميين من مصر تحديداً، وزوال ملكهم؟ قبل الإجابة أقدم وثيقة توضح مدى الاختراق السعودي الأمني للساحة المصرية (دينياً وسياسياً وفكرياً)، ورصد آل سعود لكل من يناوئهم في مصر، وكيف أنهم نجحوا في استقطاب وتجنيد صحفيين ومفكرين (من الأزهر الشريف تحديداً)، وكيف اعتمدوا مشروعاً للوئعة بين المسلمين والمسيحيين طيلة أكثر من عشرين عاماً، ثم كيف طور ذلك المشروع ليكون صراعاً سنياً - شيعياً، في إطار سعي الصهيونية لإيجاد صراع بديل فبدلاً من الصراع العربي - الصهيوني، يحتل الصراع السني - الشيعي الصدارة في الساحة! وهي وثيقة حصلنا عليها من أشرف الحجاز، الذين يعانون أشد المعاناة والاضطهاد، تحت نير النظام السعودي، وربما ضحوا بأنفسهم لكشفه وفضحه أمام الأمة والعالم.

وأشير هنا إلى ولع آل سعود بالتنجيم والعرافين، وكيف يقدم لهم هؤلاء نبوءات عن الخطر القادم من مصر، مصر التي ستعود فاطمية وتخلص الأمة من نظامهم، وتعمل على نشر العدل والرشد الفاطمي في أنحاء الأرض، لذا يسعون إلى تحجيم دور مصر واختراقها، وإفساد أبنائها، وهم يعملون اليوم باستراتيجية جديدة تراعي حجم ما توصلنا إليه، وتراعي حجم ما نحن فيه من ضعف وهوان، وتراعي انهيار منظومة التلفيق التاريخية للشيعية: كنت تسأل مثقفاً (وليس عامياً) مصرياً عن الشيعة، فيقول لك: إنهم من يؤمنون أن الرسالة جاءت لعلي بينما قام محمد بخطفها منه! انهارت هذه التلفيقات وبدلاً للناس أن الشيعة يقولون لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وأنهم يؤمنون بكذا وكذا، وأنهم ليسوا بكفرة كما كانوا يقولون!

عندما انهارت هذه المنظومة كان على آل سعود البحث عن مناطق أخرى لاستهداف الشعب المصري، الذي يمثل الأولوية لآل سعود عن أي شعب آخر في المنطقة!

وهنا أسأل: هل نجح آل سعود عبر العقود الأربعة الأخيرة في استهدافهم للمصريين؟ رغم جهودهم الكثيفة يفشل آل سعود في جهودهم، ويبقى المصريون مرتبطين بآل البيت، لا يقعون في الفتنة المذهبية، وسطاً متسامحين.

في النهاية أتعرض للفتوى التي أصدرها مفتي، آل سعود، وألفت النظر إلى حرص آل سعود على اختيار مفتيهم من المكفوفين، فلن نجد لهم مفتياً بصيراً، وهم لهم شروطهم فيمن يتولى الإفتاء، وهي شروط قد أوردها الشيخ محمد العجمي في بحث له، عندما اختلف مع ابن باز، والعجمي هو من علماء السنة، وهي شروط تخدم المشروع السعودي البريطاني المنشأ والاستعماري الولاء (من بريطانيا للولايات المتحدة)، وأقول إن تلك الفتوى موجهة لمصر أساساً، فهم - آل سعود - يعلمون ما اختصت به مصر (عرقية المكان والزمان) تلك الحضارة الأمانة التي ذاب فيها كل القادمين إليها، بمختلف أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم، في مناخ طيب يسمح بإقامة وحدة في الفكر القومي، مناخ يهيئهم ليكونوا رجالاً واحداً.

حاول آل سعود - وما زالوا - تفتيت مصر الإنسان، ذلك أن الإنسان هو صانع الحضارة، والذي يحافظ على ديمومتها، والسعودية تسعى تحديداً لهذا الإنسان! مؤخراً انطلقت دعوات تطالب بحقوق السادة الأشراف في الحجاز، ونحن قد تحملنا هذه الدعوات منذ عشر سنوات، في مصر، والأردن، واليمن، وخاصة بعد أن وجدنا تدخلاً سعودياً في أوساط الفاطميين حيث توجد الكثافات السكانية للسادة الأشراف (مصر، اليمن، الأردن...)، وقد قدمنا الوثائق والدلائل على ذلك التدخل، وأيضاً أشير للدعم الليبي للسادة الأشراف، الذي أثار حفيظة آل سعود، ما ألجأهم لإثارة القبائل الليبية المقيمة في مصر (وتعدادهم سبعة ملايين)، ولتحرير أجهزة الأمن على الأشراف في اليمن ومصر، فقد أدركت السعودية أن ثمة تحركاً يستهدف وجودها، وبدلاً من إعطاء الأشراف وغيرهم حقوقهم، كان الرد بالعمل الأمني والاستخباري ونشر الفتن بين الأشراف، في أوساط أشراف سيناء، والدفع بعناصر وهابية لنقابة السادة الأشراف لتؤم نشاطها.

ونحن هنا في مصر لا نرى سبيلاً لدرء هذه الفتنة، غير توعية عباد الله بحقيقة المشروعات التي تستهدفنا في أمننا واستقرارنا وسيادة بلداننا، ليس أمامنا إلا رفع درجة الوعي بحقيقة الشيعة، وحقيقة الفتوى السعودية الوهابية، واستنادها إلى مصالح آل سعود وحلفائهم من الغرب والصهاينة، وعلاقتها باستعداد العالم كله على الشيعة (في مصر والعراق وإيران)، ولماذا رفع شعار «المجوسية» اليوم بدلاً من اليهودية!

أخيراً يبقى الفاطميون كنموذج راق يقتدي به المفكرون والأدباء، والذين يسعون للارتقاء بشعوبهم، وكحلهم للشرفاء الآملين في وحدة بلادهم ونهضتها على كافة الصعد.

مداخلة الأستاذ فكري عبد المطلب

لا تقل «كيف نواجه الفتنة الشيعية - السنية انطلاقة من تجربة الدولة الفاطمية»، بل قل «كيف نواجه الفتنة المصرية انطلاقة من تجربة الدولة الفاطمية»، فالأمر تجاوز السنة والشيعة، وأصبح أمر الفتنة داخل مصر منذ عشرينيات القرن الماضي وحتى يومنا هذا، حين اصطنع آل سعود (من خلفهم البريطانيون) الجماعة الوهابية داخل مصر، ابتداء من الجمعيات الشرعية وجمعية أنصار السنة والإخوان المسلمين، وكان دورهم في دعم الاستبداد السياسي والديني مستمراً، ومتوصلاً، وكانت مواقفهم المناوئة لحركة الكفاح الوطني المصري، إلى أن نصل لسبعينيات القرن العشرين، لنجد امتدادات وهابية أخرى متمثلة في جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، وما أحدثته تلك الجماعات من فساد في البلاد والعباد.

إذن، إذا أرادت الدولة المصرية المعاصرة أن تعيد اللحمة لهذا الوطن وأبنائه، فانما يكون ذلك - إضافة إلى استدعاء النموذج الفاطمي - بهدم الدولة الوهابية السرية في مصر، وهي مهمة يمكن للدولة أداؤها إن أرادت، وبناء عليه فأنا أدعو لعقد محاكمة شعبية لجماعة آل سعود، محاكمة تاريخية ومعاصرة ليس فقط لما أحدثوه في مصر، وإنما لأجل ما أحدثوه في العالم ككل.

وإذا أردنا أن نأخذ من عنوان ندوتنا اليوم منطلقاً، فإننا نسأل: ما هي الدروس

المستفادة من تجربة الدولة الفاطمية؟

فعلى خلاف حملات التعريض الديني والسياسي بسمعة الدولة الفاطمية، فإن مجمل الدراسات العلمية المدققة المحققة يعلى من شأن هذه الدولة، بوصفها النموذج الأبرز والعنوان الأعرض لجواهر الحضارة العربية والإسلامية، ضمن أعلى مراحل رقيها وتطورها الثقافي والعلمي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، نظراً إلى:

ما اصطنعته هذه الدولة من صيغ تعايش فريدة بين مختلف أبناء المذاهب والطوائف الإسلامية (وغير الإسلامية)، طوال أكثر من قرنين، ورغم أن الدولة الفاطمية كان لها انحيازها اللغوي (اللغة العربية)، والمذهبي (التشيع لآل البيت)، فإن الغريب أن هذا الانحياز لم يحل دون الانفتاح الفاطمي على انحيازات الآخرين اللغوية والمذهبية والطائفية، وبذلك فارقت الدولة الفاطمية المأثور الأموي في العصبية والاستبداد، وفارقت الدولة العباسية في رخاوتها وجمودها.

استيعاب مصر بتصوفها الشعبي المكين ما يسمى بالتشيع السياسي المتين للتنظيم السياسي آنذاك، اتساقاً مع نزعة توحيدية تحصن بها مسلمو مصر متعالمين بها على كل عصبية مذهبية كانت، وكل ضغينة طائفية سادت خلال التاريخ الإسلامي من قبل ومن بعد، فالمصريون هم سنة التشيع، وهم شيعة السنة (أن جاز الوصف)، وذلك بعد أن طاب القضاء المصري بأهل الزهد والتعبد يسعون للصفاء الروحي، والنقاء القلبي، سبيلاً لمعرفة الرقائق الكلية وتذوق الحقائق الإلهية بالكشف الباطني الدائب، والمشاهد الوجدانية المبدعة، في معتكفات المتصوفة وفي أضرحة الصالحين من آل البيت الكريم ومن الأولياء المختارين المنتشرة في أنحاء مصر. وبهذا تبددت غربة التشيع الفاطمي في مصر، وتفتحت روحية المصريين في أجواء التسامح الفاطمية، وها هنا صار مشرق المصريين في مغرب الفاطميين والعكس.

صبغت الروحانية المصرية التشيع الفاطمي بصبغة جديدة عميقة متجددة، في إطار دور فاطمي في تعزيز النسيج الاجتماعي المصري، واستثمار الموارد الاقتصادية المصرية لصالح المصريين، بعد أن كانت مصر في عهد الأمويين والعباسيين بقرة تحلب

وتستنزف مواردها، ما أدى لقيام الثورات المصرية، خاصة في عهد العباسيين، ما حدا بالخليفة المأمون إلى القدوم إلى مصر (٢٠٧ هـ) لإخماد إحدى أكبر تلك الثورات، مستخدماً العنف والوحشية لكسار إرادة الثائرين، ولعل تلك الأحداث والمظالم هي ما جعلت الفتح الفاطمي لمصر طوق النجاة للمصريين من المظالم، وهو ما استجاب له الفاطميون على المستويين المادي والروحي.

استطاعت الدولة الفاطمية أن تستعيد طوراً من أطوار السيرة الحضارية للدولة المصرية القديمة، عبر استعادة المركزية لمصر لعد تحولها لولاية تابعة لدولة الخلافة، وأصبحت مصر عاصمة الإمبراطورية الفاطمية ومركزها، تصير إليها الفوائض التي كانت توجه لدمشق أو بغداد.

على مستوى الاختلاف المذهبي، فإن عهد الفاطميين كان عهد تسامح لا تقابل مذهبي، فلم يعرف عصر من العصور الإسلامية المتعاقبة منذ صدر الإسلام ضرباً من ضروب التسامح مع المتباين مذهبياً أو طائفياً أو عرقياً، كما في العهد الفاطمي، منذ صعود الفاطميين المدوى في شمال أفريقيا وحتى اتساع مملكتهم من قاعدة الأراضي المصرية.

على المستوى المذهبي، أتاح الحكم الفاطمي لفقهاء المذاهب الإسلامية الكبرى تدريس مذاهبهم في المساجد الكبرى بجوار المذهب الرسمي للدولة (التشيع الإسماعيلي)، فكان للمالكية (١٥ حلقة) وللشافعية مثلها، وللحنفية ثلاث حلقات، ما جعل من مصر المتسامحة مقصداً للعلماء والطلاب من أبناء المذاهب المختلفة طلباً للأمان والعلم.

كما يعطي الرحالة المسلمون الذين زاروا مصر صورة طيبة عن ذلك العهد، ومنهم ابن جبير الرحالة الأندلسي الشهير الذي زار مصر سنة ٥٧٨ هـ معظياً وصفاً شائقاً جداً للرعاية الفاطمية للنشاط العلمي في جامع عمرو بن العاص (الذي لم يغير الفاطميون اسمه رغم موقف عمرو بن العاص من علي بن أبي طالب في نزاعه مع معاوية)، أما ابن سعيد المغربي فقد أشاد بالحركة العلمية المتصاعدة لجامع عمرو آنذاك، وذلك أثناء

زيارته لمصر في القرن السابع الهجري.

وبذلك صار جامع عمرو - وهنا المفارقة - مركزاً مشتركاً للدراسات السنية والشيعية، ما جعله قبلة لطلاب العلم من المذاهب المختلفة، أما الأزهر (أو جامع القاهرة كما كان يسمى) فقد شهد في البدء الحلقة العلمية الشيعية، ثم نقله الوزير يعقوب بن كلس من الحلقة المذهبية الضيقة إلى آفاق علمية وثقافية أوسع. أما على المستوى الطائفي فقد دأب عدد من المؤرخين على وصف الواقع الذي عاشه أقباط مصر ويهودها في ظل الفاطميين بأنه العصر الذهبي لهؤلاء المختلفين دينياً عن غالبية أهل مصر، ليس فقط بالمقارنة بالعصور السابقة، وإنما أيضاً بالمقارنة بالعصور التالية، بما في ذلك عصر التحديث الأوروبي في العالم العربي أو غيره.

وأياً ما كان موقف المؤرخ من تلك السياسة الفاطمية، بين وصفها بالتسامح وقبول الآخر المذهبي والطائفي، وبين وصفها بالانحياز للأقباط واليهود على حساب المسلمين من السنة، فإن السياسة الفاطمية تجاه المصريين غير المسلمين «الأقباط خصوصاً» اتسمت بلمحنيين أساسيين: أولهما هو الاحتفاء الرسمي بأغلب الأعياد القبطية، فيذكر المقرئ في كتابه الشهير «المواعظ» أن الحكام الفاطميين حرصوا خلال الاحتفال برأس السنة القبطية على تعطيل الأسواق، وتفريق الكسوة على رجال الدولة وأبنائهم، إلى جانب توزيع اللحوم والفاكهة والخبز، دون تمييز بين أقباط ومسلمين وغيرهم.

سياسة التسامح هذه كان من آثارها تقدم الصناعة المصرية، إذ أثمرت هذه السياسة عن انخراط أبناء الطوائف المختلفة بحماس في النشاط الإنتاجي والخدمي بكل ما لديهم من خبرة ومهارة في عهد تلك الدولة، وهو ما جعل من العهد الفاطمي علامة مميزة في تاريخ مصر الحضاري، تستدعي التوقف عندها عملياً واستلهاً قيمها في ذلك العصر، ولا سيما على مستوى التعايش المذهبي والطائفي.

تعليق من د / رفعت سيد أحمد

لي ملحوظة هنا وهي أنني قرأت على أحد مواقع شبكة المعلومات الدولية أن المملكة

السعودية بها حوال مليون مواطن إسماعيلي، وهنا يأخذني العجب إذ كيف يصدر مفتي المملكة هذه الفتوى التي تتهم مليون مواطن في عقيدتهم، ويؤدي بذلك خدمة جليلة لمن يريد اختراق هذه المملكة أو تدميرها؟! ولكن يبدو أن هذا الأمر لا يشغلهم وإنما يشغلهم تنفيذ الأجندة الأمريكية، التي تلعب اليوم على الاختلاف المذهبي، وهذا ليس تحليلاً لنا وإنما قائم على معلومات سبق نشرها، عن أجندة استخباراتية تحت قيادة للولايات المتحدة (خاصة مع انتصار حزب الله الأخير) تهذف للإثارة وإبراز الصراع المذهبي على أنه الأهم، باعتبار الدولة الصهيونية جزءاً من نسيج المنطقة، وأن الصراع معها يأتي في المرتبة الثانية!

وقد نشرت جريدة «الفجر» القاهرية أنباء الاجتماع الاستخباري في مدينة العقبة الأردنية في سبتمبر الماضي، تحت القيادة الأمريكية ومشاركة عربية وصهيونية وتركية للكيد للمقاومة العربية المسلمة (حزب الله، وحماس، والجهاد الإسلامي، وإيرن)، ولرفع الشعار المذهبي أساساً للصراع في المنطقة، تحت وصف «الاعتدال» للدول الحليفة للاستعمار الغربي، وعلى رأسها المملكة السعودية.

مداخلة أ / محمود جابر «باحث في التاريخ الإسلامي»
أنطلق في مداخلتني من نقطتين:

هناك دعوتان كانت إحداهما لوزارة الثقافة المصرية سنة ٢٠٠٢، بالدعوة لإحياء وجه القاهرة الفاطمي، والدعوة الأخرى جاءت هذا العام ٢٠٠٧ من العقيد القذافي في أباديس في ذكرى المولد النبوي الشريف، حول تاريخ الدولة الفاطمية، وما بين التاريخين بدأت حملة مسعورة من الوهابية على الدولة الفاطمية، وقد تابعت سنة ٢٠٠٢ عبر إحدى الدوريات الوهابية في مصر، واحدة من صور تلك الحملة، التي تواصلت حتى اليوم.

وثانياً: يمكن لنا أن نرصد منذ يوليو / تموز الفائت ٢٠٠٦ وحتى أبريل / نيسان الحالي ٢٠٠٧ فتويين وهابيتين، صدرت إحداهما أثناء العدوان الصهيوني الأخير على

لبنان بعدم مناصرة حزب الله، وكانت الفتوى الأخرى عن الدولة الفاطمية وأصولها «المجوسية» المزعومة!

جاءت دعوة القذافي لتثير نقاشنا حول مسألة الدولة الفاطمية في مصر، لتكون مشروعاً تقترحه في مواجهة المشروع الوهابي المثير للفتن والتكفير في أنحاء الأمة، وللحقيقة أؤكد أن الدولة الفاطمية نفسها نشأت كرد فعل للاضطهاد والظلم لآل البيت وعموم الناس، وهي تنسب للإمام إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، وكان ملجأ هؤلاء المضطهدين هو المغرب العربي حيث أطراف الدولة العباسية، وحيث تخف قبضتها ويجدون سعة في الاعتقاد والمعاش، فتأسست في المغرب مملكة متعددة الطوائف والمذاهب، سرعان ما قويت وانتشرت الأنباء عن عدلها ورشدها.

في الوقت نفسه كان المصريون يعانون الأمرين تحت الحكم العباسي، فبرنوا إلى الدولة الناشئة، في رجاء وأمل، وسرعان ما راسل فقهاء وعلماء مصر السنة القائد الفاطمي جوهر الصقلي ليقدم لمصر، ويعاونه أهلها في فتحها لتكون مصر عاصمة الدولة الفاطمية، مشترطين على الصقلي شروطاً خاصة بالحرريات العقدية والمذهبية، يلتزم بها الفاتحون مطبقين من نسميه اليوم «مبدأ المواطنة» خير تطبيق، مساوين بين جميع المصريين على اختلافاتهم وتعدد مذهبهم والطائفي والحضاري.

وإني هنا أؤكد على الالفة الذكية التي أوردها الأستاذ فكري عبد المطلب، من أن الفاطميين أبقوا على اسم عمرو بن العاص على أقدم مساجد مصر، على رغم ما يحمله التاريخ والموروث الشيعي لعمرو بن العاص لموقفه المناوئ للإمام علي (كرم الله وجهه) في النزاع مع معاوية، ولعل هذا مما يدحض ما يثار عن عداة الفاطميين للمصاحبة وسبهم إياهم، كما أحب الإشارة إلى موقف الحاكم بأمر الله من النصارى وسماحه لمن أكرهوا منهم على دخول الإسلام (في العهد السابق) بالعودة لدينهم دون عقوبة أو خوف.

ختاماً، اظننا ونحن نتحدث عن حرية الفكر والقول التي أطلقها الفاطميون لجميع المواطنين، لا يقوتنا أن نشير إلى أن التشيع - أي كانت آراؤه - قد اتخذ من الحرية والتحرير وتشجيع العلم واحترامه طريقاً، لم يجد عنه مطلقاً.

مداخلة د / علي أبو الخير (الباحث في التاريخ الفاطمي)

أبدأ بالتأكيد على الأهمية البالغة لمثل هذه الندوة التي تجلّى فصلاً من أعظم فصول تاريخ الأمة، وهو رغم ذلك لا يحظى بحقه من الدراسة والإنصاف، ويتعرض لكثير من الأقاويل والمزاعم، منها أن الفاطميين كانوا محتلين أجانب فرضوا التشيع على أهل مصر، وما إن انتهت خلافاتهم حتى عاد المصريون لمذهبهم السني!

وهنا أرجع إلى أعلام (أمثال الدكتور جمال حمدان والدكتور حسين مؤنس)، أكدوا قدرة مصر على تذويب أي قادم إليها وتمصيره، وأن كون الحاكم غير مصري لا يعني مطلقاً وقوعها تحت الاحتلال، وإنما الفیصل في ذلك هو استقلال مصر أو تبعيتها لدولة أخرى، فإن كانت مستقلة (وإن حكمها عربي أو أعجمي مسلم) فلا احتلال، وإن كانت تابعة لأخرى فهو الاحتلال (وإن حكمها مصري)!

وهذا ما اكتشفته الدولة الفاطمية: أن مصر تقبل الوافد المنصهر المتفاعل، وترفض المحتل المفروض عليها، فجعلوا مصر القاعدة والعاصمة وساحة للتسامح والإشعاع العلمي، وحصناً للحفاظ على المقدسات، وحرصوا على ربط الحجاز بها لهذه الغاية، وقد شهد الحجاز في عصرها تسامحاً وازدهاراً ثقافياً واقتصادياً غير مسبوق، لذا لا عجب أن نجد المؤرخين يصفون الدولة الفاطمية بـ «دولة المصريين» أو «الدولة المصرية»، وكانت الدولة العباسية نفسها تنعتها بهذا النعت!

لذا إذا أردنا أن نستعيد النموذج الفاطمي المتسامح، فلا بد لنا من إعادة الدور المصري من جديد، وهذا يحتاج لجهد ثقافي وإعلامي وفكري بالترويج للقيم الفاطمية، بالتزامن مع جهود تجفيف منابع الفكر الوهابي والتصدي له، لأن مصر هي القائد والرائد للأمة، لا نهضة للأمة ولا قوة لها بغير مصر، ولا يفوتني الإشارة إلى أهمية استعادة المؤلفات والأعمال التي أنصفت الدولة الفاطمية، وإلقاء الضوء المناسب عليها، وترويجها ونشرها بين الجمهور لتصحيح المفاهيم والأفكار.

مداخلة الأستاذ / وليد الغمري (باحث وصحفي):

أبدأ بالتأكيد على أهمية الحقبة الفاطمية في التاريخ المصري، وأنها الأنسب لمواجهة الفتن ومخططات الصراع المذهبي المثارة اليوم، في لحظة تاريخية حاسمة إما أن تتجو منها الأمة، وإما أن تنهار فلا تقوم لها قائمة (وهذا لن يحدث إن شاء الله).

ورغم تلك الأهمية فإن الحقبة الفاطمية هي أقل الحقب التي اهتم بها الباحثون، ومن تناولوها كانوا على طرفي نقيض: إما مؤيد تام، وإما معارض تام، دون وسطية ولا نزعة محايدة! وغابت الموضوعية في دراسة دولة قادت الأمة (أو الجزء الأكبر منها) طوال ما يقرب من ثلاثة قرون، ورغم أن مصر في عهد تلك الدولة، صارت للمرة الأولى في تاريخها عاصمة لدولة الخلافة، ومركزاً للأمة! ناهيك عن التسامح الديني الذي ساد تلك الدولة.

إن المؤرخ المحايد يخرج من تاريخ الدولة الفاطمية بعديد من الإنجازات التي تحسب لها، وعلى رأسها النهضة العلمية الواسعة في كافة المجالات (دينية ودنيوية، ونذكر في هذا الصدد «دار الحكمة» و«الأزهر».

الملحوظة الأخرى أن الدخول الفاطمي لمصر كان أشبه بالدخول السلمي، فلم يلق الفاتحون مقاومة تذكر، وسط ترحاب شعبي واضح، وهذا ما يحتاج لبيان ودراسة. يلفت النظر كذلك التسامح الذي اتسمت به تلك الدولة، ويكفي أن الفاطميين الإسماعيليين حكموا مصر طوال ما يقارب ثلاثة قرون، وحين انتهى حكمهم بقي المصريون كما هم بمذهبهم السني.

أخيراً أشير إلى الفتوى السعودية المشار إليها، وأؤكد أنها لا تفيد أحداً سوى المستعمر وأعداء الأمة، أما تاريخ الدولة الفاطمية، فما زالت بنا حاجة لاستعادة وبيانها، واكتشاف مزيد من النقاط المضيئة فيه، واستصحابها في الظرف الحالي والتحرر من الأهواء السياسية التي توجع الصراع، وتثير الفتن ولا تخدم مجموع الأمة.

مداخلة أ / عبد الحميد غانم (صحفي):

أجريت استطلاعاً لآراء مجموعة من علمائنا الأجلاء حول تاريخ الدولة الفاطمية، وما لفت نظري بداية هو إجماع من اتصلت بهم - وهم مختلفون في موقفهم المؤيد أو المعارض للفاطميين - على أن الدولة الفاطمية كانت دولة رشد وعدل ودولة مؤسسات ورؤية ومنهج وتعايش مذهبي وطائفي.

وقد فات الإخوة المتحدثين أن يشيروا إلى أمر شديد الأهمية بخصوص الدولة الفاطمية، وهو إنشاءؤهم لجامعة الزيتونة بتونس، وهي أقدم الجامعات الإسلامية على الإطلاق في تاريخ الأمة.

وأعرض عليكم بعضاً مما قاله علماؤنا في هذا العدد:

الدكتور صلاح عبد الله (رئيس الحزب القومي الحر) أكد على الإنجازات العظيمة للدولة الفاطمية، وأنها كانت دولة منهج ورؤية ومؤسسات، أما الدكتور مصطفى الشكعة (رئيس لجنة التقريب بين الأديان في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) فأكد أن التسامح والتقريب كانا أساس حكم الفاطميين، أما الدكتور محمود جوامع (المفكر الإسلامي المعروف) فأشار إلى أن جوهر المسألة ليس التمازج السني أو الشيعي، وإنما القضية هي قضية فتنة ونشر سموم بين المسلمين، ما يجرنا إلى خلافت فرعية تلهينا عن جوهر قضايانا وعن الاعتداءات على مقدساتنا ورموزنا الإسلامية.

الاستاذ الدكتور عبد الباسط هاشم (أستاذ الشريعة بكلية أصول الدين) يختلف تماماً مع الدولة الفاطمية ومع الشيعة في الأصول والفروع، ولكنه يؤكد على أن الدولة الفاطمية كانت دولة رشد وعدل ومؤسسات.

د / أحمد راسم النفيس (المفكر الشيعي المعروف) أشار إلى أهمية الحوار والجدال بالحجة في تناول قضاياء الأمة، بعيداً عن القمع والاضطهاد، وأن ما يثار اليوم من فتنة مذهبية هو كارثة بكل المقاييس.

د / جمال حشمت (القيادي في جماعة الإخوان المسلمين) أشار الى ما تعانيه الأمة من ضعف وهزال، والذي أوصلنا لمرحلة إثارة الفتن بين المسلمين، في وقت نحتاج فيه الى الاتحاد والترابط.

د / عبد اللطيف عامر (رئيس قسم الفقه بكلية أصول الدين بالزقازيق)، دق ناقوس الخطر محذراً من الفتنة الطائفية أو المذهبية، مطالباً بتشكيل جبهة إسلامية من كافة المذاهب لمواجهة أعداء الأمة، والتهديدات للمقدسات الرموز الإسلامية.

مداخلة أ / ايهاب شوقي (باحث في تاريخ الفنون)

فيما يلي أقدم محاولة لقراءة ثقافية وفنية لتاريخ الدولة الفاطمية، كنموذج للتوافق بين الاستنارة والفنون الراقية، ولكن قبيل أن أبدأ أقدم توصيفاً لما يثار اليوم من فتنة بين السنة والشيعة، يشجعني على إعلانه أنني سمعته من أحد علمائنا الأجلاء (د / جمال قطب)، وهو أن الخلاف بين السنة والشيعة اليوم، لا يعدو الخلاف بين الأهلي والزمالك في كرة القدم (خلاف مصطنع ناتج عن تعدد وأهواء أكثر من عن اختلاف جوهري)!

سأحاول تحليل العوامل التي أدت لإنعاش الثقافة والفنون في عهد الدولة الفاطمية، وفي البداية أؤكد أن الثقافة والفنون هي المرأة التي تعكس وتقيس حضارة الأمم وريقها، والذي حدث في الدولة الفاطمية هو إطلاق الحريات للفنانين والشعراء، وهو الشرط الأول للإبداع، يضاف الى ذلك التنوع والتعدد في المجتمع ما أثرى الفن والإبداع وعُدّ من روافده ومنابعه.

العامل الثاني في الازدهار الثقافي والفني هو الرضا المجتمعي العام عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، في جو من التسامح المذهبي والطائفي، ما أتاح الجو الصحي للفنان والمثقف في تفجير طاقاته الإبداعية (وهو ما أطلق عليه الوحدة في إطار التنوع).

العامل الثالث. وهو عامل ذاتي غالباً - هو كون أغلب - إن لم يكن كل - الخلفاء

الفاطميّين شعراء وأدباء، على وعي بأهمية الآداب والفنون والثقافة في بناء المجتمع العامل الأخير هو الوعي الفاطمي بالخصوصية الثقافية، وإبقاء الفاطميّين على الموروث الشعبي والخصوصيات داخل دولتهم، ومن ذلك الفن الشعبي الذي ازدهر ونما في عهد الفاطميّين.

ختاماً، أقول إن للدولة الفاطمية حسنات وسيئات، كسائر الدول، وكان لها مذهبها الخاص، ولكن يحسب لها أنها لم تكن متعصبة تعصباً بغيضاً، بل كانت متفتحة مدركة أهمية الثقافة والفنون.

٣٠٠٠ سائح اجنبي يزور اثار شوش وجغازنبيل القديمة

اعلن رضا جناني رئيس دائرة التراث الثقافي والسياحة والصناعات اليدوية في مدينة شوش في لقاء مع وكالة ارنال للانباء ان حوالي ٣٠٠٠ سائح اجنبي زاروا الاتار الايرانية القديمة في مدينة شوش ومنطقة جغازنبيل في محافظة خوزستان «جنوب غربي ايران» خلال الاشهر الثلاثة الاولى من العام الايراني الحالي.

واضاف رئيس دائرة التراث الثقافي في شوش قائلاً: ان هؤلاء السياح من مختلف الجنسيات ومنهم المان وبريطانيون واميريكيون وكنديون ويابانيون وكوريون جنوبيون وصينيون، حيث زاروا المواقع الاثرية في شوش ومتحف مدينة شوش ومنطقة هفت تبه اضافة الى مجموعة آثار «جغازنبيل» العالمية.

وواصل جناني حديثه قائلاً: ان الارضية المناسبة لزيارة اعداد اكبر من السياح الاجانب للآثار القديمة في شوش يمكن اعدادها عن طريق توفير المنشآت الترفيهية والسياحية وبناء الفنادق في هذه المدينة، وهذا من شأنه المساهمة في الازدهار الاقتصادي للمنطقة وتطوير السياحة. وقال جناني مضيفاً: يجري في الوقت الحاضر تنفيذ مشروع انشاء فندق من فئة ثلاث نجوم في مدينة شوش والذي بعد الانتهاء منه سيحل جزءاً من مشكلة اسكان السياح في هذه المنطقة.

واعلن قائلاً: وخلال العام الماضي كان ٣٠٠٠ سائح اجنبي قد زاروا المواقع الاثرية والتاريخية في مدينة شوش. ويذكر ان شهرة شوش على النطاق العالمي وخاصة موقع «جغازنبيل» المسجل ضمن قائمة الآثار العالمية لليونسكو كان الدافع وراء زيارة اعداد كثيرة من السياح الاجانب لهذه المدينة للتعرف عن كثب على هذه المواقع الاثرية واكتساب معلومات اكثر عنها.

وتعتبر شوش من اقدم المدن في العالم وهي كانت موطناً للبشر الاوائل الذين سكنوا المدن ولهذا كانت على الدوام محط انظار السياح وخبراء الآثار الاجانب. وتعود الآثار والمباني القديمة في هذه المنطقة الى مختلف العصور التاريخية منها العيلامي والسلوكي والاشكاني والساساني والهاخمني «الاخميني» والاسلامي.

دبلوماسي ايطالي يعتنق الإسلام ويناضل ضد صراع الحضارات

بعد ان ظهرت مجموعة من المتطرفين الايطاليين ضد الاسلام وحاولوا الاساءة الى شخص الرسول الاكرم محمد «ص» بالرسوم الكاريكاتورية المسيئة وعلى اثر ذلك قام بعض الايطاليين بالتصدي لهؤلاء المحرضين. وكان من بينهم رجال على علم بالديانتين، وهو ماريو سكيابولا الكاثوليكي سابقاً والذي يعد من أفضل الدبلوماسيين في ايطاليا الكاثوليكية. وقد اعتنق ماريو سكيابولا الإسلام وأصبح اليوم رئيس القسم الايطالي في رابطة العالم الإسلامي، وهي منظمة ذات أهمية كبرى.

وقد استغل ماريو سكيابولا هاتين الصفتين للقيام ببناء جسر بين الديانتين، حيث يقوم من خلال مكتبه بـ «المسجد الكبير» في روما باجراء الاتصالات مع جميع الاتجاهات. ويعبر عن ذلك قائلاً بأن له أصدقاء في الحكومة والفاتيكان والمنظمات اليهودية وواشنطن.

وبعد ساعة من الزمان جاء حاخام روما الأكبر ريكاردو دي سجنى لزيارة المسجد لأول مرة، وهي زيارة تعد تاريخية. ووقف الحاخام دي سجنى مع صديقه سكيابولا في أكبر مساجد اوربا لابسين الجوارب أمام المحراب في اتجاه مكة قبل الصلاة، مذكريننا

- بلحاهم البيضاء تحت القبة العالية - بالأنبياء المذكورين في التوراة.
وهما يدعوان الى السلام بين الأديان. فقد أكد الحاخام أن «المعركة ضد ظاهرتي
الاسلاموفوبيا ومناهضة السامية يجب أن تخاض بصورة متوازية». كما أعرب عن تفهمه
للتظاهر ضد الرسوم المسيئة لنبي الإسلام والتي تهين الإسلام.
يهودي يدافع عن الإسلام؟ لم يكن هذا مفاجأة لماريو سكيابولا، حيث اعتاد
الاطلاع على الديانات الأخرى. واعتنق سكيابولا الإسلام عام ١٩٨٨ عندما كان سفيراً
لايطاليا لدى الأمم المتحدة في نيويورك. ويقول وهو جالس مرتدياً معطفاً أسود سميكاً
في مكتبه المفروش بالسجاد الشرقي بجانب المسجد:
«لقد أخذت القرار بنفسي. واطلعت كثيراً وقمت بدراسة القرآن الكريم، وقد جذبتني
الى الإسلام هذه العلاقة المباشرة بدون وسيط بين الله والمؤمنين، أي بدون قساوسة أو
قديسين، مثلما يوجد في المسيحية».

وسيط بين الأديان

ويروي الدبلوماسي المتقاعد أن الأسرة والأصدقاء تقبلوا هذه الخطوة، إلا أن زوجته
أكثر من الذهاب الى الكنيسة عن ذي قبل، «ولكن الأمور هدأت مرة أخرى». أما من
ناحية الوظيفة فلم تكن هناك جوانب سلبية، وقد كانت «مفاجأة لي أنه لم يصدر أي رد
فعل من قبل وزارة الخارجية بهذا الخصوص». أما بعض الزملاء فكانوا يغتابونني
ويقولون: سكيابولا بدأ يجن.

لقد أصبح هذا السفير السابق ذا أهمية عالية في ايطاليا، خاصة وأنه أصبح وسيطاً في
وقت يزداد فيه عدد المسلمين من ناحية وخطر الأصوليين من ناحية أخرى. وهنا يحذر
سكيابولا من الاستسلام للانفعالات، ويقول أن معظم المهاجرين المسلمين هاربون من
الفقر والاضطهاد، وجاءوا الى ايطاليا للعمل بحثاً عن شيء من الرخاء لهم ولأطفالهم.
كما يرى سكيابولا أن ستة بالمائة فقط من المسلمين المقيمين في البلد يذهبون

بانتظام الى المساجد، وهؤلاء غالباً ما يذهبون لتأدية الصلاة ولا يمارسون السياسة. ولا يعتقد سكيايولا أن الدين يشكل عائقاً أمام اندماج المسلمين البالغ عددهم ١,٢ مليون مسلم في إيطاليا. ويقول: «انني أعرف كثيراً من الاردنيين والسوريين بلون بشرتنا يعملون بنجاح وليست لديهم صعوبات في وجود أصدقاء ايطاليين». وعلق سكيايولا على هذه النظرة السياسية الخاطئة قائلاً:

«إذا وجدت صعوبات تعوق الاندماج فهي إذن عنصرية وليست دينية، وذكر على سبيل المثال وضع الزوج في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن الأفارقة يواجهون أيضاً صعوبات في إيطاليا».

ومن وجهة نظر سكيايولا أن الأهم هو الوقوف حيال نشوء عزلة اجتماعية «الغيتو»، كما هو الحال في فرنسا. إن نجاح الاندماج مرهون بإقامة المهاجرين في نفس الضواحي التي يسكنها المواطنون الأصليون وبذهاب أطفالهم الى نفس المدارس الذي يذهب اليها أطفال المواطنين الأصليين. ويقول:

«لا أحد يستطيع التنبؤ بارتفاع نسبة عدد المسلمين في إيطاليا في الخمسين عاماً القادمة، ولكن من الواضح أنه سيزداد لدرجة كبيرة».

أما بخصوص السؤال عن الوجود الحالي للإسلاميين المتطرفين في إيطاليا فقد تجنب الإجابة عنه متهمكاً بقوله: «هل تريدون الحقيقة؟ إنني لن أفصح عنها». ولكنه صريح للغاية في نقطة واحدة، ألا وهي الحوار مع المتطرفين، حيث قول:

إن الحوار مع المتطرفين مضيعة للوقت سواء أكان في العراق أم في إيطاليا. ويجب على الغرب محاولة تقويضهم بالاندماج، وليس أمام إيطاليا - لضعف نسبة المواليد فيها وكثرة المهاجرين اليها - إلا الاندماج. ثم يضيف قائلاً: «أما أن نعيش سوية أو ستكون هناك كارثة».

شتيفان اولرش

«ترجمة عبد اللطيف شعيب»

تكريم الشاعر حافظ الشيرازي في مسقط رأسه شيراز

أقيمت في مدينة شيراز جنوب إيران مراسيم تكريم الشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي الملقب بلسان الغيب، وجرت هذه المراسيم في مقبرة هذا الشاعر الشهير بحضور عدد من المثقفين والمفكرين والمهتمين بأدب هذا الشاعر وعشاق الشعر والأدب الفارسي.

واستمرت هذه المراسيم حتى ساعات من الليل تجليلاً لأفكار خواجه شيراز وهو لقب الشاعر حافظ. وتحدث في هذه المراسيم رئيس مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، فقال إن شخصية مثل حافظ لها مكان في قلوب الناس، وإن هذا الشاعر يعتبر من أبرز وجوه الأدب الفارسي.

وأضاف الدكتور أحمد جلالی أن أبا القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامة أو كتاب الملوك ومصلح الدين سعدي صاحب بوستان وكلستان ومولانا جلال الدين المولوي صاحب المثنوي ومحمد حافظ الشيرازي يمثلون الأركان الأساسية الأربعة للأدب في إيران، بيد أن حافظ يتمتع بشخصية خاصة بين هؤلاء الشعراء الأربعة. وقال الدكتور أحمد جلالی بشكل عام يوجد في بيت كل إيراني مسلم وإلى جانب القرآن الكريم نسخة من ديوان حافظ، وهذا الديوان طبع ويطبع في كميات وافرة ويباع بوفرة كذلك. وأضاف الدكتور أحمد جلالی أن أي إيراني يشارك في المجمع العلمية والثقافية والأدبية الدولية يتمتع بذخيرة من أشعار سعدي وحافظ هي بمثابة السند الأدبي له. وأن هاتين الشخصيتين مدعاة لفخر وتباهي أي إيراني.

وأوضح هذا المسؤول أن حافظ الشيرازي هو من كبار الفنانين، وكان يدرك سمو شخصيته وفي قصائده إشارة إلى هذا الموضوع. رئيس مكتبة مجلس الشورى الإسلامي أكد ضرورة حفظ نتاجات حافظ الأدبية وقال إنها في حكم أعراض البلاد وعلينا أن نحافظ عليها بكل ما أوتينا من قوة. وتحدث في هذه المراسيم المساعد السياسي والأمني لمحافظة شيراز، وقال إن تكريم شخصية مثل شخصية حافظ لا ينبغي أن يختم في يوم واحد. بل لابد أن يكون هذا اليوم منطلقاً لإشاعة أفكار حافظ.

واضاف محمد رضي حدائق، في هذا الوقت الحساس الذي يؤسس فيه النظام الاسلامي لحضارة اسلامية جديدة لابد من الاستفادة بشكل مطلوب ومفيد من افكار شخصيات عظيمة مثل سعدي وحافظ. يوم العشرين من شهر مهر الايراني من كل عام شمسي والذي يصادف الثاني عشر من شهر تشرين الاول - اكتوبر هو يوم ذكرى حافظ، وفي مثل هذا اليوم من كل عام تقام مراسيم ثقافية وادبية بحضور اهل الثقافة والادب والباحثين في ادب حافظ.

جدير ان نذكر ان حافظ الشيرازي الذي ينتمي الى مدينة شيراز في جنوب ايران هو شمس الدين محمد حافظ الشيرازي عاش في القرن الثامن الهجري. وقد ترجمت اشعاره الغزلية حتى الآن الى اللغات العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية واللاتينية والاردو والتركية ومن هذه النصوص نص بعنوان أغاني شيراز وهي ترجمة لغزليات الشاعر حافظ انجزها الدكتور ابراهيم امين الشورابي.

«الخلاني» اقدم مكبات بغداد تنجو من عملية تفجير ضخمة

بغداد / ا ف ب: نجت مكتبة مسجد الخلاني وسط بغداد الغنية بالتراث من السنة النيران الناجمة عن انفجار شاحنة مفخخة قبل اسبوعين اسفرت عن سقوط ما لا يقل عن ٦٥ شهيداً و١٣٠ جريحاً.

ويقول صالح حسين الحيدري رئيس الوقف الشيعي في العراق «لم نكن نتوقع ان تخرج المكتبة سالمة من هول الانفجار وتنجو عشرات الآلاف من كتبها ومصادرها من السنة النيران التي التهمت موقع الانفجار».

وأضاف الحيدري (٦٧ عاماً) «لم تحترق المؤلفات والكتب لكن قسماً منها أصبح تحت الانقراض ونعمل على استخراجها بعناية واعادة تصنيفها وترتيبها مجدداً بعد ان نعيد تأهيل المكتبة».

ويرجع تأسيس المكتبة الى العام ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية وكانت «محطة لمختلف فئات الشعب وساهمت في اشاعة المعرفة والعلوم» بحسب الحيدري.

وتابع «بدأت المكتبة في غرفة صغيرة داخل مسجد الخلائي ثم اتجه التفكير الى بناء مكان اوسع خاص بها حتى اصبحت على ما هي عليه قبل الحادث».

وكانت قاعات المكتبة مكاناً لاول معرض شامل للمكتب في العراق عام ١٩٥٥ عرضت في اطاره الاصدارات منذ ظهور الطباعة في البلاد والمؤلفات التي تعنى بشتى صنوف العلم والمعرفة.

وقال «بعد ذلك شهدت المكتبة نمواً كبيراً في مصادرها وضمت كتب المذاهب الاسلامية المختلفة والمؤلفات التاريخية والقانونية وكتب الفلسفة وساهم في انمائها متبرعون اهدوها العديد من الكتب».

وقد ادت عملية التفجير قرب مسجد الخلائي الى انهيار احد جدرانه وتصدع قبته الكبيرة فضلاً عن سقوط الجدار الخارجي للمكتبة.

والمكتبة من طابقين وفيها خزانة للمكتب وقاعة للمطالعة ويحيط بجدرانها في الطابقين خزانات زجاجية تستخدم لعرض الكتب تهشمت جميعها بفعل الانفجار.

وقد أعيد تأثيث المكتبة وتزويدها بالكتب والمصادر بعد سقوط النظام السابق عام ٢٠٠٣ لكنها لم تفتح امام رواد المسجد لاسباب وصفها الحيدري بانها «اجراءات امنية».

واضاف ان «المكتبة اغلقت عام ١٩٨٠ عندما جاء فريق من وزارة الاوقاف وسحب جميع الكتب ذات العلاقة بالفقه الشيعي والدراسات عن الائمة وكل ما يتصل بالفكر الجعفري والكتب التي ينتمي مؤلفوها الى اسعر عريقة بينها الصدر والحكيم والحيدري».

وأشار الى أن «الخيرين تمكنوا من انقاذ عدد كبير من الكتب من الاتلاف واعادتها بعيداً عن الرقابة حيث تم حفظها في اماكن بعيدة».

وتهدم احد جدران المكتبة الاربعة المحاذي للشارع بشكل كامل كونه قديماً ولم يتم بناؤه بواسطة مواد البناء الحديثة.

ويعرف المسجد بمقر الخلائي نسبة الى ثاني النواب الاربعة للامام المهدي المنتظر واسمه ابو جعفر محمد بن عثمان الاسدي. ويعتبر قبر الخلائي مزاراً يقصده زوار العتبات المقدسة في العراق.

اما النواب الثلاثة الآخرون للامام المهدي فهم الامام عثمان بن سعيد الاسدي الخلاني (والد محمد بن عثمان) والشيخ ابو القاسم حسين النوبختي وابو الحسن علي بن محمد السمري وتوزع مراقدهم في اماكن متفرقة في بغداد.

يشار الى ان المراجع الاربعة او «السفراء» وفقاً للمفهوم الشيعي كانوا نواب الامام المهدي المنتظر ابان فترة «الغيبة الصغرى» التي استمرت سبعين عاماً قبل حلول «الغيبة الكبرى» التي ما تزال مستمرة منذ القرن الحادي عشر حتى الآن.

وقد اختفى الامام الثاني عشر لدى الشيعة الجعفرية محمد عندما كان لا يزال في السادسة من عمره (عام ٨٧٨ ميلادية) وهو نجل الامام الحسن العسكري الذي توفي عام ٨٧٤ ميلادية.

ويعد العلامة الراحل احمد الوائلي اول خطيب لهذا الجامع ومن أشهر المحاضرين فيه وكان العراقيون يحتشدون في باحة الجامع والمصلى الذي يتسع لأكثر من ٣٠٠ شخص للاستماع الى خطبه.

وكان الوائلي يلقي محاضراته بعد صلاة العشاء وتحديداً في امسيات رمضان وايام عاشوراء وكانت الاماكن المحيطة بالجامع تكتظ بالمستمعين.

ويقول ابو حسن (٦٠ عاماً) أحد المترددين الدائمين على مسجد الخلاني منذ السبعينات ان «المكتبة كانت شهيرة بمصادرها ومؤلفاتها الثرية بل واحدة من اهم المراجع في المعرفة والفقه قبل ان تغلق ابوابها مطلع ثمانينيات القرن الماضي».

تماثيل أثرية في تدمر

ذكرت وكالة الأنباء السورية الرسمية «سانا» أن البعثة الاثرية الوطنية بمدفن «زبد عته بن نشا» بمدينة تدمر الاثرية عثرت على أربعة تماثيل حجرية نصفية لمشاهد جنائزية تعود للعام ١٣٠ ميلادي.

ونقلت الوكالة عن خليل الحريري المشرف على أعمال البعثة قوله إن ثلاثة من التماثيل هي لرجل وزوجته وابنته يبلغ ارتفاع كل منها حوالي ٥٢ سم وعرضه ٤٠ سم

وكتب عليها أسماء أصحابها باللون الاحمر.

وأضاف انه من خلال الكتابات على التماثيل تبين أن الرجل يدعى «نشا» بينما تحمل زوجته اسم «أميا» في حين تدعى ابنتهما «احتى». وأوضح الحريري انه تم العثور على لوحة رابعة لسيدة تدمرية تحتضن طفلها وتزين بعقود ولآلى.

ايران تحتل المركز الخامس عالمياً من حيث المعالم الطبيعية

أعلن مسؤول في منظمة التراث الثقافي والصناعات اليدوية والسياحة الوطنية بأن ايران تحتل المركز الخامس عالمياً في المعالم الطبيعية.

وأضاف مساعد رئيس المنظمة السيد ملك زادة في تصريحات أدلى بها أمس الثلاثاء في ملتقى دور البقاع المتبركة في زيادة رحلات المواطنين لمدينة مشهد المقدسة، أضاف: ان كل خمسة كيلومترات من أراضي البلاد تحتضن معلماً أثرياً تاريخياً يغلب عليها البقاع المتبركة.

وأشار ملك زادة الى الطاقة المتاحة في البلاد على صعيد السياحة قائلاً: تم تنفيذ نشاطات كبيرة في المنظمة خلال العام الجاري منها تعزيز دور الاشراف على تنفيذ المعايير الدولية في مجال السياحة في وكالات السفر.

مسؤول: ايران ستحقق الاكتفاء الذاتي في مجال انتاج مشتقات الدم

أوضح المدير التنفيذي لبنك الدم الايراني ان البلاد من خلال رفع طاقتها الانتاجية في مجال انتاج مشتقات الدم ستحقق الاكتفاء الذاتي بهذا المجال وفي الأدوية المستحضرة من البلازما.

وأضاف حسن أبو القاسمي في تصريحات أدلى بها الأحد لدى تفقده مركز التسرع بالدم في مدينة مشكين شهر: ان ايران تنتج اليوم المشتقات الرئيسة للدم ومن بينها البلازما والبلاكت وغيرها وتقوم حالياً بتنفيذ خطوات أساسية في مجال الحد من

استيراد الادوية المستحضرة من البلاسما. ولفت الى أن الأدوية المستحضرة من البلاسما تحوز على أكثر من ربع الدعم الحكومي المخصص للعقاقير والتي تستورد من الخارج، لكن مؤسسة التبرع بالدم في ايران قامت منذ عامين بتطبيق البلاسما المستحضر داخلياً مع المواصفات القياسية بهدف خفض الاستيراد في هذا الحقل. وأردف: ان هذه المؤسسة أنتجت في العام الايراني المنصرم نحو ٧٠ ألف لتر من البلاسما وبذلك استطاعت تحضير نسبة لافتة من العقاقير الطبية المنتجة من البلاسما الايراني.

أطفال الدول الفقيرة المصابون بالسرطان لا يتلقون العلاج المناسب

قال اخصائيون في امراض السرطان ان تقدماً كبيراً تحقق في العقود الماضية في مكافحة امراض السرطان التي تصيب الاطفال سمح برفع نسبة من يبقون منهم على قيد الحياة الى ٨٠٪ لكن هذا التقدم لا يشمل اطفال الدول الفقيرة حيث ٢٠٪ منهم فقط يشفون من هذه الامراض.

وقال الطبيب راؤول ريبيرو من مستشفى سانت جود للاطفال (تينيسي جنوب) العضو في اللجنة المشرفة على برنامج «ماي تشايلد ماترز» (طفلي مهم) ان «الفارق الكبير في آثار الامراض السرطانية وانعكاساتها على الاطفال في الدول النامية والمتطورة غير مقبول وغير مبرر اطلاقاً».

وانشأ هذا البرنامج الاتحاد الدولي لمكافحة السرطان المنظمة غير الحكومية الوحيدة التي تعنى بمكافحة السرطان في العالم.

وتنشط الى جانب الاتحاد الدولي لمكافحة السرطان ومقره جنيف مجموعة «سانوفي أفنتيس» الفرنسية لانتاج الادوية والمعهد الوطني الاميركي للامراض السرطانية.

وقال ريبيرو المكلف اجراء دراسة حول تأثير المشاريع الـ ١٤ الاولى الرائدة في هذا البرنامج انه تم تحقيق كافة الاهداف في الدول العشر التي تم اختيارها وبينها بنغلادش

ومصر والمغرب واوكرانيا وفنزويلا وفيتنام.

وعرض ريبيرو نتائج الدراسة خلال المؤتمر السنوي الـ ٤٣ للجمعية الاميركية للأبحاث السرطانية.

وقال خلال مؤتمر صحفي ان «برنامجنا يدل على انه بفضل استثمارات متواضعة جداً لا تتجاوز قيمتها ٥٠ ألف يورو (٦٧ ألف دولار) لكل مشروع يمكننا التأثير الى حد كبير على حياة الاطفال المصابين بالسرطان حتى في أفقر الدول».

واضاف ان المشروع يلبي الاحتياجات المحددة لكل من هذه الدول عبر التركيز خصوصاً على وضع برنامج لمتابعة العلاج والعلاجات المساهمة في تخفيف الالم والالام بالعوارض الاولى والحاجة الى معاينة أخصائيين وتلقى العلاج من انواع السرطان التي تصيب الاطفال في بعض المناطق الجغرافية حيث هي الاكثر انتشاراً. واستخدمت اموال هذه المشاريع لتدريب اطباء محليين وتأمين معدات واجهزة طبية.

مؤكد أن الدين الاسلامي هو المدافع القوي عن كرامة النساء.. هاشمي شاهرودي: الادعاء الغريبون لحقوق المرأة ارتكبوا أكبر الخيانات بحق النساء في العصر الحديث

أكد رئيس السلطة القضائية آية الله محمود هاشمي شاهرودي امس الثلاثاء بان ادعاء حقوق النساء الغريبين ارتكبوا أكبر الخيانات بحق النساء النشاطات على الصعيد الاجتماعي.

وقال هاشمي شاهرودي في جمع من النساء النشاطات في الصعيد الاجتماعي والمدارس في الحوزة العلمية والاساتذة النسوة في الجامعات والعاملات في السلطة القضائية والنابات في مجلس الشورى الاسلامي ان الدين الاسلامي الحنيف منح النساء المكانة الانسانية اللاتقة وهو المدافع القوي من اجل الحفاظ على كرامتهن ومكانتهن. وأشار رئيس السلطة القضائية الى المكانة الكبيرة للنساء في الاسلام والتفاوت

الرئيس مع المدارس الفكرية الغربية وقال ان ادعاء حقوق النساء الغربيين لاسيما في العصر الحاضر قد ارتكبوا اكبر الخيانات بحق النساء.

وخاطب ادعاء حقوق النساء الغربيين وقال انه اليوم واثرت التداخل بين القضايا الفطرية والطبيعية للنساء مع القضايا القانونية والنظرية في الغرب فان مكانة النساء والرجال قد تغيرت ادوارها واصابها الاهتزاز والخلل وكان نتيجة ذلك الابتعاد عن المكانة الفطرية للمرأة كمداغة رئيسية لكيان الاسرة وانهيار الحرمة والدور المهم للأسرة والنساء واندثار المحبة والحنان في المجتمعات الغربية.

وقال رئيس السلطة القضائية ان الاسلام وضمن تأكيده على الدور الكبير والمؤثر للنساء في المجتمع والتأكيد على المساواة في الحقوق الانسانية بين المرأة والرجل يؤكد في الوقت ذاته على الدور والمكانة المنفصلة والفطرية لكل منهما في حفظ اركان المجتمع والاختلافات الفطرية بينهما.

واضاف انه على المجتمعات الاسلامية ان لا تنخدع بأكاذيب وشعارات ادعاء الحفاظ على حقوق النساء ذلك لانهم بطرحهم مثل هذه الادعاءات الكاذبة والتدخل في المكانة الفطرية لكل من المرأة والرجل قد وصلوا الى طريق مغلق في العواطف الانسانية وكيان الاسرة.

واعتبر هاشمي شاهرودي نظرة الغرب للمرأة بأنها نظرة اداة ومن منطلق اقتصادي وقال علينا ان لا نعمل عبر الوقوع تحت تأثير شعارات الغرب الزائفة في الحفاظ على حقوق المرأة بزعة مكانة المرأة الرفيعة في النظام الاسلامي والتي تحققت ببركة الثورة الاسلامية.

الفقه والفلسفة لا يتقاطعان

معظم الاديان العالمية تؤكد على تسليم الانسان المطلق للوجود.. لاغية بذلك دور العقل في التفكير والمعرفة.. اما الاسلام فيرفض ذلك جملة وتفصيلاً.. لان هذه النظرة الضيقة لا تتناسب قط مع الامكانيات الخاصة التي منحها الله للانسان دون غيره من

الكائنات.. يقول الامام علي «ع»: «وتحسب نفسك جرماً صغيراً وانطوى بك العالم الاكبر» هذه المقولة التي تخرج من شخص خصه الله سبحانه وتعالى بعلم الكتاب تفند كل الافكار والرؤى التي تتقاطع مع التفكير ومع استخدام العقل بشكل صحيح هذا يعني ان الفلسفة لا تتقاطع أبداً مع الفقه بل هي تسبق الفقه لانه من خلالها يعرف الله.. لاننا بالتفكير نعرف وجود الله وبالتفكير نعرف رسول الله وهكذا.. لكن هنالك بعض المجددين يحاولون أن يجعلوا الفقه قبل التفكير! وهذا يخالف رأي علماء الدين ﴿قالت الاعراب آمنا قل لن تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ هذا يعني انه من خلال التفكير والفلسفة يصل المسلم بالايمن الى اليقين.

نائب الطائفة اليهودية: محاولة الكيان الصهيوني لاجتذاب المواطنين اليهود تعداهاة لهم

طهران / الوحدة المركزية للانباء: اعتبر نائب الطائفة اليهودية في مجلس الشورى الاسلامي موريس معتمد محاولات الكيان الصهيوني الرامية الى اغراء الرعايا اليهود الايرانيين بالمال للانتقال الى الاراضي المحتلة بانها اهانة لهم.

وقال معتمد ان تخرصات بعض الصحف الصهيونية بشأن دفع مكافآت مالية للرعايا اليهود الايرانيين مقابل انتقالهم للعيش الى الاراضي الفلسطينية المحتلة هي بمثابة اهانة للرعايا اليهود مؤكداً على ان الطائفة الكليمية في ايران هي من اقدم الطوائف الايرانية وتفخر بهويتها التاريخية والثقافية الايرانية ولذلك فان هذه المحفزات السياسية التي تتم عن عدم نضج لن تجدي نفعا معها.

الجدير بالذكر ان صحيفة معاريف الصهيونية كانت قد اشارت الى احد اعدادها السابقة الى زيادة المكافأة المالية المخصصة للرعايا اليهود الايرانيين الراغبين بالعيش في اسرائيل بمقدار الضعف.

اكتشاف مخطوطة تنسب الى النبي الاكرم «ص»

كشف النقاب مؤخراً عن ان عائلة يمنية تقيم في الامارات كانت تحتفظ برسالة مكتوبة بخط يد النبي الاكرم «ص» الى هرقل «او هير كيلوس» امبراطور روما الشرقية. جاء ذلك في نبأ لوكالة مهر للانباء نقلاً عن مصادر على الانترنت، وجاء في النبأ أيضاً ان الخبراء قدروا عمر هذه الرسالة بأكثر من الف عام وذلك باستخدام بعض الوثائق والتقنيات العصرية.

ورغم ان وكالات الانباء ذكرت بان النسخة الاصلية لهذه الرسالة يحتفظ بها في المصرف المركزي الاردني او المتحف الاسلامي في اسطنبول إلا ان هذه تعتبر النسخة الوحيدة الموجودة من رسالة النبي لاكرم «ص» التي كان خطها بيده قبل حوالي اكثر من الف عام والتي لا نظير لها في العالم الاسلامي برمته.

ويبلغ طول الرسالة ٣١ سم وعرضها ٣٠ سم، وذكر الخبراء بانها مكتوبة على ورق البردي واستخدم في كتابتها حبر خاص كان يستعمل للكتابة في ذلك العصر وليست هناك أية رسالة مكتوبة على هذه النوع من الورق بعد عام ٣٠٠ للهجرة. والرسالة هذه كانت تتوارثها هذه العائلة اليمنية جيلاً بعد جيل كثرات عائلي. وحسب الدراسات التي اجراها عدد من المختصين في هذا المجال من الالمان والمصريين فان عمر هذه الرسالة لا يقل عن الف عام. واعلن كل من الدكتور «كوريا» من قسم المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في برلين، والبروفسور «دي. ام» الاستاذ في جامعة كولونيا والذي يعمل كخبير في قسم المخطوطات العربية في متحف برلين، والدكتور «ادولف غروهمن» الخبير في مكتبة مصر اعلنوا ان هذه النسخة كانت قد كتبت خلال الفترة الواقعة بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، وكان الرومان أنفسهم يحتفظون بها خوفاً من ضياعها.

ونص الرسال هو كالآتي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرک مرتين فان توليت فعليك اثم الاثمين وقل ﴿يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً

ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿١٠٠﴾

سعدي وحافظ يعتبران من أهم شعراء العالم لما تجلى شعرهم من نفحة صوفية سامية وإنسانية

شعر سعدي وحافظ شعراً فارسياً، وبكل تأكيد هؤلاء من الشعراء العظام الذين انجبتهم إيران، حافظ وسعدي يعتبرون من الشعراء العالميين الكبار بما تجلى شعرهم نفحة صوفية سامية إنسانية وطبعاً هنالك روابط وقواسم مشتركة بين الشعر العربي والفارسي بمعناه ومدلولاته خاصة وأن المنطقة ترتبط فيما بينها بروابط ثقافية وروابط روحانية وروابط فلسفية نحن نعرف أنه من زمن الدولة العباسية كم برز من الشعراء والادباء والفلاسفة والمفكرين الإيرانيين الذين اغنوا الثقافة العربية والفكر العربي هنالك العديد من الشعراء ورجال الدين من الأصل الفارسي وهنالك من الرياضيين من اصل فارسي ومن الشعراء من اصل فارسي وكانوا يكتبون بالعربية، اذن هناك علاقة قوية وعميقة ومجذرة فكرية وثقافية وروحانية وإنسانية.

سعادة السفير، الآن هنالك ثمة فجوة واسعة بين الابداع الإيراني والجمهور العربي، هل تعتقد أن اللغة هي السبب المهم لعدم انتشار القصيدة الحديثة أو النص الحديث بشكل عام الثقافة الإيرانية لم تصل إلى الساحة العربية؟

- للاطلاع على ثقافة بلد ما أو للاطلاع على أدب بلد ما ليس بالضرورة أن تتقن لغة البلد، ولكن في حال تعذر ذلك هذا لا يعني أنه لعدم المعرفة باللغة يجب أن لا نصل إلى معرفة ما في هذا البلد من ثقافة معينة لأن الترجمة اليوم تعوض جزءاً كبيراً من الفراغ في حالة عدم معرفة الإنسان بلغة البلد الآخر، يعني هناك أدب إسباني وهناك أدب فرنسي وروسي وأدب إنكليزي وهناك أدب صيني يعني ليس بالضرورة أن أعرف الصينية أو لا أعرف الإسبانية أو الإيطالية لكن هناك ترجمات.

اذن نأتي لاعطاء مثل لنقول أن ما بين الأدب الفارسي أو الحضارة الفارسية الإيرانية والحضارة العربية العديد من القواسم المشتركة، يمكن أن تسهل أمام المواطن العربي في

العالم العربي وتسهل امام المواطن الايراني في ايران هو ان اقوم بعملية الترجمة وان اسرع في ترجمة المؤلفات الفكرية والثقافية والادبية حتى يستطيع القارئ اكان عربياً ام ايرانياً لمعرفة البشرية والعالم الى الامن والسلام الحقيقي والى الرفاهية الحقيقية اذن الحوار هو خارج عن دائرة السيطرة والعنف والاستغلال والحقد والتعصب والجهل، عندما تفكر الشعوب والدول والمجتمعات انسانياً تستطيع ان تؤسس لحوار فاعل هادئ بناء.

غياب علماء الاجتماع والمتخصصين والمثقفين عن هذه الحوارات والتفرد للسياسيين فقط إلا تعتقد ان هذا يشكل عائقاً كبيراً لنجاح هذه الحوارات؟

- لا شك ان رجال السياسة في العالم يستطيعون ان يلعبوا دوراً حيوياً أساسياً في تحقيق وحدة الحوارات، لماذا قلت ان الحوار يجب ان يكون بمعزل خارج عن قطب السيطرة والعنجهية والهيمنة، عندمات يفكر السياسي ينبع من مصلحته او مصلحة بلده فقط هذا يعني اننا نؤسس لتصادم مع الآخر ولا نؤسس.

علماء الدين الشيعة والسنة في لبنان يلتقون امام جمعة اصفهان

التقى عدد من علماء الدين الشيعة والسنة في لبنان الذين يزورون مدينة اصفهان الخميس بممثل الولي الفقيه امام جمعة مدينة اصفهان الشيخ يوسف الطباطبائي. وقال الشيخ الطباطبائي في اللقاء: ان علماء الدين المسلمين لديهم تباين في وجهات النظر من حيث الفتوى والرأي، الا أن مثل هذا التباين لا يدل على وجود عداوة بين الشيعة والسنة. واعتبر ممثل الولي الفقيه في اصفهان، الأفراد الجهلة بين الشيعة والسنة بأنهم عملاء أميركا وقال: ان الأعداء عاجزون عن اثاره الفتن بين المسلمين اذا كان المسلمون متحدين وان الكيان الفاسد للقدس أيضاً سوف لن تكون له مكانة.

من جانبه، أعرب رئيس اتحاد العلماء المسلمين في لبنان الشيخ أحمد الزين عن أمله في استمرار الوحدة الاسلامية لمواجهة مؤامرات أعداء الاسلام.

أما مسؤول شؤون علماء الدين في حزب الله الشيخ حسن البغدادي، فقد قال: ان ايران عاصمة الأمة الاسلامية وهناك علاقات متينة بين ايران ولبنان. وأضاف: ان أميركا

كانت تحاول، ومنذ سنوات، القيام بتحريك كبير في المنطقة لنهب النفط وثروات المنطقة بصورة مباشرة وكذلك دعم اسرائيل، إلا أن المقاومة الاسلامية في لبنان وعلى رأسها حزب الله استطاعت خلال العام الماضي وبدعم من الجمهورية الاسلامية الايرانية احباط مؤامرة أميركا والقضاء كلياً على مشروع الشرق الأوسط الجديد.

اكتشاف مدينة سكنية فرعونية تعود الى ٤٥٠٠ عام

اعلن المجلس الاعلى للآثار المصرية ان بعثة مصرية تشيكية مشتركة عثرت على موقع سكني يعود للأسرة القديمة في الواحات البحرية «٤٠٠ كلم غرب القاهرة» في الصحراء الغربية في اول اكتشاف من نوعه في هذه المنطقة.

وقال الامين العام للمجلس زاهي حواس «ان المدينة السكنية من عصر الدول القديمة (٢٦٨٧ - ٢١٩١ قبل الميلاد) وبداخلها اسوار ومبان وأوان فخارية بمنطقة جارة الابيض بالواحات البحرية قريباً من المنطقة التي عثر فيها على وادي المومياوات الذهبية».

والإواني التي عثر عليها مستديرة الشكل كانت تستخدم في تقديم الطعام الى جانب اكواب من الفخار وسلال للخبز وموقدين لطهى الطعام.

وأوضح حواس أنها المرة الاولى التي يعثر فيها على موقع اثري يعود الى الاسرة القديمة وهي حلقة كانت مفقودة في سلسلة تطور هذه المنطقة التي عثر فيها على آثار تعود للعصر الحجري ثم لعصر الدولة الوسطى التي جاءت بعد الدولة القديمة بـ ٢٠٠ عام».

ويقول علماء الآثار ان منطقة الواحات البحرية كانت مزدهرة بالنشاط العمراني خلال العصور الحجرية القديمة نتيجة توفر الظروف المناخية الملائمة للرعي والزراعة بسبب كثرة الامطار والمراعي الخضراء.

واشتهرت الواحات في العصرين اليوناني والروماني بتصدير نوعيات فاخرة من النبذ وهي التجارة التي جعلت اهالي الواحات يعيشون في رخاء ورفاهية كبيرة كما ظهر من

خلال كميات الذهب التي غطت مومياوات وادي المومياوات الذهبية بالقرب من عاصمة الواحات واحة الباويطي.

ومن اهم المواقع الاثرية ايضاً في هذه المنطقة مقبرة حاكم الواحات في الاسرة ٢٦ جد خنسو اويف عنخ الى جانب مقابر الاشراف خلال عصر الاسرة ٢٦ ومعبد الاسكندر الاكبر.

٥٠٠ عامل صهيوني مصابون بامراض السرطان جراء مفاعل ديمونا النووي

تقدم ٥٠٠ عامل فني في المفاعل النووي الصهيوني «ديمونا» الواقع في صحراء النقب جنوب فلسطين المحتلة بدعوى بقضائية ضد ادارة «الفرن الذري» صحراء الحرب الصهيونية للمطالبة بتعويضات مالية عن اصابتهم بامراض سرطان جراء العمل في هذا المفاعل.

واكد العمال الصهاينة في شكواهم أن اصابتهم بالمرض الخبيث السرطان» هي نتيجة مباشرة لعملهم المستمر في «الفرن الذري» القديم العهد والذي يفتقر الى انظمة حماية متطورة اسوة بما هو معمول به في الدول الصناعية الكبرى التي تعتمد في انتاج طاقتها الكهربائية او العسكرية على المفاعل النووية».

وبناء عليه طالب هؤلاء المرضى الذين اصابوا بالمرض الخبيث في مراحل متفرقة من تاريخ بدء اعمالهم في «الفرن الذري» بتعويضات مالية تصل الى مئات ملايين الشواكل الصهيونية (دولار اميركي يعادل ٤٠٥ شيكل صهيوني).

تجدر الاشارة الى ان سلطات الاحتلال الصهيوني تتكتم على طبيعة استخدام المفاعل النووي رغم الاشارات التي تؤكد ان مفاعل ديمونا يستخدم لانتاج القنابل النووية.

وتؤكد المعلومات ان القرن الذري في مفاعل ديمونا بات متصدعاً منذ عدة سنوات جراء انتهاء عمره الافتراضي من جهة وتكثيف العمل فيه وبشكل متواصل من جهة ثانية.

مؤكداً أن الوحدة عنصر اساس لمواجهة التحديات..

هاشمي شاهرودي: الاسلام يواجه اليوم خطرين اساسيين هما تحرك المجموعات المتطرفة ودسائس الدول الاستكبارية

طهران / الوحدة المركزية للانباء: اشار آية الله السيد محمود هاشمي شاهرودي رئيس السلطة القضائية الى تسمية العام الجديد بعام الوحدة الوطنية والانسجام الاسلامي مؤكداً ضرورة تجسيد الوحدة الحقيقية بين الفصائل والمذاهب الاسلامية.

ونوه آية الله هاشمي شاهرودي لدى استقباله جمعاً من مسؤولي نهضة العلماء الاندونيسيين نوه الى دور علماء الدين على صعيد صيانة وحدة المسلمين قائلاً ان الاسلام يواجه اليوم خطرين اساسيين يتمثلان في تحرك المجموعات المتطرفة من جانب ودسائس الدول الاستكبارية من جانب اخر مصرحاً ان ازالة هاتين العقبتين تكمن في وحدة الفصائل الاسلامية بزعامة علماء الدين.

وشدد آية الله هاشمي شاهرودي ان الصلة المتبادلة بين علماء الدين في البلدان الاسلامية وتبيين القواسم المشتركة الموجودة بين المذاهب الاسلامية بهدف ترسيخ الديانة الاسلامية اصبحت اليوم ضرورة ملحة تقع على عاتق علماء الدين والحوارات العلمية.

واعتبر رئيس السلطة القضائية الوحدة بأنها سر نجاح الاسلام في وقتنا الراهن مضيفاً ان التمسك بالوحدة والانسجام الاسلامي الى جانب تكريس المساعي لتقديم اجوبة علمية ومستدلة لبعض الشبهات والانحرافات المنسوبة للاسلام، يزيد بحد ذاته من نجاح المسلمين وشموخهم.

بيروت عاصمة عالمية للكتاب لعام ٢٠٠٩

قالت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» إنها اختارت بيروت «عاصمة عالمية للكتاب لعام ٢٠٠٩».

وقال المدير العام للمنظمة كويشيرو ماتسورا إن هذا الاختيار جاء تقديراً لالتزامها «بيروت» حواراً يبدو ضرورياً في المنطقة أكثر من أي وقت مضى. وأضافت المنظمة في بيان إنه تم اختيار مدينة بيروت «لالتزامها التنوع الثقافي والحوار والتسامح، فضلاً عن تنوع برنامجها وطابعه المتحرك».

وعبر ماتسورا عن سعادته للاعتراف بمدينة بيروت التي تواجه تحديات هائلة في موضوع السلام والتعايش السلمي. وتم اختيار بيروت إثر اجتماع في مقر اليونسكو بباريس عقدته أبرز ثلاث جمعيات دولية محترفة في عالم الكتاب. والجمعيات الثلاث هي الاتحاد الدولي للناشرين والفدرالية الدولية للمكتبات والفدرالية الدولية لجمعيات ومؤسسات أصحاب المكتبات.

ومنذ العام ٢٠٠١، تختار اليونسكو كل عام عاصمة عالمية للكتاب، وبيروت هي المدينة التاسعة بعد مدريد «٢٠٠١» والإسكندرية «٢٠٠٢» ونيودلهي «٢٠٠٣» وإنفير «٢٠٠٤» ومونتريال «٢٠٠٥» وتورينو «٢٠٠٦» وبوغوتا «٢٠٠٧» وأمستردام «٢٠٠٨».

ملتقى في غانا حول دور أفكار الامام الخميني (رض) في الصحوة والتضامن الاسلامي

عقد في العاصمة الغانية (أكرا) ملتقى تحت عنوان (دور أفكار الامام الخميني (رض) في الصحوة والتضامن الاسلامي) بحضور شخصيات وعلماء دين وأساتذة وطلبة جامعيين وأفراد من مختلف الشرائح الاجتماعية.

وأفاد بيان لرابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية في الجمهورية الاسلامية الايرانية: ان رئيس مؤسسة الامام الخميني (رض) في منطقة (هوهوي) الشيخ سعيد أنس داوود ورئيس جامعة تمالة الهندسية سعيد يعقوب بليكا، قدما مقالات فيما يتعلق بدور الامام الراحل في الصحوة والتضامن الاسلامي، حيث حظيت المقالات باهتمام لافت من

الحضور نظراً لأهميتها وإبداعها وكونها مقدمة من شخصيات محلية.

وأشاد السفير الإيراني في غانا ولي الله محمدي بدور أفكار الامام الخميني (رض) في صحوه الشعوب الاسلامية والشعوب المضطهدة في العالم، معتبراً توسع هذه الأفكار بأنه من شأنه أن يؤدي الى تحرر العالم من الظلم والجور.

كما تحدث في هذا المؤتمر حاج مالك يعقوب مساعد برلمان غانا وممثل بلاده في البرلمان الافريقي، حيث أكد على الدور الريادي للامام الخميني في الصحوه الاسلامية واعتبر شخصيته وأفكاره من النعم الالهية الكبيرة لشعوب العالم ولاسيما الشعوب الافريقية.

وقد أقامت المستشارية الثقافية الايرانية في غانا هذا الملتقى في سياق المزيد من تعرف الشعب الغاني المسلم على آراء وأفكار الامام الخميني (رض) وتعميق العلوم والمعارف الدينية لدى هذا الشعب.

جامعة تمنح البكالوريوس لطالبة توفيت أثناء الاختبارات

منحت جامعة أردنية درجة البكالوريوس لطالبة توفيت أثناء أداء الامتحانات النهائية بكلية الآداب في الجامعة. وقالت صحيفة «الرأي» يوم الاحد ان جامعة الزرقاء الالهية وخلال الاحتفال بتخريج الفوج العاشر من طلبتها منحت شهادة البكالوريوس بتخصص اللغة الانجليزية للطالبة سهير العطوط التي كانت قد أنهت متطلبات الحصول على هذه الدرجة الجامعية إلا انها توفيت أثناء أدائها لامتحانات النهائية. وأضافت أن ابن الطالبة البالغ من العمر أربع سنوات شارك في موكب الخريجين بدلاً من والدته.

وقال رئيس الجامعة الدكتور عدنان نايفة «أن منح الطالبة درجة البكالوريوس بعد وفاتها يأتي تقديراً من الجامعة لها، حيث كانت مثلاً يحتذى في الاجتهاد والاخلاق الحميدة».

المصريون والمغاربة من اكبر قراء الصحف

تبين من خلال دراسة اجرتها شركة متعددة الجنسيات لباحث السوق ان اكبر قراء الصحف هم مصريون ومغاربة في حين يكرس اللبنانيون وقتاً اكبر لقراءة الكتب. وافادت دراسة شركة سينوفات ان المصريين والمغاربة يقضون يومياً اربعين دقيقة في قراءة الصحف والمجلات مقابل ٣٥ دقيقة في تونس و ٣٤ دقيقة في السعودية و ٣١ دقيقة في لبنان.

وفي المقابل يحل اللبنانيون في المقدمة عندما يتعلق الامر بقراءة الكتب التي يكرسون لها ٥٨٨ دقيقة شهرياً مقابل ٥٤٠ في مصر و ٥٠٦ في المغرب و ٣٧٨ في السعودية و ٣٠٦ في تونس.

وتمت الدراسة التي اجرتها «نيكست بايج» المؤسسة الدولية التي تساعد الناشرين المستقلين في الدول النامية على عينة من الف رجل وامرأة من المتعلمين في كل من البلدان الخمسة المذكورة.

واعتبرت سينوفات أن دراسة جديدة تجري حالياً في الاردن وسوريا وفلسطين والجزائر وأن نتائجها ستنتشر مع نهاية السنة.

واكثر الكتب التي يقبل عليها القراء في كافة البلدان المذكورة القرآن الكريم باستثناء لبنان حيث يفضلون قراءة الروايات المعاصرة. وتأتي هذه الروايات في المقدمة وراء المصحف وتليها مباشرة كتب الطبخ في المغرب والسعودية والشعر وكتب التاريخ في بقية الدول. واللغة العربية تحتل الصدارة في مصر «٩٩,٦ بالمائة» والسعودية «٩٩,٥ بالمائة» مقابل «٨٢,٨ بالمائة» في تونس و «٨١ بالمائة» في المغرب و «٧٦,٥ بالمائة» في لبنان. ويقبل عدد اكبر من القراء على الكتب باللغة الانكليزية في لبنان وتونس بالمقارنة مع البلدان الثلاثة الاخرى في حين يحل المغرب في المقدمة عندما يتعلق الامر بقراءة الكتب باللغة الفرنسية.

وتقول الاغلبية الساحقة من الاشخاص الذين شملهم الاستطلاع انهم «توقفوا او تراجعوا عن القراءة» بين التاسعة عشر والخامسة والعشرين من عمرهم. واعلن اقل من

٢٥ بالمائة من هؤلاء انهم استأنفوا القراءة في ما بعد.
ويرى ٥٥,٦ بالمائة من المغاربة و ٥١,٦ بالمائة من التونسيين ان الكتاب اهم من التلفزيون.

ملتقى كبار المسؤولين التايلنديين التسخيري يؤكد على الدور الحيوي لعلماء الدين في اقرار المودة بين أتباع المذاهب الاسلامية

التقى الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ محمد علي التسخيري في بانكوك ملك تايلند (ادولياج بوميبول).

وقال ملك تايلند في اللقاء: ان الايرانيين أصدقاء تايلند ولهم دورهم التاريخي في المجتمع التايلندي. مؤكداً على سياسة الحكومة التايلندية بخصوص حرية المذاهب الدينية، وقال: ان المسلمين يتمتعون في تايلند باحترام خاص.

من جانبه، اشار الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ التسخيري الى (ملتقى التقريب بين المذاهب الاسلامية) المنعقد في بانكوك وأثنى على سياسة الحكومة التايلندية في تعاملها الودي مع المسلمين.

إلى ذلك، أكد رئيس مجلس الأمن القومي التايلندي (سوتهي بونيار اتكلين: (ان حدوث الثورة الاسلامية في ايران أفضى الى وحدة المسلمين في العالم.

وأشار بونيار اتكلين الخميس لدى لقائه بالأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ التسخيري، اشار الى دور الشيخ أحمد قمي في دعم أواصر الصداقة بين ايران وتايلند، وقال أن بلاده تولي أهمية كبيرة لعلاقاتها الاستراتيجية مع ايران. مؤكداً بأن الثورة الاسلامية أفضت الى دعم وحدة الأمة الاسلامية في كافة بقاع العالم.

من جانبه، قال الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية: ان انتهاج طريق المودة والاخوة والمحبة بدلاً عن التطرف الديني سيمهد الأجواء المناسبة لترسيخ السلام العالمي. مشيراً إلى نجاح بانكوك في التعاطي الايجابي مع المسلمين، وقال: ان البحث عن الحلول السلمية والحوار المنطقي والودي يساعد على حل الخلافات و اقرار السلام.

وعبر عن ارتياحه لوجود التقارب والتفاهم بين المسلمين الشيعة والسنة في تايلند، مؤكداً الدور الحيوي لعلماء الدين والمفكرين في اقرار المودة والاخوة بين أتباع المذاهب الاسلامية.

من جهة أخرى، وصف وزير داخلية تايلند تدعيم فكرة التقريب بين المذاهب بأن له تأثير ايجابي في تعزيز السلام في مختلف المجتمعات. وأضاف آري فونغ لدى استقباله الشيخ التسخيري: ان ترويج فكرة التقريب بين المذاهب يزيل الخلافات ويعزز الصداقة بين الشعوب ويعتبر خطوة رفيعة من أجل احلال السلام.

بدوره، أشاد الشيخ التسخيري بسياسة تايلندا في مجال حرية المذاهب وقال: ان ايران على استعداد للقيام بدور في زيادة الصداقة بين أتباع مختلف الأديان في تايلندا. وأشار التسخيري الى العمليات الارهابية التي تنفذ في العراق وأفغانستان وقال: ان الاسلام يعارض الارهاب والعنف ولا يسمح بقتل المسلمين على يد المسلمين. واعتبر اثاره الفرقة بين الأمة الاسلامية مؤامرة القوى المتطرفة وقال: ان زيادة يقظة المسلمين ستؤدي الى إحباط هذه الدسائس.

وافتح (ملتقى التقريب بين المذاهب الاسلامية) الخميس في بانكوك بكلمة رئيس الوزراء التايلندي واستمر يوماً واحداً.

وشارك في الملتقى الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ التسخيري وعدد من الشخصيات والمفكرين الايرانيين والتايلنديين.

خلال استقبله رئيس مجلس علماء اندونيسيا مكارم شيرازي: الاسلام هو العقبة الرئيسية أمام مخططات القوى السلطوية

قال المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم شيرازي: ان قوى الباطل ترى الاسلام عائقاً رئيسياً أمام تطبيق مخططاتها السلطوية ولذلك فانها حريصة على اخماد جذور الاسلام في شتى أرجاء العالم.

وأضاف المرجع مكارم شيرازي لدى استقبله الاثنين رئيس مجلس علماء اندونيسيا والوفد المرافق له: انه في مثل هذه الظروف يجب على كافة مسلمي العالم الاحتفاظ بوحدتهم لكي لا يقعوا في شرك الاستكبار.

ووصف سماحته اندونيسيا بأنها بلد اسلامي مقتدر، معرباً عن أمله بأن يقترب هذا البلد من ترجمة وتطبيق الأهداف الاسلامية السامية وتعزيزها بشكل متنام في ظل مساعي علماء الدين.

بدوره، قال عمر شهاب رئيس مجلس علماء اندونيسيا في هذا اللقاء: ان هذا المجلس ركز مساعيه لسن قوانين تتلاءم مع القيم الاسلامية في اندونيسيا. هذا وتفقد الوفد الاندونيسي مساء الاثنين المركز العالمي للعلوم الاسلامية بمدينة قم المقدسة.

الجمهورية الاسلامية وروسيا تبحثان سبل تعزيز التعاون العلمي والجامعي المشترك

موسكو / ارنا: استعرض سفير ايران لدى روسيا غلام رضا انصاري ورئيس جامعة العلوم الانسانية الحكومية في روسيا «يفيم بيووار» سبل تعزيز التعاون العلمي والجامعي بين البلدين.

واكد الجانبان في اللقاء على ضرورة النهوض بنشاطات غرفة ايران في هذه الجامعة

لاسيما في مجال تعليم اللغة والادب الفارسي. وشدد انصاري على أهمية تعليم اللغتين الفارسية والروسية في جامعات البلدين معلنا استعداد السفارة الايرانية ومستشاريتها الثقافية في موسكو لتلبية احتياجات غرفة ايران في جامعة موسكو بما في ذلك توفير مصادر اللغة الفارسية والاحتياجات الاخرى. بدوره شكر رئيس جامعة العلوم الانسانية الحكومة في روسيا دعم سفير ايران لنشاطات غرفة ايران في هذه الجامعة.

ودعا «بيواوار» الى تبادل المجموعات الفنية واقامة المعارض الفنية المشتركة كمعرض الصور والتعاون في مجال الارشيف. ويدرس حالياً تسعة طلبة في جامعة روسيا للعلوم الانسانية في فرع اللغة والادب الفارسي ومن المقرر ان يزداد هذا العدد في السنة الدراسية المقبلة.

شبكة الصيد تجلب له أثراً فرعونياً بدلاً من السمك!

قادت المصادفة أحد المصريين أثناء صيد الأسماك بمحافظة البحيرة في دلتا مصر، إلى العثور على عمود أثري، يوصف بأنه نادر، ويرجع إلى العصر الفرعوني. ويعكف فريق أثري حالياً على دراسة العمود لمعرفة تفاصيل الفترة التي ينتمي إليها، بعد أن سلمه الرجل إلى مسؤولي المجلس الأعلى للآثار، الذين اعتبروه أحد الاكتشافات المهمة في البحيرة، ويجري تحديد علاقة العمود بمياه الدلتا. وكما يعرف عن المصريين القدماء، فإنهم كانوا ينقلون آثارهم عبر الدلتا ونهر النيل، وأن الأمر المرجح أنه أثناء نقل العمود إلى الدلتا، سقط ممن كانوا يحملونه في المياه، وعاش فيها نحو ٣ آلاف سنة. ومن جانبهم قرر مسؤولو المجلس تخصيص مبلغ ٣ آلاف جنيه للرجل كمكافأة له، وفي محاولة أيضاً لتشجيع الإبلاغ عن أية اكتشافات أثرية، قد يعثر عليها بالمصادفة، أمام عمليات التنقيب العشوائية التي يجريها البعض بحثاً عن الآثار وبيعها تالياً للأجانب.

ومع تأكيد المسؤولين الأثريين بأنه يستحيل التنقيب في المواقع الخاضعة لعملية

المسح الأثري المعروفة لديهم، إلا أن كثيراً من المصريين عادة ما يعثرون على مكتشفات أثرية أسفل أساس منازلهم، أثناء حفرها، ومنهم من يبلغ عن ذلك، مقابل آخرين يتسترون عليها. وعادة ما يتلقى مسؤولو المجلس الأعلى للآثار بلاغات من أجهزة الشرطة عن مضبوطات أثرية، جراء هذه الحفائر غير الشرعية، والتي سيغلب التشريع الجديد لحماية الآثار المنتظر مناقشته قريباً عقوبتها.

لدى استقباله جمعاً من العلماء والمفكرين المغاربة في الرباط.. هاشمي شاهرودي: وحدة الامة الاسلامية ضرورية في التصدي لمؤامرات الاستكبار

الرباط - الوحدة المركزية للانباء: شدد رئيس السلطة القضائية آية الله محمود هاشمي شاهرودي لدى اجتماعه بجمع من العلماء والمفكرين المغاربة على ضرورة وحدة الامة الاسلامية للتصدي لمؤامرات الاستكبار.

وقال آية الله هاشمي شاهرودي الذي وصل الاحد الى المغرب ان الحملات الاعلامية التي يشنها الاعداء ضد الامة الاسلامية في تزايد.

واوضح ان من واجب علماء الدين المسلمين مواجهة هذه المؤامرات من خلال توثيق الترابط والوشائج فيما بينهم في ظل التعاليم الاسلامية الاصيلية.

واكد ان مؤامرات الاعداء مستمرة من خلال اثاره الفتن بين المسلمين والمجموعات الاسلامية المختلفة وكذلك الغزو العسكري للدول الاسلامية بما فيها العراق وفلسطين وافغانستان ودعم المجموعات والتيارات المتطرفة قائلاً: اننا بحاجة ماسة الى الانسجام الاسلامي والمزيد من التعاطي بين العلماء والمفكرين والحكومات والدول الاسلامية والمسلمين في ارجاء العالم.

ومن جهتهم بين عدد من علماء الدين المغاربة الظروف الحالية التي يمر بها العالم الاسلامي وشددوا على أهمية الوحدة بين المسلمين لاسيما التقارب بين الدول الاسلامية لمواجهة مؤامرات الاستكبار والصهيونية.

ايران وارمينا توقعان مذكرة تفاهم للتعاون في مجال المكتبات

طهران /ارنا: وقعت مؤسسة الوثائق والمكتبة الوطنية الايرانية ومكتبة الاطفال الوطنية والمكتبة الوطنية الارمينية على مذكرة تفاهم للتعاون الثنائي في مقر المكتبة الوطنية الايرانية.

واعتربر رئيس مؤسسة الوثائق والمكتبة الوطنية الايرانية علي اكبر اشعري، التوقيع على مذكرة التفاهم خطوة مهمة لتعزيز التعاون الثقافي بين البلدين وقال ان المكتبة الوطنية هي ذاكرة الشعوب وذاكرة الشعوب هي جزء من الذاكرة العالمية. و اضاف اشعري ان دراسة تاريخ الشعبين الايراني والارميني تظهر بأن الشعبين تربطهما اواصر مشتركة في العديد من المجالات.

من جانبه قال رئيس المكتبة الوطنية الارمينية داويت سركيسيان، ان زيارته لايران اسهمت في المزيد من التقارب الثقافي بين الشعبين الايراني والارميني. ووصف سركيسيان تبادل الخبرات والمساعدة لاغناء مصادر المكتبتين الايرانية والارمينية في مجالات اللغة والثقافة والادب بأنها تشكل أهم مجالات تعزيز التعاون الثنائي.

اما رئيسة مكتبة الاطفال الوطنية الارمينية «روزان تونويان» فقد اكدت على ضرورة الاستفادة من خبرات المكتبة الوطنية الايرانية في مجال تدريب الكوادر العاملة في المكتبات.

واضافت تونويان أن ترحيب الاطفال الارمن بالكتب الايرانية قد ازداد كثيراً مشيرة الى افتتاح صالة للكتب الفارسية في مكتبة الاطفال الوطنية الارمينية منذ عام ٢٠٠٣.

العثور على اضخم قلعة فرعونية على طريق حورس الحربي

القاهرة (اف ب) - اعلن المجلس الاعلى للآثار المصرية ان بعثة مصرية كشفت عن اكبر قلعة شيدت في التاريخ الفرعوني القديم الى جانب قيام بعثة فرنسية واميركية

بالكشف عن قلعتين من قلاع طريق حورس الحربي الممتد شمال سيناء من شرق قناة السويس حتى الحدود الفلسطينية.

وقال الامين العام للمجلس الاعلى للآثار زاهي حواس ان «القلاع الثلاث التي كشف عنها جزء من الـ ١١ قلعة التي يتكون منها طريق حورس الحربي الممتد من شرق قناة السويس على ثلاثة كيلومترات الى مدينة رفح على الحدود المصرية الفلسطينية ويعود تاريخ تشييدها الى عصور الاسرتين ١٧ و ١٩ (١٥٦٠ - ١٠٨١ قبل الميلاد)».

وقال رئيس البعثة المصرية مدير الادارة المركزية في المجلس الاعلى للآثار محمد عبد المقصود ان القلعة التي كشفت عنها البعثة المصرية المعروفة باسم قلعة ثاروا تعتبر «اضخم قلعة عسكرية شيدها الفراعنة طوال تاريخهم العسكري».

ويحيط بالجزء الشرقي من القلعة المشيد على شاطئ الفرع البليوزي لنهر النيل «سور تصل سماكة جدرانها المشيدة من الطوب الى ١٣ متراً يتخلله ٢٤ برجاً ضخماً يصل عرضها الى ٢٠ متراً وسماكة جدرانها أربعة أمتار».

وتحيط بالسور «خنادق مائية لزيادة حماية القلعة كان يتجاوزها المصريون من خلال بوابة يبلغ عرضها ١٢ متراً مزودة بجسر خشبي متحرك لتسهيل مرور الجنود فوق الخنادق المائية».

ويضم الجزء الغربي منها المشيد على الضفة الغربية للفرع البليوزي «مخازن تموين الجيوش والمباني الادارية والمعابد والاسواق وكانت تصل بين الجزئين قنطرة».

وكان الجزء ان يشكّلان مدينة بلغت مساحتها ثلاثة كيلومترات مربعة وتعتبر قلعة واحدة تشكل نقطة انطلاق الجيوش المصرية الى الشرق كما تشكل رأس حربة في حماية عاصمة رمسيس الثاني الشمالية.

وتشير بعض القطع الاثرية التي عثر عليها في المنطقة الى أن القلعة شيدت في عهد تحتمس الثالث وتم توسيعها في عصر رمسيس الثاني فيما تشير اخرى الى ان المنطقة كانت استخدمت ايضاً في عصر الدولة القديمة والوسطى ولكن ازدهارها العسكري جاء في عصر الاسرتين ١٨ و ١٩.

وتأتي أهمية المدينة القلعة ايضاً من ان الفرعون احمس من الاسرة ١٨ استخدمها كمناطق عسكرية حاصر من خلالها عاصمة الهكسوس افارس في حربه لاجراجهم من مصر التي انتصر فيها وحقق اهدافه بتحرير مصر منهم.

أما القلعة الثانية المعروفة بأسم قلعة عرين الاسد فقد عثرت عليها البعثة الاميركية على بعد ١٠ كيلومترات من الشاطئ الشرقي لقناة السويس في منطقة تل البرج وشيدت بشكل مربع يبلغ طول ضلعها ١٠٠ متر وسماكة اسوارها ٤ أمتار كما شقت حولها خنادق مائية وكانت تعتبر خط الدفاع الاول عن قلعة نارو.

وكشف البعثة الفرنسية على قلعة مجدول للملك سيتي الاول في منطقة تل الحير على بعد ٢٥ كيلومتراً من شرق قناة السويس وعثر بين اسوارها على استراحة للملك رمسيس الثاني ويبلغ طول القلعة ١٠٠ متر وعرضها ٧٠ متراً وسماكة اسوارها اربعة امتار وتدعمها ابراج وهذا التشكيل المعماري يمثل النموذج المعماري العسكري الفرعوني القديم.

قبور الانبياء في ايران

كانت تمر على ايران فترات عبر التاريخ تعتبر فيها أرضاً يسودها الامن والامان فكانت تستقبل في تلك الفترات أعداداً من المهاجرين كان من بينهم انبياء اختاروا هذه الارض للسكن والمعيشة.

وفي العهد الاخميني «الهخامنشي» انحدر الاسرى الذين كان اسرهم نبوخذ نصر البابلي على ايران باعداد كبيرة وكان فيهم العديد من الانبياء والعظماء.

وفيما يلي معلومات قصيرة عن الانبياء المدفونين في ايران او الذين يحتمل ان تكون قبورهم في ايران:

سام ولام «عليهما السلام»

وفقاً لمعتقدات أهالي محافظة سمنان وحسب ما موجود في احد الكتابات على

الالواح الحجرية، فان ابنا النبي نوح «ع» سام النبي ولام النبي مدفونان في منطقة تقع بالقرب من سمنان.

النبي خالد «ع»

الاسم الكامل لهذا النبي هو خالد بن سنان العبيسي، وكان من المبشرين لشريعة عيسى «ع». ويرجع نسبه الى اسماعيل بن ابراهيم «ع» وهو من الانبياء الذين بشروا بمبعث النبي الاكرم محمد «ص»، وعاش هذا النبي في الفترة التي تفصل بين ظهور عيسى «ع» ومبعث رسول الاسلام «ص». ويقع ضريح هذا النبي في مدينة كلاله الواقعة في محافظة كلستان، باتجاه «قره قوزي» السفلى و «يلي بدراق» من خلال طريق ترابي يؤدي الى الضريح مسافته ٣٨ كيلومترا.

يوشع «ع»

يقول بعض المؤرخين بأن النبي يوشع «ع» كان اسيراً لدى نبوخذ نصر وقد جاء الى ايران بعد تحريره من الاسر من قبل الملك الايراني كورش.

والنبي يوشع «ع» مدفون في مقبرة «تخت فولاد» التاريخية والتي يعود تاريخها الى فترة ما قبل الاسلام، وهي تقع حالياً في شارع الامام السجاد «ع» في مدينة اصفهان. ويعرف الموقع المدفون فيه هذا النبي بـ «لسان الارض». وهو المكان الذي يقال بان الامام الحسن المجتبي «ع» عندما مر به تحدثت الارض معه واخبرته بمجيء الاعداء.

النبي اشعيا «ع»

وهو من انبياء بني اسرائيل ويرجع نسبه الى النبي يعقوب «ع» وكان يسكن القدس وقد بعث قبل زكريا «ع».

ويقع مرقد النبي اشعيا «ع» بجوار مرقد سليل أهل البيت «امام زاده» اسماعيل على حافة شارع هاتف الاصفهاني في مدينة اصفهان. وهناك لوح حجري في الجهة الشمالية

لمرقد النبي اشعيا «ع» مكتوب بخط النستعليق ويعود الى عهد السلطان الشاه حسين الصفوي جاء فيه بان مسجد اشعيا «ع» هو أول مسجد كبير شيد في أصفهان، كما جاء فيه بأن المسجد قد بناه أبو العباس المفتي أبان فترة خلافة الامام علي بن أبي طالب «ع» وأن ألْب ارسلان قد قام بأصلاحه.

حيقوق «ع»

وهذا الاسم يلفظ على شكلين هما حيقوق وحبقوق ومعناه «المسحوب الى الجانب». وقد سمي حيقوق «ع» بهذا الاسم لانه فارق الحياة في طفولته بسبب اصابته بالمرض، وان النبي الياس «ع» قد سحبه اليه وحضنه ودعا الله ان يعيد اليه الحياة فأحياء الله من جديد. والنبي حيقوق «ع» هو من انبياء بني اسرائيل وكان حارس معبد سليمان في اورشليم وقد جاء ذكره في كتاب العهد القديم، وكان بعث بعد النبي اشعيا «ع» وامضى سنوات عديدة اسيراً لدى نبوخذ نصر. وبعد فتح بابل بيد كورش جاء الى ايران برفقة النبي دانيال «ع» واقام في همدان ودفن بعد وفاته في مدينة «تويسركان» حيث يقع قبره الان جنوب غربي هذه المدينة.

حجي «ع»

عاش ابان حكم داريوش الكبير «دارا الكبير». وجاء في التوراة ذكر لاسم النبي «حكي» والتي تعني «مسرور». وكان هذا النبي معاصراً لـ «مردخاي»، وتقع مقبرته في مدينة همدان داخل مسجد باسم «بيغمبر» اي النبي، داخل السوق الواقع بالقرب من ساحة الامام الخميني.

مردخاي «ع»

وهو من كبار، او بتعبير آخر، من انبياء بني اسرائيل وكان يعيش في زمن الملك الايراني خشايار شاه ويرجع نسبه الى النبي يعقوب «ع». ولقد لعب مردخاي «ع» دوراً

كبيراً في منع مجزرة اليهود في زمن خشايار شاه، وهو يتمتع بمكانة خاصة في قلوب اليهود لهذا السبب. ويقع مرقد مردخاي «ع» وابن أخيه في شارع شريعتي بالقرب من ساحة الامام الخميني في مدينة همدان.

قيدار «ع»

وهو الجد الثلاثين للنبي محمد «ص».. وجاء في كتاب «تاريخ اليعقوبي»: كان للنبي اسماعيل «ع» اثنا عشر ولداً أكبرهم النبي قيدار «ع»، وبعد وفاة النبي اسماعيل «ع» قام النبي قيدار «ع» بدعوة الناس للتوحيد.

وكلمة قيدار تعني «الزنجي». ويقع مرقد قيدار «ع» في مدينة خدابنده او «قيدار» في محافظة زنجان.

سلام، سلوم، سهولي، القيا «ع»

يبدو ان هؤلاء الانبياء كانوا يعيشون في زمن اصحاب الكهف، وان تاريخ وفاتهم يختلف عن الآخر، إلا ان اصدقاءهم وبعد دفن اول نبي منهم في هذا الموقع قاموا بدفن الباقين الى جواره. ويقع مرقد هؤلاء الانبياء الاربعة في شارع «بيغمبر» اي النبي في مدينة قزوین.

اشموئيل او شاموئيل «ع»

وهو كان معاصراً لطالوت المذكور في قصة داود وجالوت. وتوجد في الطريق الموصل من مدينة ساوة الى بوئين زهراء وعلى بعد ٥٠ كيلومترا من مدينة ساوة مقبرة يقول الاهالي وتشير بعض الوثائق الى أنه مرقد طاهر لاحد الانبياء الالهيين الكبار اسمه شاموئيل «ع». ويقع الطريق المؤدي الى المرقد في منطقة جبلية تقع على بعد ٩ كيلومترات من قرية «وردة».

النبي دانيال «ع»

وهو من الانبياء الالهيين الكبار من نسل داود «ع» وكان قد ابلغ عن مبعث نبي الاسلام «ص» وكلمة دانيال تعني في اللغة العبرية «الله يحكمني» وكان النبي دنيال «ع» معاصراً لكل من كورش الكبير وداريوش «دارا» الاول وكان من الذين اسرهم نبوخذ نصر وسجنهم في بابل.

مرقد باباولي «قادر مير»

هناك مبنى يقع في قرية «باباولي» في مدينة «ديلمان» معروف باسم مرقد النبي قادر. ولم نعر على معلومات كثيرة عن هذا المرقد والشخص المدفون فيه.

باحز قيل او «خز قبال» «ع»

هناك مبنى صغير وبسيط يقع بجوار المسجد الجامع في مدينة دزفول ينسب الى حز قبال «ع» ابو النبي دانيال «ع» ولا توجد معلومات اكثر عن هذا الموقع في تناول اليد. النبي ارما «او هرميا» «ع»

في مقالة منشورة في صحيفة «جمهوري اسلامي» جاء ذكر لمرقد نبي اسمه «ارميا او هرميا» يقع شمالي مدينة خرمشهر. وكان ارميا قد بعث ابان حكم «يهوباقيم» و «صدقيا» وهما من ملوك بني اسرائيل.

روبين «ع»

نشرت صحيفة «جمهوري اسلامي» مقالاً عن مدفن نبي اسمه روبين يقع في مدينة «ميامي» الواقعة في الطريق المؤدي الى مشهد المقدسة. وجاء في موسوعة «دهخدا» ان روبين هو احد ابناء النبي يعقوب «ع» الاثنى عشر.

جرجيس «ع»

في كتاب «موسوعة القرى والاماكن الدينية في البلاد» باللغة الفارسية جاء ذكر مدفن النبي جرجيس «ع» في مدينة شوشتر. وهناك قرية اسمها جرجيس تقع الى الجنوب الغربي من شوشتر يوجد بجوارها بقعة باسم النبي جرجيس «ع». وهناك بقاع اخرى حول هذه البقعة مثل بقعة روبين، وحزقيل، وشعيب، وشمعون، واسحاق، وادريس، ومردخاي.

وهناك شك في صحة ان يكون هذا المكان محل دفن النبي جرجيس «ع» وهناك احتمال كبير ان يكون مدفنه الاصيلي في مدينة الموصل بالعراق.

روبييل «ع»

يقول المرحوم السيد عبد الله الجزائري من علماء شوشتر «المتوفي عام ١١٧٣ هـ.ق» في الفصل التاسع من كتاب «تذكرة شوشتر»: في اطراف شوشتر ودزفول اي بجوار نهر دزفول الكثير من مقامات انبياء بني اسرائيل مثل اسحاق، شمعون، يعقوب، لاوي، وروبييل. وجاء في كتاب «الغدير» ان قبر روبييل «ع» ابن النبي يعقوب «ع» يقع في مصر.

ابراهيم الخليل «ع» في سوسنكرد

اسحاق واسماعيل في الطريق المؤدي من مدينة دزفول الى هفت تبه، النبي ايوب «ع» في قرية «بندبن» في مدينة تنكابن، والنبي صالح «ع» في شوشتر.

بقلم: آرش نور آقائي

ترجمة: مهدي سلماسي

البطالة أعلى بين المتعلمين العرب والمطلوب ٧٠ مليون وظيفة

تزيد القوى العاملة العربية خلال العقد الجاري ٣/٥ مليون نسمة سنوياً، فيما تسجل

البطالة بين الشباب المعدل الأعلى في العالم فوق ٢٥ في المئة.

واعترفت منظمة العمل العربية التي نشرت هذه التقديرات في تقرير ناقشه مجلس إدارتها خلال اجتماع استثنائي يوم الخميس، أن الإبقاء على حجم مستويات البطالة الحالية (يتوجب استحداث عدد كبير من الوظائف الجديدة سنوياً). كما يمثل التحدي الاجتماعي الأساسي الذي تواجهه البلدان العربية خلال هذا العقد، وينتظر أن تقل حدته قليلاً في العقود المقبلة.

ورأى أن الوطن العربي يحتاج إلى (إيجاد وظائف جديدة للداخلين إلى سوق العمل تزيد على ٧٠ مليون فرصة في العقد (٢٠٠٠ - ٢٠٢٠). ورأت المنظمة أن النمو الكبير للقوى العاملة العربية هو (الأعلى في تاريخ السكان العرب)، ويقارب العدد الإجمالي ٣٤٠ مليون نسمة.

تمثل هذه الزيادة بحسب التقرير فرصة للنمو بـ (رفع نسبة المنتجين وتراجع معدلات الإعاقة)، لكنها أيضاً تعتبر (تحدياً كبيراً) في إيجاد فرص عمل متزايدة لم يشهد الوطن العربي مثلاً.

وبلغ معدل نمو القوى العاملة العربية في العقد الجاري (نحو ٣ في المئة سنوياً)، متجاوزاً معدل نمو السكان ٢/١ في المئة، وهو يقل عن معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي في السنوات الخمس الماضية ٥/١ في المئة. لكنه (أعلى من معدل زيادة السكان في سن العمل ٢/٨ في المئة، فيما يتخطى معدل نمو عدد الإناث فيها ٤ في المئة سنوياً. وزادت معدلات مشاركة الإناث في النشاط الاقتصادي في الفترة الماضية من ٢٤ إلى ٣١ في المئة أو قرابة ٢ في المئة سنوياً، وهي تمثل أضعاف زيادة مشاركة الذكور فيه). وعلى رغم ذلك، (تبقى معدلات المساهمة هذه من أدنى المعدلات في المنطقة مقارنة بمناطق العالم الأخرى). أما الشباب في سن ١٥ - ٢٤ فـ (يمثلون خمس السكان أو ربع القوى العاملة العربية).

ولم ينكر التقرير أن دولاً عربية حققت خفضاً في معدلات البطالة، لكنها (لا تزال محدودة)، مثل الجزائر وتونس والمغرب ومصر والسعودية وقطر والبحرين.

النساء المسيحيات.. يتبرعن بالذهب لباب أبي الفضل «ع»

في العمود السابق اشرت بالفعل المتميز لنساء هيئة «بيت الزهراء النسائية / طهران» اللاتي تبرعن بالحلي الذهبية الشخصية من أجل انجاز باب ابو الفضل العباس «ع» وفاتني أن أذكر موقف النساء المسيحيات اللاتي شاركن هذا التجمع الخير وتبرعن بصليب من الذهب لباب أسد الطف «ع» ولا عجب فمن بين انصار الامام الحسين «ع» في واقعة الطف السيدة المسيحية «أم وهب» وابنها وهب حيث ضربت هذه المرأة أروع الأمثلة في التضحية والفداء والشجاعة اللافتة من أجل الدفاع عن كلمة الحق التي استشهد في سبيلها سيد شباب اهل الجنة الامام الحسين «ع» بعد أن قدم الأهل والاصحاب جميعاً ولم ييخل من أجل اعلاء كلمة الحق حتى بطفله الرضيع ذو الستة اشهر «علي الاصغر» عليه السلام واستشهد من اجلها صاحب الراية العباس بن علي «ع».. يقول الشاعر السيد عدنان الموسوي بعد رفع الستار عن الباب الذهبية:

لقد جيء بالباب من فارس

وظنوا بأن زينوا المرقدا

تقبل ابا الفضل هذا اليسير به

باب سردابكم جددا

معرض فني عن شيراز في الامم المتحدة

افتتح قبل ايام في احدى قاعات منظمة الامم المتحدة معرض فني للرسم الاميركية «لورا بلوم» تحت عنوان «شيراز؛ مدينة من الجنة» موضوعه الرئيس حديقة ارم في مدينة شيراز. وذكرت وكالة ارنال للانباء ان «لورا بلوم» قد تأثرت وشغفت بشدة بالثقافة الايرانية بعد ان تعرفت على شعراء ايرانيين كبار من امثال حافظ الشيرازي وعطار النيشابوري وهو ما دفعها الى استلهم مواضيع لوحاتها من الرموز الايرانية الاسلامية. و«بلوم» متأثرة

بعطار النيشابوري بشدة ولهذا استوحت بعض لوحاتها من كتاب «منطق الطير» لعطار وتحاول هذه الرسالة الاميركية اعادة صياغة منطق الطير وايدولوجية عطار بلغة بسيطة بعد ترجمتها للانجليزية بشكل مفهوم للأطفال. واعمال هذه الفنانة تشكل حالياً مصدراً لمشروع لطرح الثقافة الايرانية في فضاء الامم المتحدة. وهي ترى ان خطوتها هذه تأتي ضمن اطار حوار واقعي بين الحضارات. والمعرض يقام بمبادرة من الملحقية الثقافية في بعثة الجمهورية الاسلامية الايرانية في الامم المتحدة ويستمر لغاية السادس والعشرين من شهر يوليو / تموز.

أثناء انشاء احد السدود في مدينة ملاير:

اكتشاف آثار لاحدى القلاع الاسلامية في ايران

الاعمال الجارية لانتقاذ واحدة من اعلى التلال الاثرية التي عثر عليها لحد الآن اثناء اعمال التنقيب التي تجري في مواقع انشاء السدود في البلاد ادت الى اكتشاف قلعة اسلامية مبنية على قلعة اخرى كانت تعود للعهد الاشكاني.

اعلن ذلك السيد حسن رضواني رئيس فريق التنقيب في تل «باتبة» - الذي يعتبر اعلى تل اثري سيفرق تحت المياه بعد ملء بحيرة سد «كلان» بالمياه - وذلك في حديث ادلى به لوكالة انباء التراث الثقافي الايرانية. وقال ايضاً: يبلغ ارتفاع «باتبة» ٢٥ متراً، وقد نجحنا بعد اربعة اشهر من العمل المتواصل في الموقع في العثور على قلعة من العصر الاسلامي يمكن اعتبارها فريدة من نوعها اذا اخذنا بنظر الاعتبار المواد الانشائية المستعملة في تشييدها.

وتضم هذه القلعة غرفاً عديدة البعض منها كانت لها اعمدة وقد عثرنا في زوايا المبنى على بقايا قنوات لصرف الماء الزائد. وذكر رضواني ان اعلى نقطة في هذا التل كانت قد استخدمت خلال العصر الاسلامي لتشييد هذه القلعة، وكان بناؤوا هذا المبنى قد شرعوا تشييد غرفه بعد شق القنوات الخاصة بصرف المياه الفائضة.

واضاف رئيس فريق التنقيب في «باتبة» قائلاً: واجهنا اثناء اعمال التنقيب جدراناً

يعود تاريخها للعهد الاشكاني، حيث كانت هذه الجدران تستخدم كسور للقلعة، ولهذا فان من المحتمل ان تكون هناك بقايا لقلعة من العهد الاشكاني تحت مبنى القلعة الاسلامية.

ويرى خبراء الآثار ان هذه الادلة الواضحة دعوتهم للتفكير في اجراء عمليات لرفع الطبقات التي تعود للعصر الاسلامي لعلهم يصلون الى طبقات العهد الاشكاني. وحول هذا الموضوع اوضح رضواني لمراسل وكالة التراث قائلاً: من اجل اجراء دراسة على الطبقات التي تعود للعهد الاشكاني نحن مجبرون على رفع الطبقات العليا التي تعود للعصر الاسلامي لكي يتسنى لنا دراسة الطبقات التي تحتها والتي تعود للعهد الاشكاني. وبعد الانتهاء من اجراء الدراسات الاثرية على سطح التل وبعد دراسة الطبقات التي تعود للعصر الاسلامي، واعداد تقرير كامل عن هذه المرحلة من التنقيبات، سيصار الى البدء بدراسة الطبقات التحتية في الموقع. والى جانب اعمال التنقيب الجارية في موقع «باتبة»، جرت اعمال تنقيب اخرى في موقع يعود الى عصر ما قبل التاريخ يقع في بحيرة «كلان» وهذا الموقع كانت اجزاء كبيرة منه قد تعرضت للخراب بسبب قربها من النهر.

وحول هذا الامر اوضح رضواني قائلاً: لقد تعرض هذا الموقع الاثري الى اضرار فادحة جراء الفيضانات العديدة التي حدثت في السنوات الماضية في النهر ولذلك لم تتمكن من اجراء الدراسات سوى على جزء منه. وعلى هذا الاساس اعتبرت اعمال التنقيب والدراسة في هذا الموقع منتهية وقد انتقل اعضاء فريق التنقيب الآن برمتهم الى موقع «باتبة» للمشاركة في الدراسات الجارية هناك.

وحول اهمية اعمال التنقيب هذه قال رضواني مضيفاً: ان اعمال الانقاذ في هذه التلة الاثرية يجب ان تتواصل لمدة ٥ - ٦ اشهر اخرى على الاقل ونأمل من المسؤولين في مشروع تشييد سد «كلان» التعاون معنا في هذا المجال من خلال دفع مبالغ الميزانية التي كانت مخصصة لهذه المرحلة من اعمال التنقيب مثلما عهدناه منهم سابقاً.

ترجمة مهدي سلماسي

نقلاً عن وكالة التراث الثقافي للابناء

مسلمو فرنسا يرفضون اتهامات سكرتير البابا للإسلام

استنكر مسلمو فرنسا تصريحات جورج غاينسفاين سكرتير بابا الفاتيكان التي قال فيها إن القيم الإسلامية تهدد بأسلمة أوروبا.

وقالت التربوية إيفون فازيو التي اعتنقت الإسلام منذ سنوات طويلة للجزيرة نت «خلط سكرتير البابا بين الدين وهو فعل شخصي تماماً وعمل السياسة والحكومات، وهو يستنكر سلوكاً يقوم به فعلاً المنصرون حين يقدمون الطعام للفقراء في أفريقيا تحت مسمى الأعمال الإنسانية بينما الغرض الموضوعي إدخالهم في المسيحية.

وأضافت «هكذا يقول البابا على لسان سكرتيه الشخصي إنه يعارض تبشيراً ينسبه للمسلمين فيما الأمر نفسه ثابت بحق المسيحيين».

وواصلت قائلة «فرنسا تعتمد في الحاضر وفي الماضي على رجال الدين المسيحيين للحصول على معلومات معينة يستقونها أثناء مهاهمهم، فالتقد هنا يتعلق ربما بجانب سياسي يستمد أصوله من أصل مسيحي قائم فعلياً».

وتقول إيفون إن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم يحترم دائماً غير المسلمين، لأن إنساناً غير مسلم يعيش في دولة مسلمة ليس فقط يعيش في سلام إنما على الدولة المسلمة حمايته، واعتبرت كلمة الأصولي التي يلصقونها بالمسلم في الأصل كلمة أطلقت على الأصولية الكاثوليكية ويسعون إلى جعلها لصيقة بالمسلم وعلامة عليه.

وقالت «يتحدث سكرتير البابا عن تهديد من جانب الإسلام، وأنا بدوري أتساءل عن مصدر التهديد حيث أن المسيحية في قيمها الأصيلة لا تتعارض مع القيم الإسلامية».

أما الأمين العام لمجلس الأئمة بفرنسا الشيخ ضو مسكين فقال للجزيرة نت «قد نستغرب هذه التصريحات التي تصدر عن الفاتيكان من وقت لآخر، لكن هذا الاستغراب يزول عندما نرجع إلى تصريحات البابا السابقة التي هاجم فيها الإسلام».

وأستطرد قائلاً: «القيم التي يدعو لها الإسلام هي نفسها التي تدعو لها بقية الديانات السماوية، فهل ينتقد البابا مثلاً أن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت لتتم مكارم الأخلاق ولنشر الرحمة بين البشر؟».

وأضاف «علينا أن نحدد مفهوم التطرف الذي تحدث عنه مسؤول الفاتيكان وما إذا كان ذلك يعني مواجهة الاحتلال مثلاً».

التطرف موجود في كل الديانات بما فيها الإسلام - أضاف الأمين العام لمجلس الأئمة - وموجود لدى المسيحيين أكثر من مثيله عند المسلمين، ودعا الفاتيكان إلى «استحضار المآسي التي حاقت بمسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو منذ ١٥ عاماً فقط على يد المسيحيين».

وقال رئيس دار الفتوى باتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا الشيخ أنيس قرقاح للجزيرة نت «هذه التصريحات تخدم أولاً وقبل كل شيء الجهات المتطرفة خاصة اليمين المتطرف في فرنسا وبعض الدول الأوروبية وهي لا تخدم الصالح العام بفرنسا وأوروبا، لأن العقلاء من المثقفين باتوا على قناعة بأن أوروبا متعددة الثقافات ولم تعد كما كانت في القرن الـ ١٤ والـ ١٥».

وواصل «تصريحات الفاتيكان تغفل وجود نحو ٥٠ مليون مسلم بالقارة الأوروبية - باستثناء تركيا - وتدفع باتجاه التشدد وإيجاد جو من التشاحن داخل المجتمعات الأوروبية»، ونبه إلى أن «الإسلام لا يهدد أحداً ونحن لا نحاول أسلمة أوروبا وإنما نسعى إلى أن يعيش المسلمون دينهم في خاصة أنفسهم ويعيشون بسلام ويندمجون لما فيه خير المجتمع».

لابدّ من محاكمة المحكمة وإدانة من أدانوا المتنبّي

ما زال المتنبّي إلى يومنا هذا وبعد أكثر من ألف سنة يجمع الناس حوله، ليقول لهم لست أنا الذي ينسأه التاريخ، تتحدثون عني وتشرحون ما نظمته وقلته وستختلفون وتجتمعون.. وأنا هنا سأظل نسرّاً فوق القمة السماء لا تهزني حملاتكم ولا آبه لمحاكماتكم.

وكأننا بالمتنبّي يقف من على صهوة حصانه ويقول:

إذا أتتك ملامتي من ناقص
فهي الشهادة لي أنني كامل
أو كأنه يقول:

أنا مملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراها ويختصم

المتنبي شاعر المتناقضات.. «محكمة ٣٠ شاعراً عربياً»، هذا عنوان مجموعة من الحلقات نشرتها جريدة الحياة اللندنية. لتثير فينا مجموعة من الأسئلة: هل يحق لنا محاكمة المتنبي؟ ولماذا نحاكمه؟ هل هو حقاً شاعر المتناقضات؟..

الشاعر التونسي المنصف المزغني يعلق على هذه المحاكمة قائلاً:

«بداية لا بد من محاكمة هذه المحكمة تقديراً، وإن كان العمل الصحفي يبرر مثل هذه المحاكمة، ولا بد كذلك من إدانة المتنبي. فنحن نعرف أن للشعراء أعماراً وبعضهم يحسب نفسه شاعراً وهو لم يولد بعد، وبعضهم يكتب قصيدة تموت ساعة إلقائها أو ساعة قراءتها أو تكون ولدت ميتة.

المتنبي من الشعراء الذين كانوا ينشدون شعرهم جالسين. وفي تفسير لهذا الجلوس أقول إن شعر المتنبي واقف، فلماذا يقف الشاعر؟ هو كان هذا الإحساس غريباً، لدى شاعر بحجم المتنبي فهو يعتقد أن الدهر سينشد شعره، وهذا نوع من الحدس لأن معرفة الرجل تدلنا على أنه كان شخصية خارقة للعادة بمعنى أن طاقة الاستيعاب لديه عالية وسيطرته وسلطانيته على اللغة العربية قوية.. لقد كان مدركاً لخفاياها وعارفاً بأسرارها.. ما قضية المدح فأنا لا أعتبرها مسألة مشينة بالنسبة لشاعر بحجم المتنبي. فالمدح تقريباً محور كل الشعر، إذا اعتبرنا الغزل مدحاً للجمال وإذا اعتبرنا أن الرثاء مدحاً لراحل لم يعد بيننا.. وغيرها من الأغراض.. وعلى هذا الأساس نقول إن المدح هو أحد العناصر التي يمكن أن تكون قادرة على قدح المعاني داخل الشعر.

ويضيف المزغني قوله:

«أنا أتصور أن المتنبي كان يستخدم المدح كمطية للوصول إلى الشعر وليس إلى المال

أو الجاه.. وأعتقد أن أشهر ولاية في التاريخ هي الولاية التي لم ينلها المتنبي.. فلقد كان يطمح إلى أن يكون والياً، لكنه صار أميراً عابراً لعصره، فهو لم يعيش أكثر من نصف قرن ومع ذلك استطاع أن يجعلنا نردد أبياته مع أنه قضى أكثر من ألف سنة مقتولاً وغائباً جسمانياً عن هذا الوجود.

لقد استطاع المتنبي من خلال شعره أن يمرر عديد القيم والمفاهيم الأخلاقية المتعلقة بالمروءة، النخوة، العزة.. كل هذه الأشياء قد ضمنها وهو يمدح. ومن ثمة، لا يمكن أن نلومه البتة على مديحه هذا، بل بالعكس كنا نأمل أن يزيدنا منه إذا كان بهذه القوة.

هنالك شعراء يمدحون وعندما يمدحون فإنهم يثيرون الشفقة عليهم كمداحين.. لكن عندما نقرأ المتنبي مادحاً نجد أنه لم ينس نفسه، ففي كل بيت تقريباً لابد أن ينال هو حصته. فلا يمنح ذاته كلها للممدوح ليكون إحساسه دوماً متواتراً بإنسانيته وبوجوده السياسي. ولذلك هو يخلع كل هذه الصفات على من يريد أن يمدحه «أو على من يريد أن يهجو».

ويواصل الشاعر المنصف المزغني قوله: أنا أظن أنه من السخافة أن نذم المديح. ولكن إذا كان الشاعر رديئاً فحتى لو تغزل بالثورة فإنه رديء. وينبغي أن نقول له ابحث عن عمل آخر. فالتزيف الذي نجده عند كثير من الشعراء هو الذي كرهه الناس في المديح. بينما المديح يمكن أن يكون مستساغاً شرط أن يكون الشاعر شاعراً بحق.

اشرف بن مراد

سجادة في العالم الإيرانية

صمم الفنان الإيراني علي خالقي السجادة الأكبر في العالم وأطلق عليها «قصر العالم»، والتي سينتهي قريباً من العمل على حياكتها يدوياً. وذكرت وكالة أنباء التراث الثقافي الإيرانية، «سي. اش. ان»، أن خالقي أمضى ١٨ شهراً في تصميم السجادة التي تبلغ مساحتها ١٩٨٢ متراً مربعاً، وتضم عناصر زخرفية تقليدية لا تنتمي إلى منطقة محددة. وستعلق السجادة التي شارفت على الاكتمال، والتي يعمل عليها حوالي ألف

حائك، في مسجد الشيخ زايد في أبوظبي. ووصف خالقي السجادة بالتحفة الفنية «ليس فقط لحجمها وإنما لطريقة صنعها وشكلها، حيث إن إحدى جهاتها مقعرة والأخرى محدبة». وذكر الموقع الإلكتروني لمحطة «برس تي. في». الإيراني أن سفراء ومبعوثي الدول الإسلامية إلى إيران، يزورون موقع حياكة السجادة للاطلاع على إحدى أعرق الحرف وأقدمها. كما قررت «الشركة الإيرانية للسجاد» تنظيم زيارات للعمامة وللصحافيين للتعرف على هذا الفن العريق.

«أصوات» الشمس تهز الأرض

أظهرت تجربة أجراها علماء من وكالة الفضاء الأوروبية أن «الاصوات» الصادرة عن أماكن عميقة داخل كوكب الشمس تجعل الأرض تهتز وتتذبذب.

ووجدت مركبة الفضاء «يوليسيز» التي استعانت بمعدات تقنية متقدمة أن الحقل المغنطيسي للأرض والجو الصادرة عن الشمس حيث سجلت بعض الارتجاجات والذبذبات فيهما.

وقام الباحثون دافيد طومسون ولويس لانزيروتي وفرانك فيرنون ومارك ليسارد وليندساي سميث بعزل «الاصوات» التي يعتقد بأنها ناتجة عن ضغط وأمواج جاذبية الشمس بعد دخولها إلى الأرض من أجل دراستها.

وقال علماء أن الاصوات العميقة الصادرة عن الشمس لا يمكن للاذن البشرية سماعها.

يشار إلى أن محطة الفضاء الأوروبية يوليسيز «مشروع مشترك بين وكالة الفضاء الأوروبية وإدارة الفضاء الوطنية وعلم الطيران.

مفوضة حقوق الإنسان تنتقد التعصب الأوروبي ضد الإسلام

قالت مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان لويز آربور إن التعصب والتحامل أصبحا

من الأمور الشائعة في أوروبا لا سيما تجاه المسلمين، وطالبت الحكومات بمعالجة القضية.

واعترض تجمع عالمي على تصريحات القاضية السابقة بالمحكمة الكندية العليا التي جاءت عقب اتهامات مماثلة من محقق للأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان. وكان تقرير محقق الأمم المتحدة دودو ديين من السنغال قد وثق ما وصفه بقلق متزايد من عدم التسامح ولا سيما التحامل ضد المسلمين.

وقالت أريو «ليس عندي ما يدعوني لعدم مشاركته الشعور بالقلق، إن الأوروبيين يصدون أحياناً عندما يتضح أن التعصب والتحامل والنمطية لا تزال موجودة في مواقفهم تجاه الآخرين». وقالت إن التقرير سلط الضوء على تحدٍ تتعين على الدول الأوروبية مواجهته.

وقال روي براون الرئيس المخضرم للاتحاد الدولي الإنساني الأخلاقي الذي يضم منظمات غير دينية من جميع أنحاء العالم إن آريور «مخطئة تماماً».

وأضاف براون - وهو ممثل الاتحاد المذكور في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة - أن «العداء الذي يبعث على القليل من الأسف لم ينشأ بين الأوروبيين الأصليين من فراغ ولكن كرد فعل على التطرف الإسلامي المتمثل في تشبيه اليهود والملحدين والمثليين بالشياطين والازدراء بالثقافة الغربية».

وقال تقرير ديين إن التحامل ضد المسلمين وتشبيه الإسلام بالإرهاب أوجد مناخاً للكراهية العنصرية والدينية. لكنه انتقد أيضاً معاملة الدول الإسلامية للأقليات غير المسلمة ورفضها الاعتراف بحقوق الأشخاص الذين ولدوا على الإسلام في تغيير دينهم. واستشهد ديين بالرسوم الكاريكاتيرية المسيئة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بذريعة استخدام حق حرية التعبير. كما انتقد سويسرا بسبب الحملة التي يشنها حزب الشعب السويسري اليميني ضد الهجرة. وكان رد الدول الأوروبية في المجلس على اتهاماته بالتحيز ضد المسلمين محدوداً.

مؤسسة الاقصى تحذر من مخطط صهيوني لتقسيم المسجد المبارك في القدس وتدعو لحمايته

دعت مؤسسة الاقصى لاعمار المقدسات الاسلامية العالمين العربي والاسلامي الى تحرك شعبي ورسمي بهدف احباط تنفيذ مخطط صهيوني لتقسيم المسجد الاقصى وفرض هيكل مزعوم. وقالت في الذكرى الـ ٣٨ لاحراق المسجد الاقصى المبارك: «شكلت جريمة حريق المسجد الاقصى في ٢١ آب / اغسطس من سنة ١٩٦٩ مظهراً جلياً لضلوع المؤسسة الصهيونية باستهداف المسجد الاقصى المبارك وان هذه المؤسسة التي تحتل المسجد الاقصى تصر على ايقاع الاذى به وتتدرج في تحقيق هدفها الرامي الى هدم المسجد الاقصى المبارك من اجل بناء الهيكل الثالث المزعوم على حساب المسجد الاقصى المبارك».

واضافت في بيان لها: «ان الحفريات الصهيونية تحت وفي محيط المسجد الاقصى المبارك وشبكة الانفاق تحته ما هي إلا وسيلة ومرحلة من مراحل السعي الحثيث لتحقيق اهداف المؤسسة الصهيونية».

وحذرت مؤسسة الاقصى من انه «وبعد مرور ٣٨ سنة على جريمة حريق المسجد الاقصى المبارك بات واضحاً ان المؤسسة (الصهيونية) تسعى بقوة سلاح احتلالها تنفيذ مخطط يقسم المسجد الاقصى المبارك وانه لواجب الوقت ان تتداعى الشعوب والعلماء والحكام والهيئات الى الدفاع والحفاظ على المسجد الاقصى امام كل جرائم المؤسسة الاحتلالية».

عن «المركز الفلسطيني للاعلام»

رداً على تصريح رئيس حزب الحرية الهولندي فليدرز الذي وصف القرآن الكريم

بالكتاب الفاشي

علماء ومشايخ يحذرون من تنامي استهداف ساسة غربيين للإسلام

رفض مشايخ وعلماء شرعيون ما تفوه به ساسة غربيون على الاسلام من اتهامات وتهديدات تمثلت في ما قاله اخيراً رئيس حزب الحرية الهولندي غيرت فليدرز الذي وصف القرآن الكريم بالكتاب الفاشي وما سبقه من دعوة مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة وعضو الكونغرس الأمريكي توم ترانكيدو الى الرد على أي تهديد لأمن أمريكا بضرب مدينتي مكة والمدينة.

وقد اجمع المتحدثون في هذا الشأن على أن مثل تلك الدعوات ليست بالجديدة في الدول الغربية التي تضم متطرفين بدأوا يصلون الى مراكز القرار فيما به د. بسام الشطي الى دعوة رسالة سابقة لبابا الفاتيكان تحذر من انتشار الاسلام في اوربا كسبب محرك لتلك الدعوات.

وفيما دفع المشايخ تهمة الارهاب عن الاسلام داعين الى قراءته جيداً حملوا ابناء الامة الاسلامية مسؤولية التوعية بالاسلام الحقيقي فيما ذكر الدكتور سعد العنزي أن الغرب هم من صنعوا الارهاب حتى في الوسط الاسلامي مشيراً الى أن القاعدة انما هي صنيعه امريكية ليواكب بذلك ما حذر منه عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية د. محمد الطبطبائي من أن يؤدي ذلك السلوك في العالم الغربي الى عنف مقابل.

وقد جاءت تلك التصريحات للعلماء الشرعيين والمشايخ ردة فعل لتصريحات كان ادلى بها كل من عضو الحزب الجمهوري في الكونغرس الأمريكي توم ترانكيدو الذي دعا الى ضرب مكة المكرمة والمدينة المنورة بالقنابل النووية كردة فعل لاي اعتداء ارهابي قد تتعرض له الولايات المتحدة الامريكية، ورئيس حزب الحرية الهولندي غيرت فليدرز الذي دعا الى منع القرآن الكريم الذي وصفه بالكتاب الفاشي حتى من المساجد متهماً القرآن بالتحريض على قتل اليهود والمسيحيين واغتصاب نسايتهم وهو

ما بين العلماء عدم صحته وانه إنما ينبع من حقد على الاسلام والمسلمين.

فعل وردة فعل

فقد قال عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الدكتور محمد الطبطبائي أن مثل هذه الادعاءات ليست بالجديدة فسبق أن كان هناك ادعاءات متعددة ومنظمة من دول مختلفة عادت فيها هذا الدين الكريم ونبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) داعياً من يجهل حقيقة هذا الدين الى ان يعرفها وموضحاً أنه أن كان هناك من يعادي هذا الدين فإنه لن يضره بشيء من هذه الاقاويل فالله عز وجل متم نوره وسيظهر هذا الدين رغم وجود هذه المقولات المتكررة.

وأكد الدكتور الطبطبائي أن ما يطلق من اقاويل وكلمات بهذا الاسلوب هو نوع من انواع التطرف الديني الموجود في العالم معبراً عن خشيته من ان يكون مثل هذه السلوكيات سبباً في وجود تطرف مقابل لدى بعض من يستمع لمثل هذه الاقوال في الوقت الذي دعا فيه المسلمين الى إبراز الدين الاسلامي بشكل واضح لمن يجهل حقيقته والعمل على نشره واجلاء صورته امام العالم اجمع حتى لا تتكرر مثل هذه المقولات التي هي ابعد ما تكون عن الصحة.

ومن جانبه اوضح استاذ الشريعة والدراسات الاسلامية في جامعة الكويت الدكتور بسام الشطي ان ما يطلق من اقاويل وشبهات ضد الاسلام والمسلمين من قبل بعض ساسة الغرب جاء نتيجة لما اصدره بابا الفاتيكان من بيان يحذر فيه قادة ورؤساء الدول الغربية والاوروبية من مغبة استمرار الحرية للمسلمين بسبب كثرة المساجد واعداد المسلمين داعياً أياهم الى الحذر من ان يكون الاسلام هو الدين الاول في أوروبا.

وعليه اوضح الشطي ان ترشيح الاوروبيين اليمينيين المتطرفين وهم من الصهاينة جعلهم يكثرون عن انيابهم ضد الاسلام والمسلمين من خلال اتباع سياسة التضيق على المسلمين ومحاولة طردهم من بلادهم مشيراً هنا الى ان الله عز وجل جعل القرآن معجزة خالدة وعزاً للاسلام والمسلمين ولم يدع الى القتل والدخول في نزاعات مع

الغرب بل دعا الى نصره الدين ونشره بالتي هي احسن.

كما ابدى الدكتور الشطي أسفه على أن يأتي كلام كهذا من مرشح جمهوري للرئاسة الامريكية «توم ترانكيدو» موضحاً الشطي ان هذه المطالبة من ترانكيدو والتهديد باستهداف المقدسات الاسلامية هو بالاساس كلام ارهابي ومن شأنه زيادة الارهاب في العالم.

وعليه شدد الشطي على ضرورة ردع مثل هؤلاء الاشخاص وابعادهم عن تولي المناصب داعياً الدول الغربية الى اتخاذ موقف واضح من هذا الحديث وقال انه لا امر مؤسف ان هذه الدول الغربية سرقت المعادن والممتلكات من اراضيها وتدخلت في مناهجنا وشغلت المصانع ثم بعد ذلك يأتي مثل هذا الشخص ليدعي قدرته على ضرب الاماكن المقدسة للمسلمين إلا ان الله عز وجل سيحميها من اعداء المسلمين كما فعل بأصحاب الفيل الذين رماهم بالحجارة ليردعهم عن مقدسات المسلمين.

شواذ ليسوا جدداً

وبدوره اكد استاذ الشريعة والدراسات الاسلامية المحامي الدكتور سعد العنزي ان تشويه الغرب للاسلام والمسلمين ليس بغريب على هؤلاء الشواذ حسب ما اسماهم مشيراً الى ان المستشرقين قبلهم حاولوا تشويه الاسلام في عدة مجالات منها ما هو اجتماعي كتعدد الزوجات وغيره مبيناً ان تشويه الاسلام تطور في الوقت الحالي من قبلهم حتى وصل الى الجانب السياسي والدعوي فباتوا ينعتون الاسلام بالارهاب والقتل والتدمير مما يظهر لنا طبيعة العداوة بين الغرب والشرق.

وأضاف الدكتور العنزي أن الغرب برئاسة امريكا يحاولون اظهار عدو جديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي فلم يجدوا لديهم إلا الاسلام ليخلقوا معه عداء معاصراً اذ هم في الغرب من خلق الارهاب ويدعون بانهم يتصدون له. واضاف العنزي ان الاصل في العداء والارهاب هو امريكا فهي من اوجدت القاعدة ومدتها ووحدتها بعد ان كانت مجموعات متفرقة تحارب في ارض افغانستان للدفاع عنها ضد الاتحاد السوفيتي

فدعموها بكل الاسلحة والوسائل الممكنة في ذلك الوقت مبيناً أن القاعدة صنيعة امريكية ساعدها على تأسيسها الاوروبيون وبعض الدول العربية للأسف لتتحول بعد ذلك الى ما هي عليه في الوقت الحالي.

وبين الدكتور العنزي ان الادعاءات الغربية بأن الاسلام دين قتل وتشريد ليست حديثة بل قالوا في السابق ان الاسلام نشر بحد السيف وهو ما يشبه ادعاءهم حالياً بأن الاسلام ينشر دعوته بالقتل والارهاب إلا ان الاسلام ليس كما يدعون بل لقد ارسل الله عز وجل رسوله بالحجة الدامغة لينشر الاسلام بالتتي هي احسن فلا اكراه في الدين ولا نشر للاسلام بالقوة اذ ان لكل انسان حق الاختيار فيما يريد اعتناقه من دين فلا يجبر على الدخول في الاسلام شريطة ان لا يعتدي على الاسلام والمسلمين من حقوق وارض واموال كما كان يتعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع اعداء الاسلام ليؤكد العنزي اخيراً ان الاسلام لم يعتد على الغرب بل هم من اعتدوا عليه وحاولوا سلب اموال ومدخرات وارضاي ابنائه.

مجرد أقاويل

واشار الدكتور العنزي اخيراً الى أن ما يطلقه الغرب من شبهات ضد الاسلام والمسلمين مجرد اقاويل تنشر عبر وسائل الاعلام يحاولون من خلالها تشويه صورة الاسلام والمسلمين إلا ان الاسلام لن يتأثر بتلك الاقاويل فالعديد من الازمات والاحداث مرت عليه وعلى ابنائه ولم تؤثر فيه وبقي بفضل الله شامخاً رغم ما يواجهه من عداوات ومواجهة للارهاب فالاسلام هو من يتأثر بالارهاب لا الغرب ليدعو بذلك ابناء المسلمين الى الحفاظ على دينهم وهويتهم وارضهم حتى يرث الله الارض ومن عليها لافتاً الى ان ما يدعيه بعض الامريكيين من سعي لتهديد المقدسات الامريكية يبين لنا ما يضره لنا الغرب من حقد دفين على الاسلام والمسلمين.

ومن ناحيته اوضح استاذ الشريعة والدراسات الاسلامية الدكتور خالد شجاع العتيبي ان مثل هذه التصريحات دلالة واضحة على ان من جهل شيئاً عاداه وان الانسان عدو ما

جهل.

وقال العتيبي ان من ينتقص الاسلام ويظن بأن فيه دعوة للإرهاب هو جاهل بالفعل للاسلام المعروف بدعوته للناس وحرصه على نشر الخير وإيصال الحق للناس مبيناً أن ظهور مثل هذه الادعاءات فرصة لتبيان حقيقة الاسلام الناصعة للناس وتبيان ان الارهاب لا يرتبط بالاسلام بأي صلة كانت وأن الارهاب لا ينتمي لدين معين وانما لأشخاص بعينهم حيث ان مثل هذه التصريحات تدل على ان الارهاب ليس له هوية خاصة او قاصر على شعب او ملة معينة وانما يعود الى وجود شذوذ في مثل هؤلاء الاشخاص الذين ينادون بمثل هذه الدعوات مبيناً أن ما يجري من احداث لا يستدعي اطلاق اي نوع من القنابل على بلدين آمنين ويأمن من يدخلهما بفضل من الله وحمايته موضحاً أن الاسلام بريء من الارهاب.

ودعا العتيبي من يقرأ مثل هذه الاقاويل ضد الاسلام الى معرفة وفهم حقيقة الاسلام الناصعة والبعيدة كل البعد عما يشيره هؤلاء اذ ان الاسلام يدعو الى السلام واخراج الناس من الظلمات الى النور لازهاق الارواح والتعدي على الحرمات.

وبين الدكتور العتيبي اننا اصبحنا في وقت ينشد فيه الجميع السلام والاطمئنان فالجميع يريد ان ينتشر التفاهم والتعايش لا القتل والترويع حيث تتنادى الشعوب للحد من التسليح وانتشار الاسلحة النووية وهو امر يستنكر ظهور مثل هذه العبارات من اشخاص يمثلون الصفوة في مجتمعاتهم وينادون باستخدام مثل هذه الاسلحة الفتاكة ويصفون الاسلام بمثل هذه الصفات التي لا تليق به لتعارضه مع القانون الذي يسير في دولته إلا أن هؤلاء الاشخاص لا يعبرون عن الجميع في مجتمعاتهم فالجميع سئم حياة التفجيرات والارهاب داعياً الى القراءة عن الاسلام وفهمه الفهم الصحيح وعدم التأثر بما يفعله بعض ابنائه من اخطاء لا تمثل بالضرورة المنهج الاسلامي الصريح والواضح.

عالمانيان يزعمان نجاحهما في اثبات خطأ النظرية النسبية

رجح عالما فيزياء المانيان ان يكونا قد نجحا في كسر سرعة الضوء وهو ما قد يثبت

خطأ نظرية النسبية الخاصة لالبرت اينشتاين والتي تتطلب كمية غير محدودة من الطاقة لدفع جسم بسرعة تبلغ اكثر من سرعة الضوء التي تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية. و اشار العالمان جونتر نيتمز والفونس ستالوفين من جامعة كوبلنز الالمانية الى انهما قد يكونان خرقاً مبدأ رئيسياً من مبادئ نظرية النسبية.

ويقول العالمان انهما اجريا تجربة انطلقت خلالها وحدات الكم الضوئي القصيرة جدا **Microwave Photons** على الفور بين زوجين من المنشورات الضوئية التي تم ابعادهما عن بعضهما من مليمترات قليلة الى متر.

وعندما تم وضع المنشورين معاً اطلق العالمان وحدات الكم الضوئي من احد الاطراف في خط مستقيم عبر المنشورين.

وبعد ان تم ابعاد المنشورين عن بعضهما انعكست معظم وحدات الكم الضوئي من المنشور الاول الذي واجهته وتم تجميعها بواسطة كاشف. غير ان عدداً قليلاً من وحدات الكم الضوئي انطلق عبر الفجوة التي تفصل بينهما كما لو كان المنشوران لا يزالان ملتصقين.

وعلى الرغم من ان وحدات الكم الضوئي قد انطلقت لمسافة ابعد إلا انها وصلت الى الكاشف في نفس الوقت الذي وصلت فيه وحدات الكم الضوئي المنعكسة مما يثبت انطلاق تلك الوحدات على نحو اسرع من الضوء.

و صرح الدكتور نيتمز عالم الفيزياري في جامعة كوبلنز لمجلة (New Scientist) ان هذا يمثل الخرق الوحيد للنظرية النسبية الخاصة الذي يعرفه.

ويقول العالمان ان القدرة على الانطلاق على نحو اسرع من الضوء سوف تؤدي الى العديد من النتائج التي وصفوها بالغريبة والتي تتضمن فقدان الجسم لجزء من وزنه.

انعقاد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية في كينيا

عقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية منتدى اقليميا تحت عنوان «التقريب في الفكر والوحدة في العمل» السبت ١/٩/٢٠٠٧ في كينيا.

وأفادت وكالة مهر للأنباء ن آية الله التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية يشارك على رأس وفد من الشخصيات العلمية والثقافية من الشيعة وأهل السنة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذا المنتدى.

والهدف من عقد هذا المنتدى هو دراسة ظاهرة التقريب منذ ظهورها وحتى اليوم، مبادئ التقريب في القرآن والسنة، الوحدة الإسلامية في سيرة النبي «ص» وآليات الوحدة والتقريب بين المسلمين.

ومن المواضيع الأخرى التي سيجريها المشاركون في المنتدى دراسة العلاقات الودية بين أئمة المذاهب الإسلامية، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية ودراسة حواجز التقريب والعلاقات الودية بين المذاهب الإسلامية في أفريقيا.

ويعقد منتدى «التقريب في الفكر والوحدة في العمل» يومي الأول والثاني من أيلول / سبتمبر في العاصمة الكينية نايروبي بمشاركة علماء دين من زيمبابوي، السنغال، جنوب أفريقيا، أوغندا وإيران.

في كلمته بملتقى التقريب بكينيا..

التسخيري: لا سبيل للامة الإسلامية سوى التمسك بالوحدة لمواجهة التحديات

طهران / كيهان العربي: قال أمين عام مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله محمد علي التسخيري أنه لا يوجد سبيلاً للامة الإسلامية غير التمسك بالوحدة لمواجهة التحديات التي تحاك ضد المسلمين في هذه المرحلة الحساسة، مؤكداً على ضرورة المضي قدماً في طريق الوحدة من خلال التقريب بين المذاهب كونها الطريق الوحيد للوصول الى الوحدة.

وضمن اشارته الى تسمية العام الحالي من قبل سماحة قائد الثورة الإسلامية بعام الوحدة الوطنية والتكاتف الاسلامي قال الشيخ التسخيري خلال كلمته في ملتقى «التقريب في الفكر والوحدة في العمل» بكينيا: ان اثارة الفتن والفرقة من قبل الغرب

والاستكبار العالمي هو العامل الاساس لتشديد الخلاف بين السنة والشيعة. و اشار امين عام مجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية الى فشل وهزيمة اميركا في العراق ولبنان وفلسطين وافغانستان قائلاً: ان الذي يعتقد بالتوحيد والنسبة والقرآن ومسلمات الاسلام فهو مسلم رغم وجود بعض الخلافات في المسائل العقائدية والامور الجزئية.

واكد الشيخ التسخيري على ان التقريب هو تمسك الشخص بالاصول ومبادئه العقائدية التي يحملها بالاعتماد على القواسم المشتركة والابتعاد عن الامور الخلافية الجزئية.

في هذا الاطار قال الشيخ محمد قاسم مزروعى القاضي الاعلى في كينيا خلال كلمته بالملتقى انه وبعد احداث ١١ سبتمبر وبحجج واهية بدأت عمليات قتل المسلمين، وقال اعداء الاسلام وبلاستفادة من المتطرفين باثارة الفتن والخلافات بين السنة والشيعة بغية الحفاظ على مصالحهم الخبيثة.

واشار مزروعى الى ان تعاليم المذاهب الاسلامية يتم تدريسها في الجامعات الايرانية بحرية تامة معتبراً الوحدة والتقريب لمصلحة الاسلام والمسلمين.

هذا وقد انعقد ملتقى «التقريب في الفكر والوحدة في العمل» في كينيا بمشاركة مسؤولين وعلماء مفكرين من ايران وكينيا واثيوبيا والسودان والصومال وجنوب افريقيا واوغاندا وزيمبابويه وتانزانيا وذلك برعاية مجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية.

اتساع ظاهرة اعتناق الاسلام في المانيا

برلين / اف ب: ارتفعت حالات اعتناق الدين الاسلامي في المانيا بشكل كبير في السنوات الاخيرة الماضية مع اعتناق اكثر من الف شخص هذا الدين عام ٢٠٠٥ شكلوا رقماً لا سابق له حتى آنذاك كما افادت المؤسسة المركزية لمحفوظات الاسلام في المانيا ومقرها سويسست (غرب).

ومن بين نحو ٣/٤ ملايين مسلم في المانيا يوجد ١٥ الف الماني الاصل تحولوا عامة

مشتركة للتعاون في حقل التراث الثقافي.

ووقع هذه المذكرة عن الجانب الايراني رئيس مركز الدراسات والابحاث في مؤسسة التراث الثقافي طه هاشمي وعن الجانب الصيني رئيس مؤسسة التراث الثقافي الصيني شان جي يانغ.

ووفق هذه المذكرة التي وقعها الجانبان فان ايران والصين ستبديان التعاون وتبادلان التجارب والوفود في حقل الآثار وصيانتها والحفاظ عليها.

واكد طه هاشمي في تصريح ادلى به خلال اجتماع برئيس مؤسسة التراث الثقافي الصيني على ضرورة ابداء خبراء وعلماء الآثار لدى الجانبين التعاون فيما بينهما.

واشار رئيس مركز الدراسات والابحاث في مؤسسة التراث الثقافي والصناعات اليدوية والسياحة الى الخطوات التي قامت به ايران في مجال دراسة الآثار تحت سطح الماء واعرب عن استعداد ايران في ذات الوقت للتعاون مع الصين في هذا المجال.

وقال: ان الخبراء في كلا البلدين بهذا الحقل يستطيعون تأسيس فرقة عمل حيال التخطيط والبرمجة للتعاون فيما بينهما.

واعرب هاشمي رفسنجاني عن استعداد خبراء الآثار الايرانيين للتعاون العلمي مع نظرائهم الصينيين.

واضاف: ان ايران والصين يمتلكان تاريخاً وحضارة عريقة والحفاظ على الآثار التاريخية والتراث الثقافي يعتبر من الهواجس المشتركة في كلا البلدين.

واعتبر طاقات التعاون في مجال التراث الثقافي بين ايران والصين كبيرة للغاية معرباً عن تفاؤله في ذات الوقت بان التوقيع على هذه المذكرة سيفتح مرحلة جديدة من التعاون بين البلدين في حقل التراث الثقافي.

وخلال هذا اللقاء تبادل الجانبان وجهات النظر حيال ضرورة تبادل الوفود في مجال علم الآثار وصيانتها والحفاظ عليها ونقل التجارب والأبحاث حيال طريق الحرير وتأسيس مركز دراسات مشتركة بهدف البحث في احياء طريق الحرير التاريخي مرة اخرى.

من جانبه اعرب رئيس مؤسسة التراث الثقافي الصيني شان جي يانغ خلال هذا اللقاء عن ارتياحه لزيارة الوفد الايراني الى بلاده وعبر عن امله بأن يؤدي التوقيع على مذكرة التفاهم بين البلدين الى زيادة الاتصالات بينهما.

واعتبر التعاون بين ايران والصين في مختلف المجالات يكتسب وتيرة متصاعدة وقال: ان التوقيع على هذه المذكرة سيفتح آفاقاً جديدة من التعاون بين البلدين.

الباحث عبد الرفيق حقيقت يقوم بتأليف موسوعة لشعراء اللغة الفارسية

قام الباحث عبد الرفيق حقيقت بتأليف موسوعة لشعراء اللغة الفارسية؛ وذكرت وكالة «ايسنا» للانباء ان هذا البحث سيطبع في مجلدين، وسيتناول «حسب قول حقيقت» تاريخ الادب الايراني منذ بداياته الى اليوم ويتضمن السيرة الذاتية للشعراء الذين ورد ذكرهم في كتاب «نكين سخن = فص الكلام» المكون من ١٢ مجلداً والذي يضم اكثر الاعمال الادبية بلاغة منذ زمن الـ «رودكي» حتى اليوم.

كما صدر حديثاً كتاب آخر باللغة الفارسية من تأليف عبد الرفيق حقيقت تحت عنوان «حكومت ديني ساسانيان = دولة الساسانيين الدينية» يصور الكاتب من خلاله الدولة الدينية للساسانيين. ويقول الكاتب انه يبرهن من خلال هذا الكتاب ولأول مرة على ان رجال الدين الزرادشتيين كانوا يمارسون الضغط على الناس بديكتاتوريتهم الدينية. وبعد ظهور الاسلام واعلان النبي الاكرم محمد «ص» المساواة بين الناس الذي قضى على تلك الديكتاتورية.

ومن الكتب الاخرى التي صدرت حديثاً لهذا المؤلف باللغة الفارسية المجلد الخامس من «تاريخ نهضت هاي ملي = تاريخ الانتفاضات الوطنية» والذي يتطرق الى الفترة الواقعة بين صراع الحركة الدستورية حتى سقوط الجبهة الوطنية، و«حكومت جهاني ايران تا آريوبرزن = حكومت ايران العالمية حتى زمن آريوبرزن» و«بانصد سال حكومت اشكانيان = خمسمائة عام من دولة الاشكانيين».

استطلاع: ربع يهود اسرائيل يرون ان الدولة العبرية لا مستقبل لها

افاد استطلاع للرأي نشرت نتائجه في شهر ايلول ٢٠٠٧ ان سرائلياً يهودياً من كل اربعة يشك في ان يكون للدولة العبرية مستقبل ولكن غالبية ساحقة ترى ان شروط العيش فيها جيدة بالرغم من المشاكل الامنية.

ويرى ٢٥ بالمائة من الاشخاص «انهم غير اكيدين بأن دولة اسرائيل ستبقى موجودة على المدى البعيد» في مقابل ٧٤ بالمائة يقولون عكس ذلك و ١ بالمائة لا رأي لهم.

ويعتبر ٥٧ بالمائة ان «العيش في اسرائيل اكثر اماناً بالنسبة الى يهودي من العيش في دولة غربية» مقابل ٣٩ بالمائة يرون عكس ذلك و ٤ بالمائة لا رأي لهم.

ويقول ٧٢ بالمائة من الاشخاص انهم غير راضين عن «الاضاع الامنية» في مقابل ٢٦ بالمائة يرون عكس ذلك.

إلا ان ٨٦ بالمائة من اليهود الاسرائيليين مرتاحون للعيش في اسرائيل في مقابل ١٤ بالمائة لا يؤيدون هذا الرأي و ١٦ بالمائة فكروا في الهجرة بجدية.

ونشرت صحيفة «يديعوت احرونوت» نتائج الاستطلاع الذي أجراه معهد دحاف المستقبل على عينة تمثيلية من السكان اليهود معه هامش خطأ يقدر بـ ٤/٥ بالمائة.

٥ بالمائة من طلبة الجامعات النمساوية تجاوزوا الأربعين

أفادت بيانات حكومية بأن نسبة ٥ بالمائة تقريباً من طلبة جميع الجامعات النمساوية تجاوزوا الأربعين من العمر. وقال وزير التعليم النمساوي يوهانس هان إن أكثر من ١١ ألفاً من الطلبة والطلبات الذي تتجاوز أعمارهم ٤٠ عاماً «من النساء» و ٤٥ عاماً «من الرجال» مسجلين في الجامعات النمساوية. بيد أن الوزير لم يذكر ما إذا كان الأمر يتعلق بطلبة سجلوا أنفسهم وهم في مرحلة عمرية متقدمة أم أنهم طلبة دائمون وهم الذين يمكنون في الجامعة لسنوات طويلة مع إهمال دراستهم تماماً.

اقامة محفل قرآني بحضور سماحته

قائد الثورة يؤكد على ضرورة الاستئناس بالقرآن الكريم دائماً

كان قد رعى قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي في مستهل شهر رمضان المنصرم محفل ضيافة النور والاستئناس بالقرآن الكريم حضره كبار القراء والاساتذة وحفظة القرآن الكريم وذلك في حسينية الامام الخميني «ره» في طهران.

وفي هذا المحفل النوراني الذي استمر لأكثر من ثلاث ساعات قامت مجموعات التلاوة والابتهاال بتلاوة جماعية لآيات من القرآن الكريم.

والقى سماحة القائد كلمة في هذا المحفل النوراني اثنى فيها على الاهتمام المتزايد لتلاوة القرآن الكريم في البلاد مشيداً بقراء القرآن منوهاً بالقول: ان القارئ الجيد والمخضرم للقرآن شخص كريم وقيم ولكن هذا الامر يجب ان يكون مقدمة لحاكمية المناخ الثقافي للقرآن الكريم في اذهان افراد المجتمع.

واعتبر القائد ان التدبر والتأمل في القرآن وفهمه واعتبار الانسان نفسه بأنه مخاطب من قبل الكلام الالهي من واجب كافة ابناء المجتمع مصرحاً بالقول: ان القرآن هو الذخيرة المعنوية الاخيرة للبشر انزله الله عبر الوحي بواسطة أئمة من انسان على الارض ولذلك فإنه يقدم للبشرية سبل السعادة والفلاح للبشرية ابد الأبدين ومن خلال التدبر والتأمل في آيات القرآن الكريم بإمكاننا معرفة هذه الطرق.

واشار سماحته الى ضرورة فهم معاني آيات القرآن الكريم متابعاً القول: رغم ان الدقة والبلاغة التي تنوطي عليها الآيات القرآنية لا يمكن استيعابها إلا من قبل اهل الخبرة إلا أنه ونظراً لتداول بعض الكلمات العربية في اللغة الفارسية ووجود تراجم مناسبة بإمكاننا درك معاني ومواعظ آيات القرآن الكريم والتأمل فيها.

واعتبر القائد ان من مسؤوليات القارئ الاستفادة من صوته الحسن ولحنه الجميل بغية تجسيد المفاهيم السامية للقرآن الكريم في ذهن المخاطب والمستمع، مضيفاً القول: على القارئ أن يتلو القرآن بشكل وكأنه ينزل مفاهيم القرآن على قلب وفؤاد المخاطب

والمستمع وفي هذه الحالة سيكون هدف القارئ هو التأثير وليس المديح. وشدد آية الله الخامنئي على ضرورة استمرار ومواصلة الجلسات القرآنية بعد شهر رمضان المبارك قائلاً: انه يجب الاستئناس دائماً بالقرآن الكريم وان نتلو القرآن كل يوم بشكل يمهد الارضية امامنا لاستقبال رسالات الباري تعالى عبر أء من اللسنة والقلوب. واعتبر سماحته حفظ القرآن بأنه نعمة الهية كبرى ونصح الشبان والاحداث بحفظ آيات وسور القرآن الكريم قائلاً: ان حفظ القرآن الكريم يعد ذخراً ورصيداً يمهد للمزيد من التدبر في آيات الوحي الالهي. وفي ختام هذا المحفل القرآني المنير أقيمت صلاتا المغرب والعشاء بامامة قائد الثورة الاسلامية الذي استضاف الحضور على مائدة الافطار.

رئيس الجمهورية يوافق على طلب خبير اميركي بالايروانيات لدفنه في ايران

طهران / ارنا: وافق رئيس الجمهورية السيد محمود احمدي نجاد على الطلب الذي تقدم فيه الخبير الاميركي المعروف بالايروانيات ريتشارد فراي بأن يدفن بالقرب من نهر «زاينده رود» في مدينة اصفهان بعد موته. وامر الرئيس احمدي نجاد فور رؤيته لطلب البروفيسور الاميركي، وزير الداخلية بتوفير المقدمات الضرورية لتنفيذ هذا الطلب. واعتبر الرئيس احمدي نجاد في امره لوزارة الداخلية هذا الطلب انه يوضح مدى ايمان الشعبين بالعدل والتوحيد والقيم الانسانية والالهية القائمة على الفطرة وازاف، انني على ثقة انه ليس الوحيد الذي يشعر بهذا الاحساس الطاهر تجاه ايران.

كاتبة ومحامية لبنانية:

يوم القدس العالمي، اكبر وأهم تركة للامام الخميني «رض» بعد تأسيسه للجمهورية الاسلامية

صرحت الكاتبة والمحامية اللبنانية مي صبحي الخنساء في مقابلة لها مع وكالة قدسنا: ان يوم القدس العالمي يعتبر اكبر وأهم تركة للامام الخميني «رض» بعد تأسيسه للجمهورية الاسلامية، فيوم القدس هذا ادى الى يقظة المسلمين ووقوفهم الى جانب اشقائهم في ارض فلسطين واستعدادهم لتحرير القبلية الاولى وبالتالي اتجاه ابناء فلسطين نحو النضال المشرف من اجل تحرير ارضهم المغتصبة.

وأضافت المحامية اللبنانية في حديثها لوكالة قدسنا: لقد أضفى الامام الخميني «رض» روحاً جديدة الى القضية الفلسطينية بإعلانه يوم القدس العالمي وهو الذي لم يكن يتوقع مرده لا العدو ولا الصديق انما كانت هذه صيحة معبرة من قبل الامام الكبير لكي يعبر عن مدى المم والم المسلمين من جراء احتلال بيت الله المسجد الاقصى: «الذي باركنا حوله...»

وأردفت بالقول: لم يكن بالامكان جمع المسلمين وتوحيد كلمتهم وصفهم إلا بما قام به الامام الراحل لان اعلان يوم القدس العالمي كان السبيل الوحيد والامثل لجمع كلمة المسلمين في ارجاء الارض وحتى غير المسلمين لتعريفهم على ما يعاينيه الشعب الفلسطيني من ظلم وجور على يد المحتلين الطغاة وأعوانهم من القوى الكبرى المدعية للديمقراطية والحرية وحقوق الانسان وهي التي تدنسها كلها وتدعم قوات الاحتلال بكافة السبل من اجل تركيع الشعب الفلسطيني وباقي الشعوب وللأسف. إلا ان الشعوب اثبتت انها لا تلتين امام الظلم والطغيان والعدوان ومهما طال الزمن فإن الصبح لقريب.

وأضافت السيدة مي الخنساء: يبدو ان الحكومات العربية والاسلامية تحاول ان تتناسا فلسطين والقدس إلا ان الشعوب لا تنسى ولا يمكن ان تنسى مهما طال الزمن وكثر الضغط. المسلمون لا يمكن ان ينسوا قدسهم الحبيبة التي كانت القبلية الاولى

وما زالت القبلية الثانية مهما طال الزمن وعبت المعتدون.

ومن ناحية أخرى صرحت الكاتبة الفلسطينية نجوى شمعون في مقابلة لها مع وكالة قدسنا: ان اعلان يوم القدس من قبل مؤسس الجمهورية الاسلامية الايرانية كان بهدف توحيد المسلمين وكانت القدس السبيل لهذا الهدف، ويمكننا القول من ان الامام الخميني وضع اللبنة الاولى لوحدة المسلمين بإعلانه يوم القدس في اغسطس عام ١٩٧٩، فقد كان همه تحرير المدينة المقدسة كما حرر ايران من نير الاحتلال والاستعمار الامريكي. وكما استغرق تحرير ايران من النظام الملكي البائد ما يقارب العقدين فإن تحرير القدس سيتحقق وان مضت عليها عقود من الزمن فما يقرره الامام الخميني «رض»، يكتب في السماوات العلى وهو الذي توقع ايضاً سقوط الاتحاد السوفياتي بينما لم يكن أحد يصدق ذلك آنذاك، مثلما كان احد لا يصدق انتصار الثورة الاسلامية في ايران على النظام الذي كان يدعمه الامريكان.

وأضافت الكاتبة الفلسطينية نجوى شمعون في حديثها مع قدسنا: لقد طرح الامام الخميني «رض» موضوعاً لم يكن يصدقه احد آنذاك إلا ان الاحداث التي توالى بعد ذلك اثبتت ان هذا الرجل العظيم كان يرى المستقبل واحداثه، ومثل هذه المزية لا يمكن ان يتصف بها إلا الأولياء الصالحين والاقربين الى الله. فمنذ ان نزل المحتلون ارض فلسطين واحتلوا القدس الشريف لم يتجرأ أحد من الزعماء ليدعوا الى تحرير هذه المدينة المقدسة الى أن قالها الزعيم الايراني وبعد ذلك تجرأ الآخرون. ولذلك على التاريخ وعلمنا ان ندون يوم القدس العالمي بأسم الامام الخميني «رض» فهو الذي احيا القدس وها نحن نرى الصرخة المدوية كل عام تأتي من حناجر الملايين في ارجاء العالم تدعو لتحرير القدس والالتزام بما أعلنه هذا الرجل العظيم. الرجال المقربون في السموات العلى مميزون بتصرفاتهم ومنهم الامام الخميني «رض» الذي أثبت في حياته وتصرفاته انه مقرب الى السماء واعلانه ليوم القدس يعتبر من الدعوات التي تنصرها السماوات لأنها سماوية وصدرت من رجل سماوي.

اقامة ندوة لتخليد الشاعر الايراني الكبير رودكي

اقيمت في اكااديمية العلوم في العاصمة الطاجيكية دوشنبه مؤخراً ندوة لتخليد ذكرى ابو الشعر الفارسي عبد الله رودكي شارك فيها عدد من الباحثين والادباء الايرانيين والافغان والطاجيكيين.

واقامت هذه الندوة بالتعاون مع الملحقة الثقافية في السفارة الايرانية ومؤسسة رودكي الدولية في طاجيكستان وذكرت وكالة ارنال للاباء ان «هلالوف» رئيس اكااديمية العلوم في طاجيكستان القى كلمة في الندوة اعتبر فيها رودكي من ابرز الشعراء الفارسيين وقال: ابو عبد الله رودكي كان على مدى التاريخ واحداً من اعظم الشخصيات الادبية الفارسية وسيظل كذلك. من جهته اشار «قهرمان سليمان» الملحق الثقافي الايراني في طاجيكستان الى شخصية رودكي العلمية والادبية العظيمة قائلاً: ان رودكي من الشعراء الكبار وقد كان لشعره حضور بارز في مجالي اللفظ والمعنى.

واضاف سليمان قائلاً: ان بقاء شعر وادب رودكي في اذهان الناس امر ملفت، وان الشاعر لن يكون ناجحاً ولن يكتب له الخلود ما لم تبقى اشعاره في اذهان الناس.

واشار سليمان الى رأي الشعراء والادباء على مدى القرون الماضية في رودكي واضاف: لقد نظم كل من الشعراء «ناصر خسرو» و«سنائي» و«حافظ» وعدد كبير من شعراء سمرقند وبخارى اشعاراً في وصف رودكي.

اما «علي محمد علي خراساني» وهو من كتاب وادباء طاجيكستان فقد قدم في الندوة بحثاً تحت عنوان «بحث حول شعر رودكي» قال فيه: ان اول كتاب من شعر رودكي طبع عام ١٩٣٨ أي قبل حوالي ٨٠ عاماً من قبل صدر الدين عيني.

كما قدم الباحث والاديب الايراني «مهدي سيدي محقق» مقالة اشار فيها الى الاوضاع الثقافية والعلمية والسياسية في منطقة «بنج كنت» «وهي مسقط رأس رودكي» في زمنه والزمن الذي تلاه وقال: ان كثيراً من الحكام بعد العهد الساساني في ايران كانوا من المنطقة التي ولد فيها رودكي ومن عائلة «مكاليان». هذا وتحدث في الندوة أيضاً كل من «شادي شاكرزادة» و«ميرزا ملا احمد» من طاجيكستان و«محمد جعفر ياحقي» من

ايران عن خصائص شعر رودكي و«موسوعة رودكي واهميتها في تعليم احوال وآثار رودكي» و«مكانة ودور فردوسي ورودكي في الادب الفارسي».

مسؤول ثقافي مصري: ادراج مخطوطات فارسية في دار الكتب المصرية ضمن برنامج (ذاكرة العالم) لليونسكو

طهران / وكالة مهر: وافقت اللجنة الاستشارية الدولية لبرنامج «ذاكرة العالم» التابع لمنظمة اليونسكو على ادراج مخطوطة «الشاهنامه» ومجموعة المخطوطات الفارسية التي تملكها دار الكتب المصرية ضمن ذاكرة العالم.

وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية ان رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية محمد صابر عرب قال اليوم ان «هذا القرار يعتبر مهماً جداً اذ تملك الدار ١١٠٢ مجلد للمخطوطات الفارسية تتضمن ٢٢٠٨ عناوين وتتناول معارف انسانية مختلفة».

واشار الى ان «من اهم المخطوطات الفارسية التي تملكها دار الكتب المصرية الشاهنامه التي تعتبر اهم ملحمة ادبية فارسية عن الحياة في بلاد فارس منذ بدء الخليقة حتى دخول الاسلام اليها، واستغرق نظمها شعراً اكثر من ثلاثين عاماً».

كما تضم المجموعة مخطوطة «بوستان سعدي» المنسوخة عام ٨٣٩ للهجرة (نحو ١٣٠٠ للميلاد) ومخطوط «في علم التشريح» لابراهيم عثمان الهمداني، الى جانب مخطوطات اخرى في الادب والتفسير واللغة والطب والفلك والفلسفة والتاريخ.

وتملك دار الكتب المصرية اكثر من ١٠٠ ألف مخطوطة باللغات العربية والتركية والفارسية وغيرها، الى جانب اكثر من اربعة آلاف بردية تعود الى بدايات العصر الاسلامي وبعض برديات الجنيزة التي تعود الى العصر نفسه لكنها خاصة بالجلالية اليهودية التي عاشت في مصر تحت الحكم الاسلامي.

وانشئ سجل ذاكرة العالم عام ١٩٩٧، ويهدف البرنامج الى حفظ التراث الوثائقي

الذي شكل ذاكرة للعالم ويعكس تنوع اللغات والشعوب والثقافات.

الجزائر تخطط لإقامة ثالث أكبر جامع في العالم

تعتزم الجزائر انشاء ثالث اكبر جامع في العالم بعد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، يمكن ان يتسع لـ ١٢٠ ألف مصلى وترتفع مآذنته ٣٠٠ متر، بحسب مستثمرين في المشروع. وقال مهندسون معماريون محليون انه سيتم الكشف في الايام القريبة القادمة عن مجسم هذا المشروع والضخم وطرازه المعماري. وسيقام الجامع الضخم قبالة خليج الجزائر العاصمة. ولم يتم الكشف رسمياً عن تكلفة المشروع غير ان هؤلاء المهندسين اشاروا الى انها تبلغ نحو ثلاثة مليارات دولار.

واعاد الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة قبل بضعة اشهر اطلاق هذا المشروع الذي ظل يراوح مكانه منذ ٢٠ عاماً.

وسيكون عليه اختيار الفائز من بين خمسة مرشحين احتفظ بهم في اطار مسابقة إعداد تصميم المسجد شارك فيها ٧١ مكتباً للدراسات الهندسية من ١١ جنسية.

وقال ابو عبد الله غلام الله وزير الشؤون الدينية والاقواف الجزائري لدى عرضه المشروع على الصحفيين «ان الجزائر ينقصها مسجد كبير يرمز الى فترة ما بعد الاستقلال. وهذا الانجاز سيكون بمستوى طموحات الشعب الجزائري. كما ان موقعه يحمل دلالة اذ ان العاصمة وخليجها كانا شاهدين على مقاومة الشعب الجزائري على مدى قرون».

وتوجد في الجزائر العاصمة ثلاثة جوامع كبيرة «تاريخية» وهي الجامع الجديد الذي بني في ١٦٦٠ والجامع الكبير الذي يعود الى القرن الحادي عشر وجامع كتشاوة الذي يعود الى ١٧٩٤ في العهد العثماني وكان جرى تحويله الى كنيسة في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر «١٨٣٠ - ١٩٦٢» قبل ان يعود مجدداً اثر الاستقلال، الى جامع.

ويحسب كراس الشروط فإن الجامع الجديد سيقام على مساحة ٢٠ هكتاراً في محور خليج العاصمة الجزائرية. وستكون له قاعة صلاة يمكنها استيعاب ٤٠ ألف مصلٍ وساحة يمكنها استيعاب ٨٠ ألف مصلٍ. وسيكون هذا الجامع ثالث اكبر جامع في العالم بعد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة.

وسترتفع مآذنته ببضعة سنتيمترات عن مسجد الملك الحسن الثاني في الدار البيضاء بالمغرب. وسيؤوي الجامع الجديد مكتبة ومعهداً عالياً للدراسات الاسلامية ومتحفاً للفنون والتاريخ.

وسيكون جامع الجزائر نواة مجمع ثقافي يضم داراً لحفظ وتدريس القرآن ومركزاً ثقافياً ومركزاً متعدد الخدمات ومركزاً صحياً وفندقاً ومطاعم وموقف سيارات وعمارة سكنية واخرى ادارية ومساحات خضراء.

قرطبة تستضيف مؤتمراً حول التعصب ضد المسلمين

استضافت مدينة قرطبة الاسبانية يومي التاسع والعاشر من تشرين اول اكتوبر الماضي مؤتمراً تنظمه أمانة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي حول التعصب والتمييز تجاه المسلمين، والذي سيشتمل على ٥٦ دولة.

ركز المؤتمر على مناقشة جذور التمييز ضد معتنقي الديانة الاسلامية وعواقبه بالاضافة الى دور وسائل الاعلام والتعليم لمكافحة التعصب.

وتولى وزير الخارجية الاسباني ميغيل أنخل موراتينوس بصفته رئيس الدورة الحالية لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي رئاسة أعمال المنتدى في مقر البرلمان بالمدينة الأندلسية.

وكانت منظمة الأمن والتعاون الأوروبي قد عقدت في قرطبة عام ٢٠٠٥ مؤتمراً لمناهضة معاداة السامية وكافة أشكال الاضطهاد كما نظمت عدة اجتماعات لطرح هذه القضية آخرها مؤتمر عقد في بوخارست في شهر حزيران / يونيو / ٢٠٠٧.

إقامة منتدى «السلام وحقوق الانسان» في طهران

انعقد منتدى السلام وحقوق الانسان في مقر الهلال الاحمر الايراني في طهران وذلك بمناسبة تكريم اليوم العالمي للسلام.

وقد سمي يوم ٢١ ايلول / سبتمبر من هذا العام باليوم الدولي للسلام.

وصرح رئيس الهلال الاحمر الايراني ورئيس اللجنة الوطنية لحقوق الانسان مسعود خاتمي خلال هذا المنتدى ان اكثر من مائة الف شخص يعملون في ظل الامم المتحدة حول السلام مما يؤكد ان الجميع متعطشون للسلام ويشعرون بالانزعاج من عدم توفره. واكد مسعود خاتمي على تحديد تعريف دقيق للسلام في العالم وقال: ان جرائم كثيرة للغاية ترتكبها القوى الكبرى بحجة السلام في العالم وعلى هذا الاساس ينبغي العثور على آليات من اجل احلال السلام.

وتابع: الاسلام الحنيف اكثر الاديان تأكيداً على الاهتمام بحقوق الانسان ومن هذا المنطلق ينبغي العثور على آليات من اجل احلال السلام عبر المبادئ والقيم الاسلامية نفسها.

ومن جانبه اكد وزير الخارجية منوچهر متكي في رسالة بعثها الى ملتقى السلام وحقوق الانسان ان ترسيخ السلام ورعاية وتطبيق حقوق الانسان مدرجان على جدول اعمال الدبلوماسية الايرانية.

وقرأ الرسالة السكرتير الثاني لدائرة الشؤون السياسية في وزارة الخارجية الايرانية خداداد سيفي في مراسم افتتاح ملتقى السلام وحقوق الانسان.

واضافت الرسالة: ان الجمهورية الاسلامية الايرانية وبلاستلها من تعاليم الاسلام واطلاعها على دور السلام في المحافظة على كرامة الانسان، سعت دوماً الى وضع ترسيخ السلام ورعاية وتطبيق حقوق الانسان على جدول اعمالها الدبلوماسية، وكان دوماً موضع اهتمام سياسة ايران الخارجية.

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

خلفت امرأة يمنية في العقد الثامن من عمرها لابني عمها الوريثان الشرعيان ثروة طائلة قدرت بمئات الملايين من الريالات بسبب حرصها وبخلها الشديدين. وفضلت المرأة التي كانت تقطن في مديرية خلقة التابعة لمحافظة صنعاء جمع تلك الثروة التي تنوعت بين آلاف القطع الذهبية، ومبالغ مالية طائلة، وأرض زراعية خصبة إضافة إلى بعض المنازل. وقال احد الورثة لوكالة يونايتد برس انترناشونال وهو في حالة انشراح واضحة كانت تدعي الفقر رغم معرفتنا بأنها تمتلك ثروة.

واضاف ومع ذلك فإني ورثت وأخي ١٢٠٠ قطعة ذهبية «بما يعادل ٤٠ مليون ريال يمني» وثلاثة آلاف ريال من عملة ماريا تيرزا الفضية النمساوية التي كانت متداولة قبل قيام الثورة اليمنية «أي ما يعادل ٤ ملايين» وثلاثة ملايين ريال «فئة عشرين ريال» وثلاثمائة ألف ريال «فئة مائة ريال» وبيتاً جديداً مسلحاً يصل قيمته نحو ٦٠ مليون وعدداً من الحلي والمجوهرات التي صاغها قدماء اليهود. وأضاف شملت التركة العديد من الأراضي في عدد من المدن اليمنية، منها عشرات قطع في مديريتها خلقة، وعشرين قطعة في مدينة أخرى ترتفع أسعار الأراضي فيها لأنها على تقاطع ثلاث محافظات يمنية، وخمسة عشر قطعة في مديرية حبابة محافظة عمران شمال العاصمة صنعاء وعشر قطع في بيت عيسى التابعة لمحافظة المحويت شمال غرب اليمن. وتابع ان قريبته كانت تعيش حالة من الضنك في حياتها، ولم تكن تمتع نفسها أبداً وقضت أغلب حياتها في أروقة المحاكم.

مطران لبناني: المسيحيون يفخرون باعلان الامام الخميني يوماً للقدس

بيروت / ارنا: اعلن مطران بعلبك وتوابعها في شرق لبنان للروم الارثوذكس الياس رحال ان المسيحيين عموماً والفلسطينيين منهم خصوصاً يفتخرون ويعتزون كأخوانهم المسلمين باعلان الامام الخميني يوماً عالمياً للقدس واحيائه في آخر يوم جمعة من شهر

رمضان المبارك.

وقال المطران رحال في حديث لوكالة الجمهورية الاسلامية للانباء: «عندما اطلق الامام الخميني هذه الدعوة كنت اخدم في الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين ويومها ابديت افتخاري واعلنت اعتزازي بهذه الدعوة التي جعلتني اشعر باهمية القدس عند المؤمنين المسلمين».

اضاف: «لا نريد ان تبقى القدس مدنسة باقدام الصهاينة المحتلين لأرضنا المقدسة ستبقى القدس وفلسطين عربية لنا، ولن نرضى عنها بديلاً، ونحن نقف مع كل الدعوات الهادفة الى تحرير القدس وفلسطين من رجس الاحتلال الصهيوني.

وقال المطران رحال: «نحن مع دعوة الامام الخميني لاهياء مراسم يوم القدس العالمي ومعه في كل خطوة اتخذها من اجل تحرير القدس وفلسطين».

وحول دعوة الرئيس الاميركي لعقد «مؤتمر دولي للسلام» قال المطران رحال: «ان هذه الدعوة هي دعوة واهية ولا اساس لها عند المؤمنين لانها لا تبني اصلاً على الحق وانما على الظلم والاستبداد والاحتلال والتسلط، فكل مؤتمر او اجتماع لا يعقد على الحق ومن ضمنه الحق الفلسطيني لن يكتب له النجاح، وهو مؤتمر واه».

وتوجه الى الفلسطينيين قائلاً: «يا احبائي في فلسطين الحبيبة التي عشت فيها سنوات بينكم وافتخرت معكم بالانتفاضة الاولى التي انطلقت بوجه الاحتلال ادعوكم اليوم في هذه المناسبة الكريمة وفي شهر رمضان المبارك لتعودوا الى المحبة والوحدة فبالوحدة وبمحبة بعضكم البعض نحرر القدس وكل فلسطين من رجس الاحتلال. لا تفوتوا هذه الفرصة لان العالم ينظر اليكم ويخاف ان تضيعوا تضحياتكم التي قدمتموها على طريق تحرير القدس».

العرب سبقوا شامبليون بفك طلاسم الهيروغليفية

قال الدكتور عكاشة الدالي الخبير بمتحف بتري في العاصمة البريطانية لندن، ان الانجازات العلمية التي قام بها العلماء في العالمين العربي والإسلامي في العصور الوسطى

تعد الأساس الذي شيدت عليه أعمدة الحضارة الأوروبية والعالم الغربي وخاصة في مجالات الطب والهندسة والرياضيات والكيمياء والفلك كما هو معروف للجميع.

وأشار في ندوة عقدت بكلية الآثار المصرية لتكريم الدكتور عبد الحليم نور الدين أستاذ الآثار والأمين العام السابق للمجلس الأعلى للآثار المصرية الى أن هناك مجاًلاً آخر نبغ فيه العلماء العرب وهو كشفهم أسرار اللغة الهيروغليفية قبل أن يتوصل اليها العالم الفرنسي شامبليون، وقد تم ذلك على يد عالم عراقي بارز من أهل القرن العاشر الميلادي هو ابن وحشية صاحب الكتاب المعروف «الفلاحة النبطية وله مؤلفات أخرى في الكيمياء ولابن وحشية كتاب من أهم الكتب العربية في دراسة اللغات القديمة سماه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام وكان المستشرق التمسائي المعروف يوسف همر قد نشر النص العربي مع ترجمة انجليزية لهذا الكتاب إدراكاً منه لأهميته القصوى في مجال دراسة الكتاب الهيروغليفية.

وأضاف أنه تم طبع الكتاب في لندن سنة ١٨٠٦ أي قبل أن يتوصل العالم الفرنسي شامبليون الى حل لغز الكتابة المصرية القديمة عن طريق فك رموز حجر رشيد بـ ١٦ سنة ويشير ابن وحشية في كتابه هذا الى مرجع مهم هو كتاب «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» للعالم المشهور جابر بن حيان وهو أيضاً ممن زاروا مصر للاطلاع وهذا جانب مهم يلقي الضوء ولأول مرة على نبوغ العلماء العرب والمسلمين في مجال دراسة العلوم الخاصة بالحضارات القديمة، قلما أشار اليه الباحثون.

وفي بحث للدكتور يحيى مير علم يؤكد فيه على ريادة ابن وحشية النبطي في كشف بعض رموز اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية قبل المستشرق الفرنسي شامبليون بأكثر من ألف عام، وذلك من خلال إيراد ترجمة موثقة له، ولشخصيته العلمية، ولآثاره التي خلفها على كثرتها وتنوعها وفقدان كثير منها، وكذلك من خلال عقد دراسة موجزة لكتابه «شوق المُستهام في معرفة رموز الأقلام» الذي تضمّن نحواً من تسعين قلماً من أقلام اللغات القديمة وأقلام التعمية التي رمز بها الأقدمون بعض علومهم.

كان شامبليون من العلماء الشبان، الذين عشقوا الحضارة الفرعونية، منذ نعومة

أظافهم، والذين جذبهم بشدة «حجر رشيد»، وكل ما يمكن أن يمنحه من كشوف هائلة، لذا فقد اتخذ قراراً جريئاً، بأن يتفرغ تماماً لمهمة فحصه، وترجمته، وكشف أسرار اللغة الهيروغليفية.

ولقد بدأ شامبليون مهمته، وهو في الحادية والعشرين من عمره، وتفرغ لها تماماً، وعلى خلاف الآخرين، لاحظ شامبليون أن عدد أسماء الملوك، في النصين اليوناني والديموطيقي، يتطابق تماماً مع عدد الخراطيش، في النص الهيروغليفية، لذا فقد استنتج من هذا أن الخراطيش تحوي داخلها أسماء الملوك.

ومن هنا، انطلق وبحسبة بسيطة، حدّد أسماء الملوك، في النص الهيروغليفية، وترجمها، وسجل حروفها، وانطلق منها الى باقي النص.

وبعد أحد عشر عاماً، وفي عام ١٩١٦ م، توصل شامبليون الى حل رموز اللغة الهيروغليفية.

وفي ليلة وضحاها، أصبح «شامبليون» أعظم علماء عصره، وهو بعد في الثانية والثلاثين من عمره، وأحاطت به الشهرة من كل جانب، وتحول الى أشهر خبير في لغة الفراعنة.

فقد انبهاره بالمستشرقين في آخر حياته

الاحتفال بمرور ١٢٠ عاماً على مولد المفكر الراحل أحمد أمين

لا يحتاج المفكر الكبير الراحل أحمد أمين الى مقدمة طويلة تحكي عن اعماله الفكرية والاسلامية الخالدة فهو واحد من أربعة مفكرين وأدباء كبار ملأوا الحياة الثقافية المصرية والعربية فكراً وابداعاً طوال قرن كامل وبدون مبالغة فقد كان طه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم واحمد أمين رباعي مصري فارق في تاريخ الحياة الثقافية العربية. استطاع احمد امين طوال ٧٠ عاماً أن يثري الحياة الثقافية العربية بمجموعة من ابرز المؤلفات الفكرية والاسلامية منها فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام ويوم الاسلام والشرق والغرب وزعماء الاصلاح في العصر الحديث وعشرات غيرها من

المؤلفات القيمة.

من هنا نظمت مكتبة القاهرة ندوة ثقافية مهمة عن العلامة احمد أمين بمناسبة مرور ١٢٠ عاماً على مولده تحدث فيه ابنه المفكر الدكتور جلال أمين الذي أكد ان احمد امين يعد واحداً من الكتاب القلائل الذين يزداد الاهتمام بهم مع مرور الوقت والسبب وراء ذلك ان مساهماته الفكرية ابان عصره لم تكن كالضوء المبهر الذي يخطف الانتظار ولكن مثل المصباح الذي ينير بدرجة أضيق ولكن بشكل مستمر وأرجع د. جلال أمين سبب تميز والده احمد امين الى عدة اسباب في مقدمتها.

أسلوبه البسيط الواضح الذي كان يختلف جملة وتفصيلاً عن اسلوبي العقاد وطه حسين حرصه دوماً على عدم الاطالة والزيادة والتكرار فقد كان اختياره للاولويات دائماً سليماً وهذا سر بقاءه رئيساً للجنة التأليف والنشر والترجمة طوال ٤٠ عاماً رغم ان الحكيم وطه حسين كانا من بين اعضائها.

تميز أسلوبه الفكري بعرض موضوعه برؤية قاضي فهو لا يسرع بالتحمس لجانب دون الآخر ففي الثلاثينات من القرن العشرين دعي لحضور الفية ابن سينا في العراق وهناك أخذه العراقيون لزيارة مدينة النجف المشهورة فقام منظم الحفل ليقدمه فقال للحضور هذا هو الاستاذ أحمد امين صاحب فجر الاسلام وضحي الاسلام.

فعندما كتب عن الشيعة والسنة لم يحاول ان يحابي طرفاً على آخر ولكنه عرض لمختلف وجهات النظر من جانب السنة والشيعة في الحياة العقلية في الاسلام.

واشار د. جلال امين في الندوة التي شهدت حضوراً مكثفاً من جانب العديد من الباحثين والمثقفين الى ان عباس العقاد كتب يوم وفاته في اوائل الخمسينات ان احمد أمين يعتبر رائداً للمدرسة الوسطى في تيار النهضة المصرية والعربية الحديثة فهو لم يناصر مدرسة التغريب التي تبناها د. طه حسين ولم يحابي المدرسة السلفية التراثية ولكنه وقف وسطاً بين الاثنين واعجب اشد الاعجاب بالمنهج العلمي البحثي في الغرب وكتبت من خلال مؤلفاته ووقف مبهوراً امام سنوات ازدهار الحضارة العربية والاسلامية يدعو العرب والمسلمين لتجديدها.

وأكد د. جلال أمين أنه مع تدهور مستوى دراسة التاريخ الاسلامي فإن كتب احمد امين تظل في المقدمة مطلباً للباحثين والقراء في كل مكان.

وتوقف الدكتور «جلال امين» امام موقف احمد امين من الجماعات الدينية المتشددة وبخاصة جماعة الاخوان المسلمين وتحديدأ امام الخطاب المفتوح الذي وجهه اليه الشيخ حسن البنا في مجلته الدعوة يطالبه فيها بالانضمام لجماعة الاخوان المسلمين فمكانه في الجماعة محفوظ فما كان من الاستاذ امين إلا ان رفض الدعوة مؤكداً أن الدور الحقيقي للجماعات الدينية لابد ان يقتصر على العمل الاجتماعي ونشر الاخلاقيات والروحانيات لكن عندما يدخل الدين في السياسة يفسد الامران معاً.

ومع بقاء احترامه للمنهج العلمي المطبق في الغرب إلا أن انبهاره بالمستشرقين كان قد بدأ يخفت كثيراً في اخريات حياته بعدما تأكد ان اغليبيتهم لا يكتبون بالحياد المتوقع، ورفض الدكتور «جلال امين» وصف ابيه بالمؤرخ الاسلامي قائلاً أنه كان اسلامياً بحكم الموضوع لانه كتب كثيراً في غير الاسلاميات والاصح وصفه بالمؤرخ الحضاري لانه كان مهموماً أكثر بالبحث في تاريخ الحياة العقلية في الاسلام مؤكداً أن اهتمامه بالتدقيق والرجوع الى كافة المراجع التي يمكن أن تطولها يده قد فاق كل تصور فقد كان قليل وقت الفراغ وكان طوال الوقت يقرأ ويكتب لكنه كان لا يحب ابدأ الكتابة بالليل حتى يستطيع ان ينام.

وقد توقف الدكتور «جلال امين» الذي حاصرته عشرات الأسئلة من جانب الحضور امام رأي والده «أحمد امين» في الحب قائلاً أنه كان يؤمن ان الحب لا يمكن اخفاؤه بأي طريقة وروى كيف تعلق والده بسيدة انجليزية جميلة كان يذهب اليها لتعلم اللغة الانجليزية فكتب كثيراً في يومياته واصفاً حالاته المختلفة في الحب.

ولكنه ومراعاة لشعور زوجته كان حريصاً على ان يكتب العبارات العاطفية المختلفة التي تعبر عن احساسه بالانجليزية وهي ما تعرض لها الدكتور جلال امين نفسه في كتابه الاخير «ماذا علمتني الحياة... سيرة ذاتية».

وأشار «جلال امين» الى ان فكرة اقامة الجامعة الشعبية ظلت تراود الاستاذ احمد

امين طوال حياته وحتى وفاته وتحدث فيها مراراً وتكراراً مع صديقه الدكتور السنهوري، فقد كان يؤمن بضرورة اقامة جامعات شعبية تضم مختلف انواع العلوم والانشطة تكون مهمتها استيعاب كل الهواة والكبار الذين يريدون العلم فقط دون الحصول على اية شهادة او وظيفة العلم بغرض المعرفة او اتقان حرفه.

كما كان مهموماً أيضاً وبحكم عضويته في مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد بضرورة تبسيط اللغة العربية وفك الاشتباك بين الفصحى والعامية فقد كان شديد الخوف على اللغة العربية ولعله اول من تنبأ بمجيء وقت لا يستطيع فيه العرب، كما هو حادث الآن من فهم واستيعاب اشعار المتنبي وابي العلاء.. علاوة على ان اللغة العربية هي لغة الدين ومن الضروري تبسيطها واخراجها من كهوفها القديمة.

وبسؤال الدكتور «جلال امين» عن عدم اعتماد وزارة التربية والتعليم لاي من مؤلفاته القيمة حتى يتم تدريسها اكد الدكتور جلال انه في وقت ما عندما كان التعليم المصري في حال احسن كثيراً من الحال الموجودة عليها الآن تقرر تدريس كتابه القيم «زعماء الاصلاح في العصر الحديث» على طلبة المدارس الثانوية لكن الامور الآن قد اختلفت تماماً مشدداً على ان دور احمد امين حتى في الحياة الاسرية كان قوياً للغاية فقد كان حريصاً على تعليم ابنائه في مدارس متميزة وغرس الثقافة وحب التعليم بداخلهم ولفت النظر الى ان اخاه حسين احمد امين قام بتأليف كتاب هام عن حياة والده بعنوان «في بيت احمد امين».

ابراهيم شعبان

٧٠ سنة على العمل «الأثري» البولندي في مصر

تقيم وزارة الثقافة المصرية والمجلس الأعلى للآثار بالتعاون مع المركز البولندي لآثار البحر المتوسط في جامعة وارسو، احتفالاً لمناسبة مرور ٧٠ سنة على بدء البعثات البولندية التنقيب عن الآثار في مصر وما قدمته للحفاظ على تراث مصر الحضاري والثقافي.

وتبدأ فعاليات هذا الاحتفال مساء الأحد في المتحف المصري، حيث يفتتح أمين عام المجلس الأعلى للآثار الدكتور زاهي حواس وسفير جمهورية بولندا في القاهرة بيوتر بيلينسكي معرضاً يضم ١٦٧ قطعة أثرية من مجموعة منتقاة من القطع الأثرية من عصور مختلفة، فرعونية، وقبطية وإسلامية، اكتشفتها البعثات الأثرية البولندية في مواقع مختلفة في مصر من أسوان وحتى الدلتا والاسكندرية والساحل الشمالي، هذا إلى جانب عدد من اللوحات المصورة التي تبين المواقع ومناطق الحفريات الأثرية التي خرجت منها تلك القطع.

ويعطي المعرض الذي يستمر لثلاثة أشهر صورة حول المراحل المختلفة من تطور الحضارة المصرية القديمة منذ عصر ما قبل الأسر وحتى العصور الإسلامية المتأخرة، كما أنه يجسد أيضاً الأبحاث والدراسات العلمية والحفريات الأثرية وأعمال الترميم التي قامت بها البعثات الأثرية البولندية في مصر منذ عام ١٩٣٧ برئاسة كاجيميج ميخاوفسكي في إدفو وحتى آخر الاكتشافات الحالية في تل الفرخة في الدقهلية.

وسيتم تخليد ذكرى العالم الأثري البولندي البروفسير كاجيميج ميخاوفسكي الذي قاد أول بعثة أثرية بولندية إلى مصر ثم أسس المركز البولندي لآثار البحر المتوسط عام ١٩٥٧، بوضع تمثال نصفي من البرونز له في ضريح مارييت الكائن في حديقة المتحف المصري.

مارسيل نصر

عرض فيلم وثائقي عن حياة ابن خلدون في تونس

عرض مؤخراً في العاصمة التونسية فيلم وثائقي عن حياة العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن خلدون أنتج بمناسبة الذكرى المئوية السادسة لوفاته.

وحضر العرض بمركز ابن خلدون الثقافي، عدد من الممثلين من بينهم علي الخميري الذي تقمص شخصية ابن خلدون ويونس الفارحي وصلاح مصدق ومنتجة الفيلم هاجر بن نصر. وسبق للفيلم الذي لم يعرض بعد في القاعات التجارية أن شارك في مهرجان

العربي للإذاعة والتلفزيون الذي أقيم في تونس وحصل على الجائزة الأولى. ويروي الفيلم الذي يستغرق ٩٠ دقيقة سيرة العلامة ابن خلدون ورحلاته في المغرب والمشرق وتطرق إلى بعض جوانب حياته السياسية وأفكاره، ولكنه لم يركز على مساهمته وتأثيراته في مجالات الفلسفة والتاريخ والعمران. ويفسر مخرج الفيلم الحبيب المسلماني التركيز على هذه الجوانب دون غيرها قائلاً «إنه من الصعب الإلمام بحياة العلامة ابن خلدون في فيلم مدته ٩٠ دقيقة لذلك حاولنا إبراز أهم مراحل حياته وأهم المحطات المؤثرة فيها».

ولد ابن خلدون في تونس عام ١٣٣٢، وتنقل بين الأندلس وبلاد المغرب العربي وسوريا ومصر حيث توفي بالقاهرة عام ١٤٠٦. ويعتبر صاحب كتاب «المقدمة» الشهير أحد أبرز الأعلام الفكرية في العالم العربي والإسلامي، وقدم العديد من النظريات الجديدة في علم الاجتماع والتاريخ والعمران.

المجلس الاعلى للثورة الثقافية يصادق على استراتيجيات وآليات تعزيز الوحدة الوطنية

في شهر شوال / ١٤٢٨ هـ تمت المصادقة على استراتيجيات وآليات تعزيز الوحدة الوطنية خلال اجتماع المجلس الاعلى للثورة الثقافية الذي عقد برئاسة محمود احمدي نجاد رئيس الجمهورية.

وقد تمت المصادقة على هذه الآليات على اساس عناصر الهوية الايرانية - الاسلامية سواء كانت الوطن او اللغة او التاريخ او الثقافة الاسلامية الغنية وافكار الامام الخميني (رض) وقائد الثورة الاسلامية.

واعتمدت هذه الآليات على رمزين متميزين هما العلم والنشيد الوطني حيث رسمت الواجبات لمختلف الاجهزة في الجمهورية الاسلامية الايرانية لان يقوم كل جهاز بأداء ما من شأنه تكريس وتعزيز الوحدة الوطنية.

ووفقاً لما تقرر فقد تمت مطالبة المراكز الاعلامية والثقافية كوزارة الثقافة والارشاد

الإسلامي ومؤسسة الإذاعة والتلفزيون ووزارة الداخلية ووزارة التربية والتعليم ومنظمة الشباب الوطنية وممثلية الولي الفقيه في الجامعات والجهاد الجامعي واللجنة العليا للإشراف على المراكز الثقافية ووزارة العلوم والبحوث والتقنية وقوات التعبئة الشعبية ومؤسسة شهيد الثورة الإسلامية بتظافر جهودها من أجل تحقيق هذا الغرض.

وتم في الاجتماع أيضاً التأكيد على ضرورة استخدام العلم والنشيد الوطني باعتبارهما رمزاً للوحدة والتضامن الوطني كما تم تكليف وزارة التربية والتعليم والجامعات والمراكز العلمية بادراج هذا المفهوم في الكتب الدراسية والمراسم.

«الشاهنامة» تدخل ذاكرة العالم

وافقت اللجنة الاستشارية الدولية لبرنامج «ذاكرة العالم» التابع لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» الخميس على إدراج مخطوطة «الشاهنامة» ومجموعة المخطوطات الفارسية التي تملكها دار الكتب المصرية ضمن ذاكرة العالم. وتملك الدار ١١٠٢ مجلد للمخطوطات الفارسية تتضمن ٢٢٠٨ عناوين وتتناول معارف إنسانية مختلفة.

وقال رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للدار محمد صابر عرب إن من أهم المخطوطات الفارسية التي تملكها دار الكتب المصرية الشاهنامة التي تعتبر أهم ملحمة أدبية فارسية عن الحياة في بلاد فارس منذ بدء الخليقة حتى دخول الإسلام إليها واستغرق نظمها شعراً أكثر من ثلاثين عاماً.

كما تضم المجموعة مخطوطة «بستان سعدي» المنسوخة عام ٨٣٩ للهجرة «نحو ١٣٠٠ للميلاد» ومخطوط «في علم التشريح» لابراهيم عثمان الهمداني إلى جانب مخطوطات أخرى في الأدب والتفسير واللغة والطب والفلك والفلسفة والتاريخ.. وتملك دار الكتب المصرية أكثر من ١٠٠ ألف مخطوطة باللغات العربية والتركية والفارسية وغيرها إلى جانب أكثر من أربعة آلاف بردية تعود إلى بدايات العصر الإسلامي وبعض برديات الجنيزة التي تعود إلى العصر نفسه لكنها خاصة بالجمالية اليهودية التي عاشت في

مصر تحت الحكم الاسلامي.

وانشئ سجل ذاكرة العالم عام ١٩٩٧ ويهدف البرنامج الى حفظ التراث الوثائقي الذي يشكل ذاكرة للعالم ويعكس تنوع اللغات والشعوب والثقافات.

نائب الشؤون الثقافية في وزارة الارشاد يقول: طبع ٥٣ ألف كتاب سنوياً في ايران

خلال كلمة له في مراسم افتتاح الدورة التاسعة لمعرض الكتاب في محافظة خراسان الرضوية والتي اقيمت في مدينة مشهد المقدسة، صرح محسن برويز، نائب الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي قائلاً: ان وزارة الثقافة تحاول من خلال اقامة مثل هذه المعارض اصال المعلومات والكتب التي يحتاجها ابناء المجتمع ووضعها تحت اختيارهم.

واضاف نائب وزير الثقافة قائلاً: ان ضعف عرض الكتاب في الاماكن المعنية لهذا الامر هو من اهم المشاكل التي يواجهها قطاع النشر اليوم على مستوى البلاد وان اقامة مثل هذه المعارض هو احد السبل الكفيلة بحل هذه المشكلة.

واوضح برويز قائلاً: خلال الاعوام الثلاثة كان معدل اصدار الكتب بين ٥٠ الى ٥٣ ألف كتاب سنوياً. ورغم ان هذه الاحصائية تشير الى نسبة نمو جيدة في هذا الحقل إلا اننا اذا اخذنا بنظر الاعتبار القابليات الموجودة في البلاد من الناحية الثقافية وفي حقل النشر، فان هذه النسبة يجب تكون اكثر مما هي عليه.

واعلن نائب وزير الثقافة عن مشروع لتجهيز مكتبات المدارس في البلاد بالتعاون مع مسؤولي المحافظات وباعانة نسبتها ٥٠٪ من قبل الوزارة.

يذكر ان المعرض التاسع للكتاب في محافظة خراسان الرضوية والذي اقيم في مشهد المقدسة يشارك فيه ٨٠٠ ناشر داخلي و ٦١ ناشر أجنبي كما يعرض فيه ٨٠٠ ألف كتاب في ٥٥٠ جناح.

كيف نربي أبناءنا على حب الله عز وجل؟

الأم الحكيمة تحبب الله إلى صغيرها، فلا تذكر اسم الله تعالى أمامه إلا في المواقف المسعدة، ولا تُكثر من التهديد بالنار وبغضب الجبار، فتسلب طفلها الأمن والاستقرار. والأم الواعية تربي طفلها على الحب والرجاء أولاً، وكلما كبر الطفل خوفته من الله أكثر، حتى يستطيع ولدها أن يطير في فضاء الإيمان إلى رضوان ربه بجناحين من خوف ورجاء، يخفق بينهما قلب نابض بالحب والشكر، ويقودها عقل عامر بالتفكير والذكر.. على أن خوف المؤمن من ربه هو خوفٌ من الرحمن الرحيم، فهو خوفٌ يسكنه الأمل في رحمة الله، ويُغشيه طمع المحب في كرم محبوبه.

ومما يُقوي علائق الحب، أن تربط المربية ولدها بالقرآن الكريم قراءة وتدبراً وتطبيقاً. فالقرآن هو كتاب التربية المثلى، فالحياة في ظلاله نجاة... فلا تبخلي بالجلوس مع أولادك في رياض الجنة تحت هذه الظلال.. ومما يقوي علائق الحب سرد قصص السيرة النبوية المطهرة وآل البيت عليهم السلام. ففي تدريب الطفل على الاقتداء بالسنة النبوية خير كثير وبه. إذ تزداد محبته للنبي «ص» وعترته الطاهرة.

كما يعتاد الطفل النظام والانضباط في كل أمر من أمور حياته كلها.. ويستيقظ عنده الوعي الدائم، والحضور الكامل في كل عمل مهما دق، مادام يستحضر نية الاقتداء بخاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ومما يُقوي علائق الحب والإيمان، أن يعود الطفل ذكر الله تعالى ومناجاته على الدوام.. وأن يُعود على العبادات، لاسيما الصلاة.

إن التربية على الحب والإيمان هي ذروة التربية العليا على الإطلاق. وإن الضالين المنحرفين ينحدرون عادة من فئتين: فئة الذين لم يتلقوا تربية إيمانية في نشأتهم، أو من فئة الذين اقترنت تربيتهم الدينية في عهد الطفولة بالقسوة والإكراه والتشويه.

مومياء الملك توت عنخ امون الى فاترينة عرض داخل مقبرته

ينكشف وجه المومياء الشهيرة للملك توت عنخ امون حيث يقوم زاهي حواس الامين العام للمجلس الاعلى للاثار المصري بنقل المومياء من التابوت الخاص بها داخل

المقبرة بوادي الملوك بالاقصر الى فاترينة عرض مجهزة بأحدث الأجهزة العلمية للحفاظ على المومياوات وللتحكم في نسبة الرطوبة ودرجة الحرارة وغيرها من العوامل التي قد تؤثر على سلامة المومياوات.

وقال زاهي حواس في تصريح نشر امس الاول ان عملية نقل مومياوات الملك توت عنخ آمون تأتي في اطار خطة المجلس الاعلى للآثار للحفاظ على المومياوات الملكية. مشيراً الى انه عند فحص مومياوات الملك توت عنخ آمون منذ ثلاث سنوات بالاشعة السينية لوحظ أنها في حالة سيئة جداً وكانت مقسمة الى ١٨ جزءاً.

وأشار الى ان هذا كان نتيجة ما قام به هوارد كارتر مكتشف المومياوات بعد ثلاث سنوات من العثور عليها حيث ازاح كارتر عام ١٩٢٥ المومياوات من التابوت واستخدم الآلات حادة وثقيلة لفك القناع الذهبي عن وجه المومياوات وازالة اكثر من ١٠٠ ايقونة مركبة داخل جسده.

واشار حواس الى ان المومياوات تتعرض ايضاً لارتفاع نسبة الحرارة والرطوبة نتيجة كثرة عدد الزائرين للمقبرة مما قد يؤدي لتلفها وتدميرها

الشيخ التسخيري: أعداء البشرية يسعون الى تقديم صورة سيئة عن الاسلام

أكد رئيس مجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية في ايران الشيخ محمد علي التسخيري، ان الاعداء يسعون الى تقديم صورة سيئة عن الاسلام في اذهان الغربيين. وعلى هامش المؤتمر الدولي حول الحضارات المنعقدة في فاس لتصحيح صورة الاسلام لدى الغرب، قال التسخيري في تصريح خاص لقناة العالم الاخبارية: ان اعداء التقارب والتعاون يسعون الى ترسيخ صورة نمطية وسيئة عن الاسلام في اذهان الغربيين، والقول ان الاسلام هو دين العنف والارهاب.

من جانبه، قال علال السيد ناصر المستشار السابق للملك المغربي في تصريح خاص لقناة العالم الاخبارية: ان الثقافة الاسلامية تدعو الى التوسط في كل شيء، اسوة بالنبي

محمد «ص» الذي توسط بين المسيحيين واليهود وحاول التوفيق بينهم. وأقر المسؤولون الغربيون المشاركون في هذا المؤتمر بارتكاب أنظمة بلدانهم أخطاء استراتيجية تسببت في كوارث انسانية، كما هو الحال في العراق، وشددوا على أهمية حوار الحضارات والاديان لجعل السياسيين في بلدانهم يفهمون حقيقة ما يجري في العالم.

وقال السفير الاميركي السابق لدى السعودية روبرت كوردن في تصريح خاص لقناة العالم الاخبارية: ان الغربيين خاضوا حروباً عديدة خلال السنوات الماضية وارتكبوا أخطاء.

واضاف: يجب علينا أن نفهم ثقافة الآخرين قبل ان نطلق عليهم الرصاصة الاولى. يذكر، ان المؤتمر الدولي حول الحضارات، عقد في مدينة فاس المغربية بمشاركة علماء ومسؤولين من ٣٦ دولة من ٢٣ نوفمبر حتى يوم امس ٢٥ منه.

نائب الرئيس التانزاني يعرب عن الرغبة في الاستفادة من تجارب الخبراء الايرانيين

اعرب نائب الرئيس التانزاني علي محمد شين عن رغبة بلاده لنقل تجارب الخبراء الايرانيين في مجالات انتاج الامصال.

وكان شين يتفقد خلال زيارته لايران مؤسسة رازي لانتاج الامصال في شيراز والخطوط الانتاجية الاخرى لهذه المؤسسة مثل المعدات الطبية وخط انتاج اللقاحات. من جانبه قال رئيس مؤسسة الابحاث وانتاج اللقاحات والامصال في جنوب البلاد ابراهيم حياتي خلال هذه الزيارة ان نشاطات هذه المؤسسة تتمحور حول الدراسات والبحوث وانتاج اللقاحات.

واضاف: ان نشاطات هذه المؤسسة البحثية والانتاجية بدأت في ١٩٩٤ بانتاج لقاح انترو توكسمي بحجم مليوني جرعة ولقاح اغالاكسي بحجم نصف مليون جرعة.

واوضح ابراهيم حياتي: بلغ انتاج لقاح انترو توكسمي في هذه المؤسسة نحو ٢٠

مليون جرعة حالياً مما يسد ٢٠ بالمائة من حاجة البلاد بالاضافة الى انتاج ١٢ مليون جرعة من لقاح اغالاكسي.

ولفت الى ان منتجات مؤسسة رازي بكل اقسامها تسد حاجة البلاد من اللقاحات والامصال وتنتج مؤسسة رازي في شيراز نوعين من اللقاحات الحيوانية حالياً.

كما لفت حياتي الى قرار انشاء مركز كبير لانتاج لقاحات الطيور حيث ستنتج نحو ٦٠٠ مليون جرعة مما سيسد حاجات البلاد في هذا المجال بالاضافة الى تصدير الفائض منها الى الخارج.

واردف ان هذه المؤسسة تبحث في مجالات دراسات علم الباكتريا والبايو تكنولوجيا وعلم المناعة والديدان وامراض الطيور وكذلك اقامة العلاقات البحثية مع الجامعات والمراكز البحثية في الداخل والخارج.

تزايد تعلق اليابانيين بالشعر الغزلي لحافظ الشيرازي

صرح المستشار الثقافي في السفارة اليابانية في طهران قائلاً ان اليابانيين يبدون تعلقاً شديداً باشعار حافظ الشيرازي، وقال ان ديوان حافظ يعتبر من الكتب الاكثر مبيعاً في اليابان.

ذكرت ذلك وكالة فارس للانباء في تقرير جاء فيه ايضاً: ان تأثير ونفوذ الشعر الغزلي لحافظ لم يقتصر على آسيا الصغرى والغرب بل تعداه الى الشرق لكونه يحظى بشعبية آخذة في التزايد هناك. فبعد ان تجاوز هذا الشعر حدود شيراز في اواسط القرن الثامن الميلادي دخل ذاكرة جميع شعوب العالم بقاصيها ودانيها، واليوم نشهد اقبالاً متزايداً ومنقطع النظير عليه.

ومن اللطيف ان اول من شرح قصائد حافظ كانوا الاتراك ومنهم «سودي بسنوي» و«سروري» اللذان الفا شرحاً من ٤ اجراء لشعر حافظ الغزلي.

وخلال فترة العهد الصفوي ساهمت حركة السفر الى شبه القارة الهندية في ان تتجاوز شهرة شعر حافظ الحدود الشرقية لایران وان تصل الى الشرق الاقصى. وفي الغرب

صدرت عام ١٦٨٠ في فينا ترجمة نثرية لشعر حافظ للكاتب «ف. مينيسكي» تلاها اصدار ترجمات اخرى الى مختلف لغات العالم. وربما تكون ترجمة المستشرق الفرنسي «شارل هنري دو فوشة كور» التي امضى ١٦ عاماً في انجازها افضل وآخر ترجمة لقصائد حافظ الشيرازي الغزلية.

وكان تأثير حافظ وافكاره على الثقافة في الشرق والغرب هو ما دفع بالكثير من الباحثين في مجال الادب التطبيقي هناك الى اجراء بحوث على شعره في الشرق الاقصى كان «ش. اركي» وهو من رواد الباحثين في الشؤون الايرانية هو اول من عرف حافظ لليابانيين، حيث اصدر عام ١٩٢٢ كتاباً تحت عنوان «دراسات في تاريخ الادب الفارسي» تناول فيها بالبحث عن كل ما يتعلق بالادب الفارسي بدءاً بال «افستا» - وهو الكتاب المقدس للزرادشتيين - مروراً باللغة الفارسية القديمة وال «جامي» وانتهاءً بحافظ الشيرازي الذي خصص له ثلاث صفحات في نهاية كتابه.

ثم قام «ت. كورينا ناغي» عام ١٩٧٦ بترجمة النسخة المصححة من قصائد حافظ الغزلية لمحمد القزويني وقاسم غني لليابانية. وقد يكون تعلق الناس في آسيا الوسطى بقصائد حافظ امرأ غير مثير للاستغراب اذا ما عرفنا ان شعوب هذه المنطقة كانت في يوم من الايام تنطق وتكتب باللغة الفارسية.

اما بالنسبة لتعلق سكان الشرق بهذا الشعر فان له جذور تاريخية. فهناك في الادب الياباني كتاب يحمل اسم «كلستان» او «تشوره زوره غوسا» لعالم دين بوذي يدعى «كنكو» عاش في القرن الرابع عشر الميلادي. ان «هاشم رجب زاده»، وهو استاذ في الادب الفارسي امضى فترة طويلة من حياته في التدريس والبحث في الجامعات اليابانية في مجال الخصائص المشتركة بين الادب الفارسي والادب الياباني، يعتبر «كلستان» الياباني شبيهاً بـ «كلستان» سعدي من حيث الاسلوب والمضمون، اما من حيث الاهمية والمكانة فيرى ان له نفس اهمية ومكانة ديوان حافظ عند الايرانيين، حيث يكاد لا يخلو بيت ياباني منه، شأنه في ذلك شأن ديوان حافظ الذي لا يخلو منه اي بيت ايراني.

لكل ما ذكر قد لا يكون مستغرباً ان يصرح «ما ساهيجي آيه» المستشار الثقافي في

السفارة اليابانية في طهران بالقول بان ترجمة ديوان حافظ اليابانية هي من أكثر الكتب مبيعاً في اليابان، ويقول «آية» ايضاً: ان اليابانيين يبدون تعلقاً كبيراً بقراءة شعر حافظ الشيرازي كما ان شيراز كانت على الدوام تشكل رموزاً للدب والثقافة الايرانية في اذهان اليابانيين.

ترجمة مهدي سلماسي نقلاً عن وكالة انباء فارس

المخترعون الايرانيون يحرزون ٢٠ جائزة في معرض كرواتيا الدولي

احرز فريق المخترعين الايرانيين في المعرض الـ ٣٢ الدولي للاختراعات في مدينة زغرب في كرواتيا ٢٠ جائزة مقدماً ١٤ مشروعاً في المجالات العلمية، ونال عنوان افضل فريق مشارك في هذا المعرض ونال فريقنا في فروع العلوم الطبية والفنية والهندسية والكيمائية والهندسة الطبية والزراعية ٦ جوائز خاصة وميداليتين ذهبيتين و ٥ ميداليات فضية وميداليتين برونزيتين و ٥ شهادات فخرية.

وحضر فريق المخترعين الايرانيين بالتنسيق مع مؤسسة دعم الباحثين والمخترعين والمبتكرين لأول مرة في هذه المسابقة بتقديم مشاريع جديدة. وشارك في هذا المعرض مخترعون من كرواتيا وروسيا والبوسنة والهرسك واسلوفاكيا وبريطانيا وامريكا وصربيا.

مرسيليا تسمح بتشديد مسجد كبير للمسلمين بمئذنتين وقبة

من المنتظر ان يشيد المسلمون مسجداً كبيراً في مدينة مرسيليا يسع نحو ألفي مصل ليصبح احد اكبر المساجد في فرنسا.

وقام عمدة مدينة مرسيليا الخميس بتسليم مفتاح المسجد رمزيا لممثلين عن الجالية الاسلامية في المدينة التي يعيش فيها نحو مليون مسلم.

وسيكون للمسجد مئذنتان ارتفاع كل منهما ٢٥ مترا وقبة، وسيتم تشييده خلال عدة أشهر.

وتقدر تكلفة المشروع بثمانية ملايين يورو يتم جمعها من التبرعات. وكانت الموافقة على بناء هذا المسجد قد تأجلت مرارا بسبب الدعوى التي رفعتها إحدى الجماعات اليمينية والتي احتجت على تخصيص المجلس البلدي مساحة ارض للمسجد شمال المدينة بايجار رمزي يبلغ ٣٠٠ يورو سنويا لمدة ٩٩ عاما، ما اعتبرته الجماعة اليمينية المتطرفة صاحبة الدعوى دعما مقنعا لدين بعينه، وادعت ان في ذلك مخالفة للقانون الفرنسي.

المؤتمر الثالث لمدرء اقسام اللغة العربية الايرانية ٢٥ و ٢٦ جمادى الثاني (١٤٢٨) - ١٩ و ٢٠ تير ١٣٨٦ قسم اللغة العربية بجامعة بو علي سينا

أقيم المؤتمر الاول لمدرء اقسام اللغة العربية في جامعة الشهيد جمران سنة ألف وثلاثمائة وأثنتين وثمانين (١٣٨٢ هـ) بهدف مناقشة مشاكل تعليم اللغة العربية وآدابها وإزالة العوائق وتذليل الصعوبات التي تعرقل تجديد مناهج تعليم اللغة وموضوعاته فحصل المؤتمر على نتائج ايجابية.

أقيم المؤتمر الثاني بجامعة اصفهان سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثمانين بهدف مناقشة تعليم اللغة العربية أهدافها وفروعها وحصل على نتائج مثمرة وقرارات حاسمة. تطوع فيه قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة بو علي سينا أن يقيم المؤتمر الثالث في مدينة همدان في اليومين الخامس والعشرين والسادس والعشرين من جمادى الثاني (١٤٢٨)، ١٩ و ٢٠ شهر تير (١٣٨٦ هـ) أقيم المؤتمر الثالث في جامعة بو علي سينا بهدف مواصلة الأبحاث واستمرار المناقشات حول تجديد الدروس والموضوعات التي تدرس في فرع اللغة العربية والمصادقة على الفرعين: فرع الادب المقارن بمرحلة الدكتوراه وفرع تعليم اللغة العربية بمرحلة ماجستير.

١ - تمهيد

الف: أقيمت جلسات متعددة بحضور أعضاء قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلبي سينا تمهيداً لإقامة المؤتمر.

ب - تشكلت اللجان، كاللجنة التنفيذية واللجنة العلمية و... وتحددت المسؤوليات لجميع الزملاء، لمواصلة الجهود.

ج - بعد أن أطلع مدراء أقسام اللغة العربية في جميع أقطار البلاد على إقامة المؤتمر، أرسل الأساتذة وعدد من طلاب القسم في مرحلة ماجستير مقالات عديدة تربو على خمسين مقالة في شتى الموضوعات المعنية باللغة العربية وآدابها ومناهج تدريسها ومشاكلها و...

د: أرسلت المقالات لأعضاء هيئة التحكيم فانتخب خمس وعشرين مقالة من الخمسين مقالة المرسلات تقرر أن تطبع المقالات بعد إقامة المؤتمر.

ذ: وجهت الدعوات إلى مدراء أقسام اللغة العربية الكرام في جميع أقطار البلاد علاوة على أصحاب المقالات المنتخبة وعدد من أعضاء الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. وعدد من ممثلي المنظمات المعنية باللغة العربية وآدابها كوزارة التربية والتعليم ومنظمة المطالعات الثقافية ومدير قسم اللغة العربية في كلية الإذاعة والتلفزيون للحضور في المؤتمر.

أعلن أكثر من خمسين مدعواً استعدادهم للحضور والمشاركة في المؤتمر وقام أمين المؤتمر بتوجيه دعوات للمدعوين مرة ثانية فشارك المدعوون الكرام في المؤتمر ناشطين.

٢ - إقامة المؤتمر:

٢ - ١ - التنفيذ:

في الساعة الثامنة من يوم ٢٥ من (الجمادى الثاني) أقيمت الجلسة الافتتاحية بحضور المدراء وأصحاب المقالات وعدد من مسؤولي جامعة بوعلبي سينا.

بدأت الجلسة بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم رحب عميد جامعة بوعلي سينا بجميع المدعوين والحاضرين في الجلسة مؤكداً على ضرورة اقامة مؤتمرات عديدة بهدف التجديد في الفروع والدروس الجامعية ثم قدم امين المؤتمر الثالث تقريراً مما انجزته امانة المؤتمر والاعضاء الناشطين في القسم لاقامة المؤتمر. ثم قدم امين المؤتمر الثاني الدكتور خاقاني تقريراً مما حصل عليه المؤتمر الثاني من النتائج المثمرة والبناءة تحقيقاً للاهداف المنشودة للمؤتمر.

٢-٢: اللجنتان:

تشكلت اللجنتان الاختصاصيتان تحت عنوان: لجنة فرع الادب المقارن لمرحلة الدكتوراة ولجنه «فرع تعليم اللغة» لمرحلة ماجستير.

في كل من اللجنتين نوقشت الموضوعات وطرحت الایحات المعنية بايجاد الفرع الجديد، في جلستين استغرق كل منهما ساعتين، تباحث المشاركون فيما اقترحه قسم اللغة العربية بجامعة بوعلي سينا لكل من الفرعين. فعبء تعديلات وتغييرات كثيرة في المقترحات المذكورة توصل المشاركون الى نتائج ايجابية مثمرة انتهت الى المصادقة على كلا الفرعين وحدد المشاركون الدروس المعنية بالفرعين.

وفي الجلسة الختامية تمت المصادقة على عناوين الدروس لكلا الفرعين:

فرع تعليم اللغة العربية وعناوين دروسه لمرحلة ماجستير

ردیف	عنوان درس	تعداد واحد
١	زبان شناسي عربي	٢
٢	روش تدریس زبان عربي (١): مهارت‌های شنیدن و گفتن	٢
٣	روش تدریس زبان عربي (٢): مهارت‌های خواندن و نوشتن	٢
٤	تدریس عملی و آزمون سازي	٢ (عملي)
٥	روش تحقیق در مسائل آموزش زبان عربي	٢
٦	صرف ونحو کاربردي	٢
٧	زبان تخصصي	٢
٨	فناوري آموزشي وزبان عربي	٢
٩	تحليل بلاغي زبان	٢
١٠	سمینار آموزش مسائل زبان ومقاله نویسي	٢
١١	آموزش زبان عربي برای اهداف ویژه	٢
١٢	آشنایی با زبان رسانه‌ای	٢
١٣	زبان شناسی تقابلی بین فارسی وعربی	٢
١٤	رساله	٦

دروس پیش نیاز کارشناسی ارشد زبان وادبیات عربي گرایش آموزش زبان عربي

ردیف	عنوان درس	تعداد واحد
١	کاربرد روان شناسي در آموزش زبان	٢
٢	جامعه شناسي زبان	٢
٣	زیان‌شناسي همگاني	٢

فرع الادب المقارن وعناوين دروسه لمرحلة دكتوراه

ردیف	عنوان درس	تعداد واحد
١	کلیات ادبیات تطبیقی	٢
٢	تاریخ تطبیقی زبان فارسی و عربی	٢
٣	زبان تخصصی (متون ادبیات تطبیقی)	٢
٤	انواع ادبی	٢
٥	سمینار و مقاله نویسی مسائل ادبی تطبیقی	٢
٦	زبان شناسی تطبیقی	٢
٧	روش تحقیق در ادبیات تطبیقی	٢
٨	کارگاه ادبیات تطبیقی	٢
٩	بررسی ادبیات غرب	٢

دروس پیش نیاز دکتری زبان و ادبیات عربی گرایش ادبیات تطبیقی

ردیف	عنوان درس	تعداد واحد
١	بررسی و تحلیل متون ادب فارسی (نظم)	٢
٢	بررسی و تحلیل متون ادب فارسی (نثر)	٢
٣	بررسی و تحلیل متون ادب عربی (نظم)	٢
٤	بررسی و تحلیل متون ادب عربی (نثر)	٢

وفي الجلسة الاخيرة من اليوم الاول للمؤتمر قدمت اللجنتان تقريرين من الابحاث المطروحة وما صودق عليه وبعد مناقشات تمت المصادقة النهائية على الفرعين وعناوين دروسهما.

في اليوم الثاني من المؤتمر اقيمت جلستان؛ في الجلسة الاولى قدم أمين الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها تقريراً من انجازات الجمعية وممارساتها ومعطياتها. ثم

تباحث المشاركون ومسؤولو الجمعية حول موضوعات مختلفة للجمعية ونشاطاتها وانجازاتها وما يطبع من المقالات ومعايير تقييم المقالات و... ثم قدم الدكتور خاقاني تقريراً من الموقع الانترنتي للجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها وما يقدم فيه من المعلومات حول الجمعية ومقالات مجلتها و.. ثم أعرب مدراء اقسام اللغة العربية لجامعات قزوین وكرمانشاه واعداد المدرسين (سبزوار) عن استعدادهم لاقامة المؤتمر الرابع على شريطة مساعدة مسؤولي جامعاتهم. وتقرر ارسال الاقتراحات لاقامة المؤتمر الرابع الى امانة المؤتمر الثالث للبرمجة اللازمة. وفي ختام المؤتمر قرئ البيان الختامي ثم صودق عليه وانهى الدكتور الحريجي الاستاذ الكريم الجلسة بكلامه...

اليك خلاصة البيان الختامي.

البيان الختامي للمؤتمر الثالث لمدراء الاقسام اللغة العربية وآدابها في البلاد ١٩ و ٢٠ تير ١٣٨٦ - قسم اللغة العربية بجامعة بو علي سينا

قدم أصحاب الرأي ومدراء فرع اللغة العربية المشاركون في المؤتمر الثالث التوصيات التالية في الجلسة النهائية للمؤتمر علاوة على ما صادقوا عليه في اللجنتين، التوصيات التي أكد عليه المشاركون في المؤتمر هي:

١ - أكد على ضرورة اعراب الجامعات عن استعدادها لاقامة المؤتمرات التالية في طريق تحقيق الاهداف المنشودة.

٢ - أكد المشاركون على تمهيد الارضيات اللازمة لتنفيذ الفرعين الادب المقارن (مرحلة دكتوراه) وتعليم اللغة العربية (مرحلة ماجستير) الذين صودق عليهما في هذا المؤتمر وحددت عناوين دروسهما.

٣ - اعرب المشاركون عن شكرهم لاعضاء الجمعية الإيرانية، للغة العربية وآدابها بسبب معادلاتهم في مواصلة طبع مجلة الجمعية وتأسيس الموقع الانترنتي الخاص بالجمعية مطالبين تحسين تيار طبع المجلة واعطاء الفرصة العادلة لجميع الاعضاء في طبع مقالاتهم.

- ٤ - طالب المشاركون تعاون جميع مدراء اقسام اللغة العربية مع مسؤولي الموقع الانترنتي الخاص تغنيهِ للموقع وتجديداً للمعلومات المعروضة فيه.
- ٥ - طالب المشاركون بتدوين العناوين المعنية بفرع تعليم اللغة العربية في مرحلة الليسانس بمشاركة اقسام اللغة العربية الاخرى معربين عن شكرهم لقسم اللغة العربية بجامعة اصفهان لتدوينهم العناوين المعنية بفرع الادب (لمرحلة الليسانس).
- ٦ - علماً بالحاجة الماسة الى فرع اللغة العربية وآدابها - (گرايش رسانه) - وافق المشاركون اقتراح قسم اللغة العربية في الاذاعة والتلفزيون مطالبين تدوين العناوين لهذا الفرع المقترح.
- ٧ - نظراً لأهمية وتأثير المؤتمرات في تحسين تيار التعليم في الجامعات، طلب المشاركون من المسؤولين في وزارة العلوم والتحقيقات أن يخصصوا الميزانية اللازمة لاقامتها.
- ٨ - نظراً للحاجة الماسة الى فرع اللغة العربية وآدابها (فرع رسانه) وافق المشاركون اقتراح قسم اللغة العربية في كلية الاذاعة والتلفزيون لايجاد هذا الفرع مطالبين هذا القسم ان يدون العناوين الخاصة بهذا الفرع المقترح لمناقشتها في الجلسة الاتية.
- ٧ - نظراً لأهمية ودور المؤتمرات في تحسين تيار التعليم في الجامعات، طالب المشاركون من المسؤولين في وزارة العلوم والتحقيقات تخصيص الميزانية اللازمة لاقامة المؤتمرات بهدف تجديد الفروع والدروس وتعديلها.



جولة بين الكتب والمجلات

يسر مجلة «آفاق الحضارة الإسلامية» أن تساهم في تعريف العالم الإسلامي بالكتب التي تصدر عن مطابع الجمهورية الإسلامية في إيران وغيرها، باللغة العربية أو الفارسية، بعد تسلّم نسخة منها من مؤلفيها. كذلك تعرض المجلة استعدادها لنشر المقالات في نقد الكتب أو تلخيصها، بالعربية أو الفارسية، خدمة للقارئ بالعربية في كل مكان.

د. عبد السلام المسدي يكشف أقنعة السياسيين... في جديده

السياسة وسلطة اللغة

في كتابه الجديد السياسة وسلطة اللغة التي تستخدمها لتضليل مواطنيها فاللغة كما جاء في كتابه احياء يستخدمها السياسي مدركاً قوتها في تثبيت سلطته وتغييب مراميها عن المواطن العادي المحكوم بالسياسي فيتعمق غيابه عن الفعل وتزداد غيبوبته عن أفاعيل السياسي ويتعمق انفصاله عن واقعه وعما يجري حوله ذلك ان اللغة سلطة في ذاتها أما السياسة فهي السلطة بذاتها ولذاتها والمؤلف الدكتور عبد السلام المسدي استاذ اللسانيات في الجامعة التونسية وعضو المجامع العلمية للغة العربية في كل من تونس ودمشق وطرابلس وبغداد وعمل كوزير للتعليم العالي والبحث العلمي في تونس وهو مهتم بالعلوم اللغوية والنقد الادبي وتحليل الخطاب السياسي وبهذه الصفة فهو الاقدر على الفرز في الخط الذي يقع بين السياسي واللغوي وتوضيح كيف أن السياسي يخبت أحياناً، يستخدم اللغة ليمرر مقاصده بين مواطنيه وهم غائبون في أغلب الاحيان عن إدراك مرامي اللغة التي هي حمالة أوجه وأكثر ما يقع هذا الخلط في الاتفاقات السياسية التي يستغرق تفسيرها الكثير من الجدل ولا يدرك المعنيون بهذه الاتفاقيات الكثير من تفاصيلها التي تمنحها اللغة تفسيراً مخالفاً لما يفهمون ومن ثم يفسرها كل طرف وفق هواه.

ويكفي أن الشعارات السياسية تتحول الى محفزات فعالة في العمل والنضال بفضل القوالب اللغوية التي تنسكب فيها.. فقد تجلت بلاغة لغة السياسي في احداث كبرى مثل تحرير الكويت من الغزو العراقي... وفي أزمة اغتيال رفيق الحريري في لبنان وهو ما يسميه المؤلف الاسلوبية السياسية أو البلاغة السياسية.



وليس الكتاب بحثاً في السياسة كما شاعت الكتابة فيها وكذلك ليس في اللغة كما يشيع البحث في ظواهرها أو تحليل الخطاب كما يصطلح عليه أهل الاختصاص فيه. ويكتسب أهميته الفائقة من موضوعه وهو جديد وغير مطروح ومن مؤلفه الذي تنوع اهتمامه وانتاجه منذ أن صدر في العام ١٩٧١ كتابه الرائد الاسلوبية والاسلوب والذي وصلت مؤلفاته واسهاماته في الثقافة العربية الى ما يقرب الثلاثين كتاباً من بينها اللسانيات واسسها المعرفية عام ١٩٨٦، واتقوا التاريخ أيها العرب عام ١٩٩٩ والعرب والسياسة عام ٢٠٠١.

وفاق - ١٥ فروردين ٨٦

صدر عن مؤسسة الهدى وبالتعاون بين المركز الثقافي الإيراني وجامعة قطر

«سفر الشباب» كتاب قيم يحكي عن الخيام ورباعياته

صدر حديثاً عن مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع كتاب قيم تحت عنوان سفر الشباب باللغتين العربية والفارسية، ويتضمن المقالات التي قدمها الباحثون والأساتذة الجامعيون والأدباء المشاركون في المؤتمر الدولي للشاعر والفيلسوف عمر الخيام النيسابوري، حول سيرة حياته وأشعاره وبالذات عن رباعياته التي كتبها باللغة الفارسية وقام بترجمتها الى اللغة العربية الكثير من الأدباء والشعراء العرب، كما ترجمت الى اللغة الإنجليزية من قبل فيتزجيرالد، والى العديد من اللغات العالمية الأخرى. والمؤتمر المذكور عقد بالتعاون بين المركز الثقافي الإيراني في الدوحة وكلية العلوم والآداب بجامعة قطر خلال الفترة ١٥ و١٦ مارس الماضي بحضور باحثين وأساتذة من سورية والأردن ومصر وبنغلاديش فضلاً عن قطر والجمهورية الإسلامية الإيرانية، كما شارك في إرسال البحوث والمقالات إليه أساتذة وباحثون آخرون من الإمارات العربية المتحدة والعراق والأردن وإيران ولبنان وبنغلاديش وداغستان. قدم للكتاب المستشار الثقافي الإيراني السابق الدكتور محمود واعظي، وترجمه الى العربية والفارسية الخبير الثقافي

بالمستشارية رعد جبارة، ويقع الكتاب في ٤٦٨ صفحة من القطع الوزيري ويضم بين دفتيه مقالات ومواجيز أبحاث كل من الدكتور الهي قمشئي: إيران، والدكتور عيسى علي العاكوب: سورية، والدكتور فكتور الكك: لبنان، والدكتور سيف الإسلام خان: بنغلاديش، والدكتورة راوية عبد الرحمن الفقي: مصر، والدكتور يوسف بكار: الأردن، والدكتور هارون معابدة: الأردن، والدكتور نصر الدين صالح سيد محمد: مصر، والدكتورة مريم النعيمي: قطر، والدكتور لقمان بايمت أوف: بنغلاديش، والسيد محمد حسين مصطفى: سورية... فضلاً عن مقالات وأبحاث قدمها باحثون وأساتذة آخرون من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، أو مواجيزها، وهم السادة الدكتور روح الله هادي، الدكتور أمير أكبري، والدكتور محمد تقوي، والدكتور باقري، والدكتور عظيم زاده، والدكتور ذو الفقاري، والدكتور ممد زاده، والدكتور غلام حسين زاده، والدكتورة بروين دخت مشهور، والدكتورة فاطمة جان أحمددي، والدكتورة أنسية خزعلي، والدكتور زرقاني، والدكتور يوسف وكذلك السادة روحاني نجاد، وسراجي ومحمود زاده، وسيد واعظ موسوي، وحسن نجاد، ورحيمي فر، وتابان فر، ووزيري نجاد، ومهاجراني والسيدات زهرا كفاش، أعظم بطحاي، مليحة آريامنش. ويبلغ عدد المقالات الفارسية في الكتاب ١٦ مقالة وخلاصات المقالات الفارسية ٣١ خلاصة، والمقالات العربية ٩ مقالات ومواجيز المقالات المكتوبة بالعربية والفارسية ٣٧ نصاً، حيث يتضمن القسم الفارسي من الكتاب ٢٩٠ صفحة، بينما يقع القسم المكتوب باللغة العربية أو المترجم إليها في ١٧٥ صفحة، وثمة صفحتان في آخر الكتاب تتضمنان ٤ صور لجانب من جلسات المؤتمر. وفاق - ١٤ فروردين ٨٦

صدور عدد جديد من مجلة عالم التجارة والسياحة

صدر مؤخراً وباللغتين الفارسية والانجليزية العدد الجديد من مجلة «دنياي تجارت كردشكري = عالم التجارة والسياحة» الشهرية الدولية والذي يضم تقارير عن المعالم

والمنشآت والمشاريع والنشاطات في مجالات السياحة والتراث الثقافي في ايران الى جانب تقارير عن الجوانب السياحية في عدد من دول العالم.

ومن المواضيع التي يتضمنها العدد تقريراً عن رقصة المولوي التراثية الصفوية وكذلك بحثاً عن مولانا جلال الدين محمد البلخي وأشعاره الشخصية، اضافة الى تقارير اخرى عن الارامنة في ايران، ومنطقة ري التراثية الدينية والاثرية في جنوب طهران ومرقد عبد العظيم الحسيني «ع» وبعض المعالم التاريخية فيها، وآخر عن فن المينياتور الايراني، وتقارير عن البيئة وعالم الحيوانات البرية والمهاجرة في ايران، والصحراء الايرانية المعروفة بال «كوير» وامكانية تطوير السياحة فيها.

كما يحتوي موضوعات عن العشائر الرحل في ايران، والاهتمام والعناية بالاطفال، وهناك تقرير عن تطوير السياحة المتعلقة بآثار فترة الدفاع المقدس وتنظيم الرحلات السياحية الى المناطق التي شهدت الحرب بين العراق وايران وذلك لتعريف المواطنين بالآثار والمخلفات الناجمة عن تلك الحرب التي فرضت على ايران.

كما يمكن مطالعة تقرير عن جزيرة قشم اكبر الجزر الايرانية الواقعة في الخليج الفارسي وهناك دراسة عن ادارة الحركة السياحية.

ويتضمن العدد تقريراً موجزاً عن جمهورية روسيا وجغرافيتها ومعالها السياحية والتراثية.

بالاضافة الى ما ذكر يضم العدد صفحات باللغة الانجليزية تضم مواضيع وتقارير عن التقاليد الرمضانية عند القومية التركمانية في ايران، ومنطقة شارع ٣٠ تير في طهران باعتبارها ملتقى الاديان لوجود مراكز العبادة الخاصة بالطوائف الدينية الايرانية المختلفة فيها كالمسيحيين والزرادشتيين، وتعريفاً لقرية سياحية جبلية من المحافظة المركزية تدعى «وافز» يتضمن وصفاً موجزاً لموقعها ومبانيها وجغرافيتها ومعالها السياحية وسكانها، والسياحة الصحراوية في ايران وسباق الرالي في صحراء سيستان وبلوشستان، والاديان في ايران، والخيول في ايران، والصناعات اليدوية في محافظة مازندران، والارمن الايرانيين وثقافتهم، ومعابد النار الزرادشتية.

بالإضافة الى ذلك يحتوي العدد من تقرير في الصفحات الانجليزية على تقرير عن المكسيك، جغرافيتها وسكانها وتاريخها وتراثها الثقافي وحضاراتها القديمة ومعالمها السياحية.

اضافة لكل ما ذكر يمكن مشاهدة العديد من الاعلانات التجارية التي تعرف بالمنشآت السياحية العصرية في ايران، اضافة الى احتواء المجلة على العديد من الصور الملونة والجذابة ذات الجودة العالية.

كتاب شيعي جديد يطرح ثلاث قضايا شائكة..

أبو طالب لم يمت كافراً والرسول لم يكن امياً!

١- أبو طالب لم يمت كافراً.

٢- الرسول لم يكن امياً.

٣- الرسول لم يحاول الإنتحار بعد توقف الوحي و وفاة ورقة بن نوفل.

هل من المعقول أن يدخل أبو سفيان الجنة ويدخل أبو طالب النار؟

الإعلام الأموي إدعى أن معاوية كتب القرآن بإملاء الرسول، برغم أن معاوية دخل

الإسلام بعد فتح مكة!

المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد في العالم الذي إخترع وصك تعبير «المسكوت عنه»!، فالتاريخ الإسلامي هو التاريخ الوحيد الذي إخترع أسواراً تمنع القفز عليه وتخطيه، والمؤرخون الإسلاميون هم الوحيدون المتفردون بإقامة صوب تاريخية معمقة، ومناطق تراثية محرمة ملغومة ممنوع الإقتراب منها والتصوير، أشهرها الفتنة الكبرى على سبيل المثال، وفقهاؤنا هم أصحاب نصيحة عدم الخوض في هذه المسائل والإبتعاد عنها حتى لا يهتز إيمان العوام ويصابوا بلعنة إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

صدر هذا الاسبوع كتاب يخوض في هذا المسكوت عنه، ولكنه قد يكون أكثر صدمة

وصداماً عن الكتب السابقة لأنه من تأليف شيعي مصري هو د. أحمد راسم النفيس، الصدمة مزدوجة والصدام مع التاريخ ومع الأغلبية معاً، عنوان الكتاب «النبوة في نهج البلاغة»، يظهر من العنوان أن المؤلف يتبع مدرسة مختلفة في مناقشة النبوة وتاريخها، بعيدة عن الأدبيات السنية وكتب الحديث والتاريخ المعترف بها عند أهل السنة، ويعتمد على أهم مرجع شيعي وهو كلام الإمام علي بن أبي طالب في نهج البلاغة، والكتاب يناقش مسائل حساسة كثيرة أهمها فترة نزول الوحي على الرسول «ص» في غار حراء، وعلاقة ورقة بن نوفل به في هذه الفترة، ومحاولة الإلتحار بالتردي من شواهد الجبال بعد فتور الوحي وإنقطاعه بعد وفاة ورقة بن نوفل، ورغم أنني أختلف مع د. راسم النفيس في منطلق إعتراضه على سيناريو قصة نزول الوحي بالرغم من أنني أشاركه التوجس من بعض التفاصيل التاريخية المكتوبة، فقد كان منطلقه هو أن كتب السنة جعلت الرسول بشراً عادياً في أحيان كثيرة وإختزلت دوره في وظيفة المبلغ، ورأيي الخاص أن هذه البشرية والضعف الإنساني في بعض الأحيان هو مصدر قوة للإسلام وليس العكس، وبشرية الرسول ليست مصدر إدانة على الإطلاق، ولكن ما أتفق فيه مع د. راسم هو ضرورة تحريك المياه الراكة للرؤية التاريخية الأحادية الراضة لإعادة النظر ومناقشة ما يسمى بمسلمات التاريخ، وقد أثار المؤلف من خلال كتابه في هذا الإتجاه قضيتين مهمتين أو بالأدق طرح سؤالين مهمين أعتقد أنهما سيثيران غباراً كثيراً في معركة ستحتدم بين فقهاء الشيعة والسنة، السؤال الأول هو هل مات أبو طالب كافراً؟، والسؤال الثاني هو هل كان النبي أمياً لا يقرأ ولا يكتب بالفعل؟!

السؤال الأول: هو سؤال شائك بالنسبة للشيعة بصفة خاصة، فهو سؤال يمس وينخر جذعاً هاماً في شجرة آل البيت وهو أبو طالب عم الرسول وأبو الإمام علي، ويبدأ الكاتب بعلامة إستفهام ملغومة، هل أبو طالب في النار وأبو سفيان وعائلته في الجنة؟! معقول أبو طالب رأس المدافعين عن عقيدة التوحيد كافر أبي ورفض أن ينطلق بكلمة التوحيد خوفاً على نفسه من مسبة قومه، وفي هذا تلميح إلى أن الإعلام السفيناني والأموي قد زيف العقول وشارك من خلال كثير من المستفيدين في تلطيخ صورة أبي طالب وتجميل

صورة أبي سفيان، والرواية التي تشير الى أن أبي طالب مات كافراً يرويها ابن الجوزي قائلاً أن الرسول لما حضر أبا طالب الموت قال له في حضور أبي جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبدالله لأبي طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟، وظل الأمر سجلاً، الرسول يلح، وأبو جهل وعبدالله يخوفان أبا طالب، حتى قال آخر كلمة قبل الوفاة وهي: أنا على ملة عبد المطلب، فقال رسول الله «ص»: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، وظل الرسول يستغفر له حتى نزلت آية (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم).

يتشكك المؤلف في الحادثة التاريخية من أصلها ولكنه لم يشرح للقارئ ما هو سبب نزول هذه الآية، وإكتفى بالقول أن مؤلف الحادثة إلتقط الآية وركب عليها حديثاً، أي أنه فعل العكس، ولكن د. أحمد راسم قدم بعض الأدلة القوية من كلام وأشعار ومواقف أبي طالب تثبت إيمان وفضل هذا الرجل العظيم الذي خدم رسالة الإسلام وحمل وناصر نبينا ورسولها محمداً بكل ما أوتي من جهد، ويستنكر المؤلف أن يدخل النار كافراً من قال «لعمري قد كلفت وجداً بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل.. حلیم رشید عادل غير طائش، يولي إلهاً ليس عنه بغافل، فأيده رب العباد بنصره... وأظهر ديناً حقه غير باطل»، هل من قال هذا الكلام مجرد شخص قبلي يحامي عن شرف القبيلة، ولما حضرته الوفاة رفض أن يتلفظ بالشهادتين وقال أموت على دين عبد المطلب خشية أن تغضب قريش؟!، ويؤكد بأن هذا الكلام غير منطقي، فأى منطق كما يقول المؤلف يدفعنا للتصديق بأن أبا طالب كان حريصاً على ألا يغضب قريشاً وهو الذي ناصر محمداً صلى الله عليه وسلم في مواجهة الطغيان القرشي طيلة السنين السابقة على موته!، ويؤكد على أن المنطق يجافي رواية البخاري وغيره من الكتب التي تحدثت عن تفاصيل وفاة أبي طالب.

السؤال الثاني: هو هل كان الرسول امياً بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة؟ يجيب المؤلف بالقطع لا، ويؤكد على أنه إفتراء من معاوية بن أبي سفيان الذي قال بعد بيعته الحسين إن

الرسول قد قال له إنه سيلي الخلافة من بعده، وخطب بعد عودته من العراق الى الشام وكتب كتاباً قال عنه إن كاتبه هو معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمداً نبياً وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فأصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً، فكان الوحي ينزل على محمد ويكتبه معاوية والرسول لا يعلم ما يكتبه معاوية! ويناقش المؤلف تفاصيل تلك القصة الواضحة الهدف السياسي، ويقول أن الهدف والغرض هو إختراع طبقة من أمناء الوحي الذين لولاهم ما وصل إلينا القرآن، ويتساءل راسم النفيس كيف يكتب معاوية الوحي وهو لم يسلم إلا بعد فتح مكة، ولماذا إحتاج القوم أن يجمعوا القرآن من صدور الرجال بدلاً من اللجوء الى معاوية مباشرة.

لو نحينا جانباً لغة العداء ولهجة الكراهية التي كتب بها المؤلف عن معاوية والمستمدة من العداء التاريخي المزمّن بين الأمويين والشيعة، وبعيداً عن الألفاظ القاسية مثل إين آكلة الأكباد والتي لا مكان لها في كتاب بحثي مهم مثل هذا الكتاب، بعيداً عن كل هذا فالأسئلة التي طرحها المؤلف منطقية وتستحق المناقشة والتحليل، ولكن ما هو المقصود من وصف الرسول بالامي التي لا يستطيع أحد إنكارها لأنها لفظ قرآني صريح ورد في سورة الأعراف؟ وكيف فسرها المؤلف من منطلق فهم الشيعة للتاريخ النبوي؟.

التفسيرات الأقرب الى الصحة من وجهة نظر المؤلف هي أن الأمية مستمدة ومنسوبة الى الامة الامية التي بعث فيها الرسول، ومن الممكن أن تكون منسوبة الى أم القرى، والمدعش أن روايات البخاري نفسه والمؤرخ الطبري والتي يعتمد عليها أهل السنة تؤكد على أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن أمياً بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة، بل إنه كان يتقن القراءة والكتابة، فعلى سبيل المثال عندما أراد الرسول العمرة ورفض أهل مكة دخوله، وبعد مقاضاتهم على إقامته ثلاثة أيام، وكتبوا الكتاب فإعترض كفار قريش على كلمة محمد رسول الله، أمر الرسول علياً بمحوها، فلما رفض علي كتب الرسول بنفسه «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب... الخ».

البعض سيرفع عقيرته مهاجماً عرض هذا الكتاب قائلاً: هل هذا وقته؟ وهل من المباح كشف المستور والحديث بصراحة والخوض في المسكوت عنه والمتفق على

«طناشه» وتجاوزه وتغمية وتغميض العينين وسد الأذنين عند ذكره، والإجابة لا يوجد شيء اسمه المسكوت عنه، ووقت أن أصبح التاريخ مطية للبعض يؤمونه وقت يريدون، ويصادرونه حسب المزاج، ويجملونه طبقاً للطلبات والأمنيات، وقتها سيصير التاريخ مجرد «منيو» قائمة طعام يطلب البعض منها الإستكاوزا ويطلب البعض البصارة!، التاريخ أمام مدرج العلم يتعري ويخلع كل إكسسواراته ويفسل ما كياجه لتظهر ملامحه الحقيقية، ومن حق كل باحث أن يدلي بدلوه بدون أن يكفره الآخر، ولذلك فمصادرة الكتاب ليست هي الحل، ولكن الحل هو في مصادرة الوصاية، ومصادرة المصادرة.

خالد منتصر

إصدار ترجمة فارسية لكتاب «هكذا تكلم ابن عربي» لحامد أبو زيد

صدرت مؤخراً الترجمة الفارسية لكتاب «هكذا تكلم ابن عربي» للكاتب حامد أبو زيد الباحث القرآني والمختص في أفكار هذا العارف الاسلامي الكبير، وذلك تحت عنوان «جنين كفت ابن عربي».

ذكرت ذلك وكالة أنباء مهر التي اضافت في النبأ أن الكتاب يتألف من ستة فصول ويقع في ٤٠٠ صفحة وتم طبع ٢٢٠٠ نسخة منه وقد ترجمه للفارسية الاستاذ محمد راستكو عضو الهيئة العلمية في جامعة كاشان. وفيما يلي نبذة عن مؤلف الكتاب:

نصر حامد أبو زيد أكاديمي مصري، متخصص في فقه اللغة العربية. قال بأن النص الديني الأصلي هو منتج ثقافي، بمعنى أن الله يخاطب البشر وفقاً لثقافتهم.

نشأ في أسرة ريفية بسيطة، ولد في إحدى قرى طنطا في ١٠ يوليو ١٩٤٣، في البداية لم يحصل على شهادة الثانوية العامة التوجيهية ليستطع استكمال دراسته الجامعية، لأن أسرته لم تكن لتستطع أن تنفق عليه في الجامعة، لهذا اكتفى في البداية عام ١٩٦٠ بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية قسم اللاسلكي، بعدها عمل فني لاسلكي بهيئة الاتصالات السلكية واللاسلكية من ١٩٦١ - ١٩٧٢ م، ليتمكن من

الاتفاق على نفسه، واستكمال دراسته الجامعية، والحصول على ليسانس اللغة العربية من كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٢ م، بتقدير ممتاز، مما مكنه من استئناف دراسته العليا، وتم تعيينه معيداً بقسم اللغة العربية في جامعة القاهرة في نفس العام ١٩٧٢ م، وفي ١٩٧٦ حصل على ماجستير الدراسات الإسلامية من نفس الكلية، بتقدير ممتاز، فتمت ترقيته الى مدرس مساعد، وعندما حصل على الدكتوراه عام ١٩٨٢ م، مع مرتبة الشرف الاولى، عمل مدرساً بنفس القسم، وفي عام ١٩٨٧، ترقى لدرجة أستاذ مساعد، وعندما قدم ابحاثه للحصول على درجة استاذ تكونت لجنة من اساتذة جامعة القاهرة بينهم الدكتور عبد الصبور شاهين الذي اتهم في تقريره د. نصر بالكفر، وتلقى المتشددون الاتهام وحدثت القضية المعروفة التي انتهت بترك نصر الوطن الى المنفى، منذ ١٩٩٥ بعد أن حصل على درجة استاذ، بأسابيع.

واعلنت مؤسسة ابن رشد للفكر الحر، التي تأخذ على عاتقها دعم حرية التعبير والديمقراطية في العالم العربي، منح جائزتها لهذا المفكر والباحث المصري في علوم القرآن والتفسير في معهد جوته في برلين، لكفاحه المتواصل من أجل إعادة قراءة معاني القرآن قراءة مستقلة عن التفسير التقليدي، دافعاً حريته الشخصية ثمناً لذلك، وهو مقيم الى الآن في منفاه بهولندا.

اثارت كتابات الدكتور نصر حامد ابو زيد ضجة اعلامية في منتصف التسعينات من القرن الماضي. فقد اتهم بسبب ابحاثه العلمية بالارتداد والالحاد. ونظراً لعدم توفر وسائل قانونية في مصر للمقاضاة بتهمة الارتداد عمل خصوم نصر حامد ابو زيد على الاستفادة من أوضاع محكمة الاحوال الشخصية، التي يطبق فيها فقه الامام ابو حنيفة، والذي وجدوا فيه مبدأ يسمى الحسبة طالبوا على أساسه من المحكمة التفريق بين ابو زيد وزوجته، وكان الهدف هو إسكات المثقف عن طريق القضاء. واستجابت المحكمة بالتفريق بين نصر حامد ابو زيد وزوجته قسراً، على أساس أنه لا يجوز للمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم، حياة الزوجين باتت في خطر، وفي نهاية المطاف غادر نصر حامد ابو زيد وزوجته د. ابتهال يونس الاستاذة في الادب الفرنسي القاهرة نحو المنفى

الى هولندا، حيث يعمل نصر حامد ابو زيد الآن استاذاً للدراسات الاسلامية بجامعة لايدن الى جانب عضويته في اللجنة العلمية لموسوعة القرآن الكريم.

من مؤلفاته: الاتجاه العقلي في التفسير «دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة» وكانت رسالته للماجستير، فلسفة التأويل «دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي» وكانت رسالته للدكتوراه في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية، مفهوم النص «دراسة في علوم القرآن» اشكاليات القراءة وآليات التأويل «مجموعة دراساته المنشورة في مطبوعات متفرقة». نقد الخطاب الديني، المرأة في خطاب الازمة «طبع بعد ذلك كجزء من دوائر الخوف»، البوشيدو «ترجمة وتقديم نصر ابو زيد»، الخلافة وسلطة الامة نقله عن التركية عزيز سني بك «تقديم ودراسة نصر ابو زيد، النص السلطة الحقيقة «مجموعة دراسات ومقالات نشرت خلال السنوات السابقة»، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة «يتضمن الكتاب السابق المرأة في خطاب الازمة»، الخطاب والتأويل «مجموعة دراسات، تتضمن مقدمة كتاب الخلافة وسلطة الامة»، التفكير في زمن التكفير «جمع وتحرير وتقديم نصر ابوزيد عن قضية التفريق بينه وبين زوجته وردود الفعل نحوها»، القول المفيد في قضية ابوزيد «تنسيق وتحرير نصر ابوزيد عن قضية التفريق بينه وبين زوجته، هكذا تكلم ابن عربي «يعيد فيها الباحث مراجعة دراسته عن ابن عربي».

لا اكراه في الدين.. كتاب يناقش حرية المعتقد في القرآن الكريم

تعتبر قضية الردة من المواضيع الخلافية التي اشتد حولها النقاش في السنوات الأخيرة وذلك لصدور فتاوى وأحكام قضائية - بل وتهديدات مؤخراً - عديدة تعلن ردة بعض المفكرين والأدباء المسلمين. ولذلك شن الغرب حملات تشهير ضد الإسلام بصفته ديناً يعتدي - بزعمهم - على أعلى قيم العصر وهي الحرية. وإشكالية حد الردة في الاسلام تكمن في كون القرآن الكريم يدعو إلى حرية المعتقد بصورة واضحة لا تحتللبس

ولا التأويل: وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. ولكن السنة النبوية الشريفة توجد بها أحاديث تدعو إلى قتل المرتد، وهناك أيضاً قضية حروب الردة. فكيف نوفق بين حرية المعتقد من جهة وحد الردة من جهة أخرى؟

يطرح الشيخ الدكتور طه جابر العلواني في كتابه الذي يحمل عنوان «لا إكراه في الدين» اجتهاده في إشكالية حد الردة، التي يخشى الكثير من علماء الدين المعاصرين الاجتهاد فيها. والكتاب صادر عن «مكتبة الشروق الدولية» بالقاهرة، ويقع في ١٩٨ صفحة من القطع الكبير.

الجدير بالتذكير أن معظم علماء الدين المحافظين والتقليديين ينتقدون اجتهادات بعض المفكرين المعاصرين في موضوع حد الردة نظراً لأنهم، كما يقولون، مجرد مثقفين لم يتخصصوا في الشريعة الإسلامية ولا يملكون الأدوات العلمية لجعل اجتهاداتهم تكتسب أية مصداقية. ومن هنا تكمن أهمية هذا الكتاب، لأن مؤلفه ليس مجرد مثقف عادي أو مفكر إسلامي غير متخصص، بل شيخ أصولي وعالم دين عراقي حاصل على الدكتوراة في أصول الفقه من جامعة الأزهر عام ١٩٧٣. وهو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، ورئيس جامعة قرطبة بالولايات المتحدة، والرئيس السابق للمجلس الفقهي لأمريكا الشمالية. ومصدر قوة هذا البحث أنه لم يخضع للمؤثرات الليبرالية في تفسير مفهوم الحرية، بل استعمل المنهج الإسلامي الأصيل في التعامل مع الخطاب القرآني والنبوي.

ويعترف العلواني بحساسية الاجتهاد في هذا الموضوع وخطورته، إذ يشير في المقدمة أنه أعد مسودة هذا الكتاب عام ١٩٩٢ ولكنه تردد في نشره خوفاً على علاقات المعهد العالمي للفكر الإسلامي في أمريكا الذي كان يرأسه آنذاك مع بعض المؤسسات الدينية المحافظة في العالم العربي. ولكنه بعد تركه رئاسة المعهد، وتقدمه في العمر، قرر نشر هذا البحث الجريء خوفاً من كتمان العلم رغم ما قد يسببه له من إحراج شخصي مع تلك المؤسسات. ومن دون شك أن مثل هذا الاعتراف مؤسف للغاية، ويصور بدقة البيئة المحيطة بحرية الاجتهاد والبحث العلمي في القضايا الدينية.

حمد العيسى

ملحمة كربلاء المقدسة.. اصدار جديد

الشيخ حسن الدمستاني

عن دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع صدر مؤخراً الكتاب الجديد «ملحمة كربلاء المقدسة» للكاتب عبدالقادر الشيخ علي ابومكارم والذي يحتوي بين طياته قصيدة العلامة الشيخ حسن الدمستاني التي تجد أن في كل حرف من حروفها يبصر القلب المكمد المحزون لمبدعها ويتفتت الما على ما جاء للحسين الشهيد «عليه السلام» سبط الرسول «ص» في كربلاء الدامية ويقرأ فيها صدق الولاء وطهر الاعتقاد وأشراقه الفكر والعاطفة الجياشة الملتهبة التي راحت تنفث في احشائها دائمة سيالة في زفرات الحسرة والمصاب.

فهذه القصيدة محاولة لتدوين كربلاء شعراً بدءاً من التضييق الذي لقيه الحسين في كربلاء وفي المدينة ومكة قبل خروجه وانتهاء بصيحات النكالي في مسمع الزمن مروراً بقتل الصحب الكرام ولظى الرضيع وشهقاته ورفرفته على رقبة ابيه وصعود الشمر بنعاله على صدر الامام الحسين «ع» يُهبر اوداجه والقصيدة ذو تفاعيل واوزان وقافية... فهي من الناحية الفنية متكاملة ومتسقة ويحوي الكتاب على مقدمة للشيخ علي آل موسى ومقدمة للمؤلف الشيخ عبدالقادر ابومكارم ويحتوي على فهرس لموضوعاته، فيها: صفات العمل الخالد، حزن أهل البيت وشيعتهم في محرم، دخول كوكبة من الشعراء على الامام الصادق «ع»، بالاضافة الى لائحة بالاسماء التي قدمت قصائد في هذا الكتاب.

دار الهادي في بيروت تصدر سبعة كتب ايرانية

مترجمة الى اللغة العربية

صدر عن «دار الهادي للطباعة والنشر» في بيروت سبعة كتب ايرانية جديدة تشكل مجموعة من القصص المترجمة الى اللغة العربية لمجموعة من المؤلفين الايرانيين المعروفين.

والكتب السبعة هي في الاصل منقولة عن الفارسية من اصدارات «دار شاهد» التابعة لمؤسسة شهيد الثورة الاسلامية في ايران، وهي من ترجمة «فاطمة برجكاني».

وحملت الكتب السبعة العناوين التالية: «الاسمى»، «الطيور المائية»، «عندما رفعت الستارة»، «العيون السماوية»، «ثلاث قصص لرجل واحد»، «يمكن الرحيل وحيداً»، و«مرآة العشق».

ويضم العنوانان: «الاسمى»، و«العيون السماوية» مجموعة من القصص الهادفة من تأليف مجموعة من الكتاب الايرانيين، و«الطيور المائية» و«ثلاث قصص لرجل واحد» من تأليف «محمد رضا بايرامي»، و«عندما رفعت الستارة» للكاتب «رحيم مخدومي»، و«يمكن الرحيل وحيداً» للكاتب «داود بختياري دانشور»، و«مرآة العشق» للكاتب غلام علي رنجبر. وهذه المجموعة من الاصدارات هي الثانية من ترجمة فاطمة برجكاني بعد المجموعة التي صدرت في نيسان - ابريل الماضي وضمت سبعة كتب أيضاً وهي: «قمر بلا غبار»، «عندما اصبحت قمراً»، «حديقة الورود»، «ضوء القمر»، «لامير البطل»، «تحت السماء وفي ظل شجرة العنب»، و«قصة ذلك الرجل الغريب».

وهاتان المجموعتان من الكتب تحكي بأسلوب ادبي رائع ومشوق قصصاً عن تضحيات الشهداء والمجاهدين الاوائل ونشاطاتهم ودورهم في انتصار الثورة الاسلامية في ايران والدفاع عن الجمهورية الاسلامية الايرانية في مواجهة الحرب التي فرضها نظام صدام حسين البائد.

وتبرز هذه القصص فضل المجاهدين لاسيما الشهداء والجرحى والمعوقين الذين قدموا غلى ما يملكون في سبيل إغلى كلمة الله والدفاع عن دولة الاسلام وعن عزة الشعب الايراني وكرامته وحرية واستقلاله.

طبع كتاب «كنز الصور التاريخية»

قامت مؤسسة الوثائق والمكتبة الوطنية الايرانية بطبع كتاب تحت عنوان «كنز الصور

التاريخية» يضم أكثر من ١٥٠ صورة من العهد القاجاري قام بجمعها الدكتور كيانشو كياي.

وتتضمن هذه المجموعة صوراً من احتفالات الحركة الدستورية، ومراسم تقديم التحية في الاعياد المختلفة في قصور ملوك القاجار، ومراسم قراءة المراثي والفاحة للميرزا حسن الشيرازي ومراسم تحليق المنطاد عام ١٣١٢ هـ في طهران وصورا لناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه واحمد شاه في حالات واماكن مختلفة، والتي يحتفظ بالنسخة الأصلية لها حالياً في خزانة الصور في مؤسسة الوثائق والمكتبة الوطنية.

ومن الفصول الاخرى في الكتاب شرح لتاريخ دخول التصوير الفوتوغرافي الى ايران والاشخاص الذين كان لهم الاثر في تطوير هذا الفن ويذكر ان اقدم صورة فوتوغرافية في الكتاب يعود تاريخها لعام ١٢٤٥ هـ. يذكر ان هذا الكتاب قد طبع منه ١٠٠٠ نسخة.

طاهرة صفار زاده تترجم نهج البلاغة الى اللغتين الفارسية والانجليزية

ستقوم الشاعرة والمترجمة الايرانية طاهرة صفار زاده بترجمة كتاب نهج البلاغة الى اللغتين الفارسية والانجليزية.

اعلنت صفار زاده ذلك لمراسل وكالة مهر للانباء وقالت: ان رسائل وخطب نهج البلاغة هي من القيمة بحيث دفعنتي الى العمل على تعريف القراء الاجانب بها، اضافة الى أنه لا توجد حالياً ترجمة دقيقة لهذا الكتاب باللغة الانجليزية.

ومن الجدير بالذكر أنه صدر مؤخراً ديوان شعر بالفارسية لهذه الشاعرة يتضمن قصائد لم تنشر من قبل.

صدور سبعة كتب إيرانية في بيروت مترجمة الى العربية

صدر عن «دار الهادي للطباعة والنشر» في بيروت سبعة كتب إيرانية جديدة تشكل مجموعة من القصص المترجمة إلى اللغة العربية لمجموعة من المؤلفين الإيرانيين المعروفين.

والكتب السبعة هي في الأصل منقولة عن الفارسية من إصدارات «دار شاهد» التابع لمؤسسة شهيد الثورة الإسلامية في إيران، وهي من ترجمة الزميلة في وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء «إرنا» في بيروت «فاطمة برجكاني».

وحملت الكتب السبعة العناوين التالية: «الاسمى»، «الطيور المائية»، «عندما رفعت الستارة»، «العيون السماوية»، «ثلاث قصص لرجل واحد»، «يمكن الرحيل وحيداً»، و«مرآة العشق».

ترجمة رباعيات الخيام باللغة الارمينية

بمبادرة من مؤسسة «ايرافوتك» الارمينية وبالتعاون مع الملحقة الثقافية الايرانية في العاصمة الارمينية «ايروان» تم مؤخراً طبع وتوزيع الترجمة الارمينية لـ «رباعيات الخيام» للشاعر الايراني الكبير الحكيم عمر الخيام. ومترجم الكتاب هو آرشاك آتايان. تضم الترجمة تلك المجموعة من قصائد الخيام التي توضح فكرته عن العالم وتوضح فنه.

مئات الكتب الخطية النادرة بالفارسية في جامعة كشمير ادرجت على الانترنت

ادرجت مئات الكتب الفارسية والعربية الخطية النادرة في مكتبة جامعة كشمير على موقع بالانترنت.

واوضح مراسل ارنا من سرينغار مركز ولاية كشمير ان حوالى ٦٠ ألف صفحة خطية

يمكن مراجعتها على الموقع الالكتروني.

وقامت جامعة كشمير بادراج هذه الكتب الخطية النادرة بالتعاون مع قسم المهمة الوطنية للكتب الخطية في مركز انديرا غاندي الوطني الفني في العاصمة الهندية نيودلهي. ووضح مسؤولو جامعة كشمير: ان هذه النسخ الخطية التي يعود بعضها الى ٤٠٠ عام مضت وضعت في ظروف غير مساعدة وبرز شعور ضروري للغاية في القيام بخطوة للحفاظ عليها وصونها.

وأكد رئيس العلاقات العامة في جامعة كشمير شوكت شرفي لمراسل ارنا في الهند أن الباحثين والدارسين يستطيعون بعد الان مطالعة هذه الكتب القيمة على الانترنت. ولفت الى أن هذه الكتب تضم نسخاً لديوان مولانا جلال الدين بلخي رومي وقصة شيرين وخسرو ورسالة جالاليا «عربية»، دوري تيم، ورمضان نامه «كشميرية»، ديوان غالب ورباعيات بياضي «اردو» بالاضافة الى ادراج نسخة قديمة من القرآن الكريم تعود الى ٣٠٠ عام مضت.

قسمة الاشتراك في مجلة

آفاق الحضارة الاسلامية

لتسجيل اشتراككم في المجلة يرجى ايداع حق الاشتراك في الحساب الجاري رقم ٥٤٠ خزانه بنك مركزي) باسم (بروهتگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي) وارسال سند الايداع الاصلي مع الاستارة في ادناه، بعد ملئها، إلى عنوان المجلة، علماً بأن كافة شعب (بنك ملی) تتقبل استلام المبلغ المذكور.

قيمة الاشتراك السنوي (العديد)

في خارج ايران } للأفراد ٨٠٠٠ ريال (مع اجور البريد)
في ايران } للمؤسسات ١٢٠٠٠ ريال

في خارج ايران } للدول المجاورة ودول الشرق الاوسط: ١٧ دولاراً
لدول الشرق الاقصى واميركا وبريطانيا وكندا: ٢٥ دولاراً أو ١٨ باوناً

معلومات عن المشترك

اسم المشترك الثلاثي الشهادة العلمية اسم المؤسسة
تاريخ بدء الاشتراك العنوان البريدي الكامل (مع الرقم البريدي) رقم الهاتف
رقم الفاكس

عنوان المجلة

طهران، تقاطع شارع كردستان، مع شارع ٤٤، الرقم البريدي ١٣٣٧٤، العنوان البريدي ١٤١٥٥/٤١٩، هاتف ٣-٨٠٤٦٨٩١-٨٠٣٦٣٢٠ (رقم الداخلي ٢١٩)



«AFAQ AL-HIDARAH AL-ISLAMIYYAH

Subscription Order Form

Surname..... Name..... Education..... Beginning with vol. / Date.....
Address..... Country / State / City / Zip code.....
P.O. Box..... Tel..... Fax..... Telex..... E-mail.....

Prices (Biannual)

Iran { Individuals (postage included): Rls 8000
 Institutes: Rls 12000
Outside Iran { Nearby Countries and Middle East: \$ 45
 Britain, Canada, Australia, U.S.A.: \$55

Please return this form with your check to Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS) to P.O. Box 14155-6419, Tehran, Iran, Tel.: (98) (21) 8036320.



Āfāq al-Hidārah al-Islamiyyah

A Biannual Journal on the Horizons of Islamic Humanities

Issue No. 21, Autumn 2007 and Winter 2008

- ▣ **Publisher:** Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)
- ▣ **Director:** Prof. Mehdi Golshani
- ▣ **Editor-in-Chief:** Dr. Sadiq Ainawand
- ▣ **Issue Editor:** M. Kaiss Al-Kaiss
- ▣ **Production Manager:** Rahmatollah Rahmatpour

ISSN 1562-6822

Mailing address

Āfāq al-Hidārah al-Islamiyyah

Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)

P. O. Box: 14155-6419, Tehran 14374, Iran

Tel: 98-21-88046891-3

Fax: 98-21-88036317

1. E-mail afaq@ihcs.ac.ir

2. E-mail AlKaiss@ihcs.ac.ir

3. E-mail KaissalKaiss@yahoo.com

ĀFĀQ AL-HIDĀRAH AL-ISLAMIYYAH is a biannual journal published by the Institute for Humanities and Cultural Studies. The authors assume responsibility for their views expressed here. Articles and photographs may be reproduced provided that ĀFĀQ AL-HIDĀRAH AL-ISLAMIYYAH is cited.